

وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

أعمدة من ورق

سورية والثورة «١٩٦٠-١٩٧٠م»

كتاب يروي

أسعد عبود

أعمدة من ورق

تصميم الغلاف

أسعد عبــود

أعمـدة مـن ورق

سوريـة والثـورة «١٩٦٠-١٩٧٠»

كتـاب يـروي

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١٣م

أعمدة من ورق : سورية والثورة ١٩٦٠ -١٩٧٠ / أسعد عبود . -
دمشق : الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٣م . - ٧٨٤ ص ؛ ٢٤ سم.

١ - ٠٧١,٠٩٥٦١١١ ع ب و أ ٢ - العنـــــوان
٣ - عبـــود

مكتبة الأسد

الإهـداء

إلى الورق

في زمن الانحسار... والشبكة الدولية..

والتواصل الالكتروني

هل أقل من ذلك وقد كتبت عمري على الورق؟

الثمار التي نقطفها اليوم ..

أزهرت في الربيع

مثل صيني

مقدمة أولى

«ما انتهيتُ من منزلٍ قط...إلا وتمنيتُ إعادةَ بنائه».

قالها بناء ماهر بهدوء وهو يتأمل ما أبدعت يداه، ويسمع عبارات الشكر والمديح.

هو الشعور الذي ينتابني وأنا أختتم هذه الصفحات التي تختصر جهداً أمضيت فيه شطراً غالياً من العمر محاولاً أن أجسّد على الورق، ما خططت له، لنشر ما يجب قوله، أو توهمت ضرورة أن يقال.

في إطار الاعتراضات الودية والممازحات، وربما غير الودية أحياناً، التي تلقيتها وأنا أنشر في صحيفة الثورة، مقالات يتضمنها هذا الكتاب، ما ورد من صديق قال: "تكتب تاريخ جريدتك وكأنها الـ ..." «ذكر اسم صحيفتين غربيتين مشهورتين»، وغيره أكثر من تعليق تلقيت، لكن وبصدق ما شجعني كان أكثر بكثير مما أحبطني.. ولم أكن لأتراجع مهما كثرت التعليقات وبلغت احتمالات الإحباط.

صديقي أخطأ تقدير ما أنا مقدم عليه ولم أصوّب له خطأه، بل قابلته بالصمت. فأنا لم أزمع كتابة تاريخ صحيفة "الثورة" ولا توثيق ما نشرته، إنما هي مرة أخرى محاولة لتسجيل ما بتقديري، يجب ألا ينسى. وعشمي أن كثيرين ممن سيقرؤون هذا الكتاب سيفهمون جيداً مبررات إقدامي على هذه المحاولة، التي لا تبلغ حدود المغامرة.

هذه صفحات تروي جانباً من مواقف ونشاطات وجهود جمعها يوماً حلمها أنها ستغير عوالم صغيرة وكبيرة.. وغيرت.. لكن الجزء لا

الكل، وتغيرت هي حتى أصبحت ترى فيما قدمته عبئاً وليس إنجازات. أليست معصية أن نقرأ الماضي بموجودات الحاضر، فنتجاوز كثيراً على جهود وحقائق، لم يكن لها يوماً أن تكون إلا كما كانت.

إنها حالة حياة جمعية اجتماعية، فيها السياسة والاقتصاد والثقافة، حاولت أن أقدمها تقديماً يختصر مجمل الأحداث في مؤداها العام، ودليلي إليها كان الذاكرة وأوراق "الثورة" خلال عشر سنين لها طبيعتها الخاصة "١٩٦٠ -١٩٧٠".. فهي تختصر كل ذاك المخاض الذي أوصل إلى مخاض آخر..؟ ولا ندري حتى اليوم موعد الولادة؟!

ليس هذا الكتاب توثيقاً لصحيفة، أو سرداً للتاريخ.. ولا هو ذاكرة شخصية أو سيرة ذاتية.. ولا رواية أدبية..!

إذن ما هو؟

هو السؤال ذاته الذي طرحه علي صديقي "سامي أحمد" صاحب دار التكوين، وناشر كتابي "رسائل الحب الستيني".. قال:

ماذا تريد أن يكتب على كتابك.. رواية.. سيرة ذاتية.. ماذا؟

قلت: هذا كتاب يروي..

أعجبه الابتكار، ومادمت صاحب الاختراع، أسمي هذا أيضاً كتاباً يروي.

أشعرني والورق، نعيش الشيخوخة ونقاومها بمشاعر الشباب. وفي تلك المجلدات من ورق أسمر، ما يغري بحفلة سمر مع الورق.

أسعد عبود

ملاحظات أولية

توخيت في كل ما كتبته أو نقلته أو علّقت به، الموضوعية والدقة بعيداً عن الهوى.. لكن.. هيهات إلا إن كان وحياً يوحى. ثم وكما أسلفت هي ليست عملية توثيق كلي حصري، وقد حرصت أن أورد أكبر عدد من الأسماء التي خاضت على صفحات هذا الورق، بنوع من الموضوعية ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

وفيما نقلته من شواهد عن كتابات وعناوين تمنيت من خلالها أن أعرض حالة الفضاء السياسي والاجتماعي والثقافي التي رافقت صدور الصحيفة، بل قبل صدورها، ربما بنفسي اليوم لو أضيف أو أحذف..ربما بنفسي لو أعيد البناء.

فيما نقلته من صفحات الجريدة حرصت عليها تماماً كما وردت وغالباً بأخطائها، محاولاً المحافظة على كل ما تحتويه من احتمالات من خلال موقع النشر، وحجم القطعة والعنوان واللون.. و ..الخ.

تترافق هذه الأعمدة الورقية مع الزمن المستمر مع مطلع ستينيات القرن الماضي وحتى قيام «الحركة التصحيحية» عام ١٩٧٠. أي عشر سنوات بدأت مع جريدة الوحدة الأم المفترضة للثورة.

أما لماذا وقفت عند عام ١٩٧٠؟ فأقول: إنه توقف وليس وقوفاً.. ولنا كبير الأمل.

شمعة في بداية النفق

مدينتنا الصغيرة مليئة بالضجر والهواجس.. شاطئ البحر يمنحك فرصة شرود لن تطول.. بل سرعان ما تعتادها فتدخل معك في الضجر..

مدرسة.. وكتب.. ودار واحدة للسينما تعرض من قديم الأفلام.. والفرجة بنصف ليرة وعوضاً عن الفيلم يُعرض اثنان وهكذا ندخلها في السادسة مساء بعد حفلة خاصة للسيدات تبدأ في الثالثة "ماتينيه" وللمرأة نصف ما للرجل.. فيلم واحد لا فيلمان.. ولأن فيها آلة عرض واحدة تنتهي حفلتنا في الواحدة ليلاً..

صغار نحن بأجنحة قصيرة.. الطموح كبير والطيران إلى المجهول.. تركنا قرانا ولم نتركها، بل هو البحث عن العلم.. ومعه شيء من ثقافة وآخر من سياسة.. وكثير من مقاومة..

مقاومة الفقر ..البرد.. الخصوم السياسيين!!.. ولنا في ذلك سبل وطرق..

لم يكن في مدينتنا ما لا يشجع على السياسة.. لم يكن في مدرستنا من هو غير مسيّس.. ثمة سذاجة حتى في الانتماء إلى أحزاب السياسية.. بل ثمة ارتباك..

الزمن السياسي هو فترة ما يعرف بالانفصال "٢٨ أيلول ١٩٦١ - ٨ آذار ١٩٦٣".. عائدون من حقبة الناصرية في عهد الوحدة "٢٢شباط ١٩٥٨ - ٢٨ أيلول ١٩٦١".. حين اللاحزبية شعار، إلى إحياء الأحزاب التي عرفتها سورية..

هي بصراحة لم تمت.. كما أن الناصرية لم تتوار.. لم نكن أبطالاً في الصراع كما تخيلنا بل كنا أدواته..

أشعر أنني أتذكر تلك الأيام، ليس لأنها حُفرت في دماغي الطازج "١٤ سنة" بل بسبب ما حفرته الأيام بعدها..

متحفز للحياة ..مستعد لكل شيء.. عدا الدراسة "بالعقل".. وهكذا حاورت أحزاباً وتيارات وعشقت كثيراً من بنات التجهيز الجميلات وليس لأي منهن علم بذلك..

في الأيام التالية أحسست أن كل شيء كان جميلاً رغم الفقر من حيث هو حاجة للمال.. دخلت في تجارب تبدو اليوم جميلة.. خطط وحيل مرسومة بدقة، منفذة بمهارة من أجل سندويشة فلافل أو "شعيبية" أو صحن من الكنافة بنصف ليرة، فغالباً يحتاج أكثر مما نملك وما نخططه له..

كذا المجلة.. أو الجريدة..

أحفظ في أيقونة على سطح الذاكرة، أغلفة الصحف وعناوينها وأسماءها وأسماء رؤساء تحريرها منذ تلك الأيام.

كانت الجرائد والمجلات توضع أمامنا خلف زجاج واجهة المكتبة الوحيدة في المدينة "يوسف كردية" وترصف مطوية من منتصفها لاستثارة القراء ودفعهم إلى شرائها، وكانوا يقولون إن صاحبها يتعمد ذلك ليترك للناس فرصة الاطلاع المجاني، وكان معروفاً بانتمائه إلى الحزب الشيوعي السوري.. انتماؤه الحزبي هذا جعله يمر بظروف اجتماعية في حقبة ما بعد سقوط حكومة الانفصال وسط المدينة التي يتقاسم شارعها حزب البعث العربي الاشتراكي من جهة والناصريون من جهة أخرى.. علماً أن الشيوعيين لم يكونوا قليلين... وانتهى به المطاف في اللاذقية تاركاً جبلة لصراعاتنا التي كثيراً ما بدت ساذجة.

وقفتنا على واجهة المكتبة كانت تطول... علم ومعرفة وإعلام.. وثقافة ومعالجة الضجر وكله بلا مقابل.. حتى إن زميلاً لنا أجاب في استمارة على سؤال عن الصحف التي يقرؤها:

أقرأ كل الصحف واقفاً من خلف زجاج مكتبة "يوسف كردية"..!!

كم وقفنا هناك... كم قرأنا.. بل.. كم حفظنا!

يقول الخبر:

"إغلاق الصحيفتين، إخراس للألسنة الناصرية".

ليس الخبر الوحيد الذي أحفظ من تلك الأيام.. بل هي الأيام التي كثيراً ما تطرق على أيقونة فتدفع بالخبر إلى سطح الذاكرة..

كان الخبر يتحدث عن صحيفتي الوحدة والبعث.. وسمعت بين الواقفين على الواجهة من يشتم الحكومة بتنهيدة... أظنه كان يقرأ الخبر مثلي.. لكن لا أعلم إن كان قد حفظه..

"الوحدة" و"البعث"..

لماذا أغلقتا..؟!

قال صديقي المروج لكل ما يسمعه: لأنهما من العهد البائد.. -

- وهذا العهد ...ماذا..؟!

كثيرون احتجوا وشتموا..، كثيرون وافقوا.. والقضية لم تكن تعنينا كثيراً.. كان واضحاً الاصطفاف الحزبي السياسي خلف هذه المواقف الصغيرة..

لم أكن قد سمعت بجريدة "الوحدة" قبل ذاك التاريخ.. أما البعث فأتذكر أن اسمها ورد على لسان أبي "معاتباً أو أكثر من معاتبة".

سألته عن إغلاق الجريدتين.. ورأيته مرحّباً.. إما لأنه ترك السياسة متأثراً بمعاناته من انتمائه السابق إلى الحزب السوري القومي، ما جعله ينتمي

إلى الحكومة فقط.. وإما لأنه كـــ "سوري قومي سابق" لم يربطه شديد العاطفة مع أي من الصحيفتين..

في سرايا جبلة مكان يسمونه "النظارة" يوقفون فيه المخالفين، وداخله حيث أقمنا ظهر ذاك اليوم وعصره الذي تظاهرنا فيه لإطلاق محمد ابراهيم العلي من سجنه، وكان محكوماً بالإعدام، سمعت من وفيق تعريفات أقدّر اليوم مدى سذاجتها .. لكن لم يكن يعنيه إغلاق الصحيفتين.

قال لي:

- نريد عبد الناصر وفقط.. بلا جرائد.. بلا بطيخ..

خرجت من النظارة كئيباً ذاك المساء ولم يستطع البحر أن يفعل شيئاً.. فقصدت المكتبة وتطلعت إلى عناوين الصحف.. ثم غامرت وسألت إن كان لديهم جريدة الوحدة.. فرد عليّ ربما بلطف:

- لماذا الوحدة.. ألا تعجبك كل هذه الجرائد..؟!

- أنا أسأل عن جريدة الوحدة..

- كانت جريدة واحدة واليوم أكثر من عشرة...

- لماذا أغلقوا الوحدة إذاً؟!

أجاب بحركة من فمه ورأسه وجسده.. ركبتها على أساس عبارة "شو بعرفني".

كنت أعلم انتماءه السياسي.. بل أنا بصراحة ترددت قبل أن أسأله متحسباً لجوابه..

لم أجد جواباً عن سؤالي من أحد، ونصحني صديقايّ قيصر وعلاء أن أكف عن طرح السؤال بعبارة:

"شو دخلك.. ما أهمية هذه الحكاية".

حصل ذلك يوم نويت أن أسأل ذاك الشاب الذي دخل على شعبة صفنا وفي جيب جاكيته جريدة وقدم نفسه مدرساً للغة العربية في الصف الحادي عشر العلمي ١٩٦٢ قائلاً..

- أنا خريج جامعة القاهرة اختصاص صحافة وليس لغة عربية..

أول مرة أسمع بخريج صحافة، أول مرة أقابل أستاذاً وفي جيبه جريدة مطوية.. بل أول مرة أسمع مدرساً يهاجم الحكومة "حكومة الانفصال" علناً أمام الطلاب، حفظت اسمه "أديب خضور" حفظت ماقاله عن فقدان الحرية في صحافتنا.. لم يكن من الصعب اكتشاف انتمائه الناصري ..سألناه:

أي الجرائد أفضل؟!..

قال:

كلها سيئة ..أنصحكم بمجلة الآداب..

سألناه:

ألا تجامل هذه المجلة أحداً..

قال: أقل من غيرها..

يعني - تابعَ - إذا وجد رئيس تحريرها فيها مقالاً يهاجم عبدالكريم قاسم يشقه كي تدخل العراق، فالعراق أفضل سوق عربي لتسويق الصحف..

في كل الأحوال لم أسأل يومها الدكتور أديب خضور عن إغلاق الصحيفتين، لأنني لم أره إلا بعد سنين طويلة..

دخل صفنا وغادره وقد خلّف عندي غصة أنني لم أسأله عن إغلاق الصحيفتين.. وكثيراً من الانطباعات.

خريج صحافة..

صحف سيئة مجاملة..

سوق العراق الأفضل لبيع الصحف..

ومضت الأيام وأنا لا أجد جواباً على السؤال عن إغلاق الصحيفتين، إلى أن سمعت في الراديو وكنا نجتمع مبهورين مستطلعين متسائلين عما حصل في دمشق، أن المجلس الوطني لقيادة الثورة قرر إغلاق الصحف كافة عدا صحيفتي الوحدة والبعث..

نظرت إلى من حولي وقلت:

- هما مغلقتان؟!

لم أشعر أن هناك أحداً مهتماً.. ولا حتى عارفاً بما أتحدث عنه.. علماً أن بينهم من كان يردد مع المذياع عبارات الرسالة الخالدة والوحدة والحرية والاشتراكية.

تروي ملفات «الوحدة»

صدر العدد الأول من جريدة "الوحدة" في ١٩ آذار ١٩٥٩. يعني في عهد الوحدة بين سورية ومصر "الجمهورية العربية المتحدة" ــ وهذا يغنينا عن أي توصيف لهويتها.. كان الامتياز لراتب الحسامي ورئاسة التحرير لجلال فاروق الشريف رحمهما الله.. ثماني صفحات ثمنها ١٥ قرشاً واشتراكها السنوي ثلاثون ليرة تكثر فيها الأخبار وتقل الأسماء.. مانشيتها على الصفحة الأولى في العدد الأول:

بدء الصراع مع الشيوعيين وموسكو

وهناك مانشيتان آخران:

العصابات المسلحة تحكم الموصل والشيوعيون يتابعون أعمال التنكيل والإرهاب.

جماهير الشعب في الجمهورية العربية المتحدة توالي استنكارها لمؤامرات حكام العراق والشيوعيين.

مانشيتات الصحيفة تظهر الطبيعة السياسية لتلك الفترة:

سورية إقليم في الجمهورية العربية المتحدة التي يرأسها الراحل جمال عبد الناصر وعاصمتها القاهرة..

صراع مع العراق الذي كان يقوده الراحل عبد الكريم قاسم..

وهي مرحلة معاداة الشيوعية التي شهدت اعتقال كثيرين منهم وزجهم في السجون..

علاقات الجمهورية العربية المتحدة بالاتحاد السوفييتي لم تكن قد تعمقت وتجذرت بعد، على الرغم من الموقف السوفييتي من العدوان الثلاثي (بريطاني. فرنسي. إسرائيلي) على مصر الذي كان عنوانه إنذار "بولغانين" الشهير..

افتتاحية العدد الأول "رأي الوحدة" كانت لراتب الحسامي "صاحب الامتياز" وهي تشير بوضوح إلى الظروف المحيطة بصدور الصحيفة:

الصحافة في العهد الجديد

الصحافة القومية الواعية ضرورة مبرمة لا لهذا العهد فقط وإنما لكل العهود التي مرت وتمرّ بها البلاد، غير أن لهذه الصحافة شروطاً ومستلزمات، وأهمها أن تكون الصحافة مرآة تنعكس عليها آمال الشعب وأمانيه، قومية تدافع عن مصالحه وترعى جهاده، مشكاة تضيء له الطريق لبلوغ أهدافه السامية ومثله العليا.

الصحافة القومية الواعية تتجاوب مع الشعب، وليست حجر عثرة في طريق أماني الشعب، تدافع عن استقلال الشعب العربي وتشدّ أزر القومية العربية ، وتدعم الوحدة بين القطرين لتصل بها بعد ذلك إلى الوحدة العربية الشاملة، قمة أماني العرب الأحرار في مختلف الديار والأمصار.

ومن مميزات الصحافة القومية الواعية أن تكون مواردها شريفة، ومبادئها واضحة.. نعم من مميزات الصحافة القومية الواعية ألا تمد يدها للأجنبي فتكون له بوقاً، ولا للمؤسسات الاستعمارية فتكون لها ركيزة.

إن من مميزات الصحافة القومية الواعية أن تنتقد نقداً حراً نزيهاً، لا نقداً متحيزاً، فالنقد النزيه الواضح بنّاء، أما النقد المتحيز الجاني فهدّام..

هذه صفات رئيسية يجب أن تتوفر في الصحافة في عهدنا الجديد، عهد القومية العربية والوحدة العربية، عهد العزة والكرامة..

وجريدة الوحدة، الصحيفة الأولى التي ولدت بعد الوحدة، انسجاماً مع مبادئ المشرفين عليها وأسرة التحرير فيها، ستكون المرآة التي تنعكس

على صفحاتها آمال هذا الشعب، وتشع من بين سطورها أهدافه وأمانيه في دعم القومية العربية، وتحقيق الوحدة العربية الكاملة.

نعم ستكون هذه الجريدة اللسان المعبر لأماني الناطقين بالضاد، والقلب النابض لأهدافهم السامية، ستحارب الانهزامية والانفصالية والرجعية بكل وسائلها، وستعمل على دعم الوحدة العربية تحت زعامة رائد القومية العربية الرئيس جمال عبد الناصر.. والله من وراء القصد.

توضح افتتاحية الحسامي أن الجريدة مرتبطة كلياً بالدولة، وأنها تأتي لتحل محل صحف أخرى أغلقت بقرار حكومي.. ومنها صحيفة البعث نفسها!؟.. وهي الناطقة بلسان حزب البعث العربي الاشتراكي الشريك الأول والأهم للرئيس الراحل عبد الناصر في إقامة دولة الوحدة.

على ضوء تلك الشمعة في بداية النفق أستطيع أن أقرأ الآن أن "الوحدة" الشهيدة ضحية لقرار تعسفي يدعي الحرية وحماية الصحافة هي ابنة بريئة لقرار تعسفي آخر يبحث عن الدور القومي والإعلامي للصحافة مما استدعى إغلاق صحف أخرى كثيرة؟!

في العدد الثاني يلفت النظر مقال سياسي لرئيس التحرير المرحوم جلال فاروق الشريف، يشرح المانشيت العريض "خرشوف يغامر بمصير الشيوعيين" ويأخذ مكان الافتتاحية دون الـــ "لوغو" وكلمة رأي الوحدة التي يكتبها راتب الحسامي..

خروشوف يقامر بمصير الشيوعيين

لقد انتهز السيد خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي مناسبة توقيع بلاغ عن عقد اتفاقية تعاون اقتصادي وفني بين الاتحاد السوفياتي وحكومة العراق ليعرب عن آرائه بصدد مسائل تتعلق بالجمهورية العربية المتحدة، وكل من يستعرض ما جاء في خطاب السيد خروشوف لا يمكن إلا أن يعتبر أن ثمة تبديلاً كبيراً يكاد يكون جذرياً في النظرة إلى العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفياتي على الرغم من أن السيد

خروشوف حرص على أن يؤكد في نهاية خطابه عزم حكومته على مواصلة تنفيذ الالتزامات المقطوعة بشرف..والواقع أن كلمة مسؤول في الاتحاد السوفياتي كالسيد خروشوف عن مسائل مطروحة الآن في الشرق الأوسط تتناول خاصة موقف الجمهورية العربية المتحدة من الشيوعيين فيها، وعلاقاتها بحكومة العراق لم تكن أمراً مستبعداً، فمنذ فترة والصحافة السوفياتية وراديو موسكو يتناولان بالتعليق هذه المسائل بلهجة غير مألوفة وبصورة لا يمكن أن توصف بأنها مطابقة لحقيقة ما يجري في المنطقة.

ولم تكد تبدأ ثورة الموصل ضد حكم عبد الكريم قاسم حتى كانت اللهجة قد تبدلت تماماً، وأخذت طلائع حملة اتهامات ضد الجمهورية العربية المتحدة تلوح في الأفق، ثم جاء السيد خروشوف ليلقي الكلمة الفاصلة ويوضح الموقف نهائياً.

ويتابع الأستاذ الشريف في مقاله المطول الذي أخذ الجزء الأكبر منه كبقية في صفحة داخلية:

بعد هذا كله يتصدى خروشوف للرد على خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في دمشق عن الشيوعية والشيوعيين، فيزعم أن المسؤولين في الجمهورية العربية المتحدة "يتبنون لغة الاستعماريين" وأن ما قيل عن الشيوعيين سبق أن قيل عنها وأن الشيوعيين أبناء أوفياء لشعبهم وليسوا عملاء للأجنبي.

والواقع أن خروشوف في هذا لا ينسجم مع نفسه كأكبر مسؤول رسمي في الاتحاد السوفياتي بقدر ما ينسجم مع نفسه كشيوعي، فاتهام كل من ينتقد الشيوعية بأنه يتبنى لغة الاستعماريين أسلوب قديم من أساليب الشيوعيين معروف عند أبسط الناس في بلادنا، وخروشوف في هذا ينطبق عليه نفسه قبل غيره قوله "إن التهجمات على الشيوعية لا تمثل أي شيء جديد" لأن خروشوف حقاً لا يقول شيئاً جديداً عندما يكرر هذا الاتهام الضيق، ولقد رد الرئيس عبد الناصر على ذلك رداً كافياً إذ قال: "إن وعي

شعبنا العربي بلغ من القوة بحيث يستطيع أن يعرف أن حملتنا على الشيوعيين العملاء تهدف إلى حماية وطننا من استعمار جديد كما تهدف إلى بناء بلدنا على أساس وطني قومي متحرر من الاستعمار والتبعية"، إن تاريخ كفاح الشعب العربي بأسره والجمهورية العربية المتحدة خاصة ضد الاستعمار الغربي معروفة وقائعه من قبل خروشوف نفسه ومن قبل المستعمرين أنفسهم ولا يحتاج إلى بيان.

ويختتم رئيس التحرير مقاله بما يلي:

إن ثورة ١٤ تموز لا يمكن أن تنفصل عن ثورة ٢٣ يوليو، وما دامت هذه الوحدة في المصير قائمة فلا يمكن عزل أي قطر عربي إلا لأمد قصير مهما طال.

وعلى هذا فإنه ما دامت الجمهورية العربية المتحدة قائمة مستقلة قوية فسيكون حكم الشيوعيين للعراق حكماً مؤقتاً.

هذه هي الحقيقة الضخمة التي يحاول الشيوعيون والسيد خروشوف أن يقفزوا من فوقها عند حساب القوى، وقيام هذه الحقيقة أصلاً هو الذي أدى إلى تراجع الاستعمار الغربي، إذ كان لابد له من أن يتراجع عن العراق، ما دام قد تراجع عن مصر وسورية من قبل.

بل يبدو إن معرفة الاستعمار لهذه الحقيقة هي التي جعلته يحاول أن يضرب بشدة وبكل ما يملك من قوة مصر وسورية قبلاً والجمهورية العربية المتحدة حالياً، ولئن كان الشيوعيون والسيد خروشوف يعلمون هذه الحقيقة، فإن محاولتهم في العراق لا يمكن عندئذ إلا أن نسميها مقامرة، ولقد كان بوسع السيد خروشوف أن يقامر بالشيوعيين في البلاد العربية جميعاً بإدخالهم في لعبة العراق ولكنه على ما يبدو يريد أن يوسع "اللعبة" حتى أدخل فيها بنفسه أيضاً.

إن الشعب العربي اليوم أصبح أشد علماً بالأخطار التي تهدده من أي وقت مضى، إنه يشهد الآن قوى متعددة متنافرة ترتقي ضده. وهو عندما

ربط الصهيونية والخطر الإسرائيلي بالاستعمار كان على صواب مثلما يربط اليوم بين خطر الشيوعيين ومساندة الاتحاد السوفياتي.

على أن هذا كله ليس جديداً والجديد هو أن المعركة قد فتحت. ولا نظن أن قضية كبرى كقضية الشعب العربي يمكن أن تأخذ مكانها إلا بتضحيات جسيمة.

إن الدرب وعر، ولقد اخترنا الطريق الصعب لأنه الطريق الوحيد الصحيح السليم الموصل إلى الظفر.

أوردت فقرات مطولة من المقال.. ورغم أنني ما زلت في مرحلة التقديم للدخول إلى ولادة صحيفة "الثورة" التي يفترض أن ترث "الوحدة" إلا أنني أردت من ذلك إظهار بعض جوانب العمل الصحفي في تلك الأيام إضافة إلى أهمية المقال الذي يظهر بوضوح رؤية مثقف قومي عربي "له جذور في البعث العربي الاشتراكي" للصراع مع الشيوعيين في تلك الفترة.. وهو صراع قومي - شيوعي استمر طويلاً.. ولم يتحسن الوضع كثيراً مع تحسن علاقات الجمهورية العربية المتحدة مع الاتحاد السوفياتي في ظل قيادة خروشوف.

إضافة إلى ذلك.. فقد رغبت في إظهار المقدرة الخلاقة التي كانت لأستاذنا المرحوم جلال فاروق الشريف في العرض والتحليل السياسي، وأذكر هنا أن الشريف الذي أسس مهنياً لجريدة الوحدة.. أسس أيضاً الثورة وتشرين بعدها وبالتالي يصح القول عنه: إنه أستاذ الجميع.

كما أنني لاحظت أن المانشيت العريض جداً لم يكن لخبر في الصحيفة.. بل لهذا المقال السياسي التحليلي بدأه على جانب الصفحة الأولى في موقع الافتتاحية.. وهذا غير مألوف في زماننا، أعني غير مألوف أن يكون المانشيت لمقال سياسي يؤدي دور المقال الافتتاحي.

استمرت الوحدة لسان حال النظام الرسمي "العربية المتحدة ــ الإقليم السوري" بإشراف الحسامي ورئاسة التحرير للشريف.

وقع الانفصال وقامت سلطته في أواخر شهر أيلول ١٩٦١، وأقول أواخر لأن الانقلاب وقع في يومين ففي اليوم الأول – ٢٨ أيلول - أعلن البيان الشهير رقم "٩" الذي أذاع أن الانقلابيين قد عادوا عن قرارهم وحتى تلك اللحظة لم تذكر إذاعة دمشق اسم الجمهورية السورية.

في اليوم التالي – ٢٩ أيلول - اكتملت عملية الانقلاب وسميت الجمهورية السورية وأصبحت فيما بعد الجمهورية العربية السورية.

بداية لم يكن من حاجة لدى حكومة الانفصال "إن صحّ التعبير.. وهو الدّارج" لإغلاق صحيفة الوحدة.. ولا سيما أن القادمين إلى السلطة يعلنون أنهم: حالة الثأر السياسي من الوأد الناصري للحريات والذي كانت صورته المثلى إغلاق الصحف.. هم لم يغلقوها.. إنما بدلوا رئيس تحريرها..

في العدد الذي صدر في ٢٨ أيلول ١٩٦١ وكان يوم خميس كتب الأستاذ المرحوم جلال فاروق الشريف افتتاحيته الأخيرة في الوحدة التي تناولت حل المسألة الألمانية كمفتاح كبير للسلام العالمي.

في اليوم الثاني ٢٩ أيلول ١٩٦١ غابت الجريدة وكان يوم جمعة وظهرت يوم السبت كالمعتاد مروّسة باسم الشريف رئيساً للتحرير.. لكن غاب اسمه عن الافتتاحية.. واستمر الحال كذلك حتى العدد الصادر صباح السبت ٧ تشرين أول.

غاب اسم الشريف نهائياً عن الصحيفة وظهرت افتتاحية طويلة دون توقيع "موقعة باسم الوحدة" ولم يعلن عن اسم رئيس التحرير حتى الثلاثاء العاشر من تشرين أول حيث ظهر اسم المرحوم الدكتور سامي الدهان مشرفاً عاماً.. وظهرت افتتاحية باسم الوحدة يرجح أن تكون له، ذات طابع ثقافي تتحدث عن الدكتور طه حسين!

في اليوم التالي أضاف الدكتور الدهان إلى مهمته صفة رئيس التحرير.. وفي عدد السبت ١٤ تشرين الأول وضع لها شعاراً "الوحدة الكبرى بين أقاليم الوطن العربي" ووضع خريطة الوطن العربي "لوغو"..

مضيفاً لاسم الوحدة عبارة الكبرى.. ثم وفي الأعداد التالية ألغى لوغو الخريطة وأبقى على عبارة الوحدة الكبرى.. وكلمة الكبرى ترد صغيرة فوق كلمة الوحدة..

أرادت إدارة الجريدة بذلك أن تقول: إنها ليست ضد الوحدة وإنما تريد استبدال الوحدة الصغرى "الجمهورية العربية المتحدة" بالوحدة الكبرى "وحدة أقاليم الوطن العربي".

استمر المرحوم الدكتور سامي الدهان رئيس تحرير للوحدة حتى الأول من آذار ١٩٦٢.. العدد ١٠٦٩.. إذ غاب اسمه وحضر اسم بشير كعدان رئيساً للتحرير ومشرفاً عاماً..

وغابت عبارة "الكبرى" وعادت إلى سابق تسميتها "الوحدة".. وأيضاً غاب الشعار وحلّ محله.

"جريدة يومية سياسية تصدر في دمشق"

واستمرت ترويسة مؤسسة الوحدة..

كتب كعدان رأي الوحدة وجاء فيه:

اشتراكية الدولة

كانت خطوة مجلس الوزراء في إقرار مكاسب الفلاحين والعودة إلى القانون ١٦١ مع بعض التعديل الضروري أول بادرة عملية في تحقيق الاشتراكية الصحيحة وبناء المجتمع العربي في سورية على أسس سليمة تضمن له البقاء والازدهار.

وإذا كانت جمهرة السكان في سورية إنما تمثل في الواقع على الصعيد الريفي، وكان إقرار العدالة بين أفرادها يمثل جانباً هاماً من جوانب الديمقراطية في الحكم الراشد - فإن الاشتراكية البناءة التي أرادتها الحكومة الانتقالية لهؤلاء الناس من أبناء الجمهورية العتيدة تحقق قي

الواقع أكبر هدف أخلاقي تمتد جذوره الطويلة إلى تقوية الكيان وتماسك المجتمع، وبالتالي إلى دفعه في طريق القومية نحو الولادة الوحدوية النظيفة المبتغاة.

وبالرغم من أننا لم نضع أيدينا بعد على الخطوط العريضة لتعديل القانون ١٦١ في بعض مواده، إلا أننا نعتقد بأن اهتمام الحكومة الانتقالية بهذا النصيب من الاشتراكية، كجزء جوهري من البنية المنهاجية المخطط لها - إنما يفصح في حقيقته عن استهدافها الجدي لبقية أغراض الدولة، وعن نياتها الخيّرة في تحقيق هذه الأغراض.

ولعل المواطن المنصف يجد فيما نطرحه بين يديه من عوامل التفاؤل الشيء الكثير مما يرتبط بالتصاريح والإيضاحات والمؤتمرات الصادرة عن الجهاز الرسمي، على عكس ما تحاول أن تبثه بعض المصادر المغرضة.

لقد برهن مجلس الوزراء أمس عن عزيمته الصادقة، وأنه يعني ماقاله في بيانه الأول عن اشتراكيته في البناء والإنشاء، وإن الاشتراكية طريق لتماسك المجتمع وتحقيق وحدة لا تنفصم ولا تتعثر.. وحدة واشتراكية تمثلهما العقيدة والتنفيذ الصحيح.

وفي العدد ١٠٨٧ الصادر في ٢٣ أيار ١٩٦٢ كتب بشير كعدان افتتاحية العدد التالية:

الوحدة وسباق الزمن

لولا وجود إسرائيل لكان في الزمن بقية من التريث والدراسة والانتظار في موضوع الوحدة.. ولولا إسرائيل وكونها مركزاً للاستعمار ومطامع الصهيونية العالمية، لقلنا نحن وأجيالنا الصاعدة، فلننتظر ريثما تتحرر بلدان العروبة وتختمر وعياً وتفاعلاً فتتقارب منّا ومن الآخرين لتكون الوحدة الشاملة.. ولولا إسرائيل وكونها تتكامل يوماً فيوماً، فلا ينتهي عام ١٩٧٠ حتى تكون قد امتلأت بالملايين الخمسة، وحتى تكون قد خططت لأهدافها وأحلامها التوسعية التي تنطلق بأجنحة الخفافيش حتى

الفرات! لولا ذلك، لقبلنا بوضع الدراسات القومية في شمولها العربي ولسكتنا عن البطء والحبو الطفولي ريثما تنضج "الطبخة" ويموت المندفعون، وتبقى الأفكار السليمة العميقة مصانة من الذبول، فتحدث الوحدة.. وطبعاً، الشاملة!.

ولكن هناك ناحية أخرى تتعلق بمعالجة الموضوع ــ إياه ــ وهي أن الأفراد اليوم باتوا يناقشون الوحدة مناقشة مؤسفة، فلا تجد إنساناً إلا ويركز "جفوته" عليها على أساس حرمانه المنفعة أو السلطان أو الجاه أو العمل المريء الخصيب، وهذا لا يمكن أن تستوي معه قضية، أو يحسب له حساب، فالقوميات الوحدوية لا تبنى على المصالح وإنما على التضحيات، فالضرورات تقدر بقدرها.

أروني أي بلد توحد مع الوطن الأم، فبقيت له مصالحه ومنافعه وأعماله دون تطوير أو تبديل في مختلف نواحي الحياة!

لقد عاش "متزيني" مشرداً مضحياً بمبدئه الجمهوري في سبيل وحدة إيطالية الملكية، ودخلت المقاطعات الألمانية أزمات وحروباً عديدة حتى استقر الأمر لبروسيا الأم، ولم تخل وحدة الشمال والجنوب في الولايات المتحدة من قتال مرير ورواسب أخلاقية مؤسفة طوال قرن من الزمن بعد ابراهام لنكولن!.

المهم هو تنفيذ الوحدة بلا نكسات وإيجاد الطريق العملية إلى ذلك بالسرعة الممكنة، فالتبلبل له خطره، وثغراته الفاغرة ضدنا، والزمن ليس معنا، والتآمر الخفي على تفتيت سورية أضعاف ما هي عليه، مستمر وضار كالوحش، فليكن رائدنا الحزم والتصميم والتعاون الجماعي منطلقين من عاصمة أمة نحو دنيا من القوة والتضامن العربي الوحدوي.

يتضح من المقالين أن الجريدة ورغم علاقتها الوثيقة بالدولة أخذت اتجاهاً غير منسجم مع المزاج السلطوي السياسي العام.. سواء من ناحية الوحدة.. أو الاشتراكية.. بل إن مجرد حذف كلمة "الكبرى" عن اسم الجريدة

شكل موقفاً سياسياً لرئيس التحرير الجديد.. معتبراً أن الوحدة هي الوحدة.. بما في ذلك الوحدة التي كانت..

كانت المرحلة حقبة قلاقل ومظاهرات وحكومات متتالية وعدم استقرار واضح فسّره أنصار الوحدة وعبد الناصر - كانوا الأكثرية - بأنه: "ناجم عن إحساس الشعب بلا شرعية الانفصال" وفسّره أنصار الانفصال بأنه: الاستثمار السيئ للأجواء الديمقراطية..

ورغم الديمقراطية.. أغلقت الصحيفة؟!

ولم يكن لها أن تصدر مرة أخرى رغم قرار المجلس الوطني لقيادة الثورة.. فقد أعيدت المؤسسة باسم الوحدة لكنها أصدرت بدلاً عن الوحدة "الثورة"..

واستمرت الهواجس الصحفية تبحث عن عمود الحرية.

شمس الظهيرة من ثقوب المدافع..

لم تكتحل عيناي برؤية جريدة الوحدة، التي لم تعاود الصدور رغم قرار المجلس الوطني لقيادة الثورة.. أعيدت مؤسسة الوحدة وتم ترقين قيد الصحيفة ونقلت المهمات إلى ابنتها أو شقيقتها "الثورة".

ذاك العام كان عاماً للفرح.

ذاك العام كان عاماً للحزن.

رأيت قيصراً حزيناً رغم الفرح الذي يعتري الإذاعات والشوارع.. أغان وطنية حماسية عن الثورة والآمال العراض.. تحدثت معه. رأيت دمعاً في عينيه.. كنا نتهيأ للحادي عشر العلمي وقد درس العاشر وحده.. لم يستطع أحد إقناع والده بتغيير موقفه بعد أن رفض تمويله حتى البكالوريا.. القضية تتطلب مكان سرير في غرفة في جبلة.. وأكلاً وشرباً وكتباً ودفاتراً.. و.. من أين؟!

بكى الرجل قبل ابنه.. أبكته "أم قيصر" وهي تترجاه ألا يتركه على قارعة الطريق..

"يارجّال كلها سنة والثانية وتمضيان.. وبكره يأخذ البكالوريا.. ويذهب إلى الكلية الحربية.. ويصبح ضابطاً ويساعدنا".

- من أين ؟! - كرر الرجل بحرقة..

منظر الرجال يبكون.. بيان بقمة العجز.. وأول مرة رأيت من يفعلونها كانوا أبي وأخوالي وآخرون.. يبكون أمي التي ماتت في عز الصبا..

كان عام "الميلاديو".. غرست الأرض بالدخّان وأصابه العفن الأزرق "الميلاديو" ومات بأكمله..

من أين نوفّي الديّانة والدكاكين ونشتري المونة والأعلاف و.. و..؟!

الحياة ليست سهلة.. والذين يسهرون على الأفراح يواجهون فراغ الاقداح.. وامتزج الحزن بالفرح.

ذاك العام دخلت دمشق لأول مرة في عمري..

حلم لم أنس متعته.. تفاصيل الطريق.. المدن التي تمر بها.. بانياس، طرطوس، تلكلخ، حمص.. (كان لحمص مدخل رائع يزهر فيه الزيزفون كرنفالاً حقيقياً) ثم النبك فدمشق.. الرحلة بالباص تأخذ ست ساعات إلى سبع.. ومنذ ذاك اليوم عزّ عليّ فراق دمشق ولم تفارقني الدهشة طول بضعة الأيام التي قضيتها فيها..

دخلت مؤسسة الوحدة للمرة الأولى - خلف القصر العدلي - زائراً.. كان أخي يعمل فيها.. وكانت الثورة الوليدة تحبو بخطواتها الأولى على الأرض.. أظنها كانت في الشهر الثاني من عمرها.. أو الثالث.. لا أتذكر بالضبط..

كانت المدينة ما زالت تعرض للزوار آثار الاختلاف والافتراق لا الوحدة!. يومها رأيت لأول مرة بيتاً محروقاً وقد اخترقته قنابل الدبابات.. أقدر اليوم أن الموقع غرب المالكي.. حالة مهيبة مليئة بالتناقض.. شارع المالكي الجميل ومسطحاته الخضراء وإلى غربه البساتين "الغوطة الغناء.. وبيت اخترقت جدرانه قنابل الدبابات..".

حكاية الخلافات بين جناحي الحكم الذي قضى على فترة الانفصال في "٨ آذار ١٩٦٣" ليست بخافية.. كان صراعاً فيه الكثير من الرعونة السياسية وغير السياسية.. قاد إلى:

١ - غلبة البعثيين وسيطرتهم على الحكومة بصورة رئيسية.

٢ - حركة ١٨ تموز الانقلابية الفاشلة التي قام بها الناصريون عزّ الظهيرة، مخالفين قواعد الانقلابات في سورية التي كانت تعتمد الخط

الفصل بين الليل والنهار لعلّها عاقت كثيراً ولادة الفجر، وصفيت الحركة بعنف وإعدامات.. ومحاكمات استمرت طويلاً..

٣ - حركة ١٨ تشرين الثاني في العراق التي استفاد فيها الرئيس العراقي الراحل عبد السلام عارف من الخلاف الناصري البعثي للسيطرة على الحكم.. وزجّ البعثيين في السجون إلا من عبر منهم الحدود..

أخبرني علاء بأن طلبه الذي تقدّم به للانتساب إلى حزب البعث العربي الاشتراكي قد قُبل.. ونصحني بأن أفعل.. ولم يعرني اهتماماً عندما حدثته عما رأيت..

قلت له: زرت مؤسسة الوحدة.

- هل اشتريت شيئاً؟

- أشتري ماذا؟!

- ماذا فعلت بالتي تسميها؟

- من هنا كانت تصدر جريدة الوحدة.

- أي وحدة؟

- اسمع هل تعرف اسم جريدة "الثورة"؟!

- يذكرونها أحياناً.. لا أحب الجرائد.. أنت مجنون فيها.. حفظت "لي" أنهم أغلقوا صحيفتين.. ومن يومها رأيتك تدور على كعبك بل عشقت "الوحدة".

- ليس هذا فقط ما حفظته..

- (طيّب) تذكّر غيره!

- لن ينقذ العالم إلا معجزة..

- شو هالعالم وشو هالمعجزة؟!

- الرأي العام – أحمد عسة.

نظر إليّ باستغراب وإعجاب واستهزاء وقال:

- أبوكم دللكم؟!

"لن ينقذ العالم إلا معجزة" هي افتتاحية الأستاذ المرحوم أحمد عسة في جريدة «الرأي العام» حول أزمة الصواريخ السوفياتية في كوبا.. التي كادت تودي بالعالم إلى حرب عالمية ثالثة.. أتذكر الافتتاحية وكانت صغيرة.. قرأتها كاملة مع مانشيتات الصحف.. على واجهة المكتبة..

سكت علاء مرغماً..

قيصر الحزين لم يساعدني .. طلب أن أتركه بهمه.. كان يستعد للسفر إلى لبنان ليعمل هناك.. - حسب خططه - كي يؤمن تكاليف الدراسة..

حاولت أن أقنعه بالتطوع في الجيش حيث هناك حركة ناشطة بهذا الاتجاه لحماية الثورة، لكنه رفض وقال لي:

- التطوع يأخذ وقتاً..

- على ماذا تستعجل؟! لبنان ينتظرك؟!

- لا أستطيع أن أبقى هنا..

- فطومتك "تعجّلك" ؟!

- "فطومة" ماذا يا ولد ألا ترى؟!

أشار إلى الأراضي التي سكنتها نباتات الشوك والأعشاب بعد أن ماتت غراس التبغ وعاد يبكي.

انضم إلينا علاء بضحكته مجهولة السبب غالباً..

وسألني: أين توظف أخي؟!

قلت: في مؤسسة الوحدة..

- رجعت تحكي لي عن الوحدة..

- جريدة الثورة.

- يذيعون عن هذه الجريدة يومياً في الراديو، لم يذكروا اسم أخيك..

ثم أطلق نبوءة:

هنيئاً لك "نيالك" غداً بعد البكالوريا يجد لك وظيفة فيها..

- والحادي عشر ..والبكالوريا. ثم أنا أريد أن أدرس الهندسة..

- هندسة الشوارع وضحك بصخب..

بدأت أواظب على قراءة جريدة الثورة..

بدأت أحفظ أسماء كتّاب فيها..

بعضهم انتظرني للتعارف ربما.. وبعضهم ترك الصحيفة قبل أن أصل، ربما احتجاجاً على قدومي..

بدأنا الحادي عشر العلمي.. وبدأ معنا اختلال انتظام الدراسة في الثانوية التي اشتهرت حتى ذاك الوقت بنتائجها اللافتة في جودتها وكثرة المسيسين فيها..

مضى العام.. مظاهرات.. احتفالات.. هتافات.. وتصعيد واهتمام شديدان بالتربية العسكرية "الفتوة" وما دمنا أبكرنا في الدراسة فقد أبكر إلينا السلاح.. في معسكر الفتوة الصيفي على شاطئ اللاذقية الجنوبي التقينا في حقل الرمي ذات مساء بالنقيب محمد ابراهيم العلي وكان قد نفذ من الإعدام وأطلق سراحه من السجن..

خلطة تدريب ورياضة وسياسة وسلاح.. و... رومانسية.. ومشاريع للحب من طرف واحد.. وبحث عن المجهول..

عندما زارني أخي في المعسكر.. رحّبت به وبالبطيخة التي أحضرها وبعدة أعداد من جريدة الثورة.. وبدأ التواصل.. ربما بدأ طرف آخر للحب يظهر..

نسيت جريدة الوحدة بفعل ظهور الثورة كبديل.. وربما تأثرت كثيراً ببيت ثقبته قنابل الدبابات في حوار الوحدويين المتصارعين على السلطة في دمشق!؟

ولادة الثورة..

جاءت بعد "الثورة" وبقرار من قيادتها وسميت باسمها "الثورة"، صدر عددها الأول صباح الاثنين الأول من تموز ١٩٦٣.. يومية سياسية تصدر عن مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر والتوزيع.

مؤسسة الوحدة ترث سابقتها "الوحدة أيضاً" وقد وردت إشارة إلى ذلك في المرسوم الذي صدر عن المجلس الوطني لقيادة الثورة وذيل بتوقيع رئيسه الفريق لؤي الأتاسي برقم /٤٨/ وتاريخ ١٩٦٣/٥/٢٧.. وقد ألحقت المؤسسة بوزارة الإعلام "المديرية العامة للأنباء".

مع عودة الوحدة عاد جلال فاروق الشريف مديراً عاماً ورئيس تحرير لصحيفة الثورة بمرسوم تشريعي بتاريخ ١٩٦٣/٦/١٢.. عودة الأستاذ جلال عنت أمرين:

١ - الرد على إقالته بعد تسعة أيام من قيام الانفصال، وعلى السير بجريدة الوحدة إلى الإيقاف الكامل في أيار ١٩٦٢.

٢ - لا شك أن في اختياره استجابة للبحث عن كفاءة مهنية قادرة على إصدار الجريدة.

بعد أقل من ثلاثة أسابيع لتعيينه ظهرت الصحيفة.. ثماني صفحات.. ثمنها ١٥ قرشاً والاشتراك السنوي ٣٠ ليرة سورية.. ويغيب عن صفحتها اسم رئيس التحرير أو المدير المسؤول.. وقد شكّل ذلك عرفاً استمر طويلاً في هذه الصحيفة.

يعني أنها ورثت عن الوحدة ثمن الاشتراك السنوي وقيمته.

وأيضاً ورثت كل معداتها وكادرها الفني.

وبينها.. آلة دوبلكس للطباعة.. وثلاث آلات "انترتيب" وواحدة: "ليونتيب" لصف الأحرف الرصاصية.

توزعت صفحاتها على الشكل التالي:

صفحة أولى إخبارية مع افتتاحية تحتل الزاوية اليمنى من أعلى الصفحة على عمود واحد بطول نحو ٢٠ سنتمتراً اسمها "صوت الثورة" وموقعة باسم الثورة..

والمانشيتات متعددة تمتد على سبعة أعمدة وغالباً يظهر موضوعان في المانشيت، الأول مفصول عما يليه بخط ناعم وهو يشير إلى خبر هام موجود في مكان في الصفحة ليس بالضرورة الذي يلي المانشيت.

بين المانشيتات هناك واحد باللون الأحمر كلماته قليلة وعريضة جداً.. ويصل عدد المانشيتات وسطياً إلى سبعة.

الصفحة الثانية تشغلها أخبار وتقارير دولية - وغالباً هناك تقرير مطول عن قضية عالمية.

الصفحة الثالثة: تميل للدراسات السياسية..

الصفحتان الرابعة والخامسة شؤون محلية.

الصفحة السادسة ثقافية وفيها زاوية بعنوان "يوم بعد يوم" يتناوب عليها كتّاب كثيرون دون تواتر دوري، منهم: طارق الشريف - هزيت عبودي - فاطمة الزين - خلدون الشمعة - محي الدين صبحي - صفوان قدسي - عدنان بغجاتي - عبد الرحمن البيك - محمود السيد - علي أبو قوس - صالح عضيمة - نعيم اسماعيل - عبود كاسوحة - عبد الله السيد - محسن الأمين - أسامة حميداني - زياد أحمد - أديب السيد - مظهر شاغوري - عبد القادر أرناؤوط.

الصفحة السابعة رياضة يظهر فيها اسم المرحوم "عدنان بوظو" بشكل شبه يومي.. يشاركه أحياناً المرحوم "طيب صفوة" وكان رئيساً لمجلس رعاية الشباب.

الصفحة الثامنة منوعات.

في البداية احتل أعلاها وبحجم كبير نسبياً "نحو ربع الصفحة" كاريكاتير كتب تحته "بريشة نبيل" استمر لوقت قصير نسبياً ثم أخذت كاميرا "يبرم كورديان" وكان مصوراً صحفياً مشهوراً، تحتل هذا الجزء من الصفحة.. ثم أخبار منوعة وزاوية "أفكار حرة".

أول زاوية أفكار حرة كانت للمرحوم جلال فاروق الشريف.. في حين تناوب على كتابتها عدد كبير من الكتّاب "جورج طرابيشي، هشام متولي، أديب اللجمي، حسام الخطيب، نسيب الاختيار، سعد صائب، محمد حيدر، شريف خزندار، عبد الهادي العكيلي، مشهور زيتون - أصبح وزيراً للإعلام فيما بعد، أورخان ميسر، عصمت ملا، فائز كيلارجي، محمد حاج حسين، محمد جميل عقيلي، عارف تامر، فارس قويدر".

باستثناء هاتين الزاويتين اللتين لم يكن كل كتابهما من العاملين في الصحيفة بالتأكيد، لا تكاد تظهر أسماء.. أحياناً اسم أول دون سمة أو صفة.. أو لقب.. أو رموز.. وكان الفضل الرئيسي للجنود المجهولين العاملين في الأخبار المحلية وغير المحلية.

هذا التوزيع الغالب لصفحات الجريدة استمر لزمن طويل.. ونعود إلى العدد الأول.

المانشيت بالأحمر على سبعة أعمدة: **"تشكيل الحرس القومي"**.

تليه خمسة مانشيتات سود..

هناك مانشيت فوق الأحمر مفصول بخط ناعم أسود جاء فيه:

٢٠٠٠ طن من القمح هدية من شعب سورية إلى شعب العراق

الافتتاحية "صوت الثورة" لم تحمل عنواناً ولا توقيعاً وقد ورد فيها:

تقدم التجربة الثورية في القطر السوري التي انبثقت في ٨ آذار ثمرة نضالية جديدة من ثمارها ألا وهي الحرس القومي.

والحرس القومي إذا كان منظمة شعبية عسكرية كما هو معروف عن المنظمات الأخرى المماثلة، إلا أن ظهوره في القطر السوري ومن قبله في القطر العراقي ظاهرة ثورية جديدة في النضال العربي في هذه المنطقة العربية.

إذ إنه لأول مرة تنبثق من صميم الجماهير العربية الواسعة، ومن صميم معركتها الباسلة ضد أعدائها قوة شعبية منظمة ومسلحة لتحمي الشعب وتحمي الثورة وتحمي معها أهدافها وتضمن سلامتها من التآمر عليها والغدر بها.

لقد مرت جماهير شعبنا بتجارب دامية في نضالها الطويل دفعت فيها ثمناً غالياً، لأنها كانت عزلاء أمام غدر أعدائها بها، غير أن نمو الروح الثورية لدى الجماهير وارتفاع وعيها لقضيتها إلى مراتب أعلى باستمرار، وخوضها للتجارب المريرة الكبيرة، كل هذا جعلها تصبح أصلب عوداً وأقوى شكيمة، ومن هذا الشعور العميق بالمسؤولية تجاه القضية ومن روح الاستبسال العظيمة التي تجتاح جماهير شعبنا، ومن استعدادها الدائم لخوض أقسى المعارك لحماية الثورة، انبثق الحرس القومي، إن ظهور الحرس القومي هو الظاهرة الكبيرة الدالة على أن الجماهير أصبحت أكثر وعياً لأهدافها وأشد صلابة في كفاحها وأنها لم يعد من الممكن أن تؤخذ بسهولة وإن للثورة شعباً يحميها.

المستوى المهني للعدد الأول جيد والمستوى الفني شبه بدائي.. مليئة بالأخبار.. بعضها طويل.. فقيرة بالمقالات والأسماء، تكثر فيها جداً الأخطاء المطبعية واللغوية.. طبعاً لذلك كله علاقة بحداثة الصدور بشكل طبيعي.. وله علاقة أيضاً ستتضح أكثر فيما بعد بكون الصحيفة جزءاً من المشروع

السياسي لقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي للدولة والمجتمع، ولا نكاد نعرف من أوراق الصحيفة أحداً من كوادرها.. الأسماء التي ترد قد تكون، وهذا غالباً، مستكتبة من الخارج.

انطلاقتها لا تخفي علاقتها بالفعل الثوري "٨ آذار ١٩٦٣" وحزب البعث العربي الاشتراكي حيث يرد شعار الحزب تحت كلمة "الثورة" تماماً "وحدة، حرية، اشتراكية".

ولا يظهر العدد خلافات بين البعثيين والناصريين، إنما تتضح ولاية حزب البعث العربي الاشتراكي عليها..

في العدد الثاني..

طريقة الإخراج نفسها تقريباً.. نحو سبعة مانشيتات على الصفحة الأولى.. منها:

مانشيت مفصول بخط ناعم فوق الأحمر:

حماية صغار المساهمين في المصارف المؤممة والتوسع في تسليف الفلاحين

مانشيت بالأحمر:

ثلاثة مراسيم تشريعية جديدة

ومانشيت يرد في آخرها:

مهلة جديدة للعصاة البرازانيين للاستسلام

بشكل طبيعي بدأت "الثورة" تعبر عن المشروع الذي تمثله.. وكان في أول اندفاعته.. هو مشروع تصور قيادة الحزب والدولة للوصول إلى الوحدة والحرية والاشتراكية..

هناك تأميم.. وهناك مراسيم اشتراكية زراعية.. وهناك قتال في شمال العراق بين الجيش العراقي والمقاتلين الأكراد بقيادة الملا مصطفى البرازاني والموقف السوري واضح.. بل كان لسورية قوات عاملة شمال العراق تقاتل إلى جانب القوات العراقية.

طابع الحماس واضح على الجريدة، لكن لا اختلال يذكر في توازنها المهني.. وتبدو بصفحاتها الثماني وطباعتها المتواضعة جاذبة للقراءة.

العدد الثالث يظهر فضاء سياسياً آخر للعمل في سورية وفي العام الأول من عمر الثورة.. مانشيت أحمر من كلمتين:

توضيح رسمي

يتبعه آخر يقول:

التوضيح يتناول ما نشر حول محاضر مباحثات الوحدة

هذا التوضيح يظهر تفاقم أزمة التفاهم بين القيادتين البعثيتين في سورية والعراق من جهة، والرئيس جمال عبد الناصر في مصر من جهة ثانية.

والحكاية:

بعد أن تولى حزب البعث العربي الاشتراكي الحكم في سورية والعراق خلال شهر واحد "شباط ــ آذار" ١٩٦٣... تنادت الدولتان بتوجه من الحزب إلى مباحثات للوحدة مع مصر.. ضمن الإحداثيات التالية:

الرئيس عبد الناصر صاحب شعار "اللاحزبية"، والموجع من انفصال الوحدة بين مصر وسورية التي قامت في ٢٢ شباط عام ١٩٥٨ وانتهت في ٢٨ أيلول ١٩٦١.. ومن موافقة بعض قادة البعث على الانفصال.. كان يرغب بإعادة دولة الوحدة.. وقد عبر عن ذلك حيث عرض أن تعتبر الفترة الفاصلة بين قيام الانفصال وتجديد الوحدة غير موجودة.. يعني العودة إلى وحدة ١٩٥٨.. ولم يكن العراق شريكاً فيها بل كان خصماً، حيث أقام مع الأردن الاتحاد الهاشمي المناوئ للعربية المتحدة والذي انتهى في ١٤ تموز ١٩٥٨ بانقلاب عبد الكريم قاسم. ورأى عبد الناصر: أن تعود دولة الوحدة أولاً كما كانت، أي وحدة ١٩٥٨، ثم تنضم إليها العراق.

لكن حزب البعث في سورية والعراق، عبر عن طموحات موحدة جديدة بأدوات ومفاهيم تحميها من السقوط.. وكانوا يسمونها "الوحدة المدروسة"..

كان البعث دون ريب موجعاً من قرار حله، في فترة الوحدة إعمالاً لشعار "اللاحزبية".. وقد اختل عنصر الثقة بين الكثير من قادته وعبد الناصر..

تمت محادثات الوحدة في القاهرة.. واستمرت إلى أن وقعت اتفاق الوحدة الاتحادية: ميثاق ١٧ نيسان ١٩٦٣..

وهي وحدة تجمع الدول الثلاث.. لكن.. لم يكن الاتفاق يخفي هشاشته.. والحماس لم يكن على ذاك المستوى..

وما لبثت الغيوم أن بدأت تظهر في سماء العلاقات إلى أن قام الصحفي العربي الكبير محمد حسنين هيكل بالبدء بنشر وقائع جلسات محادثات الوحدة في جريدة الأهرام.. وكانت تنقلها إذاعة صوت العرب من القاهرة..

اعترض البعثيون على نشر المحادثات وإذاعتها.. وبدأت الاعتراضات تظهر في العلن.. أي في الإعلام..

على أنه لا بد من التنبيه على هذا السبب لم يكن وحده مصدر اختلال الثقة بين الطرفين.

في العدد الرابع من الصحيفة مانشيت يقول:

سحق مؤامرة شيوعية

الكلام عن العراق وهو الصدام الذي حدث في معسكر الرشيد.. وأدى إلى وقوع ضحايا كثر.. وهذا يظهر إطاراً آخر للأجواء.. هو الصراع مع الشيوعيين.

تستمر الثورة على هذا النهج بالوضعية الفتية نفسها.. إلى ١٩ تموز ١٩٦٣.. حيث تعكس أجواء الطلاق النهائي مع عبد الناصر ومصر وكان اسمها "الجمهورية العربية المتحدة" لم يتغير إلى أن جاء السادات وسماها "جمهورية مصر العربية".. وتسمية الجمهورية العربية المتحدة يؤكد عدم تسليم عبد الناصر بحقيقة وقوع الانفصال رغم تحسن العلاقات مع سورية في السنوات التالية.

في الثامن عشر من تموز تحرك مجموعة ضباط وعتاد من القوات المسلحة في محاولة للإطاحة بالحكم عبر انقلاب حاولوا تنفيذه عند الظهيرة.. ما أدى إلى عدد كبير من القتلى.. وكان يقوده ضابط من سلاح الإشارة هو المرحوم "هشام شبيب" وقد قوبل بقوة مفرطة وقضي عليه وأعدم الكثيرون.. وسجن الكثير منهم..

تأتي مانشيتات صحيفة الثورة في ١٩ تموز كالتالي:

بيان من المجلس الوطني لقيادة الثورة يشرح تفاصيل المؤامرة
جاسم علوان ، يوسف مزاحم ، محمد الجراح ، رائف المعري
جائزة ١٠ آلاف ليرة لمن يقبض على كل من المناصرين حياً أو ميتاً.
الموت للمجرمين السفاحين /بالأحمر
كيف سحقت المؤامرة على ثورة ٨ آذار
هدف الخونة منع إقامة الوحدة المتكافئة الصحيحة
المتآمرون أرادوا وحدة بلا كرامة أو حرية
الأستاذ صلاح الدين البيطار يوجه كلمة إثر القضاء على الفتنة

وهناك مقال افتتاحي "صوت الثورة" مذيل بتوقيع "الثورة" ورد فيه:

هذه المؤامرة التي سحقت والتي لم يكن ليقدر لها إلا أن تسحق، إذ لم تكن جديدة في أهدافها فإنها شيء جديد في أساليبها، إن بلادنا تشهد لأول مرة أسلوباً في الغدر من هذا النوع، غدر ليس بقضيتها كلها، قضية ثورتها الباسلة التي قامت في الثامن من آذار فحسب، غدر ليس في تطلعها فحسب نحو تحقيق أملها العظيم في الوحدة الثلاثية العظيمة، ركن الثورة العربية الاشتراكية وحصن نضال الجماهير العربية من أجل التقدم والبناء والحياة الأفضل، وإنما هو غدر من النوع الحاقد اللئيم المستهتر بجميع القيم الخلقية والقومية، المفرط في أرواح المواطنين وأمنهم في رابعة النهار وفي قلب دمشق البطلة قلعة التحرر والاشتراكية والوحدة العربية، غدر ليس أدل عليه

من أنه لم يكن بوسعه أن يحقق سوى إراقة الدماء وزرع الفوضى وإشاعة البلبلة والذعر بضع ساعات ثم لينسحق بعد أن يخلف هذا كله.

غدر لا يمكن أن يصدر إلا من قطاع الطرق، محترفي الغدر بأساليب رجال العصابات الذين لا ترتوي شهوتهم إلا بسفك الدماء.

ذلك لأن القضية قضية شعبنا، ظلت دوماً أقوى وأمنع من مؤامرات أشد عتواً من مؤامرة الأمس.

ذلك لأن جماهير شعبنا سحقت في نضالها الطويل مؤامرات استعمارية أكبر، وقضت على صنوف من المتآمرين والعملاء أعرق في الخيانة من خونة الأمس، ووقفت في وجه أعدائها أجيالاً طويلة ودفعت في معاركها مع الاستعمار والحكام والخونة تضحيات غالية قدمتها رخيصة من أجل قضيتها.

إن أعداء اليوم أعداء صباح أمس، يظلون صغاراً لأن الصغار وحده، صغار الحقد، صغار الغدر، صغار الإجرام والقتل، وسفك الدماء، صغار الموتورين محترفي البطش والإرهاب، هو الذي دفعهم إلى جريمة الأمس.

صغار الذين شعروا أن القضية أصبحت بين أيدي الجماهير الواعية وقواه المنظمة وأنها أفلتت نهائياً من أيدي المرتزقة والانتهازيين.

هؤلاء هم مجرمو الأمس الذين لقوا جزاءهم ومجرمو اليوم الذين نجوا من أيدي الجيش والحرس القومي والشعب، ليلقوا جزاءهم غداً.

إن درساً قد تلقنه الغادرون يوم أمس، ودرساً قد تلقنته جماهير شعبنا الباسلة أيضاً، وليس هذا الدرس الذي تلقنه الغادرون سوى أن لا بقاء لهم بعد اليوم في صفوف شعبنا، وليس هذا الدرس الذي تلقنه شعبنا سوى أنه لن يسمح بعد الآن لمحترفي الغدر والإجرام أن يظلوا بلا عقاب.

ومرة أخرى يثبت شعبنا وتثبت قواه المسلحة وحرسه القومي أنه مؤمن بثورته إيماناً لا يتزعزع وأنه مصمم التصميم كله على أن يوصل قضيته إلى أهدافها الكبرى بعد أن تولى زمامها بيديه.

في عدد السبت ٢٠ تموز، يقول المانشيت الأحمر:

إعدام ٢١ متآمراً

وصورة على الصفحة الأولى لمعصوبي العينين ينتظرون الرصاص.. وصورة أخرى لصف من الرجال شرحت كالتالي:

مجموعة من المتآمرين يدلون باعترافاتهم عن كيفية قيامهم بالفتنة قبيل صدور الأحكام ضدهم.

الجو السياسي العام المحيط بما نشرته الصحيفة هذه الفترة يشير بوضوح إلى الطلاق النهائي مع الرئيس عبد الناصر..

في عدد ٢٣ تموز المانشيت يقول:

القاهرة تعلن انسحابها من ميثاق ١٧ نيسان

وهكذا بدأت الحرب الباردة المعلنة مع عبد الناصر.. ومع مؤيديه في سورية.. وكان الرئيس عبد الناصر قد ألقى خطاباً في الجموع المصرية أظهر فيه حزنه على وضع دمشق التي ترزح تحت قرارات حظر التجوال وأكد أن: لا وحدة مع البعث.

الأحد ٢٨ تموز يقول مانشيت الثورة:

انتخاب اللواء أمين الحافظ رئيساً للمجلس الوطني

وهذا يعني إنهاء مهمة الفريق لؤي الأتاسي، ولعله آخر الوجوه القيادية التي تشير إلى التفاهم البعثي الناصري على الحكم.

لقد وضعت الأحداث المتتالية والسريعة والحاسمة في مستقبل نظام الحكم والبلد "الثورة" التي جاءت لتكون لسان حاله، في حالة الالتزام مع كثير من الحماس الناري أحياناً وهي في شهرها الأول.. ولا شك أن هذا الصراع والاصطفاف أثر على الصحيفة كادراً وأداء.. فأخذ محتوى الثورة يتشدد في الالتزام وسيطرت جوانب الحرب الباردة مع نظام عبد الناصر.

تشير الثورة إلى محاولة الرئيس العراقي عبد السلام عارف للصلح بين القيادتين في سورية وفي مصر..

في عدد الثلاثاء ٢٧ آب ١٩٦٣

حملت الثورة المانشيتين التاليين:

صدور البيان المشترك عن محادثات الرئيس عارف وعبد الناصر

لقاء ثوري رائع / بالأحمر

واللقاء هو بين أمين الحافظ وعبد السلام عارف..

ومن قراءة صفحات الجريدة في هذه الفترة يبدو أن الحالة مالت للهدوء بين البلدين خلال شهر أيلول رغم استمرار الإشارات الناقدة الواضحة للرئيس عبد الناصر ونظام حكمه.. ويدخل على خطوط الحماس الذي تظهره الصحيفة، حرب قامت بين المغرب والجزائر حيث لا تخفي تعاطفها مع الجزائر.. بالتأكيد ليس من رأي للصحيفة في ذلك ينفصل عن رأي النظام السياسي.. حيث هي جزء أكيد من المشروع السياسي لهذا النظام.

التاسع من تشرين الأول ١٩٦٣ تنقل الصحيفة بحماس واضح إعلان الوحدة العسكرية بين سورية والعراق واختيار الفريق الركن صالح مهدي عماش (عراقي) لقيادتها ومقرها دمشق.. وتوحي أنها بداية لوحدة أوسع وأنها بشكل ما بديل عن فشل مشروع الوحدة الاتحادية مع مصر.. وفي العدد أيضاً إشارة لانعقاد المؤتمر القومي السادس لحزب البعث العربي الاشتراكي.

المانشيتات كالتالي:

إعلان الوحدة العسكرية / بالأحمر

وحدة عسكرية بين القطرين السوري والعراقي تشمل كافة القوات المسلحة

تعيين عماش قائداً عاماً وإعلان دمشق مقراً للقيادة

مجلس دفاع أعلى من ٣ أعضاء من كل قطر

دعوة الدول العربية الشقيقة للانضمام إلى ميثاق الوحدة العسكرية

المؤتمر القومي السادس لحزب البعث العربي الاشتراكي يوجه تحية إلى المجلسين
عارف يعلن رفض القاهرة الانضمام إلى الميثاق.

في هذا العدد تظهر افتتاحية أخرى دون توقيع كما في كل عدد ورد فيها:

قبل أسبوعين، وعلى وجه التحديد في ٢٨ أيلول الماضي، وبمناسبة مرور عامين على نكسة الانفصال أصدرت القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي بياناً أعلنت فيه قيام دولة عربية ديمقراطية اشتراكية من سورية والعراق.

ويجيء اليوم إعلان ميثاق الوحدة العسكرية بين القوات المسلحة في الجمهورية العربية السورية والجمهورية العراقية ليضع حجر الأساس الأول الراسخ في بناء هذه الدولة العربية الجديدة التي انبثقت عن ثورتي ١٤ رمضان و٨ آذار اللتين مثلتا ذروتين من ذروات المخاض الثوري العربي الذي يجتاح وطننا العظيم كله، واللتين توحدتا في ثورة واحدة بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي، الطليعة الثورية لنضال جماهير شعبنا الكادحة السائرة نحو أهداف أمتنا العربية وشعبنا العربي العظيم البطل الصامد المقاتل من أجل حريته ووحدة كيانه القومي وبناء المجتمع الاشتراكي.

وقيام الوحدة العسكرية بين القطرين كمقدمة لتحقيق الدولة الواحدة بين سورية والعراق، لا يمثل خطوة تاريخية كبرى في طريق شعبنا نحو تحقيق أهدافه فحسب، وإنما يؤكد لأول مرة في تاريخ النضال الوحدوي الذي خاضته جماهير شعبنا، أن هذا النضال بدأ يسير في طريقه المدروسة المرسومة ويقيم منجزاته على أسس موضوعية راسخة لا أثر فيها للزيف والارتجال، وعلى هذا الأساس فإن إقامة الوحدة العسكرية كتمهيد للوحدة الكاملة بين القطرين، يقدم السياج المنيع الذي يقي هذه الوحدة من

المؤامرات، ويؤلف القوة المسلحة الكبرى التي لا بد منها، لكي يتم هذا البناء ويتكامل في ظل جيش عقائدي ثوري موحد يحميه ويذود عنه ويضع بصورة نهائية حداً حاسماً لجميع أعداء قضية شعبنا من المغامرين والانتهازيين والعملاء الذين كادوا له باستمرار وحاولوا إعاقة سيره في طريق القضية الكبرى.

وإذا كانت وحدة القطرين تبنى اليوم في ظل هذا الجيش الثوري العقائدي الموحد، فإن إعلان هذه الوحدة العسكرية بين جيشي سورية والعراق في هذه الفترة بالذات، يعني أن قوة مسلحة كبرى قد قامت في الوقت الذي تبرز فيه بصورة متزايدة مؤامرات أعداء شعبنا من الاستعماريين وأتباعهم من أعداء وحدة شعبنا ومؤامرات إسرائيل والصهيونية العالمية ليس ضد قضية فلسطين وحدها، وإنما ضد الحركة الثورية العربية الوحدوية التي تؤلف القوة الضاربة الكبرى لشعبنا ضد أعدائه.

وإذا ما أخذ بعين الاعتبار تجاور القطرين واتصالهما وتحولهما إلى دولة واحدة كبرى ممتدة من الخليج إلى أرض فلسطين المحتلة، يتبين أنه لأول مرة تقوم مثل هذه القوة المسلحة الكبرى في مواجهة إسرائيل والعدوان الصهيوني الغادر المتربص، المندمجة في كيان واحد وقيادة موحدة والمستعدة دوماً لمجابهة العدوان وأن تنزل به العقاب الصارم والرادع.

إن شعبنا إذا كان يدرك اليوم حق الإدراك مقدار الخطوة التاريخية العظمى التي أقدم عليها بإقامة قواته المسلحة الموحدة في سورية والعراق، فإن التاريخ وحده هو الذي سيعطي لهذه الخطوة أبعادها الحقيقية الكبرى، ويسجل أنها كانت حجر الزاوية في طريق الوحدة العربية الشاملة لشعبنا المناضل المكافح المتطلع إلى التقدم والاشتراكية والحرية.

في متابعتها غير الحيادية للحرب المغربية الجزائرية لا تخفي الصحيفة ألمها من حرب عربية ــ عربية.. ولا تخفي تعاطفها مع الجزائر..

مانشيت عدد ٢٠ تشرين الأول..

أوقفوا إطلاق النار / بالأحمر

قرار من الجامعة العربية يدعو المغرب والجزائر إلى وقف إطلاق النار فوراً.

في اليوم التالي تتحدث الصحيفة عن لقاء بين الرئيس العراقي عبد السلام عارف والعقيد فهد الشاعر قائد قوات اليرموك السورية المقاتلة ضد قوات البرازاني الكردية في شمال العراق.

وسط هذا الفضاء السياسي يتضح إضافة إلى القضايا الساخنة التي تعالجها الصحيفة بشكل شبه يومي بأسلوب لا يخلو من تحليل ورؤى ويغلب عليه الطابع الحماسي.. نرى اهتماماً حقيقياً بالأخبار العربية والمحلية ولا سيما متابعة التحول إلى الاشتراكية بالتأميم والمراسيم والتشريعات.

والحقيقة يلفت النظر اهتمامها الدولي أيضاً.. تجد في صفحة الأخبار الدولية أكثر من مرة تقريراً موسعاً جداً ومانشيتات متعددة على ثمانية أعمدة لقضايا مختلفة.. هناك مثلاً اهتمام بالوزارة البريطانية برئاسة اللورد هيوم وبتوتر قائم بين أندونيسيا "سوكارنو" واتحاد ماليزيا "سيهانوك"

بشكل عام يلفت النظر في الثورة هذه المرحلة الإطالة في التقارير الإخبارية السياسية والتقارير الثقافية والفنية واستمرار غياب الأسماء بما يؤشر إلى محدودية عدد الكادر الصحفي، وتتضح على هذه الصفحات مهنية فعلية لرئاسة التحرير.

في عدد ٢٨ تشرين أول.. نرى حالة، لعلها سابقة في الشكل، صفحة كاملة من المانشيتات بينها ثلاثة باللون الأحمر مع افتتاحية على عمود كامل بطول الصفحة عن المؤتمر السادس للحزب الذي يتبنى السياسة السورية.

بيان المؤتمر القومي السادس

الحزب يعاهد الجماهير العربية على المضي معها في معركة الوحدة العربية

توكيد العزم على المضي في طريق الجماهير الكادحة لتحقيق الثورة الاشتراكية.

وحدة اتحادية بين القطرين السوري والعراقي

ثلاثة أسس لانضمام مصر إلى الدولة الجديدة

التزام الحزب بإقامة تجربة ثورية جذرية ديمقراطية في سورية والعراق

البرجوازية أصبحت عاجزة عن القيام بأي دور إيجابي على الصعيد الاقتصادي

الإدارة الديمقراطية العمالية لوسائل الإنتاج تجنب التطور الاشتراكي مرحلة رأسمالية الدولة

المزارع الجماعية المسيرة ذاتياً من قبل الفلاحين هدف ثوري يسعى إليه الحزب

طابع التقشف يجب أن يشمل الطبقات الميسورة وأجهزة الدولة

تجربة الحرس القومي حصن لحماية الثورة والبناء الاشتراكي وتوعية الجماهير

التثقيف العقائدي للجيش وممارسة العناصر العسكرية حقوقها السياسية كاملة.

المؤتمر يعالج قضايا النضال العربي الراهنة

عدوان الرجعية المغربية على الثورة الجزائرية يمثل عمالتها الصريحة للاستعمار

المؤتمر تحمل السلطة الثورية في القطرين مسؤولية مواجهة خطر تحويل مجرى الأردن

دعوة الدول العربية والجمهورية المتحدة خاصة إلى التضامن لمواجهة هذا الخطر

ثورة اليمن انطلاقة لإنقاذ الجنوب العربي وتحرير الجزيرة العربية

دعوة الدول العربية إلى إنشاء "جبهة تحرير فلسطين"
المؤتمر يعلن رأيه في قضايا السياسة الدولية.

وجاء في الافتتاحية التي سنقتطف أجزاء طويلة منها لأنها توضح التصورات السياسية العامة التي هي دون شك تصورات الصحيفة أيضاً:

صدر أمس البيان المنتظر عن المؤتمر السادس لحزب البعث العربي الاشتراكي، ولقد تضمن البيان ملخصاً لما هو هام ورئيسي من قرارات المؤتمر، ووعد في الوقت نفسه بأن تصدر تباعاً التوضيحات المفصلة لهذه القرارات، ولقد جاء هذا البيان بعد جلسات استغرقت ١٨ يوماً تمت فيها دراسة مختلف القضايا الأساسية المطروحة سواء على صعيد الحزب أم على صعيد الوطن العربي أم على صعيد السياسة الدولية.

ولما كان الحزب يحمل اليوم مسؤولية السلطة في قطرين عربيين هما سورية والعراق لهذا كان لزاماً عليه أن يوضح قضايا الحزب التنظيمية وخاصة علاقته بالجماهير والسلطة، وفي هذا الصدد أكد المؤتمر السادس على مبدأ القيادة الجماعية في العمل الحزبي كما أكد أن أهداف الحزب الاشتراكية يجب أن تكون مجسدة في تركيبه، وحذر من العناصر الانتهازية كما حذر في الوقت نفسه من الانحرافات والأخطاء التي يتعرض لها أعضاؤه.

ولهذا السبب أعطى الجماهير الشعبية اللاحزبية حق الانتقاد والمراقبة كي تكون ضماناً لاستمرار عملية التصحيح والتفاعل بينها وبين الحزب، يضاف إلى هذا ما درسه المؤتمر من القضايا النظرية وموقفه من الفكر الاشتراكي العالمي، وقد حدد السمتين الأساسيتين لإيديولوجية الحزب بالعلمية والثورية.

أما على صعيد النضال العربي فقد أعلن المؤتمر إقرار مبدأ قيام الوحدة الثنائية بين القطرين السوري والعراقي على أساس الوحدة الاتحادية

آخذاً بعين الاعتبار الظروف الموضوعية في كلا القطرين، واعتبر الدولة الموحدة الجديدة خطوة في طريق الوحدة الشاملة.

وعلى هذا الأساس أكد المؤتمر أن أكبر الخطوات الوحدوية هي التي تكرس انضمام مصر إلى الدولة الجديدة على أسس ثلاثة من الديمقراطية والتكافؤ القطري والقيادة الجماعية، باعتبار نظام عبد الناصر مجرد شريك في الوحدة لا قاعدة لها.

ولما كانت الدولة الموحدة الجديدة ستواجه مسؤولياتها في البناء الداخلي لهذا كان لابد للمؤتمر من أن يبحث قضايا التحويل الاشتراكي في القطرين.

وفي هذا الصدد أكد المؤتمر وجوب السير قدماً في طريق إقامة تجربة ثورية جذرية وديمقراطية في القطرين تهيئ الظروف الموضوعية في الوطن العربي كله لعملية التصحيح والتفاعل مع التجارب العربية الأخرى.

ولقد ارتفع المؤتمر إلى مستوى الثورة الاشتراكية العربية الحقيقية ومستوى العصر كله عندما أعلن إمكان تجنب مرحلة رأسمالية الدولة عن طريق الإدارة الديمقراطية العمالية لوسائل الإنتاج، وعندما أكد حقيقة أن الطبقة البرجوازية أصبحت عاجزة عن القيام بأي دور إيجابي على الصعيد الاقتصادي، وأن الذي يصنع الثورة في مرحلتها الأولى إنما هي جماهير العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين من عسكريين ومدنيين وبرجوازية صغيرة، كل هذا بالإضافة إلى ضرورة قيام الثورة الزراعية كخطوة لا بد منها للنمو الاقتصادي السريع في القطاع الصناعي، وذلك بواسطة المزارع الجماعية المسيرة ذاتياً من قبل الفلاحين.

يضاف إلى هذا أن المؤتمر أقر على صعيد التحويل الاشتراكي في الدولة الموحدة عدة مبادئ منها التقشف لدى الطبقة الميسورة وفي أجهزة الدولة وتحويل التعليم الإلزامي إلى حقيقة فعلية وتوسيع الخدمات في الريف وضمان الطبابة المجانية وتصفية القطاع الحر في ميدان الطب.

وعلى الصعيد نفسه أقر المؤتمر تجربة الحرس القومي لحماية الثورة وألقى على عاتقه مهمة الإسهام في البناء الاشتراكي والتوعية الشعبية كما أقر حق العناصر العسكرية في ممارسة حقوقها السياسية ودمجها بالطلائع الثورية المدنية.

وعلى الصعيد العربي كشف المؤتمر عن حقيقة العدوان الرجعي المغربي على الجزائر وأنه مظهر من مظاهر الصراع بين التقدمية والرجعية المغربية العميلة الصريحة للاستعمار، كما كشف في الوقت نفسه أن السبيل الصحيح لاستعادة الأرض المغتصبة يكون بإقامة جبهة تحرير فلسطينية، واعتبر في الوقت نفسه السلطة الثورية في سورية والعراق مسؤولة عن مواجهة خطر تحويل مجرى الأردن.

هذا ولم يغفل المؤتمر الثورة اليمنية التي تمثل انطلاقة لتحرير الجنوب العربي والجزيرة العربية.

ولن تستطيع قوى الرجعية والانحراف والشعوبية والانتهازية والاستعمار أن تزحزح هذه التقاليد أو تصرف شعبنا عن طريق كفاحه مهما فعلت، ذلك لأن القضية قد استبانت لشعبنا، وطلائعه الثورية رفعت رايات النضال أمامه في مسيرة عظمى لأمة كبرى بدأت تدخل التاريخ من جديد من أبوابه الواسعة، أبواب الإيمان بالإنسان وبالحرية وبالاشتراكية وبالتقدم التي هي أبواب السلام والإخاء والرخاء للإنسانية كلها.

انتهت هنا الافتتاحية التي كانت لا تخفي التصورات القومية الاشتراكية للعهد الجديد.. هي قد تخفي مستوى الإجماع السياسي لأقطاب الحكم.

على الصعيد الداخلي تشتد المواجهة مع التجار ويبدو أن هناك أزمات تموينية خصوصاً بمادة السكر.. وتتهم الصحيفة تجاراً محتكرين.. ناشرة أسماءهم وصورهم، وطبعاً اعتمادها على مصادر حكومية.

المواجهة السياسية الأخرى الهامة التي تخوضها "الثورة" وتستقطب الكثير من مقالاتها وأخبارها وتحليلاتها لفترة طويلة قادمة، نجمت عن

الخلافات بين البعثيين في العراق، وبدءاً من ١٤ تشرين الثاني ١٩٦٣ تبدأ إشارات واضحة بل أخبار صريحة على صفحات الجريدة تستمر حتى ١٨ تشرين الثاني حيث حركة الرئيس عبد السلام عارف لإقصاء البعثيين عن الحكم التي عرفت في "الثورة" فيما بعد بـــ "الردة التشرينية".. وقد تعاملت القيادة السورية مبدئياً بدبلوماسية مع الحدث لكن..

مانشيت عدد الثورة يوم الجمعة ٢٣ تشرين الثاني كان:

ماذا وقع في العراق؟!

تجيب الصحيفة نفسها بما يمكن اعتباره مواساة للروح فتقول:

١٨ تشرين الثاني عملية تصحيح من قبل البعثيين لأخطاء الحرس القومي

الحرس القومي بقيادة علي صالح السعدي وكان مشكلة بالتأكيد.. لكن.. في سورية أيضاً لم يكن ذاك الجهاز الذي يعتمد عليه.. وتجاوز كثيراً على القانون وأدواته.. إنما هنا كان الحكم متماسكاً إلى أن وصلت الأمور لإلزامه بحدوده.. وقد تطلب ذلك غالباً مبضعاً.

في العراق لم يكن في قيادة الحزب في القطرين من يجهل أن عبد السلام عارف.. ساكت على ما يجري وليس معه.. وهو أميل إلى عبد الناصر..

كما قلت دخل فضاء سياسي جديد يستقطب اهتمام الصحيفة أخباراً ومقالات..

لكن.. مرة أخرى أقول إن اهتمامها الدولي والعربي كان لافتاً..

في عدد ٢٣ تشرين الثاني:

مانشيت علوي مفصول عن المجموعة مع الافتتاحية عن استقلال لبنان.. وتحته ستة مانشيتات بينها واحد باللون الأحمر يقول:

مصرع الرئيس كينيدي

والصفحة بكاملها عدا الافتتاحية عن الحدث بما في ذلك صورة للرئيس الأميركي الراحل جون كينيدي بحجم ربع الصفحة تقريباً وصورة أخرى لزوجته وابنه.

وتتابع الصحيفة في الأيام التالية الحدث على الصفحة الأولى مانشيتات وأخبار وأيضاً على الصفحة الثانية الدولية حتى ٢٩ تشرين الثاني.. ويتخلل هذه الفترة ما يشبه إعلان الحرب الباردة على عبد السلام عارف جاء فيها:

جاء في افتتاحية الثورة:

إذا كانت أحداث ١٨ تشرين الثاني في القطر العراقي نكسة للعمل الثوري بعد انتصار ١٤ رمضان وبعد جميع ما تحقق من منجزات ومكتسبات للجماهير العربية ولقضيتها في الوحدة والحرية والاشتراكية، فإن ديكتاتورية عبد الناصر وأجهزة إعلامه، تشاركها في ذلك القوى الرجعية والإذاعات الاستعمارية والصحافة الأجيرة، تحرص باستمرار على أن تظهر هذه النكسة لا بمظهر الجولة التي خسرتها القوى الثورية التقدمية المكافحة من أجل الوحدة وبناء الاشتراكية وإنما تحاول تزييف الوقائع وقلب الحقائق واعتبار ما جرى انتصاراً نهائياً للقوى المعادية للثورة.

وأجهزة عبد الناصر وسائر الأجهزة الرجعية والاستعمارية في هذا تغالط كالنعامة التي تخفي رأسها بين الرمال عندما تفعل هذا. ذلك أن الهزائم لا يمكن أن تلحق بالقوى الثورية مهما أصابها من نكسات لأنها هي القوى الحقيقية الباقية القائمة في الشروط الموضوعية الراهنة لنضال جماهير شعبنا الدائب.

فهذه القوى الثورية التي يقود طلائعها حزب البعث العربي الاشتراكي إنما هي حصيلة كفاح شعبي طويل وتفتح الوعي لدى جماهير العمال والفلاحين والعسكريين والمثقفين الثوريين في وطننا العربي كله عامة والقطر العراقي خاصة، وثورة ١٤ رمضان هي ثورة حقيقية صنعتها جماهير شعبنا المتمرسة بالنضال وليست انقلاباً عسكرياً قادته مجموعة من

المغامرين، وشعاراتها هي شعارات القضية العربية التي تدعمها الجماهير العربية في كل مكان من وطننا، لذلك لا يمكن أن تقهر وتغلب.

هذه هي الحقيقة التي تحاول أجهزة إعلام عبد الناصر وجميع القوى الرجعية والاستعمارية المعادية للثورة أن تتجاهلها وتدفن رأسها في الرمال هرباً من مواجهتها.

فإذا كانت أحداث ١٨ تشرين الثاني نكسة، فإنها ليست أول نكسة للقوى الثورية، والذين يحاولون تصويرها على أنها هزيمة فإنما هم الانهزاميون وحدهم والرجعيون والدكتاتوريون والانفصاليون المتآمرون الذين أصبحوا عاجزين عن تصديق هزيمتهم أمام القوى الثورية التقدمية، وأصبحوا يحلمون ليل نهار أن تعود إليهم سيطرتهم بعد أن سحقتهم قوى الجماهير الثورية المنتصرة.

إن الانتهازيين والانهزاميين هم وحدهم الذين لا يستطيعون رؤية أبعاد المعركة الثورية وطريقها الطويلة الشاقة، لأنهم لا يؤمنون بالشعب ولا يثقون بقواه ولا يدركون حقيقة قضيته بطبيعة تركيبهم الانتهازي الانهزامي.

إنهم وحدهم الذين يسقطون عند أول ضربة لأنه ليست لهم قضية، ولأن أهدافهم سريعة قريبة رخيصة.

أما القوى الثورية فإنها تعلم حقيقة معركتها، كما تعلم حقيقة قواها، لذلك لا يزيدها الصراع إلا صلابة وقوة.

وهذه هي الطبيعة الحقيقية لمعركتنا، معركة شعبنا الباسل وقواه التقدمية الثورية في كل مكان.

يوم السبت ٢٩ تشرين الثاني على الصفحة الأولى صورة ومانشيتات بالأحمر تقول:

العقيد فهد الشاعر في دمشق..

ومؤتمر صحفي له.. ما يعني بدء انسحاب القوات السورية من شمال العراق.

ثم تعود الجريدة لمتابعة أخبار اغتيال جون كينيدي التي تستمر باحتلال الصفحة الأولى بمانشيتاتها إلى يوم ٦ كانون الأول.

هنا يظهر واضحاً معالجة الوضع الداخلي.. محاولة تخفيف على الذين تعرضوا للاعتقال، وزير الإعلام الدكتور سامي الجندي يذيع بياناً فيه عفو وإلغاء عزل.. ومد يد للذين لم يفهموا الثورة... وهناك افتتاحية:

بعد حملة مفتعلة طائشة من الأكاذيب والدسائس والأضاليل التي روجتها مصادر لم تعد مجهولة والتي حاولت النيل من ثورة آذار وأهدافها الصريحة والواضحة والتشكيك في الخطوات والإجراءات التي تقدم عليها، جاء البيان الذي أذاعه أمس الدكتور سامي الجندي ليضع النقاط على الحروف ويبدد جميع هذه الأكاذيب والدسائس والأراجيف وليعلن أن لا تردد ولا تراجع وأن ثورة آذار ماضية في طريقها بدون تلكؤ أو هوادة، لا تنحرف ولا تساوم وإنما تثبت مكاسبها وتحقق منجزاتها وتمضي قدماً في الطريق إلى مكاسب ومنجزات جديدة.

وإذا كانت ثورة الثامن من آذار بانتصارها على أعدائها وإلحاقها الهزيمة والفشل بمؤامراتهم المتصلة قد أثبتت جدارتها وقدرتها على المضي في طريقها والتفاف الجماهير حولها، فإن ما أعلنه بيان وزير الإعلام أمس من أن الثورة في انتصارها وقوتها تعفو عن الذين غرر بهم فأساؤوا إليها، وترد الاعتبار للذين خدموا ذات يوم أهدافاً غير أهدافها، يؤكد من جديد أن ثورة آذار التي أرست قواعدها قد تخطت مرحلة جديدة في طريق تصفية الكثير من آثار الماضي البغيض.

إن انتصار ثورة آذار إذا كان قد بدل الكثير من الظروف والشروط التي نمت فيها الأعمال المعادية للثورة، فأتاح بذلك إيجاد منطلقات جديدة لها، فإن هذا يعني حقيقة واحدة هي أن طريق الثورة كان ولا يزال الطريق السليم الصحيح الذي تواصل السير فيه وتجيء الأحداث والتطورات والانتصارات لتؤكده وتدعمه.

إن ما أعلنه وزير الإعلام في بيانه لا يدحض فحسب إلى غير رجعة مكائد المضللين والمخربين وأعداء الثورة التي تذهب كل يوم عبثاً مؤامراتهم ضدها وإنما يكشف أهدافهم ويقطع الطريق عليهم.

إن ثورة آذار إذ تمد يدها إلى جميع الشرفاء المؤمنين بأهدافها، المصممين على السير في طريقها تؤكد من جديد أنها ثورة الشعب كله بعماله وفلاحيه وجماهيره الكادحة وسائر فئاته الشريفة المخلصة التي تتطلع إلى اليوم الذي ترى أهدافها في الوحدة والحرية والاشتراكية وقد حققت انتصاراتها النهائية الكبرى على صعيد وطننا العربي كله.

يظهر هدوء نسبي في الحرب الباردة مع عبد الناصر.. وتحتل القضية الفلسطينية والموقف من إسرائيل الاهتمام الأول.. في هذه الفترة توجه دعوة من مصر "عبد الناصر" لعقد قمة "ذروة" كما كانت تسمى" إبان أزمة ما عرف بتحويل مجرى نهر الأردن..

تقول مانشيتات "الثورة" يوم ٢٥ كانون أول:

الجامعة العربية تتلقى دعوة القاهرة لعقد مؤتمر ذروة عربي لبحث تحويل مجرى الأردن..

في عدد السبت ٢٨ كانون الأول.. خطاب لميشيل عفلق في مهرجان لنصرة عدن يقول ــ وفق ما نشرته الثورة ــ مانشيت بالأحمر:

نحن مستعدون لنسيان الماضي..

رغم أنه يهاجم نظام الحكم في القاهرة والعراق..

يشير عدد ١٩٦٣/١٢/٣١ إلى موعد انعقاد مؤتمر القمة وقد ورد خطأ في الخبر على الصفحة الأولى حيث حدد يوم ١٣ كانون الأول والصحيح "الثاني"، وقد تأخرنا اليوم في تصحيحه..

وهناك افتتاحية حول القمة والموقف من إسرائيل:

إذا كان وجود إسرائيل في المنطقة العربية قد كان بالأصل مؤامرة استعمارية صهيونية بدأت منذ وعد بلفور ضد العرب واستمرت حتى عام النكبة فإن فترة الـــ ١٥ عاماً التي انقضت منذ النكبة حتى الآن لم تؤكد فحسب هذه الطبيعة العدوانية التي قام عليها وجود إسرائيل في أرضنا فحسب، وإنما أكدت أيضاً استمرار هذا العدوان وطموحه إلى التوسع، أما استمرار العدوان فقد تجلى في مئات الاعتداءات التي ظلت العصابات الصهيونية توجهها ضد حدودنا وفي جميع محاولات اغتصاب الأراضي المجردة التي لم تنقطع، وكان أبرز مظاهر الطابع العدواني لإسرائيل هو العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، ومشروعات تحويل مجرى الأردن سواء منها التي نفذت داخل الأراضي المحتلة، أم المشروعات المتممة له كالضخ من بحيرة طبريا أو التحويل من المنطقة المجردة، إنما هي جزء من هذا المخطط التوسعي المعروف الذي أعلنته إسرائيل وأعلنت تصميمها على إنجازه.

ولقد أثبتت التجربة أن الحزم والصلابة في مواجهة الاعتداءات الإسرائيلية كانا دوماً الرادع الوحيد لها. واليوم تتأكد هذه الحقيقة أكثر من أي وقت مضى بعد أن نزعت إسرائيل القناع عن وجهها وكشفت عن نياتها دون مواربة أو لف ودوران وأعلنت عن تصميمها على اغتصاب المياه العربية.

وكما أصبح واضحاً فإن المسألة ليست فقط في عملية الاغتصاب هذه فحسب وإنما في نتائجها العدوانية الخطيرة أيضاً التي تتمثل في وجود ٤ ملايين صهيوني جديد على الأرض المغتصبة خاصة في منطقة النقب.

إن قيام قوة عربية عسكرية رادعة توقف إسرائيل عند حدها هو الحل الأساسي الذي آمن به العرب منذ زمن طويل، وعملوا من أجله وتركزت حوله جهودهم.

واليوم تبدو هذه الحاجة ماسة أكثر من أي وقت مضى عندما يبدو خطر اغتصاب مياه الأردن ماثلاً للعيان.

ومؤتمر الرؤساء والملوك العرب الذي سيبحث موضوع التحويل ويتخذ مقرراته بشأنه لا يمكن إلا أن يجد نفسه أمام هذه الحقيقة الأساسية ألا وهي الحاجة لأن تقوم القوة العربية العسكرية الرادعة التي تجعل إسرائيل تفكر كثيراً قبل الإقدام على أي تخطيط عدواني، وليس ثمة ريب أن الانقسامات العربية والخلافات بجميع أنواعها إنما كانت المشجع الرئيس لإسرائيل لا لكي تطمئن على وجودها فحسب بل وإنما لتفكر في العدوان والتوسع باستهتار كبير.

والحقيقة الأكيدة أن النضال العربي المتعاظم في السنوات الأخيرة الذي أوصل إلى الحكم قوى ثورية حقيقية، رغم جميع النكسات التي أصيب بها، قد فجر في وطننا العربي قوى جماهيرية ثورية عظيمة ورفع الوعي الشعبي إلى مستويات عالية وهذا كله قد أعطى للوضع العربي قوة حقيقية جديدة لا يمكن إلا أن تدخل في الحساب. إن الرؤساء والملوك الذين سيجتمعون في ١٣ كانون الثاني يستطيعون إذا ارتفعوا إلى مستوى وعي الجماهير العظيم واندفاعها وصمموا مثل تصميمها على مجابهة العدوان الصهيوني، أن يحققوا قفزة حقيقية فوق جميع النكسات ويردوا لقضيتنا قوتها ويتلافوا ما فات ويعوضوا كل ما هدر من قوى وإمكانيات، إن أخطار هذه المغامرة الإسرائيلية الصهيونية يمكن أن تنقلب في هذه الحالة إلى تجربة تعيد القضية العربية إلى منطلقاتها الأساسية وتدفعها في طريقها الصحيح، طريق الأهداف التي يجيء في مقدمتها استئصال السرطان الصهيوني من أرضهم وإزالة قاعدة الغزو والعدوان التي أقيمت على أرضهم.

هكذا أمضت الثورة أول ستة أشهر من عمرها وهي فترة مهمة جداً أسست لمستقبلها.. وقد زجت بقوة في معارك النظام السياسي.. ومع ذلك أدت، برأينا، أداء مهنياً جيداً.. لكن.. لم تتضح ملامحها الكاملة.. ولم تزخر بالأسماء.. كانت المرحلة جداً خاصة..

هذا لا يمنع ظهور مقالات وتقارير موسعة عن قضايا ثقافية واجتماعية منوعة.. كثيراً ما كانت ترد طويلة وتتناول مسائل ثقافية عالمية.. حتى إن هذه الفترة تكاد لا تعطي انطباعاً عن الواقع الأدبي والفني.. هناك ظهوران لافتان...

الأول لمقال طويل للفنان الراحل لؤي كيالي.. والآخر أدبي للكاتب جورج سالم سيف.

ذاك كان ملخصاً عن الظروف السياسية المسيطرة التي انطلقت منها الجريدة لأن مشوارنا طويل وسنعرف تفاصيل ما جرى فيما بعد وتأثره سياسياً.

دهان أبيض لوجه البحر!!

هاهي المدينة مرة أخرى.. جارة البحر الصغيرة.. رضخت طيعة.. لم يغب صراخ الأصوات المتواجهة، لكنه خبا إلى حد بعيد.. بحر من الهمس تضيع بأصوات تلاطم أمواجه بصخب البحر..

جدران المدينة دهنت عشوائياً بالأبيض.. فغابت صفحات الإعلام الشعبي الشاتم، الناقد، الصارخ، المرحب، المؤيد.. واستمر صوت واحد يعلن عن نفسه.. صوت الثورة وقيادتها وحزبها وجماهيرها..

يقولون:

إن أمين الحافظ وكان وزيراً للداخلية ونائباً للحاكم العرفي قد زار مدينتنا ذاك الصيف المنصرم.. واشتبك بالأيدي مع الناصريين.. وبعد أن حسم المعركة لمصلحته وبعد مواجهة "إعلامية" مع المرحوم "أحمد الدرجي" وكان من أبرز شخصيات الشارع الناصري، أمر بإغلاق دفاتر الإعلام الشعبي عن جدران المدينة فدهنت بالأبيض...

لم تكن المدينة تخفي ابتهاجها بالثامن من آذار..

وكان ثمة اندفاع شبابي باتجاهات عدة.. الانتساب إلى حزب البعث العربي الاشتراكي.. وإلى الاتحاد الوطني لطلبة سورية.. وأيضاً التطوع في الجيش.. ثمة تجييش سياسي واجتماعي وعسكري لحماية الثورة.. والحقيقة أن الثورة بدت مهددة من خصوم ومن شركاء.. لم تكن تمضي أشهر لانسمع فيها همساً صاخباً عن صراعات وتنقلات واستقالات وتسريحات..

ظلال أطياف الوحدة والانفصال تحدث في الشارع تفاعلات على ثلاثة محاور:

- على المحور الأول يقف الراغبون في العودة إلى ذاك الزمان.. زمن الوحدة .. دون تعديل .. كأنه الفردوس المفقود.

- على المحور الثاني يقف الذين يخشون تلك العودة.. ويذكرون كل ما واجههم في تلك الحقبة، حتى إنهم كانوا يحمِلون الرئيس عبد الناصر مسؤولية ثلاث سنوات من الجفاف عرفتها سورية في حقبة الوحدة ١٩٥٨ -١٩٦١. فعرف أبناؤها، ولاسيما في الريف الفقر حتى الجوع.. ورغم ذلك لم تكن شعبية عبد الناصر بعيدة عن تلك الأرياف.

- وعلى المحور الثالث.. المشروع الجديد.. قيادة الدولة بلا عودة إلى الوراء.. بلا تراجع عن معطيات، كانت في مقدمتها الاشتراكية بل اتجهت الأمور إلى تصعيد الفعل الاشتراكي.

في اليوم الأول لوصولي إلى المدينة.. وبعد أن ركزت السرير ووضعت الفراش عليه وصففت الطاولة والكرسيين.. مؤسساً بذلك كامل سكني لذاك العام، حيث الحادي عشر العلمي يحتاج إلى همة.. قصدت المكتبة.. وجدتها ولم أجدها.. كان يوسف كردية قد غادر المدينة تحت ضغط الشارع الذي أظهر عداء فريداً في حينه لبعض شخصيات الحزب الشيوعي السوري.. والغريب أن كثيراً منهم كان من التجار.. وخلف الواجهة البلورية ثمة عدد قليل من الصحف .. الثورة.. البعث.. كأنني أتذكر أنه كان هناك عدد من جريدة "الأحرار" اللبنانية ..وبعض المجلات المختلفة..

أسرع إليّ الملل.. تقلصت زياراتي للمكتبة.. لم يتحقق الوصل مع "الثورة" إلا فيما بعد..

هدأت المدينة.. قلّت الأحداث والحوادث وتراشق الهتافات وغاب هتاف "ناصر.. ناصر.." وحلت محلها الاحتفالات والأفراح وإعلان الرضا..

سألني علاء:

- لم تعد تذهب إلى المكتبة.

- لم يعد فيها شيء.

- هل افتقدت" قرعة" يوسف كردية.

- بـــ "قرعة" أو بلا "قرعة" كان بسطة إعلامية.

- تحبه لكنك لا تحب الشيوعيين.

- لا أحبه ولا أكره الشيوعيين.

- لماذا لا تحبه وكان يقدم لك ما تسميه "بسطة إعلامية".

تذكرت ولم أتجرأ على إخبار علاء الذي يضحك ويحكي دون أن تعرف لماذا؟! وإذا بكى فكّر في الانتحار..

في الشتاء الذي مضى، ومدينتنا تغتسل بمطر جميل ونحن ننعم بعطلة تتجدد كل يوم بسبب إضراب نقابة المعلمين الشهير.. سمعته على ميكرفون مكتبته يعلن بياناً باسم مدير منطقة جبلة، يطلب من الطلاب العودة إلى المدرسة ومن يمنعهم يراجعون بشأنه مدير المنطقة.. فكرهت نداءه لعدة أسباب:

١ -لسنا نحن المضربين.. بل الأساتذة.

٢ -ما علاقته هو كي يذيع بياناً باسم مدير المنطقة؟.. وفيما بعد ربطتها بأزلية العلاقة بين السلطة والإعلام.

٣ -بصراحة العطلة ممتعة..

لم أقل ذلك كله لعلاء.. سيضله فهم معظمه لأنه لا يريد أن يفهم.. ولن يضل عن مختارات مما أقول يناكدني فيها فهو لا يعرف الحوار.

بعد زمن، عندما قصدت دكان توفيق جحجاح وسألته عما إذا كان أهلي قد أرسلوا زوادة.. لمحت المكتبة.. وبعد أن تأكدت أن ثمة زوادة شممت رائحة طعام شهية من داخلها.. تحسنت أوضاعي النفسية.. فاتجهت إلى المكتبة وغامرت بثلاثة فرنكات اشتريت بها صحيفة الثورة.. حين دخلت إلى المنزل الذي أحتل فيه مع أخي غرفة، بادرتني جارتنا صاحبة البيت بأن طلبت الجريدة لوضعها تحت شباك غرفتها لأنه يمرر هواء.. قلت لها سأعطيك إياها بعد أن أقرأها .نظرت إلي باستهجان غريب وقالت: ماذا تقرأ فيها؟!

بعد الطعام الذي أسرعت إليه بقوة أولوية الغرائز.. والرائحة الشهية.. قرأت الجريدة.. قرأتها كلها تقريباً.. وجدت فعلاً ما أقرؤه.. ومضت الأيام.. خمسة وأربعون عاماً مازلت أتعرض للسؤال نفسه:

- *ماذا تقرأ فيها..؟!*

وما زلت أجد دائماً ما أقرؤه..

بشكل ما توطدت علاقتي بالصحيفة.. وقد أرضى ذلك جارتنا إذ أصبحت تجد عندي حاجتها من الجرائد.. وبعض الزملاء يرحبون بعدد قديم بعض الشيء من الثورة.. ليس بينهم بالمطلق علاء.. الذي كثيراً ما نصحني بالكف عن هدر "المصاري" في شراء الجريدة.. تؤيده جارتي في موقفه على الرغم من أنها مستفيدة.

صديقي جودت الذي لم أره منذ غادرنا الثانوية وسمعت أنه طبيب أطفال في اللاذقية ربط يومها علاقتي بالجريدة بحبي لكثرة الكلام..

بصراحة أنا لم أعترض كثيراً.. لكن.. رغم البيت الطيني ومصباح الكاز والبرد القارس والفقر.. فقد عرف بيتنا الكتاب والجريدة.. كانوا ثلاثة يزودونه بذلك.. أبي وأخواي الكبيران..

اليوم أنا أتذكر رواد الإعلام في قريتنا.. بضع شخصيات كل واحد منهم وكالة أنباء.. لا يترك خبراً ..ويدور إلى حلقات القرية يتبادل الخدمات الإخبارية.. يخبر ويحفظ..

لكن..

لا رواد الإعلام الريفي.. ولا مكتبة كردية.. ولا تعلقي بجريدة الوحدة التي لم أعرفها مطلقاً إلا بعد سنين طويلة عندما بحثت عنها.. ولا صحيفة الثورة وبيننا عشرة عمر وعلى صفحاتها نثرت حياتي أياماً - ربما هي حالة كسل طويلة النفس - كل ذلك لم يوجهني إلى الصحافة.. بل دائماً رغبت في الهندسة.

طفل يحبو ومهمات جسام

تستقبل الصحيفة عام ١٩٦٤ بهدوء واضح ولا سيما على الجبهات العربية، الصفحات الأولى من أعداد الصحيفة في بداية العام كانت بكاملها ذات طابع دولي.. حتى الافتتاحيات تناولت مشكلة قبرص التي سيطرت أيضاً على المانشيتات.. وكذلك زيارة البابا للأراضي المقدسة.. يتخللها أحياناً اهتمامات محلية تتناول القرارات الاقتصادية في فترة كانت الأحداث الاقتصادية كثيرة تبشر بمشروع النظام السياسي الجديد بالنسبة للاقتصاد.. ولم تكن الصراعات السياسية الأكيدة والمستمرة على السلطة داخل الحزب الواحد.. لتخفي تبعتها على البرامج الاقتصادية.

نقرأ في عدد ٧ كانون الثاني ١٩٦٤ مانشيتاً عريضاً بالأحمر:

سوق للقطع الحر..

ومانشيت آخر:

وزير التموين يتحدث في مؤتمر صحفي عن أسباب رفع أسعار السكر.

والافتتاحية أيضاً عن الإجراءات الاقتصادية..

حتى زاوية أفكار حرة على الصفحة الأخيرة قد سيطرت عليها مقالات في السياسة الاقتصادية بلا توقيع غالباً.

من ٨ وحتى ١٢ كانون الثاني تنشغل الثورة بتغطية الاستعداد لمؤتمر القمة "الملوك والرؤساء العرب" الذي انعقد رداً على المشروع الإسرائيلي لتحويل نهر الأردن إلى أراضي فلسطين المحتلة.. عدا يوم ١١ حيث خصصت الصفحة الأولى لتكريم القوات السورية العائدة من القتال في شمال العراق.

تقوم الثورة بتغطية الأحداث البارزة مثل مؤتمر القمة على النحو التالي:

اهتمام بارز على الصفحة الأولى.. مانشيتات متعددة، بينها دائماً واحد بكلمات قليلة بالأحمر.. ومجموعة صور ضخمة على الصفحة الأولى وأيضاً الأخيرة إضافة إلى المقال الافتتاحي وأحياناً مقال الصفحة الأخيرة "أفكار حرة".

بينما نجد الصفحات الداخلية على وضعها غير منشغلة بالحدث إطلاقاً بمعنى أن الصحيفة تتابر على صفحة أخبار دولية وغالباً تحوي تقارير مطولة وصفحة دراسات أيضاً ومقالات مطولة مترجمة غالباً.. وصفحتين محليتين وواحدة ثقافية وواحدة رياضية.

في تغطيتها لحدث القمة نقرأ وفق التسلسل المانشيتات التالية المتتالية بالأحمر بين التاريخين اللذين حددناهما "٨ -١٢ كانون الثاني ١٩٦٤".

تم تشكيل ٩ وفود عربية.

تشكيل الوفد السوري.

(يلاحظ هنا نشر أسماء رئيس وأعضاء الوفد بالمانشيت وبشكل بارز، اللواء أمين الحافظ رئيساً – صلاح الدين البيطار نائب رئيس المجلس الوطني – اللواء عبد الله زيادة وزير الدفاع – الدكتور حسان مريود وزير الخارجية – العميد يوسف شكور قائد قوى الأمن الداخلي – العقيد فهد الشاعر قائد قوات اليرموك..

مع صور بطول نحو ١٠ سم لكل من أعضاء الوفد).

نتابع الآن المانشيتات باللون الأحمر:

الوفد السوري في طريقه إلى القاهرة

اليوم يبدأ المؤتمر الكبير

نعرض هنا مقدمة الخبر الرئيسي في العدد الذي حمل هذا المانشيت.. وبدايته كمؤشر على كيفية التعامل مع خبر كهذا في الثورة تلك الأيام.

وصل الوفد السوري إلى مؤتمر الرؤساء والملوك العرب إلى القاهرة في الساعة الواحدة الأربعاء ظهر أمس، كان في استقبال الوفد الرئيس جمال عبد الناصر والسيد عبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية، قال اللواء أركان حرب أمين الحافظ رئيس المجلس الوطني قبيل مغادرته مطار دمشق: إن الجماهير العربية تتطلع إلى هذا المؤتمر وتطلب أن يتخذ مقررات على مستوى القضية الفلسطينية،.

وصلت حتى الآن وفود ٨ دول عربية هي اليمن والسودان والجزائر وليبيا والأردن وسورية والكويت والعراق، وينتظر أن تصل اليوم وفود الدول الــ ٤ الباقية وهي المغرب وتونس والسعودية ولبنان، أعلن رسمياً في بيروت اعتذار اللواء فؤاد شهاب عن الحضور بسبب مرضه الشديد. سيتولى السيد رشيد كرامي رئاسة الوفد اللبناني.

حطت الطائرة التي تقل وفد الجمهورية العربية السورية إلى مؤتمر الذروة برئاسة اللواء أركان حرب محمد أمين الحافظ رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة ورئيس مجلس الوزراء في مطار القاهرة في الساعة الواحدة الأربعاء ظهر أمس، وكان في استقبال وفد الجمهورية العربية السورية الرئيس جمال عبد الناصر والسيد عبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية ، وعند نزول اللواء أركان حرب محمد أمين الحافظ رئيس وفد الجمهورية العربية السورية إلى مؤتمر القمة صافحه الرئيس جمال عبد الناصر كما صافح الأستاذ صلاح الدين البيطار نائب رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة وأعضاء الوفد السوري، بينما كانت المدفعية تطلق إحدى وعشرين طلقة، وبعد أن عزفت الموسيقا النشيدين الوطنيين للجمهورية العربية السورية والجمهورية العربية المتحدة استعرض سيادة اللواء أمين الحافظ مع سيادة الرئيس جمال عبد الناصر حرس الشرف، ثم صافح سيادة اللواء أركان حرب أمين الحافظ مستقبلي وفد الجمهورية العربية السورية وأعضاء مجلس الرئاسة والوزراء وكبار الضباط والأستاذ أحمد الشقيري

مندوب فلسطين الدائم لدى الجامعة العربية، وقد غادر الرئيس جمال عبد الناصر وإلى يمينه سيادة اللواء أمين الحافظ وإلى يساره الأستاذ صلاح الدين البيطار أرض المطار بينما كانت هتافات آلاف المستقبلين تدوي بحياة القومية العربية.

نتابع المانشيتات الحمر:

بيان من المؤتمر

اجتماع خاص

قيادة عسكرية

اختتام أعمال المؤتمر

مقررات سرية

عودة الوفد السوري

تنسيق التعاون العسكري

بعد المؤتمر مباشرة تعكس الثورة التعامل السياسي العربي وردود الأفعال على سياسة الرئيس جونسون الذي دخل البيت الأبيض خلفاً منتخباً لجون كينيدي.. وقد ألقى خطاباً أظهر فيه عداءه الكامل المباشر للعرب.

تتصف الكتابات عموماً بحماسة وجرأة واضحتين..

ويلاحظ أن المقال الافتتاحي يتناول أحياناً شأناً دولياً عندما لا تجد حدثاً ساخناً على الصفحة الأولى.. مع غياب للمتابعة للحدث الساخن على الصفحات الداخلية "الدراسات والتحقيقات وغيرها"

في ٨ آذار ١٩٦٤ الذكرى الأولى لقيام الثورة تصدر الصحيفة ملحقاً بثماني صفحات يتحدث عن منجزات العام الأول.

وفي العدد الذي يليه يرد في مانشيت أحمر إلى:

دستور ثوري

وتحته بالأسود:

أول دستور ثوري لممارسة الديمقراطية تضعه ثورة آذار

تنهي الثورة الربع الأول من عام ١٩٦٤ (الربع الثالث من عمرها) دون تغييرات تذكر في نمط العرض الإعلامي وأسلوب الكتابة الذي يذخر بالحماس المنسجم مع الواقع الذي تمر فيه البلاد.

في ٢٩ آذار ١٩٦٤ تحدث الثورة عطلة أسبوعية (يوم الأحد) وتعتذر عن الصدور كل اثنين.. وهذا يعني أنها وطيلة تسعة أشهر لم تحظ بيوم عطلة واحد..

بعدد محدود من المحررين والعاملين كانت تصدر يومياً مكرسة جهودهم كرواد حقيقيين ليس للثورة وحسب بل للمرحلة الجديدة من العمل الإعلامي في سورية حيث يقوده الإعلام الرسمي.

تظهر الثورة بوضوح انتماءها البعثي.. بمعنى القومي العربي..

أولوية فلسطين.. متابعة حركات التحرر في الجنوب العربي (الخليج).. مقارعة الأنظمة ذات العلاقة بالغرب دون استثناء مصنفة إياها كدول رجعية.. وعلى أساس ذلك رصد حركات المقاومة لهذه الأنظمة في كل المواقع..

وتشير أعداد آخر آذار إلى مواجهة داخلية حامية مع من تسميهم القوى الرجعية.. ففي عدد ٢٩ آذار نقرأ افتتاحية صوت الثورة ومقالاً آخر في زاوية جديدة في أسفل الصفحة الأولى اسمها "وجهاً لوجه" بعنوان فلسطين مرة أخرى موقعة بحرف "س" نعرض هنا مقتطفات من الافتتاحية الطويلة.

تريد فلول الرجعية والحثالات الانتهازية والذيلية أن تنزلق إلى وهم.. وأن تصدق أكذوبة نسجها خيالها وراحت تشيعها بين الناس.. ثم صدقتها على ما يظهر ومؤدى هذه النكتة أن الحكم يعيش في عزلة عن الشعب.

وسبب انزلاقهم في هذا المنزلق أن هذه الكذبة تلقى من يصدقها في صفوف الجماهير.

ولكن أولئك الموتورين لو فكروا قليلاً في الأسباب التي تحمل الجماهير على الاعتقاد بوجود العزلة المذكورة إذن لصفعتهم حقيقة يجمد لها الدم في عروقهم وتسود وجوههم فوق ما هي سوداء.

إن الشعب في الحقيقة حينما يقول بعزلة الحكم عن الشعب، فإنما يبني رأيه هذا على أساس أن الفئات – إياها - مازال متاحاً لها في ظل ثورة ٨ آذار أن تتكلم وأن تتحرك.

إن الحرية الفضفاضة التي منت بها الثورة على جماعات لا تستحقها هي العازل الحقيقي بين الشعب والحكم. ولو أن الثورة أخذت برأي الشعب في الكيفية التي يجب أن تعامل بها الرجعية والانتهازية إذن لانتهت العزلة في أقل من طرفة عين.

يوم معركة المرسوم ٥٠، ومعركة الجلاء الكامل، ومعركة الجيش الوطني المسلح تسليحاً حديثاً، ومعركة الانتخاب على درجة أو درجتين، ومعركة خدمة العلم كانت الرجعية في أوج قوتها، وقد حصرت كافة السلطات في يديها، وسخرت سائر أجهزة الدولة لخدمة مصالحها، ولم يكن البعث إلا في مستهل عهده، ولم يكن له في المجلس النيابي إلا أصوات أقل من قليلة وجريدة تعبر عن رأيه، ومع هذا فقد استطاع أن يقود الجماهير، وأن يمرغ كرامة الرجعية والانتهازية بالرغم وأن يفرض شعاراته ومبادئه على الرجعية الحاكمة.

فكان الجيش الوطني الحديث، وكانت الخدمة الإلزامية، وكان الانتخاب على درجة واحدة، مظهر السيادة الشعبية.

ومضى الحزب يقود الشعب في معاركه ضد مظاهر التخلف والاستغلال والعبودية.

ويقدم التضحية تلو أختها، وفتح أمام الفلاحين والعمال آفاقاً جديدة، وكان لهم الشعلة التي تحترق وتضيء الدرب.

وقاد معركة الوحدة، ثم قادها ضد الوحدة المفرغة من محتواها الشعبي الجماهيري، وناضل ضد الانفصالية والإقليمية والشعوبية حتى نضلها وهزمها وغلبها.

وحدث ذلك في ظروف شتى كانت تملي على الرجعية تارة، وعلى الذيلية مرة أخرى أن تحمل السلاح لتحطم عهوداً تزعم أنها غير شرعية ولا قومية، ومع هذا فلم تتحرك الرجعية ولم تتحرك الذيلية وإنما ظلت قابعة في أوكارها تنتظر أن يؤتي نضال البعث ثماره حتى تثب عليها وأن يفرغ من قتل الثعبان حتى تحمله على عصاها وتقول في الأسواق قتلنا الثعبان.. قتلنا الثعبان.

إن الشعب لا يمكن أن ينسى هذا إذا نسيته الرجعية والانتهازية والذيلية أو تناسته، إن الشعب لا يمكن أن ينسى أن ثورته أعطته في سنة واحدة مليئة بأعمال التآمر والغدر والخيانة تشريعات وقوانين يستطيع أن يزهو بها ويباهي.

إن شباب البعث العربي أبطال الثامن من آذار لم يقودوا معركة الشعب معرضين صدورهم للرصاص والنار لكي يتخلوا عنه في النهاية بضغط من الثرثرة والدجل والتآمر، إنهم سيحمون ثورته ومكاسبه بالأرواح والمهج، وإنهم لقادرون على ذلك في كل حين، ولكنهم لم يجيئوا إلى الحكم منتقمين ولا جلادين بل عرباً أحراراً يعفون عند المقدرة.

أما حين تستبد الرعونة والطيش والتفسخ الأخلاقي بالرجعية والانتهازية والذيلية فيخيل إليها أنها تستطيع أن تحرض الشعب على ثورته وعلى أبنائه الذين شرفوا سمعته، فإن ثورة الثامن من آذار لن تشهر في وجوههم السيف، ولكن ستدعهم والشعب يصفي حسابه معهم والويل لهم من ساعة الحساب.

وتستمر هذه الزاوية، بل إن كاتبها يشعرك أكثر من مرة انها افتتاحية، وهذا يعني افتتاحيتين في الصفحة الأولى واحدة "صوت الثورة" والثانية "وجهاً لوجه".

لم تصدر الجريدة في اليوم التالي وكان أول يوم عطلة ثم العدد الأخير من آذار.. ويبدأ الربع الثاني من العام.. نيسان.

الآن وقبل أن أبدأ تقليب صفحات الربع الثاني من عام ١٩٦٤ سأضع مجموعة توصيفات لواقع حال الجريدة، كما تبدو من صفحاتها. والتطور الذي قد يكون حصل خلال تسعة أشهر من عمرها.. والسبب أنه في مطلع نيسان ١٩٦٤ وتحديداً في الثاني منه ودع الأستاذ المرحوم جلال فاروق الشريف الصحيفة ليسلم إدارتها للمرحوم اسماعيل العرفي.

سأعود للمعنى السياسي والمهني في هذا التغيير.. لكن بعد إيراد ما لاحظناه على أعداد الشهور التسعة الأولى.. لنرى فيما بعد مدى ونوعية التغيرات التي حصلت في الصحيفة.

أولئك الرواد.. تلك الجهود

كادر صغير بإمكانات فنية محدودة لكنها مناسبة لواقع الصحافة الورقية في تلك الفترة.. الطباعة تيبو "مرحلة ما قبل الأوفست" والصور والعناوين على طريقة "الزنكوغراف" والتنضيد آلي على طريقة صهر الرصاص ويتم ترتيب الأسطر يدوياً تماماً.

الرجال والنساء الذين كانوا يعملون في تلك الفترة واجهوا واقعاً صعباً نسبياً لكنهم تفاهموا معه بشكل جيد.. أُعتمدت الترجمة والمقالات الطويلة لتغطية معظم صفحات الثقافة والدراسات السياسية والاقتصاد وغيرها.. في حين كانت صفحة الأخبار تغص بكل ما يرد من وكالات الأنباء.

تعاملت "الثورة" في تلك الفترة مع الخبر الدولي بشكل لافت بحيث تراه متوفراً بكثرة في الصفحة الأولى وغيرها.. وبالتالي فإن الحماس الثوري الذي كان واضحاً على الصحيفة ومقالاتها لم يمنع القائمين على العمل يومها من عرض الخبر الدولي بل والثقافة العالمية.

ربما يكون لعب دوراً في هذا التوجه الحاجة لما يغطي الصفحات.. الكادر صغير.. ومهما تخيلناه لا يمكن أن نسميه إلا في بداية الطريق.

لقد ظهرت آثار المحدودية العددية للكادر بأشكال عدة منها مثلاً:

* تكرار أسماء على الزاوية نفسها، على الصفحة أيضاً، وظهور الاسم بأنواع صحفية مختلفة.. مقال.. زاوية.. ترجمة.. الخ...

* لا تكاد خلال تلك المرحلة تتوضح أسماء العاملين في الثورة.. هناك أسماء تتكرر.. يظهر في هذه الفترة اسمي ممدوح عدوان ومنيف حسون..

وتواجد شبه يومي لاسم خلدون الشمعة على الصفحة الثقافية تحديداً.. كاتباً.. مترجماً... وربما شاعراً أيضاً.

الزوايا والمقالات تتناول غالباً شأناً أدبياً ثقافياً فكرياً.. أو تكون مقالات سياسية تتصف بالحماسة.. هو اتجاه يعالج حالة معاشة في الحياة السياسية الداخلية خصوصاً.. النظام السياسي بكامله يتجه لـــ "التحويل الاشتراكي" وبالتالي لا مجال لإظهار الآراء الاقتصادية أو المحلية إلا من زاوية سياسية تخدم هذا الاتجاه.. في حين تلجأ الكتابة السياسية إلى خارج سورية.

معظم المقالات والزوايا تغفل من التوقيع أو توقع بالاسم الأول فقط. خلدون.. زياد... خالد.. وضاح.. وهكذا.. وحتى زاوية أفكار حرة على الصفحة الأخيرة التي تستقطب كتاباً من خارج الصحيفة شهدت تحولات غالباً باتجاه التسييس وبدأت تغيب عنها الأسماء ثم تحولت إلى زاوية "حديث الشعب" ودون اسم... أما الزاوية الثقافية "يوم بعد يوم" فهي الأوضح وتتناوب عليها مجموعة من الأسماء من داخل الصحيفة وخارجها.. ويدخل عبرها اسم الكاتب المسرحي المرحوم "سعد الله ونوس" لأول مرة إلى الصحيفة.. هذه الزاوية أيضاً لم تكن بعيدة كلياً عن التسييس.

لا تحتل الإعلانات التجارية في هذه المرحلة حيزاً يذكر من صفحات الجريدة وهي غالباً إعلانات أفلام تعرض على شاشات دور السينما في دمشق... أو إعلانات تجارية بسيطة.. وهناك طبعاً الإعلانات الرسمية.

هذه الأجواء والتطورات التي شهدتها الجريدة تبعاً لتطورات الوضع السياسي. اقتضت تغييراً في إدارة الجريدة.

بغض النظر عن الأسباب المباشرة لإقالة جلال فاروق الشريف في حينه من رئاسة التحرير والإدارة العامة. فإنها تبدو منطقية بالنسبة لرجل مهني محترف مخضرم وبعثي قديم "مؤسس" أيضاً اتجه إلى عدم التسليم بحتمية صواب قرار الحزب.. ولا سيما أنه من التيار الناصري الذي عمل تحت مبدأ "اللاحزبية".

إلى أين؟!

إلى أين بعد جلال فاروق الشريف؟!

من سيتولى الإعلام؟!

مهني... حزبي.. ملتزم.. إداري..؟!

اختيار بديل اقتضى عكس هذه الأولوية.. فأصبحت المهنية في آخر سلم الأولويات.. الظرف السياسي اقتضى في حينه وحزب البعث يعلن تصديه لقيادة الدولة والمجتمع "بالجملة والمفرق".. أن يتم تجاوز كل الشروط لصالح الحزبي الملتزم.. ليس في الصحافة أعني ليس في جريدة الثورة فقط، بل غالباً في كل قطاعات المجتمع والعمل الاقتصادي والسياسي وكانت فترة ساخنة بقرارات التأميم والإصلاح الزراعي ومصادرة الملكيات الزائدة والتوجه لتوزيعها على الفلاحين.

عمل يحتاج قلب المجتمع وتغيير أسسه ولا سيما من حيث حق الملكية الفردية.. لتتحول إلى ملكية جماعية أو ملكية دولة.. وهذا ما كان يتطلب إمكانات فنية إدارية فذة أولاً.. وتتم حماية الإجراءات من قبل جهاز الالتزام الحزبي.. لكن.. تصدى جهاز الالتزام الحزبي بشكل صارم للمهمة.

ضوء خافت لألوان الطيف

لا أعرف بدقة لماذا كنت أريد الهندسة، كما أنني لا أعرف لماذا اتجهت إلى الصحافة.. لعلها نبوءة علاء :

"نيالك" غداً بعد البكالوريا تجد لك وظيفة فيها..

لكن.. أعرف جيداً أن ذاك العام شهد تحسن علاقتي بـــ "الثورة".. وكان عامي الأخير في "جبلة" الساحلية الصغيرة التي افتقدتها ولم أعد أجدها أبداً.. ولولا بقايا بحر وصخور وتلقائية أبناء الساحل وفوضويتهم.. وسندويشة فلافل "أبو حطب ربما" وصحن كنافة "مريش مثلاً" وباقة فجل وضمة نعناع.. لانتزعوا من صدري هوى الأمكنة..

ذاك الصيف كنت مضطراً لأن أعترف بخطأ اختياري في القرار الذي تُرك لي بين جبلة ودمشق.. اخترت الأولى ربما استسهالاً، وربما تنازع عشق.. عادت دمشق وحسمته لصالحها، إلى أن كانت سورية الجميلة..

قبل أن ينتهي العام اقتربت أكثر من الأجواء الصحفية، جاء ذلك بحكم انتقالي إلى دمشق، كانت "الثورة" يومياً في بيتنا.. وكنت قادراً على زيارة مكاتبها كلما أردت.. لكن ...بصراحة قلما فعلت.. فمع وداعي لجبلة والقرية، وحلولي في دمشق كان علي أن أتمثل الجدية إذ بدأت البكالوريا العلمي في ثانوية ابن خلدون.

سأدّعي أنني افتقدت القرية.. سأدعي أنني افتقدت جبلة.. لكنني لن أدّعي أن دمشق لم تبهرني..

كان الحب.. وما زال.. ولكم أحببت.. كثيرين.. كثيرات.. ولدمشق وحدها كانت الديمومة.. في القرى يقولون: لا ترسلوه إلى المدينة كي لا تنزعه..

يومها اكتشفت السر.. إنها الدهشة ..والقدرة على تبديد الوقت.. كل ما حولي يحتاج إلى قراءة.. فمن أين الوقت كي أقرأ في كتبي.؟!

في بيتنا الصغير في حي المزة "دمشق الجديدة" كانت ثمة جرائد ومجلات.. مقالات وتحقيقات.. وأفق بلا حدود يحتاج الاكتشاف.

مارست الهواية ..فكانت بداية الغواية.

أصابني نوع من الذهول.. حتى مدرستي ورفاق صفي بالكاد كانوا يتعرفون عليّ.. وقد عرّضني إهمال حلاقة ذقني - لأول مرة في حياتي - إلى مجموعة من الاحتمالات لمآزق اجتماعية وسياسية ..ودعيت لأكثر من اجتماع في أكثر من جامع.. وعرفت أن الإسلام واحد والشيوخ كثر..

وللجوامع مريدون يبحثون ليس عن الصلاة فقط!. لم يكن لي عهد سابق بهم فحيث كنت كانت "الرسالة الخالدة" او "ناصر.. ناصر.." أو أصابع تمتد وفم يهمس "شيوعي.. شيوعي"

اختلفت الأدوات واللعبة واحدة.. من مع.. من ضد..؟!

مع من أنت؟!

سكت.. فقد فاجأني السؤال ولم أعرف الإجابة..

صحيح مع من أنا..؟!

في اليوم التالي كنت متوجساً من أن يعاد طرح السؤال عليّ فأنا لم أحدد بعد.. مع من أنا؟! بحثت عن الطالب الذي أطلق سؤاله في وجهي ليس كي أجيب بل كي أهرب منه.. لكن.. لم أستطع الهروب فقد كان يبحث عني.. جهزت إجابة مؤقتة.. سأقول له:

- لست مع أحد..

لكن.. مرة أخرى يصدمني ويفاجئني.. بدأ كلامه على الفور وهو يمد يده لمصافحتي:

• أنا آسف جداً.. كنت فظاً معك أمس..؟!

رغم أنه لم يسأل السؤال قلت له:

- أنا لست مع أحد..

نظر إليّ بهدوء.. وقال:

• الذي ليس مع أحد.. هو مع الحكومة.. هل أنت بعثي؟!

- أنا لست في حزب..

• رأيت زياداً يحادثك أمس.. هل دعاك إلى جامع..؟!

- نعم..

• جامع يلبغا في المرجة..؟!

- نعم

• وعبد الرحمن دعاك إلى جامع دينكز؟!

- صحيح..

• بين هذا وذاك الأفضل ألا تكون مع أحد.

رويت لأخي ما جرى.. فوجده عادياً جداً.. وشجعني على أن أعرف الطالب الذي سألني: مع من هو..

لم أتشجع مباشرة.. وقد استمرت لقاءاتي المتقطعة في استراحات الحصص الدراسية مع الشاب عبد الحميد.. وبعد أن أصبحت بيننا صيغة حوار.. يتجاوز مع من أنت إلى الكيمياء والفيزياء والعلوم.. وقليل من ممازحة.. تشجعت وجئته في صباح أسأله: مع من أنت..؟!

نظر إلي بطريقة أشعرتني أنني أربكته أكثر مما أربكني.. ثم قال:

• أنا من حزب أعدم..

- سوري قومي؟!

• كيف عرفت؟!

- تقول حزب أعدم..

- قلتها لأحرمك من تكرار سؤالك..

- هل بقي قوميون؟!

- أولاً أنا أسحب عبارة أعدم.. هم حاولوا إعدامه.. قتلوا منه كثيرين.. قتلوا الزعيم.. لكن الحزب ما زال موجوداً وسيبقى..

هو لم يخف.. أما أنا فقد خفت..

في منزله في حي قريب من مدرستنا "ابن خلدون" كان من السهل اكتشاف جرأته وانتمائه.. صورة أنطون سعادة والزوبعة.. الكتب.. و.. ولم يكن في ذلك ما لا أعرفه.. بل إن عبد الحميد عاملني كرفيق وكان يستهجن جداً قشعريرة روحي مما رأيته يوم زرت دمشق لأول مرة وقد رويت له ذهولي أمام مشهد بيت في بستان ثقبت جدرانه قنابل الدبابات.. قال: الناصريون يستحقون أكثر من ذلك..

بشكل عام كانت أسئلته تصدمني..

- لماذا تريد الهندسة؟!

- لا أعرف ..أحبها.

- أم أنك تبحث عن فرصة عمل؟!

- ربما..

- استفد من وجود أخيك في صحيفة الثورة.

إلى حد ما أضاف على هزلية مقترحات علاء نوعاً من الجدية.. لكن دون أن ترتسم برؤية أو توجه.. ربما اقترح ذلك من كثرة ما أوردت "الثورة" في أحاديثي.. لم أكن قد أكملت السادسة عشرة من عمري.. وأعيش مع الصحيفة بشكل يومي..

هل كان من مجال لنكران التأثر..

في الحوادث التي عرفتها مدرستنا انعكاساً لتطورات في الشارع.. كان الاسلاميون أكثر عدداً ..والبعثيون أكثر قوة.. والناصريون متوارين وإلى حد ما شامتين والباقون متفرجين بسلبية.. إلا عبد الحميد..

أخذ الجريدة من يدي ومزقها.. وكنت أحضرتها معي للتباهي:

وقفت متوتراً وسألته:

- ليش هيك..

قال:

- لأنها عاجزة أن تقول ما يجري..؟!

رفضت قوله ..لأنها كانت تقول عما يجري.. وإلى اليوم هي تقول.. ولا أعتقد أن جرائد كثيرة في العالم تقول عن كل ما يجري.. وإلا لتوحدت..

انقطعت أخبار قيصر عني.. واستحضرت كثيراً سذاجات "علاء".

يقولون: كلمة الناطقة صادقة..

وعلاء كان ينطق فوراً بما يريد. فتراه صادقاً.. كنت أتذكر الكثير من أقواله وأنا في الغربة الصغرى "دمشق". قال لي:

- سباحتك نهرية لا تنفع..

- وأنت..؟!

- سباحتي بحرية..

- كلها سباحة..

- طريقتك هذه تنفعك في دوار "بركة" ولا تنفعك في البحر.. هناك السباحة حقيقية.

- ماذا يعني حقيقية؟

- الأمواج "تشيلك" وتغرقك إن لم تكن تسبح بحري..

نصحني أن أغيّر طريقتي وأتعلم ما أسماه السباحة البحرية.

جبلة على البحر وشاطئها صخري.. ودمشق على نهر وشاطئها الغوطة.. في الأشهر الأولى لدخولي بحر دمشق لم تنفعني مجاذيف إدارة أموري في جبلة.. هناك حيث البحر والشاطئ الصخري كانت سباحتي النهرية تكفي.. أما هنا فالأمواج تتلاطم من حولي.. لتصيبني بالحيرة كثيراً .. بالإرباك غالباً.. وبالضياع قليلاً..

لا يقذفني بردى إلى البعيد ولا تمنع أشجار الغوطة تأمين ملجأ لي.. وقد بدأت أألف الجو.. بل بدأ يألف الجو وجودي.. قلّ إلى حد كبير استثنائي من محادثة، أو محاولة إفرادي كي لا أسمع.. وأكثر من ذلك، كانوا أحياناً يسألونني رأيي.. وكنت مصرّاً أن أحمل معي في معظم الأيام جريدة "الثورة" من يدري لعلي كنت استجير بها.. في جبلة استجرت بالبحر من الجرائد.. هنا أستجير بالجريدة من بردى.. ولعله أيضاً كان يرضي غروري ونوازع عميقة في كياني..خيط عنكبوت يراه بعض الزملاء يربط بيني وبين الثورة أو الصحافة ..كانت العبارة ترضيني بل تثير حولي عدداً كبيراً من المجاهيل التي لا أرغب في اكتشافها كي أتفرغ لاكتشاف مجاهيل المعادلات الجبرية استعداداً لـــ"الهندسة" رغم تراجع عرض بوابات الدهشة على بوابات هذا الحلم..

كان زياد يشرح لعبد الحميد وفيصل مشكلته مع أخيه.. زياد ناصري وأعتقد أنه عاش في مصر ثم أكمل دراسته في الهندسة الزراعية هناك..

سأله عبد الحميد:

- لماذا باعتقادك يريد التطوع في الحرس القومي..

- لأنهم يحققون له نزوعاً للسلطة والسيطرة في داخله

- حاوره..

- لا يقبل وقد تقدم بطلب انتساب لحزب البعث العربي الاشتراكي..

- هذا حقه ..حاول أن تقربه من أفكارك.. أو أرسله لي..

قال فيصل: أو لي..

ضحك زياد وقال جاداً: ليكن بعثياً وليس معك أو معه..

فيصل عموماً لطيف.. لكنه مازحني يوماً وأزعجني بجهلي بمراده.. قال ونحن ندخل الباب الخارجي للثانوية:

أسعد عبود ومعه "البرافدا" ثم تراجع وبابتسامة خفيفة قال: لا.. لا.. الأزفيستيا..

لم أفهم ما قاله في المرة الأولى.. لم أكن سمعت ب "الأزفيستيا" نهائياً. أما "البرافدا" فقد ذكرها المرحوم "تمين" في أول وآخر لقاء بيننا.

لم أعد أتذكر اسم ذاك الشاب.. أعتقد أن كنيته "البارودي"... انتصر لي في أول حوار أعارض فيه رأياً لواحد من زملاء صفي.. سباحة نهرية في وجه أمواج بحرية.. قلت:

- إن "جورج أبو شعر" أستاذ رياضيات جيد..

وكانوا قد أتوا به ليحل محل الأستاذ الراحل مصطفى كمال حربل رحمه الله.. وكان محاضراً متميزاً وأستاذاً مبدعاً.

قال مروان :أستاذ جيد لكن.. هل تعرف لماذا أخذوا حربل وأتوا به؟!

- لأن طلاب الميدان رفضوه فهو "شيوعي".. أضاف..

- نحن طلاب في مدرسة ولسنا سياسيين..

- بل يجب أن نكون..

وقف البارودي معي.. وعندما انفرد بي قال لي: مروان آدمي جداً لكنه "أخوان مسلمون"..

وعلى الفور سألته:

- وفيصل؟!

● شيوعي..

أنا من جبلة حيث البحر والشاطئ الصخري.. وليس لأمواج بردى أن تخيفني.. لكن.. مازلت مرتبكاً..

- أخي فيصل.. ما هي "الأزفيستيا".

● في الاتحاد السوفياتي هناك صحيفتان.. واحدة للحزب الشيوعي اسمها (البرافدا) وأخرى للحكومة اسمها (الأزفيستيا) ألم تسمع بهما.

- سمعت بالبرافدا..

● ممن؟!

كان سؤاله استكشافياً، وحدثته عن "تمين" الذي التقيته في السهول الخضراء بين جبلة وقرية بسيسين.. وأحببته كثيراً في حديثه ولباقته.. وحفظت منه أسماء ماركس وانغلز ولينين وغيرها وأيضاً البرافدا.. كان اللقاء الوحيد.. فقد قتل تمين في العام نفسه بحادث سخيف لاشتباك بين أسرتين في قريته.. وقد حاول أن يلعب دور حمامة السلام.. فقتله المرحوم "علي يزبك" دون رغبة في قتله..

بعد فترة قال لي فيصل:

● لقد كان رحيل صديقك تمين.. خسارة..

بصراحة أبهرتني علاقات الطلاب في دمشق.. إلى حد كبير لم تكن تتملكهم غريزة القطيع.. كانوا أصدقاء مازحين ضاحكين.. ولمعظمهم انتماءات سياسية تختلف بين واحد وآخر.. حتى المستقلون "مثل البارودي" كانت استقلاليته انتماء.. وليست من باب ما دخلني.. كانت لبردى أمواج.. وللبحر أيضاً أمواج.. لكن.. أمواج البحر كان يحكمها قدر أن تأتي من الغرب وتضرب الصخور في الشرق..

أمواج تقود الصخب ومن خلفها البحر.. لا فروع له ولا غوطته تزهر على شواطئه..

قلت لفيصل أمام عبد الحميد وزياد:

- ألا تعجبك "الثورة"..

قال: يعجبني جداً أنك تقرأ صحيفة يومياً.. يجب أن نقرأ ولو على قصاصة جريدة صرّ بها البائع حبات سكر.

سمعت من عبد الحميد يومها كلمة للمرة الأولى قال:

- بدأت الأممية...

لا حدود لأمواج بردى.. وأنا وأنتِ تشاركنا في العشق.. لم نولد معاً.. لكن عندما التقينا أعدنا إنتاج أرواحنا وستبقين رفيقة عمري.

من الشريف إلى العرفي

في ١٩٦٤/٤/٢ أنهي تكليف جلال فاروق الشريف وفي اليوم ذاته صدر مرسوم تكليف المرحوم "اسماعيل العرفي" مديراً عاماً لمؤسسة الوحدة ليرأس تحرير جريدة الثورة.

العرفي رحمه الله وهو من مدينة دير الزور كان من أبرز شخصيات البعث، قومي عربي، راديكالي، صارم في اتجاهه حتى إنه صاحب توجه ومدرسة داخل الحزب وله مناصرون ومؤيدون دخلوا السجن في ظل حكم البعث نفسه.

اشتهر عن المرحوم العرفي قوام الأخلاق.. نظافة اليد.. صدق العروبة.. ولم يشتهر بالعمل الصحفي أبداً.. بل هو ندب من وزارة التربية ليقوم بعمله.. ورغم أن الرجلين "جلال فاروق الشريف" و"اسماعيل العرفي" يعودان بجذورهما الفكرية إلى البعث ذاته.. المدرسة ذاتها.. لم يعرف عنهما أي تشابه إلا الانتماء للعروبة وأولوية الوحدة العربية.. وبينهما اختلاف كبير هو ما يهمنا هنا.. الأول صحفي مخضرم والثاني معلم مدرسة.. حيث شكلت المدارس المنبع - ربما الأهم – للكوادر القيادية من مختلف المستويات في دولة البعث.

الآن كيف سارت تجربة الثورة في ظل قيادة المرحوم اسماعيل العرفي:

في الأعداد التالية لتسلم الأستاذ العرفي الصحيفة لا نجد أي إشارة لذلك.. خبر.. أو تغيير.. وتستمر الثورة في الأداء ذاته.. لكن يلحظ هنا في

المقال السياسي مواجهة حادة لمناوئي الثورة داخل سورية.. الرجعية وخصوم البعث السياسيين وغيرهم.. وتثبيت زاوية "وجهاً لوجه" وجودها على الصفحة الأولى بتوقيع "س" ويرجح بعض معايشي الفترة أنه "مصلح السالم"، وهي مقال مطول كثيراً ما يأتي مطولاً وتؤخذ له بقية.. ويتناول قضايا داخلية غالباً وخارجية بأسلوب المقال والاستشهاد والسير والحكايات والقصص.. وعموماً مقالاً جيداً.. نأخذ مثالاً، مقتطفات من مقال جاء طويل جداً:

وجهاً لوجه

لقد فات الأوان وتحركت الجماهير نحو أهدافها الكبرى...

حكاية "ابن آوى والحمامة" كما وردت في كتاب "كليلة ودمنة" ليست غريبة عن أذهان الجماهير العربية. ومع ذلك، فإن هنالك الكثيرين من "أولاد آوى" الذين ما زالوا يجربون ممارسة أدوار الختل والخداع، واصطياد الناس بالكذب والباطل.

لقد كان "إدراك الحمامة لطبيعة الأشياء" وحده كافياً لإنقاذ أطفالها من براثن الدجالين المحتالين..

وكذلك الوضع في "سورية" فإن "إدراك طبيعة الأشياء فيها" هو الذي أنقذها وينقذها دوماً من المؤامرات والأحابيل والحيل التي تحارب بها ثعالب العالم، هذا البلد الآمن المستقر.

وليس الموقف الداخلي في سورية بخاف على أعين المواطنين الذين مارسوا تقلب السياسة فيه خلال نيف وعشرين عاماً..

فهؤلاء "الأكابر" المتفرغون اليوم لندب حظ البلاد، والذين يفطرون شتائم ويتعشون مسبات، والذين يحركون "نقابة المعلمين" حيناً، و"عصابات شيكاغو" حيناً آخر، والذين يدفعون البسطاء في محاولة تجريبية للإضراب والمقاومة والذين ماتركوا باباً طائفياً إلا طرقوه، ولا نهجاً عشائرياً إلا سلكوه، والذين يبكون حظ العامل أمام العمال، وسوء المواسم مع الفلاحين، وركود الحالة الاقتصادية مع التجار، وتطبيق قانون الإصلاح الزراعي مع

الاقطاعيين، وتأميم المصارف مع الرأسماليين، والذين أصبحوا متدينين أيام الجمع، ليعودوا راقصين بارعين في المواخير الليلية..

هؤلاء "الأكابر" كانوا قد جربوا حكم سورية، وفشلوا..

كانوا قد جربوه بعد الاستقلال، فأحالوا البلاد إلى مزرعة، والشعب إلى أجراء، فكانوا وحدهم المسؤولين عن انهيار الحياة الديمقراطية، وتسلّم العسكريين الحكم، لأن الحكم الذي سمّوه آنذاك ديمقراطياً، لم يكن ديمقراطياً، بل كان "عشائرياً" وكان حكم "القوي" الذي يأكل "الضعيف".

إن هؤلاء "الأكابر" قد فشلوا في حكم سورية بعد الاستقلال وجروا على البلاد الكوارث العسكرية والسياسية والقومية والاقتصادية، وتركوها مطمعاً للمغامرين العسكريين والأفاقين السياسيين.

وكل مأساة حلت بالبلاد بعد الاستقلال، إنما كانوا هم سببها، وهم أصلها، وصبور غفور كريم، ذلك الشعب الذي لم يحاسبهم الحساب العسير، على ما اقترفتهم فيه أيديهم من آثام..

ثم إن هؤلاء "الأكابر!" أولاد "الذوات" كانوا قد حكموا سورية مرة أخرى، يوم دبروا في ليل، جريمة الانفصال، وحاكوا خيوطها في عمان ولندن، وجهزوا أمورهم في الجيش، وأجهزة الدولة والشرطة، وفي الدوائر الانكليزية ليكونوا حكام سورية إلى الأبد..

وبطشوا بآمال الشعب في الوحدة العربية الكبرى، وصادوا العمال والفلاحين صيد الحمام في شوارع حلب ودمشق ودرعا، وفي سائر المحافظات السورية، ووطدوا أمرهم إلى الأبد، وعينوا قواد الجيش كما يريدون، وسرحوا من الجيش من يريدون، ونصبوا المحافظين، ومدراء التربية، ومدراء المناطق والنواحي، والمخاتير، وحشروا المرتزقة في الدواوين.

صنعوا برلماناً كاراكوزياً على غرار برلمانات "شكري القوتلي" وأسوأ، ومدوا أيديهم إلى القوانين، فصاغوها حسب مشيئتهم، وإلى الدستور،

فزيفوه وحرفوه.. وإلى مشاريع البلاد الكبرى، فاقتسموها، وأقاموا البلاد وأقعدوها، وفعلوا كل ما يريدون..

ومع ذلك، فإنهم وهم الحكام، كانوا يهرّبون أموالهم إلى خارج سورية، ويصفّون معاملهم ويبيعون عقاراتهم وأراضيهم، ليضعوا أثمانها في البنوك الأجنبية.

إن الشعب لن يلقي فراخه بعد إلى هذه "الثعالب" فلتجرب أن تصعد إليه، إن كانت على ذلك قادرة.

وقبل أن تقول للشعب ألق إليّ فراخك، هذه المرة عليها أن تعيد التفكير بمصيرها، لأن الشعب لم يقل كلمته بعد.

عليها أن تعرف أنها أصبحت عاجزة كل العجز عن حكم البلاد، وأن الفرص التي واتتها سابقاً قد فرّت إلى الأبد، وأن ما كان يصحّ بالأمس لم يعد صحيحاً في هذه الأيام.

وعليها أن تدرك واقع البلاد، فتتفاعل معه، وتتكيف به، لتحافظ على ما لا تستطيع أن تحافظ عليه، وهي ممعنة في الأذى منصرفة إلى التخريب.

إن التخريب هين، ولكن نتائجه غير مضمونة.

والسعيد من اتعظ بغيره، والشقي من اتعظ بنفسه.

وقديماً قال تعالى: وإذا أردنا أن نهلك قرية، أمرنا مترفيها ففسقوا فيها، فحق عليهم القول، فدمرناها تدميرا.. صدق الله العظيم .

في عدد ٥ نيسان يشير مانشيت الثورة إلى مجلس رئاسة من خمسة أعضاء.. والعناوين كالتالي:

مجلس رئاسة من خمسة أعضاء /بالأحمر

المجلس الوطني يحتفظ بالسلطة التشريعية خلال فترة انتقالية

البعث العربي ماض في خطه الأصيل غير آبه بالمتساقطين على الدرب

تحت العناوين كما هي الحالة غالباً لا تجد بالضرورة الخبر الذي أخذت منه.. هي تشير إلى خبر ما في الصفحة.. وفي هذا العدد مثلاً نجد أن المانشيت أخذ من حديث للدكتور سامي الجندي وزير الإعلام حول إعداد الدستور الجديد العتيد الموعود.

في عدد الخميس ١٦ نيسان ١٩٦٤ تشير عناوين الثورة إلى "فتنة في حماة" ويقول أحد مانشيتاتها:

موقف الثورة الحازم من الفتن والمؤامرات برهان على جديتها وعمق إخلاصها.

هذا العدد وأعداد أخرى، تشير إلى تراجع فعلي في إخراج الجريدة.. علماً أنه من الأصل لم تكن على مستوى عالٍ.

وكثيراً ما نرى المخرج لا يخضع لأي شروط في عرض مواده.. افتتاحية مثلاً على العمود الأول لا تنتهي بنهايته فتكوع وتحتجز مساحة في العمود الذي يليه.. ما يؤثر على المستوى الفني العام.. وترى أيضاً في عدد مثلاً المانشيتات التالية تتالى على عرض الصفحة الأولى دون جامع يجمعها:

نقل ملكية ثلاث شركات إلى الدولة وتطبيق مبدأ التسيير الذاتي عليها

انتهت محادثات حسين - جونسون وصدر بلاغ مقتضب

نيسان يهدم وآذار يبني /بالأحمر

حماة بأسرها تخف للقاء اللواء الحافظ وتستنكر الفتنة الرجعية

رجال الأحياء والمحامون والأطباء والهيئات الدينية والمزارعون يعربون عن تأييدهم المطلق للثورة

اللواء الحافظ يشيد بكفاح حماة البطولي ويعلن إنهاء حالة الطوارئ.

يمضي الشهر الأول على وجود العرفي مديراً عاماً دون جديد يذكر.. هناك ظهور لزاوية بعنوان "في خدمة المواطن" تشبه زوايا الرقابة الشعبية اليوم.. وهناك أسماء جديدة في الكتابات الفكرية والأدبية.. وهناك استمرار غياب التحقيقات والدراسات الاقتصادية.. والمتابعة..

تظهر الثورة في هذه الفترة حالة تحدٍ يتعرض لها النظام السياسي داخلية وعربية وخارجية ويلحظ عودة التسخين مع عبد الناصر.. وعبد السلام عارف في العراق.

لكن أي إشارة من قريب أو بعيد لاسم اسماعيل العرفي لا نجدها أبداً.. هناك مقابلة مع وزير الصحة الدكتور ابراهيم ماخوس أجراها "رئيس التحرير" ووصفه بالصديق والمقابلة ليست على مستوى عالٍ... وهي تأخذ طابع التصريح الطويل.. حيث ليس هناك أسئلة وأجوبة بل الدكتور ماخوس يتابع حديثه حول الثورة والأمنيات الجديدة.. ويرجح أن تكون المقابلة للأستاذ العرفي.

افتتاحية يومية ذات طبيعة سياسية حماسية كثيراً ما تعرض مواقف فكرية ورسمية نأخذ هذا النموذج:

تعاني الفكرة العربية اليوم محنة مفتعلة من أدعيائها وتبذل الجهود المستميتة لتشويهها وقتلها من الداخل، فاليمين العربي يريد أن يفرغ الفكرة القومية من محتواها التقدمي الاشتراكي الإنساني، ويريد بالتالي أن يخنقها في قوقعة ضيقة بعيدة عن أصالتها وطاقاتها النضالية التي لم تقتصر يوماً على تحرير العرب فحسب وإنما كانت تصب من خلال معارك التحرير هذه في تيار النضال الإنساني المشترك.

واليسار العربي الانتهازي المتشنج يريد أن ينطلق من رد الفعل المقابل، فيحاول أن يجرد أيضاً الفكرة القومية من جذورها الضاربة في أعماق هذا الوطن وأن يصب النضال العربي في مجار كاذبة وقوالب جاهزة مشبوهة بعيدة عن التبلور الصحيح الخاص بقوانين وحاجات هذا النضال.

وتلتقي هاتان الفئتان رغم تباعدهما الظاهر في نقطة أساسية هي تشويه وتخريب الحركة القومية العربية الأصيلة، وإدخال اليأس والقنوط إلى نفوس الجماهير العربية وإشعارها بفشل الحركة القومية وعقمها وقصورها عن استيعاب أبعاد وأعماق متطلبات هذه الجماهير الثورية، وما هذا

الانشقاق الذي تتناقل أخباره الصحف في حركة القوميين العرب بين يمين ويسار وما سقوط بعض المتزمتين والمتشنجين على طريق البعث إلا دليل على المؤامرة الكبرى التي تتعرض لها الحركة القومية.

ونحن الجيل العربي الذي آمن بكل بساطة وعفوية وصدق بالقومية العربية بأبعادها التاريخية ومحتواها الاشتراكي التقدمي الإنساني وبقدرتها على استيعاب حركة الجماهير العربية الهادرة في طريق الوحدة والحرية وخلق المجتمع العربي الاشتراكي المتحضر والقادر على المساهمة الفعالة في إغناء النضال الإنساني وجعل الكفاح المشترك من أجل خلق حياة زاخرة بالعدل والمحبة والسعادة لجميع الشعوب هدفاً قومياً لجماهير شعبنا. نحن اليوم مدعوون أكثر من أي وقت مضى لفضح هذه الاتجاهات الخطرة التي تحاول طمس القضية القومية التي آمن بها شعبنا بين يمين رجعي عقيم ويسار متشنج انتهازي مبتور الجذور.

لأننا نرى أن واجب الطليعة العربية اليوم أن تناضل بلا هوادة لترسيخ وتوضيح المفهوم الأصيل لفكرتنا القومية القادرة وحدها على استيعاب متطلبات وآمال جماهيرنا المكافحة في سبيل حياة أفضل وأصدق، ولن نسمح لأي دعي يستسهل القوالب الجاهزة والنظريات المستوردة بأن يشوه عقيدة شعبنا، وإن كنا نؤمن إيماناً راسخاً بضرورة الانفتاح على جميع تجارب الشعوب الأخرى وتمثل نضال هذه الشعوب، إلا أننا نؤمن بأن النحلة الأصيلة العاملة تحول جميع أنواع النسغ الذي تمتصه من رحيق الأزهار إلى طبيعتها الخاصة وتحيله عسلاً مصفى.

في القراءة لهذه الافتتاحية ولمعظم الافتتاحيات والزوايا والمقالات يمكن أن نستشف أن البعث حسم أمر السلطة له كحزب دون فرز.. وهذا يعني توزع الرأي على مستويات تبدأ من الرأسمالية الوطنية والعدالة الاجتماعية ولا تنتهي عند الماركسية اللينينية.

تظهر الصحيفة ببراءة غير مقصودة بذور خلافات داخل الحزب الحاكم طابعها العام اليمين واليسار.. القومية الوطنية أو الأممية وقاعدتها الصراع على السلطة.

بعد شهر على وجود العرفي تبدأ معالم تغيير حقيقية في الصحيفة وتظهر أسماء وأنواع صحفية جديدة.. ويبدو أن التغيير كان للأفضل بغض النظر عن فرق المستوى المهني المفترض بين رئيسي التحرير المتعاقبين يجب ألا نتجاهل هنا أن المرحوم الأستاذ الشريف كان من أنصار الرئيس عبد الناصر.. ولم يكن له أن لا يتأثر بما جرى في صراع البعث مع الناصريين ولاسيما في حركة ١٨ تموز الانقلابية الفاشلة التي قام بها لفيف من الضباط الناصريين ضد نظام الحكم بما لا بد أن ينعكس على أداء الصحيفة. وبكل الأحوال كل البعثيين ذوي الميول الناصرية كان تعاونهم مع الحكم قد بدأ ينهار.. ولن يطول الزمن حتى يترك المرحوم سامي الجندي وزارة الإعلام والبعث أيضاً.

طبعاً هذا لا يعني أبداً أن نبخس الأستاذ العرفي حقه.. الحقيقة التي بين أيدينا هي تحسن في الصحيفة إخراجاً وتنوعاً بهذا المستوى أو ذاك، اقترن بازدياد الحماس الثوري البعثي..

في الشكل نجد الثورة قللت من ضجيج وتشابك المواد والأعمدة.. وأعطت شكلاً أسلس.. ولا يخفي ذلك الطابع التجريبي.. إذ نجد أحياناً أن لوغو الصحيفة يتغير مرات عدة خلال فترة لا تتجاوز الأسبوعين.

يبدأ التطوير الإخراجي من الصفحة الأولى.. أول خطوة، الافتتاحية تحت المانشيتات التي تصبح على ٨ أعمدة أو كامل عرض الصفحة.. ويصغر حجمها ويقل عدد كلماتها.. كذلك زاوية "وجهاً لوجه" التي يطل عليها كاتب آخر أو يوقع بحرف "ر".

بشكل عام هناك تراجع في ضجيج الصفحات بما يعطي لمسة أهدأ.

كلمة "الثورة" أو نسميها تجاوزاً "اللوغو".. نقلت من وسط الصفحة إلى يمينها.. بحجم صغير وبوضع أمامها مجموعة أخبار وأحياناً خبر بمانشيت منفصل فوق اللوغو.. في ١٣ أيار ١٩٦٤ يظهر اللوغو باللون الأحمر لأول مرة، وكانت بالأسود.. نعطي عرض نحو ٣ أعمدة "١٥ سم" وعلى يمين أعلى الصفحة ثم وبعد فترة قصيرة تعود إلى منتصف أعلى الصفحة ويعود حجمها أصغر.. لكنها حافظت على اللون الأحمر فوق شريط أسود كتبت عليه عبارة "وحدة – حرية – اشتراكية".

ومرة ثالثة تعود إلى يمين أعلى الصفحة بعرض أقل..

هذا ما يشعرك بالتجريب.. وربما التردد.. وعلى كل حال كلاهما طبيعي في صحيفة ما زالت في العام الأول من عمرها.

تطورات الإخراج الأخرى.. ليست ملحوظة كثيراً.. يدخل الكاريكاتير عاملاً جديداً في تجديد الهوية الإخراجية ويفرد له حيز على الأولى ونحو نصف الصفحة الأخيرة.. وتتصف هذه الكاريكاتيرات بالتوجه الحماسي المباشر من الناحية الصحفية..

أما خطوطها الفنية فهي جيدة بالعموم.. وعلى كل حال لا يتصف وجود الكاريكاتير بالدورية اليومية سواء في الصفحة الأولى أم على الصفحة الأخيرة.

تبدأ في هذه الفترة أيضاً التحقيقات الصحفية والتقارير المحلية بالظهور مغفلة من التوقيع غالباً. ويظهر في مواد الصفحة الثقافية المنوعة وتغيب عنها المطولات المترجمة.. واللافت أن معظم الأسماء الجديدة "الكادر" يطل من هذه الصفحة وغالباً من زاوية "شيء ما".. هاني الحاج.. يوسف مقدسي.. سعيد مقداد ومظفر شاكر.. حتى التحقيق الصحفي الذي أخذ يعزز خطواته بدأ من هذه الصفحة.. "تحقيق عن كلية الفنون الجميلة (الأحد ٢٤ أيار).

تظهر زاوية في الصفحات المحلية اسمها "شؤوننا المحلية" أيضاً غير مذيلة بتوقيع .. أحياناً يستخدم الرمز "م.د".

في المضمون.. مزيد من الالتزام، وتوسع الاهتمام بالشأن العربي سلباً وإيجاباً.. وغالباً تحدياً.. نشرت الثورة خلال هذه الفترة مجموعة من الصور ولقاءات مثيرة عربية بين قادة عرب قدامى.

الملك فاروق.. الملك عبد العزيز آل سعود.. وغيرهما.

وقالت الصحيفة:

"عثرت الثورة على كتاب مصور عن التاريخ العربي الحديث ونظراً لأهميته سننشره تباعاً".

وانتهت من نشره راصدة له نحو نصف الصفحة الأخيرة في ٢٣ حزيران ١٩٦٤ حيث بدأته في ١٢ حزيران ودائماً أكدت العبارة نفسها حول المصدر.. هناك طبعاً تصدٍ مستمر للسياسة الإسرائيلية... وكانت فصول العدوان الإسرائيلي بتحويل مجرى نهر الأردن مستمرة.. وهو الفعل الذي عجزت الأنظمة العربية عن حماية رفضها له.. واستمر التقاعس إلى أن كانت حرب حزيران ١٩٦٧ ولم تعد إسرائيل بحاجة لتحويل الأردن.. طبعاً إضافة إلى الشأن المحلي المتابع إخبارياً بدقة وتوسع .. ويشير إلى نشاط سياسي محلي واضح حيث بدأت تجربة التحويل الاشتراكي والانفتاح العريض على الشعب.

في هذه الفترة يجري الحديث بصورة مستمرة عن الدستور المنتظر ويتابع المجلس الوطني لقيادة الثورة "معين" مهمة التشريع وصياغة الدستور.. وتهتم الثورة بتغطية هذا الحراك بما يتيسر لها من أخباره وأحياناً يُعطى للخبر مانشيت بين مجموعة المانشيتات المنوعة والخبر صغير جداً حول الدستور حصل عليه المحرر.

في عدد ١١ نيسان هناك مانشيت أحمر يليه آخر أسود يقولان:

الدستور القادم

ثمرة التجارب الشعبية العربية والإنسانية

ولا تجد خبراً؟!

أحياناً يكون هناك خبر من أربعة أو خمسة أسطر..

وفي كل الأحوال يضيع جهد المحرر في الضجيج الإخراجي الذي خف كثيراً فيما بعد في إطار ما سميناه تطوراً إخراجياً.

في العدد نفسه هناك افتتاحية حول الدستور، غير مذيلة بتوقيع.. ويرجح ان تكون للأستاذ العرفي:

الدستور هو الخطوط الأولية التي تمهد لصورة المستقبل، وإذا كان المستقبل هو الذي يعنينا بالدرجة الأولى، فإن رؤية هذا المستقبل باعتقادنا ستكون مهددة دوماً ما لم تتفتح على رؤية واضحة للتجربة التي عاشها الشعب أولاً وللتجارب الإنسانية ثانياً.

وسوريتنا العربية التي خذلت وتجاوزت كل تنبؤات الحاقدين والطامعين والمتعبين، والتي تأخذ اليوم سبيلها وسط الصعاب، لخطوة أخرى على طريق الثورة.

سوريتنا الثورية لا بد لها من أجل هذه الخطوة من سبر التجربة، فلتستمع بإيجاز إلى هذه التجربة؟ المحلية، والعالمية المحلية.

في التجربة المحلية ظاهرتان أساسيتان:

- **الحكم البرلماني.**
- **الحكم العسكري.**

كان الحكم البرلماني على الطريقة الغربية أحد المساوئ التي أورثنا إياها الاستعمار الفرنسي.

وبالإضافة إلى ظروف التخلف الاجتماعي والاقتصادي عانينا بعد الاستقلال من عدم الاستقرار الذي اتصف به هذا النوع من الحكم في فرنسا.

وتعاون التخلف مع عدم الاستقرار مع حكم المزرعة الذي نتج عن طبيعة ذلك النظام لينفجر بوجه الشعب بكارثة فلسطين.

وابتداء من تلك الكارثة اتجه الخط البياني لشريك آخر في حكم سورية، هو الحكم العسكري، ورغم ما أحيط به في البداية من تأييد ونوايا

وآمال شعبية بسبب من فشل الحكم البرلماني، وبسبب من ميل فطري عند الشعب لعبادة البطولة، فقد أدت تلك الشراكة إلى المأساة التي تركت أسوأ انطباع عن سورية العربية وشعبها ما زال منها في النفوس ما يشكك بقدرة هذا البلد وكفاءته على حكم نفسه بنفسه.

وذلك راجع إلى أن الحكم العسكري يعتمد الفرد والفرد كإنسان، وفي المجتمع المتخلف الذي تضعف فيه المنظمات الشعبية فهو معرض للطغيان.

والطغيان أحد المزالق الرئيسية التي تؤدي للارتماء الخارجي.

وهكذا كشفت سورية البطلة صراع الاختيار الفاسد، بين الحكم البرلماني والحكم العسكري وعاشت الحلقة المفرغة التي أراد لها النفوذ الأجنبي والصهيوني أن تبقى فيها.

وفي ذلك الوسط المعتم ولد البعث العربي الاشتراكي المنظمة الشعبية الانقلابية، التي حللت الواقع وأدانته وحكمت بأن تغييره لن يتم إلا بالطريق الانقلابي؟

وتآخى على الطريق المصنع والحقل والحصن والقلم الثائر وساروا سوية ليصنعوا المستقبل العربي.

وعلى الطريق ارتكبوا الخطيئة عام ١٩٥٨ التي تنازلوا فيها عن تلك الأمانة التي في أعناقهم وألقوا بها إلى غيرهم، الخطيئة التي تركت آثارها إلى اليوم، والتي تعرضت نتيجة لها الحركة العربية الشعبية الكبرى إلى التمزق والتفتت والموت، لولا أصالة لها، وأصالة للعروبة فيها.

واليوم والحركة في عيدها السابع عشر وبعد سنة ونيف على انتصار آذار العظيم الذي كسر طوق الحلقة المفرغة، وأمام تصور المستقبل يجدر بنا أن لا ننسى الماضي، أن لا ننسى التجربة.

تشير الثورة في عددها الصادر في ١٤ أيار ١٩٦٤..

أن المجلس الوطني لقيادة الثورة قد انتخبت مجلساً للرئاسة قام على الفور "مجلس الرئاسة" بتشكيل حكومة برئاسة المرحوم صلاح الدين البيطار

رئيس الوزارة السابق ونائب رئيس مجلس الرئاسة المنتخب.. والذي ضم إضافة إلى رئيسه الفريق أمين الحافظ والأستاذ البيطار المرحومين اللواء محمد عمران ومنصور الأطرش والدكتور نور الدين الأتاسي.

من قرارات المجلس اللافتة صدر في اليوم ذاته يوم الانتخاب وتشكيل الحكومة الجديدة أنه أعطى لترفيع اللواء أمين الحافظ إلى رتبة فريق مفعولاً رجعياً فجعله يبدأ من ١٩٦٤/٤/٢٠!!

تشكيل الحكومة أظهر الحسم الأخير مع كل ذوي الميول الناصرية.. وغادر المرحوم الدكتور سامي الجندي وزارة الإعلام تاركاً الأمور للمرحوم الدكتور عبد الله عبد الدايم.

الشمعة الأولى

هذه هي الثورة وتلك هي الأجواء، مضى عام على عددها الأول وأطفأت الشمعة.. لا تستطيع أعدادها الصادرة أن تقدم فكرة كاملة عن احتمالات تطورها إلا مرتبطاً بتطورات النظام السياسي.

تلك الحقبة ورغم الحسم البعثي للسلطة وتسلم زمام الأمور كاملة في قيادة الدولة والمجتمع، لم يكن ذلك كافياً لتوضيح هوية الجريدة.

فالبلد مليء بالتجاذبات التي تصل حد التناقضات والمنطقة كلها في حالة مد وجذر، من أين لصحيفة تصدر عن مؤسسة حكومية أن تكون صوتاً منفرداً في وسط هذه الأجواء.

لا الصحيفة ادعت.. ولا أحد طلب منها ذلك.

إنها لسان حال حكومة الثورة، رأي ولسان حال النظام السياسي المتشكل بعد سلسلة من الصراعات السياسية بين قوى تدور في الفلك ذاته غالباً، والاشتباك السياسي الأساسي في حينه كان بين البعثيين (سورية) والناصريين (مصر)..

عبد الناصر لم يكن يريد أن ينسى ما اعتبره خطأ جسيماً اقترفه البعثيون في دمشق بعد حركة ١٨ تموز ١٩٦٣ الفاشلة وما شهده تصفية هذه الحركة من إعدامات، هذا إضافة إلى توقيع عدد من الشخصيات البعثية صك الانفصال بين شطري وحدة ١٩٥٨.. وهو ما ظل الرئيس عبد الناصر متألماً منه على مر السنين وقد رفض دائماً العودة لاسم الجمهورية المصرية محافظاً على اسم الجمهورية العربية المتحدة.

البعثيون بدورهم لم ينسوا ما اعتبروه خطأ جسيماً للرئيس عبد الناصر إبان الوحدة، تمثل بإقصائهم والاعتماد على غيرهم في حماية دولة الوحدة بعد نقل عدد كبير من الضباط البعثيين للخدمة في الإقليم الجنوبي (مصر)، وبقرار حل الحزب وهو ما أدى إلى انشقاقات وظهور تنظيمات وليدة بين عبد الناصر والبعث كانت تدور تيارات سياسية على منطوق عام واحد الفكر القومي والتوجه الاشتراكي لكنها أبداً ليست موحدة الصفوف وهو ما أظهر أن البعث وحده هو التنظيم الأساسي الذي يمكن لهذه الاصطفافات أن تدور حوله.

مع الأحزاب الأخرى لم تكن الأمور على ما يرام إرث الانتقام المتبادل بين البعثيين والسوريين والقوميين لم يصف بعد.. وليس من فرصة للثقة المتبادلة.. وبكل الأحوال فإن السوريين القوميين بعد الضربة التي تلقوها عقب اغتيال العقيد المرحوم عدنان المالكي في نيسان ١٩٥٥ لم يقودوا تنظيماً له قوته في الشارع ولكنهم بالتأكيد لم يموتوا.

الشيوعيون.. ورغم كثرة ما تلاقوا في عمل جبهوي مع البعثيين إلا أنهما أيضاً لم يتبادلا الثقة الكاملة. وعلى مدى أشهر مضت كان الخلاف على أشده بسبب موقف الاتحاد السوفياتي من المحاولة البعثية لحسم تمرد إقليم كردستان شمال العراق.. كما أنه وخلال حكم البعث للعراق حاول الشيوعيون القيام بانقلاب اشتهر باسم حركة معسكرات الرشيد.. لكن الشيوعيين كان لا بد لهم من مراعاة واقع التحول باتجاه الاشتراكية الذي كان بدأ على قدم وساق في سورية بقيادة البعث.. رغم ملاحظاتهم الكثيرة على المنهج الفكري والأسلوب.

الأخوان المسلمون.. لم يكن ثمة ما يجمعهم بالبعث.. لا الفكر القومي ولا الاشتراكية.. وكثيراً ما وقفوا يناصرون تحركات التجار والرأسماليين في مقاومة الإجراءات الاشتراكية.

كل هؤلاء لم يمثلوا التحدي الكبير لقيادة البعث.. بل كان التحدي داخل الحزب.. وهو الذي ينضوي تحت لوائه من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.. من الأممي إلى القومي والاسلامي.

ذلك كله لم يكن غائباً عن صفحات ومقالات الجريدة الوليدة التي اطفأت شمعتها الأولى مع المرحوم اسماعيل العرفي.. وهو كما أسلفنا صاحب اتجاه في البعث لا يجعله كامل الانسجام مع قيادة الحزب والدولة.. ولا بد أن ينعكس ذلك على أداء الصحيفة التي تحاول أن تسير بحماس الشباب المراهنين على الحلم وبقليل من التجربة المهنية.

المهم الآن أنه بالأرضية التي أسستها في عامها الأول ورغم باكورة التجربة وكثرة الخلافات وحدتها أحياناً... كانت تصلح فعلاً للاستمرار وتتابعت الأيام.

موزع صحفي غير معتمد

كما صفّنا ومدرستنا كان الشارع.. بعثيون وناصريون وإسلاميون وأمميون.. والخ.. ومثل المدرسة كان المسعى لضبّ الشارع.. في المدرسة نقف في الصباح لنردد: "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة" ونهتف بالوحدة والحرية والاشتراكية.. لا فرق في ذلك بين بعثي أو شيوعي أو إسلامي أو لا منتمٍ "مثلي أنا".. وعلى الشارع أن يحسن رجع الصدى.. الحوار كان قائماً وينتقل من مجموعة إلى أخرى.. وغالباً حوار كسر العظم.

مع أرغفة الخبز التي عاد بها متأخراً، بعد أن شغلته فرجةٌ.. روى لنا كيف كان المعترضون المتآمرون الرافضون قرارات الاشتراكية يقادون بسيارات مكشوفة إلى سجن المزة العسكري وهم يهتفون انتصاراً للنظام السياسي وعلى حداثة سننا أضحكنا تصوير المشهد.

كانت "الثورة" تورد يومياً أخباراً وتعليقات ومقالات وصوراً عما يجري.. وقد انتصرت لها.. ما كنت أسمعه في المدرسة عن الأحداث كان مختلفاً جداً عما تنشره الجريدة.. ولأنني مؤتلف معها في بيان المعلومات وليس لي مصدر آخر تبنيت موقفها ودافعت عن محتواه.

بدأت مشكلاتي في المدرسة. بدأت أشط بعقلي بعيداً.. وأخلط بين الحلم والحقيقة.. وهذا يقضي بتراجع الاهتمام في الدراسة والتحصيل وتقدم احتمالات السقوط.. أو على الأقل درجات لا توصل للهندسة ولا لغيرها..

في شطط الأحلام اعترض ذهني مراراً أسئلة محددة.. من هو فلان "من كتّاب الجريدة" كيف شكله؟! من أين يأتي بما يكتبه؟!

ممدوح عدوان ..خلدون الشمعة.. جورج طرابيشي.. عبود كاسوحة.. الخ.

كنت أسأل أخي عنهم.. وأكثر من مرة توفرت لي فرصة طارئة لأرى أحدهم..

- أتمنى أن تنشروا اسمي في الجريدة.

- أية جريدة!؟

- جريدتكم "الثورة".

- كيف يعني..؟!

- يعني أكتب "شغلة" وأنشر اسمي.

بابتسامة ساخرة قال لي:

- غداً تنجح بالبكالوريا وننشر اسمك..

أيقظني من الحلم بالصفعة.. الأيام تمضي وموعد الامتحانات يتقدم.. وأنا أسبح على بساط للريح من ورق ..جريدة الثورة.. الأسبوع العربي.. الموقف الرياضي.. الخ.

استغَلَلْتُ أول عطلة تسمح لي بالابتعاد عن دمشق فقصدت القرية وبين ما أحمله مجموعة من أعداد الثورة.. لا أدري عشرة، خمسة عشر.. جمعتها من بيتنا طبعاً من تواريخَ مختلفة وأحدثها مضى على صدوره يومان أو ثلاثة قبل وصولي، اختطفتها الأيدي منّي عندما شعروا برغبتي في توزيعها.. لا ضرورة للحداثة، حمل الجريدة في قريتنا أو حتى في مدينة أكبر من قريتنا بقليل، يعني أن حاملها أستاذ بحق لا ينقصه إلا "النضارات".

علاء كان الوحيد الذي طلب عدداً ثانياً، علماً أنه أول من أخذ.. سألته:

- قرأت العدد الذي أخذته؟!

- كنت أقرأ فيه.

- ثم..

- عندما ذهبت لبيت عمي أخذته معي.. وشتت الدنيا بقوة، فوضعته على رأسي.

- اهترأ..؟!

- ليس ذلك وحسب.. بل سال منه زفت أسود بهدل قميصي.

- بهدل قميصك؟ كان ينقصه قميصك؟!

لم أعطه عدداً ثانياً.. عاقبته.. وكنت منبهراً بما أوضحه لي عن لون أسود سال فوق قميصه..

إذن، هذا اللون الأسود الذي أخرج به بعد تعاملٍ لوقت محدد مع الجريدة.. هو لون الحبر.

سيأتي يوم أعرف فيه السر، عندما أكتشف أن ذاك الغامض الأسود المثير المنشور على الورق إن هو إلا حبر تدلك به أحرف الرصاص ويمر الورق عليه مضغوطاً فتكون الجريدة.

عندما سألني "الدكنجي" في حارتنا عن حصته من الجرائد.. قلت له: أنت لا تعرف القراءة.. فأجابني بنزق: "ليش" الجرائد للقراءة؟!

لم أره في حياتي يستخدم جريدة للصرّ.. كانت الجرائد قليلة.. كان يستخدم أوراق مجلات.. أو دفاتر مكتوبة سُجّل عليها تاريخ حافل لأبطال المدارس الذين ربما تخرّجوا منها بعد جولة بضع سنوات بدرجة "أمي" بامتياز. أو يصرّ بأوراق كتاب ما، لا أحد يعرف كيف يصله..

أغاظني احتقاره "الثورة" معتبراً أنها دفتر خربشات لتلاميذ فاشلين أو أوراق كتاب عديم النفع.. ولم أغفر له إلا عندما قرأت "الأيام" لطه حسين.. فاكتشفت أنه ذات يوم صرّ لي بضع حبات كراميلا بأوراق منه.

تعلقت بالثورة أكثر حتى من أخي الذي يعمل فيها.. واستمريت عاشقاً حتى تمّ الزواج وبدأت العمل فيها.. ثم اكتشفت أنه زواج كاثوليكي لا تفريق بعده.. يومها تساهلت كثيراً في استخدامها للصرّ بل مارست الهواية والغواية..

عدت من الإجازة وقد حصلت على بعض الترقّي الاجتماعي.. إلى مرتبة موزع جرائد.. ومجاناً.. لا أحد يعلم، ما ينتظره!

كنت أعيش وحشة دمشق، وغربتي عنها لمدة عشرة أيام.. لم تكن الاتصالات سهلة، بل هي شبه معدومة في قريتنا، والشتاء صعب في الريف،

أما الدراسة والاستعداد للبكالوريا مستفيدين من هذه البيئة فليس أكثر من كلام إنشاء.. بصراحة لم أدرس..قرأت لكن بغير كتب الدراسة، أعدت قراءة مقالات مترجمة مطولة من أعداد من الثورة التي كنت وزعتها، واستعرتها بالرجاء.. وأحياناً كان يُرفض طلبي.

هواجس وأمنيات وأنا أجاور النافذة في عربة "باص" وقد تجاوزت بانياس.. البحر من اليمين يكتب رسالة من زبد للريح المليئة برذاذ المطر.. تجاوزت هموم البكالوريا إلى ما بعدها.. تذكرت مقطعاً من القصة التي نقرؤها ضمن منهاج مادة اللغة الإنكليزية واسمها "القلعة" للدكتور أ. ج. كرونين.. ويبدو لي من خلال تذكر تلك الرواية المشوقة أنه كان طبيباً.

بطل روايته يحمل شهادة الطب ويتجه عبر الأرياف إلى البلدة التي عُيِّن فيها وهو في حالة توجس من المستقبل.. ويروي أنه عندما رأى عمالاً تحت المطر يرفعون فؤوسهم ويضربون بها الأرض.. أحس بانتعاش الحياة وامتلأ سعادة وجرأة.

كان البحر مرة أخرى يستصغرني مؤكداً خلوده.. تذكرت شواطئ جبلة الصخرية.. وعانقني انطباع "أندرو مانسون" بطل القصة وحسدته أن في جيبه شهادة طب في حين يتهددني الفشل في البكالوريا.. بل أحببت لو أتجه إلى الطب..

في الرواية أن أندريه مانسون اشترى جريدة في طريقه إلى بلدته.. كان ذلك أمراً آخر أحسده عليه.. غمرني شوق أن استمع الآن إلى أخبار "الثورة" تروى في بيتنا متقطعة دون تعمد.. وكان لا بد أن أشتري جريدة.

عبرنا حمص بسرعة.. لم يكن من استراحة.. الباصات كانت تستريح في "النبك".. أريد جريدة مثل "اندرو مانسون" ولا مانع أن أكون طبيباً.. لكن.. أفضل الهندسة.

توقفنا في بلدة "قارة" لعطل فني، أسرعت إلى دكان، سألته من أين أشتري جريدة الثورة.. قال لي وكان خمسينياً بثياب عربية يشعر وجهه بحب الضحك: لدينا الثورة.. أما جريدة.. لا يوجد.

لم يمنعني غضبي من الضحك وسألته: لماذا لا تريدون جريدة؟!

لبس وجهه ثوب الجدية وقال لي: يا ابني.. ألا تريد أن يكون هناك من يعرف أن يقرأ أولاً؟.. ثم ضحك.

قلت: حسن سأشتريها من النبك.

قال ساخراً: هناك؟!

توقفنا في النبك.. بحثت.. لا ثورة ولا جريدة.. اكتفيت بسندويشة بيض مع لبن مصفى أحزنني كثيراً أن أنتهي من قضمها.

في بيتنا في دمشق الجديدة.. أول ما فتحت الباب أطل عليّ ورقها الأصفر.. مرمية على الأرض.. والعدد ليس قديماً.. رفعتها عن الأرض.. وعلى الواقف تصفحتها لم أكن قد أغلقت الباب أو أدخلت حقيبتي والسلة المليئة بطعام من القرية.. وعندما تذكرت.. قررت أن تنتظرني الجريدة حتى المساء، ولاسيما أن "بوز أندرو مانسون" في الحافلة قد فاتني، ولجأت إلى السلة وأخذت كبة واحدة بسلق.. وفجلة.. "أحسن من مئة جريدة".

استغرب أخي في المساء عندما سألته عن أسماء محددة في الجريدة.. وعوضاً عن أن يجيبني سألني:

- كيف كانت دراستك؟!
- منيحة.. وأنت؟!

كان في السنة الأخيرة في كلية التجارة بجامعة دمشق وكان ماهراً بحق.. ومتألقاً.. وكنت أحسده.. كان يعيش شبابه كما يريد.. وقد أفدت منه

كثيراً في أن أتابع شؤوناً ثقافية وإعلامية لافتة.. علماً أنه كان يعمل في الشؤون المالية وقد طالت إقامته في "الثورة" قبل أن يتجه إلى أعمال التأمين وإعادة التأمين.

استهجن كثيراً أن أسأله أنا عن دراسته.. وغالباً اتصفت ردود فعله على حماقات لنا باللطافة، بما يتناسب مع اسمه "عبد اللطيف".

عندما أعددت له كأساً من الشاي كافأني بالقول:

- أما زلت تريد نشر اسمك في الجريدة؟!

- كيف يعني؟!

- أن تكون صحفياً.

تأكدت من سخريته مني وقلت:

- نعم..

- كما أوصيتك احرص أن ينشر بنتائج البكالوريا أولاً.

البكالوريا ..البكالوريا.. وبعدين..

كم أرقتني هذه "البعدين".. البكالوريا وما بعدها أول معركة حقيقية في حياتي تدميني بجد.. كتب الدراسة كانت تشهيني قراءة أي شيء إلا هي.. وقد أفادني ذلك بقراءة كتب وروايات ودواوين "شعر" ومجلات بينها مجلة "شعر" التي كان يواظب أخي على شرائها وأيضاً أنشأت علاقة أقيّمها الآن أنها علاقة حب حقيقي بيني وبين الثورة.عندما قصدت في صباح دمشقي من بداية صيف مدرسة "اللاييك" أو المعهد العربي الفرنسي في أول شارع بغداد لأتقدم إلى امتحانات البكالوريا.. أخذت معي عدد الثورة.. على باب القاعة قال لي رئيسها:

- "الجريدة ممنوعة يا ابني.

أخذتها على سبيل المزاح وسألته:

- جريدة الثورة ممنوعة.

- أي جريدة ممنوعة.. ضعها هنا.

كان عبد الحميد قد أخذ مكانه في المقعد الأول.. قال لرئيس القاعة ضاحكاً:

- "أستاذ" دير بالك بتفسد أخلاقك هذه الجريدة.

ورد فيصل من مقعد مجاور:

- أسعد عبود يحملها معه تيمناً.

طلب رئيس القاعة الهدوء والتزام الصمت وعبس قليلاً وقال:

- التيمن يكون بالمصحف.. وتابع مستغرباً: افتكرت نفسي جريئاً!.

كان الرجل جريئاً بالفعل.. فقد تحمل على مسؤوليته إدخال طالب إلى قاعة الامتحان كان تأخر عشر دقائق بسبب نسيانه بطاقة الامتحان وعودته ليحضرها.. كما أنه عندما قدمنا الفيزياء وكان هو أستاذ فيزياء.. وبدأ العرق والأرق لنجيب على الطلب الأول من المسألة: أحسب شدة التيار.

شرح لنا أن نفترض شدة التيار لمن لم يعرف أن يستخرجها ونجيب على باقي الأسئلة.. يعني أن حالة العصلجة عنته تماماً.

عندما خرجنا من قاعة الامتحان ومعي الجريدة.. قال لي فيصل: لقد خاف رئيس القاعة من "الأزفستيا تبعك" أن تنقض وضوءه..

أخبرته بأنه قال: كنت أعتبر نفسي جريئاً.

قال لي: هذا أخوان.. اليوم البعثي فقط جريء..

لم تكن الثورة على هوى بي كما أنا على هوى بها..

صحيح أنها نشرت اسمي لأول مرة بين الناجحين في الفرع العلمي ثانوية ابن خلدون.. لكن.. (١٣٦) درجة والتربية الدينية ضمناً.

أتراها عطّلت إمكانية دخولي الهندسة كي تنفرد بي فيما بعد.

تجريب مستمر

بدأت "الثورة" عامها الثاني بالعدد الموافق ١٩٦٤/٧/١ المانشيت يتحدث عن أزمة الحكم في لبنان.

الأزمة بلبنان تتعثر بين التجديد والتجميد.

في صفحات العدد نفسه بدأت تنويعات صحفية تشير إلى تعزيز الكادر العامل.. على صفحتي العربي والدولي والدراسات بدأت تظهر أخبار وتقارير بدلاً من المقالات المطولة التي كانت غالباً مترجمة.. وتشغل مساحات كبيرة.

الاهتمام اللافت للصحيفة بالشأن الدولي استمر واضحاً في مختلف الصفحات بما فيها الثقافية..

في العدد نفسه تقرأ على الصفحتين الدوليتين:

الكونغو يقترب من حافة أزمة جديدة.

كمبوديا تناضل ضد الاستعمار الأميركي

مذكرات أوزولد المتهم بقتل الرئيس الأميركي جون كينيدي تثير ضجة

هيوم "رئيس وزراء بريطانيا" يعلن تأييده لأميركا في سياستها بجنوب شرق آسيا.

تبادل المعلومات بين أميركا والحلف الأطلسي

التأميم في بريطانيا بين المحافظين والعمال

حول عودة الجنرال "غريفاس" إلى قبرص

اهتمام دولي واضح.. وجيد.. ورغم أن موقف الصحيفة لا يخفى في كثير من المواقع، من حيث رفضها للسياسات الغربية ومعاداتها لها، إنما

تشعرها في التقارير والمقالات غير المباشرة حيادية، إما لأن تركيبتها كانت ستمنع إظهار موقفها واضحاً وإما أن ذلك اللاموقف كان قائماً لدى الحكومة التي يمثلها..

بشكل عام، واضح أن الصحيفة تؤيد حركات التحرر الوطني ومسيرات دول العالم الثالث.

وهكذا مع صورة وكاريكاتير تجد في الجريدة تنويعة نشر بالشأن الدولي أفضل، هناك تقرير مثلاً لمراد كاسوحة يتحدث عن (بندرنايكة) رئيسة وزراء سيلان، وأول رئيسة وزراء في العالم.

التجدد في الصحيفة يظهر بشكل أفضل في صفحات الثقافة والمنوعات "الصفحة الأخيرة" هناك خروج من حالة الصرامة بالصور المعبرة عن نشاطات الدولة والقيادة والجماهير يتخللها أحياناً رسم كاريكاتيري لا يقل عنها صرامة.. لنجد محاولة لترطيب أجواء القارئ بصور أزياء ومايوهات.. ومسابح.. والخ..

وتغيب عن الصفحة الأخيرة زاوية حديث الشعب الحماسية التي حلت محل زاوية "أفكار حرة" لتشغل الصفحة بأخبار سياسية خفيفة وغير سياسية منوعة "أخبار الصباح" ومن "من كل مكان" و"أخبار من العالم".. وهكذا.

بدأت الثورة تستقطب أقلام الكتاب وبدأ كادرها يتعزز بشباب يضخون فيها رؤى تجديدية دون ناظم.. لكنها فترة مليئة بحماس محبب لا يفتقد مقدرات ثقافية وإبداعية.

المجال الثقافي كان الأسرع في التجديد.. بل كان المدخل للعديد من كوادر الصحيفة الذين أسسوا لمرحلة إعلامية قادمة..

صفة الكتابات عموماً يمكن أن نسميها حالة تظهر سورية ورغبة في تغيير.. يكتب ممدوح عدوان مقالاً مطولاً عن دور القصائد قليلة الحياء في إجهاض الفكر الأدبي"حسب تعبيره" وعنوان مقاله:

قصائد بالبكيني..

من الذي سبق الآخر.. قصائد البكيني أم نساء البكيني؟

ويتابع:

الشعراء يسبقون مصممي الأزياء في العالم بالابتكارات.

ويتتابع العمل الثقافي في الصحيفة، تتعدد الأسماء وتكثر الزوايا، تظهر زاوية لممدوح عدوان بعنوان "قالت شهرزاد".

نختار منها هذا النموذج:

يبدو أن قصور القدماء كانت مليئة بالمخدرات والخمور وما شابه، ويقول الراوي أن شهرزاد أدمنت يوماً بعد يوم استعمال هذه الأشياء، حتى خرفت وأصبحت حكاياتها في الفترة الأخيرة مما يصعب على العقل تصديقه حتى اعتبرها الراوي الكريم أول من مهد لاتجاهي السريالية واللامعقول.

ولا ندري إذا كانت شهرزاد فعلاً حشاشة وحكاياتها بهذا الشكل أم أن الراوي هو الذي تناول "شحطة" قبل أن يروي لنا هذه الحكاية:

يقول حضرته أن شهرزاد "حسناء الاسكندرية" قد عاشت في زمن هارون الرشيد، ويؤكد أن شهرزاد هذه هي نفس شهرزاد بطلة ألف ليلة وليلة، وشاهده على ذلك جملة قالها أحد اللصوص في الحكاية " هذه هي الحسناء التي فتنت شهريار ألف ليلة وليلة".

ويمضي الراوي الذي يسهر كل يوم في سينما السفراء قائلاً: إن هارون الرشيد قد استقبل مندوب شارلمان البطل الهمام "رينو" وأن رينو هذا كان جميلاً وشجاعاً استطاع مع شرذمة قليلة من الرجال أن يهزم قبيلة كاملة بعد أن قتل أكثر من نصف فرسانها رغم أنهم عرب وذلك لأن الحق ينتصر دائماً. فهذه القبيلة ليست إلا مجموعة من الأشرار تعيش على السرقات، بينما كان البطل الافرنجي منقذاً وأريحياً.

وتوقف الراوي ليشرب جرعة من كأس الشاي وهو يتفحصنا بعينيه ليرى إن كنا سنصدق، وقلنا في نفوسنا: "لن نحكم حتى نرى النهاية" فتابع حديثه بلهجة رصينة.

"ثم أن برمك، ياسادة يا كرام، وزير هارون الرشيد قد دبّر مكيدة في القصر لاستلام الحكم، وكان هارون الرشيد يومها ضعيف الإرادة أمام الحب إذ قبل بعودة الفتاة التي هربت مع عشيقها في الصحراء عشرة أيام وعند عودتها سفح قلبه على الأرض علها تحنّ بنظرة رضى.

ثم استطاع برمك بعد أن أثار الشعب ضد هارون الرشيد أن يطرد الخليفة من بغداد وهنا كدنا نختنق إذ توقف قليلاً ليزيد في تشويقنا ثم تابع بلهجة من يتصدق علينا بالخاتمة: "ولكن شهرزاد سارعت إلى حبيبها عبر الصحارى والقفار وطلبت منه أن يسارع لنجدة الخليفة كان قد عذب – رينو – إلا أن أريحيته دفعته للعودة ولإنقاذ الخليفة، واستطاع أن يفعل ما عجزت عنه كل جيوش هارون الرشيد: إذ كرّ عليهم مع شرذمة من جنوده ومزق صفوفهم وشتتهم في البراري والقفار أيضاً، وطوال هذه الفترة كنا نصفق ونهتف: "عاش رينو.. البطل.. الإفرنجي.. منذ العرش العباسي" ثم تابع الراوي: "ورضي هارون الرشيد عن رينو وزوجه شهرزاد ، وعندما خرجا من الخيمة تبين أن الخليفة جريح، فمد كفنه على الأرض ثم أسلم الروح".

وختم الراوي الكريم حكايته بهذه الوصية: "لا تصدقوا بعد الآن كل من كتب عن تاريخكم، لا عصر ذهبي ولا "علاك مصدي"، شارلمان لم يرسل رسله للتعرف على الحضارة العربية ومنجزاتها بل إنه كان يرسل دائماً عشرة من فرسانه الأشاوس لإنقاذ التاج العباسي كلما مرّ هذا التاج بأزمة، وإن حادثة البرامكة أيضاً قد دخلها تشويش كثير، وضحته والحمد لله، شركة سينمائية حديثة وبينت أن هارون الرشيد قد قُتل في تلك الحادثة".

فخرجنا نحمد الله الذي أرسل إلينا هذه الشركة "الفظيعة" وقررنا أن نذهب جميعاً لتهنئة لجنة الرقابة على هذه "اللقطة" إذ يجب علينا جميعاً أن نعيد النظر بتاريخنا وهذه هي الخطوة الأولى، وربما أرسلنا إليها برقية "إلى الوراء.. تراجعوا ونحن ندفشكم.

الصفحات المحلية مكتظة كالعادة.. أخبار كثيرة.. ومن الطريف أن الصحيفة في ذاك الزمن كانت تنشر حتى نتائج الناجحين في مسابقة الأول الإعدادي.

وفي الثقافة أيضاً تجد التأثر الواضح بالثقافة الدولية والعرض الدائم لها.. نادراً ما تجد عدداً ليس فيه مقال فكري أو دراسة أدبية أو فنية أو قصيدة أو قصة مترجمة.

ولم تكن الثورة لتمانع أن يحتل خبر دولي صفحتها الأولى "المانشيت الأحمر" أكثر من مرة في الأسبوع مثلاً في عدد ٤ تموز ١٩٦٤ نقرأ بالأحمر المانشيت التالي:

إيرهارد متردد بين فرنسا وأميركا

طبعاً إيرهارد هو زعيم ألمانيا الغربية.. وهذا شأن دولي نحن لا نعلم لماذا تقرر أن يحتل الموقع الأفضل في الصحيفة.

إخراجياً.. ثمة ما يلفت بتراجع الهدوء الذي عرفه إخراج الجريدة بعد تولي اسماعيل العرفي.. وعودة للضجيج.. عاد اللوغو إلى وضعه القديم كلمة "الثورة" بحجم صغير في منتصف أعلى الصفحة وباللون الأسود والافتتاحية إلى الأعلى.

بل إن أعداد الربع الثالث مع عام ١٩٦٤ أظهرت تراجعاً عن ربط هوية المواد بصفحة معينة.. أصبحنا نجد مقالات ثقافية "دولية" في صفحات الثقافة المنوعة وفي صفحة الدراسات.. نقرأ مثلاً في الصفحة الثالثة مع الاحتفاظ بطابعها السياسي الدولي مقالاً بعنوان "ما هو الفن برأي كردتشه" بقلم وليد فستق.. وبشكل عام تظهر حالة تردٍ وتراجع عام في الإخراج.. وضياع لخيوط التناسق التي كانت قائمة.

رغم استمرار الاهتمام بالشأن الدولي بدأت تظهر قصائد ومقالات وقصص لكتّاب سوريين وهناك دائماً أسماء جديدة ما يؤكد أن الصحيفة مستمرة في استقطاب الكتّاب والشعراء: علي كنعان – فايز خضور – عبد

الحق حداد – عبد الكريم الناعم – أم عصام – صالح هواري – دلال حاتم – سعد صائب – عبد الرحيم الحصني – الياس الفاضل – اسكندر لوقا.

طبعاً لا علاقة لتسلسل عرض الأسماء بأي تقييم إنما هكذا وردت على صفحات الجريدة.

إلى حد ما، ورغم استمرار التعليقات الخاطفة أحياناً وبالمانشيتات العريضة أحياناً أخرى على نظامي الرئيسين عبد الناصر وعبد السلام عارف.. تشهد الحالة السياسية العربية نوعاً من الهدوء.. ربما بفعل اقتراب موعدين لمؤتمري قمة الاسكندرية وقمة القاهرة.. القمة العربية وقمة عدم الانحياز.. وتنقل افتتاحيات الثورة من وضع دولي إلى وضع دولي آخر.. كذلك الزوايا السياسية الأخرى نختار منها زاوية هنريت عبودي:

فقد سبق لنا أن نشرنا على هذه الصفحة أكثر من مقال مطول حول الصراع العقائدي القائم الآن بين الاتحاد السوفياتي والصين، منبهين إلى النتائج التي قد تترتب على هذا الصراع والتي قد تقضي في النهاية على وحدة الحركة الشيوعية في العالم، والواقع أن الاتحاد السوفياتي بدخوله هذا الصراع مع الصين قد وضع نفسه في مأزق حرج إذ أصبح مضطراً إلى مراعاة الزعماء الشيوعيين في العالم، وبخاصة في أوروبا الشرقية، من أجل كسبهم لطرفه، فاستغل هؤلاء الزعماء هذه الفرصة للتحرر كل حسب إمكاناته وظروف بلاده الموضوعية من الهيمنة السوفياتية، فكان لا بد للولايات المتحدة أمام موقف الجمهوريات الشعبية هذا أن تعلن عن سياسة جديدة مبنية على حد زعمها على تفهم أعمق لوضع تلك الجمهوريات فتعرض عليها المساعدات الاقتصادية بل تذهب إلى حد إبداء استعدادها لتزويدها بالآلات والتجهيزات الصناعية وربما بالبضائع ذات الطابع الاستراتيجي... وكانت بريطانيا واليابان من قبل، وفرنسا فيما بعد قد بدأت بتوسيع علاقاتها مع الصين، حالة محل الاتحاد السوفياتي .. وهكذا وجد هذا الأخير نفسه في موقف لم يكن ليتوقعه، فبعد فقدان الصين أخذ يفقد

دول أوروبا الشرقية وهي الملقبة عادة بالدول "الدائرة في فلكه" إذ أخذت الواحدة تلو الأخرى تعلن عن نيتها في اتباع سياسة اقتصادية خاصة بها، ترعى مصالحها أكثر من المخططات التي يضعها لها الاتحاد السوفياتي.

وكانت رومانيا أول من رفع راية التمرد عندما رفضت مشاريع خروتشيف الاقتصادية التي لم تحسب حساباً لتطور رومانيا الصناعي، وأعلنت أن الشرط الأول لتطبيق الاشتراكية هو التصنيع، ثم تبعها المجر في طريق التقرب من أميركا ومن بعدها بلغاريا.. والمعروف أن يوغسلافيا كانت قد سلكت هذا الطريق بالذات منذ عام ١٩٤٨.

والسؤال الذي لا بد أن يطرح الآن هو معرفة ما إذا كان خروتشيف سيستمر في سلوك الطريق التي كان قد رسمها للاتحاد السوفياتي، فيفضل معاداة الصين ولو كانت الولايات المتحدة أول من يستفيد من هذه المعاداة، ثم يعود من جديد إلى الوقوف مع الصين جنباً إلى جنب لمواجهة المعسكر الغربي من موقع القوة.

في الأخبار ترد تغطية واسعة للمشكلة القبرصية.. بالمانشيتات والافتتاحية.. جاء في إحدى الافتتاحيات:

يتعرض السلم العالمي في هذه الفترة لأكثر من أزمة تهدد كلها بانفجار الموقف وبأن يتحول عدد من المنازعات التي ظلت حتى الآن في حدود عدم اللجوء السافر إلى استخدام القوة، إلى منازعات مسلحة أشبه بحروب محلية تنذر في كل حين باحتمالات توسع نطاقها واستحالتها إلى اشتباكات كبرى قد تجر إلى حرب عالمية، وقضية قبرص، بعد قضية فيتنام، هي اليوم أحد المصادر الرئيسية للقلق الذي يساور الرأي العام العالمي من اللجوء إلى استخدام القوة كنتيجة للمنازعات القائمة التي لم يتم التوصل إلى حلول سلمية لها.

وإذا كانت قضية قبرص في جوهرها هي مسألة حرية شعبها واستقلاله الذي كافح من أجله كفاحاً طويلاً متصلاً، وتصفية القواعد

الاستعمارية على أرض الجزيرة التي تشكل خطراً حقيقياً وجدياً على حرية شعبها وعلى المنطقة بأسرها، فإن الاستعمار الذي اضطر إلى التراجع أمام نضال شعب قبرص ظل يتطلع إلى المحافظة على مواقعه فيها والإبقاء على قواعده، وفي الخلافات الداخلية وجدت القوى الاستعمارية مرتكزاً لها لمحاولة الإبقاء على سيطرتها وقواعدها، وعن طريق محاولة توسيع هذه الخلافات وتحويلها إلى منازعات مسلحة، وتقسيم قبرص أو تدويلها بذلت القوى الاستعمارية كل ما تملك من جهد.

ولئن استطاع شعب قبرص بإصراره على الدفاع عن استقلاله، وعن حقه في حل قضاياه الداخلية بنفسه دون تدخل خارجي من أية جهة كان مصدرها، وأن يسد الطريق على هذه المحاولات الاستعمارية فإن الأحداث الأخيرة قد أكدت أن القوى الاستعمارية لا تتورع عن استعمال القوة للتدخل في شؤون الجزيرة، تحت سمع الأمم المتحدة وبصرها، متحدية لقرارات مجلس الأمن، ولوجود القوات الدولية فيها.

إن السلام في قبرص إذا كان قضية تعني شعب قبرص المكافح الطامح إلى تدعيم استقلاله وتحقيق وحدته واستكمال شروط حريته، فإنه في الوقت نفسه قضية تهم شعوب المنطقة كلها والعالم بأسره.

وإن التدخل الخارجي في شؤون الدول الأخرى، وخاصة التدخل المسلح، إذا كانت شعوب العالم كلها تستنكره وتعتبره تحدياً للرأي العام العالمي ولحقوق الشعوب وإرادتها، فإنه كان ولا يزال يمثل الخطر الأكبر على السلام العالمي، ولقد أثبتت الأحداث أنه لا يمكن أن يحقق النجاح، ولا يمكن إلا أن يعود بالوبال على المتدخلين. إن ترك الحرية لشعب قبرص لحل قضاياه بنفسه، ليس فقط مبدأ أساسياً من مبادئ العلاقات الدولية وحق الشعوب في تقرير مصيرها وإنما هو الوسيلة الأساسية للقضاء على مصدر من أكبر مصادر الأخطار التي تهدد السلم في العالم كله.

وإن ترك المبادرة للأمم المتحدة لتسوية المنازعات التي تهدد السلم يظل دوماً مبدأ آخر أساسياً كفيلاً بالتخفيف من حدة المنازعات المحلية والدولية، وإيجاد حلول سلمية لها، وقضية قبرص هي إحدى هذه القضايا التي يجب أن تعالج على هذا الأساس.

إن الرأي العام العربي الذي أقلقته الأحداث الأخيرة حول الجزيرة والذي يشجب دوماً كل عدوان ويستنكر كل تدخل خارجي مهما كان نوعه في الشؤون الداخلية للدول، يعتقد اعتقاداً راسخاً أن التدخل الخارجي المسلح في جزيرة قبرص لا يمكن إلا أن يزيد الموقف تأزماً، ويعود بعواقب خطيرة على شعب قبرص كله بمختلف فئاته، وعلى المنطقة كلها، بل وعلى السلام العالمي.

في عدد الأربعاء ١٩ آب نرى اهتماماً لافتاً بانتخاب شارل الحلو رئيساً للجمهورية اللبنانية.. المانشيت:

تم انتخاب شارل حلو رئيساً للجمهورية اللبنانية بأكثرية ٩٢ صوتاً

وعلى الصفحة الأولى صورة كبيرة له مع تعريف تفصيلي به... وصورة أخرى يصافح فيها النواب.. والمفارقة أن الصورتين في موقعين متباعدين ومع نشر تفاصيل للخبر في موقع ثالث بحجم ربع الصفحة تقريباً تشعرك الصحيفة أنها خصصت صفحتها الأولى للحدث اللبناني.

في الوضع الداخلي يطرح عدد ٢٣ آب ١٩٦٤ عبارة "القطاع المشترك" وجاء في مانشيت الثورة باللون الأحمر:

تجربة القطاع المشترك في القطر السوري

وتتالى المانشيتات:

قبرص ترفض اتحاداً مع اليونان يشترط فيه إبقاء قاعدة حريته لتركيا

وزير الاقتصاد يعقد مؤتمراً صحفياً يدلي فيه ببيان هام عن:

تجربة القطاع المشترك في القطر السوري

وزير الاقتصاد يقول:

عدم المساس بصغار المساهمين بالشركات وتحديد حد أعلى لأسهمهم وإعفائها من الاقتطاع

الشركات التي يملك الأشخاص ٧٠% من رأسمالها اقتطعت حصة الدولة من أكبر المساهمين

الشركات المؤسسة حديثاً زادت مساهمة المؤسسة الاقتصادية فيها بمقدار الأسهم غير المغطاة.

ستبقى الشركات عاملة وفق الأسس التجارية السابقة وتوزع الأرباح على المساهمين.

تبدأ الصحيفة الحديث عن مؤتمر القمة العربية الثاني في الاسكندرية في أواخر آب.. وجاء في افتتاحية عدد ٢٨ آب:

مؤتمر الاسكندرية..

يواجه أسئلة خطيرة!!

يعقد اليوم المؤتمر الثاني للرؤساء والملوك العرب جلسته الأولى، ويتضمن مشروع جدول أعمال المؤتمر كما أمره مؤتمر وزراء الخارجية العرب ستة موضوعات رئيسية تتناول استغلال مياه نهر الأردن وروافده، والقيادة العربية العسكرية الموحدة والكيان الفلسطيني ونتائج رحلات وزراء الخارجية العرب لشرح قضية فلسطين.

هذا بالنسبة إلى قضية فلسطين والمؤامرة الصهيونية لاغتصاب مياه نهر الأردن، أما بالنسبة إلى المسائل العربية الأخرى فقد أقر مؤتمر وزراء الخارجية العرب موضوعين هما قضية الجنوب اليمني المحتل، بما فيها مسألة عمان، والاتفاقات الاقتصادية والثقافية والإعلامية العربية.

ويتناول جدول الأعمال بالإضافة إلى هذا التقرير الذي أعده الأمين العام للجامعة العربية عما تم تنفيذه من قرارات مؤتمر القمة العربي الأول.

وعلى الرغم مما يحتمل أن يدخله مؤتمر الرؤساء والملوك العرب الثاني الذي ينعقد في الاسكندرية من تعديل على مشروع جدول أعماله الذي أقره وزراء الخارجية فإن أعمال المؤتمر الثاني تظل في جوهرها محددة في نقطة رئيسية ألا وهي:

ما الذي استطاعت الدول العربية إنجازه من مقررات المؤتمر الأول؟ وبالتالي ما الخطوات التي تم تنفيذها منذ كانون الثاني من هذا العام حتى الآن؟

أي ما الذي فعلته الدول العربية خلال ما لا يقل عن ثمانية شهور؟.

وثمة حقيقة خطيرة أخرى تضاف إلى هذا كله وتفرض نفسها على مؤتمر القمة العربي الثاني ألا وهي أن إسرائيل من شهر نيسان الماضي أي منذ خمسة شهور قد بدأت بالفعل مؤامراتها لاغتصاب مياه نهر الأردن وذلك بضخها من بحيرة طبريا متحدية بذلك الدول العربية والرأي العام العربي خاصة بعد انعقاد مؤتمر القمة الأول، واتخاذه مقرراته لوقف المؤامرة على المياه العربية.

ولا يقل أهمية عن هذه الحقيقة أي إقدام إسرائيل بالفعل على اغتصاب مياه نهر الأردن خلال فترة ما بين المؤتمرين الأول والثاني للرؤساء والملوك العرب، حقيقة أخرى كشفت عن نفسها خلال هذه الفترة ألا وهي موقف الدول الاستعمارية من قضية فلسطين ومؤامرة اغتصاب المياه العربية، فعلى الرغم من أن الترابط والتلازم بين المخططات الاستعمارية والمخططات الصهيونية في هذه المنطقة العربية ليس مسألة جديدة يجهلها الرأي العام العربي والضمير العالمي فإن هذه الحقيقة قد أكدت نفسها من جديد، خاصة في أعقاب رحلات ليفي أشكول إلى العواصم الغربية الكبرى، والإعلان عن الشروع في تعاون بين إسرائيل والولايات المتحدة الأميركية بشأن ما سمي تحويل المياه المالحة إلى مياه عذبة وكذلك أيضاً المحاولات الظاهرة والمستترة التي بذلتها وتبذلها، بصورة مباشرة وغير مباشرة

العواصم الغربية الكبرى لتأييد المخططات الصهيونية لاغتصاب مياه نهر الأردن وإسباغ صفة المشروعية عليها.

تتابع الافتتاحية:

لقد قرر المؤتمر الأول للرؤساء والملوك العرب شرطاً أساسياً للوقوف في وجه المؤامرة على المياه العربية ألا وهو وحدة العمل العربي.

ومن أجل تحقيق وحدة جدية في هذا العمل انبثقت ضرورة تصفية الجو العربي وتنقيته يمكن لوحدة العمل العربي أن تتحقق ولجميع المخططات العربية لوقف المؤامرة الصهيونية أن تدخل إلى حيز التنفيذ الجدي، وإذا كان ثمة سؤال يطرح على صعيد المؤتمر الثاني فإنما هو: إلى أي حد استطاعت الدول العربية انطلاقاً من المؤتمر الأول أن توفر المزيد من التضامن فيما بينها بإحلال الروح الإيجابية في علاقاتها عن طريق وقف كل ما يمكن أن يعكر هذه العلاقات ويضعها في غير ما يجب أن تكون عليه.

وإذا كان ثمة سؤال يمكن أن يطرح على صعيد المؤتمر الثاني فإنما هو إلى أي حد حققت الدول العربية من خطوات في مسألة استغلال مياه نهر الأردن وروافده.

وكذلك يمكن أن تطرح الأسئلة نفسها على صعيد توحيد العمل العسكري العربي وتوفير شروط الدفاع عن الحقوق العربية التي تهددها المؤامرة على مياه نهر الأردن، وكذلك قضية إبراز الكيان الفلسطيني ووضع أبناء فلسطين في حالة التأهب جنباً إلى جنب مع الأقطار العربية الأخرى لمواجهة التحديات الصهيونية.

بل إن سؤالاً أساسياً آخر يظل مطروحاً على مؤتمر القمة الثاني ألا وهو: ماذا فعلت الدول العربية لتقف موقفاً موحداً من الدول الأجنبية الأخرى التي ما انفكت تساند إسرائيل وتدعم مشروعاتها العدوانية ومخططاتها ضد حقوق العرب خاصة فيما يتعلق بالمؤامرة على مياه نهر الأردن إن الرأي العام العربي عندما يتطلع إلى المؤتمر الثاني للرؤساء

والملوك العرب المنعقد في الاسكندرية فإنما ينتظر أن تطرح هذه الأسئلة الخطيرة كلها على أعلى مستوى من الجدية وأن تكون الإجابة عليها متجاوبة مع تصميم الجماهير العربية على إحباط المؤامرة على المياه العربية بكل ما تملكه من قوة، وعلى هذا الأساس وحده تنظر جماهير شعبنا في القطر العربي السوري إلى مؤتمر الاسكندرية، وعلى هذا الأساس نفسه نظرت إلى مؤتمر القاهرة من قبله، ومن أجل تحقيق هذا كله عملت ثورة الثامن من آذار ولا تزال تعمل بتصميم أكيد وعزم راسخ.

ثم يتتالى الاهتمام فتنعكس التصريحات والاستعدادات للسفر إلى القاهرة وتشكيل الوفد..

في أول عدد يعكس نشاطات القمة وعلى الصفحة الأولى وهو عدد ٨ أيلول.. تنشر الصحيفة أربع صور لأمين الحافظ: الأولى مع الملك حسين وهو يولع للحافظ السيجارة والثانية مع الرئيس عبد الناصر والثالثة مع الأمير فيصل بن عبد العزيز ولي عهد السعودية - في حينه - والرابعة مع الرئيس الجزائري أحمد بن بيلا..

أما المانشيت الأحمر فيقول:

جلسة خطيرة.. وتقرير عسكري.

شاغل العرب في حينه كان مشروع تحويل روافد نهر الأردن كي يحولوا دون تحويل إسرائيل للنهر كاملاً..

وتتابع الصحيفة أسلوب التغطية ذاته تقريباً.. صور متعددة موزعة بأشكال شتى وبما يقتضي تحريك اللوغو من مكانه وكلها لنشاطات أمين الحافظ هنا..

في عدد ١٠ أيلول تذكر الصحيفة في مانشيتها الأحمر:

أسرار تتسرب من المؤتمر.

وتذكر أن ناطقاً صحفياً باسم الوفد السوري أبدى أسفه لتسرب أخبار من جلسات المؤتمر لبعض الصحف.. لا يذكر الخبر إلى من سربت.. إنما تشعر من وراء السطور أن المقصود هو صحيفة "الأهرام" المصرية.

في عدد ١١ أيلول يذكر مانشيت الثورة أن المؤتمر قرر إنشاء الجيش الفلسطيني.. والبدء بتحويل الروافد..

وهناك حديث عن القمة حتى في الزوايا الثقافية "زاوية لياسين رفاعية مثلاً".

كان مؤتمر القمة يعقد لأيام متتالية كما يبدو بعدد الثورة الذي ذكر وصول الحافظ إلى الاسكندرية هو عدد ٤ أيلول في حين أن العدد الذي أشار إلى عودته كان بتاريخ ١٥ أيلول أي أن حضور القمة اقتضى سفر الحافظ لنحو ١٢ يوماً.

بعد القمة العربية تبدأ الصحيفة بنقل أخبار قمة عدم الانحياز في القاهرة.. إشارة واضحة في عدد ٢٤ أيلول إلى المؤتمر.

لكن..

ثمة أحداث جاذبة تحول الجريدة باتجاه الشأن السياسي المحلي، وكان اللغط قد ملأ الشوارع عن صراعات في قيادة الحزب والدولة.. ويبدو أن الصحيفة نفسها تأثرت بشيء من ذلك.

هناك تراجع إخراجي واضح وعودة الصفحات إلى حالة الضجيج والتشابك.. والتجريب المستمر واستمرار حالة مراكمة مجموعة مانشيتات منوعة بعضها يتحدث عن شؤون مختلفة وتتوزع أخبارها على الصفحة الأولى.. وأحياناً تجد المانشيتات ولا تجد الخبر.. وهناك عودة إلى المواضيع المترجمة المطولة: لكن الصحيفة مستمرة في استقطاب الكتّاب وتظهر خلال هذه الفترة أسماء: دلال حاتم مترجمة، وكمال أبو ديب قي زاوية شيء ما الثقافية..

يبدو الوضع العام للجريدة أنها خسرت خطوات التحسين التي حققتها مع قدوم العرفي وعادت "اللخبطة".. فإن افترضنا وضع الجريدة قبل قدوم العرفي تأثر سلبياً بوضع الأستاذ جلال فاروق الشريف المهتز في موقع المدير العام رئيس التحرير.

هل يشير تراجعها الآن إلى اهتزاز موقع اسماعيل العرفي؟!

بالحقيقة وباعتبار ما حدث.. نعم.. وبالاستنتاج مما بين السطور نعم أيضاً..

ما بعد العرض

في عدد ٤ تشرين أول ١٩٦٤.

صورة لأمين الحافظ (بورتريه) كبيرة على الزاوية اليسرى للصفحة الأولى.. والخبر "المانشيت" والصفحة كلها..

إن المجلس الوطني لقيادة الثورة قبل استقالة السيدين صلاح الدين البيطار ومنصور الأطرش من عضوية المجلس وانتخب عوضاً عنهما اللواء صلاح جديد رئيس هيئة الأركان العامة والدكتور يوسف زعين.

وفي الصفحة ذاتها مرسوم قبول استقالة وزارة صلاح الدين البيطار وتشكيل وزارة بديلة برئاسة أمين الحافظ نفسه يحل فيها الدكتور نور الدين الأتاسي نائباً لرئيس الوزراء.. ومشهور زيتون وزيراً للإعلام بدلاً من الدكتور عبد الله عبد الدايم.

ويشير الخبر إلى توزيع مهام أعضاء مجلس الرئاسة على النحو التالي:

اللواء صلاح جديد يتولى مسؤولية الدفاع والأمن.

اللواء محمد عمران يتولى مسؤولية الاقتصاد

الدكتور نور الدين الأتاسي يتولى شؤون العمل والمال

الدكتور يوسف زعين يتولى شؤون الزراعة والخدمات

كما أنيطت مهمة وزير الداخلية بالمقدم عبد الكريم الجندي بالوكالة إضافة إلى وزارة الإصلاح الزراعي وكانت منفصلة عن الزراعة التي تولاها في هذه الوزارة الدكتور عادل طربين.

في هذا العدد الذي نشر هذه التفاصيل على كامل الصفحة ثمة افتتاحية من وحي التغييرات السياسية الجديدة وضمنها التغيير الحكومي بعنوان:

ثورة... شباب.. وهدف.

جاء فيها:

من وحي الوزارة الجديدة

ثورة.. وشباب.. وهدف

تثبت الثورة منذ قيامها حتى الآن وفي كل خطوة تخطوها في ميادين العمل، قدرتها المدهشة على تخطي كل مرحلة، واستيعاب النتائج التي أدت إليها، لتنتقل إلى المرحلة التي تليها بوضوح ودقة..

إن تجربة عمرها عام ونصف من العمل كانت فيها الثورة مشدودة إلى قوانين قوة الماضي التي تختزله وتقلبه وتبدل كل ما اختلط فيه، وقوة المستقبل الذي تميزه وتحدد مكانها فيه، هذه التجربة كان لا بد لها أن تطل على المرحلة الجديدة.

وهكذا كانت الثورة تتمثل حقيقتها شيئاً فشيئاً كعلاقة ضرورية بين ماض صفيت آثاره ومستقبل كسفت معالمه.. بل هكذا كانت الثورة مدفوعة منذ البدء ودائماً نحو تركيز طاقتها في التخطيط والتنفيذ، على الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية.. كانت تدفع بالإنتاج نحو الأمام وتزرع الثقة في النفوس وتتيح الحرية السياسية للأكثرية المحرومة من العمال والفلاحين والكادحين وتلهم قيماً جديدة للفكر العربي المنتج.. وهي في هذا كله كانت تحرص قبل كل شيءعلى دفع العناصر الشابة المؤمنة التي ربطت مصيرها بمصير الثورة والتي تزخر خبرة ووعياً نحو دورها لتملأه.. ونحو هدفها لتغنيه.. هذا الدور والهدف.. اللذان يمكن بهما تعيين حدود المرحلة الجديدة.

وحين نتأمل اليوم الوزارة الجديدة.. التي تلفحنا حرارة الشباب فيها وتطمح بنا آمالهم الواسعة، نزداد يقيناً بأن ثورة آذار تتفتح على أهدافها،

وتسير إلى الأمام مستلهمة مبادئ الثورة الأساسية، متجنبة المنعطفات التي لا تؤدي إلى الغاية القومية، فهي تخطو في الداخل نحو تصميم أشد على تعميق مفاهيمها الثورية، وبثها فكراً وعملاً في كل منحنيات وخطوط الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وعلى دفع التيار القومي في سورية العربية نحو الأهداف الكبرى.. إنها تخطو وهي تبين دورها في العالم العربي.. وما يلقي هذا الدور عليها من واجبات أساسية لتحقيق التعاون والتضامن العربي، وما يحمله هذا الدور لها أيضاً من مسؤولية تاريخية نحو الأمة العربية التي تطمح إلى تقرير مصيرها الإنساني..

إنها المرحلة الجديدة.. إنها المرحلة التي كانت تتطلب عناصر جديدة.. كانت تتطلب عناصر من الشعب نفسه تتولى قضاياه.. فكانت الوزارة الجديدة أول وزارة يدخل فيها عامل نقابي يتسلم شؤون العمال ويتولى – وهو واحد منهم – معالجة قضاياهم والإشراف على تطويرها وتحسينها.

إنها وزارة الثورة.. وزارة الشباب.. وزارة الهدف.. بل هي المرحلة الجديدة لثورة آذار الصاعدة.

لم يعد من السهل إخفاء الصراع السياسي.. لا في الشارع وفي الصحيفة التي ألبست رداء النظام السياسي بشكل شبه كامل "الثورة" فالتغيرات الحاصلة ذات معنى نوعي.. مبدئياً هي تشير إلى صراع بين جيلين من البعث.. كلها في الحقيقة تخفي صراعات أعمق.. انتهت فيما بعد بحركة ٢٣ شباط ١٩٦٦.

جاءت الوزارة الجديدة بعد عمر قصير لسابقتها.. ما يعني أن إقالة البيطار كانت هدفاً.. ولاسيما أن رئاسة الوزارة انتقلت إلى أمين الحافظ أي إنها دمجت مع رئاسة الجمهورية عملياً.. أي لا اتفاق على رئيس لمجلس الوزراء.. وقد بدأ التصدع في جبهة البعث في السلطة يعلن عن نفسه.. ولم يعد التستر ممكناً..

أين يقف المرحوم الأستاذ اسماعيل العرفي المدير العام لمؤسسة الوحدة ورئيس تحرير الثورة مما يجري؟! لن نستنتج معتمدين على الموقف الفكري والسياسي للمرحوم العرفي.. بل ننتظر أياماً قليلة قادمة.

في العدد التالي للتغيرات.. تنفي الثورة الخلافات "لتؤكدها" وعلى صفحتها الأولى تنشر رداً على الوكالات الأجنبية باسم ناطق إعلامي جاء فيه:

الحزب والحكم الثوري وحدة لا تتجزأ

ناطق رسمي يعلق على ما تلفقه بعض الوكالات الأجنبية

أجاب ناطق رسمي في وزارة الإعلام تعقيباً على سؤال حول ما تلفقه بعض الوكالات الأجنبية من أنباء عن الوزارة الجديدة بما يلي:

إن حزب البعث العربي الاشتراكي كأي حزب عقائدي ثوري يؤمن بالجماهير وبالعمل الشعبي الواعي المنظم، ولا يمكن لهذا الحزب إلا أن يعمل يداً واحدة وفق مبادئ القيادة الجماعية التي تحدد سلوكه ونشاطه.

وليس يدور في خلد إنسان أن يكون ثمة أيام فصام بين الحزب الذي يعمل في تعبئة القاعدة الشعبية وبين الحكم الثوري القائم في القطر السوري لأن أسسهما ومنطلقاتهما واحداً فهما واحدة، والتكامل بين مهماتهما قائم بصورة حية وأصيلة، وطبيعي جداً أن تكون الحكومة الحالية نتيجة موقف موحد ومنسجم بين كل من حزب البعث العربي الاشتراكي والمجلس الوطني للثورة.

إن ثورة الثامن من آذار قد ربطت ربطاً أبدياً ونهائياً بين جيش الشعب وبين قيادته الثورية العقائدية وجماهير الشعب العربي في قطرنا السوري.

إذاً لم يكن اللغط مجرد حكي وإشاعات بل ثمة حقائق.. يمكن أن لا تأتلف مع كل ما يقال، لكنها بالتأكيد وصلت إلى مستوى لا يخفى على أحد.. وعممت عن طريق وكالات الأنباء.

ربما نستطيع اليوم أن نستنتج من صفحات الثورة في حينه مؤشرات خلافات.. لكن بحثنا اليوم يعتمد على أننا نعرف أنها حصلت وأننا نبحث على دلائل وقرائن تثبتها.. وهذا يختلف عن أن تستنتجه في حينه من النشر.

بكل الأحوال لا أتوقع أن استنتاجه يومها من وراء أسطر الثورة كان سهلاً:

من ١٩٦٤/١٠/٦ وحتى ١٥ منه، الثورة منشغلة بتغطية أخبار مؤتمر قمة عدم الانحياز في القاهرة.. وتحديداً نشاطات أمين الحافظ في المؤتمر الذي استمر نحو عشرة أيام.

وتستمر باستقطاب مزيد من الكتاب..

وتنشر أخبار مصادرة ملكيات زراعية زائدة من "الإقطاعيين" وتوزيعها على الفلاحين.

في ١٩ تشرين أول تنشغل الصفحة الأولى للثورة بحدث دولي.. مانشيتها الأحمر يقول:

إعفاء خروتشوف من مناصبه في الاتحاد السوفياتي

وتتابع المانشيتات:

تبدلات خطيرة في موسكو تؤدي لإعفاء خروتشوف من زعامة الحزب ورئاسة الوزراء

ليونيد بريجينيف سكرتيراً أول للحزب الشيوعي

الكسي كوسيجين رئيساً للوزراء

هذا مع صورة كبيرة لخروتشوف وصغيرة لبريجنيف وصورة لماوتسي تونغ.. والخبر يقول: **"الصين لاتعليق"**.

يومها كان الخلاف على أشده بين الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية.. قطبا الشيوعية في العالم.

في اليوم التالي تهتم الثورة في صفحتها الأولى بخبر تفجير الصين لقنبلتها الذرية الأولى.. والمانشيت بالأحمر:

أصبحت الصين دولة نووية

صورتان لماوتسي تونغ وشون آن لاي رئيس وزراء الصين في حينه.. وخبر صغير في "الثورة" يقول: **موسكو تذيع النبأ دون تعليق**.

الصفحة الأولى بكاملها دولية...بما فيها الافتتاحية التي جاءت تحت عنوان "القنبلة الصينية"

تستمر الصحيفة عدة أيام في معالجة الحدث الصيني.. وما نشيتها في عدد ٢١ تشرين أول بالأحمر..

هل تفجر الصين قنبلة ثانية

وبالأسود من تحته:

القنبلة الأولى تمهد لدخولها في الأمم المتحدة.

وفي تعليق صغير على العنوان الثاني المنشور بالأسود وهو عنوان ذكي.. إن الدول الغربية كانت تحول دون قبول عضوية الصين في الأمم المتحدة.. والعنوان يشير إلى أن باب المنظمة الدولية سيفتح للصين من منظور القوة "بالقنابل النووية" وقد حصل.

يمكن اعتبار انشغال الثورة بالأحداث الدولية إلى هذا الحد - أيام متتالية وصفحتها الأولى تحتلها هذه الأحداث - بعد أيام من وزارة جديدة وتغييرات الوزارة.. نوعاً من عدم الرغبة في مواجهة الحدث المحلي لاستمرار الخلافات والتي لا بد أن تؤثر على موقف إدارة الصحيفة.. لكن.. الحق يقال إن الاهتمام بالشأن الدولي كان لافتاً دائماً في هذه الصحيفة التي مضى على صدور أول عدد منها نحو ١٦ شهراً.. وقد أوردنا أنها استمرت ثمانية أيام تغطي مقتل جون كينيدي، ربما يكون هذا الاهتمام بالحدث الدولي نتيجة افتقاد المواد الصحفية.. حيث لم يكن من السهل جمع المواد والأخبار كما اليوم.. ويتناقض مع هذا الاستنتاج أن الكادر كان في تزايد مستمر.

المشكلة هنا تكمن في صعوبة التعرف على كادر الأخبار لأن العاملين في هذا القسم يبدون كالجنود المجهولين.. إنما بالقياس يمكن استنتاج أنهم أيضاً عرفوا زيادة في العدد.

في عدد ١٠/٢٢ تظهر مانشيتات الثورة لأول مرة بخط نسخي ممدود قليل العرض وباللون الأزرق.. وتستمر بالاهتمام بالشأن .. إعفاء

خروتشوف.. مانشيتات بالأزرق في منتصف الصفحة حول حكومة العمال في بريطانيا والإضرابات هناك.

بشكل عام هناك حركة إخراج جديدة واضحة في الصحيفة

هل يمكن أن نقرن ذلك بإقالة الأستاذ اسماعيل العرفي وتسمية الأستاذ إنعام الجندي بديلاً عنه.. وليس هناك أي إشارة في الصحيفة على هذا التغيير..

وبالتالي لا يمكن تحديد تاريخ ترك العرفي لمهمته إلا من خلال مرسوم إقالته وتكليف الجندي.. وقد يكون المرسوم جاء بعد أن كان ذلك قد حصل عملياً.. وعلى كل حال قبل أن نتابع مع الصحيفة بقيادة الأستاذ إنعام الجندي... لا بد من وقفة حول معنى هذا التغيير والتعريف بالمدير العام الجديد لمؤسسة الوحدة رئيس تحرير جريدة الثورة.

إنعام الجندي بعد اسماعيل العرفي

اشتهر عن الأستاذ إنعام الجندي الأدب الجم والهدوء والنعومة. جاؤوا به من لبنان وكان يعمل في التعليم الخاص، وأيضاً في الصحافة لصالح جريدة "الديار" بعثي، عربي، اشتراكي، كثيراً ما دافع عن الحزب والثورة في الصحافة اللبنانية "الديار"، وهو أخ للدكتور سامي الجندي الذي شغل منصب وزير الإعلام حتى عهد قريب من تعيين إنعام مديراً عاماً لمؤسسة الوحدة ورئيس تحرير لصحيفة الثورة.

سامي وإنعام هما من الأسرة الجندية التي اشتهرت بالأدب والثقافة منها المرحوم الشاعر الكبير علي الجندي وأيضاً عاصم.. والمرحوم القائد العمالي خالد.

اختيار إنعام يشير إلى بحث العقل القيادي عن مديرين يعوّل عليهم في هذا المجال "الصحافة" وربما كان التفكير به سيسبق لولا وجود أخيه في سدة وزارة الإعلام، والحقيقة أن إنعام يلتقي مع المرحوم اسماعيل في قوام الخلق ونظافة اليد والانتماء القومي البعثي ويختلفان كثيراً.. فالعرفي ابن دير الزور متشبع بصلابة الروح والمباشرة في الكلام والطرح والجرأة في القول.. أما الجندي فهو وإن كان ابن السلمية المجاورة للبادية كما هي دير الزور، إلا أنه متأثر بالأجواء اللبنانية حيث يعيش ويعمل.. ناعم جداً.. هادئ.. لبق بالحديث.. يعمل على الأصول دون تجاوزات.

لم تطل إقامته في الثورة – نحو عام فقط – أي شهران زيادة على فترة مكوث سلفه.. لا مجال لإنكار أن كليهما لم يتوافق مع الجو العام لأسباب سياسية أو إدارية فقد كان الوضع العام دائم التقلب، والبلد حقلاً للتجارب

والاختيارات ليس في الصحافة والإعلام دائماً بل في كل مجالات الحياة.. والخلافات السياسية لم تتوقف ولم تخف أن ثمة صراعاً فعلياً على السلطة.

عاصر إنعام الجندي خلال توليه لإدارة مؤسسة الوحدة ورئاسة تحرير الثورة. الأستاذ مشهور زيتون وزيراً للإعلام.

وينقل عن تلك الفترة أن التفاهم بينهما توفر من بداية الأمر.. ثم بدأت تظهر خلافات.. وأعتقد أن هذا طبيعي لولا تطورات الواقع العام والظرف السياسي ولا شك أن الظرف الشخصي أيضاً "افتراضاً" تدخل ليترك إنعام الجندي العمل في المؤسسة.

في عمله تصدى لرئاسة التحرير كمسؤولية أولية وأولى له.. وترك للإدارات الأخرى القيام بعملها.. الإداري.. المالي.. الفني والطباعي.. وكان يصادق على ما يأتيه من المديرين في هذه الأعمال.. فطالما أن المدير محل ثقة والرؤية فنية إدارية، يقصر دوره على تصديق توقيع المدير وإعطاء قراره أو كتاب الشرعية الإدارية التي يريدها.. وبذلك كان يكتفي في توقيعه على البريد برؤية توقيع مدير الشؤون الإدارية أو المالية فيضع عبارة "مع الموافقة". وقد عرّضه ذلك لبعض المواقف المضحكة.

تروى عن ذلك الطرفة التالية:

تلقى مدير الشؤون الإدارية –في حينه –الأستاذ أحمد الخالد العبد الله الأخ الأكبر للزميل الصحفي فيصل العبد الله – أستاذ جامعي حالياً - وسيرد اسمه لاحقاً... كتاباً من عامل في المطبعة يتهم فيه مدير المطابع بمراودته عن نفسه..

نظر الأستاذ أحمد الخالد إلى الكتاب.. وطالما أنه على دراية كاملة بطريقة الأستاذ إنعام بالتعامل مع الكتب التي يحولها إليه.. كتب عليه:

السيد المدير العام..

لم تطل إقامة الكتاب بين يدي الأستاذ إنعام حتى كتب عليه "مع الموافقة"!!

كما أسلفت بدأت الثورة مرحلة جديدة من التجريب، بنجاح إخراجي جيد، أنهى حالة تشابك القطع والمواد وإعطاء نسخة للقارئ يختار فيها ما يريد قراءته.

مالت الافتتاحية إلى عدد أسطر أقل من النصف الأسفل من الصفحة واستمرت دون توقيع وأقل حماسة.

في عدد ١٩٦٤/١٠/٢٧.. مانشيت الثورة باللون الأحمر..

الحافظ يسافر اليوم لإجراء عملية في باريس

اليوم التالي أيضاً مانشيت أحمر:

الحافظ يصل باريس

وعلى ثمانية أعمدة المانشيت التالي:

سفر سيادة رئيس مجلس الرئاسة على متن طائرات الخطوط الجوية الفرنسية

مع صورة كبيرة على أربع أعمدة لطائرة (إير فرانس) وصورة ثانية كبيرة لوداعه في المطار.

يلاحظ في العدد بشكل عام ازدياد الاهتمام بالصور وهذا ينسجم مع الوضع الإخراجي الجديد الذي يعتمد التقليل من زج المواد وتشابكها.

في عدد ١٠/٣٠ المانشيت يقول..

نجحت العملية الجراحية للفريق الحافظ

وتتابع الصحيفة اهتماماً يشغل صفحتها الأولى لأيام عديدة بعملية جراحية للرئيس أمين الحافظ في باريس.. حتى أيام النقاهة التي أمضاها هناك التقى خلالها الرئيس الفرنسي الأسبق شارل ديغول.. وحتى ١٩٦٤/١١/١٣ حيث تنشر الصحيفة خبر استقباله في المطار بمانشيت مع الصور على الأولى وعلى الصفحة الأخيرة.

من مجموعة الأخبار التي توجت الصفحة الأولى حول العملية الجراحية لأمين الحافظ في باريس.. نأخذ الخبر التالي:

الحافظ يتماثل للشفاء بسرعة ويبدأ باستقبال الزوار اليوم

تفيد النشرة الصحية التي أذيعت يوم أمس عن صحة السيد الفريق محمد أمين الحافظ رئيس مجلس الرئاسة رئيس مجلس الوزراء أن صحته بتقدم مستمر وأنه لا يزال يقوم بالتجول في غرفته الخاصة دون عناء، كما أنه أصبح ينزل عن سريره الخاص ويصعد إليه بمفرده دون أي صعوبة.

هذا ولا تزال البرقيات وباقات الزهور تنهال على المستشفى الذي يقيم فيه السيد الفريق من جميع أنحاء العالم وبصورة خاصة من الطلبة العرب في فرنسا، ومن المؤمل أن يستقبل السيد الفريق زواره اليوم الثلاثاء.

من زاوية "شيء ما" الثقافية يطل اسم أيوب منصور.. رجل ثوري كان مؤيداً عقائدياً لصين ماو.. وهو كاتب مبدع لم يأخذ ما يستحقه من اهتمام أو بالأحرى لم يقدم إمكاناته بشكل كاف. كتب في السياسة والثقافة والأدب ويمكن اعتباره من أفضل كتّاب قصة الأطفال في سورية وله مجموعات عدة.

طلّق الصحافة باكراً.. وآثر التقاعد في بلدته "الصبورة" شرق حماة.

زاويته في الصفحة الثقافية كانت بعنوان قنبلة نووية ننشرها هنا:

فجر أحد أصدقائي بالأمس قنبلته النووية الأولى، وقد جرى ذلك حسب زعمه على النحو التالي:

منذ شهور وهو ينتصب بقامته المديدة كل يوم أمام النافذة ملوحاً بيديه للقمر، يحصي عليه أنفاسه.. طلع القمر.. غاب القمر.. ابتسم عبس وتولى.. وهكذا حتى استحالت نافذته إلى مرصد فلكي يراقب منه حركات النجوم والكواكب بيده اليمنى مرآة وبيده اليسرى مشط صغير يصلح به ما تفسده النسمات من شعره!..

ويحدثني فيقول إن محاولاته التي ليس لها عدد ذهبت كلها أدراج الرياح.. فقد فشل في اكتشاف أي كوكب من المجموعة القمرية التي تتناثر حول منزله.

وكثيراً ما كان يلاقي الأخطار الجسيمة كأن يلوح بيديه لإحدى هذه النجوم.. فترميه بشهاب من لسانها:

"قليل أدب... قليل ذوق" إلخ، إلى أن جاء اليوم الموعود.. يوم الفتح الكبير والنصر المؤزر.. إذ ما كاد يفتتح مرصده حتى بدت أمام عينيه للمرة الأولى، نجمة رائعة.. يشع ضياؤها من بين ثنايا ديباجة زرقاء.. فعادت من جديد وتفتحت في قلبه أزاهير الرجاء.. لقد جاء اليوم الذي يتحتم به على البشر أن ينسوا (غاليلو وكبلر) وسواهما من الادعياء.. وصوب مرآته العاكسة فوقعت حزمة من ضياء الشمس على الوجه الصبوح، ثم كرر العملية دون أن يجفل الريم، أو يبدي استياء. "عال، لقد فزنا" تحركت يده التي تحمل المشط بسرعة، أدت دورها وعادت تلمس ربطة العنق وفي طريقها تفقدت الأزرار واحداً واحداً.. كل شيء جاهز "سلامات" ولوح لها بيده.. مرة، مرتين، ثلاثاً، عشراً..

حدثت المعجزة إنها ترد على تحيتي، وإلا فلماذا رفعت يدها إلى أنفها وبعد مداعبة قصيرة وضعتها على رأسها وعبثت بشلال شعرها الذهبي.. ليتني أقبّل تلك اليد المباركة، وأغرق خلف ذلك الشلال الميمون.

ويبات ليلة على أحر من الجمر، كيف لا وهو يعتزم تفجير قنبلته النووية الأولى غداً، إذ سيكتب رسالة يفضح بها أسرار قلبه الكبير فتتبدل دنيا بدنيا، وخلانا بخلان، وما إن جاء اليوم التالي حتى دوى الانفجار الهائل، وأصبحت الصين خامس دولة نووية في العالم تقدم منها بثبات، قال: "مرحباً" لم تجب، مد لها يده بالرسالة.. قالت مستهجنة ما هذا؟ قال: رسالة، قالت: ولمن؟. قال: لك، قالت: منذ متى تعرفني؟ أجاب: ألم تردي على تحيتي بالأمس، أنا فتى النافذة العليا.. قالت، وطيف ابتسامة ماكرة يخيم على وجهها: آه تذكرت كنت أسوي شعري.. أنت غلطان أولادي خمسة وليس لي رغبة بتبني المزيد..

هذه الفترة يتم انتخاب الأمير فيصل بن عبد العزيز ملكاً للعربية السعودية وتعطيه الثورة المانشيت الأحمر..

مبايعة فيصل ملكاً على السعودية

وتتابع بمانشيت آخر:

أعضاء مجلس الوزراء ومجلس الشورى في السعودية قرروا خلع سعود.

وتتابع الصحيفة يومياً أخبار مسيرات حاشدة غضباً على عبد السلام عارف في العراق.

تبدأ التحقيقات الصحفية كنوع، بالتسرب إلى صفحات الجريدة تباعاً.. في عدد ١١/١٥ تحقيق لممدوح عدوان عن عمال البناء وأحوالهم.. وينشر اسم الكاتب مع اسم المصور سهيل شباط.. تحقيق آخر بعد أيام ليوسف مقدسي عن الجوع.

في الصفحة الثقافية في الزاوية اليسرى العليا زاوية جديدة باسم "أقول لكم" نقرأ فيها أسماء:

ممدوح عدوان – علي كنعان – سعد الله ونوس – عبد العزيز هلال – خليل خوري – يوسف مقدسي – هنريت عبودي – عبود كاسوحة – هشام شيشكلي.

ومع زاوية: "أقول لكم" تغيب زاوية "شيء ما".

نستطيع أن نقول إن الصحيفة مستمرة في التعريف عن نفسها أكثر وبشكل أوضح من خلال كتابها ومن تستقطبهم للكتابة فيها.

لكن.. بالشأن السياسي.. يغلب دائماً الاهتمام الدولي والعربي.. فمثلاً على أيام عدة متتالية تتابع الثورة بمانشيتات الوضع في الكونغو..

في حين لا نرى شيئاً يذكر عن إطلاق سراح السجناء السياسيين من سجن المزة العسكري "كثيرون منهم كانوا من منتمي الحزب السوري القومي الاجتماعي".

وهو حدث تاريخي فعلاً. ولم أجد إشارة له إلا في كاريكاتير كبير على الصفحة الأخيرة.

في الشأن المحلي.. نتابع التحويل الاشتراكي والتغيير الاجتماعي.. وتبدو شديدة الحماسة لإحداث الاتحاد العام لفلاحين.. تعبر عن رأيها في المانشيتات والعناوين والصفحات وفي المقالات الافتتاحية.. وتحدث لهذا الغرض زاوية على الأقل بعنوان صوت الفلاحين.. نأخذ الزاوية الأولى:

ستبقى هذه الزاوية صوتاً مدوياً للفلاحين، صوتاً عميقاً للريف العربي السوري يقرع الأسماع مطالباً بإنشاء اتحاد للفلاحين، ولن تصمت الزاوية حتى يتحقق الهدف العظيم.

الفلاحون هم جموع آذار المتراصة ذات الهدف الواحد..

الفلاحون هم الإعصار البشري الذي يصنع الأحداث ويتحكم في المصائر الحاسمة..

والفلاحون هم الذين صنعوا ثورات الشعوب.. وهم الممثلون التقليديون لفكرة الكدح والإنتاج عبر التاريخ.

وأكثرية العرب فلاحون.. فهم يتوزعون فوق الأرض الطيبة الممتدة من الخليج إلى المحيط. وهم الذين حاربوا في جبال الأوراس.. والزاوية وجبل العرب..

وهم الذين يجتمعون اليوم في ظل ثورة آذار التي ولدت من آلامهم وكفاحهم.. وهياكلهم المحرومة في كل الأجيال من الحد الأدنى لما ينتجون..

وهم الذين اجتمعوا اليوم أيضاً في محافظة الحسكة ليعلنوها صرخة قوية.. فيتردد الصدى.. في كل أنحاء القطر:

تنظيم نقابي فلاحي واحد..

إن الفلاحين قد صمموا على إنشاء اتحادهم وعلى إقامة كيانهم.. وهم الذين اختاروا منذ صباح الثامن من آذار أن يكونوا الدعامة الأولى للثورة..

هاهم وها هي ثورتهم

يريدون أن يبدؤوا من كل شيء.. يكتبون بكل شيء.

كي نلتقي

دمشق – جريدة الثورة - خلف القصر العدلي..

وصلت.. ها هي إذن.. أنا وليس ساعي البريد. ستعلمني الأيام فيما بعد أنني لست وحدي الذي ملأتني الرهبة.. وأحسست بهيبتها من بابها المعدني الضيق إلى درجها القديم.

عرف موظف الاستعلامات من وجهي إلى أين أنا قادم.. بل رحب بي، ما أتاح لي فرصة أن أنظر إلى باب يسبق باب غرفته ورأيت أجهزة وآلات أثارت فيّ الفضول: هي إذاً المطبعة..!

خجلت أن أسأل، أجّلت السؤال إلى أن اكتشفت ذاتياً أنه "قسم الزنكوغراف".. جديد وفخورون به.. وقبل أن يكون كانوا يحفرون كليشيهات الزنك لدى القطاع الخاص.. متجاوزين مرحلة حفر العناوين على المطاط.

في مكتب أخي التقيت رجلاً وسيماً له طريقة لافتة في الكلام، لا يخفي حديثه ثقافته الواسعة.. أربكتني لطافته معي ولا علم لي بأنها طبيعته مع كل الناس..

محمود السيد.. فهمت أنه المشرف الفني على الصحيفة.. وعرفت فيما بعد أنه صحفي كبير.. وقد ترأس تحرير مجلة منذ ١٩٥٧ – أعتقد كان اسمها ليلى – وأنه فنان وشاعر وأديب.

أحببته ومازلت أحبه حتى اليوم..

نصح محمود السيد أخي بعدما عرف أنني حائر بـــ ١٣٦ درجة في الثانوية العامة الفرع العلمي، ماذا أفعل، بأن يرسلني إلى إيطاليا لدراسة الإخراج السينمائي.

وسألني بودّ:

- ألا تحب السينما؟!

ارتباكي الذي تفاقم بسؤاله منعني من الإجابة وردّ أخي ضاحكاً يحب أن يشاهد فيلماً.. لا أن يخرجه..

تابع الأستاذ السيد قائلاً:

هناك انطلاقة في السينما الإيطالية ومخرجون عظام، وذكر فلليني.. وبازوليني.. وغيرهما.

جرى حوار حول تعليم الإخراج السينمائي لم أجد نفسي معنياً به.. إذ ما زلت مقموعاً بدراسة الهندسة.. توجه محمود السيد إليّ بالحديث سائلاً عن الأفلام التي شاهدتها فذكرت بعضها وذكرت فيلماً هندياً "جنكلي".. ابتسم بنعومة ساخرة وغيّر الحديث وأشعرني بفقدان أمله بي... وأنا أغادر مبنى الجريدة برفقة أخي أصابني نوع من الإحباط وسألت نفسي: أين أنا؟.. بل من أنا؟..

مخرج سينمائي.. ماذا يعني ذلك؟.. أنا أحفظ أسماء أفلام كثيرة.. ممثلين، ممثلات عرب وأجانب.. لكن.. مخرج؟.

ماذا يفعل المخرج؟!

صعب عليّ أن يخبو ضوئي بهذا الشكل في أول زيارة صغيرة لـــ "الثورة" وتمنيت فرصة قريبة أغيّر صورتي أمامها.. لكن.. كلما أردت ثقب الشرنقة لأطير غصصت بخيوط الحرير.

عندما التقيت علاء وقد حضر للفحوصات الطبية ليصبح طياراً عسكرياً نصحني بأن أطالب أخي بتوظيفي بالجريدة، وأن أسجل في أي كلية تقبلني، وأن أستقر وأعيش.

شعرت باضطراب روحي وضبابية المشهد الذي يواجهني وجابهته قائلاً:

- لا أريد أن أشرنق نفسي منذ الآن.

* أنت مشرنقها وخالص.. هندسة.. هندسة.. هذه شرنقة اسمها الهندسة.

- سأنطلق..

* انطلق.. ابحث عن قيصر.. قل له أن يؤمن لك شغلاً في لبنان.. هناك الحرية والسحر.

- سأنطلق إلى الحياة الجامعية.. إلى كلية الهندسة..

ذاك التصميم في تلك الأيام كان جيداً نظرياً لكنه افتقد إلى إرادة عملية تدعمه.

الشروط المعلنة من جامعتي دمشق وحلب لا تقبل حتى استلام أوراقي للتقدم لمفاضلة الهندسة.. لم أتقدم نهائياً.. وقررت أن أعيد البكالوريا.

ارتحت بعد القرار.. ليس لشعوري بحتمية دخولي إلى كلية الهندسة.. بل لأن ذلك سيتيح لي عاماً آخر في دمشق.. وسأتابع الثورة وسأزورها كثيراً علّي ألتقي مرة أخرى محمود السيد.. وغيره أيضاً..

- يجب أن أنطلق..

أول مرة في حياتي أشعر أن فتاة مهتمة بي..

جارتي على المقعد في باص ينقلنا من دمشق إلى اللاذقية..

هي أيضاً نجحت في البكالوريا هذا العام.. ومقبولة في كلية الزراعة وسمتها "الهندسة الزراعية" لكنها لا تريد الزراعة ستسجل في الحقوق.

- حقوق؟!

* نعم حقوق..

- لماذا؟!... هذه مأوى العجزة..

* أولاً لا أستطيع أن أداوم في دمشق.. وثانياً أنا أحب الحقوق.. وثالثاً أينما اجتمع العجزة يصبح مأوى لهم.

وأضافت:

* تعال إلى الحقوق أنت مقبول.

- ماذا أفعل في الحقوق؟!

● ترافقني.. هل رفقتي قليلة؟!

في كلامها.. في ضحكتها.. في حركتها.. إشعاعات تخترق كل أنواع الشرانق.

أين أنا؟.. من أنا؟.. يجب أن أرى.. أن أختار.. هي وحدها رفضت "الهندسة" الزراعية..

لعلها أحست بخيبتي.. لكمتني بخفة في كوعها.. وسألتني عن اهتماماتي، لا تتوقف عن الممازحة والضحك.. رويت لها شيئاً عنّي فيه متابعتي لـــ"الثورة".. وبضحكة جميلة قالت لي:

● كفى.. بدأت أغار من جريدتك.

- تغارين.. أنا لا أعرف حتى اسمكِ..

● اسمي ناديا..

- اسمك حلو..

● يحلّي أيامك ويعلّي مقامك.. ويفتح عيونك.. اختر ما تحب..

- ماذا أختار؟!

● الثورة... أخوك هناك.. والجامعة جانبك... شي كلية نظرية ويكفي.. وستكون..

- سأكون ماذا؟!

● رفيقي في الحقوق.. افتح عينيك جيداً.. ثم انطلق كالطائر.. وليس كالخفاش.

كان لي ما أريد.. عام لإعادة البكالوريا أتاح لي ممارسة أحلام مكبوتة.. تعرفت على كثيرين من محرري الثورة.. وعلى عمال فيها.. وعرفت أعدادها يوماً بعد يوم.. استعنت بها لنشر ضوء في عزلة اعادة البكالوريا من المنزل.. واستعنت بغيرها.. لكن ليس بينها كتب بكالوريا.. العلاقة بيني وكتبي الدراسية، جداً رسمية.. وأحلام اليقظة تحقق الانطلاق؟!

تــاهَ أم تألـقَ
في خنادق «الثورة»؟!

يدخل عام ١٩٦٥ لتتجسد التحسينات الإخراجية التي عرفتها الثورة مع إدارة إنعام الجندي، التي كان مرّ عليها نحو ثلاثة أشهر، مرحلة جديدة فعلية.. عدد ١٩٦٥/١/٢ يطرح صحيفة أكثر انسجاماً مع الذوق المتوقع للقارئ.. يقلل جداً من التشابكات وازدحام الصفحات واختلاط المواضيع والعناوين.. فتجد نفسك أمام ثماني صفحات مريحة.

على الصفحة الأولى عدد مانشيتات أقل، بكلمات أقل، أيضاً، وعدم التقيد بعرض واحد، سبعة أو ثمانية أعمدة.. وكذلك عدد القطع الإخبارية أقل والصور أكثر.

الصفحة الثانية تبقى للأخبار العربية والدولية وإلى حد كبير تحافظ على شخصيتها واهتماماتها وهي بالأصل تستخدم الصورة والكاريكاتير أحياناً.. وبالتالي زيادة استخدام الصور ليس طارئاً عليها.

الصفحة الثالثة التي غالباً ما كانت الثورة تخصصها للدراسات السياسية وتقارير السياسات الخارجية نراها خلال هذه المرحلة تفقد هويتها وتصبح متعددة المواضيع: محلي.. تحقيق.. أدب.. فكر.. سياسة.. اقتصاد.. ومع ذلك تحافظ على الاهتمام بشؤون خارجية فكرية أدبية وفنية وثقافية الخ..

الرابعة والخامسة صفحات محلية.

السادسة صفحة منوعة ثقافية أيضاً تأخذ عناوين مختلفة.. فن.. حياة جامعية.. تحقيق ثقافي.. نقد تشكيلي.. مقابلة.. وهي مع الثالثة تشكل الميدان

الأرحب لعرض أسماء محرري الصحيفة وكفاءتهم.. هؤلاء الرواد كانوا يكتبون في كل شيء تقريباً.. ولم تكن اتجاهاتهم الفكرية والسياسية لتخفى.. معظمهم كان يؤكد التغير الواعد الذي يشهده المجتمع السوري والذي عنوانه الأساسي "الاشتراكية".

هاتان الصفحتان.. تظهران بوضوح اختلاط مفهومي الكتابة والصحافة.. فنجد الصحفي شاعراً.. قاصاً.. مسرحياً.. ناقداً فنياً.. الخ.. ويقوم بمهمة الإعلامي، وقد أظهروا جهوداً فذة صادقة لخدمة الصحيفة والنظام السياسي.

الصفحة السابعة حافظت على كونها صفحة رياضية وتتمات القطع المنشورة على الأولى وإضافات أخرى..

والصفحة الأخيرة كما هي يحتل ثلثها العلوي غالباً إما لقطات "فوتوغرافية" وقد غابت صور خدمة الوكالات لصالح مصوري الثورة الذين أخذ يحتل مقدمتهم الزميل الراحل "كربيس بغدويان".

يتخلل تواتر نشر الصور كاريكاتير كبير جداً مباشر بأفكار تبدو ساذجة أحياناً، ولاسيما صفحة كاريكاتير كاملة لمناسبة رأس السنة وخالية من التوقيع ثم في الأشهر القادمة يظهر توقيعا المرحومين عبد اللطيف مارديني وقليلاً ممتاز البحرة.

مع بداية العام أصدرت الصحيفة ملفاً خاصاً أو عدداً خاصاً بمناسبة رأس السنة.. ونشرت جردة حساب عما فعلته خلال عام ١٩٦٤ وجاء الإعلان عن ذلك بالمانشيت الأحمر:

ماذا فعلت الثورة خلال عام ١٩٦٤

في العدد صفحتا صور لافتة بالحجم الكبير من محلات السهر تعرض في احتفالات رأس السنة.. رقص "تويست" وكانت الرقصة ذائعة الصيت في حينه وغيرها.. هناك صورة لشاب وشابة يؤديان الرقصة احتلت أكثر من نصف الصفحة ودبكة.. وصور أخرى على ثلاث صفحات.. وبإخراج لافت.

في كل ما نراه ونحن مع بداية عام جديد نتابع العام الثاني من عمر "الثورة" يسيطر التجريب.. مادة وإخراجاً.. وبعيداً عن التخصص في الأنواع الصحفية.. هكذا مثلاً يلفت النظر صفحة بعنوان "نقد فني" فيها مجموعة لقاءات منها مع فاتح المدرس أجراه يوسف مقدسي الكاتب السياسي الثقافي، الذي لن تطول بنا الأيام حتى نقرأ له مسرحية مسلسلة في الصحيفة "دخان الأقبية".. وفي الصفحة مجموعة لقاءات أخرى مع محمد حوا، عبد العزيز علون، جوليان قطيني، فيصل العجمي.

وتتابع الثورة مع الثورة وإجراءاتها وسياستها..

في العدد الصادر صباح الثالث من كانون الثاني ١٩٦٥ يأتي "المانشيت" الأحمر على الصفحة الأولى كالتالي:

إعادة ١٠٧ شركات للشعب

وتحته مانشيت بالأسود:

الأشغال الشاقة المؤبدة أو الإعدام لمن يعرقل التشريعات الاشتراكية

وتحتل الصفحة بكاملها مجموعة المراسيم الاشتراكية والإجراءات الداعمة والحامية لها.. مع صورة كبيرة لأمين الحافظ وصورتين لعمال من المعامل.. والإخراج جيد.

الشكل الذي تظهر فيه قرارات النظام السياسي وصور قادته تؤكد أحد أمرين:

١ - قناعة القائمين على الصحيفة بما يجري وحماسهم له..

٢ - محاولة التقرب إلى السلطة عبر طريقة العرض.

يعني.. ودون أن أكون في موقع المنتقد.. لا أحد يفرض على الصحيفة في هكذا صفحة صورة ضخمة لأمين الحافظ... إلا، لتلبية غرض سياسي تؤمن به الصحيفة كإقناع الناس بالإجراءات مثلاً.. أو التقرب منه كرئيس دولة.

أو هو التجريب.. لكن.. على قاعدة أحد الاحتمالين..

في هذه المرحلة التجريب منطقي جداً.. يعني منسجم مع مرحلة كلها تجريب.. وإلا أين يمكن أن نصنف التحويل الاشتراكي؟!.. وكان الشغل الشاغل للحزب والدولة والجيش والشعب.. أليس تجريبياً؟

بعد الصفحة الأولى التي تحدد سياسات، وتقدم رسائل اجتماعية وسياسية، ترى الصحيفة أكثر انطلاقاً باتجاه السياسي الدولي أو اللاسياسي.. دون أن يعني أنها بلا موقف.

على الصفحة الثانية وفي العدد نفسه أخبار وتقارير عن خلافات أندونيسيا وماليزيا.. تفاصيل جيدة.. غالباً ليس من موقف.. أحياناً تشعر الصحيفة للموقف الأندونيسي على أساس أنه الاتجاه المعاكس للموقف الأميركي أو الغربي.

على الصفحة الثالثة تجد مثلاً مقالاً مترجماً لهنريت عبودي عن مذكرات "لودوك" صديقة سيمون دي بوفوار.. وأخرى ظاهرة الأسطوانات الأدبية للكاتبة ذاتها وأشعار لممدوح عدوان وفؤاد عيد وهكذا يستمر العدد هادئاً لأن الأولى غالباً حددت الهوية ونفذت المهمة السياسية الدعائية وتقوم بقية الصفحات بالمهمة الثقافية التثقيفية.

تتابع الصحيفة وعلى صفحتها الأولى عملية التحويل الاشتراكي

نقرأ في ١٩٦٥/١/٥ مانشيتاً بالأحمر:

تأميم ٨ شركات جديدة

الثانية دولية والثالثة تنتقل من أدبية إلى اقتصادية لكن أيضاً بالسمة العالمية.. والاتجاه العام للصفحة يكاد يكون عالمياً لكن منوعاً.. كما أشرنا سابقاً.

في عدد اليوم التالي ١٩٦٥/١/٦.. نقرأ المانشيت الأحمر على الصفحة الأولى:

الصدى الشعبي للتأميم

وتتابع الصحيفة مسيرتها مع مسيرة الدولة وتغطي نشاطاتها لا سيما رئيس الدولة "أمين الحافظ".

تتجدد في الصحيفة حالة وجود زاوية أخرى غير الافتتاحية على الصفحة الأولى ولا يعرف اسم الكاتب لأي منهما...

إلى جانب الافتتاحية "صوت الثورة" نقرأ زاوية بعنوان "من القلب".. وهي طويلة جداً نأخذ منها أولها وآخرها..

أيها الاشتراكيون العرب..!

أيام الوحدة بين سورية ومصر، حدثت أخطاء. كل التجارب في العالم، لا بد من وقوع الأخطاء فيها، وهؤلاء الذين كانوا يتحدثون بالمطلق وبالمثاليات، أيام الوحدة ثم ينتقلون إلى التطبيق ليتحدثوا عن "فداحة الخطب" هؤلاء إما أنهم كانوا سذجاً بسطاء، لم يقرؤوا شيئاً من تاريخ البشرية، أو أنهم كانوا أصحاب مآرب خاصة، وخاصة جداً.

على كل الأحوال، أصحاب المآرب الخاصة يلعبون دوماً بأحلام البسطاء السذج، هذا شيء معروف في تاريخ الحركات السياسية في العالم، أصحاب المآرب الخاصة لا يحدثون البسطاء إلا بالمثاليات.. وبما يجب أن تكون عليه الأمور، أما الحديث عن الواقع وعن إمكانات الواقع، فإنهم يتركونه جانباً، يتركونه لأنه يؤذي "استراتيجيتهم" في الوصول إلى "قناعة الأوادم" الذين يؤملون في قناعتهم مساعدة لضرب الهدف الذي يبغون الوصول إليه.

"الأوادم" من أبناء الشعب لا ينتبهون للعبة هؤلاء المقامرين المغامرين، أصحاب المآرب الخاصة، إلا بعد فوات الأوان، بعد أن يكون هؤلاء المغامرون قد ضربوا ضربتهم ونفذوا مآربهم، ثم انكفأوا على أبناء الشعب "الأوادم" يوسعونهم شتماً ولعناً وتقريعاً وتعذيباً..

حملان الأمس، انقلبوا فجأة إلى ذئاب مفترسة..

هؤلاء الذين كانوا يتباكون على الكمال المطلق والمثاليات أما م الناس، إذا بهم يفاجئون الناس بأن ذلك الملمس الناعم الذي كانوا يظهرون فيه، كان يخفي تحته أنياب الأفاعي.

ولكن بعد فوات الأوان..

أذكر هذا جيداً، لأن صورته أيام الوحدة لا يمكن أن تذهب من ذهني، لأنني واحد من أولئك الكثيرين الذين انتفعوا بها..

أيام الوحدة.. فوجئ الرأسمال المتآمر بالتأميم.. اليسار العربي لم يكن التأميم بالنسبة له مفاجأة، بل كان حلماً متوقع الحدوث، وكان الإبطاء في التأميم حتى ذلك الوقت من الأشياء التي كدرت صفو الأجواء التي يعيش فيها اليسار العربي، حتى إذا حدث التأميم، محا هذا اليسار العربي من ذاكرته كل كدر سابق، وأخذ يعيش بأحلام الخطوات الاشتراكية التالية.

إن تجربة البعث قد اتعظت من تجربة الوحدة..

وهي إذ تبدأ خطاها الاشتراكية العربية، تعلن أن باب الاكتتاب لخدمة التطبيق الاشتراكي العربي، قد أصبح مفتوحاً على مصراعيه، لكل شريف، لكل وطني، لكل قومي عربي، لكل ثائر عربي، لكل يساري عربي، بعثياً كان، أم كان غير بعثي.

إن البعث العربي الاشتراكي الذي يتحمل مسؤولية الحكم في سورية العربية، لم يتحملها ليرفه عن أفراده، أو ليستوزر أنصاره، أو ليوظف أتباعه، لقد تحمل مسؤولية الحكم طيلة هذين العامين، لكي يستطيع أن يوصل الثوريين العرب إلى السير بالاشتراكية العربية في طريقها الصحيح..

ذلك لأنه على يقين كامل من أن الاشتراكية العربية هي الطريق الصحيح للوحدة العربية، بعد أن طفت الوحدة العربية بسكاكين الرأسماليين المسمومة. وهي الطريق الصحيح للحرية العربية، والحياة الديمقراطية المعبرة عن صميم الشعب.

إن دعوة "البعث" للثائرين العرب في كل أقطار العرب ولليساريين العرب، أينما كانوا، للزحف إلى سورية في سبيل تطبيق الاشتراكية وتدعيمها، هذه الدعوة ليست "تكتيكا" ولكنها قضية "مبدأ".

فالاشتراكية العربية لا يمكن أن يحمل أعباءها غير الاشتراكيين العرب، الاشتراكيين العرب الذين يمارسون عملية الاشتراكية تطبيقاً وتنفيذاً وثورة.

إننا نستفيد من كل تجارب الماضي، ولن يستطيع بعد الآن أن يخدعنا، "ثعالب السياسة" أو أن يشككوا بالتطبيق الاشتراكي، مادام هذا التطبيق سيكون بأيد أمينة، بأيدي اليسار العربي..

طبعاً في هذا النص رسالة أو رسائل موجهة إلى خصوم الثورة وما أكثرهم.. لكن السؤال: هل كان بين من وجهت لهم الرسالة أشخاص داخل نظام الحكم؟!

لا تستطيع الصحيفة أن تجيب على السؤال..

وتتابع صدورها اليومي حاملة لواء التحويل الاشتراكي على صفحتها الأولى وفي المقالات التي تنشر عليها.. والحقيقة أن الاتجاه الاشتراكي للصحيفة لم يكن يعرض من مقالات الأولى فقط بل أيضاً في المقالات الأخرى في الصفحات الداخلية التي كانت تنجذب إلى الثقافة والفن والأدب والمنوعات لتكون أكثر قدرة على جذب القارئ.

رغم ذلك تظهر المواد الصحفية في الجريدة خلال هذه المرحلة تراجع الدولي العالمي لصالح المحلي.. ويعود ذلك بتقديرنا لثلاثة عوامل:

١ - التحويل الاشتراكي الذي يصبغ الحياة الاجتماعية والاقتصادية في سورية.

٢ - تعزيز الكادر الصحفي وزيادته.. وجرأة الكاتب الصحفي ونشاطه وحيويته.

٣-وضوح الانتماء.. "بعث عربي اشتراكي.. وحدة حرية.. اشتراكية".

أسماء الصحفيين بدأت تذيّل المواد المنشورة وغابت بعض الزوايا أشهرها زاوية "يوم بعد يوم" في الصفحة السادسة وزاوية أقول لكم.. وكذلك شيء ما.. الخ.

في عدد ١/١٣ إشارة إلى استقبال صور بالراديو من القاهرة حيث كان الوفد السوري برئاسة الدكتور نور الدين الأتاسي نائب رئيس مجلس الرئاسة.. الصور المنشورة تؤكد تدني المستوى التقني لاستقبال الصور بالراديو لكنها كانت جديدة وكانت تحتاج شرحاً كي يفهم الناس ما هي الصور بالراديو؟!

في عدد ١/١٤ يعقد أمين الحافظ مؤتمراً صحفياً مطولاً يرد فيه على الكثير.. ويواجه مواقف الرئيس عبد الناصر.. وينشر على خمس صفحات إضافة للأولى التي تقدم المؤتمر بمانشيتات وخبر رئيسي.. ولقطات.. نعرض لها هنا...

*** دخل الفريق الحافظ مبنى وزارة الإعلام وحيا الجموع بطريقته الشعبية بما فيها من جاذبية ساحرة..**

وعندما أسرع متخطياً حرسه الخاص.. بدا وكأنه راغب في الانطلاق من إسار الرسميات والشكليات.

- **لم ينس وزير الإعلام في كلمته الترحيبية بالصحفيين توجيه غمزة لبقة إلى بعض الصحف العربية والأجنبية التي لا تراعي قواعد الأمانة والحقيقة في أخبارها وتعليقاتها.**
- **كشف الرئيس الحافظ في معرض جوابه على الأسئلة الموجهة إليه عن نقطة هامة تتعلق بالتأميم.. وهي أن الدراسة كانت معدة منذ أشهر وقد أجل الإعلان والتنفيذ إلى أن عاد من فرنسا بعد إجراء عملية جراحية له في أحد مستشفياتها.**

• أثرت لهجة الفريق الصريحة الواضحة وأسلوبه الشخصي في كشف الحقائق والإدلاء بها للصحفيين الحاضرين في المؤتمر.. وضجت قاعة المؤتمر مرات بالتصفيق الحاد..

• حول سؤال يتعلق بموقف الدول العربية من التأميم أجاب الرئيس الحافظ قائلاً: نحن خطونا خطوة ليست اشتراكية فحسب بل خطوة وحدوية أيضاً لأن الأنظمة إذا لم تتشابه تكون عثرة في طريق الخطا الوحدوية، فخطوتنا اشتراكية ووحدوية..

وقد كان موقف الجمهورية العربية المتحدة واضحاً من خطوتنا..

ولا نتوقع من الدول العربية إلا كل تقدير وتفاهم.

* وجه أستاذ في الاقتصاد سؤالاً عن التأميم استشهد فيه بفقرات من كتاب "الكابيتال" لكارل ماركس حول تأميم وسائل الإنتاج وعناصر الإنتاج.. وتبين أن لاعلاقة له بالماركسية.. وأنه لم يستعن أحد بالكتاب المذكور.. عند وضع القرارات..!.

في عدد اليوم التالي ١/١٦ تتابع الصحيفة هجومها باسم الدولة عبر افتتاحية "طبعاً دون توقيع جرياً على العادة" بعنوان "المتباكون على الثورة":

المتباكون على مصير سورية كثر إذا عددنا الفئات، وقلة إذا شئنا العدد الحقيقي، بالقياس إلى مجموع الشعب، بل بالقياس إلى أصغر خلية من خلاياه.

وما يتباكون لحرصهم على سورية ولكن لأن سورية عادت إلى الشعب أرضاً وسماء وخيرات وقدرات وتطلعاً إلى وجود عربي كامل، ولأن مصيرهم لم يعد له معنى، مادام مفرغاً من مضمونه الشعبي، ومن أية صلة بقدر هذا الشعب وجهده وغده، لقد عزلوا أنفسهم من قبل وعزلوها اليوم، وسيظلون في عزلتهم القاتلة.

من المتباكين من تسلطوا على حياة الشعب أزماناً طويلة، فهضموا حقه واستغلوا جهده وإمكانياته وأعانوا عليه كل مستعمر مر على أرضنا،

أو طمع فيها، وهربوا أموال الشعب، وحاولوا القضاء على صناعته وتجارته وزراعته ومع ذلك يزعمون اليوم أن مصير سورية في خطر بعد أن هجرتها "الرؤوس" املفكرة المدبرة، وأن اقتصاد سورية منهار حتماً، مادامت تلك "الرؤوس التي عرفت كيف تمتص دم الشعب طويلاً، لم تعد معرشة على أقداره.

ومن المتباكين جماعة الحاسدين التي تواكب الثورة، وظلت تشكك فيها وفي جدواها، ثم لما تيقنت من انتصارها، وقفت من الانتصار موقف الحاسد، ولم تجد غير الاستمرار في التشكيك، ذلك أنه مصيرها الوحيد المتبقي.

ومن المتباكين جماعة تزعم الحدب على انتصار الثورة، وتأييدها في خطواتها، ولكنها لا ترى أن الثورة ستستمر دون أن تشترك فيها، وتخطط لها، وتقود خطواتها حسب هواها.

ومن المتباكين جماعة من الذين انحرفوا عن المثل الثورية، وطعنوها أكثر من مرة، ومشوا في ركاب أعدائها، وكانوا وسيلتهم إلى ضربها وطبيعي ألا يقفوا إلى جانب الثورة، وأن يتهموها بالعقم، رغم انتصارها، ماداموا خارج نطاقها، وما دامت لم تدعهم ليكونوا قادتها.

ومن المتباكين مجموعة تدعي أنها تقول بما تقول به الثورة، وتعمل للأهداف نفسها التي تعمل لها، ولكنها لا تجد بداً من الطعن، ولو غمزاً.

مهما يكن فإن التباكي كالكذب، قصير المجال، يفضح نفسه بنفسه، ويقع بعد زمان يسير، صريع دجله أمام الانتصارات الكبرى.

وستمضي الثورة بخطواتها الواثقة، ورجالها الاتقياء إلى أهدافها العظيمة، ولن تأبه لنحيب المتباكين.

تقرأ كل ذلك فلا تجد في الصحيفة ما يشير إلى جهة رافضة أو تقاوم نهج الثورة ومواقفها السياسية لكنك تشعر بها!؟..

والذي يلاحظ أنه غالباً ما تتهرب الصحيفة من إمكانية إيضاح حقائق عما يجري داخلياً إلى الشأن الدولي.. يعني ليس بالضرورة أن يكون النزوع

إلى الشأن الدولي على الصفحة الأولى كما في عدد ١/١٧ هو انعدام الخبر المحلي الهام.. في هذا العدد كان المانشيت الأحمر:

الهجوم على فيتنام الشمالية

وعلى كل حال تبدأ الصحيفة حملة داعمة مستمرة لفيتنام الشمالية في صراعها مع نظام "سايغون" في فيتنام الجنوبية المدعوم أميركياً.. ولاسيما بعد التدخل العسكري الأميركي السافر.. وكان مرفوضاً عالمياً أيضاً.

هل استعانت الثورة بدعمها لفيتنام لتنسى حقائق ما كان يجري في السياسة المحلية.. حيث النشر محدد.. وأعني النشر عن صراعات كانت تجري وتترك سؤالاً: من الذي كان يحدد للثورة ما تنشره؟ وزير الإعلام..؟! كان في حينه الأستاذ مشهور زيتون.. أم غيره؟!

نتابع ويتتابع الإحساس من الافتتاحيات والمقالات أن ثمة ما هو مسكوت عنه داخلياً.. حتى جاء عدد ١/٢٦ لنقرأ على الصفحة الأولى مانشيتاً بالأحمر يقول:

إعدام المتآمرين

ثم بالأسود:

المحكمة العسكرية تحكم بالإعدام على ٨ أشخاص وبالبراءة على ٢١ من المتهمين

مع صورة للمحكمة العسكرية برئاسة المقدم صلاح الدين الضللي وصورة أخرى لأربعة محكومين بالإعدام..

مقدمة الخبر تقول:

بتاريخ ١٩٦٥/١/١٥ اجتمعت المحكمة العسكرية الاستثنائية بدعوة من رئيس مجلس الرئاسة برئاسة المقدم صلاح الدين الضللي وأجرت محاكمة بعض المتهمين بحوادث الشغب ومناهضة أحكام القوانين المتعلقة بتطبيق النظام الاشتراكي.. بعد أن استمعت إلى أقوال المتهمين والشهود في القضية قضت بالحكم وجاهياً بإعدام كل من....

تاريخياً هي قضية التنظيم الإسلامي الذي عرف في حينه بكتائب محمد.. مدعوماً بمجموعة من تجار دمشق.. وقاعدته "إخوان مسلمين" واعتصامهم في الجامع الأموي.

في العدد نفسه تنشر الثورة مانشيتاً آخر باللون الأحمر:

الثورة تخفض أجور السكن

العقارات المؤجرة غير المخمنة تخفض بنسبة ٢٥% والمفروشة ٣٠%

وفي العدد افتتاحية تظهر حماس المرحلة وانقياد الصحيفة لهذا الحماس.

ليس للثورة أن تتوقف

لا، لن ينقطع الخونة عن الخيانة والغدر والتغرير بالشعب وتضليله، إلا إذا صمتت أفواههم إلى الأبد، أو قضي على الثورة، وغدت الحياة كلها خيانة وخسة.

وليس للثورة أن تتوقف، مهما تعددت سبل الخائنين، ومهما رفعوا من حواجز، وإذا كانت الثورة حيناً رحيمة، فإنها تعرف متى تكون الرحمة خطأ فادحاً، وخاصة حين يستهدف الخائن الشعب ومكتسباته، أو يسلك سبيل التآمر ولو مع العدو إسرائيل.

ولهذا لم ترحم الثورة المتآمرين، هذه المرة، ولن ترحم كل من والاهم أو ساهم في مخططهم.

على أن الثورة حين تقسو على الخونة والمتآمرين لا تنسى مهمتها، ولا تغفل المثل التي انطلقت من أجلها.

إنها ابنة الشعب، ولذلك تجهد لتحقق للشعب حاجاته، وقد جاءت مراسيم أمس، حول تخفيض الإيجار، وتحويل مخازن الرأسماليين الكبار إلى تعاونيات استهلاكية منسجمة مع خط الثورة الشعبي.

وستمضي الثورة قاسية على الخونة والمارقين، مهما كانت صفتهم، ولو تستروا بالدين ليخونوا مثل الدين نفسه.

ومؤمنة بحق الشعب ومصيره، ولو تعاونت كل قوى الشر ضدها.

لا، لن يكون ثمة تلاق بين الرجعية والثورة، وعلى الثورة أن تستمر في اجتثاث جذور الرجعية والخيانة.

وتتابع الثورة نشر مزيد من مراسيم التأميم.. وفي عددها لصباح الخميس ١٩٦٥/١/٢٨ تبدأ بنشر تفاصيل محاكمة المتهمين والمانشيت الأحمر يقول:

المؤامرة بالجرم المشهود أمام القضاء

ثم مانشيت بالأسود:

علاقة السفارة الأميركية وإسرائيل وجهات أخرى بالمؤامرة الرجعية

آخر الخبر يقول:

اقرأ التفاصيل في الملحق.. ولم نجد الملحق..

في العدد ذاته.. هناك خبر عن اعترافات الجاسوس الإسرائيلي "الياهو كوهين" الذي كان يحاكم أمام المحكمة نفسها.

وتتابع الصحيفة نشر تفاصيل محاكمة كتائب محمد.. وتظهر فيها تراجع المتهمين وطلبهم الرحمة والحكم بالبراءة.

تسيطر خلال هذه المرحلة على الصحيفة حماسة الدعوة لمقاومة "المؤامرة".

وتتابع بإخراج متألق..

في ١٠ شباط تظهر على صفحتها الأولى خلافات سورية – ألمانية غربية حول تمويل سد الفرات.. حيث جرت محاولة لمتابعة ما كان بدأ منذ ما قبل الثورة مع المرحوم خالد العظم..

وهناك تصدٍ لمواقف سياسية ألمانية..

في عدد ١٣ شباط المانشيت الأحمر:

ايرهارد: سننفذ الاتفاقات الراهنة..

وبالأسود:

مستشار ألمانيا الغربية يحاول تغطية موقف بلاده بتصريح مبهم

والحديث كان عن صفقة تصدير أسلحة من ألمانيا الغربية إلى إسرائيل.

وفي العدد التالي... المانشيت يقول:

تل أبيب تعلن ارتياحها لتصريحات ايرهارد بشأن استمرار إرسال الأسلحة لإسرائيل.

ثم مانشيت أحمر:

إسرائيل ترحب بتصريحات ايرهارد

الخميس ١٨ شباط على الصفحة الأولى مانشيت أحمر:

الجاسوسية الأميركية أمام القضاء

مع صورة لأعضاء المحكمة نفسها "المحكمة العسكرية الاستثنائية" وأمامها تمت محاكمة فرحان الأتاسي وعبد المعين الحاكمي وأدينا بتهمة التجسس لصالح الولايات المتحدة.. وقد نشرت الثورة تفاصيل من المحكمة، وفي عددها ٢١ شباط نشرت خبر الحكم عليهما بالإعدام، وفي عدد ٢٥ شباط نشرت خبر تنفيذ الحكم ثم نشرت وصيتهما.. بناء على طلبهما.

١٩ شباط أعلنت الثورة تأميم شركات الاستيراد الخارجية وقد أدى ذلك إلى قيام شركة "سميكس" للاستيراد والتصدير للقطاع العام.. كانت تجربة مرّة.. انتهت بتوزيع الشركة إلى مجموعة شركات..

المانشيت الأحمر:

تأميم تجارة الاستيراد الخارجية

وهناك إنذار لمحتكري المواد التموينية والأدوية وتهريبها ما يشير إلى وجود أزمة استيراد وعدم توفر المواد التموينية والأدوية.

على صعيد كوادر الثورة تبدأ في هذه الفترة أسماء جديدة بالظهور لمصورين في الصحيفة منهم مروان مسلماني.. وأحمد فرغلي.. وكربيس بغدويان الذي اشتهر "رحمه الله" فيما بعد وأصبح أحد الأعلام البارزين في العمل الصحفي في الثورة.

تتابع الثورة نشر تفاصيل محاكمة الجاسوس الإسرائيلي الصهيوني كوهين.. مانشيت عدد ٤ آذار:

المحكمة العسكرية تتابع استجواب الجاسوس الصهيوني كوهين

في عدد ٨ آذار تصدر الثورة ملحقاً بثماني صفحات لحديث عن منجزات الثورة في عامين. وهو تقليد استمر طويلاً فيما بعد. وفي ٩ آذار تفرد مساحة كبيرة لصور العرض العسكري الذي أقيم بالمناسبة.

في النصف الثاني من آذار تنشغل الصحيفة التي عدلت من إخراج اسمها ليصبح مظللاً وأنعم ويبقى باللون الأسود.. بتصريحات الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة الذي دعا في حينه إلى التعامل مع وجود إسرائيل بواقعية.. ونشرت أكثر من مانشيت منها:

تل أبيب ترحب بتصريحات بورقيبة

استمرار الغضب على بورقيبة

٦. والافتتاحية توضح الموقف:

لكل عربي دوره وموقعه

لم يفاجأ العرب حين ظهرت المؤامرة الجديدة على القضية الفلسطينية، ولم يفاجأ العرب حين ظهرت المؤامرة أميركية التخطيط، ألمانية الطريق، صهيونية الهدف، ولم يستغربوا أن يقوم هاريمان بزيارات إلى تل أبيب بغية الاتفاق معها على خطة موحدة لطعن العرب.

ولكن الجديد في الأمر أن يقوم حاكم عربي بما يعجز عن القيام به الأجنبي علناً، وأن يكون بورقيبة هو الرجل المختار لتأدية مهمة سبر الرأي العام العربي، ومعرفة رده على حلول التسوية والتصفية للقضية الفلسطينية.

وحين كان بورقيبة يسترسل في تصريحاته المشبوهة في القدس ثم ينتقل إلى بيروت ليوضح مقاصده "الأجنبية" أكثر من ذي قبل، ثم يطير إلى الكويت ليخلو بمشايخها فيهمسوا في أذنه ويهمس في آذانهم حين كان

يقوم بتأدية مهمته تلك، ويبدي في تأديتها حيوية ونشاطاً "أميركياً" كان حكام الكويت يظهرون حماساً لفظياً للقضية الفلسطينية بل إنهم أعلنوا عن أنهم سيسحبون سفيرهم من بون.

من الطبيعي أن يتم سحب السفراء من بون.. ومن الطبيعي أن يكون الاشتباك الدائم مع دبابات الصهيونية، وكل يوم تقريباً سبيل من لا يملك غير الجيش الشعبي الذي يرابط به على الخطوط الأمامية للحدود الفلسطينية منتظراً لحظة الصفر..

ومن الطبيعي أن يكون استخدام البترول وهو سلاح لا يقل فعالية وتأثيراً عن الجيش المقاتل في المعركة، فيقطعه عن شرايين العدو وشرايين أعوانه وحلفائه ألمانيين كانوا أو أميركيين أو بريطانيين هو العمل المطلوب.

ومن الطبيعي أن يدفع من يستغل البترول العربي المتفجر من بطن الأرض العربية، شيئاً من ثمنه لتقوية الجيوش المرابطة على الخطوط الأمامية، ومن الطبيعي أن يدفع من هذا المال لمنظمات التحرير الفلسطينية ما يوفر لها القدرة المادية والعسكرية لمعارك التحرير، كان من الطبيعي أن يدفع من هذا المال "المسروق" والمدفون في البنوك.

بل هذا ما يجب على كل عربي أن يفعله في موقعه ومركز قدرته فإلى متى يستمر خداع أرباب البترول؟ وإلى متى يستمر خداع بعض المتسترين عليهم ممن يشترى سكوتهم بالقروض؟.

إن الموقف الجذري من بورقيبة وحكام الكويت وقطر والبحرين الذين يهدرون أموال الأمة العربية ولا تحرك المأساة الفلسطينية في نفوسهم مشاعر النخوة العربية هو ضرورة ملحة بل تبدو هذه الضرورة اليوم في إلحاحها ما يجعلها في مستوى المواجهة القومية للمؤامرة الأميركية – الألمانية – الإسرائيلية، لأن خيانة أولئك هي المعبر للحلول المشبوهة للقضية الفلسطينية.

إضافة إلى مواجهة واقعية بورقيبة تنشر الثورة خبراً عن سحب سفيرنا في بون..

وتهتم بخبر اقتصادي يأخذ موقع المانشيت على الصفحة الأولى في عدد ٣/١٨:

شركة الطيران العربية السورية تدخل عصر الطيران النفاث

مع صورة كبيرة لتوقيع عقد شراء طائرتي "سوبر كارافيل" من فرنسا..

وطبعاً تستمر في عرض كل ما يتعلق بالموقف الآخر للنظام السياسي.. كان هناك خلاف مع الكويت.. ومانشيت ٣/١٩ كان:

جاسوس أميركي بالكويت: الشيخ جابر الأحمد ينظم التسلل الإيراني

وكانت حالة عداء قائمة مع إيران أيضاً حيث تثار قضية "عربستان".

العدد الصادر في ٢٠ آذار يشير إلى احتمالات تقارب مع الشيوعيين.. المانشيت يقول:

أمين الحافظ يدلي لمراسل البرافدا بتصريح هام

مستعدون للتعاون مع المخلصين للاشتراكية.

وهناك أيضاً مانشيت أحمر:

الاتفاقية السورية الصينية..

والمانشيت نفسه عنوان للافتتاحية التي دأبت دائماً على تناول حدث اليوم.

في عدد الأحد ٢٨ آذار إعلان على الزاوية العليا من الصفحة الأولى يقول:

قريباً الثورة في حلتها الجديدة.

مع جريدة الثورة كل ١٥ يوماً الملحق قريباً

ويستمر النشر حتى ٦ نيسان.. والحقيقة أننا لم نجد حلة جديدة ولا ملحقاً إنما الوضع الفني الإخراجي للصحيفة كان مدهشاً بجد.. ولا يخفي لمسات فنان خلفه يفترض أن يكون الأستاذ محمود السيد.. لأن المخرج الآخر الأستاذ طريف الحسيني كان يعمل حصراً للموقف الرياضي، وطبعاً

هناك عدد آخر من المخرجين يتعذر علينا الآن ذكر أسمائهم.. لكن من ناحية تصميم صفحة كان إما محمود السيد وإما طريف الحسيني.

تتابع الثورة موقف النظام السياسي من الأحداث العربية والدولية.. وتظهر وكأنها تشاغب على دول شتى.

في عدد ٢٨ آذار هناك مانشيت باللون الأحمر يقول:

إعدام ١٤ معارضاً بالمغرب

في عدد أول نيسان مانشيت عن توقيع العقد النهائي لإنشاء مطار دمشق الدولي.

في عدد ٣ نيسان مانشيت يقول:

انتصار فريق جيشنا لكرة القدم على فريق الجيش البريطاني.

وفي الصفحة الرياضية يتكرر المانشيت بلغة غريبة:

هزيمة الجيش الانكليزي أمام منتخب الجيش العربي السوري

ما أتذكره عن المباراة أنها كانت مع منتخب القوات البريطانية في قبرص.

في عدد ١٩٦٥/٤/٤ تظهر صفحة جديدة تصدر كل أحد على الصفحة السادسة بعنوان الحياة الجامعية.

صفحة ممتازة كتب فيها مجموعة من الأسماء منهم ممدوح عدوان، هشام شيشكلي، وغيرهم.. ويتهيأ لي من خلال متابعة الصفحة أن ممدوح عدوان كان محركها الأساسي.. يكتب باسمه الكامل.. وبالمختصر وبلا اسم أحياناً..

صفحة جريئة تتابع قضايا الجامعة والطلبة نأخذ منها الزاوية التالية بعنوان حرم مهتوك:

لنقل كلمة.. لماذا يستباح الحرم الجامعي؟

الحرم الذي تعرض ويتعرض في كل يوم لتصرفات يأبى رجل الشارع أن تمر عليه دون أن يصفع فاعلها.

فأسوار الحرم في الآونة الأخيرة تصدعت في أكثر من فعل مشين من طلبة ومتسللين كأنما همهم تمزيق القيم الأخلاقية، وتلويث السمعة الطيبة التي يجب أن تصان للجامعة ولطلبة الجامعة قبل كل أمر آخر..

ولا أغالي إذا قلت إن الطالب الذي له من أخلاقياته ما يردعه عن القيام بما يشين، وما يجعله يهرب من البيئة التي تشين به.

هذا الطالب أصبح أول الهاربين من الحرم الجامعي، لأنه هو الآخر لا يريد أن يكون عرضة للسفهاء والابتذال ولأنه لمس بإحساسه أن القيمين على ذاك الحرم هم آخر من يدافع ويعمل للحفاظ على قدسيته. وحض الأخلاقيين للتشذيب من سلوكهم واستبدال اللاأخلاقية بأخلاقية واعية مدركة تستطيع أن تساهم في التثقيف الاجتماعي فقط ولكن في ترسيخ ما لهذه المرحلة من قيم يتوق إليها الإنسان العربي..

والهروبية التي يعمل بهديها المقيمون على ذاك الحرم ينطلق منها أيضاً الاتحاد الوطني لطلبة الجامعة بل إنه يكاد يقف في الصف اللاأخلاقي ويدعم بشكل مباشر أو غير مباشر العاملين على تخريب السلوكية المثقفة التي ينتهجها الطلبة عادة، على المسؤولين في جامعة دمشق أن ينزعوا نظاراتهم السوداء ليروا واقع ما وصلت إليه.

على المسؤولين أن يتخلوا عن سلبيتهم ووقوفهم متفرجين في الظل حفاظاً على وعي جيل تتلمسه قضية العرب الكبرى معلماً ورائداً ومدركاً في درب النضال.

وعلى الاتحاد أن يعمل على التخلص مما يشوبه.

وثم على الطلبة أن يكشفوا الوجوه الحقيرة التي تتسلل إلى صفوفهم وأن يكونوا المنار لفضح من وأدوا أخلاقياتهم.

وتبرأ منهم جيلنا المتطلع إلى غد أفضل.

في الصدور التالي للصفحة يكتب صاحب الزاوية عبد اللطيف عبود "تفسير وإيضاح" يتضح منه بسهولة أنه خضع للضغط لكتابته ثم يغيب عن

الصفحة نهائياً.. نعرض التفسير والإيضاح من أجل إظهار مدى الدقة في الاستنتاج:

عندما كتبنا في العدد الماضي عن الحياة الجامعية كلمة بعنوان "حرم مهتوك" لفتنا فيها النظر إلى ضرورة المحافظة على الحرم الجامعي كمكان له قدسيته ويجب العمل على صيانة هذه القدسية.

أشرنا إلى مسؤولية الاتحاد الوطني لطلبة الجامعة وقلنا (إنه يدعم بشكل مباشر أو غير مباشر بعض المواقف اللاأخلاقية) ولقد وجد بعض الحاقدين في هذه العبارة منطلقاً للقيام بعملية دس مشبوهة، وكان قصدنا أن الاتحاد هو التنظيم الذي يملك القدرة على اتخاذ مواقف حاسمة بالنسبة لتنظيم العلاقات بين طلبة الجامعة والمسؤولين عنها، وإن عدم إعطاء الصلاحية لتنفيذ ذلك هو الدعم المباشر وغير المباشر المقصود.

وإننا نؤكد على ضرورة قيام الاتحاد بالدور الذي يتناسب مع إمكانياته كتنظيم طلابي هادف، وإذا كنا ننتقد فإنما يدفعنا حرص أكيد على أن يقف الاتحاد بشكل يمكنه من تعبئة الفراغ الذي يجب أن يحتله بجدارة.

ونحب أن نؤكد أيضاً أننا لم نقصد أبداً أن نسيء لقيادة الاتحاد، ولا لأعضائه كما فهم خطأ، وكان دافعنا الغيرة على سمعة الجامعة أولاً وعلى سمعة الاتحاد نفسه.. ولا يصح بأي حال أن يكون المنطلق في تفسير كلمتنا تفسيراً سيئاً مستغلاً من قبل بعض الموتورين.

وإذا كنا نحجم عن ذكر مآثر الاتحاد وعن دوره المشرف وخاصة على الصعيد الخارجي بالرغم من إمكانياته المحدودة فلأننا نعتقد أن العقيدة التي ينطلق منها الاتحاد لا يرضيها أبداً صراخ المديح وغرور الانتصار ببعض المكاسب.

ولكن علينا أن نتساءل لماذا لا ينشط الاتحاد أكثر على الصعيد الداخلي ويبين بوضوح لجماهير الطلبة أعماله منذ نشوئه وحتى الآن.

ولن ننثني عن النقد الموضوعي لكل عمل مسيء وهدفنا البناء الصحيح للتنظيمات النقابية في سبيل دعمها وتقويتها لتحتل المكان اللائق بها في المسيرة التقدمية للوطن العربي.

في ٨ نيسان نحن أمام عدد يسجل احتفالات بتأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي.. وفيها قصيدة شعرية للشاعر الفلسطيني كمال ناصر الذي استشهد فيما بعد في عملية كومندوس إسرائيل قادها أيهود باراك وكان ضابطاً صغيراً بمساعدة بعض اللبنانيين واستشهد فيها أيضاً المرحومان كمال عدوان ويوسف النجار، وهي الشهيرة بعملية " فردان".

بعد ذلك تظهر الثورة هدوءاً سياسياً نسبياً على الجبهة العربية دون تراجع كلي عن الهجوم على أنظمة دول الخليج وفي العراق "عبد السلام عارف" ويظهر واضحاً في التوجه السياسي ثبات موقف النظام من إسرائيل والولايات المتحدة والغرب عموماً.. بينما يظهر تحسن مطرد في العلاقات مع الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية.

في عدد ١٠ نيسان نقرأ العناوين التالية "مانشيتات":

هوشي منه يرد على جونسون: لتسحب أميركا قواتها من فيتنام قبل كل شيء.

اشتباك جوي بين الطائرات الأميركية والميغ في سماء فيتنام.

اجتماع مشبوه لسفراء أميركا في الشرق الأوسط.

راسك يترأس الاجتماع بجنيف في جو مشبع بالتآمر على العرب.

وزير الدفاع البريطاني يبحث في بون وسائل تهريب السلاح لإسرائيل.

وأيضاً:

ألمانيا الغربية مستمرة في سياسة الاستفزاز وزيادة التوتر.

ألمانيا الشرقية تفتح طريق برلين لأول مرة أمس.

اكتشاف شبكة تجسس أميركية في كوبا واعتقال ٥٣ شخصاً من أعضائها.

وحتى الصور واحدة من فيتنام وواحدة لطائرة ميغ فوق جدار برلين والافتتاحية أيضاً:

راسك وسفراؤه

تشهد مدينة جنيف الآن اجتماعاً لسفراء أميركا في الشرق الأوسط، ويرأس هذا الاجتماع وزير الخارجية الأميركية دين راسك.

وإن الجو الذي سبق هذا الاجتماع، من زيارات خاطفة لمبعوثي أميركا إلى المنطقة، ومن نشاط سياسي حافل كان مسرحه واشنطن ولندن وبون وتل أبيب، وساهم فيه الحلفان.. الأطلسي والمركزي، هذا الجو كان يوحي منذ البدء بأن السياسة الأميركية دخلت مرحلة من مراحل التخطيط المكتوم لتخرج منها إلى مرحلة من مراحل التنفيذ وأن دين راسك حين يجمع سفراءه في الشرق الأوسط، فمن الواضح أن غايته هي تبليغ التعليمات الجديدة.. وفق الخطة التي وضعت لتنفيذ المؤامرة الأميركية – الألمانية - البريطانية - الإسرائيلية.

إن السياسة الأميركية الجديدة التي أعقبت المباحثات الجارية في أروقة العواصم المتآمرة.. هي في طريقها إلى الشرق الأوسط.. وفي حقائب السفراء السوداء.

ولا يسعنا بالطبع أن نتكهن بتفاصيل المؤامرة.. وجزئياتها ولكننا نستطيع إيقاظ روح الحذر والمراقبة لدى الرأي العام العربي، ونستطيع في سورية الثورة أن نترصد على الصعيد العربي.. اللغة التي يمكن أن تستعملها السياسة الأميركية، ونترصد كل محاولاتها.. في كل المنعطفات.

إن سورية الثورة هدف من أهداف التآمر، وهي بالطبع مدفوعة إلى فضح كل حركة.. أو شعار، أو مشروع يمكن أن يتخذ معبراً وسبيلاً للسياسة الاستعمارية – الصهيونية.

وإن الشعب العربي في سورية حين يمضي وراء قيادته الثورية في خوض المعركة ضد المخططات الاستعمارية – الصهيونية يعرف كيف يخوضها، ويعرف كيف يواجه أعداءه وكيف يوقع بهم ويسدد إليهم ضربته..

وإن سورية العربية.. ثورة وشعباً.. لا يعوزها الاستعداد.. والقوة.. ولا تعوزها الخطة.. والقدرة على التنفيذ.. فالنظام الثوري الاشتراكي الذي عبأ الشعب عمالاً وفلاحين وطلاباً ومثقفين وجنوداً مدججين بالسلاح.. ينتظر ساعة العمل... ليثبت للعالم.. أن مصير الشرق الأوسط.. لا يقرره راسك وسفراؤه.. وإنما تقرره وتحققه إرادة العرب... وثورة العرب.

كل ذلك يظهر عبء الدعاية والدعاية المضادة والتصدي التي تلتزم بها هذه الصحيفة الصغيرة، هذا إضافة إلى الشأن الداخلي بتفرعاته.

هناك تحسن في وضع التحقيقات.. يظهر اسم سليم عيسى على تحقيق عن شركة الصناعات الحديثة للأجواخ المؤممة.. وتحقيقات أخرى أشبه بالريبورتاجات، وفي ١١ نيسان يظهر توقيع محترف الذي استخدمه طويلاً فيما بعد المرحوم ممدوح عدوان.. وعلى الصفحة الأخيرة في ١٦ نيسان يظهر المخرج السينمائي نبيل المالح مصوراً.. بلقطة كبيرة وضع لها عنوان "تساؤل".

فيما بعد هناك تصعيد على أنظمة الخليج "الكويت تحديداً" لا أدري لماذا الكويت؟ وأعتقد أن للأمر دلالته من حيث علاقات عبد الناصر الجيدة مع الإمارة والتي دعمها حين فكر الزعيم العراقي عبد الكريم قاسم بضمها للعراق.

في ٢٠ نيسان نقرأ على الصفحة الأولى:

أسرار خطيرة عن حكام الكويت / بالأحمر

لبنان يرفض قرضاً كويتياً مشروطاً بعدم استخدامه في مشاريع التحويل "المقصود مشاريع تحويل نهر الأردن"

وهناك افتتاحية بعنوان:

البترول.. وجهنم الخونة

تشكل الثروة البترولية في الوطن العربي مورداً رئيسياً يدر الأرباح الخيالية على الشركات الأجنبية المحتكرة وعلى الأقطار العربية المنتجة لهذا السائل الثمين.

وإذا كانت الخطط الاستعمارية في الوطن العربي، تحاول دائماً طمس أية بادرة جدية لطمس هذا الموضوع الخطير على الصعيد الشعبي، ورفع شعار توظيفه في المعركة الدائرة بين العرب وبين الاستعمار والصهيونية.. إذا كانت الخطط الاستعمارية تبغي ذلك ونجحت في الماضي لتحقيق هذا الغرض، ونجحت في إخفاء معالم ووسائل الحرب البترولية عنه..

فإن اليوم يختلف عن الأمس.. وسورية الثورة تعتبر نفسها وبحكم واجباتها القومية مسؤولة تاريخياً عن تجنيد الرأي العام الشعبي لخوض المعركة في الجبهة البترولية كما تخوضها في الجبهة العسكرية.

إن سورية الثورة.. طردت كل أمل للشركات الأجنبية باستثمار بترولها ومعادنها حين أصدرت مرسومها الثوري الشهير بمنع أي امتياز أجنبي لاستثمار البترول في أراضيها، وخطت بذلك خطوة تعتبرها غير كاملة.. إذا لم تجعل معركة البترول معركة قومية بدلاً من أن تكون معركة قطرية.

وحين أعلن الفريق الحافظ باسم الثورة الاشتراكية في سورية العربية أنه لا بد من توظيف الثروة النفطية في المعركة.. كان هذا الإعلان بداية معركة جديدة ستكون ساحتها آبار البترول في أرض العرب.

ولم يكن موقف الثورة إلا خطوة مستمدة من إدراكها لواقع الحكام العرب الذين يسيطرون على مقدرات هذا المصدر الغني بالقوة والمال.

إن الواقع الأسود لهؤلاء الحكام يكشف عن نفسه يوماً بعد يوم، ولم تكن سياسة القروض الزهيدة التي حاول حكام الكويت بواسطتها شراء

السكوت عنهم.. غير خطة هزيلة مكشوفة للمخطط الاستعماري – الصهيوني في المنطقة.

ففي الوقت الذي يعود فيه مبعوث واشنطن فليبس تالبوت إلى المنطقة.. وفي الوقت الذي تبدأ فيه أميركا سياستها الجديدة المستمدة من المؤامرة الاستعمارية الدولية على القضية الفلسطينية.. تشترط الكويت قرضها المعروض على لبنان شرطاً خطيراً.. يكشف الدور الخائن لمشايخ الكويت.. هذا الدور الذي يبدو حلقة طبيعية متممة لتاريخهم الشخصي في خدمة الاستعمار.

إن الكويت اشترطت في قرضها للبنان أن يكون استخدامه تحت إشرافها.. وجاء هذا الشرط بصورة فهم منه أنها تريد استبعاد مشاريع التحويل لروافد الأردن عن مجال هذا الاستخدام.

ومن المؤكد أن سورية التي رفضت وترفض مبدأ القروض الأجنبية.. والمشبوهة.. والتي تحاول دائماً استثمار مواردها.. بإمكانياتها الخاصة.. إنما تنطلق من موقف قومي أبرزت الأحداث بصورة مباشرة أصالة هذا المبدأ..وقوته.. وفائدته على المدى البعيد..

إن سورية الثورة تعتبر البترول العربي في كل الأقطار العربية ملك للشعب العربي... وإن الشعب هو المالك الشرعي الذي يحق له التصرف به.. وإن الشعب يريد استعادة الملايين من الجنيهات والدولارات المجمدة في البنوك الأجنبية والموظفة لخدمة الاحتكارات الاستعمارية ولخدمة معوناتها الاقتصادية والعسكرية للعدو الإسرائيلي إن الشعب يريد أن يوجه قوة هذه الملايين وطاقتها الاقتصادية والعسكرية إلى صدر العدو المتربص.. بدلاً من أن تبقى موجهة إلى صدره..

إن سورية الثورة سوف تطارد هؤلاء الحكام الخونة على الصعيد الشعبي والرسمي وفي المؤتمرات العربية لكشفهم وكشف ارتباطاتهم الوثيقة بالمخططات الاستعمارية – الصهيونية حتى يحاسبهم الشعب بنفسه.

إن البترول العربي بدلاً من أن يكون سلاحاً للعرب.. أضحى بيد بعض الحكام الأذلاء سلاحاً للعدو ضد العرب .. ولابد للشعب من أن يستعيد سلاحه الماضي.. ويستخدمه في المعركة القومية القائمة.. والتي تنتظر بطاح فلسطين اندلاع نيرانه المحرقة التي لن تبقي على خائن أو متآمر في الوطن العربي كله..

إن البترول سوف يتحول بيد الشعب إلى جهنم للخونة في الكويت والخليج العربي.. وبئس المصير.

في ٤ أيار تعلن الصحيفة عن مراسيم تأميم جديدة.. تصدير الحبوب والأقطان والمحالج... الخ.

في ١٩ أيار.. المانشيت الأحمر..

الإعدام لكوهين

يمهد له بمانشيت أسود:

المحكمة العسكرية الاستثنائية تعقد جلستها الأخيرة وتصدر الأحكام:

الأشغال الشاقة ١٠ سنوات لشيخ الأرض.

٥ سنوات لسيف وزهر الدين.

والصورة على الصفحة ٤ أعمدة لأعضاء المحكمة وفي أسفل الصفحة للمتهمين ويبدو الجاسوس كوهين.

ثم تأخذ تفاصيل الأحكام ثلاث صفحات كاملة مزدحمة بالأسطر: تستعرض تاريخ القضية الفلسطينية.

في عدد الثلاثاء ١٨ أيار.. مانشيت علوي باللون الأحمر فوق اللوغو:

تنفيذ حكم الإعدام بكوهين صباح اليوم

تظهر تحت المانشيت على جانبي اللوغو "ترويستان" واحدة خبر عن أمين الحافظ مع صورة والثانية خبر عن نائبه.

وفي وسط الصفحة صورة كوهين قبل الإعدام وصورة ثانية على المشنقة.

بالمناسبة تظهر الثورة طيلة هذه الفترة إكثاراً في نشر الصور.

في ٤ حزيران ١٩٦٥ هناك مؤتمر لنصرة فلسطين يتحدث فيه أمين الحافظ ومنيف الرزاز وغيرهما، وصورة على عرض الصفحة للحافظ وأخرى له ونائبه نور الدين الأتاسي وصورة صغيرة لمنيف الرزاز.. وهناك هجوم شديد من الخطباء على الرئيس عبد الناصر والزعماء العرب.

المانشيتات:

الحافظ يفي بوعده ويكشف للشعب حقيقة الحكام وموقف عبد الناصر.

الرزاز: كنا نتوقع من عبد الناصر أن يلوم ويهاجم الدول المتقاعسة في التنفيذ.

"المقصود تنفيذ أعمال تحويل نهر الأردن"

الحافظ" فوجئنا.. بمؤامرة سرية بين الحكام..

بشكل عام أظهر قادة النظام والحزب استمرار الشقاق مع الرئيس عبد الناصر.

في هذا العدد يظهر لأول مرة توقيع على الرسم الكاريكاتيري على الصفحة الأخيرة وهو توقيع المرحوم "عبد اللطيف مارديني" ويشير المستوى ونوع الخطوط إلى احتمال أن تكون الرسوم السابقة بلا توقيع ليست له.

تتابع الصفحة الثالثة مرحلة تنوعها.. ونجدها في عدد ٦/٦ صفحة أدب.. وليس أدباً عالمياً بل محلياً..

هناك قراءة مطولة لديوان الشاعر المرحوم علي الجندي "في البدء كان الصمت" كتبها فايز خضور.. وقصائد لممدوح عدوان.. لكن هناك مقال مترجم لهنريت عبودي عن سيمون دي بوفوار.

في عدد ٨ حزيران... الرزاز يهاجم عبد الناصر مرة أخرى وفيه يظهر على الصفحة السادسة المنوعة اسم "أبو الفتح" وهو الشاعر المرحوم أديب عزت.. ونقرأ في هذه الفترة قصتين قصيرتين لابراهيم ياخور وهاني الحاج.

في ٦ حزيران.. المانشيت الأحمر:

شو ان لاي في دمشق

طبعاً هو رئيس وزراء الصين في حينه.

في ١٠ حزيران تعاود الثورة هجومها على عبد الناصر وعارف ودول الخليج.. مانشيتاتها على النحو التالي:

أسرار حملة – القاهرة – الكويت - بغداد / بالأحمر

الكويت تحمي سياستها البترولية الخائنة بالقروض وتشتري بها الموافقة.

خطة إعلامية موحدة بين لصوص البترول العربي ومدعي الثورية.

خطر يسمونه "سورية الثورة" يهدد المخططات الاستعمارية بالمنطقة.

وجاء في الافتتاحية

الشعب لن يغفر التحالف مع الرجعية

لا يسع العربي في كل مكان إلا أن يستغرب التطور المفاجئ في موقف الرئيس جمال عبد الناصر والذي عبّر عنه في خطابه وتصريحاته الأخيرة.

لقد كان الإعلان عن خطة العمل العربي الموحد الذي نادى به مؤخراً، وبخاصة تلك الخطة التي تعتمد على المسالك الجانبية للعمل العربي الموحد، حدثاً أثار المناقشة لأنه اعتبر من كافة الوجوه تحولاً على مبادئ العمل الثوري، نتج عنه تخل شبه كامل عن القضية الفلسطينية.. وقد عزز الاقتناع بهذا التحول وقدم الدليل عليه مبادرته بالهجوم على موقف سورية العربية، لأن موقف سورية في المؤتمرات وخارجها، كان موقفاً ثورياً، معززاً بمخططات عملية وضعت على أساس مجابهة الوجود الصهيوني في

فلسطين المحتلة، وتتضمن خطة عامة لتحرير فلسطين.. بعمل عربي جماعي، له زمانه وله طاقاته المقدرة أدق تقدير، وخطة لمنع إسرائيل من تحويل مجرى نهر الأردن، وخطة لإنشاء قوة ردع عربية مشتركة تحمي مواقع استثمار الروافد.

ومن المعروف أن الوفد العربي السوري زيادة في التأكيد طلب في مؤتمر رؤساء الحكومات العربية الأخير أن تكون موافقة أعضاء المؤتمر على إقرار مبدأ الحماية المنفردة الذي اقترحه الفريق علي عامر مناقضاً به رأيه الأول، موافقة خطية كما طلب تدوين اقتراح الوفد المصري بوقف مشاريع الاستثمار فرفضوا كما رفضوا تدوين الاستثمار في أراضيها، وحينما خرج الرئيس جمال عبد الناصر بخطابه الأخير كان خطابه مكملاً لمواقف الوفد العربي المصري الذي تزعم خطة هدم الجوانب الأساسية للعمل العربي الموحد الفعّال في مؤتمر القاهرة الأخير.

وإذا كانت الحملات التي توجه اليوم إلى سورية الثورة من القاهرة والكويت وبغداد في وقت واحد تحمل معنى من المعاني، فهو أن الدفاع عن مشايخ الكويت، وعن سياستهم البترولية يعتبر بادرة خطيرة.. لأن هذا التحول عن مبادئ العمل الثوري وتبني مصالح الشركات البترولية الأجنبية التي ترسم سياسة الكويت، يجري الآن باسم شعارات "ثورية" وهو تحول قد يؤدي إلى تفريغ تاريخ حكام القاهرة من كل محتوى ثوري جذري..

ويفتح أمام الرأي العام العربي سبيلاً من سبل الاستنتاج والحكم على سياسة القاهرة، بأنها أصبحت خاضعة في منحاها العام لمصالح وأغراض لا تمت إلى القضية القومية عامة وإلى القضية الفلسطينية خاصة.. بصلة جوهرية.

وإنه لمن دواعي الشعور بالخسارة.. والشعور بالأسى والمرارة.. أن تصبح القاهرة اليوم قوة إعلامية للرجعية العربية التي يمثل الحكم في الكويت أوضح وأتفه أشكالها ومظاهرها.

إن سورية الثورة كانت تعلم أن معركة استخدام البترول العربي في المعركة.. ليس عملاً سهلاً يمكن تحقيقه بين عشية وضحاها، ولكنها لم تقدر وفي أبسط الأحوال أن يصبح الحكم "الثوري" في القاهرة.. نصيراً للسياسة البترولية المشبوهة في الوطن العربي.. ووسيلة من وسائل حماية مواقعها ومواقفها المخزية من القضية الفلسطينية.

وليعلم حكام القاهرة أن الشعب العربي اليوم.. ليس كالأمس.. إنه مصمم على أن يحاسب المتنكرين للعمل الثوري بقسوة تعادل قسوة حسابه للرجعية المتواطئة على قضايا الشعب الرئيسية.. لأن المتنكرين يفتحون ثغرة خطيرة في مواقع القوى الثورية في الوطن العربي.

١. أي مواجهة تلك التي تواجهها الثورة.. خارجياً.. وعربياً.. و.. ؟

في عدد ٦/١١ ينص المانشيت بالأحمر على:

الخطة المقبلة للحكم الثوري.

ويتبعه مانشيتات أخرى:

القيادة القطرية تعد منهاجاً مرحلياً لخطة الحكم المقبلة.

المنهاج يعبر عن كل متطلبات وأماني الشعب العربي السوري.

المنهاج المرحلي لثورة الثامن من آذار.

ثمة نزوع يتضح أكثر في هذه المرحلة نحو اليسار والاشتراكية المنشودة.

في ٦/١٨ ينشر كمال مطر دراسة مطولة بعنوان أسطورة الخبرة.. سلاح البرجوازية الجديد.

وسنرى فيما بعد "مطر" فارس المرحلة والتوجه.

في عدد ٦/١٩ تنشر الصفحة السادسة المنوعة المقطوعة الشعرية التالية للشاعر اللبناني طلال حيدر:

الطوفان / ياموت ما تبكر ع أيامي / تركني لوحدي وروح / عمري أنا رح لملمه وخبيه / الأيام عمتغرق بها الأيام / الكلمة الكانت تجي وتروح

/ غرقت بهالطوفان / ماتت على شفافي/ وحدي أنا والليل عميزحف على كتافي / يامسافر بهالليل / خدني معاك وسوح / مطرح ما بدك روح / يا جبال آرارات وبينها سفينة نوح / وحدي أنا والناس عمتغرق بالطوفان / شراع العمر ناطر هبوب الريح / والموج يلي فرتش بأيده ع هالعالم / سطور / جايي تيمحي حكايته / العالم مع الطوفان والفلك عمبيدور / يامركبي رح نفترق يا مركبي / هي آخر السفرة معك / شو العمر؟ بكره بعاصفة / المقداف رح بيودعك / لمن عيوني تزوغ بدك تلمحك عمتختفي / وما بعود فيي أقشعك / وغني ولنه شو ي بلكي بسمعك / يامركبي تعبان رح أغرق معك / يامركبي، شو العاصفة؟ / الطوفان؟ شو غناني العصور؟ / هالموج يلي فرتش يأيده ع هالعالم / سطور / جايي تيمحي حكايته / العالم مع الطوفان والفلك عمبيدور

في عدد ٢٠ حزيران.. اهتمام كبير بالحدث الجزائري.. انقلاب الرئيس الجزائري المرحوم هواري بومدين على أحمد بن بلا.. ولا تخفي الصحيفة ترحيبها بالانقلاب..

فوق اللوغو مانشيت أحمر يقول:

سورية الثورة تعترف بالوضع الجديد في الجزائر.

وتتالى المانشيتات

الجيش الوطني الشعبي بقيادة بومدين يقوم بتبديل مفاجئ لنظام الحكم بالجزائر.

الدبابات والجنود المسلحون يحتلون جميع المراكز الاستراتيجية

سقوط حكم بن بلا./ أحمر

انقطاع الاتصالات الهاتفية بين الجزائر والعالم ومصير بن بلا غامض.

المجلس الوطني لقيادة الثورة يتهم بن بلا في بيان له بالفردية والتسلط.

البيان يؤكد التصميم على توطيد المركزية الديمقراطية والمجتمع الاشتراكي الحقيقي.

المؤتمر الآسيوي الإفريقي ينعقد بموعده والجزائر تحترم التزاماتها الدولية.

مع صورتين متجاورتين لبن بلا وبومدين..

يتضح تماماً ما يضيفه الحدث إلى المعركة الباردة المحتدمة مع الرئيس عبد الناصر حيث كان يستقطب الرئيس أحمد بن بلا.

تبدأ الصحيفة بالتعامل اليومي مع الحدث الجزائري، لنقرأ مجموعة افتتاحيات.. حيث الافتتاحية تساير دائماً حدثاً مختاراً ملياً أو عربياً تعبر عن موقف النظام.. ودائماً دون اسم.. نختار من مجموعة الافتتاحيات عن الحدث الجزائري هذه:

الجزائر والمؤتمر الآسيوي – الافريقي

تمر الثورة الجزائرية بعد إقصاء بن بلا وحاشيته بمرحلة جديدة، وتستمد هذه المرحلة معالم خطواتها من العوامل التي أدت إليها، ودفعت الأحداث نحوها وجعلت الثورة الجزائرية في موقف، هي مجبرة فيه على الاختيار بين حكم فردي وحكم جماعي، بين أسلوب كيفي، وأسلوب موضوعي، لتسير في طريق لا ينقطع فيه ماضي الثورة عن حاضرها، ولا تتخلى الآمال الكبرى عن مطامحها إلى مستقبل لا يشاد ولا يبنى إلا على دعائم ثورية.

وكان اعتراف سورية الثورة وهي أول دولة تعترف بالوضع الجديد، اعترافاً بمبادئها، وتأكيداً لأساليبها، وتعبيراً عن إيمانها بمبدأ القيادة الثورية الجماعية.

وتبدو اليوم الجزائر بوجهها الجديد وهي مقبلة على المؤتمر الآسيوي – الإفريقي أشبه بالقوة التي تحفزت واستعدت لتخطو خطوتها على مرأى ومسمع من أكبر مؤتمر عالمي يعقد لتأكيد مبدأ عدم الانحياز،

وتأكيد روح التضامن بين الشعوب المكافحة ضد الاستعمار بشكليه القديم والجديد.

وحين اهتم الرأي العام العربي والعالمي بأحداث الجزائر اهتم بها لسببين: الأول لأهمية القطر الجزائري، وخطورة دوره الثوري والقومي في الشمال الإفريقي، والوطن العربي.

والثاني لانعقاد المؤتمر الآسيوي – الإفريقي فيها حيث كادت الأحداث الأخيرة في بدايتها توحي بالتساؤل عن تأثيرها على موعد انعقاده.. أما وأن دول آسيا وإفريقيا تتجه إلى مؤتمر ليعقد في موعده المحدد، أما والثورة الجزائرية تستمر في ترسيخ قواعد الوضع الجديد فلا شك أن الرأي العام العالمي قد ازداد اهتماماً بالمؤتمر الآسيوي – الإفريقي الذي رافقته أحداث الجزائر كقوة إعلانية له ولوقائعه ونتائجه التي يترقبها العالم، ويترقب معها قدرة المؤتمر على تجاوز الصعوبات، وعلى تخطي العقبات التي يحاول الاستعمار إقامتها في وجهه.. وسورية الثورة تمضي إلى المؤتمر المذكور وهي مصممة على المساهمة فيه مساهمة فعالة تؤدي إلى انجاحه وتعزيز المواقع التي تضمن انتصار أهداف الشعوب التي تتعلق أنظارها بمؤتمر الجزائر الثائرة.

في العدد التالي يلاحظ تدخل في صفحة الحياة الجامعية وهي تحتل الصفحة السادسة ونرى فيها مواضيع منوعة منها رئيسي مترجم عن السينما.. وهناك موضوع واحد لممدوح عدوان بعنوان:

ما الذي فعلناه حتى الآن لمعالجة المشكلات الجامعية

وفيها مقال لافت موقع باسم رئيس التحرير نورده هنا:

رأي لا بد منه

حين قررنا إحداث الصفحة الجامعية، كنا نعتقد أن الجامعة وشؤونها وقضاياها تحتاج إلى صفحة يتحدث فيها الأساتذة والطلاب حديثاً يعرض

للمزايا وينقد للعيوب، وتكون الصفحة في الوقت نفسه ميداناً لأقلام الطلبة يعبرون فيها عن تجاربهم الجامعية ومشاعرهم الدراسية.

وإذا كانت الصفحة في البداية قد تعثرت فلأنها فقدت المساهمة التوجيهية للأساتذة من جهة.. والأقلام الناضجة في أوساط الطلبة من جهة أخرى..ولم يكن المقال المنشور في العدد "٦٣٣" من الصحيفة عن مشكلة الفحوص الجامعية إلا صورة للمشاعر الشخصية لكليتها والتي تتعدى كونها آراء طالب لم تتوفر له نظرة سليمة.. بل اختلطت عليه الأمور من خلال سطحية شعوره ومشاكل الامتحانات.

ولا شك أن المقال في حد ذاته يدل على أن مسائل الفحوص ومعالجتها أمر يعجز بعض الطلبة عن إبداء رأي موضوعي سليم فيه ويدل على أن رفع مستوى الثقافة يقتضي جدية أكبر في البرامج وتشدداً متناسباً معها في الأسئلة لأن غاية الجامعة لم تكن في حال من الأحوال.. إنجاح الطلبة.. وتسهيل هذا النجاح لهم بل خلق جيل ذي ثقافة لها أسسها القوية والصحيحة.

ونحن نعلم أن الجامعة على عكس ما أراده صاحب المقال هي بحاجة ماسة إلى مستوى أعلى في البرامج والمواد الدراسية.. والأسئلة.

ونأمل في المستقبل أن تتمكن الصفحة الجامعية من معالجة الأمور من هذه الزاوية الهامة.

واضح أن صفحة الجامعة التي بدأت جريئة وجيدة.. وعانت باستمرار من الضغط.. قد تكون وصلت إلى طريق مغلق بسبب صعوبة تقبل الرأي.

تتابع الصحيفة الحدث الجزائري – ربما بإسراف - وبالتأكيد استجابة للموقف الرسمي الحكومي.. لكن هل حددت الحكومة كل هذا الاسراف أم أن الجريدة استهدفت استرضاء الحكومة..؟ هذا ما يحدث عادة.

حب يعلن عن نفسه

لم أرتح لحديث الرجل.. ربما بسبب الطريقة أو الأسلوب.. لكنه يسيطر على الجو ويعد الناس، لا أدري باسمه الشخصي أم باسم من؟ كل ما أعرف أنه انتمى لحزب البعث العربي الاشتراكي قبل قيام الثورة بأشهر، في فترة الحراك الجماهيري ضد حكم الانفصال.. هل فوّض نفسه.. أم أن أحداً فوضه؟!

لم يكن ذلك واضحاً.. تحدث عن طريق.. ومدرسة.. وكهرباء.. ولم يستطع أحد أن يسأل متى؟! فقد بدأ شق الطريق لتزفيتها مقترناً بضجيج الأحاديث على ثلاثة اتجاهات:

- حديث عن الطريق وأهميته.. ولا سيما أن البعض قاس مقاطع مخطط الطريق وقال: إنها بعرض ١٢ متراً.. وإنه سيسير على المخطط القديم نفسه.. ويتحول من ترابي محجّر إلى زفت..

ربما عقب أحد: طبعاً يجب أن يكون على مساره القديم "ليش نحنا نعرف نخطط مثل فرنسا.." سكت عندما نُصح بالسكون وذكروه أن "صوفته حمرا".

- حديث عن التعديلات المحتملة بمسار الطريق وكل يحاول دفع الأذى عن أرضه.. وكادت معارك كثيرة تنشأ..

أنت مع التزفيت؟!

نعم..

نحتاج متراً من أرضك.

لا..

- حديث عن الشغل.. كانت فرصة للناس أن تعمل في تكسير الحجارة ونقلها ورصفها على محور الطريق...وأعمال أخرى كثيرة في زمن ضرب فيه موسم الدخان..

بعد الطريق بدأت حركة المدرسة.. أين تقام الثانوية الرسمية "التجهيز" في أي قرية؟.. وبدأ الناس يتذاكرون بأسماء الضباط والقياديين والمسؤولين مفترضين سلفاً أن كلاً من هؤلاء يدعم منطقته..

وهات يا كلام.. فلان أبعد.. فلان رفّع.. فلان قوي لديه ضباط داعمون.. وفلان ليس عنده أحد وسيطير.. وهكذا..

- هذا الكلام سيسبب لنا تعب قلب..

- من أين يأتون به؟.

- لا أدري ونحن ما صدّقنا أن يأتي إلى الحكم من يفكر بنا.

قال معترض:

الكلام منهم.. من هؤلاء الضباط والمسؤولين.. كل ما رجع حدا منهم يروي في بيته كي يتبجح أمام زوجته، ما جرى في القيادة أو في الحزب، أو في أي موقع.

الخلافات بدأت تتحدث عن نفسها.. علاقتي بـــ "الثورة" وصحبتنا المشتركة عرضتني إلى مآزق.. كثيرون يسألونني:

ما الذي يجري..؟!

لم أجب أحداً.. لسببين... أولاً لأنني أخاف من افتراض أنني و"الثورة" روحان بروح.. بل إن أحدهم سألني لماذا أقالوا مدير "الثورة" وأتوا بآخر.. وتابع:

- كل يومين مدير؟!

وثانياً.. لأنه بصراحة لم تكن لدي إجابة.

فتشت أوراق الثورة بعد أكثر من أربعين عاماً.. واكتشفت أن سطورها يمكن أن تشي بما كان يجري.. لكن يبدو أن صحبتنا لم تكن كافية لتبوح لي بأسرارها.. ولا سيما أنه لم يكن من نوايا اقتران أبدي قد ظهرت في الأفق.

لكنه الحب.. ورغم السرية طلب مني شاب فقير أن أذهب معه إلى مدير المواصلات في اللاذقية كي أؤمن له فرصة عمل في "النافعة" على مشروع الطريق؟! في البدء ظننته يسخر مني.. ثم حاول إقناعي أن نتحدث باسم الجريدة واسم أخي..

استهجنت الفكرة.. وعندما سمعنا والدي وشرحنا له، رأيته يدق على صدره.. وبعد أيام أحضر ورقة تأمر بتشغيل ذاك الشاب.

سألته:

- هل قلت لهم الثورة؟!
- أي ثورة هذه يا ولد؟!
- جريدة الثورة.
- بل قلت لهم "الزوبعة".

لأبي أصدقاء كثر من السوريين القوميين البارزيبن اجتماعياً، بل هم بصراحة رفاق.. لا سيما في "الريجي".. وهو يستخدم هذه الرفاقية أو الصداقة لخدمة الناس.

كلمته ذكرتني بقصص رواها لي عن جرأته..

قلت:

- كانت "الزوبعة"..
- واليوم؟!
- الثورة
- الله يوفقك في هذه "الثورة"..
- هل تعجبك؟!
- ماهي؟!

- جريدة الثورة.

- أخوك يعمل بها.. وأنت لا تفارقك.. ياليتك تقرأ في كتبك كما تقرأ فيها.. فهل أستطيع ألا تعجبني؟!

- أنا أراك تقرأ فيها..

- عندما أضجر أقرأ كل شيء.

- حتى ولو كان بعثياً..

- لا اعتراض عندي على البعث.. الله يوفقهم..

- بماذا؟!

- يضبوا حالهم.. فلا تنتشر حكايات صراعاتهم للقاصي والداني..

لا شماتة في كلامه.. هو بجد ورغم جذوره السورية القومية يحبهم.. ولا سيما أنهم أطلقوا سراح السياسيين في سجن المزة العسكري "السيء الصيت" وبينهم رفاقه في الحزب..

وقال رداً على ما قرأته من الجريدة عن أكثر من مليون ليرة لخدمة مشاريع في الأرياف..

"إنهم يشتغلون.."

زلغوطة تملأ الفضاء.. أم علاء وقد تلقوا خبر قبول علاء في الكلية الحربية.. قال أبي:

- ضابط من بيت حمود؟! لماذا لم تنتسب إلى إحدى الكليات، أحسن لك من هذه الجريدة؟!

تفاجأت بكلامه.. هل اقتنع أيضاً بأن مستقبلي سيقترن بهذه الصفحات الصفراء؟!

الأيام تتوالى والأحداث تتطور.. والحب يعلن نفسه.. وقد اقترب الموعد الذي لن يكون بعده من مجال لإنكار الحقيقة.

إنعام الجندي يودع..

في ١ تموز ١٩٦٥ تختتم الثورة عامها الثاني ويطل اسم "مصباح دبجن".

تولى الأستاذ دبجن رئاسة التحرير أكثر من مرة ولم يتول موقع المدير العام أبداً.. علماً أن الموقعين غالباً ما اجتمعا لشخص واحد.

كتب الأستاذ مصباح الكلمة التالية على الصفحة الأولى بالمناسبة:

الثورة في عيد ميلادها الثالث

تحتفل صحيفة الثورة اليوم، بعيد ميلادها الثالث، ولدت هذه الصحيفة، مع ثورة آذار، كما تولد الكلمة الصادقة القوية، ونشأت ونمت ورافقت مراحل الثورة، فخاضت معاركها، وعاشت انتصاراتها، وأدت واجبها كصحيفة معبرة، عن أهداف الطليعة العربية، وآمال الشعب، ومطامح النظام الاشتراكي في القطر العربي السوري...

وكما أنها كانت لسان الثورة المعبر، كانت في الوقت نفسه، منصرفة بكل ما تملك من طاقة وقدرة، إلى تطوير مستواها الصحفي تحريراً وإخراجاً يحققان لها السعة في الانتشار.

وصحيفة الثورة لا يسعها إلا أن تعترف بجهود المؤسسين، والمساهمين من رؤساء التحرير السابقين وغيرهم ممن أولوها عنايتهم، ومنحوها إخلاصهم وخبرتهم مسجلة لهم الشكر في عيدها الثالث.

وفي الوقت الذي تتابع فيه "الثورة" رسالتها الصحفية والقومية والاشتراكية، تؤكد حقيقة هامة هي أنها أولاً وأخيراً ملك للقارئ العربي في

سورية، وهي تعتبر كل ما تحظى به من رضا القارئ وإعجابه وإقباله عليها مبرراً لوجودها ومقياساً لنجاحها وهدفاً لها تحافظ عليه بما تستطيع تحقيقه من تقدم وتطور ورقي.

إن "الثورة" تحرص اليوم على أن تكون في أخبارها أمينة، وفي توجيهاتها أخلاقية، وفي مقالاتها نافعة، وفي تحقيقاتها مصلحة، وفي موضوعاتها مرفهة، وأن تكون رشيقة الشكل أنيقة الإخراج محببة الشخصية ولها جاذبيتها الخاصة.

ولا ندعي أننا حققنا كل ذلك، ولكننا نحاول تحقيقه، ونأمل أن تواصل "الثورة" متابعة طموحها كوسيلة إعلامية مجندة للثورة الاشتراكية، وكصحيفة ناجحة يلقى فيها كل مواطن مهما كان مستواه الثقافي ومهما كانت طبيعته وميوله ما يطلبه ويبتغيه في حدود التزاماتها الخلقية والقومية والفنية وإمكانياتها الراهنة.

في حركة الصفحة الثالثة التي عرفت التنوع بدورية غير منتظمة غالباً أسبوعية ومواد غالباً خارجية نجد ترتيباً جديداً حيث تعطى تسمية "فكر" وتنشر إلى جانب الكلمة الموضوعية بمربع أسود في وسط الصفحة، عبارة محتوى الصفحة:

تحتها نقرأ:

- ليس جديداً: لعاصم الجندي
- الاشتراكية المغلوطة: لهنريت عبودي
- النظرية الكلاسيكية: لممدوح عدوان

وهناك زاوية جانبية باسم "على الهامش" غير مذيلة بتوقيع أحد.

هذا التجريب لا يبدو موفقاً على هذه الصفحة.

الصفحة السادسة الثقافية المنوعة تأخذ اسم "ألف – باء" بإخراج جديد والصفحات المحلية تشهد أيضاً تبويباً جديداً.. وثمة مدخلات خدمية مثل

برامج التلفزيون والإذاعة وحالة الطقس... مواعيد النشاطات الثقافية.. أبراج.. أقوال وأمثال.. وكلمات متقاطعة كلها تحت عنوان "الأثير"

تتابع الثورة اهتماماتها العربية.. إضافة إلى الجزائر وتأييد مطلق لبومدين هناك اليمن حيث الحرب الأهلية في الجزء الشمالي مستعرة. والشطر الجنوبي يناضل ضد الاستعمار البريطاني.

ما تنشره الصحيفة حول الحرب الأهلية بين الجمهوريين "جماعة الثورة" وجماعة البدر يوضح خلافاً بعثياً ناصرياً حول ما يجري.. حيث القوات المصرية في اليمن تقاتل جماعة البدر إلى جانب الجمهوريين الذين تناصر سورية بعضهم.. بل كان يشار إلى انتماءات بعثية لبعض قيادات الثورة الجمهوريين..

نأخذ افتتاحية عدد ٧/٣ الدالة على المواقف..

اليمن.... والسلام

إن مأساة القطر اليمني الشقيق، بسطت على الأحداث العربية ظلاً قاتماً، وأثارت في نفوس الجماهير العربية شعوراً بالألم الممزوج برغبة عميقة في إيجاد حل قومي شعبي للقضية اليمنية تحقن به الدماء، وتتاح لهذا الشعب العربي الذي قاسى عهوداً طويلة من الحكم الرجعي المتخلف عن ظروف العصر الحديث فرصة للحياة العادلة.

ولا جدال في أن الثورة اليمنية تملك في كل وقت القدرة على إحراز النصر النهائي إذا قدر لها أن تعمل بوحي إرادتها دون تدخل خارجي يشل قوتها ووحدتها ودون تدخل يمنع الفئات الواعية المناضلة من أن تمارس مسؤولياتها الثورية.

إن القضية اليمنية لا تعاني في حقيقة الأمر إلا الحاجة إلى وسائل فعالة لتحقيق الوحدة الوطنية، إلى وسائل تفسح السبيل أمام الشعب كي يفرض إرادته، وحينما أتيح للشعب أول بادرة، حقق إرادته وعبر عنها في

مؤتمر "خمر" ومقرراته أصدق تعبير فأفصح عما يريد.. عما يبتغي تحقيقه ويهدف إليه.

وقبل انعقاد مؤتمر خمر.. وخلال عامين من المأساة الدامية، لم تكف المحاولات الصادرة عن "خارج" اليمن عن العمل بمختلف الأساليب لتمزيق قوى الجمهورية الفتية وإظهارها للملأ بمظهر المتعادية المنقسمة على نفسها.. ولكن مؤتمر خمر الشعبي الذي تمثلت فيه كل الهيئات والمنظمات الشعبية والقبائل العربية، أظهر بكل وضوح أن الشعب العربي في اليمن قوة موحدة قادرة على أن تنهض بأعباء النظام الثوري وتوطيد دعائمه وفتح الطريق الواسعة أمام تقدمه ونموه وثباته..

ولم تكن حكومة النعمان إلا السلطة الجديدة التي أنيطت بها مهام العمل لتحقيق مقررات مؤتمر "خمر".

فما هي الجهة التي تحارب مقررات مؤتمر "خمر"؟ وما هي مصلحتها؟ وهل تخشى هذه الجهة وحدة الشعب العربي في اليمن؟ ولماذا؟.

إن مأساة القطر الشقيق تدفع كل عربي مخلص للقضية الثورية والقومية في الوطن العربي أن يعتبر إحلال السلام في اليمن وإفساح المجال أمام الشعب ليعالج قضيته بنفسه، هما فوق كل مصلحة أو رغبة أو غرض "جانبي".

إن الجماهير العربية من المحيط إلى الخليج، وفي سورية الثورة خاصة، تنتظر أن ينجلي الموقف عن انتصار جديد لأهداف مؤتمر خمر، لأن انتصار مؤتمر خمر، وتنفيذ مقرراته، وتحقيق غاياته، هي بمثابة حياة جديدة للشعب اليمني يقبل عليها موحداً قوياً مستقل الإرادة عزيز الجانب موفور الكرامة، ليبني بلده المخرب ويضمد جراح أبنائه، ويدفن الرجعية الحاقدة إلى الأبد.

٧. مانشيت ٧/٤:

"الشرعية" الثورية أقصت بن بلا ووضعت خاتمة الأسطورة

مانشيت ٧/٦ بالأحمر:

بيان بومدين.

مع صورة كبيرة له..

هناك أيضاً عناوين تتعلق باليمن.. واستمرار الهجوم المتقطع على عبد السلام عارف في العراق.

المانشيت في عدد ٧/٨:

السلال ينتهك الدستور اليمني ثانية ويشكل حكومة ضد إرادة الشعب.

وهو المشير عبد الله السلال رئيس اليمن الجمهوري وكان مرتبطاً كلياً بالرئيس عبد الناصر.. والمانشيت لا يترك مجالاً للاستنتاج حول الخلاف البعثي الناصري في اليمن..

مانشيت العدد بالأحمر:

الرزاز يتحدث عن الثورة الجزائرية واليمنية والشؤون الداخلية.

ثم.. مانشيت آخر محلي:

المنهاج المرحلي للحكم الثوري سيذاع قبل نهاية الشهر الحالي

يستمر التجريب على الصفحة الثالثة لنجد في هذا العدد تحقيقاً محلياً جميلاً بعنوان:

المدينة بعد منتصف الليل

ومعه قطعة لممدوح عدوان الذي يبدو في هذه المرحلة الأنشط.. تكاد تراه في كل صفحة.

في ٧/٩ تعود القصة القصيرة إلى الصفحة السادسة لنقرأ واحدة للفرنسي الكبير جي دي موباسان وثانية لعاصم الجندي "شقيق إنعام الجندي".

في ٧/١٠ ومتابعة للتجريب على الثالثة نرى صفحة عن العمل والعمال وفيها حديث لنذير نابلسي رئيس الاتحاد المهني لنقابات عمال النقل البري. في أجواء التوجهات العمالية للنظام السياسي الاشتراكي.

على الصفحة السادسة يطل مصطفى عابدين في زاوية "من واقع الحياة" كان مصطفى رجلاً قوياً نصف بدوي ونصف حضري، حاد المزاج نسبياً وبما لا يمنعه من الضحك والممازحة خصوصاً مع حميميه.. يعمل مخرجاً في الصحيفة.. وهو من السلمية وكان والده يعمل حارساً في المطبعة "أبو مصطفى" رحمه الله.

في ١١ تموز تنشر الثورة على صفحتها الأولى صورة كبيرة وخبراً صغيراً ولا مانشيتات.. أمين الحافظ ومنيف الرزاز يؤديان صلاة المولد النبوي خلف الشيخ أحمد كفتارو وقد غاب المسؤولون الآخرون..

هل هو موقف؟

لمن..؟ ومن وجه به..؟ من يتحكم بسياسة الصحيفة؟

ثمة رتابة.. رغم استمرار توارد الأسماء الجديدة.. هناك أسماء تتالى على زاوية من واقع الحياة.. ويطل اسم "نمر حماد" الذي يعمل اليوم في مكتب الرئيس الفلسطيني محمود عباس في زاوية من أجل غد أفضل على الصفحة الأخيرة.

تستمر الرتابة.. وتترافق بتراجع في مستوى الإخراج..

ثمة ما يجري لا نستطيع تحديده.. لكن يلاحظ عودة التسخين الإعلامي مع مصر عبد الناصر.

في ٢٢ تموز تنشر الصفحة الأولى مانشيتاً على ثمانية أعمدة

النشاشيبي يواصل اتصالاته في لندن بعد اجتماعه بهيكل

ناصر الدين النشاشيبي هو السفير المتجول للسيد عبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية.. وهيكل وهو طبعاً الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل وكان في لندن مبعوثاً لعبد الناصر.

شيء ما يطرح تساؤلاً عن علاقة سورية بجامعة الدول العربية في تلك الفترة..

في العدد نفسه ظهرت زاوية جديدة على الصفحة السادسة بعنوان "عدسة" وهي ليست صورة.. بل يتناوب عليها كتاب.. إنما فيها صورة..

في ٢٢ تموز ينشر المرحوم زكي الأرسوزي مقالاً في زاوية من أجل غد أفضل على الصفحة الأخيرة تحت عنوان "في النية يكمن كل إصلاح" ويلاحظ وضع اسمه في أعلى الزاوية وليس في أسفلها كما هي عادة الصحيفة، ولا شك أن لذلك علاقة بأهمية الأرسوزي المساهم بدور كبير في تأسيس البعث.. سنأخذ الزاوية علّها تقدم شيئاً عما يحيط بالمرحلة من تساؤلات وشائعات.. إضافةً إلى ما فيها من أسلوب الأرسوزي في التحليل والاشتقاق اللغوي..

في النية يكمن كل إصلاح..

للإصلاح طريقتان أساسيتان، فالأولى قد عبر عنها المسيح بالقول الآتي: لم تأتوا إليّ، بل أنا الذي أتيت إليكم، والطريقة الثانية تتلخص بعبارة مأثورة وهي: لا تنزل الحرية إلى الجمهور، بل الجمهور يصعد إليها، قول المسيح لتلاميذه يشير إلى المنهج الذي سلكته الرسل والأبطال. في عرف الأقدمين إن الإصلاح نعمة يمن بها الإله على الناس، كانت الجماهير ترجو قدوم المخلص من السماء كما ترتقب الزهرة قطرات الندى عند الصباح.

وكلمتا "نبي ورسول" تدلان على وجهة نظر الأقدمين، الأولى تعني بحسب اشتقاقها سبر الأغوار واكتشاف الحقائق المطوية عليها النفس الإنسانية، والثانية تنظيم المجتمع على ضوء الحقائق الإنسانية المستجلية.

هكذا كان الأقدمون يعتقدون أن الإصلاح ينزل من القمة إلى القاعدة، من النابغ البطل إلى الجمهور.

ولكن كانت الصعوبة في تميز الزعيم المخلص من المدعي الدجال، ولما نفذ الدخيل المستعمر إلى بيئتنا استغل أيما استغلال التقليد المتعارف عليه عندنا، فكم من مرة ظن الجمهور بأنه وجد ضالته فاهتدى إلى من سيخلصه ولكن كان الظن يخيب في كل مرة فتبقى في النفوس مرارة الحسرة.

وأما طريقة المجتمعات الحديثة في الإصلاح فمستوحاة من مبدأ هو أنه يجب على الجمهور أن ينتزع حقوقه، بالقوة، ممن يمثل سلطة الدولة، ومقدرة الجمهور على انتزاع حقوقه تتناسب مع وعيه للأمور العامة، ومهمة الطليعة هي أن تحفز أكبر عدد من الناس للعمل من أجل القضايا العامة "الحمل على الجماعة خفيف" إن الاهتمام في المرحلة التاريخية الراهنة منصب على تحسين الأوضاع العامة والأوضاع العامة تجلب معها الحياة الملائمة لها، ففكرة الإصلاح والحالة هذه مستوحاة من العلاقة الطبيعية بين الحياة والبيئة باعتبار أن الحياة إمكانيات تتحول إلى استعدادات في تفاعلها مع بيئتها. فإذا كانت أطراف كل من العقاب والبط قد تحولت إلى مخلب أو إلى مجداف، فإن التحول ضرورة نمط الحياة، الضرورة التي اقتضتها البيئة، وكذلك الأمر مع المجتمعات، لكل نظام اقتصادي جماعي يقابله نمط من العمل والتفكير.

وأما الإصلاح في رأيي فيجب أن يبدأ بعقد النية عليه، يعقد كل مواطن العزم على العمل من أجله وكلمة "نية" في اللسان العربي تفيد أنه من العمل بمثابة النواة من الشجرة. "نوي نية ونواة" وعمق النية يظهر في كبر الهمة مثل مأثور يقول: المرء حيث يضع نفسه، فكأن الأعمال من النية كالشجرة من النواة وعلى قدر ما تكون النية عميقة تأتي الهمة عظيمة، فالهمة المنعقدة على القيام بوظيفة شرطي غير النية المنعقدة على القيام بقيادة الأمة، لا ينكر شأن الجندي في بلوغ النصر في معركة اليرموك ولكن التاريخ سجل الفخر لخالد بن الوليد، فمن يرغب في شأن مماثل بدأب على العمل من مقياس مماثل، لكل مواطن شأن في تقدم الحضارة ولكن القمم وحدها تثير الشعور بالروعة.

إن الذهن العربي إذا شق كلمة "سعادة" من سعى دل على أن السعادة هي مسعى مكلل بالنجاح، ووجود كلمة "ساعد" في أسرة الكلمة المذكورة يوحي بأن السعادة تبلغ أوجها في المساعي المشتركة بين الإخوان

والمستهدفة أماني الأمة وآمالها، والبطل منهم هو ذاك الذي تشتد إرادته بقدر ما تتعاظم الأخطار في طريق الإصلاح، ومتى ظهر البطل رأت الناس فيه أمانيهم متجسدة.

المنهاج المرحلي لثورة الثامن من آذار يحين موعده على صفحات الثورة يوم ٢٣ تموز.. مانشيتات تتعدد على الأولى يتخللها مانشيت واحد يعد بمؤتمر صحفي لأمين الحافظ غداً.. وذكرت المانشيتات:

الفريق الحافظ يعقد مؤتمراً صحفياً هاماً مساء غد.

استمرار العمل في الدستور المؤقت حتى يوافق الشعب على الدستور الدائم.

المؤتمر القطري الاستثنائي لحزب البعث يصدر:

المنهاج المرحلي لثورة الثامن من آذار.

توضيح شامل وعلمي للتحويل الاشتراكي والتطور الاقتصادي والثقافي.

تحقيق أهداف الشعب في الوحدة والحرية والاشتراكية ودعم كفاح الإنسانية في التحرر.

تعرية كافة المواقف المباشرة وغير المباشرة للاستسلام للوجود الصهيوني.

وتتالى فصول المنهاج ليحتل العدد كله تقريباً.. يحدد المنهاج المسير في طريق الاشتراكية بل هو في الحقيقة يمكن أن يشير إلى قوة ذوي الاتجاه اليساري في البعث.. والذين غالباً كان يقودهم المرحوم صلاح جديد. وقد استمر العمل بالمنهاج حتى عهد قريب.. بل هو حتى اليوم لم يلغ.

نلاحظ في العدد افتتاحية قاسية ضد عبد الناصر بعنوان "ابك كالنساء".

وهكذا تولى عدد ٢٥ تموز نشر أخبار المؤتمر الصحفي لأمين الحافظ... مع تسع صور عن التلفزيون له وللرزاز ونور الدين الأتاسي تصنع منه الصحيفة إطاراً علوياً يسارياً للصفحة الأولى.

هل كانت حركة تجريبية إخراجية جديدة أم إنها تقول ما هو أبعد من ذلك.

في إطار تفاصيل المؤتمر الصحفي نشرت مجموعة لقطات نوردها هنا:

- حضر المؤتمر الصحفي الذي عقده الفريق الحافظ عدد كبير من مراسلي الصحف العربية والأجنبية، وكان يبدو على الجميع اهتمام خاص بهذا المؤتمر وكانت وجوههم تعكس مختلف المعاني وأبرزها الرغبة في الحصول على "زاد" صحفي وافر.

- كانت الأسئلة المقدمة من الصحفيين إلى سيادة الفريق تصل إليه ليوزعها بدوره على قادة الحزب والسادة الوزراء ويجيب كل منهم عليها في حدود اختصاصه.

- لوحظ من أجوبة الفريق الحافظ والدكتور الرزاز على الأسئلة المتعلقة بخطاب الرئيس جمال عبد الناصر الأخير، أن ثورة آذار لا يمكن أن تحيد عن أسلوبها الموضوعي في كل حوار، وأن الشتائم لا يمكن أن تستفزها وتجرها إلى المهاترة وسيبقى موقفها في كشف مواقع الضعف العربي معتمداً على أسس موضوعية وعلمية تحفظ للقضايا العربية جديتها وأهميتها.

- أثار الفريق الحافظ بصراحته وابتسامته التي لا تفارق فمه ذلك الجو المألوف والخاص به، والتي جعلت الصحفيين يشعرون بمدى ثقة الثورة بخططها وإيمان الشعب بها وبروح الصدق التي تسري فيها .

- كان مندوب صحيفة "إلى الأمام اللبنانية" أكثر المندوبين الصحفيين فضولاً فقد وجه أكبر عدد من الأسئلة.

تركزت أسئلة الصحفيين في صيغها المختلفة على قضايا كثيرة كان من أهمها المسائل التالية:

١ - المنهاج المرحلي للحكم الثوري في القطر العربي السوري.

٢ - المجلس الوطني الموسع.

٣ - خطاب الرئيس جمال عبد الناصر الأخير.

٤ - مشاريع التحويل في الأرض السورية.

٥ - العلاقات الطيبة بين سورية والاتحاد السوفييتي.

٦ - مشروع سد الفرات.

- لم يكن مقدم المؤتمر إلى الصحفيين والمشاهدين في التلفزيون يعلم أن الدكتور عدنان شومان هو نائب وزير العمل.. فقدمه على أنه وزير العمل ثم عاد وصحح خطأه.

- أجاب الدكتور نور الدين الأتاسي على سؤال يتعلق بمشروع سد الفرات فذكر أن ألمانيا الغربية عرضت في الماضي قرضاً بـــ "٥٠٠" مليون مارك ثم خفضته إلى "٣٥٠" مليون مارك لكن لم تقبل به سورية لأنه كان مشوباً – كما ألمح – بملابسات مشبوهة.

ومن الملاحظ أن الدكتور الأتاسي هو الذي أجاب على كل ما يتعلق بالمجلس الوطني الموسع وما يستتبع قيامه من أمور تقضي بها الأعراف المتبعة.

- الدكتور حسان مريود غلبت عليه طبيعة عمله فكانت أجوبته موجزة ومقتضبة بأسلوب ديبلوماسي محض.

- لم يرد سؤال واحد من اختصاص الدكتور هشام العاص.. فبقي مستمعاً.

- أوضح المؤتمر الصحفي أن سورية الثورة اختارت النظام الاشتراكي في البناء الداخلي، وسياسة عدم الانحياز في علاقاتها الدولية، والعمل للوحدة العربية في النطاق العربي.

تتابع الثورة هجومها على عبد الناصر والسلال وعبد السلام عارف.

من الذي يأمر ويحدد؟

أول ظهور علني لمقالات إنعام الجندي المدير العام لمؤسسة الوحدة وصحيفة الثورة.. لم يكن في الافتتاحيات التي نشرت كلها دون توقيع..

ويرجح ان يكون كتبها كلها... لكن أول مقال بتوقيعه كان في زاوية "من أجل غد أفضل" على الصفحة الأخيرة.. وتحت عنوان "البقية تأتي" .

المقالة جاءت كأنها إحدى الافتتاحيات ما يدعم كون الأستاذ الجندي هو الذي يكتبها.. ولعله نشرها في زاوية الصفحة الأخيرة كون افتتاحية العدد على الصفحة الأولى انشغلت بالمنهاج المرحلي.. فهل يعني ذلك موقفاً خاصاً للأستاذ الجندي من المنهاج المرحلي؟

بكل الأحوال ننشر الزاوية:

البقية تأتي

خطاب الرئيس عبد الناصر أمس، يثير تساؤلات كثيرة، وإن يكن كسابقه، ظل في نطاق التبرير.

كان الرئيس أمس، كيوم ٢٣ تموز، غيره في السابق، كان في السنين الماضية، يطل من فوق مقتدراً يحمل على كفيه مصائر، يدحرج هذا، ويرفع ذاك، يمسح هذا من صفحة الوجود، ويخط اسم ذاك على الناصبة، أو في صفحة الخلود، وإن كان ذلك كلاماً بكلام – كما قال أحد الخلفاء -.

أما أمس وفي ٢٣ يوليو فقد كان كمن يدافع عن مصير بات على كف القدر.

كان قادراً من قبل على إثارة ردود الفعل، أما أمس وفي ٢٣ يوليو، فكان خطاباه ردود فعل لا أكثر.

كانت ثمة محاولة واحدة، وإن مضطربة، للتحدث عن الثورية، يستفاد منها أن حكم عبد الناصر قد استطاع أن يقيم تنظيماً شعبياً "سوياً" وهذا التنظيم – دون ريب - هو الاتحاد الاشتراكي، الذي أصدر مرسوماً بتشكيله منذ أكثر من سنتين.

تلك هي الثورية: إصدار أمر بإنشاء "حزب" يضم الشعب كله، شاء أم أبى! رغبة في قيام "وحدة وطنية" هذه الوحدة الوطنية التي طالب بها الرئيس في اليمن، في ٢٣ يوليو، وطالب بها في العراق في خطاب أمس.

وإذا كان الشعار المرفوع في الخطابين "الوحدة الوطنية" قد نفذ في العراق، وفشل، كما أكد الرئيس عبد السلام عارف، فإنه الشرط الوحيد – الذي يطرحه الرئيس – لانسحاب قواته من اليمن.

فإذا نفذت اليمن الشرط، كانت في اليمن ثورة، وإلا.. فجيوش عبد الناصر باقية، حتى تقوم ثورة في اليمن.. كما يريدها الرئيس عبد الناصر!..

جاء الرد من الوفد الجمهوري اليمني في مؤتمره الصحفي في بيروت!

والبقية آتية لا ريب!

في ٢٨ تموز تنشغل الصفحة الأولى بمانشيتاتها بأحداث اليونان.. تقول:

إضراب عام في اليونان ومظاهرات عنيفة تطالب بعودة بابندريو.

حكومة توتاس الجديدة تواجه انهياراً عاماً في العاصمة اليونانية.

الصفحة الأولى بكاملها تنشغل بالأحداث الدولية رغم أن المنهاج المرحلي للثورة كان يفترض أن يعطى له مدى أطول.. وهذا يعيد طرح السؤال.. هل كانت شدة الاهتمام بالحدث الدولي ناجمة عن هروب من تعارض المواقف من الحدث المحلي.

الجريدة بشكل عام مستمرة في تسجيل تراجعات فنية وإخراجية. مع بداية آب تكاد تكون خسرت معظم ما حققته من تقدم إخراجي مع مجيء إنعام الجندي حيث شهدت صفحاتها نوعاً من الهدوء والسلاسة المريحة للقارئ.

بل تبدو الصحيفة كلها في حالة اختلال في توزيع موادها وإعلاناتها وما تنشره.

على الصفحة الأولى في ١٧ آب ثمة خبر صغير يكاد لا يرى بعنوان:

أسماء القيادة القطرية الجديدة جاء فيه:

أذاعت القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي في القطر السوري بياناً أعلنت فيه أسماء أعضاء القيادة القطرية الجديدة الذين تم انتخابهم في المؤتمر القطري الاستثنائي الأخير وهم الرفاق:

محمد أمين الحافظ.. صلاح جديد.. نور الدين الأتاسي.. يوسف زعين.. محمد الزعبي.. حمد عبيد.. جميل شيا.. مصطفى رستم.. عبد الكريم الجندي.. مصطفى طلاس.. محمد رباح الطويل.. سليم حاطوم.. محمد عيد عشاوي.. حسام حيزة.. مروان حبش.. فايز الجاسم.

هكذا دون سابق إنذار.. أو إشعار مسبق.. أو أي ضجيج.. مؤتمر استثنائي وقيادة جديدة.. وخبر صغير في زاوية مهملة في الصفحة الأولى من الثورة التي لم تظهر ضجيجاً رغم الشارع المحيط الذي يغلي بالضجيج.

تجذر الخلاف.. وكبر الخرق بين اتجاهي البعث في حينه..

ربما بين الشباب والكبار.. ربما اليسار واليمين.. ربما أسباب وتوصيفات أخرى.. لكن.. هذه قيادة بلا صلاح البيطار وبلا ميشيل عفلق.. وبلا محمد عمران.. الخ.

وبلا ضجيج..

فرصة أن نرى صورة لإنعام الجندي بددها عدد ٨/١٧ حين نشر صورة لاستقبال المدير العام لصحفية بلغارية بمرافقة ملحق بالسفارة.. ورغم كبر الصورة لم يظهر فيها الأستاذ الجندي.

يستمر الأرسوزي بالنشر في زاوية "من أجل غد أفضل"يشاركه الدكتور ممدوح فاخوري..

في ٨/٢١ نقرأ دراسة أو مقالاً مطولاً كتب عليه "تحقيق أعده كمال مطر" على الصفحتين المحليتين الرابعة والخامسة.. نقرأ بالعنوان:

الطبقة الرجعية من مديري المصارف تساهم في ربط صغار البرجوازيين مع كبارهم في وحدة مصالح العلاقات الشخصية تحل محل الهدف الأساسي الاقتصادي.

الثورة عنونت أنه تحقيق لكمال مطر ووصفته بأنه دراسة موجهة عن موقع الجهاز المصرفي في الاقتصاد والتحول إلى اقتصاد اشتراكي.. طبعاً هي دراسة يسارية.

تتالى بغزارة مقالات الأرسوزي.

يستمر عبد اللطيف مارديني في الكاريكاتير يشاركه أحياناً ممتاز البحرة..

عادت غزارة يوسف مقدسي الذي يبدو أنه كان غائباً.. وعاد اسم عبد الله الحوراني.

وفي ٢٤ آب تعلن الصحيفة بلسان نور الدين الأتاسي عن أسماء ٩٥ عضواً في المجلس الوطني الموسع.. وفي ٢ أيلول تتحدث عن تحقيق وأحكام إعدام وإعادة أموال ومحلات.. وهناك افتتاح الجلسة الأولى للمجلس الوطني لقيادة الثورة في مبنى البرلمان.. وبيان تاريخي للفريق الحافظ أخذ مكان الافتتاحية في ترتيب إخراجي غير مسبوق.. وتنتقل الافتتاحية من اليمين إلى اليسار تحت عنوان "في الصميم" ويوقعها إنعام الجندي.

الجمعة ٣ أيلول تعلن الثورة أن المجلس الوطني انتخب مجلس رئاسة جديداً بعد استقالة مجلس الرئاسة السابق وانتخاب البديل من الرفاق:

أمين الحافظ - نور الدين الأتاسي - جميل شيا - فايز الجاسم - الدكتور حسان مريود.

أي خرج منه صلاح جديد.. وأيضاً محمد عمران..

وإذا قارنا هذا بالقيادة القطرية الجديدة سيبدو واضحاً دون أن تعلن "الثورة" أنه الانشقاق الكامل.. أمين الحافظ مع الرزاز والقومية يسيطرون على المجلس الوطني لقيادة الثورة ومجلس الرئاسة.. في مواجهة القيادة القطرية الجديدة التي غاب عنها البيطار وغيره.

ثمة ما يجري.. تمحورت الخلافات.. وأعلنت الاصطفافات.. فمن تتبع الثورة؟!

وماذا تنشر؟! وماذا لا تنشر؟!

هي أيضاً تبدو في وضع غير مريح ويظهر تراجع مستمر في إخراجها وتبويبها وكل شيء فيها.

في ١٩٦٥/٩/٨ تنشر الثورة رداً من مدير بنك سورية والمهجر المؤمم في حمص "بكري ناعورة" على كمال مطر تحت عنوان:

أدعياء الثورية الفاشلون الحاقدون.

اتهموا كل ناجح ومجد منتج بالبرجوازية

الرد على أكثر من صفحة نأخذ مقدمته:

ملاحظة ضرورية

عمدت هذه الصحيفة إلى الأخذ بمبدأ نشر تحقيقات تتناول المسائل الاقتصادية في القطر العربي السوري، مفسحة المجال لكافة وجهات النظر الاختصاصية أن يساهم في كشف كل الجوانب المفيدة المتعلقة بتجربة التحويل الاشتراكي بطريقة إيجابية، وبالطبع فإن المقالات المنشورة مهما كانت جهتها لا تعبر عن رأي الصحيفة وإنما تعبر عن رأي أصحابها.

وقد نشرت الصحيفة في العدد رقم "٦٩٣" الصادر بتاريخ ١٩٦٥/٨/٢١ تحقيقاً حول المصارف والدور الوظيفي لمديري المصارف في التحويل الاشتراكي كتبه الأستاذ كمال مطر، وقدرنا في حينه أن يتناول المتتبعون والمختصون هذا الموضوع بالبحث والدراسة وانتظرنا فترة طويلة لم يأتنا فيها أي رد أو رأي معاكس لرأي كاتب التحقيق، ثم جاءنا من الأستاذ بكري ناعورة مدير بنك سورية والمهجر في حمص رد عليه من الناحية الموضوعية.

ملاحظات لا بد منها:

١ - خرج الكاتب عن إطار الموضوعية في الرد وتعرض لصاحب المقال بأوصاف تعتبر "شخصية" وكان حرياً به أن يرد على أفكاره وآرائه فحسب.

٢ - خرج الكاتب عن إطار الموضوع.. بتطرقه إلى ماضيه الشخصي هو وتقديم كشف عن حياته النضالية والثورية!

٣ - رغم تأكيد الكاتب بأنه لم يكن منفعلاً فإننا نأسف أن نقول: إن رده كان مطبوعاً بالطابع الانفعالي المحض مما كان سبباً في "انحرافه" أحياناً عن موضوع البحث.

٤ - أورد الأستاذ ناعورة رأياً هاماً وهو أن المسؤولين عن الأحوال السائدة في المصارف، هم المشرفون على شؤون التسليف في الدولة والمسؤولون عن تخطيط السياسة النقدية والإنمائية وعن رسم القواعد الحقوقية للمؤسسات المصرفية وذكر أن كثيراً من مديري المصارف تعرضوا لهذا الموضوع بالذات وهذه الفكرة جديرة بالبحث والمعالجة.

ونحن إذ ننشر هذا الرد الذي لم تتوفر له الموضوعية بالصورة المطلوبة..

فإننا نود أن ننبه السادة الذين يرغبون في الكتابة في هذا الموضوع، أن يتقيدوا بآداب الحوار الموضوعي وعدم الجنوح نحو الانفعال كالتعرض للكاتب شخصياً، لأن أي جنوح من هذا النوع عدا عن أنه يمنعنا من النشر فهو يبعد الباحث عن غاية البحث، وعن غاية الصحيفة.. وعلى كل فهذا هو الرد "الوحيد" الذي جاءنا على التحقيق الذي نشره الأستاذ مطر.. آملين من الكتّاب أن لا يقعوا في أي محذور غير موضوعي في المرات القادمة.. والصحيفة ترحب بكل من يود المساهمة في البحث والمناقشة شاكرة له جهده وإسهامه..

ويرد كمال مطر بصفحة كاملة..

هل هي صورة أخرى للصراع؟!

الأربعاء ١٤ أيلول هناك مؤتمر قمة عربي في الدار البيضاء يستمر حتى السبت ١٧ أيلول حيث يعود أمين الحافظ إلى دمشق الأحد ١٨ وصورته وهو على باب الطائرة على الصفحة الأولى.. ويلاحظ فرق الاهتمام بين هذا المؤتمر وسابقيه في الصحيفة.

في ٢٢ أيلول تنشر الثورة ما سمته تحقيقاً عن الإعلام السوري بين الواقع والثورة على الصفحة الخامسة.. موقعاً باسم قسم التحقيقات نقتطف منه الفقرات التالية:

الإعلام هو فن للتعبير عن فكرة، أو سياسة، أو منهج بوسائل النشر والصحافة والإذاعة والتلفزيون، بصورة أشد ما تكون إقناعاً، والإعلام فن تحول إلى علم على يد أساطينه في الغرب، ولعل أشهر النابغين في حقل الإعلام هو: سالازار، وشتوركين، وآخرون، ممن اكتشفوا قواعد مستمدة من "علم النفس الاجتماعي" " وعلم التحليل النفسي".

واستمدوا من مكتشفات العاملين في حقلي "الحرب النفسية" وفن استخدام الوسائل التعبيرية المادية منها والمعنوية استخداماً يصلها بساحتها المحيطة بالبشر وظروفهم وتفكيرهم وتبعاً لذلك أصبح علم الإعلام ينمو ويقوى، حتى أصبحت الدول تعتمده كأسلوب حاسم في تحقيق أغراضها السياسية والاقتصادية والثقافية والتربوية والعقائدية.

ونشأت وزارات تدعى وزارات الإعلام، كادت تفوق بأهميتها وميزانيتها أكثر الوزارات والقطاعات حيوية وصلة بحياة المواطنين في الدولة.

١ -توفر الوضع العلمي للإعلام.

٢ -وضع الإعلام في خدمة الثورة القومية والاشتراكية في القطر العربي.

٣ -رفع المستوى الفني "والقيمي" والأخلاقي في الوسائل والعناصر.. والأجهزة المختصة.

استبقاء كل خبرة تبدي استعداداً لتقبل التبديل في المضمون الإعلامي وشكله.

استبعاد كل "خبرة" تحاول تخريب الخطة عن عمد وتصميم.

تقصير خطوط النمو "الطفيلي" في جهاز الإعلام، وتشذيبه من كل العناصر التي لا تملك "الخبرة" وتملك قوة الإدعاء بها.

تغيير الخطط الإدارية والمالية، والبرامج الفنية والتوجيهية.

أن تحدد لعملية التبديل فترة زمنية حيث لا تعرض عملية التبديل العمل الإعلامي للخلل والتعثر.

كسر الطوق المضروب حول الإعلام الذي يمنع من امتصاص المواهب وذلك عن طريق منحها الفرص المتكافئة.. واجتذابها إلى ميدان العمل الإعلامي.

أما الأهداف الرئيسية فهي:

١ -ربط الأهداف الجانبية بخطة عامة لكل فرع من فروع الإذاعة والتلفزيون والصحافة والنشر ووسائل الاتصال بالعالم الداخلي والخارجي.

٢ -صب الأهداف الرئيسية والجانبية في إطار "مرحلي" حيث يتحقق الانسجام والتلاؤم بين العمل الإعلامي.. وخطط الدولة المرحلية.

٣ -وضع خطة عامة لجعل القوة الإعلامية بجميع مظاهرها، قوة إعلامية لمبادئ حزب البعث العربي الاشتراكي، ومظاهر النشاط القومي والاشتراكي.

٤ -أن يتم الانقلاب الحاسم، في الوضع الإعلامي خلال مدة من الزمن.. وينتصب الإعلامي العربي السوري وينهض على قدميه ويملأ ساحة القطر والوطن العربي ويغطيه تغطية كاملة واضحة.

لذلك فإن الثورة لما فكرت وقررت أن حقل الإعلام ما برح متخلفاً عن المسيرة عمدت إلى إخضاعها إلى إدارة جديدة توخت فيها الحزم والقدرة والإدراك للهدف الثوري.

ولم تكن خطوتها تلك إلا بداية لانفجار المشكلة.. ولأول مرة طرحت مشكلة الإعلام العربي السوري وتعددت إزاءها المواقف.. والمهم أنها طرحت.

في العدد نفسه افتتاحية للمرة الثانية عن قضية كشمير!!.. هل هو الهروب من مواجهة المحلي؟!

على كل ها هي ذي الافتتاحية:

كشمير.. بين السلم والحرب

وبعد أسابيع من القتال الشديد بين الهند وباكستان، ينصاع الطرفان لقرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار، ويبديان استعدادهما لقبول الاقتراح السوفياتي بعقد اجتماع ذروة بين أيوب خان وشاستري في موسكو.

ومع مظاهر الارتياح التي قابلت بها شعوب العالم، كل إمكانية لاستتباب السلام في هذه المنطقة، فإن الآثار التي خلفتها هذه الحرب "الموضعية" لم تقتصر على الدمار والقتل.. والضرر الاقتصادي، بل إنها امتدت لتبسط ظلاً على مكامن الخطر المنتشرة حول الهند والباكستان.

ولم يكن القلق العالمي الذي رافق الأحداث سوى تعبير تشاؤمي واضح عن الشعور بكل ما ينطوي عليه هذا النزاع من احتمالات مؤكدة باتساع نطاقها، وبما يجره هذا الاتساع من فقدان للسيطرة على مجرى الأحداث، لا في آسيا وحدها.. بل في العالم.

وإذا كان قبول الطرفين بوقف إطلاق النار يعتبر دليلاً مشجعاً على إدراك الدولتين المتنازعتين لكل الاحتمالات الدولية المتوقعة إذا استمرت الحرب، فإنه في الوقت نفسه دليل قوي معزز على أن اللجوء للسلاح.. كان ممكناً تجنبه لو أن البلدين استطاعا منذ البدء أن يحسنا استخدام الطرق السلمية.. وسبق كل ذلك حرص على حق شعب كشمير في تقرير مصيره.

ومن المؤكد أن بوادر الأزمة المتجددة بين الصين والهند لم تكن منفصلة أيضاً عن أحداث الحرب الباكستانية - الهندية من ناحية الزمن.. وإن كانت مستقلة عنها من النواحي الأخرى.

وفي الوقت الذي تبدو فيه حدود الهند مع الصين والباكستان حدوداً قلقة حساسة.. فإن كثيراً من هذه الحساسية "الجغرافية" يستمد منابعه ومجاريه من ملامح السياسة الدولية التي ما تزال مشدودة إلى تناقضات جوهرية تنعكس على كل بقعة من بقاع الأرض.

وتبعاً لذلك فإن من المحتمل أن يشك كل متتبع للأمور في أن تكون الحروب "الموضعية" ذات الأسباب المحلية.. غير خالية من استغلال استعماري لها، وهو شك تفرضه طبيعة الاستعمار العالمي الذي يحاول خلق جو من الفرقة والانقسام بين شعوب آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية.

ومع أن الشعب العربي الذي أفصح عن خشيته وقلقه من نتائج استعمال أسلوب "العنف" في النزاع الهندي – الباكستاني فإنه لم يستطع أن يكتم شعوره الصادق وإيمانه بحق شعب كشمير في الحرية.. وتقرير المصير.. واعتقاده بأن الأزمة لا تخمد بإيقاف إطلاق النار.. لأن أسباب اشتعالها من جديد ما تزال قائمة.. وماثلة في كشمير ذات الطبيعة الساحرة.

على صفحتها الأولى يوم الجمعة ٢٤ أيلول.. تنشر ما مفاده أن القيادة القطرية ردت الصاع صاعين للقومية وأمين الحافظ بعد تشكيل المجلس الوطني ومجلس الرئاسة.. وتعلن عن تشكيل وزارة برئاسة الدكتور يوسف زعين بدلاً من أمين الحافظ يأتي فيها سليمان الخش وزيراً للثقافة والإعلام.

اتصفت حكومة الدكتور يوسف زعين بالنزوع باتجاه الاشتراكية دون حدود.. في حين نقرأ في الثورة عن تفاهم بين أمين الحافظ والتجار..

أكثر من مسراب في الصحيفة يعطي للانشقاق طابع اليسار واليمين في البعث بشكل نسبي طبعاً.

تستمر الثورة في التراجع إما متأثرة بالأحداث العامة أو متأثرة بأحداث داخلها.. مع بداية شهر ١٠ نلحظ عودة سيطرة الخبر الخارجي على الصفحة الأولى

المانشيت الأحمر:

انقلاب أميركي فاشل في أندونيسيا

والافتتاحية أيضاً عن الحدث نفسه.

الرئيسي الأعلى عن الإضراب في عدن.. والجانبي عن القوات الهندية التي تشن هجمات جديدة على المواقع الباكستانية وهكذا..

في العدد التالي، المواضيع نفسها تشغل الصفحة الأولى بما فيها الافتتاحية التي تلاحق الخبر اليومي.. في حين استمرت زاوية في الصميم وكانت تذيل بتوقيع إنعام الجندي.. ولهذه الزاوية من اسمها نصيب فهي تواجه مباشرة..

أكرم والكرم!

اليساري المؤمن بالشعب، لا يمكن أن يكون موقفه إلا إلى جانب القوى التقدمية اليسارية.

ومهما نجم بين القوى التقدمية من خلافات، فلا يمكن أن يقف إلى جانب الرجعية. الرجعية واليسار خصمان، لا سبيل إلى لقائهما، إلا إذا كان اليساري انتهازياً، ليست يساريته إلا وسيلة للوصول.

والخلافات بين التقدميين، خلافات مبدئية، فإذا تعارضت المواقف، لم تؤد اطلاقاً إلى الارتماء في أحضان الرجعية، أو لأن تكون مطية لها، ظناً منا أننا باستنادنا إليها نحقق انتصاراً خاصاً.

ولقد ثبت أن الرجعية لا تنتصر لفريق، إلا لتقضي على الثاني، لترتد إلى الأول، فتقضي عليه، إن من طبيعة عملها أن تخلق التناقضات في صفوف التقدمية لتبعثرها، وتقضي عليها.

ما حدث إبان الانفصال أن أكرم الحوراني لعب أبأس لعبة عرفها اليساريون، إذا جازت تسميته يسارياً.

أن يكون ضد عبد الناصر وأسلوب حكمه، ونهجه في قيادة الوحدة أمر طبيعي، أما أن يكون مطية للرجعية طوال عهد الانفصال فأمر مناقض لكل منطلق يساري.

وقفت التقدمية كلها ضد أسلوب عبد الناصر، وكان من الممكن لأكرم الحوراني أن يقف موقفاً خاصاً مختلفاً عن موقف الفئات اليسارية الأخرى، ولكن ما كان له، وهو يزعم الاشتراكية والتقدمية أن يكون وسيلة سهلة وبائسة – حتى لا نقول أكثر - في يدي الرجعية.

واليوم يحاول أكرم الحوراني، وقد امتدت اليد السمحة لتجعل منه مواطناً عادياً مطلق السراح، رغم إساءاته المتكررة، أن يستغل ذاك الكرم، ليدس، ويخرب، ويقوم باتصالات مشبوهة مع الرجعية المقيمة خارج القطر السوري.

من طبيعة أكرم أن يمهد لذلك باطلاق الشائعات، وتوزيع الأدوار على بعض من كانوا إلى جانبه مطية للرجعية، لنقل الشائعات إلى المحافل ومن طبيعته أن يستغل بعض المواقف، فيفسرها تفسيراً خاطئاً، عن عمد، وهو يعتقد أن نشر مثل هذا التفسير سيخلق الشك والبلبلة في نفوس أبناء الشعب.

ومن طبيعته أن يرتاد بعض المحلات العامة هو وكورسه، وعلى نحو مفاجئ ليؤكد أنه موجود.

مثل هذه التظاهرات السلبية، كانت تنطلي على الشعب قبل أن ينكشف أكرم نهائياً.

أما اليوم فعلى من يدخل؟

اليوم تطرح الرجعية أكرم علة نحو مريب، ولنرجع إلى محافلها خارج القطر السوري خاصة، وإلى الصحف التي تدعمها، لندرك حقيقة العلاقة بينه وبينها.

كما يطرحه بلد يساري معين، التقى أكثر من مرة في مخططاته مع الاستعمار الذي يقف وراء الرجعية في بلادنا.

ولكن الشعب الذي يعرف أكرم وارتباطاته، لن يقف إلا محتقراً هذا "الطرح" ولو اشترك فيه البلد اليساري.

آخر من يحق له أن يتكلم هو أكرم!

وقد تعيد اليد السمحة النظر في الكرم الذي لم يكن أكرم محلاً له!

في ٨ تشرين أول ١٩٦٥ تظهر "في الصميم" دون توقيع.. ثم غابت بعد أن غاب عنها توقيع إنعام الجندي.. بل غاب هو نفسه.

يمكننا أن نسجل الملاحظة التالية مع إخلاء المدير العام الثالث لموقعه.. فقد ترافقت الأعداد السابقة من مغادرة كل مدير عام وأحياناً لفترة طويلة نسبياً بتراجع الصحيفة ولاسيما في الطابع العام.. الإخراج وترتيب المواد.. هذا ما حصل عندما غادر الأستاذ جلال فاروق الشريف... ثم الأستاذ اسماعيل العرفي من بعده ثم الأستاذ إنعام.

وبذلك يعطي كل مدير فرصة لظهور المدير العام الذي يليه بـــ "ثونتاج" عالي..

قبل رحيل إنعام الجندي عن الجريدة كان غادر مشهور زيتون الوزارة.. وليس من دليل على أي علاقة لذهاب إنعام بقدوم سليمان الخش.. بل على العكس من ذلك ثمة من يتذكر تراجع العلاقة بين مشهور زيتون وإنعام الجندي بشكل حاد في المرحلة الأخيرة.

بدأت تظهر افتتاحيات تتصف بالإطالة الشديدة والسخونة وترد دائماً على معارضة ما..! "مؤامرة".

بالشكل العام يستمر الاهتمام بالشأن العربي.. وبحرب اليمن حيث تتدخل سورية بشكل محدود لنصرة الجمهوريين هناك عن طريق مساهمة الطيران السوري.. ويتذكر بعض اليمنيين أن هذه المساهمة كانت ذات فاعلية وحقيقية.. بحيث أصبحوا يتندرون بها أمام التدخل المصري الكثيف والذي لم يستطع أن يضع حداً لنشاط قوات الإمام البدر.

لكن... في "الثورة". ماذا بعد إنعام الجندي؟؟.

قبل ذلك هل كان اختياره موفقاً؟!.

كل ما يحيط بتاريخ الرجل سمعة طيبة ومقدرة وفكر وأدب.. في ظروف صعبة مضطربة بشكل عاصف ولا شك أنه استطاع أن يسجل نقاطاً مضيئة في الصحيفة التي شهدت معه تنشيطاً سلساً باتجاه استقطاب القارئ، وقد استمرت تجربته عاماً كاملاً.

أيـن الثـورة؟!

العزلة لأجل الدراسة أو المذاكرة تدفع للضجر والضجر يدفع إلى الشارع.. لا أدري ماذا في شوارع دمشق يهتك الوقت.. عندما كبرت بنا الأيام وسافرنا وعددنا الرحلات، اكتشفت أنني قد أضجر من كل شوارع العالم إلا شوارع دمشق.

وما زالت تجذبني إلى درجة الشوق.

في الشارع والدنيا أول الخريف.. وأمري مبتوت فيه "سأعيد التقدم لامتحان الثانوية" جمعتني خطا التسكع وتأملات "الصفن" بصوت يناديني.. عرفته قبل أن أدير رأسي.

سلّم عليّ فيصل بحرارة.. وسألني ماذا فعلت؟ وقبل أن أجيبه أمسك بيدي وقال: تعال نشرب شيئاً.

توقفنا عند مدخل بناء مقابل مقهى الهافانا.. على المدخل بائع عصير تمر هندي وليمون.. كأس صغير بفرنك، وكأس كبير بفرنكين.. قال لي فيصل:

- ● بفرنك.. أم بفرنكين؟!

- بفرنك.

وقفنا نشرب العصير المدهش.

- ● كيف الثورة؟

- أي ثورة؟

- ● الثورة وليس "الازفستيا تبعك" ثورة ٨ آذار.

- يشتغلون.

● ببعضهم..؟!

- لمصلحة الناس والبلد.

● كيف مثلاً؟

ونحن نتبادل أطراف الحديث وصل أحد محرري الثورة.. كان من القلائل الذين تعرفت إليهم.. "أيوب منصور".. كنت أحب كتاباته جداً.. وسمعت عنه أنه ثوري ماركسي من تيار ماوتسي تونغ.

أحسست بأهميتي وأنا أعرّف أيوب إلى فيصل.. قال فيصل:

● اقرأ له.

ثم نظر إليّ وأعاد السؤال:

● كيف الثورة؟!

- يشتغلون.. يشقون طريقاً عندنا.. ويتحدثون عن مدرسة ثانوية حكومية وغيره...

ضحك وقال:

● طريق ومدرسة.. وهذه هي الثورة.

ابتسم أيوب وقال لي: تعلّم منه.. وقبل أن يغادرنا مودعاً، سألته إن كانوا اختاروا مديراً عاماً جديداً للثورة، وأجاب بالنفي.

قلت لفيصل:

- كأنك لم ترحب بأيوب..

● متطرف.. تروتسكي.. ماوي.

ضحكت وقلت له:

- لكنه ابن الثورة.

● الأزفستيا.

- نعم

● مناسبة لك.

- لماذا؟

● أنت تبحث عن مدرسة وطريق إلى قرية.

- وأنت؟!

● أبحث عن الثورة.

كنا مشينا في الشارع بعدما أنهينا الشراب.. باتجاه بوابة الصالحية وعلى يساري مكتبة تبيع الصحف.. اتجهت إلى البائع فوراً وأخرجت ثلاثة فرنكات واشتريت "الثورة" وأعطيتها له.

● أتصفحها وأعيدها لك.

- أجدها في البيت.. هذه لك.. ألم تقل إنك تبحث عنها..

● شكراً.. هذا تثقيف بالإكراه.

- لا ينقصك ثقافة.

● تنقصنا ثقافة الثورة" الأزفستيا".

خفت أن أكون قد وضعت نفسي في مأزق، خفت أن يرمي الصحيفة أو يمزقها أو أن يفعل شيئاً من هذا القبيل.. لكنه طواها وحملها بيده بكل احترام.

قبل أن نفترق سألني:

● هل انتسبت لحزب البعث العربي الاشتراكي.

- لا .. بكّير..

● ألا تفكر أن تكون ضابطاً؟

- أبداً.

● لماذا.. عبد الرحمن.. وتيسير.. وحارث.. وزهير.. كلهم انتسبوا إلى الحزب وتقدموا إلى الكليات العسكرية.

- أنا سأعيد البكالوريا.

● من أجل الجامعة.. الهندسة.

- نعم.

● اسمع مني ادخل جامعة "الثورة" أعني "الأزفستيا".

- أريد أن أكون جامعياً.

- سجل كلية نظرية.. وتوظّف في الثورة.

- فات الأوان.. انتهى التسجيل..

كان هو سجل في قسم التاريخ في كلية الآداب.. وعندما زرته في الجامعة بناء على موعد أحسست بالندم لأنني لم أختر كلية نظرية.. جلسنا في مقصف الجامعة الصغير.. ومعي الثورة.. وقدمني كمشروع صحفي إلى صديقيه أو زميليه أو رفيقيه لا أدري.. أذكر أنهم كانوا يتفقون في الرأي بسرعة ويعاملونني بقبول وصائي.

بعد أيام التقيت "أمين" من رفاق ثانوية جبلة وكان يدرس في قسم الجغرافيا.. وقال لي: إنه رآني في مقصف الجامعة وكنت أجلس مع ثلاثة شيوعيين.

- كيف عرفت أنهم شيوعيون؟!

- الشيوعيون لا يخبئون أنفسهم.. مهمتهم نشر الشيوعية.

- وغيرهم؟!

- هم ثوريون..

- يقرؤون الثورة؟!

- لا هذه للبعثيين..

- ولي!!!

- ألست بعثياً؟!

- حتى الآن.. لا.. ولست متقدماً للكلية الحربية.

- لا يأخذونك.. حجمك صغير.. وضحك.

مات أمين شاباً.. لم أقابل في حياتي من أحب الحياة والضحك والتمتع مثله إلى ذلك، فقد كان وديعاً مسالماً و"قبضاي".. مات وهو ذاهب للتعزية بأحد زملائنا الذي استشهد وهو يتدرب على الطيران الحربي.

الدنيا من أمامنا أفق عريض.. وجبهة حياة بلا حدود.. وفي داخلي سؤال أقمعه دائماً.. لماذا تصر على دراسة الهندسة..؟!

مصلح سالم.. قدوم ساكن
وأجواء صاخبة..

في السجلات أن المدير العام الذي خلف إنعام الجندي الذي أنهى تكليفه في ١٩٦٥/١٠/٧.. كان محمد الجندي الذي تم تكليفه في ١٩٦٦/٣/١.. يعني هناك ستة أشهر بين الرجلين فمن كان يدير الجريدة.

في عددها الصادر يوم الأربعاء ١٣ تشرين الأول، والصفحة الأولى منشغلة باجتماع المجلس الوطني لقيادة الثورة.. والبيان الوزاري لحكومة الدكتور يوسف زعين الأولى..

وهما بشكل عام طرفا صراع سياسي محلي.. يماط اللثام لأول مرة عمن يتولى أمور الجريدة.. من قبله شخصياً.

مصلح سالم.. وهذه افتتاحية في العدد التي تعلن تصديه للمسؤولية:

بصراحة..

طلب إليّ، تحمل مسؤولية الإشراف على هذه المؤسسة.

ولأن لنا تجربة سابقة في هذا المجال كانت بعمر الورود: مازلنا نعاني ذيول تعقيداتها.

سمحت لنفسي، قبل التورط بأية خطوة، ولكي يكون كل شيء واضحاً بيني والآخرين أياً كانوا أن أضع هذه الصراحة في الشمس قطعاً للألسن، التي تعفنت في الظلام تلغ بدم الآخرين.

والموضوع بكلمتين.

هذه المؤسسة حكومية، الجريدة فيها لسان للحكم، هذا مفروض، وهو حق، ولكن ماهو الحكم؟

الحكم برأيي، وباختصار، على الأقل في بعض جوانبه، جهاز مأجور لتوفير خدمات منظمة للشعب.

ثم إننا في مرحلة ثورة يتحمل مسؤولياتها حزبنا القائد.

والثورة بإيماننا هي الحقيقة والذي لا يملك أن يقول الحقيقة، لن يملك أن يكون ثائراً، ولا أن يكون رجلاً.

وإذا كنا لا نزعم أننا توصلنا للحقيقة، فإننا نزعم وبكل ثقة، أننا نسعى إليها، ولا نستطيع أن نفهم مبرراً لوجودنا حين نعجز عن التجاوز المستمر لأنفسنا باتجاه هذا المسعى.

ونعتقد أن هذا سر صمود الثائرين، والذين سقطوا، والذين سيسقطون من صفوف المناضلين، نظن أن نقطة البداية في انهيارهم، نوع من العمى، يعجزهم عن مواجهة أنفسهم أو مواجهة الآخرين، بما يعتقدون أنه الحقيقة.

وإذاً، تطلعات هذا الشعب انطلاقاً من الحقيقة، هي الطريق التي مشينا والتي سنتابع.

من آمن بهما على الرحب والسعة، ومن لم يؤمن لسنا من الذين يكتفون بالرثاء له، بل نرى من واجبنا أن نوفر له فرص الإيمان، وهذا أبسط واجبات القيادة المسؤولة.

وإلا أي مصير ينتظر هؤلاء المرضى إن تهربت القيادة، من واجب معالجتهم، هذا ما نلتزم به علانية أمام الملأ، الشعب والحقيقة.

لم يكن قدوم السالم طارئاً على الحياة المهنية للصحيفة.. وهذا واضح في الافتتاحية عن تجربة بعمر الورد "مازلنا نعاني ذيول تعقيداتها".

والحكاية تتعلق بتفسير حكومي لزاوية كتبها مصلح سالم أيام إدارة الأستاذ العرفي.

السؤال الأول الذي يواجه مصلح سالم:

هل يستطيع أن يحقق للثورة مجال تحرك إعلامي مرض بين مجلسي الرئاسة والوطني من جهة والقيادة القطرية والحكومة من جهة ثانية.

كان الشد بين الطرفين يزداد يومياً.. ويرسم آثاره بتوصيفات كثيرة بين اليمين واليسار.. فإلى من سينتمي ومعه صحيفته الأستاذ مصلح سالم.

تقرأ في الصحيفة ما يؤيد طرفي الصراع.. لكن يمكن تسجيل تميز لصالح أنصار اليسار أو حكومة الدكتور زعين.. ويأخذ كمال مطر مكانة سبع المرحلة في الثورة.

مقالات.. دراسات.. تحقيقات مطولة بزخم يساري واضح.

تستمر الصحيفة في طرح أسماء جديدة "كنعان - محمد الراشد الذي يرد اسمه على الصفحة الرابعة يومياً في زاوية "كلمة اليوم"، فواز النقري في صفحة ألف باء.

في ١٠/١٧ يؤكد مصلح سالم وجوده بافتتاحية مذيلة بتوقيعه.. ولم تكن كل الافتتاحيات كذلك.. رغم أن المادة الصحفية ترجح أنه يكتبها كلها.

يتابع زكي الأرسوزي كتاباته في زاوية من "أجل غد أفضل".

في الوضع العام لا تتحدث الثورة عن أزمة الحكم المستمرة إنما يمكن قراءتها خلف السطور.. لنأخذ مثلاً المانشيتات التالية من عدد ١٠/٢٠:

الثورة تحذر العملاء وأسيادهم أنهم يلعبون بالنار

مطرقة الشعب لا ترحم. / بالأحمر

وزير الإعلام يفضح العملاء ويؤكد أن الثورة انتصرت في الماضي وستنتصر اليوم.

ثم تنشر الثورة..

نائب الحاكم العرفي يذيع بياناً عن اعتقال الحوراني وزمرته

وسيحكم قانون الثورة مصلحة الجماهير

سنستمر بالعطاء حتى تنتهي مأساة العابثين والهازلين

وهناك افتتاحية في العدد نفسه لمصلح سالم تتناول الشأن ذاته.

لم يكن المرحوم أكرم الحوراني ومجموعته أحد أطراف الحكم.. لكن لم يكن ممكناً ذكر البعث ونسيان الحوراني.. وهو صاحب التاريخ المعروف في حياة البعث.. وإن انشق عنه.. ولاشك أن التطور اللافت في العلاقة معه والتي وصلت إلى درجة زجه في السجن كانت تسجل خلافات عميقة في أطراف الحكم.

المانشيت في العدد التالي ١٠/٢٣:

الاشتراكيون المزعومون.. من حسني الزعيم إلى عهد عبد الناصر

والافتتاحية بعنوان: "الحوراني نهاية عقلية".

حسم الصراع الواضح من خلال الثورة مع الحوراني، لم يكن يعني أنه حسم مع كل الأطراف.. بل لعل الحوراني كان الجبهة الأضعف.. وهو بالأصل - كما أسلفت - لم يكن شريكاً واضحاً في الحكم.

في العدد التالي ١٠/٢٤ هذا المانشيت:

الوطن جنة الجماهير الكادحة أولاً / بالأحمر

ثم لا بأس أن يصبح جنة التائبين

هذا المانشيت ليس عنواناً لخبر.. بل نجد له تفاصيل في الافتتاحية غير الموقعة من أحد والتي جاءت بعنوان "جنة الشعب والجماهير"

وتتكرر هذه الحالة مراراً فيما بعد..

الوضع العام للصحيفة.. بلا جديد تقريباً.. غياب واضح للكاريكاتير.. حلول كاميرا كربيس بغدويان مكان الكاريكاتير ومكان خدمة الصور من الوكالات الأجنبية.. وزكي الأرسوزي يتابع كتابته. يطل اسم مروان خليل على مادة في الصفحة الثالثة كتب عليها:

تحقيق أعده مندوب "الثورة" العمالي.. والتحقيق عن المؤتمر الثالث للاتحاد النقابي العمالي.

هناك تغير في نوعية الإعلان باتجاه العدد الصناعية والمشاريع إضافة إلى ما هو سائد من إعلان عن الأفلام السينمائية والحفلات في المواقع السياحية.

يغزو كمال مطر زاوية من أجل غد أفضل ويغيب عنها الأرسوزي لتظهر كتاباته على الصفحة الأولى بزاوية "نافذة"، ثم يلاحقه كمال مطر إليها أيضاً.. وتظهر أحياناً النافذة بلا توقيع.. ويطل اسم جميل الجندي وفايز عمار في زاوية كل يوم على الصفحة الرابعة...

ربما تشعرنا الثورة هذه الفترة بتراجع الاهتمام بنشاطات وأخبار أمين الحافظ.

مانشيت الجمعة ١٩٦٥/١١/٥:

العثور على جثة الزعيم المغربي بن بركة في نهر السين بباريس

في ١١/٢١ تظهر زاوية خاطرة بتوقيع "محترف" وهو التوقيع الذي اشتهر به ممدوح عدوان فيما بعد. تتوقف زاوية "من أجل غد أفضل" وتظهر زاوية باسم "في الوطن الكبير يتكرر اسم نواف أبو الهيجاء كثيراً فيها.. ويظهر اسم حسيب كيالي في زاوية "أيام وخواطر" على الصفحة السادسة

يعود كاريكاتير عبد اللطيف مارديني إلى الصفحة الأخيرة برسوم لافتة.

تكثر الزوايا.. وغالباً لا تحقق استمرارية... والصحيفة تواجه تراجعاً شديداً في الإخراج.

بالنسبة إلى الصفحة الأولى.. كلمة "الثورة" تنقل في ٧ تشرين الثاني إلى يمين الصفحة باللون الأحمر.. في حركة غير مدهشة.

في عدد ١٢ تشرين الثاني يعود لون "الثورة" إلى الأسود.. وكلها حركات تجريبية لا تحقق شيئاً يذكر.. إنما واضح التراجع المستمر في إخراج الجريدة.

الأربعاء ١٢/١٥.. هناك افتتاحية باسم محمد الزعبي وهو عضو قيادة قطرية:

في تاريخنا الحديث جملة نكسات تختلف في عمقها ومداها وقد حولها الشعب إلى جملة "حوافز" كانت سبباً في خلق تيار متمرد على الواقع الفاسد، عازم على التخلص منه، وتجاوزه إلى واقع اشتراكي ديمقراطي موحد، يرأب من خلاله الصدع وتدمل الجراح ويمنع تجدد النكسات.

فنكسة عام ٤٨ التي حفرت أخدوداً عميقاً بين شرقي الأردن وغربه حفرت، بذات الوقت خندقاً غميقاً وأبدياً بين الجماهير العربية المكلومة وبين أرباب نكستها من رجعيين، وانهزاميين واستعماريين، وغدا تاريخ النضال العربي، بعد النكسة يعكس الملامح الكبيرة لذلك الصراع، الذي كان يتعاظم من خلاله وعي الجماهير، وانتصاراتها.

وكذلك نكسة الانفصال، وضعت قضية الوحدة – مفهوماً وتطبيقاً - على محك المسؤولية، بحيث لم تعد مسؤولية الحركات الثورية الوحدوية تنحصر في إقامة هيكل الوحدة فحسب، بل في تهيئة الظروف لحمايتها، ومنع انتكاسها مستقبلاً بتعميق جذورها وذلك بتوحيد النضال واتباع الأساليب الثورية التي تذوب معها الكيانات، ويتلاشى مع الزمن الأثر النفسي لوجودها، ويخلق بها ومعها جيل وحدوي مبرأ من أي أثر للواقع الإقليمي الذي يعتبر الوحدة طريقاً للانتهاز، وكذلك نكسة تشرين فهي لا تخرج عن هذا المجال من حيث وضعها الحزب، والجماهير أما حقيقة أن تفجير الثورة ما هو إلا الخطوة الأولى في الطريق، وأن متابعة النضال لخلق ظروف موضوعية تنمو خلالها الثورة وتتطور، لتلتحم مع الجماهير الكادحة التحاماً حياً متفاعلاً ومصيرياً أمر لا يقل خطورة وأهمية عن مسؤولية التفجير.

ترى هل انتهت إذن نكساتنا؟

الواقع أننا نواجه اليوم خطراً لايقل أهمية عن أي من النكسات السابقة، إن لم يفقها، إنه خطر تجميد التيار الشعبي ومحاولة جعل الجماهير "تفوض" حكوماتها و"تنكل" عليها و"ترجئ" محاسبتها، فكأن النضال فرض "كفاية" إذا قام به البعض سقط عن الجميع.

إن سيكولوجية الاستعمار، تعتمد في خطتها الجديدة، على هذه الناحية اعتماداً بيناً، ذلك أن من يقعد عن النضال يضمر الحس النضالي لديه ويتضاءل انفعاله بالأحداث القومية، وينتقل مرضه هذا إلى بنيه وتصل الأمة

بهذا إلى جيل لا تتعدى حدود اهتمامه بالقضايا القومية حدود الكتب المدرسية.. إن ردود الفعل الجماهيرية "الضعيفة" على ظاهرتي "بورقيبة" و"التحويل" لهي دليل على أن هذه السيكولوجية باشرت بإعطاء ثمارها.. وأن على الثوريين العرب في كل مكان أن يعلنوا النفير ويقرعوا ناقوس الخطر.

إن النكبة الحقيقية التي يمكن أن تصيب أمتنا، هي أن يدخل اليأس والملل إلى نفوس بنيها، ويحدث نوع من الطلاق التاريخي والوجداني بينهم وبين قضاياهم، وشيئاً فشيئاً تتوضع الكيانات الإقليمية، وتقف المفاهيم القومية عند حدود اللفظ والمتاجرة.

إننا نعاني اليوم، أخطر أنواع الانفصال وأبشعها، نعاني انفصال الشعب العربي، الجماهير العربية، عن قضاياها المصيرية في الوحدة والاشتراكية ومقارعة الاستعمار وركائزه الداخلية، انفصال القوى التقدمية العربية عن بعضها، بدل أن تلتحم لمواجهة الردة اليمينية القائمة في الوطن العربي بل وفي الشرق الأوسط.

إن قوى اليسار والتقدم العربي، مدعوة اليوم للوقوف في وجه الهجمة الرجعية التي تكتسح المنطقة وذلك باسم القضايا القومية والاشتراكية التي توشك أن تطمس معالمها وتضيع هويتها بالطرح البهلواني الذي تتعرض له.

مطلوب من الجماهير العربية اليوم، أن تتسلم قضاياها بيدها، وأن تمزق صكوك: "التفويض، والاتكال، والإرجاء" المفروضة عليها.. وإلا فالأمة العربية أمام أخطر عملية انفصال في تاريخها الحديث.

هل يقرأ من هذا المقال توجهات جديدة للقطرية في المواجهة مع القومية وأمين الحافظ.

في ١٢/١٧.. مانشيتات الثورة لا نفهم لها مبرراً تقول:

لتوضح القيادات الثورية موقفها من المخطط الرجعي الجديد.

منطق الوصاية شل حركة الجماهير العربية فلتبادر الجماهير لتحمل مسؤولياتها.

وتتابع بنص يأخذ مكان الافتتاحية على ثلاثة أعمدة.

لا يمكن استشفاف ما الذي يجري بدقة.. لكن بالتأكيد ثمة ما يجري.. وربما أن هذا النشر يمثل اتجاه القيادة القطرية اليساري.

في العدد الذي يليه.. يكتب كمال مطر في النافذة على الأولى تحت عنوان: ليس التجريب المهني بل التجريب السياسي الفكري:

ضرورة التفاف

القوى الثورية وتلاقيها

لقد تمكن المد الرجعي من تذويب المسافات واختصار الزمن، والقفز فوق كل الحواجز.. حتى تكونت جبهة رجعية عريضة واضحة السمات.. فما إن أخذ المد التقدمي بالانحسار انطلاقاً من دولة آسيوية كبيرة حتى شمل الانحسار في وطننا العربي مواقع معينة، وأزاح الغطاء عن الشراسة الكامنة للرجعية في مواقع أخرى.

وتلاحمت الجبهات الرجعية في وطننا، وتآلفت، وفي هياج الوصول إلى الهدف، وهو القضاء على قوى التقدم العربي، تجاوزت الرجعية تناقضاتها.. ولعلها في سبيل تسويتها، لأنها بطبيعة الحال، تناقضات عابرة مصدرها الاستعمار وهو الأب الشرعي للرجعية العربية وإطاراتها.

ولكن التاريخ بمعزل عن إرادة الثوار وتلاقيهم، لا يمكن له أن يلعب دور الديناميت المزروع في صلب الجبهة الرجعية.. لا يمكن له، عن طريق حتميته، أن يدفع الجبهة الرجعية للانحسار ثانية وإلى الأبد.. لأن حتمية التاريخ ليست – بمعنى من المعاني – إلا وحدة قوى التقدم وإصرارها على المضي في طريق تصفية الرجعية وبناء المجتمع الاشتراكي.

فالجبهات التي ينبغي أن نتلاقى فيها ونتلاحم، هي جبهة اشتراكية تقدمية على مستوى العالم، أما الجبهات التي ينبغي أن نقاتل فيها، فهي جبهة الرجعية العربية، وجبهة الاستعمار الامبريالي.

إن وحدة قوى الطليعة والتقدم في الوطن العربي ليس هجوماً معاكساً ناجحاً على قلاع الرجعية في المنطقة فحسب ولكنها الطريق التاريخي والوحيد المؤدي إلى إسقاط أنظمة الرأسمال والتجزئة والتخلف.

في ١٢/١٩ تنشر الثورة هجوماً حاداً على أكرم الحوراني من خلال نافذة الأولى وصفحة أرشيفية كاملة.

في ١٢/٢١ تتناول المانشيتات مايلي:

في تصريح عام لنائب رئيس مجلس الوزراء تناول فيه الشؤون العربية والدولية.

سورية تفتح قلبها وحدودها لجميع العرب / بالأحمر

جميع الشعوب المؤمنة بكرامة الإنسان يجب أن تقف مع شعب فيتنام البطل.

وأيضاً النص على ثلاثة أعمدة مكان الافتتاحية.

أما التصريح فهو للدكتور ابراهيم ماخوس عضو القيادة القطرية ووزير الخارجية إضافة لكونه نائب رئيس مجلس الوزراء.

بعد هذا المداد من المانشيتات والنصوص على الأولى الذي يرجح أن مصدره القطرية.. تنشر الثورة تفاصيل الضربة التي وجهتها القومية للقطرية وتريد منها أن تكون الضربة القاضية.

مانشيتات عدد ٢٢ تقول:

القيادة القومية تذيع بياناً إلى جماهير الشعب.

قيادة حزبية عليا واحدة / بالأحمر

تدعم التلاحم بين الحزب والشعب لدفع التجربة الثورية إلى الأمام.

القيادة القومية تتحمل مسؤولية قيادة القطر لحين انعقاد المؤتمر القومي التاسع.

والنص أيضاً على ثلاثة أعمدة مكان الافتتاحية.. يعني تغير المصدر من القطرية إلى القومية.. والمكان والشكل واحد.. "الثورة"

حل القطرية يعني عملياً محاولة إنهاء التيار الشاب اليساري - إن صح التوصيف - وهو الذي يجتمع فيه أيضاً معظم أعضاء الوزارة التي يترأسها الدكتور يوسف زعين.. لذلك استكمال الضربة يتطلب إجراءات أخرى.. وفي العدد نفسه خبران آخران لا يتركان أي مجال لأي احتمالات

- استقالة الأتاسي وشيا والجاسم من مجلس الرئاسة.

- استقالة حكومة يوسف زعين.

تتابع الثورة نشر الإجراءات في عدد ١٢/٢٣ خبراً منسوباً لوكالة أنباء دمشق يقول: إن القيادة تبحث في اجتماعاتها عن شخصية بديلة عن الدكتور يوسف زعين لترؤس الحكومة وتوقع قرارات خلال يومين.

يوم ٢٤ الشهر تنشر مانشيتاً فوق اللوغو يقول:

القيادة القومية توالي اجتماعاتها لتشكيل القيادة المركزية العليا.

البيطار يباشر اتصالاته لاختيار أعضاء وزارته.

ومن المنتظر أن ينتهي من تشكيلها في اليومين القادمين

يقول الخبر:

أعلن في دمشق مساء أول أمس تكليف السيد صلاح الدين البيطار بتشكيل وزارة جديدة في القطر العربي السوري خلفاً لوزارة الدكتور يوسف زعين التي استقالت يوم الثلاثاء الماضي، وقيل إن السيد البيطار قد باشر اتصالاته لاختيار أعضاء وزارته. ومن المنتظر أن ينتهي من تشكيلها غداً أو بعد غد. هذا وكان قد صرح ناطق بلسان القيادة القومية لحزب البعث الحاكم في سورية إلى أن اجتماع الليلة الماضية استمر حتى وقت مبكر من صباح اليوم الذي ستتولى إدارة وتوجيه الحكم في سورية إلى حين انعقاد المؤتمر القومي التاسع للحزب.

وقد أصدرت القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي بتاريخ الثالث والعشرين من كانون الأول عام ١٩٦٥ ما يلي:

أولاً: تشكيل القيادة الحزبية للقطر السوري من أعضاء القيادة القومية مضافاً إليهم الرفاق التالية أسماؤهم:

الرفيق صلاح الدين البيطار – الرفيق الدكتور الياس فرحات – الرفيق زيد حيدر - الرفيق المهندس سليمان العلي – الرفيق عبد القادر النيال، ومما يذكر أن الأعضاء السوريين في القيادة القومية هم الرفاق: ميشيل عفلق – أمين الحافظ – منصور الأطرش – شبلي العيسمي – حافظ أسد – وبعض الرفاق من الوطن العربي.

ثانياً: رشحت القيادة الحزبية للقطر السوري الرفيق صلاح الدين البيطار لتأليف الوزارة للتوصل إلى تسوية للأمة.

وتقدم افتتاحية الثورة رداً خجولاً على الشائعات التي تواكب الأحداث فتقول:

وليست خطوات القيادة القومية في تحقيق المركزية للقيادة الحزبية في القطر السوري غير إثبات لقدرة الحزب كله على تمثل القضايا الناجحة عن التجربة.. وعلى مدى المسؤولية الملحة في تعزيز علاقة الحزب والحكم بالشعب.

لمن تنتمي الثورة إذن؟!

ليس ذاك هو السؤال الحقيقي.. بل:

كيف تنتمي الثورة؟!

غابت النافذة وتراجع القصف اليساري

وفي عدد ١٢/٢٥ تظهر الثورة وكأن كل شيء استتب.. وتنشر في خبر جانبي أن البيطار يباشر اتصالاته لاختيار أعضاء وزارته ومن المنتظر أن يشكلها بعد يومين:

توالي القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي اجتماعاتها لوضع القرارات التي اتخذتها خلال الأسبوعين الماضيين موضع التنفيذ، وعلمت وكالة أنباء الشرق العربي أنه تم اختيار المرشحين من الحزب في

القطر العربي السوري الذين سينضمون إلى القيادة لتشكيل القيادة المركزية العليا للحزب في القطر السوري لتولي مسؤوليات قيادة القطر حتى انعقاد المؤتمر القومي التاسع. ومن المنتظر أن يذاع التشكيل الجديد للقيادة الحزبية العليا بين ساعة وأخرى وستضم بين أعضائها حوالي سبعة أعضاء من القطر العربي السوري.

أما الافتتاحية فهي عن عيد الميلاد!!

ثم تستعيد الثورة صفحاتها وأيامها كالمعتاد، وتعود نافذة إلى الأولى.. ويتكرر اسم نمر حماد عليها.. وأحياناً كمال مطر؟؟ والقيادة تتابع اجتماعاتها.. وينتهي عام ويبدأ عام.

طريق النحل

دون تحكم كامل بما أريده.. أو بصراحة دون معرفة به.. بدأت تجربة "ناجح ويعيد" .. دورة فيزياء.. دورة انكليزي وساعات طويلة في المنزل والزعم أنه الاستعداد لاكتساح بكالوريا "غير شكل" من أجل كلية في الجامعة "غير شكل".

مطلع شتاء ١٩٦٥ - ١٩٦٦ والعالم من حولنا يغلي.. لا شيء يوحي بالاستمرار ولا بالاستقرار والدنيا شائعات.. أنا وهواجسي وأحلامي في اليقظة حتى ضبطت أكثر من مرة.. أتحدث.. أخطب.. أضحك.. لوحدي.. هل اقتربت من الجنون؟!

كنت قابلاً أن أفعل أي شيء.. كل شيء.. إلا الغرق في دراستي.. كان ذلك صعباً جداً.. وظلال شعور بالانكسار يهدهد وحدتي بين فترة وأخرى..

كل زملائي اتجهوا حيث قدّر لهم..

هذا في جامعة وآخر في معهد.. هذا سافر.. وهذا إلى الكلية الحربية وهكذا.. هو عام حاسم يفصل بين حياة المدرسة والجامعة لكنه مرصود للعزلة.

نبرات التحدي كانت تردني دون حساب.. مرة لتنبهني كي أشدّ من وقع الخطا ومرة كي تشمت بي، كان أقساها أنّ أم قصي قالت لي: انتظر سيسبقك قصي، كنت بجد أحبه وأتمنى له كل الخير.. لكنني خفت هذه النبوءة.. وأنا أعلم كم أدّخر من هواجس تعوم على بحر من الكسل.. قد يسبقني.. من يدري..؟!

لكن..

في ساعة ضجر.. في يوم أشرقت شمسه على جليد المسطحات وزوايا الأرصفة.. دخلت الجامعة لأول مرة في حياتي..

كنت خائفاً متوجساً فأنا لست بجامعي.. وعلى الباب أمام كشك صغير لوحة صغيرة كُتب عليها: إن دخول الحرم حكر على الطلاب.. وأمام وجهي ظهرت "آرمة" فوق باب عتيق لمبنى قديم كُتب عليها كلية الحقوق.

تذكرت ناديا رفيقة السفر.. لكن.. هي لن تداوم.. أخبرتني بذلك ولن أجدها.. المهم أنني عبرت الباب وفي يدي "الثورة" تفتلت حول الحديقة الصغيرة أمام مبنى الحقوق ثم صعدت بضع درجات لأصل إلى المقصف الذي امتلأ بالدخان وقرقعة الكاسات والطلبة.. وقبل أن يصيبني الوجل رأيت يداً ترتفع لي.. أومأ يدعوني إلى طاولة لأكون رابعهم.

كان أحمد.. وعلى الفور سألني:

- شو عملت..؟!

- أعيد البكالوريا.

- أحسن..

- شو أحسن..

- من أن تصبح ضابطاً..

- لماذا .. ما به الضابط؟!

كانت فترة حرجة.. الشائعات تملأ الشارع "قاموا فلان وحطوا فلان" ومعيار التقييم الأول هو القوة.. ومعيار القوة كم ضابطاً مستعداً لتنفيذ الأوامر؟!

أخذ الجريدة من يدي وقال:

ما هذه؟! "الثورة" خلف القصر العدلي.. أتذكر رسائلك إلى هذا العنوان.. ما هذه "الثورة"؟.

- جريدة أقرؤها.

- أنا لا أقرؤها..

- لم لا؟!

- أنظر..؟!

أحسست بالتحدي.. وشعرت باستصغار شأني..

كان مانشيت الثورة بالأحمر في عدد ٤ كانون الأول ١٩٦٥ يقول:

"فيصل يرد على المؤتمرين بحرض"

تابع أحمد:

- الشغلة كلها نقطة.

أعاد لي الصحيفة وقال:

- أرأيت لماذا لا أقرؤها؟..

سعد الثلاثة لأنهم لا يقرؤون الثورة.. وانكسرت أنا لأني من قرائها.. ولكني لأول وهلة خسرت الجولة.. ثم وأنا أقول لروحي:

كل الناس تغلط.. ماذا لو كانت غلطة في الجريدة. رأيت كلمة "حرض" تتكرر..

قرأت الخبر.. كنت اشتريت الجريدة من باب الجامعة ولم أقرأها بعد.. كان الخبر يدور حول مؤتمر لليمنيين المتصارعين بين الجمهوريين وجماعة الإمام البدر أقيم في مدينة يمنية اسمها "حرض".. هكذا أتذكر.. وما لا أنساه شعوري بفرحة الثأر من أحمد وردّ الاعتبار لي.. سألته:

- لم تقل لي في أي فرع سجلت؟ "وكنت أعلم".

- جغرافيا..

- أحسنت الاختيار..

- لماذا؟

- أولاً هذه فرصتك لتكون أستاذ جغرافيا بقرية ما، وتتزوج صبية من ضيعتكم وتعيشون .. وتقضي كل الصيف في الراحة.

- وثانياً..؟

- كي تتعلم جغرافيا وتعرف أن في اليمن مدينة اسمها "حرض".. وبالتالي تقرأ جريدتي بشكل صحيح..

- نعم..

وجم الجميع.. وسكتُّ أنا.. ولم أنتظر الشاي التي وعدت بها بل خرجت والصحيفة بيدي..

بصراحة بيني وبين نفسي أنا اعتذرت للجريدة.. أنا أيضاً يجب ألا أشك بها.. يجب أن أتأكد.. ولو أنني وجدت في مرات سابقة العديد من الأخطاء.. لكنني لم استسلم لخطأ من النظرة الأولى.. ولم أروّج لخطأ لم أتأكد منه.. متشدقاً بأنني لا أقرأ الجريدة. وما زلت حتى اليوم أسأل ولا أجد جواباً: كيف يقيّم جريدة من لا يقرؤها ..

ذاك اليوم أحسست برغبة للقاء ناديا.. مررت من الحقوق علّي أراها بالصدفة.. أشعرها لسبب ما من قراء الثورة.. لكن.. هل سينشر اسمي في الثورة..؟!

* * *

عُدت إلى أول عدد من الثورة نشر فيه اسمي.. عدد ١٠/٨/١٩٦٥.. عدد جميل في أعلى صفحته الأولى المانشيت التالي:

نتائج امتحانات الدراسة الثانوية "علمي – أدبي" في جميع المحافظات.

من يومها حفظت ذاكرتي أن أندونيسيا "أحمد سوكارنو" تؤيد الصين في سياستها إلى درجة أنها تحدثت عن انسحاب من الأمم المتحدة التي عزّ على الصين حتى ذاك الوقت أن تدخلها، ومانشيت الصحيفة يتساءل بالأحمر:

هل تفجر أندونيسيا قنبلة نووية؟!

الافتتاحية أيضاً تطرح تساؤلاً عن جنوب شرق آسيا والسلام.. منذ ذاك التاريخ لم تعرف آسيا السلام.. وما زالت كل خيارات الحروب والدمار تتحداها.. كل من يتابع يعلم.. لكن آسيا لا تعلم..

ورقها الأصفر أشجاني.. ربما بكيت حباً رغم أن علامات الثانوية العامة خذلتني..

اليوم إذ أتصفح العدد يبدو لي الخذلان ليس هناك فقط.. بل أنا المعتز بذاكرتي الستينية اكتشفت من قائمة الناجحين من ثانوية ابن خلدون الفرع العلمي.. أنني نسيت الكثير من أسماء رفاق صفّي.. مع أنني حتى اللحظة أشعر وكأنني في الشعبة نفسها.. إلى جانبي زياد القيسي.. وورائي سامي شوشرة وعلى يساري رياض قصيباتي.. وفي المقعد الأخير حارث السيد.. ومعنا في الصف شقيقه جحدر.. وكثيرون أتذكر أسماءهم ووجوههم... لكن.. بكل أسف يبدو لي أن الذين لم أتذكرهم أكثر من الذين تذكرتهم.. لعله تعدد الشعب واختلاف اللغات.. والناجح والراسب..

فيما بعد سأسمع ممدوح عدوان يقول: ليس من جريدة أترقب أن أتصفحها قبل الثورة.

هذا الورق الأصفر من ذاك العام يحمل يومياً أسماء الرواد وفي مقدمتهم ممدوح عدوان وقد أبكرت على حفظ اسمه وتتبع مقالاته.. وقد كَبُر وكبر به الزمن.. ورحل.. ولم يضطر يوماً للتكبر على يوميات الحياة السورية.. ريف.. مدينة.. أشخاص.. صحف.. فن.. أدب.. لم تضطره ثقته العالية بنفسه لعشق الغرباء كي يتغرب.. كان جريئاً في النقد، جريئاً في الحب.. هكذا أزعم.. وكنا زملاء وأصدقاء ولم نكن حميمين، فليعذرني من ينصّب نفسه كأنه الفلقة الثانية من الحبة.

عدم انتمائي الحزبي وعدم ارتباطي السياسي بنظام حزب البعث العربي الاشتراكي الذي بسط سلطته على المجتمع والدولة في تلك الحقبة لم يمنعني من هواجس واضطراب الروح خوفاً على "الثورة".. النظام السياسي والجريدة..

كان عام ١٩٦٥ ومطلع ١٩٦٦ مسكوناً بالهواجس والاحتمالات.. والشارع أهم صحفي ناشر للأخبار.. حيث كانت تصمت الثورة وشقيقتها البعث تاركة للهواء أن يشرّق ويغرّب علّها تهدأ العاصفة.. كان الكلام يشرّق ويغرّب علّه يكتشف الحقيقة.

كانت الأحداث خاصة وسرّية لكنها لا تخفى على أحد.. إلا على الصحف.. ومازال الصحفيون في الثورة حتى اللحظة يتهمون بالعجز.. لأنهم لا يشرّقون ويغرّبون وينتظرون أن تهدأ الحقيقة على بيان صحيح.

مؤتمر استثنائي للحزب وقطرية جديدة.. وغياب وجوه محددة يشير إلى غياب تيار..

تشكيل مجلس وطني ليتولى السلطات التشريعية يتحدث عن سيطرة تيار.

مؤتمر قطري استثنائي وقيادة قطرية جديدة تعلن عن اصطفاف محدد.

تشكيل مجلس رئاسة جديد وغياب وجوه وقدوم وجوه.. والصراع أكيد..

ثم وزارة برئاسة الدكتور يوسف زعيّن لا تترك مجالاً بأن الشارع يعرف أكثر من "الثورة" لكنه لا يستطيع أن يثبّت الوزراء على حقائبهم كما هي الثورة.

كل ذلك، والأحداث حبلى بالتطورات.

كنت أحمل البكالوريا.. وأستعد لناجح ويعيد.. وأعرف كل ما يجري.. لكن ذلك كله لا يمنع أحد الأوصياء الموروثين عن أن يذكرني بأن ألتفت إلى دراستي كلما جلست كأنني أسترق السمع إلى نتف الحديث عمّا يجري.

- لماذا لا تنشرونه؟!

- أين؟

- في الثورة..

- مجنون أنت..

- لماذا؟

- ثلاثة أرباع ما تسمعه حديث غير صحيح.. بل أكثر من ثلاثة أرباعه.

- إذاً انشروا أنه غير صحيح.

-ننشر..

- أين؟!

-بين السطور.. عليك أن تقرأ بين السطور.. ما دامت الجريدة تنشغل بيوميات الحياة فإن ذلك يعني أن ما يقال غير صحيح.

سكتّ.. لم أصدقه تماماً.. لكن.. ليس لدي غير الشائعات.. عندما جابهت عبد الحميد بأن يقرأ ما وراء السطور.. قدم لي ذاك الخبر:

في أحد الأعداد من الثورة.. نشر خبر مؤتمر قطري استثنائي وقيادة قطرية جديدة في زاوية مهملة بخط صغير دون أي عنوان والخبر وأسماء أعضاء القيادة لم تتجاوز بضعة سنتيمترات على عمود.

ثم قال:

- صحيح يجب أن تقرأ ما بين السطور وما وراء السطور.. لكن.. لتعرف وليس لتنفي.. ما رأيك بهذا الخبر؟..

-ماذا؟.. ما به؟!

- يا صديقي لو لم يكن صراعاً مراً فهذا خبر يأخذ.. رأس الصفحة والمانشيت والافتتاحية.. ووجوده هنا يعني أن جريدتك استجابت للتحدي..

-تحدي من؟

- تحدي الصراع.. لقد أمرت ألا تنشر.

-ممن؟!

- من أحد أطراف الصراع..

-لكنها نشرته.

- على استحياء

-وليكن.

- هذا نشرته على استحياء وغيره لم تنشره، وما خفي كان أعظم.

-تنشر ما تتأكد منه.

- مبدئياً هذا صحيح لخدمة الحقيقة.. لكن.. قد يسبقها الزمن.

وأردف:

يجب أن تعمل فيها.

أحسست برغبة في الجفاء.. ثم أدركني شعور إحباط، إذ إنها قصة حب أخرى من طرف واحد.. نحب.. نعشق.. ونجافي.. والطرف الآخر لا علم له.

هل كانت "الثورة" تعلم شدة تعاطفي معها في مواجهة الظلم الذي ما زالت تتعرض له؟

صمت ودماء

دخل العام الجديد ١٩٦٦ "الثورة" بلا مدير عام وتسيّر الأمور تسييراً، وسورية بلا حكومة، أيضاً تسير الأمور تسييراً، وقيادة حزبية عليا جديدة وطارئة على دستور الحزب ونظامه الذي يعمل على أساس قيادتين: قومية تعنى بشؤون الوطن العربي، وقطرية لكل قطر يوجد فيه تنظيم.. وبالتالي كان الحزب في سورية بلا قيادة قطرية.

لم يكن الصراع خفياً أو هادئاً أبداً..

ولم يكن الهدوء منتظراً على أساس أن الأمور استتبت لأمين الحافظ محمولاً على أكف القيادة التاريخية "ميشيل عفلق - منيف الرزاز - صلاح البيطار" كل شيء منتظر والعبرة أولاً وأخيراً لمن يسيطر على الجيش.

لم تُظهر "الثورة" شدة ارتباط بالقيادة والحكومة السابقتين - وربما ليس بالحالية أيضاً! - أسماء الكتاب أنفسهم.. أقلامهم.. وعبارات لا تخفي التأييد.. خجولاً.. كتوماً.. أو صريحاً.. متحمساً.. المهم أننا لم نلحظ غياباً للأسماء تحت تأثير الموقف.. ولم تخف في افتتاحية عددها الأول في العام الجديد إظهار ربما بعض من تأييد للقيادة الجديدة العتيقة:

" ولم يكن إنشاء القيادة الحزبية العليا، غير تعبير واضح عن النتائج التي أملتها التجربة الثورية، وغير صيغة عملية دقيقة للضرورات الحزبية من جهة.. ونتائج تطور العلاقة القيادية بين الحزب والحكم.. وبين الشعب من جهة أخرى...".

مبدئياً ليس مطلوباً من الصحيفة أن تظهر موقفاً في واقع لا يسهل فيه اتخاذ المواقف، صراع تعددت فيه التسميات والحزب واحد.. القطرية

والقومية.. الشباب والكبار.. اليسار واليمين.. ولن يصح تماماً إن قلنا إنه صراع القومية بقيادتها التاريخية واتجاهها اليميني، مع القطرية بقيادتها الشابة واتجاهها اليساري.

ثمة خروق كثيرة في هذا التقسيم الذي استخدم في حينه بهذا الشكل أو ذاك للصراع القائم.

هل من السهل على الثورة التي تنتظر مديراً - دون أن نمس بكفاءة الذين كانوا في إدارتها في حينه.. مصلح سالم أو غيره – أن تتخذ موقفاً..

بدأ عداد العام الجديد يعمل.. والانتظار سيد الموقف في كل يوم. لن يطول الانتظار.

في العدد الثاني تماماً تعلن الثورة عن الوزارة الجديدة برئاسة المرحوم صلاح الدين البيطار متأبطاً الخارجية أيضاً.. وقد أسندت وزارة الدفاع للمرحوم اللواء محمد عمران، ووزارة الإعلام للمرحوم الدكتور شاكر مصطفى.

ومع مانشيتات الثورة التي تنشر أسماء الوزراء وحقائبهم وصورهم.. الافتتاحية أيضاً عن **"وزارة جديدة.. ومرحلة من مراحل البناء الجدي.."** افتتاحية طويلة نسبياً ولها بقية على الصفحة السابعة وغير مذيلة بتوقيع..

وتستمر النافذة على الأولى أيضاً يطل منها كمال مطر.. مدارياً تطورات الأوضاع بالحديث الخارجي أو الحديث الفكري وثم نمر حماد.

في ١٩٦٦/١/٥ حركة جديدة على الصفحة الأولى لمواكبة الأحداث الجديدة.

فوق "اللوغو" مانشيتات أحدها أحمر عن استقبال أمين الحافظ لوفود شعبية تؤيد خطوات القيادة القومية.. مع صورتين..

مانشيتان تحت اللوغو:

ليس ثمة تراجع عن الاشتراكية ولكن.. تعميق وترسيخ.

"مشاكل" التطبيق لن تبقى دون دواء

هذان السطران على نصف عرض الجريدة ويوازيهما تماماً سطر باللون الأحمر:

بيان تاريخي.... للبيطار

ومانشيتان آخران يليان ما أوردناه باللون الأحمر على يمين الصفحة:

الثورة تسير.. هذا هو الشعار

قطرية الثورة.. تقتل الثورة

يوازيهما على الامتداد نفسه سطران:

الاشتراكية ضرورة حياتية

طريق قومي إلى اللقاء مع كل ثورة عربية

يليهما أيضاً عنوان:

القفزة الثورية الجديدة

في إطار مفتوح على مانشيتين متتاليين:

صدقها مع ذاتها وأهدافها ومراجعتها للتجربة وانفتاح جريء على الشعب

صيغة سلمية.. للصلة بين الجيش والحزب والحكم.

ثم تتالى صور حتى أسفل الصفحة.. البيطار صورتان: واحدة منهما كبيرة يستقبل وفوداً مهنية واثنتان لوزير الإعلام الجديد شاكر مصطفى يستقبل صحفيين..

استطاعت الثورة في هذه الصفحة وبعنوانها فقط عداك عن النص الذي أخذ محل الافتتاحية، أن تعطي خطوط الحدث والذي هو انقلاب بكل معنى الكلمة.

على أنه لا بد من الإشارة إلى أن الحكومة الجديدة برئاسة صلاح البيطار، حوت وجوهاً لشخصيات مهمة ومحترمة في حياة وضمير الشعب السوري منهم مثلاً:

الدكتور عبد الله عبد الدائم "تربية"، صلاح الوزان "زراعة"، الدكتور شاكر مصطفى "الإعلام"، الدكتور محمد الفاضل "للعدل"، اللواء محمد عمران "للدفاع" وهكذا وغيرهم.

وليس بالضرورة أنها وجوه جديدة تماماً على الحكومات البعثية.. لكن.. يبدو أن القومية حاولت بتشكيلة الحكومة أن تعطي انطباعاً وقوراً للناس ولا سيما في مواجهة قيادة شابة.

إذاً هو الانقلاب الداخلي، فماذا بعد؟! وإلى أين يذهب الخارجون من الحكم وأنصارهم..؟!

تمضي الثورة في مسيرتها.. يظهر نمر حماد فارساً على الصفحة الأولى من "نافذة" معلناً تأييده الكامل للخطوات الجديدة..

حزب البعث العربي الاشتراكي لا يمثل طبقة فوق المجتمع، بل هو المعبر الصادق والممثل الحقيقي لأماني الجماهير الكادحة، والحزبية ليست امتيازاً، بل التزام صادق واستعداد دائماً للدفاع عن قضية الجماهير.. قضية الحزب.

والحزب الذي بدأ بأفراد قلائل آمنوا بالشعب واستوعبوا قضيته، وناضلوا من أجل انتصارها، هذا الحزب المنتشر اليوم في كافة الأقطار العربية من مشرقها إلى مغربها، مفجر ثورتي رمضان وآذار، وقائد المعركة العربية التقدمية في وجه القوى الاستعمارية والرجعية، لم يكن ليلعب دوره القيادي هذا، لو لم تتمثل في فكره وخطواته أهداف وآمال وتطلعات الجماهير العربية.

لقد بدأ الحزب نضاله وهو خارج الحكم، وتحمل مناضلوه مختلف ألوان الاضطهاد والحرمان، لأنهم كانوا ولا زالوا يدافعون عن قضيتهم، قضية الجماهير المحرومة التي عانت من استبداد الطبقة الرأسمالية الإقطاعية المستغلة.

إذا فلا تضاد بين القضية التي يناضل الحزب من أجلها وبين قضية الجماهير، ولا تعارض بين مصالحه ومصالحها، وما أعضاء الحزب سوى

الطلائع الفدائية التي تتقدم الجماهير ولكنها مرتبطة بها لتفتح أمامها مجالات أوسع للمشاركة في بناء وطن قومي اشتراكي متحرر.

لهذا لم يخف الحزب أحداً من الشعب في يوم من الأيام لأنه ولد وترعرع بين صفوف هذا الشعب، وعاش قضيته، وكان يمثل القوة التي تخشاها كافة القوى المعادية للشعب من رجعيين واستعماريين.

إن الحزب لم يكن في يوم من الأيام بعيداً عن الشعب، والانكماش الذي ظهر على حكم الحزب في بعض الأحيان لم يكن شيئاً أصيلاً فيه، بل إن الظروف الخارجية والداخلية الطارئة هي التي أظهرت الحكم بهذا المظهر، والمؤامرات المتكررة كانت تستهدف ضرب حكم الحزب عن طريق إبعاده عن الجماهير التي لا يستطيع أن يحيا بدونها بعد أن فشلت المؤامرات الخارجية في ضربه أو إيقاف مسيرته.

إن بياني القيادة القومية، ورئيس مجلس الوزراء يؤكدان على أن لا حياة للحزب بلا جماهيره وأن الجماهير لا بد لها من قيادة حزبها الطليعي.

فقضية الحزب هي قضية الجماهير، وأهداف الحزب أهدافها، وكل محاولة للفصل بين الحزب والجماهير لن تجد من شعبنا إلا سداً منيعاً، وإصراراً على مواصلة النضال في طريق الوحدة والحرية والاشتراكية.

وتستمر الافتتاحيات "صوت الثورة" غير المذيلة بتوقيع تعلن تأييدها للحكم وللبيطار تحديداً.. وغير واضح أبداً إن كانت لمصلح سالم..

نأخذ افتتاحية عدد ١٩٦٦/١/٩:

يمر القطر العربي السوري بمرحلة تتميز عن غيرها من المراحل، ولكن تكملها حيث رافق استهلال هذه المرحلة فهم جديد للتجربة استمد منطلقاته من مراجعتها، وتدقيق أجزائها وإعمال العقل الموضوعي لإدراك العوامل التي تحكمت بحركتها وتطورها في الماضي، وتتحكم فيها الآن.

ولم تكن القفزة الثورية التي حققتها القيادة القومية للحزب بكافة إجراءاتها التنظيمية وبياناتها الموضحة، غير انعطاف ببعض الوسائل

الجانبية العقيمة لا الأهداف وتجاوز للأخطاء، لا استسلام لها، لم تكن غير تأكيد جريء بأن هذه المرحلة الناقدة المتجاوزة يجب أن تبدأ من نتائج المراجعة الموضوعية لما سبق من المراحل.

إن القيادة القومية بفهمها الجديد للتجربة وتصميمها على التجاوز، عبر عن غاياتها بيان البيطار، تعبيراً عملياً حين صب هذه المنطلقات في منهاج وزاري للتخطيط والتنفيذ.. فقد بدأ هذا المنهاج منذ اليوم الأول برسم المعالم الأولية للعمل وسدد اهتمامه الخاص إلى الميدان الصناعي والزراعي، فتم تشكيل لجان لدراسة أوضاع المعامل المؤممة خاصة من النواحي الإدارية، وعمدت المديرية العامة لهيئة البترول إلى الاستعداد لإرسال عدد من المهندسين للتدرب على الأعمال الفنية البترولية في الخارج، مستهدفة وضع الصناعة البترولية بأيد فنية سورية، في الوقت الذي تدرس فيه وزارة التخطيط تطوير الحقول البترولية وزيادة إنتاجها، كما بدأت وزارة الزراعة في تنظيم كلي للقطاع الزراعي وفق أطر وأسس اشتراكية سليمة وتوجيه الفنيين الزراعيين بفئاتهم ومستوياتهم المختلفة إلى الميدان الأساسي للإنتاج، الحقل والمزرعة والقرية التعاونية.

إن روحاً عملية جديدة غدت تسري في الأجهزة المخططة والمنفذة، مؤكدة أن القيم الإنتاجية هي السائدة.. هي المهيمنة على المرحلة.

ولا شك أن مسؤولية الوزارة الجديدة ليست مسؤولية سهلة فهي تواجه الآن بوعي وتصميم كل المهمات الواسعة التي أملاها عليها التصدي الثوري الواعي المصمم.

إن الشعب والحزب والحكم يدخلون اليوم اختباراً في العمل المنظم المنسق المنتج، الذي يقتضي إدراكاً شاملاً للأهداف القريبة والبعيدة، ويتطلب مبادهة موحدة مسؤولة تضع شعار الواجب، والتجاوب، والإنتاج، فوق كل شعار، فالاشتراكية كما ذكر الأستاذ البيطار ليست نزهة، بل عمل شاق طويل.. مستمر.

تمضي الصحيفة بنوع من الهدوء.. ليس هناك تغييرات تذكر..

إخراج عادي.. وتراجع نشاطات عدد من المحررين.. مثل ممدوح عدوان ويوسف مقدسي وكمال مطر.. لصالح نمر حماد ونواف أبو الهيجا "كلاهما فلسطيني" وغيرهما.. ولايعني ذلك بالضرورة اصطفافاً سياسياً.

في ١٢ آذار تنقل الثورة نعية الشهيد جلال كعوش الذي قضى سجيناً في لبنان من قبل القيادة العامة لقوات العاصفة "فتح فيما بعد".

تتهم"الثورة" "المخابرات اللبنانية" في "نافذة" على الأولى بقلم نمر حماد، وعلى الصفحة أيضاً مؤتمر صحفي لوزير الإعلام شاكر مصطفى يتحدث عن مختلف القضايا.. وهناك تخفيف هجوم واضح على الجبهة العربية الخليجية وغيرها.. وإلى حد كبير تميل الثورة إلى حماس أقل في القضايا العربية..

١٠ آذار الثورة منشغلة في صفحتها الأولى بزيارة صلاح البيطار لحلب.. يلاحظ زيادة اهتمام بالشهيد كعوش.. هناك مانشيت يقول:

سورية الثورة تهتم باغتيال جلال كعوش وتعد مذكرة بشأنه للجامعة العربية.

وهناك تحقيق على الصفحة الثانية لنواف أبو الهيجاء على صفحة كاملة.

في العدد نفسه حديث لوزير التربية الدكتور عبد الله عبد الدائم وجهه عبر التلفزيون واحتل كامل الصفحة الرابعة.

هناك تواتر أسرع لزاوية "رأي" الخفيفة في صفحة المنوعات "السادسة" وتوقع بكلمة "محترف".

في ١٩٦٦/١/١٩ على الصفحة الثالثة تحقيق صحفي جيد لكمال مطر يظهر أن هناك إضراباً بين عمال المصارف احتجاجاً على المرسوم ١٦٧ الذي حرمهم مزايا موروثة من قبل التأميم وهناك رأي لخالد الجندي رئيس الاتحاد العام لنقابات العمال في حينه يؤكد المطالب العمالية.... ويقول العنوان الرئيسي للصفحة:

"الإضراب" أسلوب سلبي في مرحلة التحويل الاشتراكي

لكن التحقيق بشكل عام يتبنى المطالب العمالية.

هناك خلال هذا الشهر الأول من عام ١٩٦٦ تغيير إخراج على الصفحة الأخيرة، اختصرت المساحة المخصصة للصورة أو الكاريكاتير أحياناً إلى نحو الربع وترفع زاوية "في الوطن الكبير" إلى أعلى الصفحة مجاورة للصورة.. والصفحة كلها بشكل عام إخبارية وتنشر تقارير مختلفة الأنواع..

يلاحظ أيضاً غياب التوقيع عن زاوية "نافذة" على الأولى بعد أن تكرر اسم نمر حماد عليها كثيراً.. وتراجع عدد أسماء الكتّاب والصحفيين في الجريدة.

هل لذلك علاقة بتطورات الوضع السياسي؟!

في ١/٢١ مانشيت الثورة الأحمر:

عفو سياسي

تحته:

الفريق الحافظ يصدر مرسوماً بالعفو عن المشتركين بفتنة دمشق بالعام الماضي، العفو يشمل الطباع والمصري والسعدي والميداني وتخفيف عقوبة الأرناؤوط، البت بقضايا الملاحقين بسرعة مع الحرص على إدراج براءة الأبرياء. \وتحتها صورة كبيرة لأمين الحافظ.

يمكن أن نذكر هنا أنه تردد في حينه أن أحد أسباب أو أشكال الخلافات بين القيادتين القومية والقطرية هو تماهي الفريق الحافظ في علاقاته مع التجار والمشايخ ولا سيما في دمشق.

في عدد ١٩٦٦/١/٢٢.. تظهر على السادسة صفحة متخصصة بشؤون الأسرة عموماً وهي إلى حد ما صفحة رأي.

ولأول مرة تعلن صفحة في الثورة عن اسم المعد بوضوح.

وفي أعلى الصفحة على سطر شبك طويل كتب: دنيا البيت.. إعداد آمال فؤاد. صفحة منوعة لطيفة وجيدة.

هناك سطوع إعلامي شديد للبيطار.

كاريكاتير المارديني أصغر وأجمل.

الثالثة عودة إلى الدراسات الاقتصادية بشكل خاص.. وتظهر فيها أسماء جديدة:

أحمد رجاتي.. هشام متولي.. مفيد حلمي.. جعفر دك الباب.

الصفحة السادسة تأخذ تسمية "الإنسان والفنون".

مع نهاية كانون ثاني هناك تحسن في توارد أسماء محرري الثورة ويلاحظ غياب التوقيع عن زاوية في الوطن الكبير على الصفحة الأخيرة.

وخلال هذا الشهر تكثر العناوين الدولية في المانشيتات.

يدخل شهر شباط، الشأن الدولي يسيطر على الصفحة الأولى.. حتى الافتتاحية.. أما النافذة فطابعها فكري ويوقعها نمر حماد بالأحرف الأولى.

مانشيتات العدد الأول في شباط:

أميركا تفاجئ العالم باستئناف الغارات على فيتنام الشمالية

موسكو: السلام الأميركي يعني الحرب.

جونسون يأمر بالقصف.. ويدعو مجلس الأمن للاجتماع /بالأحمر

الفاتيكان: الأمم المتحدة مدعوة لإنهاء الحرب في فيتنام.

عواصم العالم تقابل القرار الأميركي بالاستنكار.

هذه المانشيتات والمواقف السياسية في بداية حرب مرفوضة عالمياً استمرت لسنوات طويلة مهدت لانشغال صحفي بها من قبل "الثورة" وغيرها، أيضاً استمر طويلاً.

تكتب الثورة في افتتاحيتها يومها عن: لغة السلام والحرب في فيتنام.

تبدو أزمة الفيتنام من الناحية السياسية العالمية ميداناً لصراع دولي كبير، ومن الناحية الإنسانية تبدو موضوعاً مأساوياً، شعب يريد الحياة، ويود اختيار مصيره بنفسه..

والحرب الدائرة في هذه البقعة التي حشد فيها الاستعمار الأمريكي، جيوشه البرية وأساطيله البحرية والجوية، هي حرب معبرة عن قدرة شعب صغير، سلاحه الإيمان والوحدة الشعبية، والهدف الثابت حيال أكبر دولة آلية – حربية، حيث تمكن هذا الشعب الصغير بعدده القليل وبرقعة أرضه المحدودة من أن يوقع أمريكا في "ورطة" سياسية وعسكرية ودولية، وأن يجعل من قضيته بقوة عجيبة "فخاً" لاصطياد غرور القوة المادية والاستعمار العالمي، بقوة الوحدة الشعبية والتواضع والتضحية المتناهية.

وتتابع الافتتاحية:

وليس غريباً أن يهتم الشعب العربي في سورية بالقضية الفيتنامية اهتماماً مقروناً بالعطف والتأييد وبخاصة أنه يواجه كل يوم نتائج العقلية الاستعمارية ومخططاتها، وأساليبها في تكتيل القوى الرجعية، وحشدها لضرب الثورات العربية في الوطن العربي.

وإن الشعب العربي في سورية يرى في إسرائيل صورة طبق الأصل عن القواعد العدوانية للاستعمار في كل مكان، صورة ملونة بكل قسمات مأساة الشعب العربي الفلسطيني.. وحيث يبدو النضال العربي ضد هذه القاعدة الاستعمارية، منطلقاً من دوافع النضال الفيتنامي وشرعية وسائله وطرقه ملتقياً مع العوامل الحقيقية لقضية الحرية في العالم.

إن العالم أجمع يتطلب بصورة ملحة حلاً عادلاً لقضية الفيتنام.. ينقذه من التهديد الأمريكي اليومي للسلام العالمي.. وينطلق من مبدأ أساسي هو حق الشعوب بالتعبير الحر عن إرادتها وتقرير مصيرها بنفسها، وجعل لغة السلام أرفع وأكثر علواً من الطائرات المحلقة كل يوم فوق الفيتنام..

يجعل لغة السلام.. غير لغة الحرب.

في الصفحات الأدبية وغيرها يرد توقيع "أمير البؤساء" وهو لأيوب منصور.. وتتكرر الأسماء ذاتها وتعود إلى حد كبير ظاهرة المقالات غير الموقعة.. ربما تخفي أن شخصاً واحداً يكتبها جميعاً.

أما على الصفحة الأخيرة فيغيب غالباً التوقيع عن زاوية "في الوطن الكبير" وتظهر مادة تمثل متن الصفحة الرئيسي تحت الصورة العليا على عرض خمسة أعمدة ولها عنوان دائم "قل كلمتك وامشِ".. وفي كل مادة هناك عنوان كبير "مانشيت" ويستخدم غالباً اللون الأحمر في أحد سطوره.. وهي ذات طابع فكري تنظيري يظهر عليها غالباً اسم كمال مطر.. وتتنافس أحياناً مسائل اقتصادية محلية.. مثلاً في عدد ٣ شباط يكتب كمال مطر تحت عنوان:

ماذا فعلت شركة سيمكس حتى الآن..؟!

سيمكس هي شركة الاستيراد للقطاع العام ولها حكاية غير محمودة في تاريخ الاقتصاد السوري.

في ٤ شباط تنشر الثورة على صفحتها الثالثة قصة قصيرة لوليد معماري.. مستعيدة حالة تعدد الهوية بين فكر ودراسات اقتصادية وسياسية وأدب.. في العدد ذاته على الصفحة السادسة صفحة "الإنسان والفنون" مقال مترجم عن الفرنسية عن فلسفة الفن لجمال شحيد.

في ٦ شباط ثمة مانشيت أحمر لافت على الأولى:

مشروع سوري لتوحيد التمثيل الدبلوماسي العربي

والافتتاحية حوله أيضاً لكن الصورة الكبيرة التي تتوسط الصفحة لا علاقة لها بالموضوع.. وليس لها خبر أبداً، بل شرح فقط.

الصورة لطاولة اجتماعات يتوسطها صلاح البيطار.. والشرح يقول:

الأستاذ صلاح الدين البيطار يترأس اجتماع المجلس الأعلى للتخطيط لدراسة الخطة الخمسية الثانية والموازنة الانمائية لعام ١٩٦٦.

ورغم أنه لا يوجد خبر بل فقط الشرح الذي أوضحناه فإنه يشير إلى تأخر في إعلان الخطة، التي يفترض أن عام ١٩٦٦ هو عامها الأول، وكذا الموازنة العامة التي يفترض أن تعلن قبل بدء العام الحالي.. ولعل للأحداث السياسية علاقة في هذا التأخير.

غالباً تتكرر حالة أن لاعلاقة للمانشيتات بالصورة الكبيرة التي تتوسط الأولى.. ويكتفى بشرح لها.

في عدد ١٠ شباط نقرأ اسم المهندس أحمد الزعبي عبر صفحة مترجمة تحت عنوان:

ماوتسي تونغ يتحدث عن:

التعاون الزراعي في تقرير له نشر سنة ١٩٥٥.

كان ثمة إعجاب شعبي حقيقي بماو والثورة ومقدرات الشعب الصيني.. وبشكل طبيعي تعاملت الصحيفة مع هذه الحقيقة الاجتماعية.. وإلا.. ما مبرر نشر صفحة كاملة عن تقرير كتب قبل ١١ عاماً حول التعاون الزراعي..

لقد عرفت سورية في حينه ما عرف "بالماويين" نسبة لماوتسي تونغ وكان منهم من يعمل في الثورة.. وكانوا يرددون ما هو خارق عن الرجل.. ويتهمون الاتحاد السوفياتي، ويصفون حزبه الشيوعي بـــ "التحريفيين السوفييت".

تستمر "قل كلمتك وامشِ" ويغيب عنها الاسم – لا كمال مطر ولا غيره – وتتناول مواضيع طويلة جداً وغير مناسبة لصفحة أخيرة.. "صفحة غلاف".. وعلى جانبها تستمر أيضاً زاوية في الوطن الكبير دون توقيع.

في ١١ شباط على الصفحة الثالثة مرة أخرى صفحة كاملة عن ماوتسي تونغ ترجمة الشخص نفسه المهندس أحمد الزعبي.

بتقديرنا لم يعد هناك اليوم من يقرأ صفحة كهذه إلا مختص.. في تلك الفترة ربما كان موجوداً من يقرؤها... كان النزوع للمعرفة وتبني المذاهب الاقتصادية والسياسية أقوى بكثير من هذه الأيام.

في العدد ذاته يرد لأول مرة اسم بهية الحبشي

في ١٥ شباط.. صفحة أولى مليئة بالعناوين..

فوق اللوغو المانشيتات التالية:

القيادة القومية والقيادة الحزبية العليا تجتمعان ومجلس الرئاسة يقرر تشكيل مجلس وطني يمثل الشعب في سورية.. والوطن العربي /بالأحمر

المجلس الجديد يمثل: العمال والفلاحين والمهنيين والتقدميين و١٠ أعضاء من الحركات التحررية العربية.

ثم تحت اللوغو.. المانشيتات التالية:

الفريق الحافظ يستقبل وزراء الإعلام العرب ويقول:

ننشد شيئاً أكبر من التضامن.. الوحدة. /بالأحمر

الحافظ يفتتح مؤتمر الإعلام الثالث أمس ويعلن:

قيام إعلام عربي موحد ضرورة قومية أساسية.

وتحتها صور ثم خطاب لوزير الإعلام شاكر مصطفى بعنوان على سطرين:

نقف بإعلامنا حيث يجب.. من التحدي الحضاري

العمل الإعلامي يستمد أبعاده من الكفاح الجماهيري واستراتيجيته

الخطاب طويل جداً..

وهناك في أسفل الصفحة ٤ عناوين مختارة لأربعة وزراء إعلام عرب.. كثير من الكلمات وعناوين أخرى وأحياناً الوزير نفسه.. هناك بصراحة فوضى إخراجية على الصفحة.

تتعامل الثورة في عدد ١٦ شباط مع ما تسميه الحلف الإسلامي

وقد رفض في حينه من كثير من الدول العربية بما فيها مصر أو الجمهورية العربية المتحدة في حينه.. هذا الحلف الذي أصبح فيما بعد منظمة المؤتمر الإسلامي.. نأخذ المانشيتات فقط وهي توضح موقف سورية.

كيف يرى الشرق والغرب.. الحلف الإسلامي؟ /بالأحمر

الغارديان البريطانية: ضرورة ملء "الفراغ" في الشرق الأوسط.

البحث عن وسيلة لتطويق الدول ذات المناهج الاشتراكية.

الازفستيا السوفياتية: تمزيق العرب إلى كتل متعادية وعزل البلدان ذات الطريق غير الرأسمالي.

الحلف الإسلامي "مكيدة" قديمة باسم جديد.

على الصعيد المحلي تهتم الثورة بافتتاح الجلسة الأولى للمجلس الوطني لقيادة الثورة بتشكيلته الجديدة.

في عدد ١٧ شباط وعلى الصفحة الأخيرة زاوية "قل كلمتك وامشِ" بمادتها الصحفية الطويلة جداً يطل اسم فتحي عبد الحميد وهو إعلامي فلسطيني، تبوأ فيما بعد مواقع في منظمة التحرير .. وتولى أيضاً موقعاً إدارياً عالياً في الثورة التي لم يعين لها مدير عام بعد إنعام الجندي.

بشكل عام هناك انخفاض في حرارة مواد الجريدة وتراجع إخراجي ووضع غير مرض تماماً.

هكذا تستمر الصحيفة بهدوء في أجواء سياسية لم تعرف الهدوء..فالقادة البعثيون الذين كانوا للأمس في قيادة الحزب والدولة لن يرضوا أن يتركوا لـــ "القومية" والقيادات التاريخية تهميشهم إلى آخر المسار. لا أعتقد أن ثمة من لم يكن يدرك ذلك في حينه.. بل إن بعض القادة الشباب أو مؤيدي القطرية "المنحلة" قالوها بصراحة وعلى طريقة الإنذار للقيادة العليا "الجديدة أسلوباً وتشكيلة" ولحكومة صلاح البيطار.

لكن أجواء صحيفة الثورة كانت هادئة مع ظهور تراجع إخراجي في محاولة للتجديد.. وتراجع المد اليساري في المقالات والدراسات بشكل ما، وليس انقلابياً.

وتوضح مواد الثورة الدور الرئيس والكبير لصلاح البيطار في القيادة.. صحيح أن الرئيس أمين الحافظ هو قائد الجيش ومصدر الحماية الأساسي... وهو "أبو عبده" الشعب أيضاً.. لكن صلاح البيطار هو السياسي والإداري والقائد البعثي التاريخي.. وهو دائماً الذي شكل ورقة "الجوكر" للحكم منذ تسلم البعث في ٨ آذار ١٩٦٣.

لا نستطيع أن نؤكد أن الظهور الطاغي للبيطار في الثورة، كان وراءه تحسس صحفي من إدارتها لأهمية الرجل.. أم نشاطه الذي لا بد أن ينعكس في الصحيفة الوحيدة للحكومة وهو رئيس الحكومة.

بكل الأحوال.. لن تطول الحكاية.. قيادة تاريخية.. قيادة شابة.. يمين.. يسار.. الذي يراهن على الجيش يكسب.. كفى.!

في ٢٣ شباط.. لم يكن في عدد الثورة الصادر والذي أعد بشكل طبيعي شيء يشير إلى ما ينتظر هذا الفجر.

المانشيت العلوي فوق اللوغو:

برقيتان متبادلتان بين المشير السلال والفريق الحافظ بمناسبة ذكرى الوحدة

ورغم أن منيف الرزاز الأمين العام للحزب في حينه كان قد هاجم أكثر من مرة..

أخطاء الوحدة.. ورغم أن القومية ذكرت في بيان لها نشرته الثورة في عدد ٢٢ شباط "ذكرى قيام الوحدة بين سورية ومصر وقيام الجمهورية العربية المتحدة" تحت مانشيت أحمر يقول:

إبعاد الجماهير أدى إلى نكسة الوحدة

إلا أن سيرورة الأحداث السياسية أدت إلى محاولة تفاهم سوري مصري أو بعثي ناصري يمكن أن توضحه مانشيتات الثورة الأخرى.

تحت اللوغو الواردة هنا:

القاهرة تهاجم الحلف الإسلامي وترد على فيصل وتقول:

المتحدة لن تنسحب من اليمن /بالأحمر

اتفاقية جدة واضحة وفيصل تجاهل ما اتفقنا عليه

الحلف الإسلامي ليس موجهاً ضد إسرائيل بل ضد القوى الثورية

وما لا توضحه المانشيتات.. نجده في الافتتاحية تحت عنوان "مصير اتفاقية جدة والسلام اليمني":

في الحديث الصحفي الذي أدلى به فيصل منذ يومين، وفي خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بالأمس، يجد المتأمل العوامل "الجديدة" والأسباب المتعاكسة، لما يمكن أن يسمى عملياً بانهيار اتفاقية جدة.. هذه الاتفاقية

التي بقيت فترة من الوقت حائرة بين رسل الرياض إلى القاهرة وبين رسل القاهرة إلى الرياض، من الباحثين عن تفسير موحد لها.. والذين عجزوا عن العثور عليه..

أو على ما يظهر.. استحال العثور عليه..

ويمكننا حسب ما توحي به الأحداث أن نعتبر انهيار هذه الاتفاقية إيذاناً بانفلات القوى من عقالها في اليمن، ونقطة بداية للعودة إلى البداية وهي الحرب المفجعة.

ولا يستطيع المتتبع أن يغفل الأسباب التي أدت إلى التطورات الأخيرة، وأهمها الدعوة إلى مؤتمر إسلامي بغية إنشاء تكتل أو حلف مما دفع الرجعية العربية مستمدة القوة المعنوية من تجمعها الجديد، ودعم أمريكا وبريطانيا لها، إلى الانتقال من حال الدفاع إلى حال الهجوم.

وقد ظهرت الآثار الأولى للهجوم الرجعي السياسي في تحريك العناصر المأجورة داخل الأرض اليمنية مما دفع الجمهوريين إلى السرعة في المبادهة والعمل على الضرب على أيدي العابثين بالأمن.

وبهذا تستعيد المأساة اليمنية ملامحها القاسية العنيفة.

وبهذا يستيقظ الشعب العربي اليمني من حلم السلام.. ليشهد الواقع وليتأكد من أن الاستعمار والرجعية لن يسمحا له بأن يعيش هادئاً مستقراً في ظل مكاسبه الجمهورية والثورية.

ومع ذلك فيبدو أن تصريحات فيصل.. وخطاب عبد الناصر ليسا إلا مقدمة لما يمكن أن يحدث بحيث يحق للمواطن العربي أن يستبق مجرى الأمور إلى التساؤل عن مصير ميثاق التضامن العربي.. الذي خرقت حرمته منذ بدأت الدعوة إلى المؤتمر الإسلامي ذي الأغراض الاستعمارية المشبوهة.

ولا شك أن تسارع الوقائع في المنطقة، يعرض بشكل جلي أن الأيام القادمة ستكشف مخططات وأهداف ما يدعونه بالحلف الإسلامي بصورة أكثر فأكثر..

ولا شك أن تسارع الوقائع سيثبت أيضاً مدى إدراك القوى الثورية العربية لمسؤولياتها القومية.. بالعمل.. لا بالقول..

ليست تطورات الحرب اليمنية هي التي أعادت تقارباً بين عبد الناصر والبعث بعد أن كانا افترقا خلالها.. بل هو طرح السعودية ودول أخرى لفكرة الحلف الإسلامي.. أو المؤتمر الإسلامي.

في العدد نفسه وعلى الصفحة الأخيرة زاوية "قل كلمتك وامش" مقال مطول بعنوان على سطرين واحد أحمر.. والآخر أسود لنمر حماد يقول:

درس تعلمناه من تجربة الوحدة

الوحدة لم تفشل بل "حكم" الوحدة هو الذي فشل.

نشر الثورة لهذا المقال يؤكد استمرار الخلاف الفكري بين عبد الناصر والبعث، رغم بوادر التفاهم.

ويمكن أن نذكر هنا بأن عبد الناصر كان غاضباً بشدة على الشخصيات التاريخية في البعث.. التي وقفت تتفرج على قيام الانفصال "كما يرى رحمه الله" وبعضها وقع وثيقة الانفصال "صلاح البيطار وأكرم حوراني وغيرهما".. لذلك لم تكن حصافة الرجالات القيادية التاريخية في البعث كافية لتأييد ناصري قوي على حساب القيادات الشابة المبعدة.. وبينهم من عرف السجن دفاعاً عن الوحدة " حافظ الأسد.. صلاح جديد.. وغيرهما".

بالمناسبة:

حتى هذا اليوم لم يكن المرحوم حافظ الأسد معلناً لموقفه.. والقيادة العليا التي شكلتها القومية لم تستبعده بل كان هناك تنافس على استقطابه وما من شك أن وقوفه إلى جانب القيادة القطرية كان عاملاً حاسماً في انتصارها صباح ٢٣ شباط ١٩٦٦.

انفجـار الغضـب

لم أجد مبرراً للحزن بسبب من أتى أو من ذهب، لكن كان يستحيل أن أفرح..

استيقظت فجر أمس قبل الموعد بساعات.. ولم يكن لاستيقاظي موعد.. لست في جامعة ولست في مدرسة وليس لدي عمل، كوني «ناجح ويعيد».

كانت لعلعة الرصاص تملأ الدنيا.. إما صرخات ولادة.. وإما صرخات إجهاض، للأيام الحبلى التي مررنا بها.. وسمعنا عنها.. واحتاجت «الثورة» لمن يقرأ خلف السطور ليعرف شيئاً عما يجري، فيسند شائعة أو ينفي أخرى.

كنا في مرحلة التجافي أنا وهي.. ولا أعتقد أن لذلك أي علاقة فيما جرى فجر ذاك اليوم.

أول مرة أسمع الرصاص بهذه الكثافة.. أول مرة أخضع مع الخاضعين لقرارات منع التجول..

يوم الأربعاء ٢٣ شباط ١٩٦٦.

أحفظ اليوم جيداً.. فقد تلقيت إنذاراً من علاء أنه سيشرفنا يوم الخميس قبل أن يلتحق بالكلية الحربية.. ووعدت روحي أن الموعد تبخر في ظل هذه الأجواء.. من سيأتي إلى دمشق في مثل هذا اليوم؟!

علاء!!

نعم علاء.. ليس لأن لديه الجرأة لاختراق قرارات حظر التجول بل لأن الزمن سيطول قبل أن يقدر خطورة تحدي هذه الحالة.

مساء الخميس، رنّ جرس بيتنا الفسيح في ركن الدين.. وطبعاً كلنا في البيت.. وعلاء على الباب..؟! كان قدومه مدعاة فرح لمجرد أن هناك قادماً.. في ظل هذا الصمت المطبق على المدينة.. رغم رفع قرار حظر التجول..

المشكلة بعلاء ليس فقط أنه يحب الممازحة والضحك.. بل إن هيئته العامة تحولك فوراً إلى كوميدي.. شئت أم أبيت..

كلنا تأملناه.. كلنا نعرف أنه قُبل في الكلية الحربية وسيلتحق قريباً.. لكن.. لا أحد منا يشك أنه ربما أبكر على المشاركة في انقلاب.. وعندما سألته عن علاقته بالانقلاب ضحك وقال:

- «من هلأ.. بكّير»

- يعني مستعد؟!

- إذا استدعت الأمور.

- يخرب بيتك لم تعتّب باب الكلية بعد؟!

بدا لي سعيداً بالانقلاب.. لا أدري لماذا؟! وكلي ثقة أنه لا يعرف بدقة من انقلب على من؟!.. فجأة سألني:

- شو صار.؟!

- صار بماذا؟!

- بالقيادة.

- كيف أعرف.. أنت الحزبي... وأنت الضابط.. أعني مشروع ضابط..

- أنت مشروع صحفي.. وأنت الذي يجب أن تعرف.. ماذا تقول صديقتك «الثورة».

- لسنا على وفاق..

- مستحيل.. لا تستطيع أن تخاصمها..

أمضينا تلك السهرة حتى قبيل الفجر في الضحك والتسلية.. وصباح الجمعة أسرع إلى ارتداء أحلى ما عنده.. أيضاً أبشع ما عنده لأنه كل ماعنده.

-إلى أين العزم إن شاء الله؟!

● البس ثيابك..

-إلى أين؟!

● نستطلع ما جرى..

-نستطلع؟! يا ولد هذه كلمة عسكرية فعلاً.. صدقت حالك صرت ضابطاً..

● امش.. امش.

وصلنا إلى ساحة الروضة.. ثم الجادة التي تليها.. بيت أمين الحافظ «إدارة المراسم حالياً».. ما تركته من روحي ليلة أمس الأول أخذه ذاك المنظر.. الناس تحوم حول المشهد وقد أصابها الذهول.. كان الوقت بعد صلاة الجمعة.. ومجموعات متفرقة هنا وهناك تشير إلى آثار الرصاص على الجدران والدماء على الأرصفة وفي الشارع وربما القنوط يسكن الجميع بمن فيهم أنصار الحدث.

أول مرة في حياتي أرى وجه علاء جدّياً.. بل أكثر من جدّي.. إلى درجة أني خفت عليه وسألته:

-مابك؟!

نظر إليّ وكأن فكيه متلاصقان بقوة.. وحرك رأسه عدة مرات يساراً ويميناً..

-ما بك ضابط أفندي؟!

لم يجبْ.. كان وضعه مختلفاً ولم أكن أحسن حالاً..

المفاجأة العظمى أنه رفض أن يعود معي لتناول الغداء في البيت وقد «حلفنا عليه».. وأعلم أنه كان راغباً... لكن..

-ما الذي جرى؟!

● لا أدري.. سأعود إلى القرية.

-أي قرية؟!

● قريتنا.. ومن هناك ألتحق بالكلية..

حاولت أن أعيد جوّه الضاحك.. فسألته:

-علاء أصحيح أنه ليس لك علاقة بالانقلاب؟!

تنهد بعمق.. وفاجأني عندما سألني:

● من أين نشتري جريدة الثورة؟!

-قلت لك أنا وهي متخاصمان.

● أنا أصالحها بدلاً منك.. اذهب أنت إلى الكلية الحربية..

-علاء.. و«زلغوطة» أمك يوم قبولك..؟!

● أمي..؟! ستزلغط كثيراً.

لم أفهم أي معنى أو مبرر لكلامه.. ولم أفترض أبداً أن يقع استطلاع موقع القتال عليه بهذه الطريقة.. وقلت لنفسي: أي ضابط هذا؟!

أول مرة في حياتي أحس أنني أودعه عن جد.. في الحجاز وكان موقف الباصات التي تنطلق إلى المحافظات.. تعانقنا وبكى كلانا... وذهبت.. وكأنه عناقنا الأخير.

في المنطقة وجدت «مكتبة فاتحة».. سألته عن جريدة الثورة قال إنه لم يستلمها.. كانت الرغبة تتملكني بأن أركض بنسخة لعلاء في الكراج.

لكن..

لم أجد «الثورة» وغادر الباص بعلاء.. وتملكني، إلى أيام عديدة، سأم التفكير بالانقلابات، مع أنني بدأت أفهم أكثر مبررات الحدث وما جرى.

٢٣ شباط

لقد نفدت كل محاولات التدخل للمصالحة بين قيادتي البعث وشخصياته..

وسعى في سبيل ذلك كثيرون.. بينهم حافظ الأسد نفسه.. ويذكر أن موقف القومية في آخر محاولة له لحل المشكلة كان عاملاً حاسماً في اتخاذ قراره المؤيد لخلع قيادة الحزب القائمة والحكومة وأمين الحافظ ومجلس الرئاسة والمجلس الوطني لقيادة الثورة.

لعله كان أول صدام مسلح شديد الوقع بين صفوف البعث العربي الاشتراكي.. ذاك الفجر انهمر الرصاص كالمطر على منزل أمين الحافظ في الروضة واستمرت المعركة نحو ساعة حيث قاوم حراس المنزل بقيادة رئيسهم محاولة اعتقاله حتى حسم الأمر.

هوجم القصر بالمغاوير واستمر القتال حتى وصول الدبابات.

انتهت الحكاية فتتالت البيانات الصادرة عن "القيادة القطرية المؤقتة" ومرة أخرى إلى بلاغات حظر التجول.. وإحساس عام بالنفور.

فالذين تفهموا فعلياً ما وصف بتعنت القومية وسلطويتها.. ولم يكونوا راضين عن مواقف أمين الحافظ.. وقفوا بشيء من ذهول أمام الانقلاب العسكري البعثي الذي أودع قيادة الحزب ومعها رئيس الدولة السجن حتى الذين شاركوا في حركة ٢٣ شباط وحضروا المؤتمر القطري الذي أعقبها أيدوا الحركة وأدانوا أسلوب تنفيذها.

لنأخذ الآن عدد الثورة ٢٤ شباط.

المانشيتات فوق اللوغو:

الاتحادان العامان للعمال والفلاحين يعلنان تأييدهما الكامل للقيادة القطرية المؤقتة.

أعداء الثورة تظاهروا بالإذعان وظلوا يكيدون لها من وراء واجهات مزيفة.

ثم بيان القيادة القطرية المؤقتة تحت المانشيتات التالية:

الثورة ليست أمراً طارئاً.. إنها حياتنا /بالأحمر

القيادة تعلن التزامها التام بمقررات مؤتمرات الحزب القومية والقطرية.

الحزب والثورة سيقفان بحزم ضد جميع الأحلاف التي تحاول تطويق الأنظمة التقدمية الثورية

الثورة لن تكون إلا مع الطبقات الكادحة المحرومة ضد مستغليها

مؤتمر قطري يعقد قريباً ودعوة ممثلي منظمات الحزب بالوطن العربي لمؤتمر قومي

وهذا نص بيان القطرية المؤقتة كما نشرته "الثورة":

يا جماهير شعبنا الكادحة.. أيها الرفاق المناضلون في كل مكان من أرجاء وطننا العربي الكبير.. قامت ثورة الثامن من آذار لتكون ثورة حقيقية على التخلف والتجزئة وحرباً على الاستعمار والرجعية وانتصاراً لإرادة جماهير الشعب الكادحة على مستغليها وتحقيقاً لأهداف الأمة العربية في الوحدة والحرية والاشتراكية.

محاولات قوى الرجعية والتخلف..

وإن حزب البعث العربي الاشتراكي الذي فجر هذه الثورة وخاض معارك قاسية مع أعداء الشعب لحمايتها كان يتوقع أن يلجأ أولئك الأعداء إلى التسلل خلف الصفوف والاستعانة بمن ركبوا المد الثوري دون قناعة أو

إيمان، ومن خلال نزعات التسلط والفردية ومن خلال المترددين الجبناء والمرتبطين فكرياً وتاريخياً مع مدارس الاحتراف السياسي.

لقد حاولت قوى الرجعية والتخلف أن تنفذ إلى قلب الثورة لتحرفها عن طريقها الحتمية وتقودها إلى هاوية الحكم الفردي وأسلوب المساومة والارتماء، وإن استطاعت هذه القوى أن تنفذ إلى الحزب عن طريق فردية أمين الحافظ وتخاذل محمد عمران ويمينية صلاح البيطار وأنانية ميشيل عفلق وتمكنت من جر الحزب خلال الأشهر القليلة إلى حافة التمزق والضياع فإن الحزب الذي حمى ثورته من كل خصومه لم يكن غافلاً عن تآمر هؤلاء، فبعد أن حذر ونبه وأنذر متبعاً في ذلك كل الأساليب الحزبية والدستورية الممكنة قرر أن يخوض المعركة معهم ويسحقهم إلى الأبد ليكونوا عبرة لكل من يفكر بضرب هذا الحزب أو تخريب ثورته سواء من الداخل أو الخارج.

- تحالف مع خصوم الثورة وأعدائها...

لقد صبر الحزب على هؤلاء شهرين يحذر وينبه قدمت إليهم المذكرات من جميع فروع الحزب المدنية والعسكرية، داخل القطر وخارجه فأصموا آذانهم عنها، طُلب منهم عقد مؤتمر قطري لمعالجة ما أقدموا عليه فرفضوا وهددوا بفصل كل من يحضر المؤتمر، طلب منهم عقد دورة استثنائية للمجلس الوطني فرفضوا وكان جوابهم دائماً مزيداً من الإمعان في تخريب الحزب والثورة، مزيداً من الإمعان بالعبث بمؤسسات الحزب ونظمه.. بل ازدادوا تآمراً وتخريباً وبدأ كل من الحافظ وعمران على تناقضهم الأكيد يغذيان الطائفية والعشائرية والإقليمية بالجيش ويقيمان التكتلات والتحالفات مع خصوم الثورة وأعدائها بضرب الثورة وحزبها القائد.

البيان طويل جداً ونكتفي بمقدمته.

وأيضاً افتتاحية تحت عنوان "أمس واليوم وإلى الأبد".

كنا نقول، ونقول اليوم أكثر من أي وقت مضى، مبدؤنا ومنطقنا وإيماننا، لا نعتبر سورية العروبة دولة إلا تجاوزاً، إنها بنظرنا جزء من دولة أكبر.

وكنا نقول، ونقول اليوم أكثر إننا لا نعتبر سورية العروبة ثورة إلا تجاوزاً، إنها بنظرنا خطوة، مشروع ثورة، لثورة أكبر وأكبر.

هذه عقيدتنا في الثورة والدولة، لم نحد، ولن نحيد، كنا نقول إن الحزب أداة الثورة، وإن الثورة بلا أداة، كلام وشعارات للتصدير فقط، كما أن أي انتقاص من سلطة الحزب، أو أي تشويه لهذه الإرادة لن يكون إلا نوعاً من أنواع التآمر.

كنا نقول إن الجيش العقائدي ليس إلا منظمة من منظمات الثورة باستثناء تركيبه وطبيعته الخاصة، له كل ما لمنظمات الحزب من حقوق وعليه ما عليها من واجبات.

وهو أيضاً نواة، إنه طليعة جيشنا الشعبي الكبير، جيش الثورة العربية الكبرى.

وأخيراً قلنا إن الثورة هي الحقيقة وحين نعجز عن أن نقول الحقيقة سنعجز أن نكون رجالاً وبالتالي على أن نكون ثواراً.

نردد هذا اليوم، أولاً لنعيد التزامنا به علانية، وثانياً لنكشف عن أن الحقد والمنطلق الشخصي يمكن أن يعمي البصر والبصيرة ويفقد حتى أعقل الناس القدرة على الرؤية، إلا من خلال زاويتهم الضيقة التي يريدون الرؤية من خلالها.

وهكذا يسقط أي إنسان فريسة أوهامه من جهة وفريسة البطانة والدائرة التي تحيط به من جهة أخرى.

إننا إذن شباب هذا الحزب عمالاً وفلاحين، جنوداً ومثقفين ثوريين على الطريق، الطريق ذاته، الطويل والصعب، أبداً على الطريق إلى يوم النصر.

تاريخنا في العراء تحت الشمس، عشنا في حضن الحزب، رعانا، وحمينا كرامته، حين لطخه واستهتر به البعض دون رحمة ودون خجل.

تاريخ هذه القواعد الحزبية لا يخجل الحزب، إنه تاريخ النضال الصامت المتواضع.

والذي يسب هذه القواعد، والذي يشكك بهؤلاء الشباب ويستقتل ليزرع الفرقة والانقسام في صفوفهم ويستعدي المدنيين على العسكريين وبالعكس، ويطرح ويغذي في صفوف الحزب والشعب ما خجل جواسيس الاستعمار عن طرحه من عنعنات إقليمية وطائفية. إما أنه غريب أو دخيل أصلاً في هذا الحزب أو أن به خللاً وهو إنسان مريض أو أن هناك شيئاً آخر ندع للأحداث والوقائع أن تتكلم عنه.

من ناحيتنا لن ننزلق إلى ما انزلقوا إليه، كما لن نشك بأنفسنا وبقدرة حزبنا وقد خطط له أن تشوه صورته وتمسخ بأذهان الحزبيين وأبناء الشعب على حد سواء لكي يفقد ثقته بنفسه، وثقة الجماهير به.

لماذا خلق هؤلاء هذه الدوامة؟

لماذا شككوا بجنود الحزب وثواره؟

لماذا أرادوا لأبناء هذا الحزب أن يقتتلوا؟

لماذا لملموا الانتهازيين والمدانين من الحزب وسلطوهم عليه وسموا ذلك قفزة نوعية؟

لماذا؟ لماذا؟

لأي هدف؟

نترك ذلك للرفاق ولمنظات الحزب أن تحقق فيه.

وعلى الصفحة الأولى البلاغات الثلاثة للقطرية المؤقتة..

بلاغ رقم (١) صادر عن القيادة القطرية المؤقتة لحزب البعث العربي الاشتراكي

يمنع التجول في كافة أنحاء القطر العربي السوري اعتباراً من الساعة السادسة من صباح اليوم الأربعاء ٢٣ -٢ -١٩٦٦ وحتى إشعار آخر.

بلاغ رقم (٢) صادر عن القيادة القطرية المؤقتة لحزب البعث العربي الاشتراكي

تغلق الحدود والمطارات والموانئ البحرية في القطر العربي السوري اعتباراً من لحظة إذاعة هذا البلاغ وحتى إشعار آخر.

بلاغ رقم (٣) صادر عن القيادة القطرية المؤقتة لحزب البعث العربي الاشتراكي

في صبيحة هذا اليوم تم إلقاء القبض على كل من:

أمين الحافظ، ميشيل عفلق، منيف الرزاز، محمد عمران، منصور الأطرش، صلاح البيطار، شبلي العيسمي.

وسيقدمون للمحاكمة أمام محكمة حزبية خاصة لمحاسبتهم على ما اقترفوه بحق الحزب والثورة.

القيادة القطرية المؤقتة لحزب البعث العربي الاشتراكي

غابت الأسماء عن الافتتاحية - هذا تقليد - وأيضاً عن زاوية الأولى التي تناوب عليها مؤخراً نمر حماد وكمال مطر.. وغابت زاوية "قل كلمتك وامش" واستمرت في الوطن الكبير دون توقيع.

استمرت الثورة عادية وروتينية جداً، لا ترى فيها اسماً واحداً على مقال سياسي حتى الأول من آذار.. إنما كانت تدير على صفحتها الأولى تطورات الحدث.. بالمانشيتات والافتتاحيات والأخبار.

مانشيتات عدد ٢٥ شباط كانت:

فوق اللوغو:

تخفيض حظر التجول وفتح المطارات والموانئ البحرية في القطر السوري.

القيادة القطرية تجتمع وتقرر:

تشكيل مكتب اتصال قومي بكافة منظمات الحزب بالوطن العربي لتحديد موعد المؤتمر القومي.

قطعات الجيش بحلب ومختلف المناطق وجماهير الشعب والحزب تعلن دعمها للقيادة القطرية.

تحت اللوغو:

تحت ستار من التشكيك و"التصحيح" وإظهار التجربة الاشتراكية بمظهر سلبي.

حكومة البيطار أعدت مرسوماً لإلغاء التأميم / بالأحمر

وألفت لجاناً لتفريغ النظام الثوري من الداخل وإسقاطه تلقائياً.

وضع مخطط لضرب العناصر الثورية الاشتراكية في الجيش وأجهزة الحكم والنقابات

"الانفتاح" المزعوم لم يكن على الشعب بل على القوى اليمينية ومحترفي الانتهاز والسياسة

وجاء في افتتاحية عدد ٢٦ شباط:

مزيداً من الغار لأبطال ٢٣ شباط.

للقلوب الكبيرة، للجباه العالية، وللأيدي الباسلة التي كرست بعثنا بالعرق والدم، وأيقظت شعبنا على نداء الكرامة والحياة.

من ٨ آذار إلى ١٨ تموز إلى ٢٣ شباط:

ثلاث مرات أكد فيها شبابنا الأبطال حقيقتهم وحقيقة أمتهم، وترجموا البعث شرفاً وإقداماً وبذلاً وتضحية ومواقف تصنع التاريخ، وفي كل مرة كانت الأيدي الملوثة، والنفوس المريضة تمتد وتتهافت لتطمس حقيقتهم الناصعة وتحصد ما ينمو على دمهم، وعرقهم، وكفاحهم.

في كل مرة قالوا هم جماعة.. وعصبة.. وأتباع.. وفي كل مرة أثبتوا أن القضية أغلى عندهم حتى من مهجهم نفسها، وإن حياتهم ليست إلا انتظاراً يومياً لتوكيد هذه الحقيقة.

الشامتون شمتوا في ٢٣ شباط: الموتى بلا قبور خيل إليهم أن قد انتهى "البعث" ولن يزعجهم في رقادهم أحد..

والذين تحجروا خارج الزمن.. والتاريخ أغلقوا خلفهم الأبواب، وهرعوا إلى الزوايا، وتمتموا عبارات آلية توارثوها.

والذين "يبنون المستقبل" من خلال دخان سكائرهم وجدوها فرصة لفروسيتهم الكلامية.

أما شباب البعث فقد ردوا على الظروف، على المد الرجعي المقنع المراوغ كما يخلق بهم أن يردوا، كما يخلق بأبناء حقيقيين للشعب.

قبل ٢٣ شباط كان الخطر على الشعب وأمانيه ومصالحه يأتي من ناحيتين: فالذين يهمهم المجد الشخصي وتكاثر عدد الهتافين كانوا يريدون التحلل من الحزب بل إنهاءه تحت ألف ستار، وكان طموحهم أن يقيموا حكم "الأوسمة والنياشين" وتظاهرات التأييد الجوفاء التي رأى الناس مثلها في العهود الانقلابية.

وقد رفض شباب البعث أن يتخلوا عن حزبهم، رفضوا الاشتراك بحكم مغامر، حكم الأوسمة والنياشين.

أما في الحزب فكان التآمر عليه أدهى وأمر.

كان من يسعى ليجعل من حقيقة البعث البسيطة الصريحة لغزاً وأحجية تستعصي على الإفهام.

كانت ثمة ثلاثة قبور تعد للوحدة والحرية والاشتراكية.. وفي مقبرة كتب على مدخلها البعث.. وكانوا وهم يحفرون القبور.. يدعون شرعية تمثيل البعث!

٨ آذار و١٨ تموز و٢٣ شباط أيام غالية أكدت بالدم وفاء البعث لحقيقته، لشعبه ولعروبته التي تأبى الهزيمة والدجل والاستسلام.

ولو كانت المطامع الفردية من ورائها..

ومنطق الجماعة والعصبة والتسلط لما وجب أن تكون..

ولكنها ليست سوى بدايات وصوى.. على الدرب الطويل.. درب الكفاح والألم والتضحيات.. درب البعث.

في العدد ذاته تعلن الثورة عن أن القطرية المؤقتة سمت الدكتور نور الدين الأتاسي رئيساً للدولة والدكتور يوسف زعين رئيساً للوزراء.

لا شيء لافت تقريباً في عدد ١ آذار ١٩٦٦.

إنما وضع الجريدة الذي كان بدأ يتردى منذ أواخر أيام إنعام الجندي.. أظهر تراجعاً لافتاً فعلاً، نقرأ في العدد مانشيتين متتاليين فوق اللوغو دون أي فاصل بينهما:

اتحاد الفلاحين وطلبة العراق في سورية يستنكران اغتيال المناضل حسين القاضي بعد حل البرلمان البريطاني وإجراء انتخابات عامة في ٣١ آذار الحالي.

ثم مجموعة مانشيتات تحت اللوغو عن الحدث.. وسط الصفحة صورة كبيرة لالكسي كوسيغن رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي في حينه يستقبل هارولد ولسون رئيس وزراء بريطانيا.. وافتتاحية حملت عنوان "جدارة البعث" ونافذة حملت عنواناً "البيطار والقطاع الصناعي" وكلاهما بلا توقيع.. ومجموعة أخبار دولية ومحلية.

في ٢ آذار أعلنت الثورة عن تشكيل الحكومة الجديدة برئاسة الدكتور يوسف زعين مع صور للأتاسي رئيس الدولة "عوضاً عن رئيس مجلس الرئاسة" وزعين رئيس الوزراء والدكتور ابراهيم ماخوس نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية.. وعدد من الوزراء..

وجاء فيها اللواء حافظ الأسد وزيراً للدفاع بمادة خاصة في مرسوم تشكيل الوزارة جاء فيها:

"يتولى السيد اللواء حافظ الأسد قائد القوى الجوية اختصاصات وسلطات وزير الدفاع إضافة لعمله".

كما احتل جميل شيا وزارة الإعلام بدلاً من شاكر مصطفى.

تستمر الثورة رتيبة عادية بلا جديد تقريباً.. تتابع الحدث.. يستمر غياب الأسماء عن المقالات السياسية.. يستمر عدم مقدرة تحديد المشرف عليها أو رئيس تحريرها..

في الثامن من آذار تصدر ملحقاً جيداً عن الذكرى الثالثة لثورة ٨ آذار من ٤٨ صفحة حجم وسط.

في عدد ٨ آذار على الصفحة الأخيرة مقال سياسي لـــ عيسى درويش فكري نظر حول الثورة.. ثم غياب كامل.

في ٩ آذار صورة كبيرة لقادة سورية الجدد في إطار العرض العسكري الذي أقيم احتفالاً بذكرى الثورة يظهر فيها حافظ الأسد وصلاح جديد ونور الدين الأتاسي ويوسف زعين.

في عدد ١١ آذار يعود اسم كمال مطر على النافذة وتظهر افتتاحية كبيرة بعنوان "موقع الرجعية" تبدأ بمقطع لمحمد البجاوي – "الثورة الجزائرية".

من كتبها..؟!

هل هو محمد الجندي المدير العام الجديد الذي صدر قرار تعيينه في ١٩٦٦/٣/١.

إليكم الافتتاحية:

"ليسوا ممثلين شرعيين لأنهم يحملون السلاح، وإنما تدوم لهم القدرة على حمل السلاح لأنهم ممثلون شرعيون للشعب".

محمد البجاوي: الثورة الجزائرية

ما زال علينا أن نسلط المزيد من الأضواء على يوم الثالث والعشرين من شباط لندرك كل أبعاده. ومن اجل ذلك يجب أن نستعرض أيامنا التاريخية بدءاً بالسادس من أيار، إذ علق أبطالنا على المشانق بعد أن وشى بهم الحلفاء إلى السفاح، ومروراً بـــ ٢٤ تموز فـــ ٢٩ أيار، فـــ ٢٨ أيلول، فإذا كانت تلك الأيام شواهد على التضحيات العظيمة التي قدمها شعبنا في

سبيل أمانيه وأهدافه، فإنها من جهة أخرى تشير إلى أن كفة القوى المعادية كانت هي الراجحة. وإن كفاحنا القومي إنما آل إليه زمام المبادرة في الثامن من آذار عام ١٩٦٣.

إن الاستعمار والقوى الرجعية المتحالفة معه ما كان لها أن تسكت على الهزيمة التي لحقت بها في ذلك اليوم وقد تحركت أكثر من مرة، وقامت بأكثر من فتنة مسلحة، ولكن توالت هزائمها، فقررت التسلل لضرب الحكم والحزب من الداخل.

لقد سبق للرجعية أن اعتمدت هذه الخطة إبان عهد الوحدة، حينما لم يسمح لها بالإجماع الشعبي بأن تقاومها بشكل سافر، لقد هرعت تلك الفئات يومئذ بعد أن رأت ان الوحدة أصبحت أمراً مقضياً، تعلن تأييدها وولاءها، ولكنها في الوقت نفسه اتخذت كل الاحتياطات لضرب الوحدة، حين تأخذ معناها الحقيقي كعمل ثوري وتصبح خطراً على مصالحهم.

وتم لهم ذلك عن طريق إقامة حكم "الاتحاد القومي" وإقصاء الضباط العقائديين عن الجيش.

إن مثل هذا المخطط كانت أعدته القوى الرجعية، لا في سورية فحسب بل في كل الوطن العربي، لضرب ثورة الثامن من آذار، ولإضعاف موقف الحكومات العربية التقدمية وعزلها، ولو طال الزمن قليلاً لنشأت تكتلات جديدة فردية كما نشأت "الشيشكلية" و"الناصرية".

ولكن الرجعية العربية التي كانت تخطط ليوم كيوم ٢٨ أيلول فوجئت بانقضاض ٢٣ شباط الذي أفسد عليها كل مؤامراتها.

معركة ٢٣ شباط إذن لم تكن بين دبابتين كما وصفتها بعض الصحف الرجعية. ولا مجرد نزاع شخصي على السلطة، كانت بين البعث العربي الاشتراكي وبين القوى الرجعية في الوطن العربي كله، بكل ما تملكه تلك القوى من أسلحة وأساليب.

ولم ينتصر البعث لأنه كان أقوى سلاحاً.. بل إنه كان أقوى سلاحاً لأنه البعث، ولأنه الأمل، والمستقبل للأمة العربية ولجماهيرها الكادحة.

إن الذين استهانوا بالحزب، وحسبوه مجرد رقعة من الشطرنج يستطيعون تحريك حجارتها كما يحلو لهم، والذين حسبوه مجرد تكتل انتهازي لا هم له إلا بلوغ الحكم والاستمرار فيه، كل هؤلاء لم يفجعهم الحزب، بآمالهم فحسب، ولكنهم أتاحوا له أن يعبر أروع تعبير عن ثوريته وجدارته المطلقة بقيادة الجماهير العربية في دروب النضال.

إن هزيمة الرجعية في ٢٣ شباط انعطاف خطير في نضال الشعب وتحول حاسم في ميزان القوى.

إن الرجعية، التي كانت إلى يوم أمس بعبعاً.. قد انكشفت عن "بو" وعدو هزيل.

إن الرجعية تحارب الآن القهقرى وتضع أيديها على وجهها اتقاء للكلمات.

وليس على جماهيرنا إلا أن تحاصرها في قصورها ومخابئها وأوكارها وأن تشدد ضرباتها.

إن قوى الشعب والتقدم، في سائر أنحاء الوطن العربي، مطالبة بأن تحتل كل يوم مواقع جديدة للعدو، وأن تؤزر النصر الذي تم لها في ٨ آذار و٢٣ شباط، وأن تذكي نار الثورة بنجيع الأبطال.

إن على جماهيرنا أن تكون كاملة الأهبة للمعركة الفاصلة مع قراصنة الاستعمار، ومع مجموعة العملاء والأذناب، وأعداء الشعب.

ومهما يظهر هذا اليوم بعيداً فهو قريب.

في العدد نفسه يعود توقيع كمال مطر على نافذة الصفحة الأولى.

محمد الجندي

أستاذ رياضيات... رجل فكر.. بعثي يساري.. ومثقف قومي.. كاتب جيد وجريء.. محلل سياسي وله رؤيته في نظرية الحزب الثوري.. نظيف اليد والقلب.. والذهن..

وهو أيضاً من أبناء مدينة السلمية.. بقراره كمدير عام ورث الجندي الآخر "إنعام" وهما من العائلة نفسها.. لكن بعد ستة أشهر قاد فيها رؤساء التحرير المؤسسة وبينهم الأستاذ مصلح سالم.

اختياره السريع نسبياً لرئاسة تحرير الثورة "المدير العام لمؤسسة الوحدة، بعد بضعة أيام من حركة ٢٣ شباط يأتي تماشياً مع حقيقة موقفه الفكري والسياسي.

قاد الصحيفة في مرحلة صعبة.. ولم تشهد ذاك الاستقرار السياسي رغم أن الشباب في قيادة البعث حسموا المعركة لصالحهم مستخدمين القوات المسلحة.

لم يكن من السهل في حينه التوجه إلى الشعب عبر الصحيفة الحكومية الوحيدة.. ورغم أن الذين كانوا والذين أتوا ينتمون إلى الحزب نفسه، فقد كانا في مشروعين مختلفين.. أو بالأحرى يعتمدان برنامجين مختلفين.. القيادة السابقة كانت عينها على الانفتاح على القوى الاقتصادية "التجار ومن بقي من الصناعيين" ولا بأس بالتفاهم مع القيادات الدينية... أما القيادة الراهنة فتريد برنامجاً ثورياً يحقق النمو ومصلحة العمال والفلاحين وما كان يسمى بصغار الكسبة.

الانطلاق بالصحيفة في حينه من وضعها القائم وكانت تقترب من إطفاء شمعتها الثالثة لتمثل المشروع الجديد.. أو لتقترب أكثر من القراء.. لم تكن

سهلة.. لكن.. نزوع الشارع العربي.. ولا سيما الشارع الثقافي في حينه كان باتجاه اليسار والاشتراكية ما ترك للصحيفة فرصة التفاهم مع كثيرين من الكتّاب والمفكرين العرب.. واعتماد برامج عمل مقتبس الجزء الأكبر منها، وغير مخططة على الورق وبالأصل ففيها كوادر اتصف كثيرون منهم باليسارية "كمال مطر - ممدوح عدوان – يوسف مقدسي – أيوب منصور... وغيرهم".

وسط هذا الوضع التاريخي الخاص قدم محمد الجندي إلى مؤسسة الوحدة.. وجرياً على تقاليد أسلافه من المديرين العامين ورؤساء التحرير.. سيطول بنا الزمن نسبياً قبل أن نرى له اسماً على مادة صحفية أو تغيرات جذرية في الصحيفة.

لنبدأ التجوال مع صحيفة الثورة بحثاً عن الجديد.

* * *

في ١٢ آذار افتتاحية كبيرة /٣/ أعمدة عنوانها "حول المؤتمر القطري" ونافذة كمال مطر بعنوان "قانون العقوبات الاقتصادي".

هناك مؤتمر وزراء خارجية عرب في القاهرة ومانشيت الثورة فوق اللوغو عن وفد برئاسة ماخوس والسطر الأحمر:

التل يتعاطف مع تصريحات بورقيبة

وتتابع بالأسود:

ويدعو العالم العربي ومؤتمرات القمة إلى "الصراحة"

هل قررت الرجعية العربية أن تسفر عن موقفها الحقيقي من قضية فلسطين

تحشر مع القطعة الخبرية التابعة للمانشيت صورة لـــ "كوامي نكروما" زعيم غانا الذي كان تعرض لانقلاب عسكري أنهى حكمه وكان معروفاً بالوطنية ومعاداة الغرب، وله كتاب شهير عنوانه "الامبريالية آخر مراحل الاستعمار الجديد".

تمضي الصحيفة كأنها متثائبة.. لا جديد إلا التراجع الإخراجي الواضح.. وربما شيء من الاستعراض اليساري.. توزيع الصفحات نفسه تقريباً مع شيء من الاختلاطات والشربكات.

في ١٣ آذار.. بعد نحو ٢٠ يوماً على حركة ٢٣ شباط نقرأ في مانشيتات الثورة فوق اللوغو:

المؤتمر القطري الاستثنائي يصدر بياناً عن النتائج الأولية لأعماله.

الأزفيستيا: ٢٣ شباط تسوية نزاع وتقدم للثورة الشعبية وتحسين لحياة الجماهير.

المؤتمر القطري الاستثنائي المستعجل نسبياً والمانشيت المنقول عن الأزفيستيا.. كلاهما موظف لإضفاء الشرعية الحزبية والثورية على ما جرى في ٢٣ شباط.. رغم أن القطرية المؤقتة طلبت عن طريق الخارجية من البعثات الدبلوماسية السورية في الخارج "حسب صحيفة الثورة" إنه لا حاجة لتجديد الاعتراف، لأن ماجرى تحرك داخلي.

هل كان الحكم يشعر بصدمة ناجمة عن نفور ما محلي أو عربي أو دولي من الانقلاب العسكري، فأسرع إلى المؤتمر لإضفاء الشرعية الثورية؟

مهنياً، واضح أن الصحيفة استلمت الخبر متأخراً جداً.. أي في الصباح.. لأن مقدمة الخبر تقول: "أنهى أعماله في الساعة الرابعة صباحاً".. ولقد كتب إلى جانب الخبر "الطبعة الثانية" ويتضمن الخبر بياناً عن أعمال المؤتمر.. ننشره هنا لافتين إلى أن المؤتمر أدان – بشكل ما - أسلوب تنفيذ ٢٣ شباط "على الرغم من أن الأسلوب الذي اتبع في التنفيذ لم يكن الأسلوب الحزبي النظامي".

في الساعة الرابعة من صباح اليوم أصدر المؤتمر القطري الاستثنائي لحزب البعث العربي الاشتراكي في القطر السوري بياناً أولياً عن نتائج أعماله وفيما يلي النص الكامل:

انعقد المؤتمر القطري في دورة استثنائية بدأت مساء العاشر من شهر آذار ١٩٦٦ وحضرها ممثلو فروع الحزب في القطر ومراقبون عن المنظمات الشعبية كما وحضرها أعضاء قياديون من بعض منظمات الحزب في الوطن العربي.

وقد استعرض المؤتمر في دورته هذه قرارات القيادة القومية المتخذة بتاريخ ٢١ -١٢ -١٩٦٥ وما أعقبها من إجراءات على صعيدي الحزب والسلطة والتي تعتبر بمجموعها تجاوزاً صريحاً للنظام الداخلي ومخالفة واضحة لمقررات المؤتمر القومي الثامن.

كما استمع المؤتمر إلى تقرير شامل من القيادة القطرية المؤقتة عن حدث ٢٣ شباط وقد تأكد للمؤتمر على ضوء ذلك أنه على الرغم من أن الأسلوب الذي اتبع في تنفيذه لم يكن هو الأسلوب الحزبي النظامي إلا أن أخطاراً جسيمة ومحدقة كانت تهدد وجود الحزب والثورة نتيجة للواقع الذي قادت إليه قرارات القيادة القومية وإجراءاتها ورفضها اتباع الطرق الحزبية المشروعة في معالجة الأمور ووقوعها تحت تأثير عقلية متسلطة استغلت شرعية هذه القيادة وواقعها لتنفيذ أغراضها ومقاصدها مما جعل اللجوء إلى ذلك الأسلوب أمراً حتمياً للحفاظ على كيان الحزب وسلامة الثورة.

وقد طلب المؤتمر إلى القيادة القطرية المؤقتة الاستمرار في ممارسة صلاحياتها في قيادة الحزب والحكم إلى أن يتم انتخاب قيادة قطرية جديدة في نهاية دورته الحالية، وأكد المؤتمر على ضرورة مواصلة الجهود المبذولة في الاتصال بمنظمات الحزب القومية لتوضيح ظروف وأهداف حدث الثالث والعشرين من شباط والعمل على تمتين وحدة الحزب القومية.

كما قرر المؤتمر تشكيل عدة لجان لدراسة التقارير المقدمة إليه واعتبار نفسه في حالة انعقاد ريثما تنهي اللجان المختصة دراسة هذه التقارير وتعرض عليه نتيجة أعمالها لاتخاذ القرارات والتوصيات بشأنها.

وسيصدر المؤتمر في نهاية دورته هذه بياناً مفصلاً حول ذلك.

والخلود لرسالة أمتنا

دمشق في ١٢ آذار ١٩٦٦.

تشير الصحيفة في العدد ذاته وعلى الصفحة الأولى إلى أن الجنرال سوهارتو قد صفى نهائياً حكم الرئيس أحمد سوكارنو وحل الحكومة والحزب الشيوعي وحظر نشاطاته.. لا تظهر الصحيفة موقفاً واضحاً مما جرى في أندونيسيا في هذا العدد.

الثلاثاء ٣/١٥ أول ظهور لاسم المرحوم سليم خليفة – فلسطيني - الذي أشرف على إدارة قسم الأخبار في الصحيفة زمناً طويلاً جداً وعاصر أعداداً كبيرة من الصحفيين والمديرين العامين ورؤساء التحرير وكان أحد أركان العمل الصحفي في الجريدة إلى أن تولى منصب مدير التحرير، والغريب أن اسمه يرد في الجريدة من خلال أبيات شعرية بعنوان أغنية إلى طائر.. نسجلها هنا ليس لروعة الشعر ربما.. لكن لكونها لسليم خليف" محرر الأخبار الأشهر في تاريخ الصحافة السورية المعاصرة.

الليل يحتضن النجوم فلا رياح ولا غيوم
والذكريات بسحرها طيف من الماضي يحوم
وتئن من نزف الجراح.. وكم تهم.. ولا تقوم.
اسكرت باللحن الربى فتراقصت هوج الرياح
وبنيت عشك في الفضاء وعدت مخضوب الجناح
لا الليل يمسح دمعة سفحت، ولا كف الصباح
أنت الجريح وهذه الألحان من وحي الجراح
لا تبتئس يا طير فالآلام تجمعنا سويا
غنيت مثلك وانطلقت وعدت مخذولا شقيا
الأرض، أرضي، مزقت والقيد حز بمعصميا
طاغ تجنى بالأذى واستل كأسي من يديا

بالأمس كنت أرف مثلك بين أدواح الخميلة
متنقلاً من زهرة حمرا لزنبقة جميلة
أرعى الفراش وطالما أهفو لأيام الطفولة.

في العدد نفسه في صفحة الرياضة خبر رئيسي أن وزير التربية مصطفى حداد حل اتحاد كرة القدم وعين غيره.. يعني التدخل الحكومي بشؤون الرياضة قديم ويعود إلى ذاك الزمن.

في ٢٣ آذار ١٩٦٦ يظهر كاريكاتير علي فرزات على الصفحة الأولى لأول مرة.. في رسم عن الرئيس الأميركي جونسون وحرب فيتنام. في الوقت الذي كان فيه عبد اللطيف مارديني مستمراً في رسومه على الصفحة الأخيرة غالباً.

الصحيفة بشكل عام تبدو مرتبكة وهناك تراجع إخراجي.. لكن انشغالها بالشأن الداخلي أوضح.. ولا سيما على صعيد القضايا الشعبية والعمال والفلاحين وغيرها من فئات الشعب.. وخلال هذه الفترة تنقل الصحيفة تأييد المنظمات الشعبية بشكل عام لـــ ٢٣ شباط.. وهناك مؤتمر عمالي يعيد انتخاب خالد الجندي رئيساً له، وتتراجع شخصنة الأخبار وإعطاء الأولوية لأسماء القادة كما كان يحصل مع أمين الحافظ وصلاح البيطار في المرحلة السابقة.

تتردد أسماء حسيب كيالي ونصر الدين البحرة وأمير البؤساء"أيوب منصور" في زاوية أيام وخواطر على الصفحة السادسة.

ويتوالى العرض الكاريكاتيري لعلي فرزات على الصفحة الأولى بشكل يومي تقريباً، "خطوط لافتة جميلة.. رسوم صغيرة".

الصفحة الثالثة تميل بشكل غير ناجح للمقالات والمقابلات الطويلة يغلب عليها الطابع الثقافي والأدبي والفني.

الصفحة السادسة تحمل اسماً جديداً "الميزان" وتغيب عنها زاوية أيام وخواطر ويحل مكانها زاوية بعنوان حول العالم فيها مجموعة من الأخبار والصور ذات الصبغة الفنية.

في ٢٧ آذار تنشر الثورة مانشيتاً مضافاً، يستخدم حرفاً كبيراً مطبعاً يصفّ باليد وليس كتابة خطاط.. ويبدو أنه وصل إلى الصحيفة متأخراً.. يقول:

المؤتمر القطري الاستثنائي ينهي اجتماعاته أمس وينتخب القيادة القطرية الجديدة

وهذا نص الخبر:

أنهى المؤتمر القطري الاستثنائي لحزب البعث العربي الاشتراكي في القطر العربي السوري اجتماعاته التي بدأت في تاريخ ٢٠ آذار الحالي، وقد استمع المؤتمر إلى مذكرة اقتصادية عن الوضع الاقتصادي الداخلي وإلى مذكرة من مكتب الاتصال القومي وإلى تقرير حزبي، وكان قد استمع إلى تقرير سياسي واتخذ في كل ذلك قرارات وتوصيات سيذاع عنها قريباً في بيان تعده القيادة القطرية الجديدة.

هذا وقد انتخب المؤتمر في نهاية دورته الاستثنائية الرفاق التالية أسماؤهم حسب التسلسل الأبجدي:

ابراهيم ماخوس، حبيب حداد، حافظ أسد، جميل شيا، صلاح جديد، عبد الكريم الجندي، فايز الجاسم، كامل حسين، مروان حبش، مصطفى رستم، محمد رباح الطويل، محمد الزعبي، محمد عيد عشاوي، نور الدين الأتاسي، يوسف الزعين.

في العدد ذاته حديث طويل ومانشيت عن إنشاء خط حديدي بالتعاون مع الاتحاد السوفياتي واتفاقية تعاون اقتصادي مع ألمانيا الديمقراطية.. والجو العام يشعرك بتوجه القيادة الجديدة للبناء الداخلي.

في ٢٩ آذار تنشر الثورة مانشيتاً عن رسالة من القادة السوفييت إلى الرئيس نور الدين الأتاسي ثم مجموعة من المانشيتات حول تنظيم التجارة الخارجية.. لتوحيد العمل بين العام والخاص وربط الاستيراد بالتصدير.

في ٣٠ آذار على الصفحة الثالثة الجزء الثاني من مقال ترجمه الدكتور "داؤود حيدو" عن الألمانية يتحدث عن شخصية عبد الكريم الجندي وكان وزيراً للإصلاح الزراعي وعنوانه "ابن فلاح.. ضابط.. وثوري".

على هذه الصفحة يطل اسم "سهيل زيدان" لأول مرة معداً تقريراً مطولاً عن فيتنام.

ينتهي آذار والجريدة تتهادى بمشيتها دون ظهور أي بصمات للأستاذ محمد الجندي.. بل هناك تراجع إخراجي واضح ولعل جديدها الوحيد هو ظهور كاريكاتيرات علي فرزات على الصفحة الأولى.

في ٤ نيسان تسجل الثورة بالصور حضوراً آخر لقادة الدولة: الأتاسي وجديد وزعين بمناسبة عيد الأضحى.. وتشير إلى بيان "تاريخي" صادر عن المؤتمر القطري الاستثنائي.. خلال عطلة الصحيفة وتنشره كاملاً على الصفحتين الرابعة والخامسة.

تورد الصحيفة بين أعمدة صفحتي البيان عدداً كبيراً من العناوين نختار منها ما نرى أنه يسهّل فهم التوجه العام لحزب البعث الحاكم:

كما حركة ٢٣ شباط كانت الحل الوحيد للمحافظة على الحزب والثورة.

وحدة الحزب القومية ليست مرتبطة بأشخاص معينين نصبوا أنفسهم أوصياء على الحزب

إدانة العقلية الفردية والدكتاتورية واليمينية والانتهازية المخربة

الدعوة إلى مؤتمر قومي تاسع

توصية للمؤتمر القومي المقبل بإجراء محاكمة حزبية للذين تآمروا على الحزب والثورة

ثورة آذار تفتح صدرها لكل اشتراكي حقيقي ووحدوي تقدمي.

فصل أجهزة الأمن العسكرية عن اختصاصات قوى الأمن الداخلي.

فصل السلطات العسكرية عن المدنية والمحافظة على التركيب الطبقي للجيش.

وضع شعار "الجيش للحرب والإعمار" موضع التنفيذ.

لقاء القوى التقدمية لا يمكن أن يكون إلا من خلال معارك التحرير في الوطن العربي.

وغيرها الكثير... عناوين صحفية تلخص الاتجاهات العامة لبيان مؤتمر الحزب الذي يحدد اتجاهات العمل السياسي والاجتماعي.

تستمر الصحيفة بعد ذلك بزوايا ومقالات بالتعليق على البيان المذكور. وتتابع اهتمامها بالشأن المحلي..

في عدد ٦ نيسان.. نقرأ خمسة أسطر مانشيتات على عرض الصفحة الأولى بينها واحد باللون الأحمر.. كلها تقوم على خبر استقبال الدكتور يوسف زعين لوزير الصناعة المرحوم الدكتور أسعد تقلا، والحديث عن مديرين جدد لبعض الشركات المؤممة.

عبارات مثل الاشتراكية والبرجوازية والبرجوازية الصغيرة والثورة.. تتردد على كل الصفحات بما فيها الأدبية.

أخبار المشاريع أيضاً تحتل المانشيتات ويتضح من الصحيفة اتجاه لإقامة سد الفرات.. ومصنع للقضبان الحديدية في حماة.. واستمرار ورود أخبار توزيع الأراضي على الفلاحين.

حيوية الصحيفة خلال هذه الفترة تقوم على صفحة المنوعات "الميزان" ص ٦.. وهي متراجعة أيضاً تنشر مواد طويلة وقصصاً وأشعاراً.. وقد توقفت كاريكاتيرات علي فرزات عن الظهور اليومي على الصفحة الأولى بينما استمر عبد اللطيف مارديني على الأخيرة، ويلفت النظر أن زاوية نافذة على الصفحة الأولى تبرعت باسمها لتأخذ اسم "أضواء على البيان" والمقصود بيان المؤتمر الاستثنائي للحزب.. ثم في ١٢ نيسان تستعيد اسمها..

في هذا العدد ١٢ نيسان مجموعة مانشيتات تبدأ بسطر أحمر يقول:

القيادة القطرية تتخذ قراراً ثورياً بتخفيف الرواتب الكبيرة

ويأخذ قرار القطرية مكان الافتتاحية.. مع تتمة..

على الصفحة السادسة "الميزان" نرى الحماسة والمراوحة سيطرت عليها..

فيها ثلاثة مقالات لممدوح عدوان وواحد نقدي لعدنان بن زريل وواحد بعنوان نقد فني ليوسف مقدسي سنعرضه علّه يختصر شيئاً من الرؤية التي نعرضها حول الحماسة والثورية التي أوقعت الصحيفة في التثاؤب والتراجع الفني والإخراجي.

يمكن أن يكون أبسط تعريف للمثقف الثوري: من يرفض واقعاً معيناً وفي رأسه صورة واضحة للواقع البديل الذي يعمل على تجسيده بفعل الممارسة اليومية ضد المؤسسة الاجتماعية التي يعمل فيها.. وقد أكد بيان القيادة القطرية الأخير على ضرورة انسلاخ المثقفين الثوريين عن البيئة البرجوازية والتصاقهم بالجماهير..

وهذا يعني أن المثقفين الثوريين لم يستطيعوا للآن أن يمارسوا دورهم في مجال النشاطات الثقافية، لأن تركيب وجوهر المؤسسات والأجهزة الثقافية القديمة مازال يعيق عمل هذا الكادر ويفصله عن ممارسة دوره وبالتالي يوقعه في شرك الانفصال عن العمل في الوقت الذي تزداد أهميته لأنه وحده المعبر عن القيم الجديدة.. وهو وحده الذي يستطيع أن يتمثل التحولات التي تحدث في القطر ويستخلص منها المنطلقات التي تكون الثقافة الجديدة التي تستقطب جماهير الشعب الكادحة التي علمتها الثقافة القديمة على التسليم بالواقع الطبقي وبأن دورها يشبه دور القطيع الذي تقوده عصا الراعي.

وخطر انفصال المثقف الثوري عن ممارسة نشاطاته سيبقى ماثلاً ما لم يستلم هذا المثقف المؤسسات الثقافية.. وهذه الحقيقة من البديهيات لأن المؤسسات الثقافية ذات التكوين البرجوازي ما زالت تمارس نشاطاتها وتعتبر المثقف الثوري طفيلياً ولا مكان له في مناخها!

وتجربة التلفزيون عندنا تؤكد ما نقول.. فقد فوجئنا مساء الأحد الماضي ببرنامج جديد اسمه واحد يربح.. كان فرسانه من طلبة الجامعة.. وهذا ما دفعنا إلى مشاهدة هذا البرنامج بحماسة، لأن هذا القطاع الكبير يعيش منذ سنوات في الظل، وهو بمثابة الرصيد الاحتياطي للشعب الذي يمد الواقع بخبرات وإمكانية صحيحة وفاعلة كلما ازداد وكلما وظف خبراته في الواقع.. لكن العينة الجامعية التي اختارها معد البرنامج – والتي تبناها التلفزيون – أثبتت أنها تتطور يوماً بعد يوم باتجاه السخافة والجهل والميوعة والضحالة.

ونحن لسنا نبالغ فيما نرمي إليه لأن مادة البرنامج أتفه من أن نعلق عليها.. فضيف البرنامج "مطرب" يجيد تصفيف شعره ويتقن تحريك عضلات وجهه ويديه أما كلمات أغنياته الثلاث التي لا ندري ما هو ثمن الضريبة التي سيتقاضاها من جيوب الشعب فليست أفضل من أغنية "يامصطفى.. يا مصطفى" وأغنية "أبو علي.. حبوا الهالي غالي".

ولن نتحدث عن لعبة "أبيلو.. جعيصو".. والمؤتمر الصحفي الذي عقده الكلاب، وعن فافو وشو ومرسي وأوكي وجائزة المائتي ليرة.. وفرقة قوس قزح "السمفونية" لن نتحدث عن ذلك لأن الحديث عنها يذكرنا بحكاية ابريق الزيت.. وحكاية الحصان الذي يمد رأسه من فوهة الابريق.. وبحكاية من يؤمن بأن الكادر الثقافي البورجوازي يمكن أن يقود عملية بلورة ونشر الثقافة الاشتراكية؟!.

في ١٥ نيسان تنشر الثورة بمانشيت أحمر خبر مصرع الرئيس العراقي المرحوم عبد السلام عارف:

عارف يلقى مصرعه في حادث طائرة!!

يتضح من مواد الصحيفة تسارع التقارب والتعاون مع الدول الاشتراكية وبشكل خاص الاتحاد السوفياتي.. ويعطي الوضع الإعلامي نهجاً حماسياً للموضوع حيث يظهر أحياناً وكأن في ذلك الخلاص.. لكن.. ثمة

رؤى في الثورة أكثر منهجية.. نعرض هنا افتتاحية ١٦ نيسان ونرجح أنها للأستاذ محمد الجندي:

نحن والمعسكر الاشتراكي

إن الدول الرجعية التي تملك القوة لا تطيق أي ظاهرة تمرد من الشعوب المستضعفة، لذلك كان الجواب دوماً في تاريخ العالم الحديث هو توجيه الضربات الوحشية القاضية لكل صوت يرتفع في أي زاوية من الكرة الأرضية، وكان على الشعوب أن ترهق بالتضحية حتى تثبت وجودها وحتى تضطر الاستعمار في كثير من الأحيان أن يموت أسلوب البطش بالمؤامرات العديدة المتصلة التي يحيكها من خلال استراتيجية دقيقة ومدروسة، ولكن سرعان ما يعود "توتر" أعصابه إلى الظهور عندما يلمس خللاً أساسياً في مخططاته البعيدة المدى.

وليس جديداً أن المنطقة العربية تعرضت في كل أدوارها الحديثة ولا تزال تتعرض في أجزاء منها إلى الشراسة الاستعمارية عارية، وذلك في كل مرة يتحرك فيها الشعب تحركاً خطيراً، مثلاً: الجزيرة العربية منطقة مصالحه البترولية، فعليه أن يبطش أي تمرد فيها، وهذا ما حصل، قنال السويس مكان استراتيجي دولي وعليه ألا يتساهل في أمرها، وكان ذلك.

وتؤلف سورية الآن بالنسبة للاستعمار مشكلة معقدة، لأن الثورة فيها أطاحت بالركائز ذات الاتجاه "الغربي" من جهة وبدأت بالتقارب جدياً وأكثر من ذي قبل مع المعسكر الاشتراكي، وذلك معناه من وجهة النظر الاستعمارية فتح ثغرة للشيوعية الدولية وإعطاؤها مواقع استراتيجية جديدة وفي الأمر مدعاة لتوتر الأعصاب.

ولكن ماهي حقيقة التقارب بيننا وبين المعسكر الاشتراكي، وما هو مداه؟ إن حزب البعث العربي الاشتراكي يؤمن بالحياد على الصعيد الدولي وبالاشتراكية على الصعيد الداخلي، وهذا الإيمان يرافقه منذ تأسيسه ولكنه الآن في مرحلة التطبيق الجدي، والتجربة الاشتراكية القائمة حالياً في القطر

تدفع الحزب والثورة إلى التفاعل الواسع مع التجارب العالمية وإلى التعامل معها على أكثر من صعيد وفي أكثر من مجال، ذلك أمر طبيعي لابد منه، أما الحياد فيعني إن الثورة تحتفظ لنفسها بالرأي المستقل فيما يتعلق بالأحداث الجارية في العالم، ولكن ذلك الرأي لن يكون بالتأكيد لمصلحة أميركا في فيتنام ولا في إقامة الأحلاف، ولا في إقامة التشكيلات الرجعية في المناطق الخاضعة لنفوذها ولا في مخططها العالمي الرامي إلى تصفية مصالح الشعوب المصيرية لحساب مصالحها، من هنا يصطدم حياد الثورة بالمخططات الاستعمارية في الوطن العربي وفي العالم ويتحول بالضرورة إلى انحياز – ولكن لا إلى الكتلة الأخرى وإنما إلى معركة التحرر في العالم، وبين المعنيين فرق قد لا يفهمه الاستعمار ولكننا نفهمه بدقة لأننا نصر على الرأي المستقل وعلى حل قضيتنا السياسية في تحرير وطننا العربي وتوحيده.

قد يكون بين المعنيين ذلك الفرق ولكنه لن يظهر في موقفنا من الاستعمار لأننا طرحنا المعركة معه بشكل نهائي ومصيري، ولن تنتهي إلا بانحسار ظله عن وطننا وشعبنا وضرب امتيازاته التي تمتص ثرواتنا وقواعده التي تهدد وجودنا.

المانشيت الأحمر عبر الصفحة ذاتها:

وفد سياسي واقتصادي إلى موسكو

وعلى الصفحة الأولى أيضاً هناك نافذة لكمال مطر بعنوان التسمية التهمة.

استوقفني أحد التجار معترضاً على تصنيفنا لصغار التجار بالتعبير الشائع والمعروف "البرجوازية الصغيرة" واستغرقنا الحديث زهاء ساعة، وقد برر التاجر الكادح – خلالها – رغبته بضرورة أن نكف عن استخدام هذه التسمية لأن "التهمة" لا تتناسب مع واقع الحال:

إننا فئة كادحة نموت جوعاً إن لم نبذل الجهود من قبل شروق الشمس في الصباح، حتى بعد غيابها.. بعدد من الساعات.

رأسمالنا جهدنا.. ولمرض قصير الأجل نجوع.. بيوتنا ضيقة وجيوبنا.. "غلة النهار" ملك تاجر الجملة..

بل غلة كل نهار.. فمن أين إذن "اخترعتم" لنا التسمية.."برجوازية".. كالعمال نحن نكدح، ومع الشمس كالفلاحين نجد، وأولادنا كأولادهم، يشب معظمهم بلا علم، حيث لا قدرة لنا على سد نفقات تعليم الجميع.

ابدلوا التسمية.. تهمة بلا مبرر.. ولك تعابير بديلة كثيرة: "تاجر كادح"، "تاجر صغير"، "صاحب دخل محدود"، إننا نرفض التسمية "البرجوازية"..

ونمقتها.. ولا نعرف كيف ننطقها.

لقد أخفقت في إقناعه، ولم يصغ إلي وأنا أحاول تفسير الفرق بين مدلول "البرجوازية الكبيرة" ومدلول "البرجوازية الصغيرة" لقد أصر على ضرورة استبدال تعبير "البرجوازية الصغيرة" وظل على إصراره.. وفي النهاية قال لي: حين نقرأ هذا التعبير نهمل ما نقرأ أو نسمع.. نظن أن المخاطب ينتمي إلى فئة غير التي إليها ننتمي.

كان واضحاً من حديثه أن كلمة برجوازية –وسيان ألحقت بصفة "صغيرة" أو "كبيرة" - هي كلمة جارحة له.. إنه رد فعل تجاه تسمية اعتدنا استعمالها.. والحقيقة أن الحساسية التي تثيرها هذه الكلمة واضحة وبلا مبرر..

فالتجار الصغار، والكسبة والحرفيون، وصغار المزارعين، وأصحاب الدخل المحدود.. هؤلاء جميعاً كادحون وضحايا استغلال يمارسه عليهم البرجوازيون الحقيقيون، أو ما نسميه البرجوازية الكبيرة.

إن كلمة برجوازية – بما تثيره من حساسية وإحراج – تدفعنا إلى وجوب تجنب هذا التصنيف المعهود للحيلولة دون إثارة مشاعر من نبغي إنقاذهم بوضعهم في زمرة معينة تحت اسم يحمل معنى "التهمة" فعلاً.

على الصفحة الثالثة في العدد ذاته مقال ترجمه نواف أو الهيجا ثلاثة أرباع الصفحة بعنوان:

التطور الاقتصادي والتغلب على التخلف

دراسة مختصرة عن تجربة الاتحاد السوفياتي

على الصفحة الرابعة ندوة أعدها منيف حسون يشارك بها وزير الإصلاح الزراعي والزراعة حول التطوير التعاوني والاشتراكي، وعلى الصفحة الأخيرة زاوية " في الوطن الكبير" مقال بعنوان: جهاز الحكم هذه التركة الثقيلة..

في اليوم التالي الافتتاحية بعنوان الرجعية والشيوعية.. والنافذة بعنوان مخاطر استمرار رجعية أجهزة الدولة.

والمانشيت العلوي "فوق اللوغو":

قدم الاتحاد السوفياتي عرضه الرسمي الخاص بتطوير حقول البترول

وتحت اللوغو مع حركة إخراجية جديدة:

الوفد الثقافي الصيني يزور مزارع الإصلاح في غوطة دمشق والجندي يقول لهم اتجاهنا: زيادة التعاونيات والآلة وعلمانية الزراعة.

طبعاً الجندي هو عبد الكريم الجندي وزير الإصلاح الزراعي والزراعة.

وتحت الصورة الرئيسية عن احتفالات الجلاء.. مانشيتات:

البرافدا والأزفيستيا: زيارة هامة لتطوير العلاقات السوفياتية – السورية.

بدأ الوفد السوري زيارته للاتحاد السوفييتي.

كوسيغن وكبار المسؤولين السوفييت يستقبلون الوفد بموسكو

اليوم تبدأ المحادثات الرسمية بين الطرفين.

تحت هذه المانشيتات قطعة كبيرة عن جولة وفد من القطرية على المعامل.

تعطي الصفحة الأولى فكرة عن انشغال الصحيفة بالشأن المحلي تبعاً لانشغال القيادة.. لكن.. الحماسة ولو اقترنت بالإخلاص فعلاً.. والشعاراتية

ولو شكلت عنواناً حقيقياً يضع جريدة في مأزق ولاسيما عندما يتكرر الوضع مراراً.

واقع الصحيفة المهني كان مرهوناً كلياً لهذا التوجه.. وقد تراجع مستواها فعلياً من حيث إمكانية إرضائها لأذواق القراء المتوقعة.. ولم تعرف جديداً يذكر سوى ظهور بعض الأسماء الجديدة "سمير سكاف - نزار عاني – آمال الزهاوي".

في ٢٦ نيسان تعلن الصحيفة عن سد ومحطة كهربائية على الفرات في إطار البيان الختامي لزيارة يوسف زعين للاتحاد السوفياتي التي لاقى فيها ترحيباً أعطى دعماً للحكم في سورية.. ولا سيما من خلال إقامة سد الفرات.

طبعاً تنشغل الصفحة الأولى كلياً بذلك.. افتتاحية.. ونافذة.. وعناوين ومانشيتات كثيرة وتستمر منشغلة بذلك كثيراً..

أول ظهور لاسم محمد الجندي في الصحيفة كان في ترجمة لمسرحية "حالة حصار" لألبير كامو.. وقد نشرها مسلسلة.. بأجزاء صغيرة نسبياً واستمرت ٤٨ حلقة.

في ٢٧ نيسان تنشر الثورة مقالاً دون توقيع في زاوية نافذة بعنوان "سيمكس" وهي شركة الاستيراد للقطاع العام المحدثة بعد تأميم الشركات الخاصة.. نأخذ المقال الصغير بجرأته وخصوصيته:

من الواضح أن "سيمكس" هي من أهم المؤسسات في القطر ولنشاطها آثار بعيدة على حياتنا الاقتصادية، ومجالات تأثيرها عديدة جداً وتتناول علاقاتنا التبادلية بالخارج، وتؤثر على كلفة السلع المنتجة لدينا لأنها هي التي تستورد المواد الأولية اللازمة، وبيدها توفير المواد الضرورية للشعب كالدواء والغذاء، ويتعلق بها إلى حد بعيد مدى تراكم الرساميل لدينا لأنها باختيارها الأسواق التي تتعامل معها وبتحديد نوع التعامل تؤثر على حركة القطع الأجنبي وعلى الميزان التجاري كله.

وهذه المؤسسة العامة منذ قيامها ترتكب فيها السرقات والفضائح وتعقد الصفقات المشبوهة بحيث عكست كل الآثار السيئة السياسية والاقتصادية على الشعب وعلى القطر. ويكفي لنشم رائحة الخيانة والتخريب أن نتطرق إلى أي صفقة عقدتها لا على التعيين: الشاي، الأرز، الحديد، الورق، الأدوية.. الخ.

كل ذلك كان بدون جرأة وبدون أي حذر، ونتساءل اليوم عن صفقة أدوية حديثة بأربعة ملايين ليرة بالقطع الأجنبي مع شركة وحيدة هي لاروش.

على مسؤولية من تبقى سيمكس بهذه الحالة وتنساب الملايين بواسطتها إلى جيوب المسؤولين عنها وإلى جيوب السماسرة الدوليين في حلقة مقفلة لعصابة من اخطر العصابات، وما هي بالمناسبة مسؤولية أجهزة التفتيش في الدولة سواء بالنسبة لسيمكس أو بالنسبة للمؤسسات الاقتصادية الأخرى في القطاع العام؟

إن فضح سيمكس يفضح الكثير مما يجري في المجال الاقتصادي والعصابة هي أوسع من سيمكس بالحقيقة ولكننا مصممون على ضربها، والويل لمن يخون شعبنا.

من كتب هذه المقالة الصغيرة التي تهاجم بجرأة أكبر مؤسسة عامة في حينه وواحدة من رموز تطبيق الاشتراكية؟.

في الزاوية جرأة محمد الجندي بغض النظر إن كان كاتبها أم لا.

على النافذة نفسها في العدد التالي ينشر مايلي:

وردتنا الرسالة التالية:

- السيد رئيس تحرير جريدة الثورة:

قرأنا في العدد ٨٩٨ تاريخ ٢٧ -٤ -١٩٦٦ في زاوية نافذة وتحت عنوان "سيمكس" ما يتضمن اتهامات غير مسؤولة وما يفيد أن الشركة منذ قيامها كانت عرضة لارتكابات وصفت في زاويتكم.

ولما كان ما ورد في هذه الزاوية عارياً عن الصحة مالم يثبت التحقيق عكس ذلك ولا يستند بنظرنا إلى وقائع معينة ونخشى من هذا التجني على مؤسسة من أهم مؤسسات الدولة في حقل التجارة الخارجية ويسيء إلى سمعة الشركة والعاملين فيها في الداخل والخارج.

لذا نحمّل كاتب هذه "النافذة" مسؤولية ما ورد فيها ونطلب من المسؤولين سواء في الحزب أو الحكم التحقيق الواسع السريع حول ما نشر واتخاذ الإجراءات اللازمة بحق كل عنصر مسيء سواء أكان في الشركة إذا ما ثبت الاتهام أو بحق المسؤول عن كاتب هذه النافذة لما خطه من اتهامات غير مسؤولة نعزف عن وصفها.

رجاء نشر هذا الرد المقتضب في الحقل المخصص لزاوية "النافذة" محتفظين بحقوقنا القانونية.

المدير العام لشركة سيمكس

الثورة: إننا نحرص على التحقيق، ونتحمل مسؤولية كاملة فيما قلناه عن سيمكس..

هناك أكثر من موقع تجد فيه جرأة صحفية واضحة تتحدى بشكل خاص الأجهزة الإدارية في الدولة.. ويأتي ذلك في إطار الدعوة إلى الفعل الثوري رداً على الواقع غير المرضي لمؤسسات الدولة.

أسماء جديدة تشارك في الكتابة والترجمة:

(سهيل أيوب - حسين راجي– هاني الراهب - رفيق الصبان - خضر الشعار – سلوى شحادة - خليل جاسم الحميدي – صالح السلمان – الياس طعمة - فيصل الياسري..) بعض هذه المشاركات عبارة عن نص أدبي .. وفي ٧ أيار تعود صفحة المرأة "إعداد آمال فؤاد" بالعنوان القديم نفسه "دنيا البيت" ثم تغير اسمها إلى "المرأة والمجتمع" وتصدر كل سبت.

في ١٠ أيار تظهر الثورة بتغيرات تشير إلى تأثر بقدوم المدير العام الجديد.. رفع اللوغو إلى الأعلى.. ألغيت المانشيتات التي كانت تؤخذ فوقه..

رسم حرف الألف من كلمة "الثورة" كمشعل.. نقلت الافتتاحية إلى يسار الصفحة أو غابت النافذة.

على المستطيل العلوي اليساري أمام اللوغو الذي توسط أعلى الصفحة نقرأ عبارة **"جريدة الشعب والثورة في حلتها الجديدة"** ثم صورة لشاب وفتاة ظهر كل منهما للآخر ومعهما الجريدة ثم عبارة "اليوم وكل يوم" وفوق المستطيل كلمة باللون الأحمر **"اقرأ"**.

كانت هناك مرحلة جديدة فعلاً.. على الصفحة الأولى تغطيات إخراجية جديدة، توزيعات للقطع ناعمة، بإطارات عريضة ومتعددة وكثيرة ربما أساءت للحلة الجديدة.

في هذه الصفحة هناك مانشيتات متعددة:

القنبلة النووية الحرارية الثالثة.. تفجرها الصين

تحتها مفصول بإطار:

جلسة هامة لمجلس الوزراء

يوازيها بالأحمر:

حشود إسرائيلية.. أردنية معاً.

تحتها:

تحركات مشبوهة للرجعية في الداخل مترافقة مع الحشود.

اللواء الأسد يؤكد يقظة مواقفنا ويقدم عرضاً عن التحركات على الحدود

مع صورتين علويتين صغيرتين للواء حافظ الأسد والدكتور يوسف زعين.. في حين نرى صورة للرئيس نور الدين الأتاسي في أسفل الصفحة فوق كاريكاتير علي فرزات المأخوذ قاعدياً ضمن خبر تصديق بروتوكول التعاون لبناء سد الفرات.

لولا الإطارات العريضة الكثيرة المتقاطعة ربما تكون الصفحة جيدة.

نتابع مع "الحلة الجديدة" لنجد هذه التقطيعات على كل الصفحة وأيضاً إطارات عريضة وكثيرة.. الصفحة الثانية أخبار دولية، الثالثة متعددة الهويات

والهوايات، هذا العدد فيه ما سمي "تحقيق جروان السابق" عن سياسة الرئيس الفرنسي الأسبق الجنرال شارل ديغول.

الصفحتان الرابعة والخامسة محليات، إخراج جديد.. الشيء نفسه تقريباً، تغطيات كثيرة وإطارات عريضة جداً وزوايا كبيرة "كلمة اليوم – حول المدينة – هام" وفيها أيضاً جزء للإعلانات المبوبة إضافة إلى زاوية "الأثير" عن برامج الإذاعة والتلفزيون والكلمات المتقاطعة.

ينسحب هذا الشكل الإخراجي على بقية الصفحات.. على الصفحة الأخيرة تؤخذ الصورة الكاريكاتيرية أو الفوتوغرافية على كامل عرض الصفحة.. والزاوية التي كانت "في الوطن الكبير" أصبحت تحت مقتطع الصورة وباسم "حدث ورأي" توقع باسم فوز.. المتن الرئيسي للصفحة أخبار سياسية بعنوان "أخبار مع الفجر" وهناك زاوية أيضاً باسم صورة وخبر من العالم.

هذه عموماً أهم التغيرات التي أحدثتها "الحلة الجديدة".. هناك جهد لكنها غير مدهشة.

١٧ أيار تعلن الصحيفة عن صدور قانون العقوبات الاقتصادية وكان محط مطالبة طويلة.. وفي اليوم التالي تكتب في افتتاحيتها:

لقد تعرض القطر العربي السوري في سني الثورة لإساءات اقتصادية بالغة بسبب الذين تسللوا وانتهزوا وخربوا وبقوا في منجاة، يضمنون لأنفسهم حماية مشتركة بالحلقات المغلقة التي ألفوها، يجمعها الامتصاص المشترك للقطاع العام ولدم هذا الشعب.

يتظاهرون بالانسجام السياسي وينفثون سمومهم في كل المجالات ويقبعون وراء القوانين الرأسمالية التي لا تحدد المسؤولية ولا تعاقب إلا للتغطية وحين تضيع جدوى العقوبة.

في ذهن كل مواطن صور سوداء عن أعمال أولئك المخربين: يكفي أن نلتفت إلى الآثار التي تركتها أعمال تسويق القطن والتي تركتها تجارة المواد التموينية والاستهلاكية والآثار التي تتركها عمليات تمويل صغار

الكسبة وصغار المزارعين، وهناك صور عديدة عن اللعب بتجارة المواد الأولية التي تغذي القطاع العام الصناعي مما يؤدي إلى زيادة كلفة السلع المنتجة والتأثير على جودتها، وهناك صور عن التجارة الخارجية تؤدي في حصيلتها ومن خلال الصفقات المعقودة إلى استهلاك أكبر للقطع الأجنبي وإلى عدم تصريف الانتاج الوطني وتكديسه في المستودعات.

أين تقع المسؤولية في كل ذلك وكيف تردم الهوة بين التشريع الجديد والتنفيذ؟ ذلك هو جانب آخر من المعركة التي تخوضها الثورة مع القوى الرجعية، ولكنها معركة دقيقة والعدو فيها شبح، الجرائم الاقتصادية الكبرى تغطى بإهمال موظف صغير أو بخطأ فني غير مقصود أو بعدم قراءة تقرير أو بالروتين، أما الأشباح الكامنة خلف كل ذلك فإنها كالجنية الخبيثة تتزيا في وضح النهار بالعنزة الحلوب التي تدر كل خيراتها لمصلحة هذا البلد.

والمقصود بقانون العقوبات الاقتصادي أن يطال تلك الأشباح، وأن يقضي على الروتين والإهمال و"إساءة الاختيار" وجميع المفردات التي تخفي خلفها جرائم اقتصادية، ولكن القانون نفسه قد يكون عرضة عبر التنفيذ ومن خلال الأجهزة القائمة للروتين والإهمال ولدى "المجرمين الاقتصاديين" أذكى الحيل وأدق الأساليب للإفلات من شباك كل مسؤولية.

وهناك محذور من أن ينال الصغار قبل الكبار لأنهم أسهل على الوقوع في الفخ ويخونهم رؤساؤهم عادة كلما أحرجوا.

إن حماية الثورة تتطلب أن يجر الكبار من ياقاتهم الأنيقة لتسلط عليهم مواد القانون وبأسرع وقت ممكن وذلك لمصلحة القضية الاشتراكية بأوسع أبعادها، أما الصغار فيأتون فيما بعد إن وجدوا، ولن يوجدوا على الأغلب لأن الجريمة جريمة الكبار بالدرجة الأولى.

ثم تتابع الصحيفة مسيرتها.. متابعة كثيفة للشأن المحلي، اهتمام كبير بالعلاقات مع الدول الاشتراكية وحركات التحرر..

مع مبالغات واضحة أحياناً.. مثلاً في عدد ٣١ أيار ١٩٦٦ تنشر صفحة كاملة تقريباً لهنريت عبودي تحت عنوان :

نضال شعب بلوخستان ضد الاستعمار

مهنياً تبدو الصحيفة خلال هذه الفترة تسير برتابة.. بضعة عناوين تحتل كل توجهاتها.. التحويل الاشتراكي.. التنمية وقضايا العمال والفلاحين.. والعلاقات مع الدول الاشتراكية "الاتحاد السوفياتي خصوصاً".

هل كان الانشغال الكامل بالقضايا المحلية ناجماً عن الهدوء السياسي واستتباب الأمن؟!

ربما.. وفيما تركته تلك الفترة من آثار إيجابية في الاقتصاد السوري ما يؤكد جذرية الاهتمام بالبناء الوطني لدى قيادة ٢٣ شباط.

بكل الأحوال كانت التحديات من خارج سورية قائمة..

إسرائيل.. المواقف الغربية "أميركا – ألمانيا الغربية" وماتسميه الصحيفة وتركز عليه كثيراً الرجعية العربية.. ولعل هذه الافتتاحية المنشورة في ٢٤ حزيران توضح ذلك.

أمام سورية الثورة مهمتان هما كل المهام..

١ - مهاجمة كل المؤامرات والهجمات الرجعية والاستعمارية والصهيونية، وتعزيز خط الدفاع الشعبي.

٢ - متابعة البناء الداخلي، في إنجاز جميع المشاريع الحيوية والمثمرة بتصميم وقوة وإيمان وخاصة مشروع سد الفرات.

أما المهمة الأولى فهي التي تضع سورية كثورة شعبية لها نهجها الاقتصادي والاجتماعي وسياستها التحررية، في الخط الأول للجبهة المفتوحة بين القوى الثورية والتقدمية العربية وبين الرجعية والصهيونية والاستعمار، فالمنطقة التي تشهد أكبر حشد رجعي نسقت صفوفه، ورفعت لافتاته، وحيكت خططه، وتغذيه المساعدات العسكرية والمالية من الدول الاستعمارية، هي المنطقة التي تشهد أخطر انقسام مصيري.. فالجماهير

العربية الكادحة، التي أمسكت بزمام قضيتها وعرت الأقنعة الزائفة، وفضحت ظروف مؤتمرات القمم هي التي جددت رؤيتها، وحددت صورة المعركة ووسائلها وأهدافها القريبة والبعيدة.

وليس من شك في أن كل الخطوات التي تعزز جبهة القوى التقدمية.. وتؤدي بها إلى تحقيق استراتيجية عربية موحدة.. تجعل من المسيرة الكبرى اتجاهاً جذرياً مشدوداً إلى أعمق حاجات الجماهير الكادحة في الاشتراكية، وإلى أوضح وأبعد الأهداف القومية في الوحدة وهذه الجبهة بتراصها الثابت سوف تقرر نهاية الرجعية العربية وانهيار الخطط الاستعمارية والصهيونية.

أما المهمة الثانية، وهي متابعة البناء الداخلي لأنها غير منفصلة عن المهمة الأولى بل مرتبطة بها، حيث تنجزان بثقة واطمئنان في وقت واحد.. إن البناء الداخلي.. ونجاح خطة الإعمار الاقتصادي والنهوض الاجتماعي.. كل ذلك يحدد حجم القوة المادية والمعنوية لسورية الثائرة.

فالميدان الداخلي، يشهد اليوم تجربة تثبيت المنجزات الاشتراكية على أساس متين، وليست التشريعات الاقتصادية المتعاقبة، والتنظيمات الإدارية المتتالية مع النجاح الباهر في تعزيز العلاقات الاقتصادية مع البلدان الاشتراكية إلا النتائج التي تجعل من حركة العوامل الدافعية للتجربة في مجالها الداخلي، سيراً متجهاً إلى تعميق تسربها في كل منحنى من منحنيات الواقع، وليس مشروع سد الفرات إلا العمود الفقري لخطة البناء الاقتصادي الذي جعل كفة المستقبل المشرق هي الراجحة.

هاتان المهمتان هما كل المهام، فالدفاع الشعبي والبناء الداخلي قاعدتان راسختان جعلتا سورية الثورة مالكة زمام البناء والدفاع بإرادة واعية مبصرة.. وليست هذه المرحلة، إلا شطراً من حياتنا المعبرة عن المعنى التاريخي للثورة الشعبية الاشتراكية والقومية في سورية.. ووضوح

إرادتنا.. مرهون اليوم بقدرتنا المتزايدة على صب المهمتين في مهمة واحدة.

من أجل ذلك تشعرك الصحيفة بكل ما تنشره حتى ما يكتبه المحررون الثقافيون بمعركة افتراضية تنشر على هامشها عشرات المواد الصحفية من أنواع مختلفة.

الجيش الشعبي.. الجيش للحرب والإعمار.. تسليح العمال.. الخ.

خلال هذه الفترة يطرح شعار جديد اسمه "لقاء القوى التقدمية".

هناك تحسن في العلاقات مع مصر عبد الناصر بشكل واضح حتى لا تجد في الصحيفة أي هجوم على النظام المصري في حينه.

هكذا تتابع الصحيفة أيامها حتى إطفاء شمعتها الثالثة في ١٩٦٦/٧/١ وأهم ما يلاحظ في هذه الفترة مهنياً: تعزيز موقع الكاريكاتير. علي فرزات على الأولى.. وأحياناً هناك كاريكاتير آخر على الأولى أيضاً. عبد اللطيف مارديني على الأخيرة.

ويظهر تبدل وتحسن واضح على الأداء الكاريكاتيري للرسامين ربما بعامل المنافسة وربما بسبب ما حققته التجربة من صقل. علي فرزات كان جديداً.. شاباً صغير السن نسبياً.. موهوباً بجد.. وكان في بداية مسيرته مع الثورة..

عبد اللطيف مارديني.. كان رجلاً متقدماً في السن نسبياً، كاريكاتيرياً مخضرماً موهوباً، له تاريخ طويل في الكاريكاتير.. لكنه كان يهدر أيامه "رحمه الله" باليأس والضجر والكحول. لقد عرفته.. والتقيته مراراً.. والمرات القليلة التي التقيته وهو خارج تأثير الكحول كانت وهو يبحث عنه.

من الناحية الفنية الصحفية كانا عمودين مهمين من أعمدة "الثورة".. وقد انزوى عبد اللطيف مارديني لأسباب كثيرة منها ما ذكرته ليتألق علي فرزات طويلاً في الثورة، لا الثورة تستطيع أن تنسى علي فرزات ولا علي فرزات يستطيع أن ينسى الثورة.

معاً في قفص الحبر والورق

اسمي للمرة الثانية على صفحات الثورة في اللقاء قبل الأخير. نتائج شهادة الدراسة الثانوية – الفرع العلمي - أحرار - دمشق - ناجح ويعيد، ولاعودة لحلم الهندسة..!!

- إلى أين..؟!

بدأ الأرق.. القلق.. واختارتني كلية الحقوق..

ربما أدركني شيء من اليأس.. لولا.. أملي أنني سألتقي ناديا رفيقة السفر.. التي سافرت مراراً إلى تلك الساعات التي قضيناها على مقعد واحد في عربة باص بين دمشق واللاذقية..

أكثر من ذلك.

بعد أن سجلت في الحقوق ودخلت أستكمل اكتشاف معالم الجامعة الجميلة.. طالعني وليد وعبد الحميد.. كان وليد قد سجل في كلية الصيدلة وأصبح في السنة الثانية، أما عبد الحميد فموعود بمنحة لدراسة الحقوق أو الاقتصاد في لبنان، سعى له بها القوميون السوريون.. اتفق الاثنان أن الحقوق هي أكثر ما يناسبني.. وأخرج من محفظته «الثورة».. وقدمها لي قائلاً:

● وهذه..

-ماهذه؟!

● الحقوق وهذه وتكتمل لك حلقة جميلة للحياة.. اسع..

قال طالب الصيدلة وليد:

● الحقوق أحسن من الصيدلة.

-كيف؟!

● على الأقل تفهم على هذا «مشيراً إلى عبد الحميد» ما يقول..

-ينظمك..؟!

●تصور.. في هذا الزمن واحد يسعى لنقل بعثي إلى صفوف حزبه.. سوري.. قومي.. لا أعرف.

قال عبد الحميد:

دعك مما تقول.. البعث أسهل لك وأحسن.. ثم نحن توقفنا عن التنظيم.

بدا الاثنان سعيدين من أجلي فقد دخلت الجامعة.. ولأول مرة أشعر أن للجامعة باباً واحداً وداخله كليات.. وفي أي كلية كنت تستطيع أن تكون جامعياً.. ابتسمت لنفسي.. وصممت أن أبحث عن ناديا.

بدأت الحياة..

دخلت قاعات الحقوق الضخمة العتيقة.. اكتشفت كتبي وأساتذتي بمتعة لكن دون هدف.. هدفي الوحيد كان أن ألتقي ناديا..

في الطريق إلى قاعة الصف التقيت فيصلاً..

قال:

● إلى أين؟

-عندي محاضرة اقتصاد سياسي.

● اقتصاد سياسي.. في بلد لا اقتصاد ولا سياسة!!

-إما شيوعية.. وإما لا اقتصاد ولا سياسة؟!

ضحك وتناول كتاب الاقتصاد السياسي من يدي لمؤلفه الدكتور فؤاد دهمان.. قلّب في صفحاته.. ثم وقف عند صفحة كُتب عليها الشيوعية.. أو كارل ماركس.. أو شيء من هذا القبيل.. وقال لي:

● عندما تصلون إلى هذا الدرس أخبرني لأحضر معك.

-لماذا.. ناقصك؟!

● لا.. فقط كي أرى كيف يدرّس أستاذ برجوازي الماركسية؟!

-تعني الدكتور فؤاد دهمان..

- هو رجل جيد.. نظيف وفهيم وعاقل.. لكن..؟!

-لكن ماذا؟! نظيف وفهيم وعاقل وبعدها، لكن..؟! إما شيوعي وإما نرجمه..؟!

- أبداً لا نرجمه ألم أقل لك سأحضر درسه؟!

طبعاً لم يحضر الدرس.. ولم أخبره عندما بلغنا درس الماركسية.. لكني وجدت في قراءة ما أورده الدكتور دهمان في كتاب عن النظريات الماركسية.. القيمة وفضل القيمة.. المادية التاريخية.. نضال الطبقات.. ثم رأس المال.. وكذا ملخص عن البيان الشيوعي متعة حقيقية.. رغم شدة التكثيف والاختصار..

إلى حد كبير كانت المسافة بين الشيوعية وأن تكون متهماً بها قد اتسعت.. ولم تعد الماركسية مجهولاً لم يسمع به الناس.

كان البعثيون بعد ٢٣ شباط ١٩٦٦قد اقتربوا أكثر من الفكر الماركسي ويشرح لي خالد:

- هم ليسوا ماركسيين أبداً ولن يكونوا.. هم قوميون يساريون يلوذون بالماركسية..

-يلوذون من ماذا؟!

- من عدم وضوح النظرية الاشتراكية عندهم.. يعني هم اشتراكيون.. وفقط.

كان صاخباً في حديثه.. خطابياً.. بدا أنه لا يخاف.. لكنني أنا خفت وبخفة سألته:

-أنت مع من؟!

- أنا مع حالي.. أقول ما أراه ولا أستنجد بأحد.

كانت الأيام تمضي لتنسيني كل عذابات الخيار الجامعي.. كل يوم صديق جديد.. كل يوم معارف جديدة.. فقط ناديا لم أرها ولم أعرف عنها شيئاً.

دخل عام ١٩٦٧.. وها هو الشتاء ينصرم.

لا أزعم أنني انسجمت مع الحقوق تماماً.. لكنني أجدها دراسة ممتعة.. سألني أخي:

- أليست الحقوق أفضل من الاقتصاد الذي فكرت به لتعيش في حلب؟!

- الاقتصاد.. اسم أحدث.. ثم كنت أفكر أن أعمل في فرعكم هناك.

- في الجماهير..؟!

- نعم..

- هل تريد عملاً في الثورة؟!

توقفت عن الكلام.. كأنها النبوءة التي أطلقها في وجهي كثيرون، وكانت البداية من عند علاء..

في أحد أيام شهر آذار وقد أتممت التسعة عشر عاماً التقيت ناديا.. كل شيء فيها تغير عدا ابتسامتها.. تقريباً عرفتني ولم أعرفها.. أعلمتني بزواجها وحملها واستقرارها مع زوجها في اللاذقية.. وقالت لي:

- أقرأ الثورة كل يوم؟!

-اشتركت بها..

- لا.. أشتريها.. يشتريها لي زوجي.

-تحبينها؟!

- أبحث عن اسمك فيها!

-بجد..!

- أنا واثقة..

ظهر ذاك اليوم تحولت من مستمع إلى مطالب أسأل أخي أن يجد لي عملاً في الثورة.

أول مرة أدخل مطبعة.. رائحة الحبر والشحوم وأبخرة الرصاص المصهور وسخونة القبو الذي تعمل فيه آلات عدة تستخدم الطاقة الكهربائية، هذا بالإضافة لفرن صهر الرصاص الذي يطلق عوادمه دون أي احتياطات.

كل شيء أسود وحين تنقطع الكهرباء لن ترى إلا الظلام الأسود ولو في عزّ الظهيرة..

قبو عميق ليس في المبنى الذي تشغله إدارة الثورة وجهاز التحرير.. بل في بناء مجاور.. أمتار قليلة عن الحميدية.. الحريقة.. باب الجابية.. السنجقدار.. سوق الخجا.. وأيضاً خلف القصر العدلي.. هنا يلتقي أبطال حقيقيون لطباعة الصحيفة.. لا أعتقد أن أحداً منهم خرج من ذاك القبو إلا وقد طغى التسمم من أبخرة الرصاص على دمه بما لا يسمح به علم أو قانون..

رجال بلباس مهما كان لونه فقد تحول للأسود.. أيديهم ملوثة بالأسود.. ووجوههم.. وكاسات الشاي التي يستخدمونها دائماً ولا سيما أنهم كثيراً ما يتناولون الطعام في المطبعة، سواء استحضروه من منازلهم «زوادة» وهو الغالب أم استقربوا وبين الحميدية والحريقة وباب الجابية كل ما تشتهي النفوس وتستطيب الأرواح.

أصواتهم مثل هممهم عالية.. أقوياء يعملون دائماً.. يعملون كثيراً.. يستجيبون لتطورات العمل الصحفي.. صبورون بلا حدود.. دائمو المزاح والضحك.. لا ضريبة على الكلمات المختارة.

هنا تصنع جريدة الثورة.. وهم صناعها.

تصل إليهم الكلمات أوراقاً مشطبة مجعلكة رسمت عليها كل أمزجة الصحفيين وهم القدرة الخلاقة التي تحولها إلى صفحات جريدة.

لعلي نسيت كثيراً من الأسماء.. لكنني لم أنسَ وجهاً واحداً من وجوههم.. عبد الهادي البارودي ..وشقيقه محمد عطا.. ياسين عزام.. محمود ركاج.. محمد خير كببي.. خير الدين كوكش ..فهيم عيسى... ياسين حبال.. ياسين الزند.. حسن دالاتية.. وغيرهم. على الأنترتيب والترتيب.. وليسامحني من نسيت اسمه.. سمعان الدبس ومن يساعده على آلة الدبلكس «برولها» العريض ضعف طول «الرول» الحالي. محمود صقور ..البسيط.. الطيب.. الصادق.. الفقير على فرن الرصاص الذي قضى عليه وسبب له أمراضاً لا

يشفى منها، علماً أن إدارة الصحيفة كانت قد تعاقدت لهم مع طبيب أمراض مهنية اعتقد اسمه محمد ديب الدشاش..

إلى هذا الجو المشبع بالحبر والنفط وأبخرة الرصاص.. المفعم بالعمل والحب والصداقة.. دخلت محاولاً جهدي أن ينتابني شعور الموظف لأول مرة في حياتي.

٢٤ نيسان ١٩٦٧ ..وقد سبقني قرار تعييني مراجعاً براتب شهري قدره ٢١٠ ليرات.. والتوقيع لطيب الذكر أمد الله في عمره محمد الجندي.

دخلت من باب قبو لم ينقذني قصر قامتي من ضرورة الانحناء كي لا يصطدم رأسي الشاب المملوء بالشعر بالعتبة، ثم إلى غرفة صغيرة فيها ثلاث طاولات.. وأشخاص.. بعضهم على المكاتب وبعضهم على كراس عتيقة وكل ما فيها عتيق.. الغرفة هي مقتطع من الفضاء العلوي للقبو "سقيفة".. جدرانها بلورية تطل على المطبعة بكاملها..

هنا تتم عملية تصحيح الأخطاء المطبعية واللغوية.. وهنا سيكون عملي مع الذين سأتعرف إليهم.. أذكر منهم.. عبد العزيز مسوتي.. مصطفى المير.. سليم ديوب.. جادو هنيدي.. علي ديبو ..وآخرين. في ضيافتنا دائماً أو نحن في ضيافتهم حراس المطبعة.. نايف عبدين «أبو مصطفى» رحمه الله وكان أكثر شهرة في المنطقة حتى من محال نذير هدايا المجاورة. صديقه الحميم ابن بلده «السلمية» أعتقد أن اسمه مصطفى زينو «أبو غياث».. ورجل كبير القطعة شديد الوقار طيب الحديث متقدم في العمر اسمه خضر مصياتي.. وكانت ابنة أخيه «على ما أعتقد» التي تنافسه في الوقار «كفى مصياتي» تعمل في المالية.

وأنا..

دخلت وحدي ..عرفوني من شكلي.. شقيق مدير الشؤون المالية.. وكان ذلك كافياً لاستقبالي بالشاي شديد الحلاوة طيب الطعم.. وبدأت الحكاية..

أقول لكم..

حتى ذاك الوقت لم أكن صدقت النبوءة أو وثقت بها.. لم أكن أتوقع أن أمضي من حياتي ٤٣ سنة – حتى الآن - هنا في «الثورة».. لكنه قدر وحكم.. وحب وتحكم.

أكثر من مرة هممت أن أغادر.. لكن كان ذلك مستحيلاً تماماً.

أنا من النوع الذي يغرق في عالمه فينسى ما حوله.

وبين كلمة وابتسامة أصبحت الثورة عالمي.. وكانت الحكاية.

لم يكن عملنا صعباً، لكن جونا جو مطبعة.. لم يكن دوامنا طويلاً لكنه قد يطول..

تأتينا المواد الصحفية على شكل «بروفات» أخذت بطريقة يدوية عن طريق دلك الأسطر الرصاصية بحبر سائل ثم تمرير عجلة عريضة فوق ورقة وضعت فوق الأسطر المدلوكة بالحبر.. ومهمتنا منع مرور أي خطأ مطبعي أو ما شابه.

لكن.. في الحقيقة كثيراً ما كانت تمر الأخطاء.. وحتى اليوم تمر رغم أننا صرنا في عصر الكمبيوتر.

في قسم التصحيح هذا بدأت التعامل مع المحررين بشكل عملي.. تأتينا موادهم موقعة بأسمائهم ونتعامل معهم من خلال هذه المواد.

أول من زارنا في "سقيفة" التصحيح وتعرفت عليه هو المرحوم «وليم مسوح».. ثم كثرت الزيارات.. أول ما أعطيت لنفسي اعتباراً أسعدني .. عندما تساءلنا عن كلمة لم نعرف قراءتها وقالوا لي:

اتصل بالمحرر..

كانت المادة للأستاذ خلدون الشمعة.. وقد هب مباشرة بعد أن حادثته هاتفياً بالالتباس الحاصل وحضر إلينا.. كان جميلاً لطيفاً.. يتأبط حقيبة صغيرة.. قد أظهر اهتماماً لفت نظري إليه كرجل يهتم كثيراً بعمله.. استطاع اللقاء الذي دام ما يزيد على دقيقتين وربما ثلاث أن يشعرني بالفرح بقية اليوم.

وتتالى ترصدي للمحررين واصطيادي للفت انتباههم بأي شكل كان.. علّي أحظى بصباح الخير.. أو مرحباً.. أو سؤال عن أي شيء يرغبون.

عندما درست الصحافة في ألمانيا، ورويت لمديرة المعهد هذا الشعور الذي كان ينتابني تجاه محرري الجريدة قالت لي:

هذا مؤشر كبير على نجاحك بالعمل الصحفي.. لقد اخترت أن تكون طالباً مهتماً فرأيت فيهم أساتذة وستتعلم منهم الكثير. بعد ذلك بخمسة عشر عاماً دفعت ثمن أن أعلن في صحيفة الثورة أن صحافتنا بلا مواقع لأنها بلا أساتذة. كان جيل يحسن عدّ النقود قد دخل إلى العمل الصحفي «ويا أرض اشتدي.. لا أحد قدي»..

لماذا الإسراع إلى النهاية.. دعونا نمض مع الأيام.. فإن هي إلا أعمدة من ورق.

في عامها الرابع

تدخل الثورة عامها الرابع وليس ثمة ما يشير إلى ذلك ولو كلمة.

التصميم الإخراجي نفسه أو الرؤى ذاتها.. في عدد ١ تموز نرى صورتين على الصفحة الأولى منفصلتين متباعدتين لكل منهما خبر، مرة كشرح صورة ومرة كقطعة خبرية.. تظهر الأتاسي وجديد وزعين في صلاة المولد النبوي في جامع بني أمية الكبير..

ثم يبدأ توارد الصفحات، التوزيع ذاته تقريباً مع كثير من التنويع حيث تكثر الصفحات المتخصصة ما يخلق حيرة لهوية موضوعات بعض الصفحات.. بشكل خاص مثلاً الصفحة الثالثة.. الصفحة السادسة بشكل عام تأخذ اسم الانسان والفنون.. والسابعة تتمات ورياضة أما الثامنة "الأخيرة" فقد سيست بالكامل.. حتى الزاوية "حدث ورأي" وعادت الصور تحتل محل الكاريكاتير.

في ٢ تموز انشغال واضح ولأيام متتالية بزيارة وفد جزائري كبير برئاسة السيد عبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية "الرئيس الحالي للجزائر" للمشاركة في احتفالات نقل رفات الأمير عبد القادر الجزائري من دمشق إلى الجزائر.

نلاحظ هنا أيضاً من ناحية مهنية على الصفحة الأولى.

مانشيت منفصل في أعلى الصفحة على سطرين:

استقبال رسمي وشعبي كبير للوفد الجزائري

بوتفليقة: أعبر عن ابتهاجي وسروري باللقاء في أرض الأحرار

ثم وبعيداً عن المانشيت.. هناك صورة على أربعة أعمدة مأخوذة من مطار دمشق الدولي يظهر فيها استقبال الوفد من قبل المسؤولين السوريين.

وأيضاً وبعيداً عن هذا وذاك في قاعدة الصفحة الزاوية اليمنى صورة كبيرة للقاء الوفد مع وزراء سوريين..

ثم.. خبر منفصل ضمن مستطيل عمودي على عمود يقول:

وزير الإعلام يقيم حفل عشاء تكريماً لبوتفليقة في بلودان

في اليوم التالي ٣ تموز.. على الصفحة الأولى.. ست صور للوفد الجزائري.. بينها واحدة كبيرة جداً لبوتفليقة على الحدود الأمامية.. مع مانشيتات.. وقطعة خبرية رئيسية.. وأخبار موزعة على الصفحة.. في مواقع شتى.. كل ذلك بانتظار الاحتفال بنقل الرفات..

الصفحة الأخيرة بكاملها صور لحركة الوفد الجزائري وهناك ملحق يشار إليه في الصفحة الأولى من أربع صفحات عن الأمير عبد القادر الجزائري.

تتابع الصحيفة الحدث لأيام أخرى.. وبالمناسبة تزامنت الاحتفالات بنشاطات ثقافية غطتها الثورة بتفاصيلها الكاملة.

تتكرر عبارة تلاحم أو لقاء القوى التقدمية.. وتستمر الصحيفة في هجومها اليومي على الرجعية العربية. وتنشر أشياء كثيرة من الدول الاشتراكية وأبطال الاشتراكية.

شيء ما إما يثبت هوية.. أو يبحث عن هوية..

سنأخذ هنا افتتاحية عدد ٧ تموز "دون توقيع لكنها على الأرجح لمحمد الجندي" وتحمل عنوان "مشكلة الحكومات الرجعية":

في سنة ١٩٤٧ كان نفوذ القوى الاستعمارية على العالم الثالث تاماً لأنها خرجت منتصرة من الحرب واقتطعت مناطق سيطرتها كما تريد وكان الوطن العربي من حصتها ففرضت عليه مخططاتها المعروفة وأقامت عليه حراسها المحليين من الحكومات الرجعية تدعمها وتحركها المخابرات العريقة مستغلة بذلك سائر الامتيازات الطبقية المحلية وارتاحت عقب ذلك على أن الأمور تجري على ما يرام.

ولكن شعوب العالم الثالث تحركت وسجلت القوى الاستعمارية تراجعات في كل أنحاء العالم وتبلورت أكثر فأكثر العقلية الامبريالية الأميركية التي تحسست أكثر من غيرها بالخطورة المحيطة بامتيازاتها وانتفضت تحاول بأساليب القرن العشرين والعصور الحجرية معاً، أن تسترجع مواقعها أولاً وأن تفرض سيطرتها بعملية هجومية على كل العالم، وبذلك أصبح المنطق الاستعماري حاداً جداً لا صبر لديه على التغليف ويحمل صراحة هيستيرية سواء بالنسبة للعملاء أو بالنسبة للشعوب.

كانت الحكومات الرجعية تستطيع أن تدجل وتتظاهر بتبني المطالب الشعبية فتنادي بالجهاد لفلسطين مثلاً وفي الوقت نفسه تسلمها، أما اليوم فلا مجال لديها ولا تستطيع، وتجد نفسها مضطرة بحكم موقعها لتطلقها صريحة.. فهي توقع على "الدفاع عن الكيانات" أو تلتزم بذلك في المؤتمرات الصحفية وتعلن عن تخليها عن شمال العراق ولا تجد ما تدافع به عن نفسها سوى التحدي السخيف "أنا عميل.. أنا عميل" وتعمل لتصفية قضية فلسطين بصراحة وفي مؤتمرات صحفية وفي تصريحات رسمية ضمن سلسلة تبدأ من أبي رقيبة حتى التل.

وتتصدى الحكومات الرجعية بسبب مواقف الخيانة الصفيقة وبشكل طبيعي للغضبة الشعبية ولزعزعة مراكزها فلم يعد نشاط المخابرات الأجنبية الطبقي والاعلامي مجدياً لوحده في تثبيت الأوضاع، وأصبح الشعور بالحاجة للتدخلات المسلحة العدوانية أمراً طبيعياً يهيأ له بإفساح المجال للقواعد العسكرية الاستعمارية وبالتسلح المشبوه من المصادر الاستعمارية نفسها وبالحشود.

وتنصب نقمة تلك الحكومات على كل ما له صفة شعبية أو تقدمية، إن الشعب يرعبهم لذا لجأوا للمنطق الحاد وهو لديهم الاعتقالات، الاعتقالات الموجهة ضد أي مواطن عادي لا يشعر بالارتباط الرجعي، يجب أن يكون المرء رجعياً أو لا حق له بالمواطنة – تلك هي القاعدة.

وينال اليوم حزب البعث العربي الاشتراكي سيلاً من الشتائم الرجعية وتهاجم ثورة ٨ آذار لمجرد الخوف من العدوى.

إنها مشكلة الحكومات الرجعية الأساسية: كيف يمكن أن تخون شعبها صراحة ولا تتعرض لنقمته أو ترد نقمته على الأقل، والجواب إن الخناق يضيق على القوى الاستعمارية نفسها وعلى صعيد عالمي فلا يمكن أن ينجو العملاء، بل إن الجسور نسفت إلى الأبد بينهم وبين الشعب.

تكثر الصفحات المتخصصة.. الفلاحون على الخامسة صباح الخميس.. العمال على الخامسة صباح السبت أيضاً.. المرأة على السادسة صباح السبت.

وتتحسر بشكل واضح الرياضة.. حتى إنها تغيب نهائياً لأيام متتالية.. بالمناسبة كانت المؤسسة "الوحدة" في تلك الفترة وما زالت تصدر أسبوعية الموقف الرياضي.

١٢ تموز تنشر الثورة ما يؤكد العمل لأجل شعار لقاء القوى التقدمية.. مانشيتاً عن استقبال وفد مصري يضم محمود رياض وحسن صبري الخولي.. يقول:

الأتاسي وزعين يستقبلان رياض والخولي أمس

ماخوس: اللقاء بين القوى التقدمية سوف يتطور من خلال المعركة.

وهناك افتتاحية بعنوان اللقاء.. الجماهير.

في الوقت الذي يلتقي فيه وفدا القطرين العربي المصري، والعربي السوري، ويتحادثان، من الطبيعي أن تنطلق محادثاتهما من بداية جديدة، تتميز بدراسة علمية للماضي، وتفهم واقعي للحاضر، ووعي تاريخي للمستقبل، كي تتحول هذه المحادثات المنصبة على بحث اللقاء الفعال بين القوى التقدمية إلى خطوة هامة معززة بكل تجارب التقدميين، وخبرات الثوريين، مدعومة بكل ما تختزنه الجزائر ودمشق والقاهرة من قدرة على التمثل العميق لطبيعة المرحلة وبما تحسه من أخطار تتجمع في الجبهة

الرجعية – الاستعمارية – الصهيونية، وبما تعبر عنه هذه العواصم من إرادة جماهيرية تؤمن بحتمية لقاء القوى التقدمية في الوطن العربي.

وإن ظروف التكتل الرجعي، والتآمر الاستعماري، والتحفز الصهيوني، قد تكون عوامل مرحلية محركة للمسؤولية القومية التي تطرح صيغاً عملية للفكرة الأساسية، ولكن خطوة اللقاء ليست مرهونة بمرحلة من مراحل العمل، وإنما تخضع في تطورها وتكاملها لعوامل تطور الثورة الجماهيرية وتجسيد أهدافها أثناء العمل الذي يقتضي تشييد هذه البداية على الأسس الموضوعية التي تكفل لها الاستمرار والقوة والنمو خلال اللقاءات المتعددة.

ومهما كانت الأحوال، فلا شك في أن الثورة الجماهيرية العربية، تبدو اليوم في مقوماتها وعوامل تكوينها، مستندة إلى إرادة مصممة على تبديل الواقع العربي، تبديلاً جذرياً، وتغييره اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، وإرادة التبديل والتغيير هذه هي المحتوى الحقيقي الذي يشكل ويكيف كل صيغ وأساليب العمل الثوري.

فالجماهير العربية الطامحة إلى الحرية، لا ترى طريقاً لتقرير المصير التاريخي، إلا طريق النضال الاشتراكي والوحدوي، فهي قد أدركت واكتشفت أن عمليات القضاء على التجزئة والتخلف بكل مظاهرهما لا تتم إلا عبر تحرير اشتراكي للشعب العربي، تحرير يدمر جميع القيود الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تكبله وتمنعه من القيام بتحرير نفسه من التجزئة وتحقيق الوحدة.

فالحرب التحررية هي حرب اشتراكية – وحدوية ضد الاستعمار والرجعية والصهيونية، هي الحرب التي لا يرى الثوريون معها في الخطوة المؤدية إلى لقاء القوى التقدمية العربية في كل من الجزائر وسورية والمتحدة سوى ضرورة مبدئية لدفع المسيرة الشعبية في المجرى التاريخي الذي لا ينقطع بها، سوى الطريق الحتمي الذي تتخير فيه استقامته ووضوحه وانفتاحه المباشر على الأهداف الحقيقية للشعب العربي.

وفي محادثات اليوم ينعكس شعور الجماهير التي تجد في هذه الخطوة مبررات للثقة بأن القوى التقدمية في الوطن العربي.. تواجه اليوم بصدق مهام اللقاء الفعال الذي يعبر عن إرادة الجماهير العربية.. العميقة.. والشاملة...

في ١٣ تموز تشير الثورة إلى فسخ عقد تمديد أنابيب النفط مع الشركات البريطانية وتوقيع آخر مع شركة "سنام بوجيتي" الإيطالية كبديل.. وقد سجل ذلك إنذاراً لتوتر العلاقات مع بريطانيا وشركاتها النفطية.

على الصفحة الأولى أيضاً خبر صغير عن زيارة للواء أحمد سويدان لقيادة فرع الحزب باللاذقية.. وفي أول إشارة إليه كرئيس أركان عامة.

في العدد ذاته على الصفحة الثالثة دراسة مطولة عن الاشتراكية في البلدان المتخلفة لجميل الجندي ومقالات عديدة عن الاشتراكية والقطاع العام والتأميم.. وإلخ.

على الصفحة الأخيرة في زاوية "حدث ورأي" يشن كمال مطر هجوماً عنيفاً على مؤتمرات القمة العربية.

في ١٥ تموز تشير الثورة إلى اشتباك مسلح مع إسرائيل والمانشيتات كالتالي:

إسقاط طائرتين إسرائيليتين من نوع ميراج

إسرائيل تقوم بعدوان فاشل لقصف المعدات الهندسية لمشروع روافد الأردن.

شوهد العدو وهو يحمل "٥" جثث بسيارات الإسعاف

وتتابع الحدث على مستويات أخرى.. افتتاحيات وتعليقات وخلال الأيام التالية:

يوم السبت ١٦ وهو موعد صدور صفحة المرأة "آمال فؤاد" نجد مكانها صفحة متخصصة أخرى هي صفحة الإذاعة والتلفزيون ويبدو أن ياسين رفاعية هو الذي يعدها بالاشتراك مع منيف حسون.

توالي الثورة اهتمامها بالمعركة التي وقعت مع القوات الإسرائيلية وتربط بينها وبين الموقف الاستعماري من الثورة الوحدوية الاشتراكية - حسب تعبير الدكتور يوسف زعين - كما نقلته الصحيفة وقد توعد إسرائيل بردٍ قاسٍ.. ونقرأ هنا عبارة:

الشعب مصمم على خوض حرب التحرير الشعبية..

هناك أيضاً افتتاحية نأخذ جزءاً منها ما يوضح موقف الصحيفة وبالتالي النظام السياسي من كل ما يجري:

في الجو.. ومن خلال ظروف العدوان الإسرائيلي ما ينبئ أن المؤامرة الرجعية – الاستعمارية – الصهيونية تنسج خيوطها، وتشد أجزاءها، وتوقت أحداثها للإحاطة إحاطة حصار بالموقف الثوري لسورية وفعاليته الشعبية داخلياً وعربياً وآثاره دولياً، لأن هذا الحصار يتكشف اليوم عن غاياته بوضوح، فإذا هو نوع من أنواع توجيه العمل، وتركيز المخطط الرجعي والاستعماري – الصهيوني ضد المصدر الثوري الأساسي ضد النظام الشعبي والاشتراكي في القطر العربي السوري، وقد يتساءل المتتبع عن مدى أهمية هذا الحصار، وخاصة بعد أن عززت سورية علاقاتها بالبلدان الاشتراكية تعزيزاً لم يسبق له مثيل من قبل، وبعد أن خطت خطوة فعالة في كسر الحواجز المصطنعة بين القوى التقدمية العربية واستطاعت أن تضع الأسس العملية والفعالة في لقاء دمشق والجزائر والقاهرة.. بل هي أول سلطة مسؤولة أعادت الجو بين القاهرة ودمشق إلى مستواه القومي الجدير بالتطور الجدي نحو الأهداف القومية.. نعم قد يتساءل المتسائل عن أهمية الحصار الاستعماري – الرجعي – الصهيوني وسورية قد أمسكت بزمام العمل الداخلي والعربي والدولي بأسلوب ثوري.. والأهم أنها طرحت الصيغة الجذرية لتحرير الأرض المحتلة.

إن التساؤل يقود إلى نتيجة أساسية هي أن محاولات الحصار محكوم عليها بالإخفاق، لأن المنطق الثوري لسورية أزاح جانباً كل الأساليب

التقليدية التي كبلت الفعاليات أعواماً طويلة، فجعل من الانقسام الحقيقي بين الشعب وقيادته الثورية من جهة وبين الاستعمار والرجعية وإسرائيل من جهة أخرى، جوهراً للقضية "وهوية" كل نضال وحدوي – اشتراكي شعبي في الوطن العربي.. وعلى ضوء هذا الإدراك تبدو سورية الثورة موقعاً جغرافياً محدوداً في الشرق الأوسط، ولكنه موقع موصول بشرايين من الدعم التقدمي العربي والعالمي، دعم القوى الاشتراكية والشعوب الافريقية والآسيوية المكافحة..

وهذا الدعم يتخذ أشكالاً حقيقية متعددة وعلى ضوء هذا الإدراك أيضاً تبدو سورية الثورة قوة استقطاب وتجمع وتمثل لعوامل أكثر ضماناً للقاء تقدمي في الوطن العربي يزداد توطداً كلما اشتد الضغط وكلما انكشفت المؤامرات عن أهدافها القريبة والبعيدة وهكذا.. فالمناخ التآمري والعدواني ينقلب بالضرورة إلى مناخ تقوية وصلابة وتعميق لفعالية المنطق الثوري لسورية داخلياً وعربياً ودولياً.

في الصفحة السادسة من عدد ١٧ تموز.

هناك صفحة متخصصة بالقصة القصيرة.. تتضح عليها بصمات ياسين رفاعية.

وفيها قصة أخرى لخليل جاسم الحميدي.. وقصة مترجمة ومقال نقدي لممدوح عدوان.. ولقاء أجراه ياسين رفاعية مع فؤاد الشايب.. ويستمر كمال مطر في هجومه اليومي المتتالي على القمة العربية في الصفحة الأخيرة زاوية حدث ورأي.

حتى يوم ١٩ تموز حيث تظهر الزاوية بتوقيع عبد الله حوراني

مع هذا العدد يصدر ملحق تحت عنوان بالأحمر:

اليوم حجر الأساس

ولا يتضح حجر الأساس لماذا؟!

لكن هناك صور متعددة لعسكر يقومون بنقل حجارة وتعبئة شاحنات.. عمل إنشاءات مدنية.. وحديث طويل جداً عن مهمة أخرى للجيش، جاء فيه:

حقيقتان أساسيتان لمستهما أثناء مشاهدتي لتنفيذ شعار الجيش للحرب والإعمار.

الحقيقة الأولى أن جيشنا العربي السوري ينفرد وحده من جيوش العالم الثالث القليلة التي تطبق هذا الشعار عملياً.

الحقيقة الثانية إن هذا التحول في مهماته جاء نتيجة موضوعية لتطوره سياسياً وطبقياً وتلازمه مع قضية العمال والفلاحين وبقية القطاعات الكادحة من شعبنا في هذا القطر.

أما لماذا ينفرد بهذه الصفة فهذا يعود بشكل موضوعي إلى طبيعة ثورة ٨ آذار والمحتوى الذي طرحته والذي بدأت تجسده عملياً في جميع المجالات وحتى نفهم دلالات هذا المحتوى لا بد أن نتعرف على الواقع الذي ثارت عليه.

ونجد على صدر الصفحة الأولى للملحق مقالاً افتتاحياً لمصباح دبجن بعنوان التكوين الثوري للجيش.. نجتزئ منه:

إن تكوين جيش اشتراكي عقائدي شعبي ينطلق من شعور أولي بأن الجيش خادم للجماهير الكادحة المسحوقة منذ مئات السنين.. والتي ظفرت اليوم، وهذا الشعور الذي يرتقي تأثيره بتجسده في وعي اشتراكي لمهمة الجيش الحقيقية هو الذي يسلك جميع روابط الولاء بسلك التكوين الثوري الجديد، بحيث يصبح الوعي الاشتراكي الطبقي للضباط وصف الضباط والجنود، الحصن المنيع الذي يصون الجيش آلياً من أي أسلوب من أساليب المغامرات يهدف إلى استعمال هذه "القوة المسلحة" أو استخدامها ضد الشعب وضد الاشتراكية.. والنظام الذي يمثلها.

إن جيشنا حين يخوض معركة الحرب والإعمار فيشارك الضباط وصف الضباط والجنود بتعمير المرافق والمعامل والطرقات والسكك

الحديدية والمنشآت المدنية والعسكرية محتفظاً في الوقت نفسه بنظمه التدريبية التي تؤهله لتأدية مهامه الحربية فإنما يشرع بتعزيز جانب من جوانب التغيير الجذري للجيش، حيث يصبح شعاره الجيش للحرب والإعمار.. شعاراً يعبر نظرياً وعملياً عن التجربة ويرسيها على أسس موضوعية وواقعية متطورة.

ويجعله الجيش العربي الاشتراكي الشعبي الجديد بالقيام بدور أساسي في الحرب التحريرية لفلسطين المحتلة، والمعد للقيام بدور تاريخي في الوطن العربي الكبير، بتحرير طبقاته الكادحة اشتراكياً، واطلاق طاقاته اجتماعياً وثقافياً، وتوحيده اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً، وإنه لدور كبير.. لا يمكن أن يقوم به إلا جيش عربي اشتراكي شعبي يملك العقيدة الثورية ويملك قدرة القتال الشديد واحتمال أعبائه على المدى الطويل.

ونختار منه العناوين التالية:

حقيقة الثورة: الجيش للحرب والإعمار وتسليح الشعب المنتج

كان مستهلكاً أصبح منتجاً

الأنظمة البائدة عزلت الجيش عن الكادحين

وأهم من ذلك كله:

المؤتمر القطري الاستثنائي.. أدان العودة بالجيش إلى صورة الجيش المحترف

وأكد على بنية جيشنا الطبقية

عدد ٢٣ تموز صورة "بورتريه" بحجم جيد لجمال عبد الناصر بابتسامة عريضة على الصفحة الأولى ربما للمرة الأولى في الثورة.. والمانشيتات كالتالي:

في الذكرى الرابعة عشرة لثورة ٢٣ تموز في المتحدة

عبد الناصر: لن نحضر مؤتمر القمة القادم.

مستعدون لتنسيق دفاعنا مع سورية لمواجهة إسرائيل بجبهة واحدة.

الرجعية العربية استفادت من فرصة "القمة" للتآمر ضد القوى التقدمية العربية.

هكذا تعمم المصطلح "القوى التقدمية العربية".

في العدد نفسه تعود صفحة المرأة والمجتمع "آمال فؤاد".

في عدد ٢٤ تموز يظهر فجأة اسم محمد الجندي "المدير العام" كاتباً لزاوية كلمة اليوم في الصفحة المحلية حول القطاع العام وكانت في حلقتها التاسعة.

لعل الأستاذ محمد الجندي وقع باسمه على هذه الزاوية بالذات "رقم ٩" نظراً لجرأتها في الهجوم على شركة سيمكس أي شركة الاستيراد للقطاع العام.. وننشرها هنا بكاملها:

في معرض الحديث عن التجارة الخارجية لا بد من أن يعرج المرء على "سيمكس"، لأنها ليست مؤسسة عادية ذات حيز اقتصادي محدود، وإنما بطبيعة عملها تؤثر اقتصادياً وسياسياً على القطر فهي التي تشتري المواد الأولية والسلع الاستهلاكية وهي التي تنفذ جانباً كبيراً من الاتفاقات الاقتصادية، ولذلك فالتخريب فيها له تأثير غير محدود على القطر وله أبعاد واسعة.

ولقد ارتكبت عصابة سيمكس بما فيه الكفاية من عمليات التخريب وإساءات في كل المجالات، في كل الصفقات التي عقدتها وفي كل توزيع قامت به، وذلك بغض النظر عن مسؤولياتها الإيجابية في عدم السير بالتجارة الخارجية بشكل يتفق والمضمون الاشتراكي للقطر، لقد حولت تلك العصابة المؤسسة إلى بؤرة ينفث فيها جميع السماسرة الرجعيين من القطر وخارجه سمومهم ويحققون المصلحة المشتركة في الكسب الحرام الشخصي وفي إعطاء الانطباع السيئ عن التحويل الاشتراكي.

إن شركة الكابلات العربية المؤممة حسب المبلغ الذي وفرته بالاستيراد المباشر لمائة طن من النحاس بدلاً من أن تأخذ بعروض سيمكس

فكان الوفر – ٩٨٤٤٠ - ليرة سورية وحسب الوفر السنوي فكان – ٨٠٠٠٠٠ – ل.س تقريباً عدا دقة اختيار المواصفات الفنية، وقد قدمت تلك المعلومات مع الأرقام إلى السيد وزير الاقتصاد بكتاب رسمي، وهي تعطي بذلك صورة عن مدى خطورة عمليات التواطؤ التي تقوم بها العصابة مختبئة وراء الروتين الرجعي الذي يعرقل المحاسبة التقدمية، إنها تقدم بين الفينة والفينة بعض القرابين من الموظفين الصغار الذين تحملهم المسؤولية والذين قد يكونون مرتكبين أسوة بمعلميهم ولكن أعمالهم تعتبر تافهة إلى جانب التخريب العميق المقصود المخطط له على مستوى إجرامي وسياسي رجعي عال.

في الواقع إن معالجة الموضوع يتطلب ضرب تلك العصابة وتربية غيرها بها لأن التعقيدات الاقتصادية التي ستخلفها ستزداد خطورتها كلما طال الزمن. أما ترك ذلك للروتين الرجعي الموروث فإنه سيزيد من عمرها وسيزيد من ابتعاد سيمكس عن صفتها كمؤسسة اشتراكية وعن هدفها الذي أنشئت من أجله في تطوير تجاربنا الخارجية وإعطائها المضمون الاشتراكي.

إن إنقاذ سيمكس وبالتالي إنقاذ تجاربنا الخارجية من تلك العصابة يتطلب إجراء ثورياً لأنه يعني في حقيقته ربح معركة ضد الرجعية في إحدى محاولاتها الكبرى للاستيلاء غير المباشر على مواقع اقتصادية هامة، ويتعلق بذلك ربح معارك أخرى جزئية أقل خطورة ولكنها أبعد أثراً.

بالمناسبة ليس لدينا ما يثبت أن محمد الجندي كتب كل زوايا كلمة اليوم.. ويرجح أنه كتب هذه فقط أي رقم "٩" ونظراً لإمكانية تحميل مسؤولية للمحرر وقعها باسمه..

الزاوية رقم "١٠" جريئة أيضاً ودون توقيع ونأخذها هنا:

في معرض الحديث عن التجارة الخارجية أيضاً لا بد من أن يتساءل المرء عن جملة الاعتبارات الموضوعة لاختيار السلع المستوردة من جهة والبلدان التي نستورد منها من جهة أخرى، ولا يعني ذلك أننا سنعدد تلك

الاعتبارات ونناقشها، وإنما سنكتفي بمجرد التساؤل عن بعض الحالات الخاصة العادية جداً.

إن ورق الجريدة نستورده من فنلندا وبسعر فاحش لا يتناسب مع جودته، إننا لا نعلم في أي مرحلة يصبح ذلك السعر فاحشاً، ولا نعلم: لماذا من فنلندا مع العلم أننا ندفع ثمنه بالقطع الأجنبي وهناك بلدان نستطيع أن نشتري منها ورقاً جيداً على أساس المبادلة.

إن مصانعنا تنتج أقمشة جيدة وخيوطاً جيدة بحيث تباع في أحيان كثيرة من داخل القطر وخارجه على أنها أجنبية ، وهذا يعني أنها صالحة للمبادلة إذا أردنا استيراد بعض الأقمشة والملابس الأجنبية إرضاء للأذواق الفردية وصالحة للتعويض عن تلك السلع الأجنبية إذا رفض مبدأ المبادلة، نحتاج فقط إلى المقاول الكفؤ الذي يغنينا عن دفع القطع الأجنبي إذا كان لا بد من الاستيراد ويختار لنا على الأقل مستوى من الجودة يفوق الصناعة المحلية.

كذلك الدهان الذي نستورده لا يفوق ما ننتجه بالجودة ومع ذلك نستمر في الاستيراد رغم أن هذه السلعة قابلة للاستعاضة تماماً وليست من نوع الملابس الخاضعة للأذواق الفردية.

وهناك سلع منتجة لدينا قابلة للتطوير بسهولة وبدون أن تكلف كثيراً بحيث تغني عن سلع مماثلة مستوردة، فلماذا لا يتم التطوير؟ ولماذا نصر على الاستيراد؟ ذلك ما لا نستطيع أن نعلمه.

بالطبع إن الإغلاق الكامل للسوق الداخلية مسيء للاقتصاد والسوق الحرة أكثر إساءة، والمشكلة هي كيف نسخر الاتفاقات الاقتصادية لإعطائنا أفضل مردود ممكن على الصعيدين الداخلي والخارجي.. ذلك هو التساؤل الكبير والملقى على عاتق الأجهزة الاقتصادية لدينا.

وعندما تبدأ تلك الأجهزة في حمل مسؤولية ذلك التساؤل تحل نصف المشكلة الاقتصادية، وحملها لتلك المسؤولية هو المعيار الصحيح الثوري لمدى نظافتها من الجيوب الرجعية.

هذه أيضاً جريئة لكن.. نَفَسَها من ناحية الموقف من السوق ليس نَفَس محمد الجندي الذي عرف بانتمائه اليساري الاشتراكي.

في ٢٧ تموز تعد الثورة ببيان للقيادة القطرية لحزب البعث وصفه بالتاريخي حول مشكلة التمرد والعصيان في شمال العراق.

تنشر الثورة مانشيتاً أحمر على لسان زعين قاله في مهرجان عمالي:

خطة خمسية للبناء.. وحرب شعبية لتحرير فلسطين

وعلى الصفحة الأخيرة زاوية "حدث ورأي" ينشر كمال مطر على كامل مساحة الزاوية كلمات مختارة من خطاب يوسف زعين.. علماً أن هذه المرحلة بعد ٢٣ شباط خففت كثيراً من شخصنة العناوين والأحداث كما كان سائداً أيام الرئيس أمين الحافظ.

في عدد ٢٩ تموز تنشر الثورة العناوين التالية من بيان القيادة القطرية حول شمال العراق:

بيان هام من القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي حول مشكلة شمال العراق

مهمة الحزب تجسيد التلاحم بين النضال القومي والطبقي اعتماداً على الجماهير الكادحة

البزاز انطلق من واقع التجزئة ليكرسها

الحركات التقدمية في العراق تدين بريطانيا والرجعية

الجبهة التقدمية هي القاعدة الصلبة لتحقيق وحدة الكادحين والتقدميين على اختلاف فئاتهم وعناصرهم.

يتجه البعث في هذا البيان إلى التخفيف من حدة التوتر في العلاقة مع الأكراد بعد حرب شاركت فيها القوات السورية في عام ١٩٦٣، ويظهر البيان محاولة فهم وتفاهم عبر طرح المعيار الطبقي للحل كوعاء استيعاب لحركة الأكراد.. لكنه يحافظ على نظرته لأولوية القومية العربية.

لعل البيان جاء زيادة في التقارب مع الاتحاد السوفياتي الذي كان يؤيد الأكراد في مواجهتهم للقوات العراقية.. وأيضاً إظهاراً لرؤية تقدمية دخلت إلى فكر الحزب ولا ريب بعد ٢٣ شباط ١٩٦٦.

الثورة في تموز مناضلة في سبيل الاشتراكية ولقاء القوى التقدمية وحرب التحرير الشعبية وإقامة أمتن العلاقات مع الدول الاشتراكية.. وأيضاً هي جريدة البناء الوطني.. ناقشت على صفحاتها قضايا هامة وعناوين كبيرة حول النضال الاجتماعي والاقتصادي.. وأظهرت اهتماماً لافتاً بالتنمية والتطوير الحياتي.

وواجهت بجرأة التعثر الإداري في المؤسسات المؤممة وبشكل خاص صدامها مع سيمكس.. لقد دفع ذلك برئيس الوزراء في حينه الدكتور يوسف زعين إلى القدوم إلى مبنى الجريدة ليواجه بنفسه مشكلة تأخر سيمكس بتوريد الورق.

عدا ذلك..

استمرت في استقطاب أسماء كتّاب وصحفيين من بينهم رشاد رشدي - صلاح دهني – عيد أبو سكة – نزار داغستاني – أحمد سويدان – حسين راجي – جاد بوز – أكرم شريم وآخرون.

وبشكل عام كان وضع الصحيفة عادياً جداً.. لم تظهر تألقاً.. ومالت في المرحلة التالية إلى الهدوء الإخراجي.. لكن شهدت حالة من اختلاط بين الصفحات وهوياتها.. سواء منها الصفحات العادية أو المتخصصة.. وتستمر أيضاً حالة التنوع في كتابة الصحفيين... بين تحقيقات وتقارير ثقافية وزوايا ونقد تشكيلي وأيضاً إنتاج أدبي.

ويلاحظ أن أسماءهم أصبحت تنشر بشكل بارز وكبير بما يظهر الكل تقريباً في حالة تجريب وبحث عن الذات..

بالشكل العام يمكن القول إن "الثورة" بعد ٢٣ شباط اتجهت إلى العمل الوطني المحلي المطعم بالرأي الثوري الاشتراكي.. وغابت عنها إلى حد ما

الاهتمامات التي كنا نراها في الفترة السابقة بالقضايا والمسائل الدولية والعالمية سواء السياسية أو الفكرية والثقافية.

في ٣ آب نرى الصفحة الأولى بكاملها لخدمة الشأن المحلي والدول الاشتراكية.. هناك مانشيت عن إنشاء عشرة خزانات نفطية بكلفة ١,٦ مليون ليرة يبنيها السوفييت.. ومانشيت آخر بالأحمر.. عن الموازنة العامة للدولة - تستخدم الصحيفة تعبير ميزانية عوضاً عن موازنة - حددت اعتماداتها بنحو ٧٨٣ مليون ليرة سورية.. ويأتي ذلك في إطار الخطة الخمسية الثانية، متواضعة الأرقام"٤٩٥٥" مليون ليرة، جيدة التنفيذ حتى أن بعض الاقتصاديين يعتبرها أفضل الخطط الخمسية السورية.

هناك قطع أخرى عن حرب فيتنام ومجلس السوفيات الأعلى.. وافتتاحية بعنوان البترول السوري وكاريكاتير لعلي فرزات.

وبقية صفحات الجريدة بكاملها شغلت بنتائج شهادة الدراسة الثانوية.

هذه الفترة شهر آب، اهتمام كبير من الصحيفة بكل جوانبها بالشأن اليمني.. نضال شعب وثورته ضد الاستعمار البريطاني.

في ٨/١٠ تنشر الثورة على صفحة ونصف محاضرة لمحمد الجندي ألقاها في المعهد الثقافي بعنوان الدولة والحزب والنقابات.

ويظهر في العدد لأول مرة اسم المرحوم سعيد مراد في دراسة بعنوان: نحو نهج جديد في إحياء ودراسة التراث العربي.

في ١٣ آب ١٩٦٦ تنشر الثورة على صفحتها الأولى مانشيتاً عن موقف للجزائر من مؤتمر القمة.. ومانشيتاً آخر بالأحمر عن اعتقال عمال تقدميين ومناضلين في الأردن.. وقطعة عن عودة رئيس اتحاد الفلاحين من الاتحاد السوفياتي.. وصور كبيرة هذا شرحها.

" لقطة من الحفلة التي أقامها سفير الجزائر في موسكو عمر الصديق على شرف وزير الصناعة والطاقة الجزائري عبد السلام بلعبد - وردت بالعبد – الذي يرأس وفداً اقتصادياً جزائرياً إلى الاتحاد السوفياتي".

وعدد كبير من الأخبار المحلية.

في العدد ذاته صفحة أخبار دولية فيها ثلاث قطع وعلى الثالثة تحقيق لهشام شيشكلي عن السياحة صفحة كاملة.. والرابعة أخبار محلية والخامسة العمل والعمال وتحوي مادة رئيسية كبيرة هي محاضرة للدكتور أحمد رجائي ألقيت في المعهد النقابي.. وعلى السادسة صفحة كاملة بثلاثة مقالات ليوسف مقدسي الذي عاد لينضم لفرسان الحلبة في تلك الفترة مع ممدوح عدوان وكمال مطر وهاني الحاج.. والسابعة رياضة.. والأخيرة مسيسة بالكامل مع مقالة في زاوية حدث ورأي لعبد الله حوراني.. بعنوان "إرادة الجماهير لا مؤتمر قمة فاشل" ننشرها هنا:

رغم المحاولات اليائسة التي تبذلها الرجعية العربية لاستعادة مواقعها المفقودة، ورغم الاتصالات والرحلات والوساطات التي تجريها هذه الرجعية مع بعضها بعضاً في محاولة للاتفاق على قمة جديدة، ورغم التحفظات التي أبدتها بعض الحكومات الرجعية حين وافقت على تأجيل مؤتمر القمة الرابع ، رغم كل ذلك، فقد أصبح أمراً مقرراً، تأجيل مؤتمر القمة إلى أجل غير مسمى، ولن تنفع الرجعية كل وساطاتها واتصالاتها، حتى ولو نجحت هذه الاتصالات، وأعادت منظومة الحكام إلى التوافق، وهذا متوقع، لأن القسم الأكبر من الحكام العرب وافق على التأجيل عن غير اقتناع إما تكتيكاً وإما انحناء للعاصفة التي تمر، ولذلك فإن من المتوقع فعلاً أن تنجح الاتصالات والرسائل المتبادلة في إعادة الوئام وتجميع مجموعة كبيرة من الحكام، تطالب وتلح على عقد مؤتمر القمة، ولكن حتى لو استطاعت الرجعية أن تنجح في تجميع قوى، تطالب بعقد مؤتمر جديد للقمة، فإن مثل هذا المؤتمر لا يمكن أن ينعقد، ولا يمكن أن تسمح الجماهير العربية بأي مؤتمر تلتقي فيه الرجعية بالقوى الثورية، ليخططا معاً لمعارك التحرير العربية، وفي طليعتها معركة فلسطين.

إننا نستطيع أن نؤكد أن سورية الثورة، التي أعلنت منذ أكثر من خمسة شهور، أن مؤتمرات القمة تآمر على قضية فلسطين، وأن العمل من

داخلها وبأسلوبها، إنما هو تمييع لقضية التحرير في فلسطين، سورية هذه، لن تسمح لنفسها بعد اليوم أن تشارك الرجعية أو أن تشاركها الرجعية في التخطيط لأية قضية عربية، بل إن هذا الموقف تعتبره سورية الثورة موقفاً مبدئياً وأولياً ولذلك فهي تنطلق منه إلى موقف أكثر عمقاً ووعياً، وهو إعلان الحرب على الرجعية بكل أشكالها وألوانها وأسمائها ولن تتوقف سورية الثورة عن حربها هذه، حتى تقبر جماهيرنا كل العملاء والرجعيين.

كما أن تأكيدنا على عدم السماح لمؤتمرات القمة بالعودة لا يأتي من موقف سورية الثورة أو القوى الثورية العربية فحسب، وإنما من موقف الجماهير العربية بكل قطاعاتها الكادحة والمقاتلة، إن هذه الجماهير التي خدعت في مرحلة من المراحل بمؤتمرات القمة، ولم تستطع أن تدرك البعد التآمري لهذه المؤتمرات منذ أيامها الأولى، هذه الجماهير أصبحت الآن – ومن خلال تجربتها المريرة – تدرك ادراكاً واعياً طبيعة هذه المؤتمرات، وطبيعة المشتركين فيها، وهذا يشكل ضمانة حقيقية لعدم عودة هذه المؤتمرات.

هذا هو رأينا، لا تأجيل لمؤتمرات القمة فحسب، بل إلغاء نهائي وأبدي لهذه المؤتمرات، إلغاء نهائي وأبدي لحلقات التآمر التي كانت تعقد أمام سمع الجماهير العربية وبصرها لتتآمر عليها.

أما البديل الذي نطالب به ونلح عليه، فهو لقاء القوى الثورية العربية، لقاء يرتفع إلى مستوى مواجهة التآمر الرجعي والاستعماري بحيث يتمكن من سحقه وإنهائه، لقاء يتم على أسس جديدة، ومنطلقات جديدة للعمل من أجل التحرير، لقاء يضع استراتيجية على أساس تصنيف كل أعداء الجماهير، من قوى رجعية وصهيونية واستعمارية ووضعهم في جانب، وفي الجانب المقابل، المهاجم وليس المدافع، تقف القوى الثورية ومن خلفها الجماهير العربية، وليس من ساحة تتوفر فيها هذه الشروط والتصنيفات الواضحة، أو تتم فيها عملية الفرز الكامل، بين الجماهير وكل أعدائها، إلا ساحة الحرب الشعبية.

إن حرب التحرير الشعبية هي أوضح التزام يمكن أن تلتزمه قوى الثورة العربية، ليس كبديل لمؤتمرات القمة فحسب، وإنما كتحد مصيري لقوى الصهيونية والرجعية في وطننا، وإننا على يقين من أن جماهيرنا العربية، سترمي بكل طاقاتها في ساحة المعركة، حتى تتمكن من إنهاء الوجود الصهيوني والرجعي من وطننا في آن واحد.

هذا العدد صورة عن الثورة في تلك الفترة التي يتضح فيها الانشغال كلياً بالموقف السياسي للدولة وقضايا التنمية.

في الصفحة الثقافية /٦/ في عدد ١٤ آب، هناك قصة بلغارية ترجمة حسين راجي.. وقصيدتان صغيرتان واحدة للوركا والثانية لسعدي يوسف..

وزاوية ليوسف مقدسي وزاوية حول فكرة إيجاد اتحادات للكتاب ننشر هنا قصيدتي "لوركا وسعدي يوسف":

جامعة الزيتونة - شعر لوركا

الفتاة ذات الوجه الجميل تجمع الزيتون
والريح عاشقة الأبراج تأخذها من الوسط
ويمر أربعة فرسان فوق خيول أندلسية
وعليهم ثياب زرقاء وخضراء
ومعاطف سابغة قاتمة
"تعالي معنا إلى قرطبة يا صبية"
والفتاة لا تلقي إليهم بالاً..
ويمر ثلاثة من مصارعي الثيران
وأجسامهم ضامرة عند الوسط
وعليهم أردية بألوان البرتقال
وسيوف من الفضة القديمة
تعالي معنا إلى إشبيلية يا صبية
والفتاة لا تلقي بالاً..

ويمر شاب يحمل ورداً ورياحين
تعالي معي إلى غرناطة يا صبية
لكن الفتاة لا تلقي بالاً..
وتلبث الفتاة ذات الوجه الصبوح تجمع الزيتون
وذراع الريح الرمادية ملفوفة حول وسطها.

* * *

كآبة - شعر: سعدي يوسف
مر بها أمس، وكان الليل في الصحراء
نهراً من الموج الترابي، وصمت الريح، والأصداء
كان يرى نجماً، ولكن كانت الأضواء
دفينة كالماء
بعيدة كالماء
باردة كالماء
مر بها أمس، وفي أطرافه الظلماء
منزله المهجور يبكي، يسكن الصحراء
حديقة تنهش حتى صمتها الأنواء
ياقطرة من ماء
مري على منزله، مري
ولتسألي عنها... وآه.. آه.. لو تدري
إن الليالي بعدها سوداء
إني هنا كقطرة من ماء
في الليل.. في صحراء

في ١٦ آب تنشر الثورة خبر الرد على العدوان الإسرائيلي بـــ "مانشيتات" عدة وصورة كبيرة وخبر.. وهذه مانشيتاتها:

في نصر جوي ساحق وعملية تأديبية يقوم بها سلاحنا الجوي أمس تدمير (١١) زورقاً حربياً إسرائيلياً

زورق حربي إسرائيلي يشتبك مع أحد مخافرنا الأمامية فيتلقى إصابات مباشرة

عدة زوارق حربية للعدو تهرع لنجدة الزورق "المصاب" تحت حماية الطائرات الإسرائيلية

طائراتنا تهزم الطائرات الإسرائيلية وتقوم "بنزهة" صيد للزوارق الحربية الإسرائيلية بطبريا.

كل عدوان إسرائيلي سيواجه بضرب أهداف محددة وقواعد عدوانية داخل المنطقة المحتلة

الاستراتيجية السورية الجديدة.. الانتقال من مواقع الدفاع إلى مواقع الهجوم

أما مقدمة الخبر فجاءت كالتالي:

نفذت سورية الثورة أمس استراتيجيتها الجديدة في مواجهة دولة العدوان بالانتقال من مواقع الدفاع إلى مواقع الهجوم، فسورية التي طرحت شعار الحرب الشعبية لتحرير فلسطين تخلص لهذا الشعار اخلاص الالتزام، ولن تكون خلال فترة التحضير والإعداد لتطبيق هذا الشعار تطبيقاً عملياً إلا قوة دائمة لمواجهة العدوان وملاحقته إلى قواعده.. إن إسقاط الطائرتين العدوتين في الشهر الماضي وتدمير جميع الزوارق الحربية الصهيونية وقواعدها في بحيرة طبريا صباح أمس ومن قبل قواتنا الجوية بالذات إنما يكشف حقيقة المزاعم الصهيونية ويؤدي إلى نتائج عكسية بحيث يدخل الرعب والفزع إلى كل بيت في قلب دولة العصابات.

وافتتاحية بعنوان: الاستراتيجية الجديدة والرد الحاسم ننشرها هنا:

معركة الأمس بين سلاحنا الجوي.. وبين طيران العدو وزوارقه الحربية والتي كانت نتيجتها سيطرة قواتنا الجوية على سماء الأرض

المحتلة، وتدمير "١١" زورقاً حربياً إسرائيلياً في عرض بحيرة طبريا.. وفي قاعدة الزوارق نفسها.. هذه المعركة أصبحت نقطة التحول الفاصلة بين مرحلتين مرحلة "الرد" الدفاع..

ومرحلة "الرد" الهجوم.. ونهاية لأسلوب.. وولادة لاستراتيجية حربية جديدة.

معركة الأمس كانت إيذاناً بأن عهد الأساليب "الديبلوماسية" في معالجة الاعتداءات، كتقديم الشكاوى إلى الأمم المتحدة، تلك الهيئة التي لم تستطع أن تفرض مقرراتها على دولة العصابات مرة واحدة، قد انقضى، كما كانت إيذاناً بأن الثورة بدأت تجسد خطتها لتحرير فلسطين.. في معركة الأمس بجميع دلالاتها الحاسمة.

في العدوان السابق.. وفي العدوان اللاحق.. مهد الصهيونيون لهجماتهم بتصريحات تضفي عليها شكل "الرد" على عمليات الفدائيين المنطلقة من الأراضي السورية.. حسب زعمهم.. وكانت الغاية منها إظهار إسرائيل بمظهر قوة عسكرية متفوقة تستطيع مواصلة دورها الاستعماري الفعال في المنطقة.

لكن سورية اليوم فضحت هذا الادعاء وستحذف ذلك الدور الاستعماري وإن أي عدوان إسرائيلي لا شك أنه سيعرض جميع الأهداف والقواعد التي ينطلق منها العدوان المسلح على الأراضي السورية.. إلى التدمير داخل الأرض المحتلة.

وهذا يعني أن الحكم الثوري في سورية طرح جانباً كل الوسائل المحدودة.. وصمم على مواجهة كل عدوان مواجهة تؤكد جدية أسلوبه، وتثبت للأمم المتحدة والعالم أجمع.. فراغ كل الادعاءات الإسرائيلية وقد أثبت سلاحنا الجوي العظيم في مساء الأمس.. محتوى هذه الإدعاءات الإسرائيلية وأغرقها في بحيرة طبريا.

إن اللغة الحربية الجديدة.. لغة الانتقال من لغة واقعية إلى الهجوم.. لا بد من أن نعترف ونقول إنها بحاجة إلى هذه اللغة المباشرة.. ولا يستطيع أحد من أبناء الشعب العربي في سورية وفي الوطن العربي كله أن يكتم الشعور بالفخر والقوة والثقة بالاستراتيجية السورية الجديدة.. التي تطرح المعركة على مستوى حقيقي مستمد من طبيعتها.

لا يستطيع أحد أن يكتم في نفسه ذلك الوضوح الذي يكسبه هذا الموقف للقضية الفلسطينية خطة وتنفيذاً.

إنه واضح وضوح الإحساس بالمسؤولية الحقيقية.

ولا يستطيع أحد أن ينكر اليوم أن القضية الفلسطينية بين طريقين.. الطريق العربي "المألوف" طريق المؤتمرات والشكاوى والنشاط الدبلوماسي الرجعي العقيم المساوم حيناً.. والمتآمر حيناً آخر.

وطريق الشعب.. طريق الحرب الشعبية، طريق سورية الثورة.

إن كثيراً من الاعتداءات الإسرائيلية كانت تقع في فترات متقطعة وعلى أراض عربية مختلفة، وكان الرد عليها يتخذ طريق المناوشات "المحصورة" عسكرياً من جهة.. وطريق التمييع السياسي على كل صعيد من جهة أخرى.. وكانت تتكرر العملية وكأنها روتين متفق عليه.

ولكن العدوان الإسرائيلي على سورية يتخذ اليوم صفة الارتباط المباشر بالمخطط الاستعماري في المنطقة، وتتخذ الاعتداءات العسكرية على الأراضي السورية صفة الهجوم "الاستراتيجي" على المد الثوري..

وليس أدل على هذا من أن التصريحات الصهيونية التي تسبق العدوان وتجعل من التذرع "بعمليات" الفدائيين مبرراً للعدوان نفسه، إنما تكشف في الوقت نفسه أن أبعاد الاستراتيجية الاستعمارية للقاعدة الصهيونية هي التي تحرك الخطط.. وهي التي تقف وراء العدوان..

والاستراتيجية الاستعمارية - الصهيونية، لا تقابل إلا باستراتيجية حربية نابعة من أهداف الحرب الشعبية لتحرير فلسطين.

إن معركة الأمس.. "مقطع" عسكري عميق التعبير عن المعركة الدائرة بين قوى الثورة العربية.. وبين الاستعمار والرجعية والصهيونية.. ومن خلال هذا الرد، أو هذا النصر يبزغ فجر جديد للقضية الفلسطينية.. وتوضع النهاية لأسلوب.. والبداية لأسلوب يعبر عن إرادة الشعب وقوته وثورته الكبرى.

وتتابع الثورة الحدث عدة أيام أخرى..

في ٨/١٩ يطل اسم طالب أبو عابد من صفحة المرأة والمجتمع.. في مقالة بعنوان: **مجتمعنا بحاجة إلى بطلات في العمل لا إلى ملكات جمال..**

تنزع الثورة إلى استخدام مانشيت عريض بأكثر من سطر فوق اللوغو وبشكل يومي تقريباً يتحدث عن قضايا البناء والانتاج والعمل الاقتصادي.

في عدد٨/٢٥ يظهر مقال لكمال مطر بعض جوانب الصراع الإداري والقضية المطروحة هي دمج الشركات العاملة في ميدان النفط والبترول.

تحت عنوان "مدير ضد الدمج.. لماذا؟"

فيما بعد يرسل المدير المقصود حيدر عواد، رداً للثورة تنشره كاملاً في صفحتها الخامسة.. تحت عنوان "المعالجة الدون كيشوتية".. وتفاعلاً مع الحدث.. يترك الأستاذ محمد الجندي موقعه في المقال الافتتاحي لكاتب آخر وقع بحرف "ع" على مقال بعنوان "الخط وقواعد التصنيع في القطر" ويرحل إلى زاوية حدث ورأي على الصفحة الأخيرة ليرد على الرد في عدد ٨/٢٨.. وننشر مقال الأستاذ الجندي هنا:

نشرت جريدة الثورة في العدد (١٠٠١) تاريخ ٢٥ آب ١٩٦٦ كلمة بعنوان (مدير ضد الدمج لماذا) في زاوية "حدث ورأي".

وقد تلقينا من السيد حيدر عواد رداً بعنوان "المعالجة الدون كيشوتية" استغربنا فيه أسلوب المهاترة أولاً والتهديد ثانياً ومع ذلك ننشر الرد في (ص٥) من هذا العدد عملاً بحرية النشر ليتمكن القارئ من الحكم على الدون كيشوتية أين هي موجودة. ونحن إذ نعلق باب النقاش لأننا لا نسمح بهذا الأسلوب على صفحات الجريدة، نشير إلى النقاط التالية:

١ - إن دمج المؤسسات ذات الاختصاص الواحد هو من صلب التحويل الاشتراكي، سواء كان ذلك يتعلق بشركات التوزيع أو بشركات الإنتاج، لأن عملية التخطيط الاشتراكي لا تصبح ممكنة في حالة بعثرة المشاريع الاقتصادية المختلفة على الطريقة الرأسمالية، وكذلك عملية الإشراف المركزية والقدرة على التحكم بالقطاعات الاقتصادية المختلفة تتطلبان إنهاء مرحلة التوزع الموروثة عن الفترة الرأسمالية في سياسة التحويل والإنتاج والتوزيع.

٢ - إن الاختلاف في نظام المحاسبة والأنظمة الأخرى، وفي الشروط المحيطة بالعمال، هو عامل الحاح في عملية الدمج لأن ذلك الاختلاف بالذات هو الذي يعيق فنياً القدرة على الإشراف والتخطيط المركزيين، ويترك نوعاً من التسيب في المؤسسات الاقتصادية، التسيب الذي تنفذ منه كل صعوبات التحويل الاشتراكي وكل المحاولات الرجعية للتخريب.

٣ - إن الموضوع الشخصي ثانوي جداً بالنسبة لطبيعة المعالجة وليست الصحيفة هي التي تحكم على الإنسان بل موقفه وكل امرئ مسؤول عن مواقفه اليوم أو غداً.

٢٦ آب تشير الثورة في المانشيت العلوي "فوق اللوغو" إلى انتشال الطائرة المفقودة من طبريا وسحبها إلى الأراضي السورية.. وهي طائرة الشهيد "غازي الوزوازي" التي سقطت في معركة الرد على العدوان الإسرائيلي.. في العدد ذاته الرئيس الأتاسي يهاجم قادة عرباً "الأردن.. تونس.. وغيرهم" في خطاب افتتح به معرض دمشق الدولي الثالث عشر.

الصفحة الثالثة في ٨/٢٨ تذكرنا بماضيها العريق في التقارير الفكرية والثقافية الدولية حيث تنشر على مستوى نصف الصفحة مقالين بعنوانين:

مأساة سارتر ونقاده.. لهنريت عبودي

ومأساة الوجودية السارترية: لنهاد رضا.

مرة أخرى صفحة متخصصة.. على السادسة.. بعنوان صفحة حرة تصدر صباح كل أربعاء واسم ياسين رفاعية يتوسطها وبحجم كبير ويتكرر فيها.. الأربعاء الذي سبقه كانت صفحة أخبار وصور واسم هاني الحاج.

هناك حالة من اللا انتظام.

في عدد /١/ أيلول تتحدث الثورة في مانشيت أحمر على عرض الصفحة بحماسة عن جريمة تتهم فيها الإقطاع.. أدت إلى مقتل ثلاثة فلاحين.

في عدد /٣/ أيلول تروي القصة الكاملة لما عرف بجريمة قرية الشجرة شمال سورية. ورد على صفحة كاملة "الثالثة" تنشر تفاصيل الجريمة في تحقيق صحفي أجراه الزميل هاني الحاج.. ولم تغب عنه زاويته التي اشتهر بها واشتهرت به.. "جرة قلم"

ومرة ثانية نقرأ صفحة كاملة "الثالثة" لمحمود الكعبي بعنوان:

الدم في منبج.. أسرار عن جريمة "الشجرة"

لنسحق الإقطاع

لم يكن كل ما تنشره الصحيفة حول الإقطاع والرجعية والاستعمار و.. الخ. معارك طواحين هواء.. ولم يكن عملها من أجل الاشتراكية وصداقة القوى التقدمية والدول الاشتراكية مجرد توجه نظري. ولم يكن عملها في خدمة التنمية مجرد حماسة.

لقد تغيرت هوية الجريدة في كامل بنيتها وما تنشره وتحسن مستواها الإخراجي بعد تراجع.. ابتعدت عن شخصنة الأخبار إلى حد كبير.. قللت من حجوم وعدد صور القادة.. لكنها حافظت على تشتيت الصور والأخبار دون ناظم.. وزادت تعددية كتابة المحررين.. كل منهم يكتب في كل شيء.

ها قد مرت ستة أشهر وعدة أيام على قيام حركة ٢٣ شباط التي أعطت بتوجهاتها السياسية الهوية الجديدة "نسبياً" للصحيفة والفترة نفسها تقريباً مرت على تعيين محمد الجندي مديراً عاماً..

استطاع محمد الجندي أن ينتقل بالجريدة خطوات فعلية باتجاه تمثلها للنظام السياسي ودفاعها عنه وانقيادها لأسلوبه.. بل هو أظهر كفاءة عالية في ذلك لأنه بالأصل من العصب الأساسي للنظام.

إن مانشر خلال هذه الفترة وحمل حرباً على طواحين هواء تدور بقوة ماسمته "الثورة" الرجعية والاستعمار.. كان في الحقيقة يخفي وراءه صراعاً سياسياً.. لم يلبث أن أعلن عن نفسه بوضوح في الصحيفة.. مع قدوم أيلول ١٩٦٦.

أيلول المؤامرات

في ٧ أيلول ١٩٦٦ تنشر الثورة بياناً مطولاً للقيادة القطرية تحت عنوان:

بيان القيادة القطرية يعري المتآمرين ويكشف أقنعتهم ووسائلهم وأهدافهم.

ما هي أهداف المؤامرة؟

أهي لضرب الخط الاشتراكي وسد الفرات ومنع التنمية والعودة إلى العزلة العربية والدولية؟

الثورة تجاوزت أسطورة مؤتمرات القمة والتضامن العربي وكرست لقاء القوى التقدمية العربية

الاستعمار والرجعيون والانتهازيون والمعزولون يطلبون رأس الشعب

عندما أصبح المؤتمر القومي التاسع أمراً واقعاً أسقط بيد هذه الزمرة الانتهازية المعزولة

المتآمرون اعترفوا وسيقدمون إلى محكمة الأمن القومية ومرحلة التسامح انتهت ولن ترحم يد الشعب

جماهير العمال المسلحة وكتائب الفلاحين والحرس القومي والفتوة ستبيد أي تحرك رجعي مشبوه.

صيغة هذه العناوين فيها اعتماد على حديث ورد عن مؤامرة، والحقيقة أن العدد السابق أي عدد ٦ أيلول ليس فيه شيء من ذلك باستثناء الافتتاحية التي تتحدث عن المؤامرة بشكل غير محدد.. يعني عن الفكر التآمري.

ويرد في البيان الذي نشر على كامل الصفحة الثانية إضافة إلى مانشر منه على الأولى:

عندما قامت حركة ٢٣ شباط لتضع حداً حاسماً للميوعة والغموض وتردي الأوضاع وتطلق الحزب والثورة في الطريق العلمي الثوري الواضح كانت تقدر سلفاً أن هذا الخط الاشتراكي الوحدوي السليم، المستوحى من مبادئ الحزب ورسالته التاريخية سيثير شراسة الاستعمار والرجعية وسائر العملاء الذين يحقدون على الجماهير الكادحة ويجهدون لتكريس الاستغلال والنهب والتجزئة إلى أطول أمد ممكن.

ولقد حللت الحركة جميع هذه العوائق والمصاعب علمياً وموضوعياً وانطلقت في مجابهتها والتغلب عليها من إيمانها الذي لا يتزعزع بالجماهير الكادحة وحزبها القائد ومن المضي قدماً في طريق الثورة الاشتراكية الوحدوية وتحويل أهداف وشعارات الثورة إلى منجزات جمة في الواقع، الأمر الذي يقطع الطريق على الاستعمار وينسف المرتكزات الاقتصادية للرجعية والبرجوازية والإقطاع ويزيد يوماً بعد يوم من يقظة الطبقات الكادحة وتعاظم نضالها وترسيخ قاعدة الثورة الشعبية.

يا جماهير شعبنا الكادحة إن المؤامرة كشفت وأجهضت وإن الاعترافات لا لبس فيها ولا غموض وسوف يقدم هؤلاء إلى محكمة أمن قومية خاصة لينالوا جزاء ما اقترفت أيديهم.

لقد انتهت مرحلة اللين والتسامح ولن ترحم يد الشعب الجبارة بل ستضرب على تلك الرؤوس العفنة وتسحقها إلى الأبد وتضع حداً نهائياً لأولئك الذين لم يدركوا بعد أبعاد التحولات الجذرية الحاسمة التي حدثت في مجتمعنا العربي والذين ما زالوا يعتقدون أن مجرد تجمع حاقد موتور طامع إلى السلطة يستطيع أن ينال من هذه الثورة ويضرب مرتكزاتها.

وأخيراً انزلقت زمرة عفلق والبيطار والرزاز اليمينية الحاقدة إلى مواقع التآمر على الحزب والثورة ولم تكتف بجميع ما أوقعته في الحزب من نكسات ومآس بل أصبحت الواجهة التقدمية المزيفة التي تتربص معها

ومن خلفها جميع فصائل الرجعية ومحترفي السياسة وأعداء قضية الشعب الاشتراكية الوحدوية.

أيها الرفاق المناضلون في كل مكان من أرجاء الوطن العربي.

وعندما أصبح المؤتمر القومي التاسع أمراً واقعاً تعد له وتشرف عليه اللجنة القومية التحضيرية المنتخبة والمفوضة من جميع منظمات الحزب القومية أسقط بيد هذه الزمرة الحاقدة وعزلت عن قواعد الحزب القطرية والقومية التي أدانت طرحها اللئيم لإسقاط ثورة الحزب في هذا القطر واندفعت هذه الزمر بجنون وانفعال تفتش عن أي سلاح تستخدمه لإسقاط حكم الحزب وثورة الكادحين ولكن الجماهير الشعبية لفظتها أيضاً لأنها كشفت مواقعها اليمينية المعادية للاشتراكية ومصالح الجماهير، ثم لجأت هذه الزمرة المتآمرة التي شعرت بالعزلة الخانقة ولفظتها جماهير الحزب والشعب إلى حبك خيوط التآمر، فبدأت بالرجعية وأخذت تعمل معها في جبهة واحدة ولكن اعتقال رؤوس الرجعية جاء ليشل نشاطها ويؤخره إلى حين.

وكانت تتصل في نفس الوقت ببقايا المحترفين السياسيين التقليديين الذين سقطوا وتخلفوا عن اللحاق بمسيرة الشعب ليعملوا معاً في نفس الجبهة، ثم عمدت إلى تجميع العناصر الحاقدة الموتورة من بقايا الانتهازيين والنفعيين الذين كانوا يشكلون حاشية البيطار في الحكم والذين لم تعد الثورة مزرعة لاستغلالهم البشع، كما بادرت للاتصال ببقايا ضباط المخابرات وحاشية الحافظ والعناصر المعادية للحزب وكل الذين لم يرق لهم خط الثورة الجدي الواضح، وأخيراً ربطوا بين كل هذه الفئات المختلفة، وشكلوا مكتباً عسكرياً يرأس التنظيم العسكري كما شكلوا قيادة مدنية متصلة بالتشكيل العسكري، وكانت خطة عملهم ترتكز على استخدام التشكيل العسكري للقيام بانقلاب عسكري واتباع أسلوب الإرهاب والعنف الدموي والقتل والتدمير، ثم تغطي الدول الرجعية وسائر العناصر الأخرى المعادية للخط الاشتراكي

الوحدوي تلك التحركات العسكرية الإرهابية وبعد أن حبكت هذه الخيوط دبروا أمر هرب البيطار ليكمل التشكيلات النهائية لحكمهم المقبل.

في ٨ أيلول تنتشر الثورة مانشيتاً فوق اللوغو:

جماهير الفلاحين في القطر العربي السوري تعلن غضبتها على المتآمرين.

سنسحق أية فئة تسلك سبيل المغامرات والتآمر /بالأحمر

ومانشيتات أخرى من خطاب لرئيس الدولة الدكتور نور الدين الأتاسي:

رئيس الدولة ورئيس الأركان العامة يتفقدان الخطوط الأمامية للجيش

قطاعات الشعب العامل واحدة.. المسلحة وغير المسلحة

أتت المؤامرة لتشد في عضد الاحتكارات ولتقوي مركز شركة النفط أمام مطالبتنا

يجب أن تكون رؤيتنا للمتآمرين والمرتبطين بالاستعمار واضحة كرؤيتنا المباشرة للعدو الأجنبي

أعداء الشعب لا يفرقون بين كادح وكادح وعناصر التفرقة هم دعاة الهزيمة وعملاء الاستعمار

مسؤوليتنا جميعاً أن نحافظ على التجربة ونجعلها ثورة رائدة وقدوة للشعوب

الجيش قطاع منظم مسلح من قطاعات الشعب العامل ومسؤوليته جسيمة

الثورة تبني تجربتها وتلتزم بمسؤولياتها تجاه المناضلين والتقدميين في الوطن العربي.

وافتتاحية تحت عنوان حول الفصل الأخير من مؤامرة الانفتاح:

إن المظاهرات العدائية التي تقوم بها الامبريالية العالمية تجاه سورية سواء عن طريق تحريض الرجعية أو عن طريق تحريض إسرائيل، ليست سوى رد فعل طبيعي للمواقف التحررية الحازمة الذي يقفها شعبنا في هذا

القطر. وقد وضعت جميع الاحتمالات للرد على الامبريالية منذ الثامن من آذار أي منذ أن قرر حزب البعث العربي الاشتراكي نقل الحكم في سورية من يد الرجعية إلى يد الشعب، وقد جرت أمور كثيرة منذ ذاك التاريخ استنفد فيها المستعمر أساليبه ووضع للتآمر عشرات الأقنعة التي تخفي نفس الهدف، الهدف في إعادة الطبقة الكادحة من شعبنا إلى السجن الرجعي، كانت المحاولة دوماً أن يرجع إلى السلطة بشكل أو بآخر عناصر متساهلة في قانون الإصلاح الزراعي وفاهمة لمحاسن الاقتصاد الحر ومتفهمة لوجهات النظر الغربية.. وبعد ذلك فلتناد تلك العناصر بأي شعار، لتقل إنها اشتراكية أو وحدوية أو معادية للاستعمار طالما الأمر مجرد كلام.

وكان أقصى أمنية للامبريالية أن يدوخ الشعب وأن تصبح الصور غائمة بالنسبة له كالعادة يوم الاسكندرون ويوم فلسطين، ولكنه لم يفعل وفشلت جميع المؤامرات بما فيها مؤامرة "الانفتاح" التي قضت عليها حركة ٢٣ شباط، ومن هنا كانت أزمة الامبريالية، وكانت حاجتها لرصد مليار دولار نقداً وملايين أخرى ثمن أسلحة للرجعية وتكاليف أخرى، لكي تحاصر الثورة على الأقل إذا لم يكن بالإمكان ضربها.

وما المحاولة الأخيرة سوى الفصل الأخير من مؤامرة "الانفتاح" التي رتبت عليها الرجعية والامبريالية معاً آمالاً كباراً.

لقد كان في العملية شيء من الجدة من حيث الشكل ولكنها كانت عادية من حيث المضمون ولذا كانت داخلة في جملة الاحتمالات المختلفة التي وضعتها الثورة في حسابها.

إن سر الفشل الامبريالي يعود إلى أنه ليس لديه من جديد بالنسبة للثورة، قد يحرض الكثيرين من عملائه فيكتبون أو يتحركون، ولكنه لن يستطيع تحريض الفلاح على إرجاع الأرض للاقطاعي أو العامل على إرجاع المصنع للرأسمالي، وبالتالي فإن مراكز التآمر معروفة ولهجة تلك المراكز معروفة لدرجة أنه بالإمكان معرفة أبعاد كل كلمة يلفظها العملاء.

إن الصراع مع الامبريالية مستمر وقد تصل الثورة قريباً أو بعيداً إلى مراحل أعنف، لأن خطورتها على المصالح الاستعمارية تزداد يوماً عن يوم، وقد وضعت الثورة ذلك في حسابها أيضاً، ولعلها تعتمد على تلك المراحل لنقل جدية المعركة إلى الساحة العربية الكبرى التي تشمل كل أجزاء الوطن العربي.

لتنصهر الرجعية بالاستعمار أكثر فأكثر، فإن ذلك يعجل في تصفيتها ويعجل في تصفية مصالح أسيادها، أما الشرارة التي انطلقت فلا يمكن اطفاؤها لأنها متصلة بكل ما هو كامن لدى الأمة العربية من إرادة في الوحدة والحرية والاشتراكية.

طبعاً لا يقتصر ضجيج المؤامرة على الصفحة الأولى في الثورة وما تقرؤه في كثير من الزوايا.. وعلى صوت هذا الضجيج تحدث أحداث ٨ أيلول بالسويداء.. فتتابع الثورة انشغالها بـــ "المؤامرة".

في ٩ أيلول تنشر الثورة المانشيتات التالية:

الاتحاد العام للعمال يجدد الدور الثوري والقيادي للطبقات الكادحة

المؤامرات تدفع الثورة إلى الأمام رافعة رايات النصر للكادحين

الاتحاد الممثل لآمال الملايين من الكادحين يؤكد التزامه أكثر من أي وقت بأهداف الحزب العظيم

تصفية نهائية لتحركات القوى اليمينية والرجعية والانتهازية المغامرة

منع التجول كان أمراً ضرورياً لاستكمال الخطوات الحاسمة التي اتخذتها الثورة

الإجراءات الأخيرة تدابير احترازية لمنع حدوث ما قد يخل بالسلامة العامة

مناضلو الحزب وكتائب العمال والفلاحين المسلحة والجيش العقائدي ستسحق كل من يحاول العبث بالأمن

العقبات والتحديات الرجعية والاستعمارية والانتهازية لم تزدنا إلا إصراراً على المضي في طريقنا الثورية.

وفي العدد التالي ١٠ أيلول تتابع الثورة حديث المؤامرة ناشرة بيان القطرية مع مجموعة كبيرة من المانشيتات التي تختصر ما في البيان:

بيان تاريخي تصدره القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي عن المؤتمر القومي التاسع.

ثورة الحزب في سورية جزء من ثورته القومية.

المؤتمر يؤكد على ضرورة إحلال الرابطة القومية الطبقية في الوطن العربي مكان جميع الروابط الأخرى.

انعقاد المؤتمر القومي التاسع نقطة تحول أساسية في تاريخ ومستقبل الثورة العربية المعاصرة.

الطبقات الكادحة هي الأداة الرئيسية للثورة الوحدوية الاشتراكية الديمقراطية والمصدر الذي يمد الحزب بالقادة والمناضلين.

القوى التقدمية في الوطن العربي يجب أن تتحرك بسرعة لتلتقي على أسس موضوعية.

دور قواعد الحزب في إحباط مؤامرة ٨ أيلول يؤكد أن ثورة الجماهير لا يمكن أن تهزم.

كل ذلك ولن تتوقف "المؤامرة".

هذا يعني أنه وبعد ستة أشهر من حركة ٢٣ شباط لم تستطع القيادة الجديدة أن تؤمن الاستقرار الكلي في البلاد.. واستمرت الأجواء مشحونة بشكل ما..

تستمر الثورة في التعامل مع ذيول المؤامرات، في ١٣ أيلول تنشر لقاء مطولاً مع خالد الجندي رئيس الاتحاد العام لنقابات العمال تحت عنوان:

ما هي الكتائب العمالية المسلحة؟

وفي الصفحة نفسها "الثالثة" مقالة لممدوح عدوان بعنوان معنى الكتائب العمالية المسلحة مع صورة لعاملين يقفان وكل إلى جانبه بارودته.

إنها كتائب الدفاع عن الثورة والمنجزات والاشتراكية والقوى التقدمية.. و.. وإنها كتائب الدفاع عن النظام السياسي.

في عدد ١٤ أيلول لقاء نصف صفحة على السادسة أجراه منيف حسون مع فيروز وعاصي الرحباني بمناسبة برنامجهما السنوي على مسرح معرض دمشق الدولي.. وقدما ذاك العام حفلاً غنائياً منوعاً – أي ليس أوبريتاً كما جرت العادة.

يذكر هنا متابعة الثورة الدائمة للقضية المثارة بين الحكومة الثورية وشركات النفط "شركة نفط العراق" حول عائدات سورية من مرور الخط النفطي من أراضيها إلى ميناء بانياس.. وهي خلافات أدت إلى إيقاف سورية لضخ النفط عبر أراضيها.

في عدد ١٥ أيلول ومكان الافتتاحية ودون توقيع تنشر الثورة ما يشبه البيان تحت عنوان "شعبنا يطالب شركة نفط العراق بأمواله".

ننشره هنا رغم طوله لأنه يوضح المسألة المثارة:

في عام ١٩٣١ عقدت اتفاقية بين شركة نفط العراق المؤلفة من الاحتكارات الانكليزية تمثلها شركة النفط البريطانية، والاحتكارات الانكليزية – الهولندية تمثلها شركة شل، واستاندر الأميركية وشركة البترول الفرنسية، وبنتيجة هذه الاتفاقية كانت حصة الانكليز قرابة نصف بترول العراق.

أما في سورية العربية التي كانت تحت رحمة الاستعمار الفرنسي وحرابه فقد عقدت بموجب اتفاقية ١٩٣١ هذه اتفاقية بين شركة نفط العراق وسلطات الاستعمار الفرنسي أعطي بموجبها الحق للشركة بامرار أنابيبها وإنشاء الموانئ والمطارات والسكك الحديدية والأبنية واللاسلكي الخاص والطيران.. الخ، على أن يكون ذلك المكان الذي تريد من القطر مقابل مبلغ تافه لا يزيد عن (٩٠٠) ألف ليرة سورية، وبعد الجلاء استمر هذا المبلغ بالارتفاع تدريجياً حتى بلغ عام ١٩٥٥ ما يقرب من (١١) مليون ليرة سورية بما في ذلك الفوائد المتأتية عن تبديل العملات الأجنبية وكان الشعب العربي في سورية يسمع عن مناصفة الأرباح ويعلم أن هذه الأرباح التي تنهبها شركات النفط الاستعمارية تبلغ المليارات، فظهرت اللجان

الشعبية وتفجرت المظاهرات مطالبة الحكومات الرجعية المتعاقبة بمحاسبة شركة نفط العراق.. وتحت وطأة الضغط الشعبي الجماهيري الكاسح، وفي ظل التخوف من عواقب إسقاط تلك الحكومات الرجعية ومقابل حماية هذه الحكومات واستمرارها جرت مفاوضات مع شركة نفط العراق استمرت زمناً طويلاً ارتفعت بنتيجتها هذه العائدات إلى (٦٦) مليون ليرة سورية بالإضافة إلى (٨٦) مليون ليرة سورية دفعتها الشركة عن المليارات التي نهبتها الاحتكارات الاستعمارية منذ عام ١٩٣١ حتى ذلك التاريخ.

● إن شعبنا العربي في سورية الذي ناضل طويلاً من أجل الحصول على كامل حقوقه في عائدات مرور الأنابيب في أراضيه وتحت شعار مناصفة الأرباح "الحقيقية" يعلم جيداً أن مليارات الليرات السورية بالعملات الأجنبية كانت تسرق منه بسبب وجود الحكومات الإقطاعية والبرجوازية المتعفنة، والتي كانت تدفع إلى جيوب المستعمرين بأموال الشعب وحقوقه مقابل وجودها في الحكم، وبالعكس، فإن من مصلحة ملوك البترول الاستعماريين أن تأتي إلى الحكم مثل تلك الحكومات وما يتصل بها من جيوب، وجواسيس.. ورشاوى.. وطوابير..

● إن سورية الثورة التي دمرت قواعد وأسس الوجود الاستعماري المتجسد في حكم الرأسمالية والإقطاع، فأنهتهما كطبقتين مرتبطتين – موضوعياً - بمصالح الاحتكارات الاستعمارية الدولية، والتي وضعت الأساس المادي لبناء قاعدة اقتصادية جبارة متمثلة في ملكية الشعب لوسائل الإنتاج الرئيسية، وفي جميع الانجازات التقدمية العميقة وفي طليعتها سد الفرات والاستثمار الوطني للبترول والخطة الخمسية الثانية بآلاف المشروعات التي احتوتها، سورية الثورة هي التي أسقطت منذ أيام فقط آخر أحلام الاستعماريين في الثورة المعاكسة، تقف اليوم كالطود يدعمها الشعب بمنتجيه جميعاً وبكل قواه لانتزاع آخر قرش اغتصبته الشركات الاحتكارية من أموال الشعب.

•من أجل ذلك أجبرت الثورة شركة نفط العراق على الجلوس حول مائدة "إعادة الحساب" واضعة أمام ممثلي الشركة الدراسات الرقمية الدقيقة والواضحة اللازمة لتطبيق مبدأ "مناصفة الأرباح" الذي بقي منذ عام ١٩٥٥ شعاراً فحسب.. وقد أوضحت حكومة الثورة بالحقائق الثابتة أن مبدأ مناصفة الأرباح يقضي بزيادة العائدات إلى أكثر من ضعفيها، ولما كانت عائداتنا للعام الماضي من شركة نفط العراق تبلغ (١٠٣) ملايين ليرة سورية فقط فينبغي – إذن - أن نتصور كم ضاعت على شعبنا من أموال نهبتها شركات البترول الاحتكارية حتى الآن.

•إن قضية الشعب مع شركة نفط العراق، هي قضية تطبيق مبدأ ثابت أقر بالاتفاق المعقود مع هذه الشركة عام ١٩٥٥، ولكن تواطؤ الحكومات الرجعية المتعاقبة معها حال دون تنفيذ هذا المبدأ وذلك بطرق حسابية احتيالية لا يمكن تصورها، ولسوف تكشف الثورة بالأرقام كيف طبقت أساليب الاحتيال التي أضاعت على البلاد خلال عشر سنوات فقط ما يقرب من مليار ليرة سورية بالقطع الأجنبي.

•إننا اليوم بانتظار المفاوضات الدائرة بجدية وإصرار وحزم مع شركة نفط العراق، تحت هذا الشعار الذي طالما كرره السيد رئيس مجلس الوزراء "هذه أموال الشعب ولن نفرط بقرش واحد منها".

•إن رئيس وفد المفاوضات البريطاني في طريقه الآن إلى لندن لمشاورة أعضاء مجلس إدارة الشركة بعد أن أوضح له الجانب السوري حقيقة وعدالة مطالبنا، وإننا نطلب – الشعب يطلب – أن تنتهي المفاوضات بأسرع وقت، لأن شعبنا لم يعد مستعداً للمماطلة والتسويف و"كسب الوقت" المعروفة أهدافه جيداً.

في عدد الجمعة ٩/١٦ يعود زكي الأرسوزي للنشر في الثورة في زاوية رأي حر على الصفحة الثالثة تحت عنوان مغزى شعاري العهد: الاشتراكية والبعث.

تستمر أجواء المؤامرة ومقارعة المتآمرين على صفحات الثورة مع بعض التنظيم الثقافي على الصفحة السادسة خصوصاً .

وفي ٢١ أيلول تعلن الثورة على صفحتها الأولى بالأحمر:

المؤتمر القطري لحزب البعث يبدأ اجتماعاته

طبعاً كان ذلك ضرورياً بعد حركة سليم حاطوم الفاشلة وفراره ومن معه إلى الأردن.

في العدد ذاته يعود بعد غياب طويل نسبياً عبود كاسوحة بتقرير مطول على الصفحة الثالثة تحت عنوان:

لماذا تتحسن علاقات فرنسا مع الشرق الأوسط وتسوء علاقات أميركا؟!

ماهي النقطة الأساسية التي أثارها المارشال تيتو؟!

ويعيد معه المادة الصحفية الدولية التي غابت أيضاً إلى حد كبير مع انشغال الصحيفة بالشأن المحلي.

في ٢٤ أيلول تنشر الثورة أسماء أعضاء القيادة القطرية الجديدة التي انتخبها المؤتمر القطري السادس.. على النحو التالي:

نور الدين الأتاسي – صلاح جديد – يوسف زعين – ابراهيم ماخوس – حافظ الأسد – عبد الكريم الجندي – محمد رباح الطويل – محمد عيد عشاوي – أحمد سويداني - مصطفى رستم – حبيب حداد – مروان حبش – فايز الجاسم – محمد سعيد طالب – عبد الحميد مقداد - حديثي مراد.

وتعد الصحيفة ببيان للقيادة حول أعمال المؤتمر ينشر قريباً.

يمضي أيلول دون أن يصدر البيان وخلاله تتابع الصحيفة مسيرتها المعتادة خارجة من أجواء الصراع مع المتآمرين إلى حد ما.

في الأول من تشرين الأول توضح الصحيفة تطور العلاقات اللافت مع العربية المتحدة ومانشيتها:

وفد عسكري من المتحدة إلى دمشق

في الوقت ذاته تنشر اتهاماً للملك حسين ومحادثاته في بريطانيا بالتآمر على سورية.

وفي اليوم التالي تتابع فصول مأساة السياسي المغربي المهدي بن بركة.. تقول في مانشيت من سطرين:

فصول مأساة بن بركة تتابع أمام محكمة السين.. وتكشف عن النهاية المفجعة

جثة بن بركة قُطعت إرباً في سفارة المغرب بباريس.. ونقلها مغربيون إلى الخارج

وعلى الصفحة الثالثة تقدم هنريت عبودي صفحة كاملة من حياة ونضال المهدي بن بركة.

تحاول الصحيفة منذ ٢٣ شباط وقدوم محمد الجندي أن تظهر اصطفافاً للنظام.. محلياً.. عربياً.. دولياً.. في محاولة لتأكيد هوية.. وهناك مبالغة – على الأقل إعلامية - والسؤال:

هل كان لدى النظام شيء من الشعور بالعزلة؟!

لنقرأ محمد الجندي افتتاحية عدد ١ تشرين الثاني بعنوان "صفوة القوم":

تتباكى الصحف والإذاعات الرجعية على "النخبة" التي تعرضت لضربات الثورة في سورية وذلك في جملة الحملات الإعلامية على القطر العربي السوري، والمقصود "بالنخبة الرجعية" أولئك الذين خانوا وتآمروا وتاجروا بالشعب وبمصالحه كل على حسب نفوذه منذ الحرب العالمية الأولى، وساهموا بصورة خاصة بالتواطؤ مع الاحتلال الصهيوني لفلسطين وبتسهيل مهمات الجاسوسية العالمية وخدمتها، وقد يكون المقصود أيضاً أولئك المحترفين السياسيين الجدد الذين وجدوا أسهل طريقة للمكاسب الشخصية أن يخدموا المخططات المشبوهة ويتآمروا بأشكال مختلفة على القطر.

وليس الموضوع هنا تقييم تلك الزمر الرجعية سياسياً لأن المعركة التي تخوضها الطبقة العاملة في سورية قامت بتقييمهم عملياً وقامت أيضاً

بتصفيتهم من خلال آلام طويلة عانت فيها استغلالهم الرخيص ونفوذهم القذر وستنهيهم الثورة أينما كانوا على يد الطبقة العاملة العربية.

عدا ذلك فإنهم كانوا يؤلفون ظاهرة مرضية وطفيلية في المجتمع تعوقه عن أي تطور فبقي القطر العربي السوري منذ الجلاء في عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٦١ متخلفاً زراعياً وصناعياً ولا يكاد يبلغ التوظيف الخاص الذي تطبل له الرجعية نصف مليار ليرة سورية في القطاعين الزراعي والصناعي حتى عام ١٩٦٣ مع أنه يعتمد في جزء كبير منه على القروض المصرفية، بينما تبلغ خطة التنمية الآن خمسة مليارات ليرة سورية لخمس سنوات، مع أن المعركة لا تزال بالنسبة للثورة معركة سياسية لا اقتصادية ويقع عليها كل أنواع الضغط الامبريالي، والمقارنة البسيطة بين هذين الرقمين تكفي لتقدير مدى إعاقة الطبقة الرجعية المستغلة للتطور والنمو في المجتمعات.

وليس ذلك فحسب، إنما ثمة حقيقة بسيطة أخرى هي أن تصفية الطبقة الرجعية لم تتم بعد بشكل كامل والقطاعات المختلفة محشوة بها والثورة جادة في معركة استئصال العطالة الرجعية من مختلف المؤسسات الاجتماعية، والمعنى الاقتصادي لتطهير الجيوب الرجعية في الاقتصاد والتخطيط يزيد الدخل القومي سنوياً في حدود نصف مليار ليرة سورية وذلك فقط بتعديل الاتفاقات التجارية وتنظيم عمليات التبادل الداخلية والخارجية المتعلقة بالقطاع العام.

ولكل خطوة في تصفية الرجعية مردود اقتصادي وازدهار جديد ورفع للدخل القومي ولسوية المعيشة بالنسبة للطبقة العاملة، وبذلك تكون المقتضيات الاقتصادية وحدها عاملاً كافياً لتصفية الرجعية إذا لم يكن هناك عامل سياسي.

وستبكي الصحف الرجعية والإذاعات أكثر فأكثر على "نخبتها" الغالية لأنها انتهت إلى الأبد، وستقطع كل علاقة مرضية لها بالمجتمع لأن فلولها

أيضاً ستندم كثيراً على كل الرشوات والسرقات والتخريب الذي ارتكبته أو حاولت أن ترتكبه، لأن يد الثورة ستمتد إلى كل زاوية وستسلط الضوء على كل الأوكار القذرة التي تتنفس فيها الرجعية.

في ٤ تشرين الثاني نقرأ المانشيتات المختارة التالية:

أضواء على الدور المشبوه للرزاز وعفلق والبيطار والحافظ في التآمر على الثورة

أربعة عسكريين أردنيين يلجؤون إلى القطر العربي السوري هرباً من الجو الاستعماري المحموم

أمريكا تهيئ إسرائيل لعدوان مسلح

السعودية والأردن وإسرائيل أداة الامبريالية الأميركية لتنفيذ العدوان

الاتحاد السوفياتي يؤكد تأييده المطلق لسورية العربية ويتتبع بيقظة تطور الوضع في المنطقة

في العدد الذي يليه:

وفدنا يرد على مذكرة شركة نفط العراق بمذكرة تشرح موقفنا مدعوماً بالأرقام

حكومة الثورة تؤكد تصميمها على استعادة حقوق الشعب

بورقيبة الابن يقوم باتصالات مشبوهة في واشنطن

تتجه أقلام معظم المحررين إن لم يكن كلهم لتأكيد الاصطفاف الاشتراكي العروبي - وما يتبعه محلياً.. وتتراجع مقالات المعرفة والمعلومات والترجمة والثقافة العالمية دون غياب أصحابها حتى المرحوم زكي الأرسوزي يشارك في مقالات عدة في زاوية رأي حر "داخلية" بهذه المهمة التي تتبناها الصحيفة.

في عدد ٩ تشرين أول وبعد مانشيت عن عملية لقوات العاصفة وأخرى عن وضع كتائب الفتوة في التأهب لمواجهة المؤامرة.. تورد المانشيتات

مقتبسات من بيان المؤتمر القطري الثالث المنتظر وسنكتفي بها من البيان الطويل:

القيادة القطرية في بيانها عن أعمال المؤتمر القطري الثالث

الحزب يضع أسس ثورة كاملة /بالأحمر

المؤتمر يؤكد هوية الحزب القومية المجسدة لضمان الثورة العربية الاشتراكية المحدد

عناصر الحزب هي الجماهير الكادحة والمرتبطون بها فكرياً ونضالياً

المؤتمر جعل الحزب فوق السلطة وفوق الأشخاص وقطع الطريق على الفردية والانتهازية

الاستراتيجية الصحيحة لشعبنا هي في حرب التحرير الشعبية ولقاء القوى التقدمية في المعركة

في الصحيفة بشكل عام يختل انتظام هوية الصفحات، ويغيب بعضها دون سابق إنذار.. العمال... الفلاحون.. المرأة.. وغيرها من المتصلة بالرفض الثوري.... تنشط كثيراً التحقيقات المحلية "هاني الحاج" والتعليقات الاجتماعية..

مثلاً نقرأ على نصف صفحة مقالاً لطالب أبو عابد يحوي العناوين التالية:

مسابقات ملكات الجمال

فقاعات بورجوازية تافهة في مجتمعنا الثوري

متى تطلق رصاصة الرحمة على التقاليد ؟؟؟

مسابقة بطلة عمل بدلاً من مسابقة لملكات الجمال

في ١٥ تشرين أول تنشر الثورة خبر الاعتداء على مقر الوفد السوري في الأمم المتحدة ومانشيتها الأحمر يقول:

شريعة الغاب.. في الأمم المتحدة!

٣٠ "مجهولا" يدخلون مقر الوفد السوري ويستولون على عدد من الأضابير

وتنشر ردود الأفعال على الحادث.

في العدد نفسه على الصفحة الثالثة مرة ثانية مقال كبير للأديبة البريطانية إثيل مانين.. المؤيدة للقضية الفلسطينية.

في اليوم التالي تتابع نشر ردود الأفعال على حادث الاعتداء على مقر الوفد السوري.

وفي مانشيت في اليوم نفسه تتهم السعودية بإفلاس بنك انترا في لبنان:

السعودية تنفذ تهديدها ضد لبنان وتسحب ٣٠٠ مليون ليرة دفعة واحدة

مصرف انترا يغلق أبوابه والوزارة اللبنانية تعقد اجتماعاً طارئاً لبحث الموقف

في ١٨ تشرين أول تتحدث الصحيفة عن اجتماع للوزارة الجديدة.. ولم نجد أي خبر عن تشكيل الوزارة لكن يبدو أنه كان تعديلاً طفيفاً.

في اليوم التالي تعلن الصحيفة عن افتتاح مراكز التطوع في الجيش الشعبي.

هكذا نكون أمام..

الجيش العادي.. الحرس القومي.. كتائب عمالية مسلحة.. كتائب الفتوة.. الجيش الشعبي.. فإلى ماذا يشير هذا التجييش؟!

في اليوم الذي يليه رسالة من إثيل مانين للثورة تقول فيها "كان جميلاً أن نقرأ كلمات رئيس وزرائكم المعبرة عن حرب التحرير الشعبية".

وعلى الصفحة ذاتها "٦" قصيدة لتوفيق زياد كتب عليها قصيدة من الأرض المحتلة.

طيلة شهر تشرين أول تستمر حالة التجييش والحماسة مقترنة بفوضى الإخراج على الصفحات، تغيب صفحات متخصصة وتظهر أخرى غير دورية.. تراجع عام في المستوى الصحفي مهنياً وفنياً.. تلغى زاوية رأي وحدث عن الصفحة الأخيرة ويحضر مكانها زاوية اجتهاد.. بتوقيع مجتهد..

وتدور أسماء المحررين من فرسان الحلبة.. ممدوح عدوان.. هاني الحاج.. منيف حسون.. كمال مطر.. يوسف مقدسي.. وآخرين.

كما ظهرت خلال هذه المرحلة كتابات لأسماء عديدة منها دراسات لابراهيم صقر.. ابراهيم ضاهر.. صادق رزق.. وحسين عودات "الصراع الطبقي عبر التاريخ" ومقالات وترجمات لعبد الله محمود.. هائل اليوسفي.. عبد الكريم الرحبي.. زهير بغدادي.. محمد صالح كامل.. سامي عطفة.. بديع بغدادي.. ومحمد أبو النصر.

وتكرر نشر قصص لسلوى شحادة وآخرين.

في بداية تشرين الثاني تنشر الثورة بيان المؤتمر القومي التاسع.. وجاء في العناوين التي اختارتها:

المؤتمر يتبنى إنجازات الحزب في سورية في مجال التحويل الاشتراكي وخطة التنمية الخمسية.

المؤتمر القومي التاسع يحلل أزمة الحزب ويقيّم حركة ٢٣ شباط ويقف على أبعاد مؤامرة ٨ أيلول.

الصراع الذي خاضه الحزب ضد القيادات اليمينية جزء من الصراع الواسع بين الجماهير الشعبية الكادحة وبين أعدائها.

القيادة التقليدية والعناصر اليمينية التقت مع الرجعية والاستعمار في مخطط واحد لضرب ثورة الحزب والجماهير.

أبرز ظاهرة لوحدة الرجعية وعمالتها للاستعمار والصهيونية.. موقفها الأخير من الثورة العربية في سورية.

في الثاني من الشهر نفسه تنشر مانشيتات متعددة عن وفد سوري يزور العربية المتحدة برئاسة الدكتور زعين مع صورة كبيرة لوداعه من قبل عسكريين في مطار دمشق وصورة صغيرة عن استقبال المهندس محمد صدقي سليمان رئيس وزراء المتحدة للدكتور زعين.

مع العدد، عدد خاص حول القضية الفلسطينية بمناسبة ذكرى وعد بلفور.

في ٤ تشرين الثاني تعلن الثورة عن اتفاقية للدفاع المشترك مع المتحدة – وتنسيق سياسي – وتبادل السفراء.

وفي اليوم التالي تعلن عن اجتماع ثلاثي لعبد الناصر وبومدين ويوسف زعين، وتنشر النص الكامل لاتفاقية الدفاع المشترك التي يعلن فيها:

إن أي اعتداء على إحدى الدولتين هو اعتداء على الأخرى وقيادة مشتركة.. ومجلس مشترك للدفاع.

ثم تستمر الصحيفة في هذا الجو الحماسي الثوري المشحون على أكثر من صعيد مع تراجع مهني شكلاً ومضموناً.. حتى افتتاحيات محمد الجندي التي كانت يومية لا تغيب.. بدأت تغيب أكثر مما تظهر وتغير شكلها وحتى مضمونها.. إلى درجة الشك في كونه مستمراً في كتابتها.

في التاسع من كانون الأول ١٩٦٦ تعلن الثورة أن الحكومة اتخذت قراراً ثورياً بتنفيذ الحجز على أموال شركة نفط العراق.. استيفاء لمبلغ ٣,٧٥ ملايين جنيه استرليني.. هي فروق العائدات التي دار الخلاف عليها طيلة الفترة السابقة.

وتستمر الصحيفة فيما بعد بنشر أصداء الإجراء والتعليق عليه.. ودعمه.. بكل أنواع العمل الصحفي.. ونأخذ افتتاحية عدد ١٠ كانون الأول:

الإجراء الثوري الذي اتخذته حكومة الثورة، والقاضي بحجز ممتلكات شركة النفط، لم يذهل الدوائر الاستعمارية فحسب، ولكنه جعلها تبدي تخوفها من المضاعفات التي قد تحدث في المنطقة، إذا ما أصبح منطق الثورة هو أسلوب التعامل الوحيد مع الاستعمار وشركاته الاحتكارية، وهي التي ما اعتادت أن تواجه بمثل هذا الأسلوب، ولا كانت تتوقعه، لأنها كانت تتعامل مع أجراء وعملاء من الرجعيين الذين ترتبط مصالحهم باستمرار السيطرة الاستعمارية.

لقد كانت الأجهزة الاستعمارية ترسم للأجراء دورهم وتلقنهم التصريحات والتهديدات ثم تطلب منهم أن يعلنوها للجماهير الغاضبة ليظهروا أمامها بمظهر "الأبطال" الذين يتحدون إرادة المستعمر.. حتى إذا ما انتهت ثورة الجماهير وأسلمت أمرها لأولئك "الأبطال" عادت الأمور إلى مجاريها.

واستمرت عملية الاستنزاف الاستعماري.. وبذلك كان الاستعمار يمتص نقمة الشعب وثورته ومن أجل ذلك صور الغربيون العرب، بأنهم شعب يقول كثيراً ولا يفعل شيئاً، إنهم كنار الهشيم سريعاً ما يعود إلى استكانته واستسلامه للواقع..

لكن تطوراً جديداً حدث في المنطقة العربية، أذهل المستعمرين وأوقعهم في الحيرة إذ كيف يجرؤ حكام هذا القطر على تحدي إرادة المستعمرين ورفض مخططاتهم بل ونسفها؟!.

لقد بدأت حيرة الاستعمار عقب الثالث والعشرين من شباط فالشعارات التي أطلقتها الثورة كانت بنظرهم كلاماً "عربياً" يعلن للاستهلاك المحلي، فإذا به كلام يتحول إلى عمل، وثورة تجتاح المنطقة، وثقة تملأ الجماهير اعتزازاً بثورتها، والتفافاً من حولها واندفاعاً على خط سيرها وهو في الواقع طريق الجماهير نحو تحقيق أهدافها في إقامة المجتمع العربي الاشتراكي، الموحد، مجتمع تتحقق فيه كرامة الإنسان وحريته، مجتمع تزول منه آثار الاستعمار واحتكاراته.

لهذا لم يكن غريباً أن يزداد الضغط الاستعماري وتتوالى المؤامرات التي تحاك ضد سورية الثورة.

ومن أجل إسقاط حكم الثورة التقت الرجعية العربية بالصهيونية في حلف واحد يقوده الاستعمار.. وتلاحقت الأحداث فسورية الثورة تنقل استراتيجية الدفاع تجاه إسرائيل إلى استراتيجية هجومية تدمر قواعد العدوان، وشعار حرب التحرير الشعبية يتحول إلى واقع، وسد الفرات ومشاريع التنمية تأخذ طريقها لتنفذ في الواقع أيضاً.

كانت السلطة الثورية التي تمثل مصالح الكادحين تدرك جيداً، أن تثبيت النظام الاشتراكي في هذا القطر، لن يدخلها في معركة مباشرة مع الاستعمار العالمي فقط، وإنما سينهي وإلى الأبد جميع أشكال السيطرة الاستعمارية الاقتصادية منها والسياسية، وشق الطريق أمام الكادحين العرب لإقامة مجتمعهم الاشتراكي الموحد.

وهذه الحقيقة أسقطتها الشركة من ذهنها، وهي حقيقة كان يجب أن تدركها وتدرك أن جماهير الكادحين الذين تنطق الثورة باسمهم قد أسقطوا الوصاية الاستعمارية من حسابهم وأنهم للمعركة مستعدون.

تتطور المسألة إلى شعار بترول العرب للعرب.. وتتعاطف الدول العربية مع الموقف السوري وخصوصاً المعنية.. مثل العراق حيث تحمل حكومته الشركة مسؤولية توقف الضخ وكذا لبنان.

وهكذا تصبح هذه القضية، ومعها تنفيذ سد الفرات، خبراً يومياً للصحيفة.

في ١٨ كانون أول وبعد غياب المقال الافتتاحي "صوت الثورة" عدة أيام.. تظهر الافتتاحية مجدداً بعنوان "تطورات الأزمة" ولأول مرة مذيلة بتوقيع محمد الجندي.

في العدد ذاته مانشيت علوي عن الجلسة الثانية للمحكمة العسكرية الاستثنائية لمحاكمة المتآمرين على حركة ٢٣ شباط وفي مقدمة المتهمين اللواء المتقاعد "حمد عبيد" وهو وزير دفاع سابق وكذلك هناك خبر عن عقد مع تشيكوسلوفاكيا لتوسيع مصفاة حمص بمانشيت أحمر:

أكبر مصفاة للبترول في الشرق الأوسط

تصعّد الصحيفة جداً من المعركة مع شركة نفط العراق.. مع بعض تغيير في الإخراج.. اللوغو يصبح بلون أحمر.. لكن.. المستوى الفني للصحيفة غير مدهش.

عام البداية... عام النهاية

ذاك العام ١٩٦٧.. عام البداية.. عام النهاية..

السنة الأولى في كلية الحقوق في جامعة دمشق.. في زمن لن يحرمك من التميز المالي أن تحصل على ٢١٠ ليرات آخر كل شهر.. لا تكفيني وحسب.. بل يزيد منها ما يكفي لسد الدين ولو شكلياً .. تحت شعار «نحن تعبنا وعلمناكم كي ترأفوا بحالنا عندما نكبر وتصبحون أصحاب دخول».. أعتقد أني لم أتوان عن الوفاء.. وهو سر توفيقي «دعاء والديّ»..

زمن للسحر بحق.. كل ما حولي جديد.. ربيع وأوائل صيف.. وجامعة وعالم تحت الاكتشاف.. «الثورة» وحكاية إلى حينه لم أتوقع أن تكون منذورة للحب.. لكن.. الدنيا نصيب ولا أحد يملك قدره.

الثورة لم تفتنّي كثيراً.. على العكس من ذلك شاكستني وعشت فيها مراراً بإحساس الازدراء لي.. أنا بصراحة لم أعرف كيف أقدم أوراق اعتمادي وتأخرت لأفعل.. والأساتذة فيها كانوا طلاباً أيضاً.. فالثورة بنت الثورة، جديدة بمعنى الكلمة وضمنها كوادرها عدا بعض قليل ذكر أنه سبق أن عمل في صحف..

هي حكاية الجرأة.. وما تدفعك إليه الحاجة.. ما دام لدي واسطة في الصحيفة تنقذني لم أفكر في تقديم أوراق اعتمادي بجرأة.. اكتفيت بالقرار الإداري مشفوعاً بدعم المحبين.. وخسرت نتيجة ذلك بضع سنين أمارس فيها أعمالاً مختلفة.. التصحيح.. الأرشيف.. الإخراج.. إلى أن وصلت إلى احتراف العمل الصحفي من خلال قسم التحقيقات.

وأعترف أنني لهوت عن تقديم أوراق اعتمادي لأسرف في متع الحياة اليومية.. جلسات مقاصف الجامعة وحدائقها.. ومشاوير شوارع دمشق وأسواقها وهواجس كثيرة.

و«الرضا»..؟!

رضيت بشكل ما.. نسيت فشل مشروعي لتعلم الهندسة.. نسيت أجواء المطبعة التي أعمل بها.. نسيت أن أسأل نفسي: ماذا بعد..؟!

الناس هم الذين سألوني.. أعني زملائي في الصحيفة هم الذين تساءلوا لماذا قبلت بهذا العمل.. وبصراحة لم تكن هواجس الإجابة عن: ماذا بعد..؟! قد ملأت مخيلتي بعد.

الآن وقد دخلت جو الصحيفة من بابها الضيق.. وقبل أن تولد بي تلك الهواجس أقول كلمة لكل من تابعني حتى الآن:

أنا أسير مع صفحات وأحداث وأعمدة من ورق.. ولست أقدم الملخص النهائي.. أعني أنني أقرأ بلغة الحقبة التي أتحدث عنها وليس بلغة اليوم..

اللغة التي أقرأ بها عنوانها:

«الثورة ولدت من الثورة»..

وليس عنوانها:

الصحيفة ولدت مشروعاً إعلامياً..

ليس في ذلك شيء غير طبيعي.. أرادت الثورة صوتاً لها فأحدثت الثورة.. صحيح هي ولدت من ضلع جريدة «الوحدة» وأسس لها الراحل جلال فاروق الشريف بتاريخه الصحفي في «الوحدة» لكن.. وبمسايرتها لتطورات الواقع.. واستجابتها لرغبات الناشر.. أصبحت الثورة بنت الثورة.. وليست الثورة بنت الوحدة، بغض النظر عن تقييم جريدة الوحدة.

لو دفعت اليوم بعدد من أول الأعداد التي عملت بها، وكان يملأ رأسي فخراً وروحي فرحاً.. سيسألني من تلقى مني الهدية.

ثم ماذا..؟!

أعني سيبحث عن الجريدة التي أحدثه عنها بالفخر والفرح خارج الأوراق التي أعطيتها له!! خارج الأعمدة التي تشكلها!!

لكن.. حذار من التجاوز على التاريخ.

وبكل الأحوال لن أستبق الأحداث لأجيب عن سؤال يقول مثلاً:

هل تعجبك الثورة اليوم؟!

هل غادرت أسرتها؟ أي كونها الثورة بنت الثورة؟!

ذاك العام كان عام البداية.. وهو عام النهاية..

لن يطول بي الشباب ولا الفخار ولا الفرح..

أول من زارني في الثورة من خارج العاملين «علاء»..

طالب ضابط برأس حليق .. ولا أدري إن كان حليقاً من داخله أيضاً.. وقلبه الفرح دائماً المستعد أبداً للدهشة..

قلت له:

- «ظبطت نبوءتك».

نظر إلى الجدران الزجاجية المسودة بالأحبار والأبخرة وهو يعاني من دوران الصدمة «لقد نطح العتبة لأنه طويل وهذا دفعني للشماتة به» وقال:

● لم أدر أن الأمر هكذا.. كنت أتمنى لك أفضل..

- هذا جيد.

● اختر عملاً آخر.. ستموت في هذا القبو.

- أنت الطالب الضابط الذي نعوّل على مقاومتك لتحرير الأرض تقول ذلك؟!

● أنا لا أستطيع أن أعيش هنا يومين.. اعتدت الشمس والهواء والركض.. والتدريب.

- لا أحسدك على شيء من ذلك.

● ولا أحسدك على ما أنت به.

اصطحبته إلى باب الحميدية، على جدار سوق الخجا الأمامي المواجه للشارع.. محل صغير يبيع «ليموناً جامداً» حلفت عليه وجلسنا وكل منّا بيده كأس كبيرة معبأة بهذا الاختراع العجيب وقد ضحيت من أجله بنصف ليرة.. وأخذنا الحديث في اتجاهات شتى.. سألني:

- هل هناك حرب؟!

- أي حرب يا ولد؟!

- الراديو يقول إن إسرائيل تهدد وعبد الناصر خائف ونحن مستعدون.

- أسمعت ذلك من الراديو.. أم أن أحداً نقله لك؟.

- هيك.. وهيك..

- لا أعلم شيئاً عن الحرب.. وبكل الأحوال أنت ما زلت فرخ ضابط.. لن تحارب..

- غلطان سيزجوننا إن وقعت الحرب..

كان الحديث طويلاً وتراجعت عن التمادي في حديث الحرب.. شعرته متحسباً.. ربما خائفاً بعض الشيء.. أعطيته الجريدة ومشينا على طول شارع النصر حتى الحجاز... من هناك ركب عربة باص وغادر إلى حمص..

منذ ترافقت معه في ٢٥ شباط ١٩٦٦ للتحري عما حصل في حي الروضة بدمشق قبل ذلك بيومين، رأيت وجهه يرتدي الجدّية ويفتقد الاندهاش المفرط.

حدثته بفخر عن الصحيفة.. وعن العمل.. واختصر هو ليقول: لن تكون صحيفتك قبل أن يظهر اسمك فيها.. اترك هذا العمل..

علاء سريع دائماً.. متسرع.. مندهش.. ليس لديه وقت ينفقه من أجل ولادة الحب.

وثائق أخرى للتيه..

في عامها الجديد تظهر جديدها.. في عددها الأول لهذا العام ١٩٧٦ تغيير في بيئة وإخراج الصفحة الأولى.. ميل واضح للمساحات الطولانية في الصور وفي الأعمدة.. اللوغو رأس طير جارح في حالة استنفار وكلمة الثورة.. بخط نسخي ممتد عرضاً، ضيق ارتفاعاً.. باللون الأحمر.. وإلى جانبيه خبران بمستطيل.. أما عبارة وحدة حرية اشتراكية فقد وضعت على شبك بعرض أقل من (١) سم في أعلى الصفحة.

الافتتاحية على عمود واحد يسار الصفحة بخط عادي غير مميز تستمر مذيلة بتوقع محمد الجندي.

تظهر الصفحة الأولى تلازماً كان مفقوداً بين الخبر والصور والمانشيتات وهي نقلة معقولة.. توزع مانشيتها إلى علوي يودي لخبر جانبي على عمود على يمين الصفحة.. وتحته الخبر الرئيسي وهناك استخدام للون آخر في عناوين بعض الأخبار.

تكتظ الصفحة بالأخبار الصغيرة (عمود).. حيث في هذا العدد ٢٠ خبراً على عمود بعناوين حرف مطبعة.. واثنان على عمود بعنوان مكتوب: وثلاثة بعناوين أحمر اثنان منهما مع صور شخصية.. وثلاثة بعنوان سطر مطبعي على عمودين.. وقطعة واحدة على ثلاثة أعمدة وأخرى على عمودين.. وصورة طولانية "دمشق في رأس السنة" وكاريكاتير لعلي فرزات.

هذه "الذوذقة" أظهرت الصفحة أشبه بإمساكية رمضان.. سنتجاوز الصفحات الداخلية التي نشرت ملحقاً لأحداث ١٩٦٦ وننتقل إلى الصفحة الأخيرة التي تشهد انقلاباً كاملاً..

إلغاء الخبر السياسي .. والتحول إلى أخبار وتقارير علمية وفنية وثقافية وطرائف وكتابات رشيقة.

هناك تغير في الإخراج وصور لاحتفالات رأس السنة.. وقد غابت زاوية "حدث ورأي" وحضرت مكانها "كل عام.. كلمة" على عمود مسار الصفحة احتل الأولى فيها عبد الله السيد بعنوان "أطفال بلا دموع".. ولم تكن الاطلالة الوحيدة له.. فقد نشر على الصفحة السادسة تحقيقاً صفحة عن الحياة الشعبية وحديث إبن الشعب.

لقد أبدع عبد الله السيد في التحقيق الصحفي في الثورة ويعتبر استاذاً مباشراً وغير مباشر للعديد من محرري التحقيقات الذين قدموا إلى الثورة وبينهم أنا.

في الأعداد التالية تتابع الصحيفة بما يؤكد التغييرات التي وقعت على عدد بداية العام دائمة.. توزع الصفحات استمر على ما هو تقريباً وما زالت الصفحة الثالثة تتجه أكثر إلى الشأن المحلي.

الصفحتان المحليتان.. الرابعة تروس بشريط للصور المحلية في حين تأخذ الخامس ترويسة "الأنباء المحلية" وفيها زاوية مواعيد.. برامج الإذاعة والتلفزيون والأفلام السينمائية والكلمات المتقاطعة والطقس إلى آخره.. وتأتي كلها تحت عنوان "ألوان" وفيها زاوية محلية باسم كلمة اليوم وزاوية باسم هاتف المحافظات.

في ١٩٦٧/١/٤ تنشر الثورة صفحة مناقشات حول الاتحاد النسائي المزمع تشكيله.. إعداد ممدوح عدوان.. ويشارك فيها محمد الجندي المشار إلى كونه المدير العام لمؤسسة الوحدة.. وفتحي عبد الحميد الذي يشار إلى أنه رئيس تحرير الثورة.. هذا يعني أن الجندي لم يتول رئاسة التحرير منذ البداية.. واستمر فتحي عبد الحميد الذي يبدو أنه كان يتبوأ الموقع قبل مجيء الجندي في عمله كرئيس تحرير، وهذا يعني أيضاً أن محمد الجندي عمل دائماً مع رئيس تحرير ولم يحصرها فيه.

السبت ١/٧ تظهر صفحة بعنوان نضال الاتحاد الوطني لطلبة سورية.. تقديم "لجنة الدعاية والنشر".. إعداد: طالب أبو عابد.. صفحة حماسية جيدة.

الأحد ٢٩ كانون الثاني تنشر الثورة بياناً للقيادة القطرية حول "معركة البترول" والذي يتعلق مباشرة بالخلاف القائم مع شركة نفط العراق..

في العدد نفسه وعلى الصفحة الأولى مانشيت:

"فهد الشاعر أمام المحكمة العسكرية الاستثنائية برئاسة المقدم الركن مصطفى طلاس: الرزاز كلفني التعاون مع سليم حاطوم"

والخبر لا يحتاج أي تعليق...

مانشيت الثورة في اليوم التالي:

اعترافات جديدة للمتهم فهد الشاعر أمام المحكمة العسكرية الاستثنائية

توزيع المناصب بين المتآمرين

الاتفاق على تعيين الشاعر وزيراً للدفاع والحاج علي رئيساً للأركان وحاطوم قائداً للواء مدرع ومسؤولاً عن أمن الجيش وإدارة شؤون القيادة.

في اليوم الأخير من الشهر الأول يجري منيف حسون لقاء جريئاً مع محمد الجندي المدير العام لمؤسسة الوحدة حول عمل المؤسسة وصحيفة الثورة وعلى هامشه زاوية لياسين رفاعية:

نأخذ العناوين ومقدمة المقابلة:

لقد تعرضت صحيفة الثورة بالنقد، والتحليل، لعدد من الرواسب الرجعية والشاذة في مجتمعنا الجديد، وهو يمر في مرحلة التحويل الاشتراكي، وقد لاحقت تلك الرواسب بشكل جزئي أحياناً، وبشكل كامل أحياناً أخرى في مجالات متعددة: في الإدارات والمؤسسات العامة والمجتمع.

وكان ثمة ملاحظات يتلقاها المحررون في الجريدة من بعض الأخوة المواطنين: (لماذا لا تتعرض الصحيفة إلى المؤسسة التي تصدر عنها..؟!)

أعجبتني الفكرة، صحيح، لماذا لا نطرح موضوع المؤسسة مع المسؤول عنها..؟ ولماذا نتهرب من ذكر أخطائنا، إذا كانت هناك أخطاء..؟

كيف ستكون الأسئلة؟!

ومع الأستاذ محمد الجندي المدير العام لمؤسسة الوحدة للطباعة والنشر والتوزيع كان لنا حديث عن المؤسسة نفسها.

ثم تأتي العناوين التالية:

المؤسسة وبحكم تركيبها وإمكانياتها عاجزة عن القيام بالوظيفة المطلوبة منها

ما هو واجب الأجهزة الإعلامية في قطرنا؟

ليس عندنا فائض في جهازي التحرير والإدارة.

تطوير المؤسسة يكون بتوسيع الإطار الفني والمطابع وتعديل النظامين المالي والوظيفي.

يمضي الشهر الأول من عام ١٩٦٧ مع التغييرات المطروحة، حماس أشد للاشتراكية وانخفاض في نغمة التجييش.. سيطرة للمادة المحلية.. وجرأة في المقالات والزوايا.. وتتابع الصحيفة جهودها في متابعة إحداث الاتحاد العام النسائي إضافة إلى دعم الموقف من شركة نفط العراق.. وبناء سد الفرات.

يغيب كمال مطر كلياً عن الصحيفة.. ونشهد حضوراً نشيطاً لـــ "جاد بوز – محمد المصري – نصر الدين البحرة" إضافة إلى النشاط المستمر لممدوح عدوان الذي لا يغيب اسمه تقريباً، وأكثر من مرة في العدد الواحد.. وهنريت عبودي.. يوسف مقدسي.. عبد الله السيد.. هاني الحاج.. وسليم خليفة.. جروان السابق وغيرهم...".

تطرح الصحيفة أسماء جديدة.. مروان حداد – حسان منير – محمد أبو خضور – أحمد سليمان الأحمد.

شباط لا جديد على المستوى المهني.. على المستوى السياسي، يستمر التخفيض من لغة التجييش وزيادة تلاحم مع عبد الناصر والعربية المتحدة..

حتى إن الثورة تدافع عن سياسة المتحدة على صفحتها الأولى في الثاني من شباط.. وتتابع قضية إفلاس بنك انترا اللبناني بالمانشيتات وأيضاً بالافتتاحية.. نأخذ افتتاحية محمد الجندي حول بنك إنترا:

بين عشية وضحاها تحول بنك انترا من أداة ازدهار اقتصادي إلى موضوع فضيحة واسعة تتناول سياسيين ورجال أعمال وإلى مركز شبكة من العلاقات السياسية المشبوهة كشفت ملامح بعضها وبقيت قطاعات منها مظلمة غير قابلة للكشف. وكان ذلك في درس واضح لا للطبقة العاملة من شعبنا العربي فحسب، بل للبورجوازية العربية أيضاً، ولاسيما التي تأتي في الدرجة الثانية إذ تجد أن كل ملكيتها في النظام الرأسمالي عرضة للذوبان في أية لحظة، إذا أودعت في مثل انترا.

الاقتصاد الحر في الحقيقة ليس سوى اقتصاد احتيالي وليس انترا مثالاً نادراً أو وحيداً، لأن الاحتكارات الكبرى الأوروبية والأميركية لم تصبح (احتكارات) إلا بعمليات التزييف الكبيرة. تاريخ التروستات تاريخ أسود يمكن الاطلاع عليه حتى في الكتب الاقتصادية المدرسية.

وعمليات الاقتصاد الاحتيالي تحولت إلى أعراف شرعية لأن الاحتكاريين هم الذين يمارسون عملية الحكم ليحموا أنفسهم في البلدان الرأسمالية. ومن المعلوم أنه لا يمكن لأي عامل أو حتى لبرجوازي صغير أن يصل إلى البرلمانات الرجعية والرأسمالية في العالم، من الكونغرس الأميركي حتى أصغر برلمان، عدا أن البرلمان مهما كان طيعاً يصبح عبئاً على السلطة الرجعية بعد فترة ويتحول إلى مجلس صوري لا عمل له.

إن بيدس[(١)] ليس الوحيد في العالم وإنما رجال الأعمال الكبار الذين يتلاعبون بالسياسة الدولية ويتاجرون بثروات الشعوب وبالحروب، ويعرضون العالم للدمار بين يوم وليلة بالجنون الذري، ليسوا سوى لصوص بيدس أشرفهم، وتبقى معهم حقوق المجتمعات وحقوق الأفراد على كف عفريت.

---

(١) يوسف بيدس مدير بنك أنترا المفلس.

أولئك الذين يودعون أموالهم في البنوك السويسرية ليجدوها عندما يهربون، ماذا يفعلون في حقيقة الأمر؟ إنهم ليسوا سوى زبائن دسمين لتجار الودائع السرية الذين يشبهون إلى حد بعيد تجار المسروقات، وكما يمتص هؤلاء زبائنهم من اللصوص، تمتص تلك المصارف زبائنها من المذعورين من شعوبهم، وستكون الودائع مثلها في يد بيدس.. أية هزة اقتصادية في الاحتكارات الأوروبية تبخرها العمولات المختلفة.

الدرس واضح جداً ولكن لن تتعظ البورجوازية التي كمن يتعاطى المخدرات لا يمكن أن تعيش بدون مخدرات.

على الصفحة ذاتها خبر كان يومها جدياً وأصبح اليوم طريفاً عنوانه يقول:

"العمل في تمديد الخطوط الحديدية بين معان والمدينة المنورة يبدأ الشهر القادم".

وهو ما لم يبدأ حتى اليوم.

في ٥ شباط هناك مانشيتان يتقاربان: الأول عن استئناف محاكمة المشاركين في "مؤامرة الثامن من أيلول" التي حصلت في مدينة السويداء.. والمانشيت الثاني:

ناطق رسمي يقول:

ما أعلنه الضابط الأردني جاء تأكيداً للمعلومات التي لدينا

وضعنا يدنا على الأموال التي أرسلها حسين.

كان ضابطاً أردنياً "الرئيس الركن رشيد محمد يوسف حما ريشة" قد فرَّ إلى القاهرة ونبه عن مؤامرة ضد سورية يشارك فيها الضباط الفارون أنفسهم "مجموعة سليم حاطوم".

في العدد نفسه على الصفحة الثالثة ندوة صفحة كاملة مع بقية عن التحويل الاشتراكي في قطاع التجارة الداخلية، أشارت الصحيفة أنها إعداد يوسف مقدسي وتنسيق طريف حاكمي الذي يظهر اسمه للمرة الأولى..

وتظهر الصفحة السادسة بتركيبة مستحيلة وهي التي خصصت غالباً للأدب والثقافة والفنون.. ففيها زاوية لمنيف حسون عن الروتين في دائرة شؤون الطلاب بالجامعة، ومادة رئيسية لعبد الله السيد عن محاكم العمل وقضايا العمال، ومادة للدكتور نجيب حداد عن توصيات المشتركين في ندوة مناقشة أفلام السينما، ومادة لطالب أبو عابد عن مشكلة الإعانات الجامعية، ومادة لـــ "ويليام مسوح" هكذا ورد اسمه وقد عرفته فيما بعد بـــ "وليم مسوح" والمادة على الأغلب مترجمة عن الفرنسية حول زرع الخلايا السرطانية في جسم المصاب.

بمثل هذا التنوع كانت الصحيفة تعد أيامها.. ولا سيما في صفحات المقالات والتقارير وهي بشكل عام الصفحتان الثالثة والسادسة.

تنوع غير مريح – في حين لم تعد الصفحات المتخصصة تحقق الدورية المطلوبة.

في الحادي عشر من شباط يحدث تغيير طفيف على إخراج الصفحة الأولى.. بحيث تنقل الافتتاحية التي استمرت تذيل بتوقيع محمد الجندي.. وتوزع مجموعة من الأخبار فوق المانشيت "ستة أخبار" وهي كقطع إخبارية بعناوين مكتوبة ... دولية وعربية.

وفي الصفحة إشارة إلى أنه في هذا اليوم ١١ شباط سيذاع البيان السوري السوفياتي المشترك.. وكان وفداً حزبياً برئاسة صلاح جديد قد زار موسكو وعاد ولم يصدر بيان، فيما نقل في حينه عن خلافات في وجهات النظر بين حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي السوفياتي تتعلق بالموقف القومي للبعث والقضية الفلسطينية.

في اليوم الثاني ينشر البيان وجاء في عناوينه:

نص البيان المشترك بين حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي السوفييتي.

تأييد نضال سورية ضد الاحتكارات البترولية.

الحزب الشيوعي السوفييتي يشيد بنضال الشعب وحزب البعث لتحقيق وحدة الكادحين العرب.

الحزبان يعلنان تأييدهما الكامل لنضال عرب فلسطين.

ويشجبان دسائس الامبريالية والرجعية وسياسة العدوان الصهيوني.

دعوة وفد من الحزب الشيوعي السوفييتي لزيارة القطر العربي السوري.

كما جاء في افتتاحية محمد الجندي:

إن حزب البعث العربي الاشتراكي له ثورته في القطر العربي السوري وله مسيرته النضالية على صعيد الوطن العربي وله أيضاً مواقفه الدولية.

وكان بدهياً أن تلتقي سورية الثورة بالمعسكر الاشتراكي في أكثر من مجال، لأنها خصم طبيعي للامبريالية التي تضع يدها على فلسطين وعلى موارد الوطن العربي الأساسية ولا يمكن أن تخرج إلا بالقوة ومن خلال نضال شاق طويل، وهناك سبب حيوي آخر وهو أن سورية الثورة اختارت طريق الاشتراكية فلا بد من أن تستفيد من التجارب العالمية وتتعاون معها للتغلب على مختلف الصعوبات التي تقف في سبيل عملية التحويل الاشتراكي المحاصرة من قبل الامبريالية.

واللقاء الرسمي بين سورية الثورة والاتحاد السوفييتي واضح ولا سيما بعد حركة ٢٣ شباط، وكان لذلك أثر كبير على الصعيدين العربي والدولي.. وسافر وفد حزب البعث العربي الاشتراكي إلى الاتحاد السوفييتي لترسيخ ما هو أبعد من اللقاء الرسمي وإيجاد النقاط المشتركة في المسيرة النضالية للحزبين وكانت حصيلة المحادثات البيان المشترك الذي يوضح مدى الجدية والشمول اللذين رافقا ذلك الحوار الحزبي.

وكان ذلك طبيعياً أيضاً لأن للحزبين المواقف نفسها من الامبريالية التي تقوم اليوم بأوسع عدوان عسكري واقتصادي على الشعوب فتستهدفها برصاصها واحتكاراتها معاً وتلقي بذلك على هذا العالم كابوساً ثقيلاً تكلف

اليقظة منه أنهاراً من الدماء البريئة، كذلك للحزبين الموقف نفسه من ضرورة انتصار النظام الاشتراكي في العالم كي يضع حداً لمختلف ألوان الاستغلال المسلط من طبقة على أخرى أو من شعب على آخر، وللحزبين أيضاً الموقف نفسه من حق الشعب العربي في تقرير مصيره ولاسيما عرب فلسطين الذين تعرضوا لاحتلال أرضهم وتشريدهم في المؤامرة الامبريالية الكبرى.

إذاً فاللقاء كان دقيقاً وجدياً وتأتي أهميته من أنه يساهم في نقل لقاء القوى التقدمية إلى حيز الواقع العملي وجعله حقيقة قائمة، الأمر الذي لا بد منه والضروري جداً لتجنيد الطاقات الشعبية العالمية في الصراع الكبير مع الامبريالية.

إن المهمة التاريخية لإنسان اليوم هي أن يدفع ضريبة القضاء على العدو الكبير المتمثل بالامبريالية، ولن يستطيع ذلك إلا إذا التقت الشعوب فيما بينها في استراتيجية موحدة لخوض المعركة ضدها، ويستلزم ذلك أن ينتصر اللقاء الحقيقي بين الشعوب الثائرة والمعسكر الاشتراكي وفي هذا المجال تكمن أهمية المحادثات التي تمت وأهمية البيان المشترك وأهمية كل حوار الآن وفي المستقبل بين الشعوب.

يمضي شهر شباط دون تغييرات ظاهرة تذكر.. الانشغال الإعلامي بعناوين عدة:

محاكمة المشاركين بمؤامرة ٨ أيلول بالسويداء.

متابعة الخلاف مع شركة نفط العراق وطرح شعار بترول العرب للعرب.

لقاء القوى التقدمية.

الاهتمام بأخبار المتحدة والثورات العربية في جنوب اليمن وغيره والدول الاشتراكية.

التحويل الاشتراكي..

أبطال الحلبة أنفسهم تقريباً.. وثمة أسماء جديدة بينهم: أنور يونان – سنية صالح "قصة" - فيصل عبد الله –كنعان فهد – وعباس ياغي.

ويلاحظ أن الصحيفة لم تنشغل كثيراً بالذكرى الأولى لحركة ٢٣ شباط.. بل اكتفت بنشر بيان القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي في ٢٥ شباط.

في ٢٥ شباط تنشر الثورة على صفحتها الأولى تفاصيل الاتفاق مع شركة نفط العراق الذي ينهي الخلاف المستمر لبضعة أشهر والذي أدى إلى حجز ممتلكات الشركة من قبل الحكومة السورية.

مانشيتات الثورة تقول:

زعين يذيع بياناً بمناسبة انتصار الشعب في استعادة حقوقه من العائدات.

رفع الحجز عن ممتلكات شركة النفط.

عقد اتفاقية متممة تنفيذاً لقرار مجلس الوزراء رقم ٨٥٣.

المعدلات الجديدة تزيد الدخل القومي سنوياً بما ينوف على ٥٥ مليون ليرة.

وتنشر نص البيان مع نص الاتفاق الجديد وهناك افتتاحية مغفلة التوقيع بعنوان: على هامش الانتصار.

الإعلام السوري في حينه ابتهج كثيراً بالاتفاق الجديد.. وسماه الانتصار من جهة، ورضوخ الشركة الرأسمالية من جهة أخرى.. وقد كان للاتفاق أهمية فعلاً.. ليس فقط لأنه يزيد من الدخل القومي بمبلغ ٥٥ مليون ليرة وهي تساوي نحو ١٣ مليون دولار أميركي في حينه، بل لأنه إقرار من شركة نفط العراق بأنها كانت تتعمد هضم حقوق سورية من جراء نقل النفط عبر أراضيها.. والسؤال الذي طُرح يومها:

إذا كانت سورية تعرضت لهذه الخسائر لمجرد مرور النفط من أراضيها.. ما مجموع ما تخسره الدول العربية المنتجة للنفط؟!

هناك اهتمام يومي في الثورة بالأخبار والتقارير والدراسات بثورة جنوب اليمن.. وأيضاً هناك هجوم يومي على إحدى الدول العربية أو أكثر من دولة وكانت تسمى بالدول الرجعية.

ويمكن أن نأخذ الموقف الإعلامي في الثورة حول الموضوعين من افتتاحية لمحمد الجندي في عدد الرابع من آذار ١٩٦٧ بعنوان الرجعية دوماً:

من المعلوم أن الامتيازات الممنوحة للاحتكارات البترولية في الوطن العربي هي من أشدها إجحافاً ليس فقط بحقوق الشعب وإنما أيضاً بالنسبة للعائدات التي تتلقاها الرجعية، تكفي المقارنة مع فنزويلا أو غيرها لنعرف أن تلك الأموال التي تبني القصور وتستورد طائرات العطور وطائرات الكلاب من أوروبا ليست سوى جزء رمزي من أرباح الاحتكارات.

معنى ذلك أن الرجعية العربية وأجهزة الإعلام التابعة لها هي آخر من يحق لها التعليق على معركة البترول التي خاضتها سورية والتقرير فيما إذا كانت النتيجة التي وصلنا إليها مع شركة النفط البريطانية فيها أو ليس فيها غبن.

إن سورية خاضت المعركة وليس في أراضيها سوى جزء من أنابيب الشركة ذات الامتياز ولا تتمتع منشآتها لدينا بأية حقوق فيها تجاوز على سيادة القطر، وإنما مفروض عليها أن تتقيد في علاقاتها بكل القوانين النافذة وأوامر السلطة الإدارية المحلية التي تقع منشآت الشركة في مناطق صلاحياتها.

وحددت سورية مطالبتها بتغيير أساس الحساب في تنفيذ اتفاقية عام ١٩٥٥ ووضحت ذلك في كل التصريحات والبيانات التي صدرت عن المسؤولين، كما حددت الأساس الذي تطلبه، وكان يمكن أن يحل الموضوع مباشرة ومنذ المرحلة الأولى في المفاوضات لأن حله يتفق مع المصالح الاقتصادية للشركة وفي كل يوم يتوقف فيه ضخ النفط تخسر أضعاف ما تخسره بالاستجابة لتصحيح الحساب.

ولكنها هي المعتادة على إخضاع الحكومات وقلبها واستبدالها، أرادت أن تحول العملية إلى معركة سياسية وماطلت وسوفت بينما هي تتحرك في الخفاء وتحاول أن تخلق التناقض في الموقف بين سورية والأقطار العربية الأخرى، في الوقت الذي كانت فيه سورية عالمة بأبعاد الموضوع ومستعدة لخوض المعركة حتى نهايتها.

وعلى عكس ما كانت تتوقعه الشركة فإن تأييد الجماهير والقوى التقدمية لسورية كان رائعاً لا في الوطن العربي فحسب وإنما في كل العالم. تدفقت الوفود المؤيدة من لبنان وانهالت البرقيات من العراق بصورة خاصة ومن كل الجهات، وصدرت قرارات التأييد من أغلب المنظمات التقدمية الطلابية والعمالية والسياسية في كل مكان، وبدلاً من التناقض مع العراق فإنه وقف مع المتحدة على الصعيد الرسمي إلى جانب سورية.

كل ذلك بالإضافة إلى عوامل أخرى عددية دفع الشركة إلى الاستجابة للمطلب السوري وعقد الاتفاقية المتممة التي تقر الأساس الجديد للحساب كما تنص في المادة ٣ منها على مايلي:

"يوافق الفريقان على مراجعة الحسابات عن المدة الواقعة بين الأول من كانون الثاني عام ١٩٦٥ على أساس كل ما تضمنته الاتفاقية المتممة ١٩٥٥ وملاحقها".

ذلك يعني بكل بساطة أن الشعب في سورية بجماهيره، بعماله وفلاحيه، بحزبه القائد قد ربح الجولة وسيستمر في مسيرة الثورة.

إذا عدنا إلى الرجعية العربية فإن دفاعها المستميت عن مصالح الشركة بالدس والتشويش والتآمر، وأيضاً بالغمز من أهمية الانتصار الذي حققه شعبنا، يساهم بفرزها وفضحها وتعريتها وسوف يساهم بتصفيتها في بقية الأقطار العربية. إنها ستتلقى وخز المسلات الحادة من الشعب لتطالب بتعديل الشروط الجائرة في الامتيازات الممنوحة ولتسير في اتجاه الاستثمار الوطني للبترول، وبما أنها لا تستطيع أن تسير إلا باتجاه خدمة المستعمر

والتواطؤ معه فسوف تقع في التناقض التاريخي الذي ينهيها ويحرر شعبنا العربي إلى الأبد.

في العدد ذاته جاء في المانشيتات:

الجماهير تبارك انتصار الثورة في معركة النفط.

الانتصار ضربة للرجعية وانطلاقة نحو تأميم البترول العربي.

الصدى الكبير لانتصار سورية الثورة في معركة البترول.

الأوساط اللبنانية والعراقية ترحب بما حققته سورية.

بغداد: حل المشكلة انتصار للشعب العربي في القطرين.

بيروت: كل اتفاق لمصلحة سورية سينعكس لمصلحة لبنان.

وصل النفط.. وأول ناقلة تشحن حمولتها من بانياس أمس.

وفدا حزب البعث وجبهة التحرير الجزائري يعقدان اجتماعهما الأول.

انشقاق بين أفراد العائلة المالكة في السعودية.

توقع إجراء تعديل وزاري يتبعه تغييرات كبيرة في أجهزة الحكم.

هذا يعني أنه مبدئياً لم تسحب من الجريدة ورقة الخلاف مع شركة نفط العراق كمادة صحفية دائمة.. وسنرى كيف؟!

في اليوم التالي تنشر الثورة على صفحتها الأولى بالمانشيتات والتفاصيل الكلية مؤتمراً صحفياً ليوسف زعين حول الاقتصاد وجاء في المانشيت:

انتصارنا بداية لطريق طويلة.

مادام البترول العربي تستغله الامبريالية فالمعركة ستظل قائمة.

وتقريباً كل الصفحة منشغلة بالحدث وذيوله.. باستثناء جزء خصص لاعترافات المحاكمين أمام المحكمة العسكرية الاستثنائية.

وهناك افتتاحية عن الحدث أيضاً..

الصفحة الثالثة أيضاً مخصصة لمسألة التغطية على هامش "الانتصار".

في العدد التالي ٧ آذار أيضاً، الحال ذاته، ذيول الانتصار، إضافة إلى بدء الاحتفالات بذكرى ثورة ٨ آذار وهناك قطعة كبيرة عن تشييع جثمان

الزعيم الإيراني الدكتور محمد مصدق.. ولا تخفي الصحيفة تعاطفها مع الراحل وقضيته ومحنته.

عدد ٨ آذار باثني عشرة صفحة وملحق خاص من ٣٢ صفحة حجم صغير نصفه إعلانات منجزات.. كذا عدد ٩ آذار.. خاص بالثورة وفيه صور وأخبار العرض العسكري الذي أقيم.. لكن افتتاحية محمد الجندي كانت للرد على الشيخ بيار الجميل والعدد كله منجزات.

في ١١ آذار تخرج الصحيفة من المناسبة.. وتتابع مسيرتها المعتادة.

تميل الصحيفة مرة أخرى للمقالات والدراسات المطولة.. وهناك قلة في عرض النشاطات الثقافية وتأخذ المقالات والزوايا والقصص والقصائد والترجمات أهم ما ينشر في الصفحة الثقافية.

تراجع في وضع الكاريكاتير.. غاب علي فرزات عن الأولى وظهر قليلاً في صفحات أخرى وغاب المارديني عن الأخيرة.. الافتتاحية أخذت وضعها على الجزء السفلي من يمين الصفحة على عمودين..ونقل اسم الكاتب إلى الأعلى تحت العنوان وظهرت لأول مرة يوم الجمعة ١٧ آذار بتوقيع محمود الكعبي.

في اليوم التالي ١٨ آذار.. عادت الافتتاحية بتوقيع محمد الجندي.

خلال شهر آذار تظهر الصحيفة أكثر من مرة بـــ ١٢ صفحة عوضاً عن ثمانية.. لكن دون تحسن في مستوى المادة المنشورة.. بل أعطيت الصفحات المضافة لمصلحة التقارير مفرطة الإطالة عن الانجازات وغابت تقريباً بشكل كامل الصفحات المتخصصة.. مرأة.. طلبة.. عمال.. فلاحون!!.

بأم عيني

مع وصولي إلى صفحات شهر نيسان ١٩٦٧ لا بد لي من التوقف قليلاً لأعلن عن عامل تأثير هام في سيرورة هذا الكتاب.. سنتابع معاً إلى حد مقبول صفحات الجريدة.. ونأخذ أمثلة على تطور وتغير أسلوب العمل الإعلامي فيها.. ولن تغيب عن تطورات الشأن السياسي الخارجي والداخلي الذي يعتبر المحدد الأول لسياسة هذه الجريدة.

الجديد.. أنني في نيسان هذا أصبحت من عداد العاملين في صحيفة الثورة.. وبالتالي على تلاصق أكثر معها.. وعوضاً عن أن تكون الذاكرة الورقية للصحيفة المصدر الرئيسي الأهم لما أقدمه.. ستشاركها بالمهمة ذاكرتي الشخصية.

٢٤ نيسان ١٩٦٧ صدر قرار الأستاذ محمد الجندي بتعييني مراجعاً في صحيفة الثورة براتب شهري قدره ٢١٠ ليرات.. "ويا أرض اشتدي".

دخلت مؤسسة الوحدة والثورة.. وبدأت ألامس ما كنت ومن كنت أتخيله تخيلاً.

بدأت عملي في قسم التصحيح، أعتقد كان يرأسه الزميل علي ديبو ومن هنا بدأت أتعرف على الأشخاص..

تعرفت على محمد الجندي.. وعلى محمود مصطفى.. واسمه الرسمي محمود ابراهيم أحمد..كان يقوم بمهمة رئيس تحرير.. وهو صديق شخصي لمحمد الجندي.. عملا معاً في ثانوية النهضة الوطنية الخاصة في بانياس.. التي كان يديرها محمود مصطفى ومحمد الجندي أستاذ رياضيات فيها.

كان محمود مصطفى رحمه الله رجلاً بسيطاً كريماً محباً للناس وأبعد ما يكون عن الصحافة وعقلية وشخصية الصحفي.. وبكل الأحوال لم يطل به المقام بعد ذلك التاريخ.

إذاً أنا الآن لست مقتبساً من أوراق الثورة الصفراء المقدسة بالنسبة لي وحسب بل شاهد عيان أيضاً.. إن يضل أحدنا يذكره الآخر.

يبدأ نيسان بخبر مانشيت عن فوز القائمة الطليعية التقدمية حسب وصف الصحيفة بالإجماع في انتخابات المؤتمر العام الثالث لاتحاد طلبة سورية.. وأن يتولى هذا الخبر دور المانشيت، إشارة واضحة لإيلاء المنظمات الشعبية – بما فيها الوليدة – اهتماماً كبيراً.

المانشيت الذي يليه:

"١٢٨" ألف مقاتل مدرب منظم مسلح

من الفتيان والفتيات والحرس القومي في العام الحالي.

مع صورتين من مهرجان الفتوة والحرس القومي.. ويعطى له صفحة كاملة من الصفحتين المحليتين.. ويظهر اسم سانا على الصور.

تتابع الصحيفة بثماني صفحات معظمها تقريباً دون هوية تخصصية.. في كل منها ما هب ودب.. هناك زيادة في عدد التحقيقات حول الشركات العامة "المؤممة" والتطور في بعض المدن السورية.. وهي عموماً تحقيقات تعريف وشرح إنجازات وأيضاً شرح مشكلات.. ولا تغيب عنها وزارات الدولة كل بدورها، وقلما تجد فيها تحقيقات استقصائية.

في عدد ٨ نيسان يعود الحماس للصحيفة لسببين:

١ - الاحتفال بذكرى تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي "٧ نيسان" وهناك خطاب للدكتور نور الدين الأتاسي.

٢ - هناك اشتباك مع إسرائيل وتتحدث الجريدة عن إسقاط ٥ طائرات للعدو وعن ألسنة نيران تندلع في "٤" مستعمرات.

في ١٢ نيسان تعنون الثورة "مانشيت":

سورية تدعو شركة التابلاين لإجراء مباحثات فورية.

تعديل اتفاقية ١٩٥٢ وتعديلاتها بما يضمن حقوق القطر العربي السوري.

في مانشيت آخر تتحدث عن التهديد الأميركي وتعنون:

ماكنمارا[(١)] يلوح بتدخل أميركي مباشر لحماية إسرائيل والاحتكارات البترولية.

رتم بطيء.. واهتمامات محدودة ترافق صفحات الجريدة التي عرفت تراجعاً مهنياً وغابت عنها الصفحات المتخصصة كلياً وغاب الكاريكاتير إلى حد كبير.. وتحولت إلى محلية شعاراتية بامتياز حتى لو تطلب رفع الشعار كتابة صفحة كاملة من الشرح والتعريف والأهداف والمنطلقات.. تحت عنوان "مالها وما عليها".

الاهتمام الثقافي تراجع جداً.. ولا سيما على مستوى الثقافة العالمية.. وكذا السياسة الدولية والكتابات الفكرية التي كانت تتولاها الصفحة الثالثة التي تحولت – في أحيان كثيرة - إلى صفحة تحقيقات محلية.

من الأخبار الدولية يقع الخيار دائماً على ما يخدم الاتجاه الاشتراكي وبشكل مباشر وتبني مواقف.

في ٢٢ نيسان تعنون الصفحة الأولى حول أحداث في اليونان:

أحداث مفاجئة في اليونان تعقب المظاهرات العنيفة ضد الحكم الرجعي.

انقلاب عسكري.. يقوده الملك!

اليمين المتطرف متمثلاً بجنرالات الجيش يتسلم السلطة في اليونان.

إعلان حظر التجول واعتقالات واسعة في صفوف الوطنيين.

واشنطن ترحب بالانقلاب وتشيد "بالسرعة الخاطفة" التي نفذ بها

---

(١) وزير دفاع الولايات المتحدة في حينه ومدير البنك الدولي فيما بعد.

وتعتبره خطوة ناجحة لقطع الطريق على انتصار المعارضة في الانتخابات القادمة.

وتورد افتتاحية أيضاً:

الحل الجذري يختلف من مكان لآخر وعلى الصعيد السياسي من شخص لآخر وأمامنا في هذا العالم مجموعة من الحلول الجذرية ذات الصبغة الخاصة التي تنتمي بشكل مباشر أو غير مباشر إلى العقل الأمريكي الحاكم الذي لايعرف الحلول الوسطى.

في فيتنام مثلاُ لعبت الشيوعية بعقول الناس فأرادوا أن يتحرروا، وألفوا لذلك جبهة تحرير، فهل يتركون على هواهم لتتضرر الاستراتيجية الأمريكية؟ لا طبعاً. الحل الجذري هنا هو إنزال القوات الأمريكية وتكسير رأس كل من يحاول أن يتحرر، ويجب أن يشمل الحل فيتنام الشمالية، ولا عبرة في ذلك لخرق القوانين الدولية وغيرها، فكل عمل مبرر تجاه الهدف الأسمى لأنه إذا لم يبادر الناس في كلا الفيتناميتين فكيف يقضي على نزعة التحرر؟

وفي الوطن العربي أيضاً الشيوعية تشكل خطراً بالغاً والدليل على ذلك أن نزعة التحرر سرت عدواها في كل الأقطار العربية وتصدر في هذه الأيام نداءات جدية بتحرير فلسطين وتحرير البترول – نعم البترول الذي يؤثر تحريره على اقتصاد كل الدول الاحتمارية - ولا بد هنا من حل جذري أيضاً، لأن حسين وفيصل وأضرابهما لم يعد باستطاعتهم ضبط الانفجارات الشعبية رغم الإشراف الانكلو أمريكي المباشر. وقد اكتشف ماكنمارا الحل الجذري.. إنه الغزو الأمريكي للوطن العربي، ولا ندري إن كان اقتراحه سينفذ عاجلاً أم آجلاً ولكنه سينفذ بكل تأكيد، لأنه إذا لم يباد جميع العرب الثائرين لتحرير أرضهم وبترولهم فكيف تبقى إسرائيل والامتيازات البترولية إلى الأبد؟.

ولكن يبدو أن عدوى الشيوعية قد انتقلت إلى أمريكا نفسها فمنذ أيام سار مائتا ألف متظاهر إلى مقر الأمم المتحدة ليطالبوا بإنهاء الحرب في

فيتنام، ويجب أن ينبثق حل جذري لمعالجة الموضوع يعتمد على الإبادة التدريجية للزنوج ثم للبيض الذين لم يرتقوا سلم الاحتكارات ولم يتح لهم شرف العمالة للمخابرات المركزية الأمريكية.

ولعل الانتخابات القادمة تطيل في عمر جونسون السياسي حتى يبيد كل متظاهر أمريكي سواء كان أبيض أم أسود. الحزم ضروري وبدونه لا تستقيم الأمور، فإما أن يكون سكان العالم عملاء لأمريكا عن قناعة ورضى وإما أنهم يجب أن يبادوا، لأنه من المستحيل إيجاد كمية من الدولارات كافية لشراء جميع الناس وبناء جميع الدول الملحقة حتى ولو كانت تلك الدولارات دون تغطية ذهبية، لا بد إذن من الحزم الذي يعني الإبادة لأن التهديد وحده لا يكفي وعدد كبير من سكان العالم رؤوسهم يابسة.

وقد اختار ملك اليونان وجنرالاته بوحي أمريكا طبعاً، طريق الحلول الجذرية، لماذا البرلمان والأزمات الوزارية؟ ماذا يستفيد الملك حسين من الانتخابات سوى المزيد من الفضائح؟ الحل الصحيح أن يتحول الملك إلى كاوكي، وإذا لم يستطع فليقم أحد الجنرالات بهذا الدور.

الحلول بسيطة وسهلة كما نرى، يكفي أن يفكر المرء قليلاً بالأمر ويجد الحلول المناسبة.. وقد فكر حسونة[(١)] بالأمر. لماذا تلك المصالحات الإفرادية لحكومة بون،ما يخلق ضجة في كل مرة تتم بها خطوة من هذا النوع؟ طورا ضجة حول أبي رقيبة وطوراً ضجة حول الملك حسين وينشغل الرأي العام العربي كل يوم بنغمة جديدة.

يستطيع أن يذهب هو إلى بون ويدرس الموضوع عن قرب ويرجع بإحدى نتيجتين: إما أن يقنع ألمانيا الغربية بتراجعها عن علاقاتها بإسرائيل وعدم الدخول في مخططات السياسة الأمريكية العالمية ولا سيما المتعلقة منها بالشرق الأوسط، وإما أن يقنع نفسه من خلال اللقاءات الودية جداً،

---

(١) عبد الخالق حسونة، الأمين العام لجامعة الدول العربية.

عن أن حكومة بون ليست بالشكل الذي يصورونه بها وإنما هي كريمة جداً وحسنة النوايا مهما فعلت، ولم يكن الأمر بيدها وإنا بيد أمريكا.. وحينئذ وبعد أن يقتنع بذلك يحمل دول الجامعة العربية على المصالحة الجماعية وتنتهي المشكلة.

وتستمر الحلول الجذرية في أخذ مجراها.

في هذا العدد ٢٢ نيسان يظهر لأول مرة اسم الشاعر الفلسطيني المرحوم "معين بسيسو" محرراً في الصحيفة وفي زاوية "من شوارع العالم" التي اشتهر بها وأخذت مكان زاوية "كل يوم كلمة" وبالتالي سيكتب يومياً.. وقد وصل دوره في الصحيفة إلى مستوى رئيس تحرير.

نأخذ هذه الزاوية للشاعر الراحل منشورة في عدد ٢٣ نيسان ١٩٦٧:

في أحد شوارع أثينا، وأمام باب أحد المطاعم، التي اختصت بشواء اللحم، كان هناك ذئب معلق من قدميه الخلفيتين في خطاف حديدي، ووضع تحت رأسه دلو ليرشح فيه دمه الذي راح يتساقط قطرة بعد أخرى من خياشيمه.

كان الناس يتجمهرون حول الذئب المعلق بل إن بعض الأيدي قد امتدت إلى جلد الذئب تلمس شعره.. وامتدت يد أحدهم ولمست أنيابه.. وإلى جانب الذئب كان يقف الصياد الذي اقتنصه.

كان فلاحاً يونانياً شاباً، في قسمات وجهه قسوة الصخور الجبلية.. وفي عينيه بريق كبرياء الأرض اليونانية.

لقد كان يقف في شموخ يتطلع إلى الذئب المعلق، ويتطلع إلى وجوه الناس، كأنما كان يقول لهم بنظراته.. "المسوا جلد الذئب بأيديكم.. إنه ذئب حقيقي.. وليس ذئباً من الشمع".

في بعض الظروف يضع الذئب على رأسه خوذة فولاذية، ويركب دبابة وينطلق بها في شوارع أثينا، ويصبح كل بيت زنزانة، وتصبح كل غرفة فيه حجرة تعذيب وتعود جزيرة المنافي تفتح بواباتها الحديدية لقوافل المناضلين.

.. غير أن الصراع بين الفلاح اليوناني وبين الذئب لا يمكن أن ينتهي حتى ولو وضع الذئب على رأسه خوذة فولاذية... وانطلق وأصابع الديناميت ملء شدقيه.

فلا بد أن ينتصر ذات يوم ساعد الفلاح اليوناني.. على مخلب الذئب.. وسيأتي ذلك اليوم الذي يرى الناس فيه وفي شوارع أثينا ذئباً معلقاً في خطاف حديدي.

فلا بد أن يقع الذئب في قبضة الفلاح اليونان حتى ولو تسربل بالحديد.

ففي ذات صباح ومن أيام الاحتلال النازي في اليونان، صعد أحد المناضلين اليونانيين، وانتزع علم الذئب النازي من فوق "الأكروبول".. وأسقطه فوق الأرض.. فلا مكان لأعلام الذئاب في آفاق هذا العصر، ولا مكان لعلم الذئب الأمريكي الكبير الذي يجثم بمخالبه فوق ناطحات السحاب، الذئب الذي انطلقت تطارده، سواعد كل الفلاحين، في مختلف الأوطان.

اليوم الأخير من نيسان تنشر الصفحة الأولى صورة لإزاحة الستار عن تمثال "الثوري العربي" في ساحة يوسف العظمة ببوابة الصالحية، وقد نقل اليوم إلى جانب اتحاد الفلاحين ليحل محله تمثال ليوسف العظمة.. وفي السابق عدد ٢٩ نيسان كانت زاوية معين بسيسو عن هذا التمثال.. وقد فاض شعراً وإعجاباً بالتمثال.

بشكل عام يمضي شهر نيسان دون ما يذكر.. والإضافة الوحيدة والأهم هي معين بسيسو ولا يقتصر في كتابته على زاويته من شوارع العالم.. بل يكتب في الصفحات الداخلية.. والمفاجأة أنه كتب في الصفحة الأولى من عدد ٢ أيار قصيدة شعرية عمودية بعنوان "الأم" مكان الافتتاحية تماماً، ما يؤكد العلاقة الطيبة التي ربطته بمحمد الجندي.

تجتهد الثورة لإظهار سورية جزءاً من فصيل اليسار العالمي والثورة العالمية، إضافة إلى تمسكها بالفكر القومي.. وهي بذلك تتابع بشكل يومي

تقريباً إما هجوماً على موقع يميني "الأردن – المغرب – إيران" أو امتداحاً لدولة اشتراكية أو حركة تحرر من بلد ما.. في عدد ٢ أيار تنقل الثورة بالتفاصيل الكاملة أخبار المسيرة العمالية الكبرى بعيد العمال العالمي ١ أيار خلال هذه المرحلة مثلاً تتابع بدقة تفاصيل الحدث اليوناني على الصفحة الأولى وصفحات أخرى.

في ٦ أيار عاد علي فرزات إلى الصفحة الأولى بعد انقطاع طويل نسبياً.. رغم كل الحماس الذي يرافق الصحيفة هذه الأيام لم يعط لعيد الشهداء سوى خبر صغير على الصفحة الأولى في عدد ٧ أيار.. بدأ بعبارة "صادف أمس" بضعة أسطر تشعر أن الصحيفة ربما نسيت المناسبة.. أو أن المناسبة لم تكن تشغل البال في تلك الحقبة.

في ٩ أيار.. تعنون الصفحة الأولى في مانشيتها:

طرد دبلوماسيين سعوديين.. ومصادرة محلات ٤٥ متآمراً

تصعيد آخر ضد السعودية وإجراءات ضد تجار وصفوا بالمتآمرين.

وفي المانشيت الثاني:

المنظمات الشعبية تستنكر المؤامرة

وتطالب بإدانة المتآمرين

وهناك بيانات لاتحاد الطلبة ونقابة المعلمين والاتحاد النسائي والحرس القومي وإشارة بخبر عن آلاف برقيات الاستنكار.

لا تشير الصحيفة بوضوح إلى علاقة هذه الإجراءات باعترافات للضابط السوري "فرحان الزعبي" العائد من الأردن بعد فراره مع مجموعة سليم حاطوم، ويذكر أن عدداً مهماً من الضباط الذين ذهبوا مع سليم حاطوم إلى الأردن بدؤوا العودة إلى سورية أو مصر، متأثرين بإحباطهم من سذاجة محاولة ٨ أيلول بالسويداء.

وتتابع الصحيفة ذيول الـ"مؤامرة" والإجراء ضد من سمتهم كبار الاحتكاريين في المدن السورية.

الخميس ١١ أيار المانشيتات والخبر الرئيسي عن التآمر الرجعي والمواجهة الثورية.. أما الصورتان على اليمين فوق الافتتاحية تماماً فهما لهيئة المحكمة العسكرية الاستثنائية ولمتهمين والشرح كالتالي:

"استمعت المحكمة العسكرية الاستثنائية في جلستها الأولى أمس إلى أقوال المسؤولين عن المقال المدسوس عدنان حمام وابراهيم خلاص".

المقال المدسوس هو ما كتبه ابراهيم خلاص في مجلة جيش الشعب التي تصدر عن الإدارة السياسية للجيش والقوات المسلحة.. وهي نفسها مجلة الجندي التي كانت تصدر عن إدارة التوجيه المعنوي في الجيش، وكان يرأس تحريرها المرحوم عدنان حمام.

المقال فيه هجوم صارخ على الدين نافياً وجود الخالق وقد أصدرت المحكمة عليهما فيما بعد وبسرعة حكم الإعدام.

في هذا العدد يحضر اسم نصر شمالي لأول مرة في مقال "على هامش مؤامرة" بعنوان:

مخططات البنتاغون بين توحيد الأديان.. وتقسيم سورية!

في ١٤ أيار ومع متابعة حديث المؤامرة تتحدث الثورة عن مخططات التحضير للعدوان.. والتهديدات الإسرائيلية.

والمانشيتات:

سورية تعلن: ردنا سيكون شاملاً

اتفاقات الدفاع المشترك ستوضع قيد التنفيذ.

أي معركة ضد قطرنا ستقضي على عروش الخيانة في الوطن العربي.

ونقرأ في افتتاحية محمد الجندي التي عنونها بـــ "تصفية حساب" وطبعت كلماتها باللون الأحمر أما عنوانها فبالأسود.. ولها تتمة على الصفحة الثانية طبعاً بالأسود.. سنأخذ منها هنا المنشور على الأولى فقط:

لقد توضح الآن ماذا كان يقصد وزير الخارجية اللبنانية عندما صرح منذ أيام بأن أزمة زيارة الأسطول السادس إلى لبنان سوف تحل خلال عشرة أيام ولمصلحة جميع الفرقاء (؟).

كان التحرك الرجعي يطبخ في سورية وكان معقوداً عليه الأمل بما يرافقه من استنفار للرجعية العربية في الداخل والخارج وبالعدوان الإسرائيلي الذي أصبحت تكشيرته أكثر وضوحاً.

إنها خطة تعتمد على كل ما في سورية ولبنان والأردن من عملاء، وعلى تمويل السعودية والمخابرات الأمريكية، وعلى التدخل الإسرائيلي المشفوع بالتدخل الأمريكي، وكانت ساعة الصفر في ظهور ذلك المقال.

الحبك تام بين أجزاء الخطة، ولكن في ساعة الحساب وجدت فلول الرجعية السورية أضعف من قملة ووجدت الصحف الرجعية التي أوكل إليها تضخيم الأحداث، بقيت بضاعة إسرائيل وهي مضمونة، وتنوي إسرائيل اليوم حسب تصريحاتها أن تحتل دمشق.

وهي إذ تصرح بذلك تقصد أن أمريكا تريد أن تحتل دمشق لأن إسرائيل وأمريكا معاً تعرفان أنه لو كانت إسرائيل لوحدها لكانت دمشق هي التي تحتل تل أبيب.

الجزء الذي بقي من الخطة إذن هو أن تقوم أمريكا باحتلال سورية مبتدئة بعدوان إسرائيلي. هذا هو المقصود.

هنا يجب أن نقف قليلاً: إن جونسون منذ أن ابتدأ بقصف هانوي كان يعرف أنه يغامر بإشعال حرب عالمية ثالثة حسبما كشفت الأنباء أخيراً، ولكنه يريد أن يدخل التاريخ من هذا الباب كما قال لابنته، يريد أن يدخل التاريخ كأكبر مجرم عرفته الإنسانية حتى الآن، لأن إشعال الحرب الثالثة وتدمير العالم بالقنابل الذرية هو أكبر إجرام يمكن أن تتوصل إليه الوحشية البشرية.

وعندما تفكر أمريكا بغزو سورية، فذلك يعني أن التصميم الإجرامي الأمريكي على الحرب الثالثة يسير حتى نهاية الخط، ويمكن أن نتنبأ بنهاية

هذا التصميم على أمريكا نفسها فقط إذا عرفنا أن العلم الأمريكي قد أحرق في أكثر من قارة. وقد أحرق أخيراً في ثلاث مدن برازيلية.

تبدو عصابة الحكم الامريكية، والحالة هذه، كوحش يريد أن يغتال كل الشعوب دفعة واحدة، والنتيجة هي أن يصرع الوحش.

تتابع الثورة منطق الحماسة والاستعداد للحرب.. بدءاً من منتصف أيار تدخل الصحيفة أجواء الحرب كاملة دون هوادة.. واللافت وهو – برأينا – أهم من الحماس المفرط، في إظهار الضعف الإعلامي.. إنه يندر أو ينعدم وجود دراسة أو تحليل عن قوة العدو وجيشه.. يعني في هذا المجال لا بد من القول: إن ثمة استهتاراً بمخاطر حالّة.

ما يمكن أن تجده عن العدو في الصحيفة هذه الفترة يأخذ شكل العناوين التالية المنشورة على الصفحة الأولى في عدد صباح الخميس ١٨ أيار:

العصابات الصهيونية تعاني من وضع اقتصادي منهار وبطالة مستحكمة

العجز في الميزان التجاري بلغ ٤٥٠ مليون دولار

وتدفق مساعدات الدول الامبريالية لا يحل المشكلة.

وتشير عناوين الصفحة الرئيسية أيضاً إلى طلب الجمهورية العربية المتحدة سحب قوات الطوارئ فوراً.. وتقول:

يوثانت: الوضع خطر للغاية

ويتحتم على قوات الطوارئ أن تستجيب لطلب المتحدة.

الافتتاحية بعنوان "توقيت العدوان"

ومن شوارع العالم يكتب معين بسيسو:

كان الآلاف من العمال التشيليين قد خلعوا قبعاتهم المنسوجة من البوص وراحوا يلوحون بها في الهواء ومن حناجرهم كان ينطلق ذلك الرعد "مرحى بابلو".

فلقد كان شاعرهم، بابلو نيرودا يلقي عليهم مجموعة من قصائده.

لقد كانت إحدى المسيرات الكبرى للشعر من أجل أن يأخذ مكانه فوق أرض المعركة ضد التهديد الأمريكي بغزو التشيلي، حينما رفع نظام الحكم في ذلك الوقت راية الأرض التشيلية في وجه أولئك الذين أرادوا أن يمضغوها شجراً وتراباً وتاريخاً وإنساناً.

وينطلق صوت بابلو يخاطب أولئك الذين يتأهبون لكي يمتطوا صهوة البندقية والمدفع والسكين إلى أرض وطنه..

(لو تجرأين على العدوان

يا أمريكا.. لو تجرأين

فسنسمرك بالأشواك

على أمواج المحيط

ومن كل عين ستطل فوهة بندقية

ومن كل جرح سيقفز سيف بتار).

ودمشق.. دمشق التي تتصدى الآن بمتاريسها الشامخة النى تلقي ظلالها على الشمس، لمواجهة حراب المستعمرين الأميركيين، ودميتهم – "المحشوة بالبارود" العصابة الصهيونية وتلك "القرود من المطاط" التي تقفز فوق العرش الهاشمي، والعرش السعودي، لا تقف وحيدة معزولة في المعركة..

ضد عصابة الجلادين الأميركيين، وحملة خناجرهم من الصهيونيين والرجعيين العرب.. فخنادق الفيتنام تتصل بخنادق دمشق.

وسيف بور سعيد سينهض كالمسلة من الفولاذ ليهوي على رقاب الغزاة.. وأعاصير الأوراس ستحمل صخور البراكين لتدحرجها فوق رؤوسهم وبنادق الثوار في الجنوب المحتل ستطلق رصاصها في صدور المستعمرين باسم دمشق.

.. وستقاتل دمشق، ستقاتل بكل سواعد أبنائها.. وبكل مخزون البارود في شرايين أرضها الطيبة التي لن تسقط عليها ظلال الغزاة.. ولن

يلحق حسين الطائرة الأميركية الأخيرة.. وستتدحرج نجمة صهيون السداسية حجراً تحت سنابك الخيول.. فإلى الخنادق يا كل السواعد، وإلى المتاريس، إلى المتاريس.

في ١٩ أيار وعلى تواصل وتتال، نقرأ العناوين التالية على الصفحة الأولى:

الخش يصل إلى الجزائر حاملاً رسالة من الأتاسي إلى بومدين.

مجلس الوزراء يستعرض الوضع العام في المنطقة.

الاستعدادات التي تمت لمواجهة أي تحرك استعماري صهيوني تضمن سحق العدوان وتفجير الثورة على صعيد الوطن العربي.

ماخوس في دمشق: نتحدى إسرائيل والأسطول السادس

سورية والمتحدة تحولتا إلى ثكنتين معبأتين عسكرياً وشعبياً.

ترحيل قوات الطوارئ نهائياً

رياض ليوثانت: قررنا إنهاء وجود قوات الطوارئ وترحيلها.

قوات المتحدة اتخذت مواقعها على خط الهدنة من رفح إلى العقبة.

إسرائيل تهاجم طائرة الجنرال ريكي فيحتج أوثانت ويتهمها بزيادة التوتر.

دولة العصابات تستدعي الاحتياطي.. وبريطانيا تعزز سلاحها الجوي في قبرص.

أمريكا بلسان راسك تلوح بالتدخل وتقوم بمشاورات مع "حلفائها" حول الموقف.

لبضعة أيام أخرى..

في الصفحات الداخلية تتابع كتابات عادية بعيدة كلياً عن أجواء الحرب.. أما الأولى في كل يوم فتأتي أشد حماساً من اليوم الذي سبق.

مع الثلث الأخير من أيار ١٩٦٧ ترتدي الثورة بكل صفحاتها لباس الميدان الكامل استعداداً للمعركة..

في كل الصفحات دون استثناء.. حماس.. تحد.. ترقب.. انتظار.. ولا شيء عن العدو؟!.

بهذا الجو نمضي إلى نهاية أيار، لا أسماء جديدة في الصحيفة باستثناء اسم الزميل عبد الرحمن الضحاك.. وكان يعمل إدارياً يومها كتب تقريراً عن الجيش الشعبي.

وليس وحده الذي استمطر الرصاص في تلك الحقبة بل: كلنا..

٣٠ أيار تقول مانشيتات الثورة:

بومدين يترأس اجتماعاً طارئاً للوزارة الجزائرية

الزبيري يعلن: قوات سورية والمتحدة قادرة على إزالة دولة العصابات وإبادتها.

٢٠ قطعة من الأسطول السوفياتي تتبع تحركات الأسطول السادس في المتوسط.

في أول اجتماع يعقده الجانبان السوري والسوفياتي في موسكو

مباحثات هامة بين الأتاسي وكوسيغين

استعراض الموقف في الشرق الأوسط والخطط العدوانية الاستعمارية والصهيونية ضد الشعب العربي.

ماخوس والزعبي والطرزي يمثلون الجانب السوري في المباحثات.

الجانب السوفياتي يضم غروميكو والمارشال غريشكو وكبار المسؤولين السوفيات.

الأتاسي وبريجينيف يجتمعان صباح اليوم.

الاستقبال الحافل لوفدنا في موسكو وجو المناقشات الودي يعبران عن الصداقة العربية – السوفياتية والموقف المشترك ضد الامبريالية.

ماخوس يرد على مذكرة السفير الأمريكي الشفوية حول الوضع الراهن.

أمريكا لا تملك حق التدخل في شؤون المنطقة أو فرض وصايتها عليها.

الشعب العربي الفلسطيني ليس طرفاً في اتفاقية الهدنة.
التعبئة في سورية والمتحدة نابعة من تصميمنا على رد العدوان وسحقه.
زعين يعلن لدى افتتاحه الاجتماع الطارئ لاتحاد المحامين العرب:
الظروف اليوم أفضل من أي وقت لخوض معركة المصير العربي.
الوضع الراهن نسف جملة الأسس التي اعتمدها الغرب منذ عشرين سنة تجاه المسألة الفلسطينية.
أوروبا الغربية لا تملك من احتياطي البترول ما يكفيها غير أيام معدودة.
إغلاق العقبة سيكتمل بتدمير المنشآت الاقتصادية والعسكرية داخل الأرض المحتلة.
تدخل أميركا لن تكون نتيجته غير إسقاط النظام الاستعماري بكامله.
اشتباك في المواقع الأمامية بقطاع غزة يستمر ٤٠ دقيقة.
قوات المتحدة تصد بعنف تسللاً إسرائيلياً عبر خطوط الهدنة.
الأسلحة تنقل على نطاق واسع إلى "إسرائيل" من بريطانيا والقواعد الأميركية بليبيا
وتحركات جديدة للسفن الحربية الأميركية والبريطانية في المتوسط.
تفويض عبد الناصر إصدار قرارات استثنائية لها قوة القانون.
عبد الناصر: أعداؤنا هم أمريكا وبريطانيا وإسرائيل وسنعاملهم معاملة الأعداء.
الاتحاد السوفياتي يقف معنا في المعركة ولن يسمح لأية دولة أن تتدخل.

يدخل حزيران..

أليست الحرب تلك القادمة معه؟!

الصحيفة تقول نعم..

لكنها لا تقول.. كيف احتمالات أن نكون.. ولا مع من؟!

العدو الصهيوني.. العصابات.. الكيان.. الخ.

لن يقف الزمن

أصوات طبول الحرب التي سمعها علاء وسألني عنها بدأت تصل إلى كل الآذان ..

الاستعداد يوضح بجلاء أننا نستعد لحرب بالراديو والجرائد والخطابات..

لا حسابات للمواجهة العسكرية.. لعلنا كنا نتّكل على مصر عبد الناصر و«أكبر قوة ضاربة في الشرق الأوسط».

لا معنى للكتابة الآن بحسابات النتائج.. كل من يتحدث عن ذلك الزمن لا يجد لنفسه إلا البراءة.. ولا بريء.

قال الطفل مخاطباً أمه:

أمي عندما يكبر رفاقي مع من سألعب؟!

ضحكنا كثيراً إلى أن قال ساذج:

هذا الطفل ابننا.. إنه يريد أن يوقف الزمن..

أعجبتني العبارة.. بل أدهشتني حزناً..

كتب وجامعة ..هذا محذوف.. هذا مطلوب.. تحتاج إلى خمسين علامة في كل مقرر.. عليك أن تجيد توقّع الأسئلة.. عمل يومي رتيب و٢١٠ ليرات آخر كل شهر.

لا أريد أكثر فليقف الزمن..

قبل مقهى الهافانا بدمشق.. هناك زقاق صغير كان يطلق عليه بعضهم اسم «شيكاغو».. فيه العديد من المطاعم الصغيرة التي تقدم الكحول.. ما

جعل رواده من نوعية خاصة.. محاله تفتح غالباً في الليل وتغلق في النهار فتخف الحركة.. وعلى بوابته الشرقية بسطات تبيع الكتب بأسعار بخسة.. رأيت كتاباً عنوانه «لكي يقف الزمن» لــ «الدوس هكسلي».

لم تفدني قراءة الكتاب من حيث تحدي الزمن.. لكنني لسبب ما رحت أقرأ سطور «الثورة» بطريقة أخرى.

كانت الحماسة تملأ الجميع.. بعضنا يراه زمناً واقفاً.. وبعضنا يعود به إلى الماضي وليس إلى القادم.. إلى القادسية واليرموك وحطين.. وليس ثمة من يأخذنا إلى ما ينتظرنا في مطلع حزيران القادم.

لا أتذكر أنني رأيت في «الثورة» من يقرأ الزمن.. في كل الأحوال علاقاتي مع محرري الثورة جد بسيطة وسطحية.. أنا دخلتها منذ نحو شهر فقط مصححاً للأخطاء المطبعية، والمحررون أصحاب أسماء.. رفاقي في الجامعة بعد السؤال عن موعد الحرب يظهرون بلا مبالاة ثقة بالنصر الذي لا يحتاج إلا أن نصفق ونفرح له.

كنت أنا واحداً من هذا القطيع ولا مبرر لحسابات أخرى في زمن توقف في أذهاننا.

عندما رأى الشاعر الفلسطيني الكبير الراحل «معين بسيسو» ــ كان يعمل برتبة رئيس تحرير في الثورة ــ الكتاب في يدي سألني عن قراءاتي.. وعدني بكتب.. حكى لي عن غزة التي تتبع للإدارة المصرية.. وزرع في ذهني شكاً بعبد الناصر..

لأيام عديدة كانت سعادتي لا توصف.. أن يهتم بي معين بسيسو.. ويخبرني ويعدني بكتب ويسألني عما أقرؤه.. وحذرني من اعتماد الصحيفة عوضاً عن الكتاب.

/١٩٦٧/عام البداية.. وعام النهاية..

خطوات الشارع تتسارع.. أصوات الراديوهات ترتفع.. فرح على الوجوه.. وكلنا ذاهبون في «سيران» الحرب القادمة.

إنها البداية ..إنها النهاية.

اقترب أول امتحان جامعي لي.. أجواء الامتحانات في الجامعة تشهد نشاطاً غير عادي.. كثير من طلبتها لا يعرفون قاعاتها إلا في مواعيد الامتحانات.. ولا سيما عندنا في كلية الحقوق.. حيث النسبة الغالبة لا تداوم.. وهكذا تكون أجواء لقاءات.. فالذين لا يرون بعضهم لأشهر طويلة يجدون بمناسبة الامتحانات فرصة..

التقيت ناديا .كانت كئيبة جداً.. سألتها إن كانت تتابع الثورة.. قالت:

● ليس في الأيام الأخيرة..

- لماذا؟!

● لا حديث لهم إلا الحرب.

- هذا طبيعي..

● أنا بصراحة أخاف الحرب.

- على كل حال لاعلاقة لجريدتنا بقيام الحرب أو عدمه.

● جريدتكم؟ !هل بدأت؟!

- نعم.

● لم أر اسمك.

- بكّير.

● بكّير على ماذا؟! اكتب من الكلام الناعم الذي تقوله.. أحسن من كلام الحرب.

تحدثنا عن الاستعداد للامتحان.. عن صعوبة المواد وسهولتها.. تأستذت عليّ «على اعتبار أنها سنة ثانية» وذهبت بها باتجاه الاقتصاد السياسي و«الماركسية» كي أهرب من إصرارها على معرفة العمل الذي أقوم به في الصحيفة بدقة.

لم ينشغل ذهنها بما عرضته كثيراً.. أسعدني جداً لقاؤها ولاسيما أنها ستقيم في دمشق نحو شهر لتقديم امتحاناتها..

أيار والصيف قد بدأ بقوة.

شباب وصبايا.. وحلا.. في كل مكان.

ميني جيب وألبسة ضيقة.. يواجهها الخاكي والدعوة للتقشف وتخوين المتعة.. لكن الكل يمارسها. إنها البداية ..إنها النهاية.

هكذا بدا الشباب وأبناء جيلي..

فرح في كل جانب.. ولن يقف الزمن.. فما الذي ينتظرنا؟!.

الأول من حزيران..

تنكب سلاااااحك

٦ قطع من الأسطول السوفياتي عبرت الدردنيل إلى المتوسط.

رسالة من الأتاسي إلى ديغول.

رئيس الدولة يستقبل وفد الجمهورية العربية المتحدة.

قوات جزائرية برية وبحرية وجوية توجهت إلى الشرق الأوسط.

لن أنقل عناوين الصفحات الداخلية.. لأنه لا يمكن قراءتها بمعزل عن موقفنا مما جرى فيما بعد.. تبدو ساذجة.. وقد تسيء لزملاء كانوا مثل أبناء الوطن كله يملأهم الحماس. والصحافة تجربة لم يخوضوها من قبل، إنه "إعلام الحرب".

على الصفحة الأولى التي أعدت عشية العدوان وصباح الخامس من حزيران.. نقرأ العناوين التالية:

اتصالات هاتفية بين الأتاسي وعبد الناصر وبومدين وعارف.

تصميم كامل على خوض المعركة حتى النصر.

الاتحاد السوفياتي سيتدخل عسكرياً إلى جانب العرب إذا تدخل الغرب.

العصابات بدأت العدوان على المتحدة.. فانقضت الجيوش العربية لتنهي أسطورة "إسرائيل".

.. حتى شوارع تل أبيب.

القوات العربية تنطلق على طول الخطوط الأمامية لتطهير فلسطين.

نسورنا البواسل في سورية والمتحدة والعراق والأردن يسقطون ١٦١ طائرة للعدو.

الجيش الأردني يحتل جبل المكبّر في القدس ويدمر "٥" مستعمرات.

القوات العربية في سيناء تتصدى لقوات العدو وتلحق بها الهزيمة.

نسور الجيش العربي السوري دمروا مطارات العدو وأشعلوا النار في مصفاة حيفا.

بيان وزير الدفاع إلى الضباط البواسل والجنود الأبطال.

قاتلوا حتى تحقيق النصر النهائي.

بيان اتحاد العمال العرب إيذاناً ببدء المعركة.

دعوة العمال العرب إلى نسف وتدمير منشآت العدو.

الجيش السوداني ينطلق نحو أرض المعركة.

والصفحة الأخيرة كلها صور عسكرية والصحيفة بأربع صفحات فقط.. لأنها تصدر أصلاً في يوم عطلتها الأسبوعية.

في اليوم التالي ٦ حزيران.. العناوين التالية:

أميركا وبريطانيا تشتركان فعلياً بالعدوان مع "إسرائيل".

دمشق والقاهرة تؤكدان اشتراك الطائرات الأمريكية والبريطانية في العدوان الجوي.

الدول الاشتراكية تعلن تأييدها التام للشعب العربي ضد العدوان الصهيوني الامبريالي.

انتصارات رائعة للقوات العربية على جميع الجبهات.

قواتنا تحرر مستعمرة شرياشون وتنطلق لتطهير سهل الحولة.

مدفعية الجيش العربي السوري تدك مستعمرات العدو في طريق زحفها وتدمرها.

القوات المصرية في سيناء تتسلم زمام المبادرة وتتوغل داخل الأرض المحتلة.

معارك ضارية بالسلاح الأبيض في القدس.. والقوات العراقية تواصل تقدمها.

العراق والكويت يوقفان ضخ النفط.. والمتحدة تغلق قناة السويس.

الأربعاء ٧ حزيران تنشر الثورة على الصفحة الأولى صورتين لحطام طائرات ويقول الشرح: إن عددها وصل حتى ظهر اليوم ١٧ طائرة..

وتقول العناوين:

الفدائيون يزرعون الرعب في فلسطين المحتلة.

هجمات قوات العاصفة تمتد من الجليل إلى القدس والنقب.

تدمير مستعمرات العدو وضرب قواته ونسف خطوط تموينه.

المدفعية الأردنية تدمر منزل شازار رئيس دولة العصابات في القدس المحتلة وتسقط ٢٢ طائرة للعدو.

رغم استمرار الامدادات والدعم العسكري للعصابات من أميركا وبريطانيا.

العدو يتقهقر على كل الجبهات.

الجيش العربي السوري يجتاح سهل الحولة.

مدفعيتنا تسقط طائرتي ميراج و٣ قاذفات ثقيلة.. وأسر طيار صهيوني.

القوات الأردنية في جنين والقدس تنتقل إلى الهجوم.

العدو يخلف قتلاه في الشوارع.. والدروع الأردنية تلاحقه.

قوات المتحدة الصامدة في الجنوب تصد العدوان بقوة وتمزق ٧ فرق من المدرعات والمشاة.

جيش التحرير الفلسطيني يلتحم في معارك ضارية مع العدو في قطاع غزة.

المانشيت الأحمر لعدد ٨ حزيران:

لن يتوقف القتال

صورة أخرى للحطام.. تتراجع الصحيفة إلى أربع صفحات وتشعرك بلهاث الهتاف والحماس الذي كان امتد لأسابيع عديدة مضت.

تغيب افتتاحية محمد الجندي.. وتدخل زاوية معين بسيسو إلى الداخل لتفسح المجال للصور العسكرية التي تملأ الصفحة الرابعة والأخيرة.

ثم..

ماذا تقرأ في جريدة أربع صفحات بدأت تتنسم روائح الهزيمة.

عودة إلى الشعب.. التطوع.. الأطفال.. الشعر.. إلى...

في عدد ١٠ حزيران مانشيت الثورة:

الرئيس عبد الناصر يعرض الصورة الكاملة للمؤامرة الاستعمارية – الصهيونية

أسرار العدوان الثلاثي الجديد.

وتنشر الثورة النص الكامل لخطاب الرئيس عبد الناصر مع صورة له وأخرى لزكريا محي الدين.. وكان عبد الناصر قد أعلن استقالته وترك الرئاسة لمحي الدين.

وهناك كلمة أخرى للدكتور نور الدين الأتاسي.. لا يستقيل فيها بل يؤكد:

سيتحول الوطن العربي إلى مقبرة للغزاة!!

وهناك افتتاحية لمحمد الجندي تقول الكثير تحت عنوان المنعطف الجديد..

لقد استطاع شعبنا العربي كله أن يعلم من خلال الأيام الأولى من المعركة أن إسرائيل وحدها ليست شيئاً. ولكن أمريكا وانكلترا أرادتا أن تتخذاها ستاراً لغزو الوطن العربي من جديد، هذا ما كان شعبنا يعرفه وأصبح يلمسه بالدليل المادي:

وأصبح شعبنا يلمس بالدليل المادي ومن خلال اندفاعاته اللاهبة مدى ما تكنه الامبريالية له من حقد ومدى ما تبيت له من دمار. إنها لا تكتفي

بامتصاص ثرواته وباستنزاف أسواقه وبإخضاعه لمخططاتها، وإنما تريد أكثر من ذلك وأهم بكثير، تريد أن تحذف وجوده وتجعله مشلولاً عاجزاً عن أية حركة، يعيش ملحقاً بمزارعه ومؤسساته كأقنان القرون الوسطى.

وأصبح شعبنا يلمس بالدليل المادي، أنه بالحقيقة في معركة الدفاع عن وجوده، وأن معركته واسعة ودقيقة وتحتاج إلى النفس الطويل، إلى بطولة الجزائر في حربها التحريرية وإلى بطولة الفيتنام في نضالها العظيم ضد التدمير الوحشي.

إن شعبنا العربي يواجه في هذه الأيام بوادر التدمير الوحشي، بعد أن غرز ناب الوحش الاستعماري في جسد الجيوش العربية الباسلة.

وفي هذه اللحظات التاريخية من حياة شعبنا، والتي تنزف فيها الدماء من جراح أبنائه وجنوده، نجد فيها أنفسنا ملزمين أكثر من أي وقت مضى بمعركة التحرير، بمعناها الواسع المنظم الذي لا يستطيع أن ينفذ إليه المستعمر بالدجل والتهويش وتخريب الصفوف، إن اندفاعة شعبنا اللاهبة بحاجة أكثر من أي وقت مضى للتركيز ولتوجيه الضربات المحكمة للقوى الامبريالية.

معركتنا معركة تحرير والحرب النظامية ليست سوى بداية مشرفة فقط، بداية مشرفة لأنها حملت في جولتها أروع بسالة وأروع انصهار في القضية التي نذر جنودنا نفوسهم من أجلها ومعركتنا عربية، يجب أن يبذل فيها الدم العربي بالدرجة الأولى، وبمقدار مانستبسل ونبذل من نفوسنا، بمقدار ما نستطيع أن نسمع صوتنا على صعيد إنساني.

لقد بدأ بالحقيقة عمل شعبنا الجدي بمعناه الواسع، بجنوده وفلاحيه وعماله ومثقفيه، وبدأ عمله لا بأن يحمل بندقية فحسب وإنما بأن يستعمل تلك البندقية استعمالاً دقيقاً ضد الاحتلال الامبريالي والصهيوني. إن شعبنا الآن واثق من نفسه ومن قوته مهما كانت آلات الدمار لدى الغزاة المستعمرين، لأن كل امرأة وكل طفل وكل شيخ أصبح يرتبط بمعركة التحرير ارتباطاً مصيرياً، وهذا هو الشرط الأول للنصر.

إنه منعطف جديد بالنسبة لتاريخنا العربي وقد يكون بالنسبة للعالم كله.

في عدد ١١ حزيران أول إشارة للقنيطرة.. مانشيت أحمر:

يوم ذي قار.. ١٠ حزيران في القنيطرة

أول إعلان غير مباشر عن سقوط المدينة.

الصحيفة مستمرة بأربع صفحات وكثير من التيه.. أذكر تلك الأيام.. أذكر ذاك الصيف.. أذكر أنها ليست صحيفتنا وحدها "الثورة" التي تقزمت.

أذكر ذلك كله.. بل أنا أقدر أولئك الذين استطاعوا أن يعودوا إلى العمل بأي شكل كان.

تراجعت الكتابات إلى حدود الانعدام تقريباً.. وحده معين بسيسو الذي استمر يومياً.. بل أصبح حجم زاويته الضعف وكان أحياناً يكتب الصفحة الأخيرة كلها.. وأيضاً محمد الجندي في افتتاحياته.

في ٢٠ حزيران.. تلتقط الصحيفة أنفاسها.. تحاول العودة إلى ٨ صفحات ومسيرتها التي كانت..

هناك بشكل ما انهيار بالبناء الإعلامي الذي كان للصحيفة، مرة أخرى تتراجع إلى الصدور بأربع صفحات ومقالات مطولة جداً.. وتيه حقيقي..

بدأت تظهر عبارات جديدة:

- صمود الأنظمة التقدمية.
- إزالة آثار العدوان.
- خسرنا معركة ولم نخسر حرباً..

ولهاث خلف كل ما يمكن أن يستر ولو جزءاً من الواقع.

الوحدة العربية – حرب التحرير الشعبية – وتقاسيم متواضعة على نغمة السلام.

في ٢٥ حزيران تعلن الثورة على صفحتها الأولى:

بدء محاكمة المتآمرين حاطوم وجمعة

وقد نفذ فيهما حكم الإعدام بسرعة بعد تجريمهما بالخيانة العظمى.

كان سليم حاطوم وبدر جمعة، قد عادا تخفياً من الأردن إلى دمشق مستفيدين من الأوضاع التي سادت تلك الأيام.

طوال هذه المرحلة تجمع الصفحة الرابعة والأخيرة كتابات المحررين التي بدأت تنقط تنقيطاً.

الثلاثاء ٢٧ حزيران تصدر الثورة بـــ ٨ صفحات ويكتب معين بسيسو الصفحة الأخيرة بكاملها تحت عنوان "من شوارع الضفة الغربية" عوضاً عن "من شوارع العالم".

في اليوم التالي.. تعود الصحيفة (٤) صفحات!! إنه التيه في خلطة من العجز والقرف.. كنا أعجز من أن نستطيع فهم ما جرى.

ورغم أن العدد ٤ صفحات فقط فقد استمر معين بسيسو يحوك كامل الصفحة الأخيرة.. راكضاً بين شوارع العالم وشوارع الضفة الغربية وغزة وخان يونس.. و.. وأسفاه..

ينتهي حزيران..

لكن ستطول علينا الأيام.. ولا ينتهي ما جرى فيه.

الإعصار الحزين

لم يطل انتظارنا.. إنها الحرب.. تتوج حماستنا التي استمرت أسابيع عديدة.. كان حزيران وكنت أواجه أول امتحانات جامعية، متألقاً بشبابي واعداً روحي بفرحة النصر.

نصحني زميلي في قسم تصحيح الأخطاء المطبعية في الجريدة أن أطلب إجازة من أجل الامتحان، وقال: إنها حقي..

لكن حماستي منعتني.. هل أترك الجريدة والدنيا موسم حماسة ومواجهة بلا حدود..

أكثر من ذلك.. يوم ٤ حزيران عشية الحرب، سهرت في الجريدة إلى وقت متأخر دون حاجة لجهودي، وأخذت عدد ٥ حزيران معي قبل أن أغادر إلى بيتنا في حي ركن الدين سيراً على الأقدام.. أريد أن أبدد فرط النشاط الذي أشعر به.. وأتذوق ليالي صيف دمشق الرائعة.

عناوين كثيرة على صفحتها الأولى.. لقد ثابرت الثورة على شحننا مع الراديو خلال الأشهر الأخيرة.. بغض النظر عن دقة الموقف الإعلامي فإن فعل الإعلام كان أكيداً.. أما الموقف فلم يكن ينفصل عن الموقف السياسي.. نعترف أننا نحن الذين نختار الكلمات.. كانت إسرائيل اعتدت في ٤ حزيران على العربية المتحدة «مصر» والتي وصفتها الثورة بـــ «الشقيقة الكبرى»..

على الصفحة الأولى أقرأ:

«تصميم كامل على خوض المعركة حتى النصر»..

حتى شوارع تل أبيب..

القوات العربية تنطلق على طول الخطوط الأمامية لتطهير فلسطين..

من أين سيأتيني النوم بعد ذلك؟!

اليوم امتحان مادة الشريعة الإسلامية في السنة الأولى من كلية الحقوق.. وقد اقتربت الساعة من الرابعة صباحاً..

على مقعد الامتحان لم يدركني النعاس ولم تخني الذاكرة.. وساعات نومي اثنتان فقط.. لكن..أغنيتي «بعد اليوم ما في نوم»..

إنه الموعد يافلسطين.. ونحن أيضاً جينا لك.

قبل أن أخرج من قاعة الامتحانات كانت أصوات التصفيق والفرح تصلنا بوضوح.. استجابة لبيانات التحرك العسكري ونتائج المعارك..

لم أعد أستطيع التحمل.. يكفي ما كتبته، خرجت بسرعة..

عرفت المقدمة.. «انتصارات» عربية على كل الجبهات تعلن عنها الإذاعات.

وسمعت صوت المعلق الإذاعي والإعلامي العربي الكبير أحمد سعيد مدير إذاعة «صوت العرب من القاهرة» وهو يقول: هؤلاء جنودك يا جمال.

أمضينا ذاك اليوم نتجهز للفرح القادم.. و"بعد اليوم ما في نوم.."

من أين سيأتيني النوم؟.

تتالت الأحداث بسرعة مذهلة.

لا أحد يستطيع أن يصدق انقلاب سيرورتها..

كيف؟!

من النصر إلى الهزيمة؟! وأي هزيمة؟

كيف؟!

هذا مستحيل..

وعبد الناصر«وكان ملك أحلامنا» والجيش المصري.. والجبهة السورية الحصينة.. و.. و..

ذاك العام كان عام النهاية..

في ليل لم يدركنا نوم مشينا باتجاه الجسر الأبيض – العفيف..

كان في الشارع ماء يتدفق بقوة.. ورجل شيخ بمشروع لحية بيضاء.. يجلس على درجات تدخل إلى محل تجاري مغلق.. سألناه:

- ماهذا الماء؟!.

نظر إلينا ببلاهة وقال:

- إنها دموع.. قاسيون يبكي.. وبكى بحرقة وبصوت عال.. فوجبت المشاركة.. حتى جاء أقرباء الشيخ من منزلهم وقد سمعوا بكاءنا فأخذوه وهم يكفكفون دمعه ولم يكفكف أحد لنا دمعاً..

قصدنا حديقة الجاحظ.. توسدنا العشب الندي الرطب..

قال صديقي:

- لو أحضرنا عدداً من الجرائد...

قلت:

- لا أريد أن أراها.

كان أول خصام حب شديد بيننا.. أنا والثورة..

لأيام لم أعد أطيق عناوينها، صورها، كلماتها، زينتها، رائحتها.. حتى وصلت إلى حدود طلب الطلاق.. لكن.. لم يحصل..

إنها النهاية..

من أطلّق كي أطلّق؟!.. الثورة أم قاسيون.. الجامعة أم الحميدية.. الساحل وجباله أم دمشق.. أم الحياة كلها..؟

ياللفجيعة..!

لا.. لن أطلق..

سأفعل شيئاً.. سأستعيدهم..

سمعت مصوراً من الثورة يقول: إنه سيذهب إلى مشفى المزة العسكري لتصوير الجرحى.

اعتمدت أن أرافقه.. ورحب..

في مهاجع الجرحى حيث لا ألم على الوجوه.. بل حيرة.. وتساؤل:

- ما الذي جرى؟!

أنا رأيتهم.. بأم عيني رأيتهم.. جرحى لا يبكون جراحهم.. بل يسألون عن الذي جرى وكيف..؟!

إلا ذاك الوجه الحزين بألم..

نادى علي..

خشيت أن يكون هو.. علاء !!

لا يبدو عليه شيء.. جراح خفيفة على وجهه..

أسرعت أعانقه..

رأيت لأول مرة في حياتي ابتسامة تبكي أكثر من البكاء نفسه.. وبحركة خفيفة هادئة رفع الغطاء لأرى ضماداً على رجل.. كأنها قُطعت..

حاولت ألا أصدق.. لكن الرجل الثانية روت لي الحكاية.

لم يطل عليه الزمن.. مات معلناً انتهاء عصر الكاريكاتير.. في عالم كل ما فيه كاريكاتير.

لسنين طويلة احتفظت بالعدد الذي نشرنا فيه صورته.

لكن..

كان لا بد أن يخرج من الحكاية.. كي نستعيد أنا والثورة حكاية عشق بلا منغصات..

عيد بأية حال

أما العيد فهو الذكرى الرابعة لصدور عددها الأول ١٩٦٧/٧/١، وأما الحال فليس ثمة ما هو أسوأ.. صحيفة مقزمة.. وواقع مر هو واقع الهزيمة.. وأقلام تنحني على الورق لتنتحل ما لايقنع كاتبها أو قارئها - إن كان ثمة من ما زال يقرأ -.

كم عانى ذاك الرعيل من الصحفيين في الثورة في تلك الحقبة؟! كم عانينا؟!

الإحباط في كل نفس.. الألم في كل روح.. والثقة شبه منعدمة.. ماذا نكتب؟.. ماذا نقدم..؟! ولمن؟.

شهر تموز بكامله.. صدرت فيه الثورة ليوم واحد بثماني صفحات وباقي الأيام بـ بأربع صفحات.. الأولى سياسية مع افتتاحية غالباً.. الثانية والثالثة أخبار في كل مجال.. والرابعة صفحة مقالات وصور..

جهود كبيرة بذلها زملاء ليزرعوا الأمل في أنفسهم أولاً.. ثم في غيرهم.. لم تكن أقلامهم قادرة على إخفاء البؤس لكنها كانت تلون اليأس لترتدي لباس الأمل.

محمد الجندي على الأولى.. معين بسيسو على الأخيرة.. وآخرون.

ياسين رفاعية.. يوسف مقدسي.. منيف حسون.. الخ.

وتتالى قصص ليس فيها ما يثبت واقعيتها.. إنها محاولة لإعادة الأمل للنفوس..

في مطلع تموز تتحدث الثورة في مانشيتها وفي افتتاحيتها عن زيارة الرئيس السوفياتي نيكولاي بودغورني.. وهناك مانشيتات عن مداولات الجمعية العامة للأمم المتحدة، وكاريكاتير لعبد اللطيف مارديني على الأولى.

في ٤ تموز تشير الصحيفة إلى احتمال أن تكون الصين قد فجرت قنبلة هدروجينية.. وكانت الصين مارد العالم المستمر في النمو والتقدم.. في العـــدد ذاته في مانشيت داخلي خبر إنزال طائرة كانت تقل رئـــيس وزراء الكونغـــو السابق "موريس تشومبي" فـــي الجزائـــر.. واعتقالـــه مـــن قبـــل الـــسلطات الجزائرية.. وكان تشومبي متهماً بالعمالة للغرب "الاستعمار الهولندي" وبأنـــه يقف وراء التصفية المأساوية للزعيم الثوري الافريقـــي الراحـــل "بـــاتريس لومومبا".. ويعتبر تشومبي من أساطير الخيانة والعمالة للمستعمر.

في هذا العدد ولأنه جاء بـــ ٨ صفحات هناك على الـــصفحة الـــسادسة خواطر مختلفة بعنوان "القراء يساهمون في المعركة" في محاولة من القـــراء للهروب من اليأس.. لكن.. لا هذه الصفحة تكررت.. ولا الثورة صدرت فـــي اليوم الثاني بثماني صفحات.

على الصفحة الأخيرة من هذا العدد إضافة إلى معين بسيـــسو وياســـين رفاعية وحسين راجي، هناك قصيدة حماسية صغيرة لـــ "أحمد خنـــسا" يـــرد اسمه لأول مرة ولـــ "ظهير كنيفاتي".. وهناك قطعة منقولـــة عـــن الأهـــرام المصرية تحمل العنوان التالي:

سارتر: الحرب التي أشعلتها إسرائيل تخدم المصالح الأميركية.

يلاحظ مما يرد في الصحيفة خلال هذه الفترة العصيبة، تعدد زيـــارات مسؤولين من مختلف المستويات لسورية، لعلها محاولة لرفع المعنويات.. كما يلاحظ شيء من التخفيف في اتهام الدول العربية، والقبـــول بمبـــدأ التعـــاون وأيضاً القبول – بشكل غير متحمس - بعقد قمة عربية.

لكن الثورة عبر افتتاحيتها تحاول جعلهـــا قمـــة عربيـــة مـــشروطة.. مشروطة مثلاً بتسليح الدول العربية لشعوبها؟!

تنادت الأوساط السورية يومها إلى تدريب وتسليح الـــشعب.. وبـــدأت دورات الجيش الشعبي وإلزام المواطنين باتباعها، وقد كان لنـــا فـــي الثـــورة

محاولة من ذلك.. واستمر تدريبنا بالجيش الشعبي طويلاً... أستطيع أن أقدر اليوم.. إن ذاك التدريب لم يكن أبداً ليخرج مقاتلين.

في منتصف الشهر.. تغيب لأيام متتالية زاوية معين بسيسو ويغيب اسمه كلياً إلى أن يعود للظهور في عدد ٢٧ تموز.. أما معظم الأسماء الأخرى فقد استمر غائباً..

هذه الفترة تظهر علامات تطور لافتة على كاريكاتير علي فرزات والذي ينشر على الصفحة الأولى غالباً.. حيث يظهر اتجاهه للتعبير بخطوط الكاريكاتير والرسم دون كلمات.

على الأخيرة وبشكل يومي تقريباً هناك أحاديث قصصية عن البطولة والبطولات لياسين رفاعية وهناك ترجمة بعنوان المعركة من خلال الصحف الأجنبية يوقعها "خ – ش" وهو خلدون الشمعة.

تتكرر على الصفحة الأولى مانشيتات عن الاشتباكات عبر قناة السويس، إنها حرب الاستنزاف التي عرفتها مصر وإسرائيل في تلك الفترة.

شكلت عملاً عسكرياً مصرياً مهماً.. يعيد للروح شيئاً من الأمل.

أول مقال في الثورة بعيداً عن أجواء الحرب "ليس لمسافة كبيرة" لهنريت عبودي في ٢١ تموز يحمل عنواناً:

هل دقت ساعة الثورة الزنجية في أميركا؟

هناك زاوية توقع بحرف "س" تتكرر على الصفحة الأولى تتابع الشأن الدولي، وإذا اعتمدت على الذاكرة أقدر أنها للمرحوم سليمان الخش.

في عدد ٢٨ تموز نشر معين بسيسو قصيدة في زاويته من شوارع العالم على الصفحة الأخيرة.. نأخذها هنا، فهي ترسم ملامح أدب الهزيمة الذي عرف بعد ١٩٦٧.

الشاعر في سوق الوراقين..

كل قوافي الشعر أغتصبت

كل الأوزان انتهكت

لم تبق ولا قافية عذراء..
يادالية اللهب
عاد الشاعر من معركة قوافي الشعر الكذابة
كالثعلب مقطوع الذنب
من منكم ينتسب إلى سيف الدولة والمتنبي..؟
بعتم كل قوافي الشعر وكل الأوزان بأسواق الوراقين..
"وصلتهم" حتى سقط البلبل في شرك السكين..
لو تملك أن تبصق حطين..
أو تملك أن ترجم نابلس بيارقكم وجنين..
من أين ستأتون بزنبقة من شاطئ غزة...؟
أو حفنة رمل من سيناء..
من أين ستأتون بحبركم المسروق
ومن شجرة زيتون في جبل النار..؟
أين أواري وجهي خجلاً
من "مرآة" قوافيك وأوزانك
يا وجه القرن العشرين..؟
كذب الشاعر
سقط جبين الشاعر
سقط كدرع مكسور
تحت السور..
مدي عبر الهضبة شريانا من صدرك
كي ينهض من تحت الأنقاض الثائر
ما زالت تطلع من جبهتك الشمس
ويغسل قدميك البرق
أواه دمشق...

في بداية آب تنشر الثورة على صفحتها الأولى خبراً عن مؤتمر صحفي لقائد سفينة التجسس الأميركي ليبرتي التي هاجمتها زوارق التوربيد الإسرائيلية قبالة الشواطئ المصرية، ويقول قائدها "كما أورد الخبر" إنه امتنع عن الرد عندما علم أن التوربيدات المهاجمة إسرائيلية.. وامتنع عن الإجابة عن سؤال حول سبب وجود السفينة قبالة السواحل المصرية خلال أيام القتال.

وجود السفينة ليبرتي والهجوم الإسرائيلي عليها بـــ ٨٢١ قذيفة من الطائرات وزوارق التوربيد ما أسفر عن قتل ٣٤ بحاراً على متنها، لا يزال سراً بدرجة اللغز، حتى اليوم.

في العدد نفسه خبر عن مؤتمر لوزراء الخارجية العرب يعقد في الخرطوم، وفيه أيضاً على الصفحة الأخيرة حالة صحفية جديرة بالعرض في أجواء الفقر الشديد الذي تعانيه صحيفة من أربع صفحات:

السيد رئيس التحرير

إن قراءكم سوف يستغربون مني أن أسأل: لماذا لا نشتري الولايـــات المتحدة من إسرائيل؟!

من أجل ذلك إليكم عشر حقائق أرى أن يعيها كل عربي. عندما تقـــرأ يصبح سؤالي مفهوماً عند من يبدو لديهم للوهلة الأولى أنه لا معنى له:

١ - إن مجموع رؤوس الأموال لأكبر مئة مصرف في العالم هـــو ١٧ مليار دولار.

٢ - ١٠% من رأس المال لأي شركة مغفلـــة يـــسمح لمالكـــه أن يشرف على مجلس الإدارة.

٣ - إذن مبلغ مليار و٧٠٠ مليون دولار يسمح إلى أي شخص أن يشرف على أكبر بنوك العالم.

٤ - إن مجموع الودائع في الـــ ١٠٠ مـــصرف المـــذكورة تقـــدر بصورة تقريبية بـــ ٢٢٠ مليار دولار موظفة فـــي الـــشركات الكبرى الصناعية.

٥ - إن مجموع رؤوس الأموال لأكبر مئة شركة صناعية في العالم تقدر بشكل تقريبي بـ ١٧٠ مليون دولار وهذه الشركات مدينة بجزء كبير من رساميلها إلى أكبر ١٠٠ مصرف في العالم.

٦ - إن مجموع العائدات التي تنالها البلدان العربية من البترول تتجاوز سنوياً ثلاثة مليارات من الدولارات.

٧ - إن ٢٠% من هذه الموارد يبلغ في ثلاث سنوات ملياراً و٨٠٠ مليون دولار وهو ما يساوي ١٠% من رأس مال أكبر المصارف العالمية. ومن يملك تلك المصارف يملك مصير العالم كله.

٨ - الرأسمال اليهودي هو في جزء كبير منه رأسمال مصرفي.

٩ - إن رجال السياسة في العالم ينفذون أوامر رجال المال.

١٠ - إن مجموع الثروة العربية هو أكبر بكثير من مجموع الثروة اليهودية.

ميشيل سعد

الثورة: إن السيد ميشيل سعد أرسل هذه الرسالة لجريدة الأوريان اللبنانية عدد ٣١ تموز ١٩٦٧. ولم تعلق الجريدة على رسالته ونرى من المفيد أن يطلع القراء على الأرقام الموجودة في هذه الرسالة وأن نعلق على موضوعها.

إن السيد سعد لم يضع في حسابه وهو يكتب هذه الرسالة أن الشركاء العرب للشركات البترولية لا يجرؤون على مطالبة هذه الشركات بالإشراف على حساباتها. أي لا يجرؤون أن يتمتعوا بحق أي شريك في العالم بالاطلاع على حصته الحقيقية من الأرباح. هذا بغض النظر عن أنهم لا يجرؤون أيضاً أن يقدموا أي رأي يتعلق باستغلال البترول الخام وتسويقه

بحيث يعود ذلك بربح أكبر على الطرفين. بل لا يجـرؤون علـى المطالبـة بالاستفادة من الغاز المهدور والذي ينطلق من الآبار ويحرق.

وهذه العلاقة غير المتكافئة تجعل الطـرف العربـي المالـك لمـوارد البترول غير قادر أن يحلم بالسيطرة على شركات التمويل العالميـة وعلـى السيطرة السياسية على العالم من خلال ذلك.

إن الامبريالية الاحتكارية تنظر للبلدان المتخلفة كبقرة حلـوب فهـي تمتص ثرواتها دون أي مقابل. موارد البترول موظفة في البنـوك العالميـة وفي الشركات الصناعية ومع ذلك ليس للطرف العربي أي حق بالتـدخل لا في شؤون تلك البنوك ولا في شؤون تلك الشركات بل ليس له الحق أيـضاً في أن يسحب تلك الأرصدة أو في أن ينشئ شركات استثمار مـن أي نـوع كانت في بلده.

إن أرقام السيد سعد مفيدة لا في التساؤل عن السبب الذي لا يحـاول فيه الطرف العربي أن يسيطر على التمويل العالمي وبالتالي على الـسياسة الدولية، وإنما هي مفيدة في توضيح مدى أهمية تلك الموارد لو كان يملكها الشعب العربي ويستطيع التصرف بها في المجالين السياسي والاقتصادي.

هذه الأرقام بصورة خاصة مفيدة لتلهب الشعب العربي كـي يـستولي على موارده الطبيعية وحينئذ فقط يستطيع أن يملك مصيره وأن يصد عـن نفسه كل محاولات الغزو التي قامت في الماضي والتـي تقـوم الآن وفـي المستقبل كي تبقي شعبنا متخلفاً وتجعل وطننا دوماً تلك البقرة الحلوب التي تسمن الامبريالية العالمية بمواردها وتزداد بذلك قدرة على ضـرب شـعبنا وعلى ضرب شعوب العالم الثالث.

على الصفحة الرابعة والأخيرة يطل اسم الشاعر حامد بدرخان مشاركاً في الصفحة التي تحتضن حديث البطولات وشوارع معين بسيسو العالميـة.. وترجمة مستمرة لخلدون الشمعة عن المعركة من خلال الصحف الأجنبية.

العدد التالي ينشر "محمد الجندي" تحت عنوان "نحن والثور الأميركي" مقالاً افتتاحياً يرد فيه على محمد حسنين هيكل... دون أن نلمس بداية تراجع في العلاقات السورية المصرية.

منذ زمن غير قصير والسيد حسنين هيكل يكتب في تعليقاته أفكاراً غريبة ولا يتصدى له أحد لأن المشاع عنه أنه هو الناطق الصحفي باسم الرئيس عبد الناصر، وبهذه الطريقة تلتصق بالسيد الرئيس وبشكل عفوي كل تلك الأفكار الغريبة التي لا صلة له بها حتماً، وتدخل باسم الثورة العربية إلى آذان الجماهير.

ومقاله الأخير: "ماذا تريد أمريكا منا؟" خطير، ولا يجب أن يمر دون كشف المغالطات الأساسية التي يحتوي عليها، رغم حرصنا على عدم فتح حوار قد يسيء استغلاله العدو ضد القوى التقدمية.

١ - إن السيد هيكل يوضح بالتفصيل علاقة إسرائيل بأمريكا ويخلص إلى نتيجة صحيحة هي أن الامبريالية الأميركية هي التي يواجهها شعبنا العربي اليوم، والقناع الإسرائيلي ليس إلا قناعاً صنعته تلك الامبريالية نفسها منذ عشرين سنة.

ويصل إلى نتائج صحيحة أيضاً حين يقرر أن أهداف العدوان الأخير هي بصورة عامة: ضرب الأنظمة التقدمية وتصفية قضية فلسطين وحفر هوة بين الشعب العربي والاتحاد السوفييتي.

ولكنه ورغم التناقض التام يلوح بإمكان قيام أمريكا بالضغط على إسرائيل لسحب قواتها بعد "صبر" مستشهداً بكتاب أرسله جونسون إلى أحد الزعماء العرب أي أنه يحاول أن يفتح الطريق لأمريكا رغم ما سرده عن تواطئها من خلال كتاب أرسله جونسون، ويمكن أن يكذب فيه بالسهولة نفسها التي كذب فيها على الرئيس عبد الناصر، وبالسهولة التي تلفق فيها الامبريالية يومياً آلاف الأكاذيب على العالم، مع ذلك لا حاجة لتأكيد كذب جونسون لأن الناطق الرسمي باسم البيت الأبيض نفى رسمياً وجود أي كتاب بهذا المعنى.

والتناقض الكبير هنا هو في أن يغير الموقف من الامبريالية أو يحدد الصراع معها كتاب يصل من جونسون.. إن الامبريالية تستطيع أن تقضي على الأنظمة التقدمية بطريقتين، وهذا أمر يجب أن نضعه في حسابنا: فهي إما أن تقضي على التقدميين أو أن تقضي على مواقفهم، ماذا يبقى من تقدميتنا كلها إذا كان كتاب من جونسون يكفي لتغييرها أو تعديلها بما يتفق مع المخططات الأميركية؟.

٢ - يلح السيد هيكل على الغباء والحمق الأمريكيين وعلى القوة الأمريكية الهائلة، ويريد بذلك التحذير من التصدي لذلك الأحمق القوي الذي يملك آلات التدمير، والسؤال هنا: كيف تتطور الأمور لو قبل العالم الثالث كله هذه النصيحة الغالية؟ ألا تنتهي صلة كل شعوب العالم حينئذ بوطنها وبمستقبلها وبحياتها اليومية ويرفرف علم الامبريالية على الكون؟

متى كان الاستعمار غير قوي بالنسبة للشعوب؟ الاستعمار هو الذي يملك دوماً أرقى مستويات التكتيك، ولكنه غير غبي وليس بحاجة إلى مدرسة لتعلمه على مصالحه، مصلحته الأساسية اغتصاب ثروات العالم، وهذه العملية تحتاج إلى الغزو والسيطرة، وذلك ما تقوم به الامبريالية الأميركية بذكاء وما ستقوم به في المستقبل.

فولبرايت نفسه لا يفعل غير ذلك حين يأتي إلى الحكم لأن طريق الامبريالية وحيد هو الغزو وطريق التحرر وحيد هو الثورة.

٣ - إن سياسة الاعتدال أو "عدم التناطح" كما يسميها هيكل، يمكن أن تركز على أساس منطقي حين لا تكون قوات العدو في أرضنا. وصراع الاتحاد السوفييتي مع الامبريالية يختلف من الناحية العملية عن صراعنا، فصراع الاتحاد السوفييتي هو الآن أيديولوجي نسبياً ويعتمد على الزمن الذي هو ضد الامبريالية ويؤدي إلى المزيد من تناقضاتها. ولكن ما موقف الاتحاد السوفييتي لو حاولت القوات الأمريكية أن تدخل حدوده؟ أو أن تغير خريطة أوروبا ولو بشبر؟.

نحن لسنا مثل الاتحاد السوفييتي لأن أرضنا محتلة وثرواتنا مغتصبة واليد الامبريالية تخنق جماهيرنا من المحيط إلى الخليج، ولا يمكن أن نحل مشكلتنا بتسول العطف من أمريكا وانتظار التحولات في موقف جونسون و"بالصبر" على الحمق الأميركي.

نحن تقدميون ويساريون ليس فقط لأننا مقتنعون نظرياً بالفكر الاشتراكي، وإنما لأن الطريق اللارأسمالي هو الطريق الوحيد لإنقاذ جماهيرنا. وهذا يضعنا في موقف الصراع الحاد الكامل مع الامبريالية، ولا يمكن المصالحة معها عملياً إلا على حساب الجماهير وعلى حساب الاقطاعات التي نمنحها إياها من الأرض المحتلة أو المستثمرة.

٤ - رغم قوة الامبريالية الضاربة التي مدحها هيكل فإنها لا تستطيع أن تصمد أمام طاقات الشعوب الثائرة والاشتراكية، والاستراتيجية الوحيدة التي تحررنا وتحرر العالم الثالث من السيطرة الامبريالية هي الاستراتيجية الثورية، إنهاكها يعتمد على توسيع رقعة القتال في العالم، وهذا ما سيساهم به شعبنا العربي عاجلاً أم آجلاً.

الصراع بين البلدان النامية والامبريالية ليس محدوداً على موضوع ضيق يمكن التفاهم عليه أو إيجاد حلول وسطى له، وإنما على وجود شعوب تلك البلدان بالذات، وكما لا يستطيع الفيتناميون أن يجدوا صيغة سلام إلا بالجلاء الامبريالي الكامل، كذلك نحن، وكذلك شعوب القارات الثلاث المحكومة.

في هذا العدد تأخذ زاوية من شوارع العالم الصفحة الرابعة بكاملها.

في اليوم التالي تنشر الثورة مانشيتاً بعنوان:

وفد عسكري برئاسة اللواء حافظ الأسد في موسكو.

الماريشال غريشكو وكبار الضباط والشخصيات الرسمية السوفياتية يستقبلون الوفد بالمطار.

اليوم الذي يليه:

يعلن المانشيت عن وصول الرئيس العراقي عبد الرحمن عــارف إلــى دمشق في زيارة رسمية، وعلى الصفحة الرابعة "الأخيرة" يظهر اسم "مواهب كيالي" لأول مرة بمقال يحمل عنوان "نكون أو لا نكون".

وينشر معين بسيسو خطاباً مفتوحاً مطولاً لوزارة الإعــلام.. يمكــن أن نفهم مضمونه من رد وزارة الإعلام في العدد التالي على الصفحة ذاتها:

جاءنا من السيد وزير الإعلام التوضيح التالي رداً على ما كتبــه الأخ معين بسيسو في زاويته "خطاب مفتوح إلى وزارة الإعلام":

أولاً: فيما يتعلق بنقابة الصحافة فإن دور وزارة الإعلام كان التشجيع وتذليل الصعوبات المختلفة التي أعاقت تأليف النقابة.

وقد عقد الاجتماع التأسيسي كما هــو معــروف وانتخبــت اللجنــة التحضيرية وأصبح من مهماتها ومن مهمات وزارة العمل متابعة واستكمال الخطوات، ووزارة الإعلام بدورها مستعدة لبذل أي جهد مطلوب منها.

ثانياً: فيما يتعلق باتحاد الكتاب، فإن الخطوات قد وصــلت إلــى حــد انتخاب اللجنة التحضيرية وصياغة مشروع نظام داخلي وبقي أن يستكملوا الخطوات القانونية من تقديم مشروعهم إلى السلطات المسؤولة. وقد قمــت شخصياً بتذكير أعضاء اللجنة أن المسؤولية أصبحت مسؤوليتهم.

وقد شجعت وزارة الإعلام أيضاً على قيام الاتحاد وبذلت كل الجهــود لتذليل العقبات التي تحول دون قيامه.

بقي أن يبرهن الأخوة الصحفيون والكتاب على صــمودهم وقــدرتهم على حمل المسؤولية في كل الظروف على النمط الفيتنامي كمــا ورد فــي الزاوية المذكورة.

ونحيي بالمناسبة الأخوة من الصحفيين والكتاب ونتمنى لهم التوفيــق العاجل في استكمال الخطوات الضرورية لقيــام اتحــاداتهم، ونحــن علــى استعداد دوماً للتعاون معهم في هذا المجال.

مانشيتات للثورة في ١٣ آب

الأول:

الماريشال تيتو.. يصل اليوم إلى دمشق

الثاني بالأحمر:

الشعب العربي قادر على دحر العدوان

وهو مأخوذ من البيان الصحفي الصادر عن زيارة الرئيس عبد الرحمن عارف لدمشق.

تستعيد الصحيفة تعددية الأسماء نسبياً رغم أنها بأربع صفحات وتستوعب صفحتها الأخيرة الجديدة ممدوح عدوان ويوسف مقدسي إضافة إلى معين بسيسو وياسين رفاعية ومنيف حسون وأشعار حامد بدرخان والمعركة من خلال الصحف الأجنبية التي يقدمها خلدون الشمعة.

تبدو الصفحة الرابعة في هذه الفترة وكأنها تشيل الحمل عن شقيقاتها الغائبات.

في عدد ٢٢ آب يعود الأستاذ محمد الجندي للرد على هيكل في افتتاحية تحمل عنوان "هيكل مرة أخرى".. تهتم الثورة كثيراً في هذا العدد وفي سابقيه بتطورات الأوضاع الاقتصادية في العراق الذي تجرأ على شركات النفط.. ورغم توفر ملامح عديدة لتطور العلاقات السياسية والاقتصادية مع العراق "رفع الحواجز الجمركية". إلا أن طريقة النشر تظهر وكأن ثمة لهاث وراء أي حركة أو انتصار يشغل ما في أي موقع.. عربي.. أو نضالي دولي.

في ٢٣ آب يترك محمد الجندي الافتتاحية ليحل ضيفاً على الصفحة الأخيرة بمقال طويل بعنوان الشعر والسياسة.. وفي اليوم التالي يعود إلى الافتتاحية لمقارعة كل من يواجه سورية ونظامها السياسي.

في عدد هذا اليوم يظهر.. "أيوب منصور" كاتباً لزاوية على الهامش على الصفحة الأولى.

هناك اجتماعات عربية ومؤتمر قمة في الخرطوم.. سورية تشارك بوزير الخارجية.. ويبدو من تناول الصحيفة لأخبار القمة أن ثمة موقفاً سورياً ليس بشديد الترحيب.

وفي عدد الخميس ٣١ آب.. مانشيت الثورة:

سورية لن تشترك في جلسات القمة.. ووفدنا لمؤتمر وزراء الخارجية في طريقه لدمشق.

يبدأ أيلول وقد بدأت الثورة تظهر أحياناً بثماني صفحات تمهيداً لاستعادة وضعها الذي كان قبل حرب حزيران.

في "١" أيلول المانشيت:

عبد الناصر يعلن أمام جلسة سرية لمؤتمر القمة في الخرطوم:

اخترنا المضي في المقاومة حتى آخر الطريق.

رفضنا كل الحلول التي عرضت لأنها طريق للاستسلام.

في ٢٠ أيلول ثمة ما يظهر الموقف على الصفحة الأولى من صحيفة الثورة..

هناك مانشيت يقول:

مؤتمر القمة يقرر:

استئناف ضخ البترول.. العودة للتضامن العربي.. العمل السياسي "لإزالة آثار العدوان".

إزالة آثار العدوان عبارة ستتردد كثيراً فيما بعد.

وهناك قطعة كبيرة في أعلى الصفحة يقول عنوانها:

الدكتور ماخوس: لم يستطع وزراء الخارجية إقرار أية توصيات وخاصة توصيات مؤتمر وزراء الاقتصاد والمال والبترول العربي.

وهناك افتتاحية لمحمد الجندي بعنوان: إزالة الإزالة

لقد أدت "إزالة آثار العدوان" لدى مؤتمر القمة إلى استئناف ضخ البترول الذي لم ينقطع إلا جزئياً وإلى العودة إلى "التضامن العربي" الذي يعني عملياً السكوت عن كل الأوضاع الداخلية الشاذة التي يتعرض لها شعبنا في عدد من الأقطار العربية، السكوت عن عمليات القمع وضرب كل صوت تقدمي وكل بادرة فيها مجابهة للنفوذ الامبريالي الانكلو أمريكي الصهيوني، ومقابل ذلك تساهم تلك الأقطار في عملية استعطاف دولية لإنقاذنا من إسرائيل وظلمها وطغيانها. ستساهم تلك الأقطار في توجيه النداء للضمير العالمي وفي إلقاء الخطب على منابر الأمم المتحدة ومجلس الأمن، ومقابل السكوت عن ضخ النفط وعن سحب الأرصدة، سوف تدفع تلك الأقطار بعض المبالغ وقد تتبرع بالمعلبات والبطانيات لضحايا العدوان.

أما ضحايا العدوان الجدد فما عليهم إلا أن ينتظروا كما انتظر أسلافهم عشرين سنة على الأقل، إلا إذا جمعتهم المصيبة مع ضحايا آخرين نتيجة لعدوان آخر أو لأكثر من عدوان آخر.

تلك هي أسطوانة ١٩٤٨تعيد ذاتها ولكن مع ترسيخ أقوى للاحتلال، لأنه إذا صدقت الأخبار التي تتسرب من الصحف العالمية، فإن إسرائيل في طريقها لإنتاج القنبلة النووية بوحي أمريكا وبمساعدتها، وقد يكون ذلك لا لتستخدمها ضد الأقطار العربية وإنما هي في جملة الخطوات الواسعة الحذرة في استكمال الثكنة الذرية الأمريكية التي تتلافى بها أي تهديد لمصالحها في العالم سواء أتى عن طريق دول كبيرة أو صغيرة.

الحصيلة بالنسبة لضحايا ١٩٤٨ وضحايا ١٩٦٧ هي أن يرضوا بالمعلبات والبطانيات، وباستعطاف الضمير العالمي، والحصيلة بالنسبة للذين لم يصبحوا ضحايا بعد أن يناموا خوفاً من القمع وأن يصبروا حتى يصبحوا ضحايا وحينئذ يأتي دورهم بالبطانيات والمعلبات.

"إزالة آثار العدوان" تؤدي بهذا المعنى إلى ترسيخ العدوان وفتح الباب على مصراعيه لمخططات الغزو التي يتعرض لها شعبنا في الوقت

نفسه مع شعوب العالم الثالث، إننا نمد يدنا بذلك للعلقة الامبريالية الصهيونية، كي تمتصنا بهدوء حتى نزعنا الأخير كما امتصتنا بهدوء منذ عام ١٩٤٨ حتى اليوم.

وشعبنا العربي المهدد في كل أقطاره يحتاج بالدرجة الأولى إلى إزالة هذا النوع من "الإزالة" والالتفات إلى الكفاح المسلح، إلى الأسلوب الوحيد الذي ينقذه من المقصلة الامبريالية التي تنتظره، الأسلوب الوحيد الذي تنتهجه كل الشعوب المستعبدة اليوم في سبيل تحررها.

إن شعبنا لن يقبل بتصفيته، وهيلمة ١٩٤٨ لم تعد صالحة لتخديره.

مانشيتات ٣ أيلول كالتالي:

الجزائر ترفض استئناف ضخ النفط.

المجاهد: مؤتمر القمة تراجع عما يتبناه مؤتمر بغداد.

المصادر النفطية ترحب باستئناف الضخ وتطلب تعاون سورية.

الأسمسيون التونسية: الخرطوم نقطة بدء لحل ديبلوماسي.

يذكر هنا أن سورية ودولاً أخرى كانت تطالب ليس فقط بالاستمرار بالتوقف عن ضخ النفط بل أيضاً بسحب الأرصدة العربية من البنوك الأجنبية.

في عدد ٦ أيلول قطعة خبرية كبيرة تحمل العناوين التالية:

بعثة راسل[(١)] للتحقيق في العدوان تعقد مؤتمراً صحفياً في دمشق.

نحن ندين العدوان حتى لو لم يكن هناك نازحون ونابالم.

هل ستقدم "إسرائيل" إلى محكمة مجرمي الحرب.

في ١٦ أيلول ينشر خبر انتحار المشير عبد الحكيم عامر، دون أي تعليقات.. الرواية الرسمية المصرية بالكامل..

---

(١) برتراند راسل "مفكر إنكليزي".

على صفحتها الأولى في عدد ١٩ أيلول تنشر الثورة أهم المقررات التي اتخذها المؤتمر القومي الاستثنائي لحزب البعث العربي الاشتراكي، وتنشر على الصفحتين الرابعة والخامسة.. البيان كاملاً.. وهذه أول إشارة إلى انعقاد هذا المؤتمر:

أذاع الرفيق الدكتور نور الدين الأتاسي رئيس الدولة نص البيان القومي الصادر عن المؤتمر القومي التاسع الاستثنائي. وقد قام هذا البيان التاريخي بتحليل الأسباب التي أدت إلى النكسة تحليلاً علمياً كما ألقى الأضواء على الطريق الذي اختارته الجماهير العربية لإزالة آثار العدوان وللسير في معركة التحرير حتى النصر.

وقد أوضح البيان أن العدوان الاستعماري – الصهيوني الأخير جزء من المخطط الامبريالي الجديد الذي نجح في إجهاض بعض الحركات التقدمية في العالم وهذا ما كان يهدف إليه. ومن الأهداف الأخرى للعدوان إشعار المواطن العربي باليأس من قدراته والترسيخ لوجود إسرائيل بالإضافة إلى محاولة إرهاب الشعوب والإيحاء لها بقوة الاستعمار التي لا تقهر.

كما حدد البيان أسباب النكسة والعوامل التي أدت إليها فأكد أن السبب الرئيسي في وقوع هذه النكسة وفي جميع النكبات التي تعرضت لها الأمة العربية يكمن أساساً في التجزئة. وأكد أن الرد الحاسم على هذا الواقع وعلى الوجود الاستعماري هو في اتخاذ خطوات وحدوية جديدة بالإضافة إلى أسباب أخرى ناجمة عنه، فالتجزئة ساعدت على إبقاء الشعب العربي في حالة تخلف كما ساعدت على تمكين القواعد العسكرية الاستعمارية في بعض أجزاء وطننا العربي بالإضافة إلى التقصير في توضيح قضايانا للعالم.

كما وأن من أسباب النكسة الواقع الذي تعيشه القوى التقدمية في العالم.

وقد أكد المؤتمر على المنطلقات التالية:

أ -على الصعيد الداخلي:

١ -وحدة القيادة السياسية للثورة ضرورة أساسية لمواصلة المعركة.

٢ -لكل مواطن دوره في المعركة.. وهذا الشعار يعني تصميم شعبنا على القتال.

٣ -إعداد القوات المسلحة وتزويدها بكل لوازمها ورفع كفاءتها وتنسيق عملها مع القوات الشعبية.

٤ - ضرورة تجسيد المعركة كواقع حي في السلوك اليومي للمواطنين.

٥ - المضي في بناء القاعدة الاقتصادية.

٦ - لا تساهل مع الحاقدين والعملاء والمشككين.

ب - على الصعيد العربي:

١ - الوحدة العربية ضرورة استراتيجية ودفاعية ملحة وهدف قومي ومصيري. وقد اطلع على مبادرة القيادة القومية في طرح خطوات وحدوية تقدمية. ويطلب المؤتمر إلى القيادة القومية الاستمرار في مساعيها الوحدوية.

٢ - ضرورة اتخاذ الخطوات الكفيلة بتوحيد الطاقات العسكرية والاقتصادية في كل من سورية والمتحدة والجزائر والعراق ووضعها في خدمة المعركة.

٣ - يطلب المؤتمر من القيادة القومية العمل على عقد مؤتمر شعبي لجميع الأحزاب والحركات والمنظمات الشعبية والمهنية التقدمية في الوطن العربي.

٤ - يرى المؤتمر القومي في مؤتمرات القمة أسلوباً خاطئاً في معالجة القضايا المصيرية العربية وذلك بعد ثبات عجز هذه المؤتمرات بالتجربة العملية. ويؤكد المؤتمر الاستمرار في مقاطعتها.

٥ - الشعب العربي قادر على الوقوف في طريق من يحاولون تصفية القضية الفلسطينية. وبالتالي فإن أية جهة عربية ستكون عاجزة عن اتخاذ مواقف متهاونة أو مساومة.

٦ - النضال مع القوى التقدمية للحفاظ على الثورة اليمنية.

٧ - الدعم المطلق للكفاح المسلح الذي يخوضه شعبنا في الجنوب اليمني المحتل.

٨ - ضرورة الاستجابة لإرادة الجماهير العربية بمقاطعة الدول الاستعمارية التي شاركت في العدوان سياسياً وثقافياً واقتصادياً.

٩ - يهيب المؤتمر بالجماهير العربية استمرار النضال لقطع البترول عن دول العدوان وتسخيره لمعركة الشعب العربي.

١٠ - النضال المسلح لتصفية القواعد العسكرية الأجنبية في وطننا العربي.

١١ - الاهتمام بالجاليات العربية والطلبة العرب في الدول الأجنبية.

ج - على الصعيد الدولي:

١ - تطوير العلاقات مع البلدان الاشتراكية وتنمية التعاون معها في كافة المجالات.

٢ - استمرار النضال مع دول عدم الانحياز لزيادة فعاليتها.

٣ - توطيد العلاقات مع الدول التي أيدت الحق العربي.

٤ - إدانة أمريكا وبريطانيا وألمانيا الغربية والاستمرار في مقاطعتها. وتحديد علاقاتنا مع الدول الأخرى حسب مواقفها من القضايا العربية.

٥ - ضرورة النضال الشامل لقوى التحرر والتقدم في كل أنحاء العالم لإنهاء وتصفية القواعد العسكرية الاستعمارية.

تنشط الثورة خلال هذه الفترة في تغطية القتال عبر قناة السويس بين مصر "العربية المتحدة" وإسرائيل وهو ما عرف بحرب الاستنزاف.. وبعض أخبار المقاومة.. وترفض أي سلام مع العدو.. فقط توافق على انسحاب قواته من الأراضي التي احتلها.

في ٢٩ أيلول..

إعادة تشكيل الوزارة برئاسة الدكتور زعين.. والدكتور حبيب حداد وزيراً للإعلام.

يتكثف حضور المحررين رغم أن الجريدة تصدر غالباً بأربع صفحات، وبالتالي تستوعب الصفحة الرابعة والأخيرة الأقلام التي استوعبت "إنها الهزيمة ولا ريب".. وعادت للعمل.. في "إعلام الهزيمة".. إن صح التعبير.

بدأت تتعدد إصدارات ٨ صفحات.. ومع بداية الشهر العاشر غاب اسم محمد الجندي أكثر من مرة عن الافتتاحية.. وكتبت إما بلا توقيع وإما بتوقيع "الثورة".. وحضرت زاوية ثانية على الأولى حملت اسم معاً على الطريق وكانت توقع بحرف "ميم" ومرة واحدة معين ثم معين بسيسو وهي لم تستمر أكثر من أيام.

في تلك الفترة دخل الأستاذ نصر شمالي إلى الثورة من موقع مدير عام مساعد.. منذ دخوله لم يخف مشروعه وجرأته واندفاعه.. توجه مباشرة إلى العمال بنداءات مطبوعة تحضهم على العمل.. وبدأ يطرح رؤاه ولو شفهياً.

هل كان نصر شمالي هو الذي يوقع على الافتتاحية باسم الثورة أو يتركها بلا توقيع؟ "ربما".. بكل الأحوال لم تطل غيبة محمد الجندي عن الافتتاحية وعاد اسمه يتبع عنوان المقالة في رأس الصفحة.

بالمناسبة عندما غاب الجندي عن الافتتاحية كان يحضر أحياناً على الصفحة الأخيرة.. حتى إنه نشر في عدد ١٩٦٧/١٠/٥ مقالاً اقتصادياً طويلاً "نحو نصف صفحة".. بعنوان "لعبة الدولار الخطرة".

مانشيت عدد ١٠/٦:

إسرائيل تستدعي الاحتياطي لمواجهة المقاومة الشعبية.

وعلى الصفحة الرابعة والأخيرة تحقيق جميل لممدوح عدوان بعنوان:

كنت في الاسماعيلية

المدينة التي تلقت أكثر من ألف قنبلة.

حرب الاستنزاف بين مصر "العربية المتحدة" وإسرائيل.. والمقاومة.. كانتا شقتي الرداء الذي تلجأ الصحيفة إليهما.. كما كانت الحكومة تلهث وراءهما.

ثمة انطباع يشير إلى تدخل إخراجي ما على الأولى تحديداً.. لكن هذا لا يمنع هزال الجريدة الفني.. رغم أنها نشرت مقالات مهمة خلال هذه الفترة.

يتابع ممدوح عدوان تحقيقاته من مصر.. عدد الأحد ١٠/٨ تنشر الصحيفة قصيدة الشاعر المصري الراحل أمل دنقل "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة".. وعلى الصفحة الأخيرة ذاتها يطل اسم فيصل الياسري ناقداً مسرحياً.

في ١٠/١١ تنشر الثورة مانشيتاً على ثمانية أعمدة وبارتفاع نحو ١٠ سم باللون الأحمر.. من كلمة واحدة:

المؤامرة

والافتتاحية تحمل عنواناً بالأحمر:

لن يمروا..

وهي مغفلة من التوقيع..

الأعداد التالية لا تكشف شيئاً آخر عن المؤامرة.. وبالتالي تكون هذه العبارة وصفاً للحالة العامة في تلك الأيام.. التي كانت كلها مؤامرة لم تنته إلى سنين طويلة.

في ١٠/١٥ ينشر ممدوح عدوان على الصفحة الأخيرة ما يشبه مداعبة شعرية تحت عنوان قصيدة.. نحو عشرة أسطر.. ولم تلق استحساناً في حينه،

لكنها تشكل الإشارة الأولى من الصحيفة لمقتل الثائر الأرجنتيني الشهير "أرنستو تشي غيفارا".

في ١٠/١٧ عاد اسم محمد الجندي إلى الافتتاحية في حين غاب معين بسيسو وزاويته عن الصحيفة.

خلال هذه الفترة التي تشهد انعقاد دورة اجتماعات للجمعية العامة للأمم المتحدة.. تكثر العناوين التي تتحدث عن النشاط الديبلوماسي في أروقة المنظمة الدولية، وتصفه غالباً بأنه: بلا طائل.. لإيجاد حل تقبله كل الأطراف.

تظهر الصحيفة بشكل عام موقفاً سورياً غير مقتنع بإمكانات النشاط الديبلوماسي والحلول السياسية..

في عدد ١٠/١٧ يقول المانشيت الأحمر:

كواليس مجلس الأمن.. وأزمة الشرق الأوسط.

ويتبعه

دول عدم الانحياز تحاول عبثاً التفتيش عن حل يرضي به جميع الأطراف

في العدد ذاته إلى جوار المانشيت صورة للواء حافظ الأسد بلباس عسكري، يصافح مستقبليه "على رأسهم الدكتور ابراهيم ماخوس نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية واللواء أحمد سويداني، رئيس هيئة الأركان العامة" في المطار وكان عائداً من تشيكوسلوفاكيا.. وهي إحدى رحلاته في عدد من الدول الاشتراكية والعربية.. بما يوضح أنه يعد للجبهة العسكرية.

وفي العدد ذاته على الصفحة ذاتها.. افتتاحية لمحمد الجندي بعنوان: الوجه والقفا للأزمة.

مر على العدوان الامبريالي الصهيوني مائة واثنان وثلاثون يوماً كانت فيها الأزمة الناجمة عن العدوان الموضوع الأهم للنشاط الدبلوماسي

العربي والعالمي ولنـشاط المخـابرات الامبرياليـة ولا سـيما المخـابرات المركزية الأمريكية.

في هذه الفترة جرت الاتصالات العديدة بين الحكومات العربيـة فيمـا بينها وانعقد مؤتمر القمة وانطلقت منه التحركات المختلفة لتلك الحكومـات في اتجاهات عددية لا يكاد المرء يجد رابطاً فيما بينها.

وظهرت في هذه الفترة أيضاً نشاطات دول عدم الانحياز، وظهر الجدل الفارغ الذي لاينتهي على منابر الأمم المتحدة وفي كواليسها، وفي اللقاءات العلنية والسرية بين أطراف عديدة في العالم. ومن خلال كـل ذلـك يكـون للأزمة وجه وقفا.. أما الوجه فهو كـل مـا تـصر الأجهـزة الامبرياليـة وملحقاتها على إبرازه من الموضوع، وتروجه للاستهلاك ولخدمة الأغراض الخلفية لسياستها في شرقنا العربي.

والوجه الآخر أو القفا فهو الذي تكمن فيه الخطـورة كلهـا بالنـسبة لشعبنا العربي ومصيره ومستقبله، الامبريالية تتظاهر أمـام الـرأي العـام العالمي بأن البحث في "تسوية سلمية" أمر ممكن وتمد هذه الجزرة من خلال هيئة الأمم ومجلس الأمن لتهيىء ضربتها الثانية التي تعد لهـا باسـتمرار بواسطة مخابراتها وعملائها وإسرائيلها، تهيىء لها بتكديس المزيـد مـن الأسلحة في إسرائيل وبتحريك كل رصيد العملاء الذي تملكه منـذ خمـسين سنة في الوطن العربي، لتخدير شعبنا وقمعه كي يؤخذ على غرة وكي تكون الضربة ساحقة له أكثر ما يمكن.

الشغل الشاغل للولايات المتحدة فقط هو أن تستكمل عملية الغزو التي بدأتها دون توسيع الأزمة وجعلها شرارة لصدام دولي.

تريد أن تجزئ العملية وتختلسها كي تجعل العالم باستمرار تجاه أمـر واقع، وليفجر الآخرون الشرارة حينئذ إذا أرادوا، فلن تكون البادئـة وإنمـا ستكون مستعدة لخوض المغامرة حتى نهايتها وليحل بالعالم ما يحـل، ألـم يكتشف أحد الشيوخ الأمريكيين من قبل أن أمريكا هددت الـصين بالـسلاح

النووي إذا تدخلت في الحرب الفيتنامية؟ إن النوايا العدوانية الأمريكية لا حدود لها، وتكشيرتها على شرقنا العربي تحمل القذارة نفسها التي تفطر بها نواياها على العالم.

الوجه الآخر للأزمة هو طبخة الغزو المستمرة بالنسبة لوطننا والتي يجب ألا ننساها لحظة واحدة وألا ننسى أن الأنظمة الرجعية تشترك فيها بالمستوى نفسه الذي تشترك فيه إسرائيل. لقد كان في مؤتمر القمة مثلاً محاولة تصفية كاملة لفكرة المقاومة العربية، ولولا رفض سورية لنجحت الامبريالية من خلال الأنظمة الرجعية في إقرار الحلول التي تريدها.

ولم يزل الشعب العربي غير ممسك بزمام الأحداث، وغير واضع ثقله فيها وهذا أخطر ما في الموضوع لأن العدو يتحرك بسرعة هائلة، وليس ثمة أمل في أن ينبع عن الأنظمة الرجعية سوى التواطؤ الرجعي لذا يبقى الأمل الوحيد في أن تتحرك القوى التقدمية بسرعة أكبر ولا سيما في المجال الوحدوي وفي مجال المؤتمر الشعبي الذي دعا إليه حزب البعث العربي الاشتراكي كبديل لمؤتمر القمة كرد على التواطؤ الرجعي مع العدو.

والمسؤولية التاريخية الملقاة على الأنظمة التقدمية وعلى القوى التقدمية لا تسمح لها أبداً باللعب لا على حبل الأنظمة الرجعية ولا على حبل الامبريالية، وكل تكتيك سياسي هنا هو لمصلحة عملية الغزو الجارية، ويستخدمها العدو لخدمة مخططاته..

على الصفحة ذاتها أيضاً تنشر الثورة خبر وفاة الثوري العالمي الشهير "أرنستو تشي غيفارا" نقلاً عن بيان لفيديل كاسترو.

أحدثت وفاة غيفارا ردة فعل شعبية لافتة في الشارع السوري.. وقد ظهر ذلك واضحاً في الثورة التي قامت بإعداد كتاب عن يوميات غيفارا في بوليفيا.. وفي الصفحة الثانية نشرت صورته كبيرة كما وزعها وعرضها للصحفيين قتلته.

تشهد هذه الفترة مرحلة تصالح مع عراق عبد الرحمن عـارف.. وقـد زار الدكتور الأتاسي العراق.. واتخذ قراراً سمح لمواطني القطـرين بالتنقـل بالهوية "إلغاء التأشيرة".. في عدد ١٨ تشرين الأول على الـصفحة الأولـى صورة كبيرة لمواطن عراقي يعبر الحدود مصافحاً ضابطاً سورياً..

ومانشيت الثورة في العدد ذاته:

زحمة اتصالات لبحث مشكلة الشرق الأوسط.

عنوان الافتتاحية "السلام المسلح".

على صفحتها الثالثة تنشر قرار المحكمة العسكرية الاستثنائية

تحت عناوين ٨ أعمدة على النحو التالي:

الإعدام ومصادرة الأموال لكل من أحمد كمـال حمـدي ومحمـد السمان

لارتكابهما جنايتي الخيانة العظمى ودس الدسائس لدى دولة أجنبية.

في عنوان آخر:

المتهمان يتعاونان مع عصابة "فوخس" الإرهابية السرية للإساءة إلى جمهورية ألمانيا الديمقراطية الصديقة.

ثم عنوان آخر أيضاً:

فوخس منظمة تابعة لوكالة الاستخبارات المركزيـة الأميركيـة مهمتها تهريب المواطنين من جمهورية ألمانيا الديمقراطية إلـى ألمانيا الغربية.

المتهمان استغلا عملهما في القنصلية الـسورية لـدى الدولـة الصديقة.

على الصفحة الأخيرة من هذا العدد يظهر لأول مرة اسم أميمة الخـش في زاوية بعنوان "طابع بريد".

في عدد ١٩ تشرين تتابع أخبار نشاطات المنظمـة الدوليـة.. وتنـشر أيضاً من جانب آخر:

علي صبري: العـدو يهـدف إلـى زعزعـة ثقـة المـواطنين وطمأنينتهم.

دعوة المواطنين في منطقة القناة لمواجهة كافة الاحتمالات بما في ذلك خوض معارك ضارية مع الصهاينة.

مانشيت الثورة في عدد ١٠/٢٢:

تبلور مشروع قرار في كواليس مجلس الأمن.

ومانشيتها باللون الأحمر في عددها التالي:

بدء المحادثات بين عبد الناصر وزعين

وافتتاحيتها تحمل عنوان:

لقاء القوى الثورية من جديد..

وقطعة إخبارية بارزة بعنوان:

معارك عنيفة بين المقاومين العرب.. وقوات الاحتلال الصهيوني في الضفة الغربية.

على الصفحة الأخيرة من هذا العدد: إطلالة شعر لمحمد منذر لطفـي.. مرة ثانية محمد الجندي كاتباً اقتصادياً تحت عنوان مسألة الإصلاح النقدي.

في العدد التالي ٢٥ تشرين أول..

مانشيت:

اشتباكات عنيفة بين قوات المتحدة والقوات الإسرائيلية.

إلى جواره الخبر الرئيسي ومتداخلاً معها صورة على ٥ أعمدة لبـاخرة حربية.. والشرح يقول:

بعد الصدمة التي أصابت إسرائيل بالمدمرة إيلات..

جونسون: مسكين يجب أن ينام في ظلي دائماً

وهناك قطعة إضافية كبيرة في أسفل الصفحة بعنوان:

صدى إغراق المدمرة الإسرائيلية "إيلات" في العالم..

مانشيت عدد ٢٧ تشرين الأول:

مجلس الأمن مازال يدور حول عقدة "إيجاد مشروع قرار لحل الأزمة.

وصورتان..

واحدة لعبد الناصر مع زعين.. والثانية لزعين مع بومدين.. وكان رئيس الوزراء السوري قد انتقل من القاهرة إلى الجزائر.. ولم تكن خدمة نقل الصور على تلك الدرجة من السهولة.

في العدد ذاته اسم جديد على الصفحة الأخيرة التي أصبحت مفتوحة للمقالات دون زوايا ومتنوعة الاتجاهات.. هو عبد المجيد القط.. وفي العدد الذي يليه على الصفحة الرابعة والأخيرة يطل اسم ميشيل كيلو بمقال طويل بعنوان: تضامن الثوار.. وتضامن المرتزقة..

العدد التالي ١٠/٢٩ يقول مانشيته:

بوادر فشل مجلس الأمن في الوصول

من خلال الجدل الفارغ إلى نتائج إيجابية.

وعلى صفحته الأخيرة قصيدة لنزيه أبو عفش ... وفي معظم الأعداد يتناوب علي فرزات وعبد اللطيف مارديني على الرسم الكاريكاتيري على الصفحة الأولى.

مانشيت عدد الأول من تشرين الثاني:

التصلب الإسرائيلي يزيد من تعقيد محاولات مجلس الأمن.

هذا العدد لا يعود إلى ٨ صفحات وحسب بل يرفق به ملحق من ٤ صفحات عن الثورة الجزائرية.. به تستعيد الثورة مسيرة الصفحات الثماني.. وتعود زاوية من شوارع العالم.

تعود الصحيفة إلى التوزع السابق ذاته تقريباً.

الثانية أخبار دولية. الثالثة كما يشاء لها الهوى. الرابعة والخامسة محليات. السادسة ثقافة. السابعة تتمات والرياضة مازالت متوقفة. الثامنة مقالات وإنتاج أدبي.

وتظهر في هذا العدد ٣ تشرين الثاني قصيدة لفائز خضور تحت عنوان: أغنية من القاووش رقم ٢.

عدد السبت ٤ تشرين الثاني ينشر تقريراً عن احتفال بتسمية أحد شوارع دمشق باسم السياسي النقابي المغربي الشهير "المهدي بن بركة" وعلى الصفحة الأخيرة يظهر اسم الشاعر الراحل: مصطفى البدوي مترجماً قصيدة لشاعر بلغاري، وفي العدد الذي يليه على الصفحة الثقافية يظهر اسم "عبد الإله الملاح" مترجماً مسرحية من فصل واحد عن الانكليزية.

في عدد ١١/٩ يعود زكي الأرسوزي إلى الصفحة الأخيرة بمقالة طويلة بعنوان نحن وإسرائيل.. معظم كتاب الجريدة يعودون.. لكن الجريدة نفسها لم تعد بعد..

تتالى تحقيقات عبد الله السيد وتغيب تقريباً بشكل كلي مقالات هنريت عبودي الفكرية والسياسية التي تكتبها والتي تترجمها.. وبشكل عام لا نجد دراسات سياسية أو استراتيجية رغم خصوصية المرحلة.

في عدد ١١/١١ يغيب اسم محمد الجندي عن الافتتاحية.

في ١١/١٦ تعود الرياضة إلى الصفحة السابعة وينتقل الكاريكاتير إلى الصفحة الأخيرة.. وأسماء جديدة تظهر في الكتابة الثقافية في الجريدة.. قاسم طوير، عبد القادر ربيعة وإيليا أبو الروس. والكاتب المصري أحمد عباس صالح الذي كتب مقالاً حول الاتجاهات الأدبية في الجمهورية العربية المتحدة.

مانشيت ١٧ تشرين الثاني بالأحمر:

مشروع بريطاني يتحدث عن حدود آمنة ومعترف بها.

مانشيتات ١٨ تشرين الثاني:

في جو حافل بالتكهنات والمناورات وأمام أربعة مشاريع قرارات.
مجلس الأمن يجتمع ٩ دقائق ويرفع جلسته إلى الاثنين.
وكالات الأنباء تتوقع إعادة القضية إلى الجمعية العامة لدى فشل المجلس.

وتقول الافتتاحية المذيلة بتوقيع الثورة تحت عنوان: لن ينجح أي مشروع ولو نجح:

تكدست أمام مجلس الأمن كمية كبيرة من المشاريع المتعلقة بمشكلة الشرق الأوسط، إنما يبدو أن كل هذه المشاريع التي من الممكن جمعها في مجلد وثائقي لن تفيد الشعوب إلا في تكوين فكرة أوضح عن الحالة التي تردت إليها أوضاع هذه المنظمة الدولية وبالتالي جعلها تعيد النظر طبعاً بالأساليب النضالية التي تتبعها في معالجة مشاكلها.

ربما كان هناك من يستطيع أن يجزم بأن المنظمة الدولية لن تخرج بأي نتيجة حاسمة معتمداً في جزمه هذا على معرفته الواسعة بتاريخ هذه المنظمة وعلى متابعته الدقيقة لكافة القضايا التي عالجتها، ولكننا مع ذلك لا نريد أن نستبق الأمور، وسننتظر نتيجة أعمال المنظمة الدولية، بل وسنفترض بشكل طبيعي نجاحها أو فشلها في اتخاذ قرار بصدد مشكلة الشرق الأوسط، أي أننا سنضع لها في حسابنا احتمال النجاح، غير أننا نجد أن باستطاعتنا القول وبمعزل عن نتائج أعمالها، وسواء نجحت في اتخاذ قرار أو لم تنجح، بأن أي قرار تتخذه من كمية المشاريع الضخمة التي جمعتها لن ينجح.. وإن نجح!.

كيف..؟!

أولاً كانت كافة المشاريع التي رفعت إلى المنظمة الدولية تقريباً راعت أول ما راعت، وإلى حد كبير، عدم المساس بالمصالح الاستعمارية وبالاستراتيجية الاستعمارية في المنطقة، والتي تقع إسرائيل في نطاقها، بل أكثر من ذلك، جاءت أكثر المشاريع تحت تأثير وجهة نظر الاستعماريين وفي طليعتهم أمريكا، وبالطبع لم تتعرض أكثر المشاريع، وقسم منها يقع في المقدمة، لم تتعرض لجوهر المشكلة في الشرق الأوسط ولم تتناول لا من قريب ولا من بعيد جذورها العميقة التي ستبقى تنبت الصراع تلو الصراع.

ثانياً: إن المشكلة بجذورها وبجوهرها، والتي لم تعالجهـا المنظمـة الدولية بصراحة وجرأة كما ذكرنا لا تغني في حلها موافقة كل مـن العـرب وإسرائيل معاً على أي من المشروعات المقدمة، بل وحتى لو قبـل العـرب بالمفاوضات المباشرة التي تلح عليها إسرائيل، لأن إسرائيل قامـت علـى العدوان وكل شيء في وجودها غير طبيعي، والسبيل الوحيد لجعل وجودهـا طبيعياً ولاستكمالها شكل الدولة هو العدوان والمزيد من العدوان، ولا بد من أن يكون واضحاً أن إسرائيل لا تزال في بداية تنفيذ مشاريعها البعيدة المدى والتي هي عدوانية بطبيعتها، ولا يمكن أن تتوقف في أول الطريق وإلا فقدت مبررات وجودها الراهن وبالمقابل فإن العرب لا يمكن أن يتنازلوا عن شبر واحد من أراضيهم، حتى ولو افترضنا جدلاً أن إسرائيل قد اكتفت بالحد الذي وصلت إليه، إن العرب لا يمكن أن يتنازلوا، وهذه حقيقة واضحة راسـخة لا تتأثر بكل ما يحدث وما سيحدث، وأن كل افتراض آخر ضرب مـن المحـال يتجافى مع منطق التاريخ.

ثالثاً: إن إسرائيل تعرف كل هذا وأكثر منه، وهي واقعية إلـى الحـد الذي لا يتعارض مع وجودها ومشاريعها، ولكنها تأمل أن تحقق حلاً يجعـل واقعيتها بلا حد، والحل في رأيها يتلخص في إيجـاد جيـل عربـي خـانع مستسلم منفصل تماماً عن مشكلة فلسطين وعن ظروف اغتصابها ومتحلـل من روح المقاومة والصمود التي تسيطر على شعبنا العربـي منـذ مطلـع النكبة وحتى الآن، فالاعتراف والمفاوضات المباشرة، فـي رأيهـا، تخلـق ظروفاً جديدة، وأجواء نفسية جديدة، تزيل روح العداء والمقاومة والـصمود عند شعبنا، لتبدأ إسرائيل فيما بعد مرحلة جديـدة مـن العمـل العـدواني، ولتتحول المنطقة – كما تحلم – إلى مزرعة تـديرها لحـسابها ولحـساب حلفائها بوسائل أخرى ملائمة.

ولكن الجماهير العربية مدركة تماماً لما تريده إسرائيل، ولذا علينا أن نقول لها وبالتالي للمنظمة الدولية التي ربما تراود بعض أعـضائها نفـس

الأفكار تقريباً، إن روح الصمود والفداء والمقاومة في تصاعد، وإن أية إجراءات جديدة تزيد من الإساءة إلى شعبنا ستلهب هذه الروح أكثر فأكثر.

ولذلك نجد أننا نستطيع القول بأن أي مشروع من المشاريع المتراكمة أمام المنظمة الدولية لن ينجح.. لو نجح.

على الصفحة الأخيرة من هذا العدد يظهر اسم فريال مهنا في رسالة من إيطاليا.

مانشيتات العدد الذي يليه:

الاتحاد السوفياتي يرى تعديل المشروع البريطاني وخاصة الفقرة المتعلقة بانسحاب إسرائيل.

مجلس الأمن يجتمع غداً.. وبريطانيا لن تقبل تعديل مشروعها.

وكيل الخارجية الأميركية يؤكد تصميم حكومته على تزويد إسرائيل بالأسلحة.

وفي العدد مقالات عن آخر تطورات الوجود البريطاني في الخليج العربي.. وعن الأزمة الاقتصادية والمالية في بريطانيا. وعن معارضة الدول الست دخول بريطانيا السوق الأوروبية.

وباستثناء الافتتاحية لا شيء عما يجري في الأمم المتحدة.

عدد الخميس ٢٣ تشرين الثاني عنونت الثورة:

مجلس الأمن يوافق على المشروع البريطاني.. ومندوب سورية يعلن رفضه ويؤكد أن القرار مكافأة للمعتدين.

وجاء في الخبر..

اجتمع مجلس الأمن الدولي في الساعة العاشرة والدقيقة السادسة والخمسين من هذه الليلة بتوقيت دمشق للنظر في قضية الشرق الأوسط.

وقد وافق المجلس الذي يتألف من خمس عشرة دولة على مشروع القرار البريطاني الذي يطلب سحب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية وإنهاء حالة الحرب في سبيل إقامة سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط.

وقرر المجلس بالإجماع إرسال مبعوث خاص إلى الشرق الأوسط لإقامة اتصالات مع الدول المعنية بالأمر بغية إيجاد اتفاق ومساعدة الجهود لتحقيق تسوية سلمية ومعقولة وفقاً لنصوص ومبادئ مشروع القرار البريطاني.

وتقول مصادر الأمم المتحدة إنه من المتوقع أن يحتل سفير السويد بموسكو منصب الممثل لاوثانت، هذا ولم يطرح مقدمو المشاريع الأخرى مشاريعهم على التصويت في مجلس الأمن.

في عدد ٢٤ تشرين الثاني تنشر الثورة كلاماً منسوباً إلى الرئيس عبد الناصر يرفض فيه مفاوضة إسرائيل ولا يقبل إلا بالانسحاب إلى حدود ٤ حزيران ولن يسمح لإسرائيل باستخدام قناة السويس. في حين حسب مانشيت الثورة ترفض سورية القرار لأنه يؤدي إلى تصفية القضية الفلسطينية.. والملاحظ أن الثورة تشير إلى القرار الذي أعلنت أنه حظي بموافقة مجلس الأمن بأنه مشروع القرار البريطاني ولم تذكر رقمه كقرار وهو القرار ٢٤٢.

السبت ٢٥ تشير مانشيتات الثورة إلى تشكيل لجان الدفاع عن الوطن وحماية الثورة.. وتؤكد افتتاحيتها أن:

قرار مجلس الأمن مرفوض.

هذا الشعب لن يضل طريقه بعد اليوم، ولا يمكن أن يؤخذ بأي كلام يقال، ولم يعد من السهل إقناعه بأن "اللبن أسود" وإن من الممكن مرور الجمل من ثقب إبرة!.

إن شعبنا العربي يعرف طريقه ويعرف أعداءه تمام المعرفة، وأصبح يميز تماماً بين الوقائع وبين الأساطير، ولم يعد باستطاعة عملاء المخابرات الأمريكية الذين بدلوا جلودهم بعد الخامس من حزيران، وبدلوا صحفهم أيضاً، بنفس السرعة والبساطة التي يبدلون فيها بيوتهم وسياراتهم.. هؤلاء العملاء لم يعد باستطاعتهم النيل من قناعة ووعي شعبنا الذي عركته الأحداث، ولن ينجحوا في إيجاد ثقب الإبرة الذي يبحثون عنه.

إن قصة الخامس من حزيران، بدوافعها ومراميها المباشـرة وغير المباشرة، لم تعد خافية على أحد، ولا نريد أن ندخل هنا بالتفاصيل ولكننا نقول باختصار إن شعبنا في هذا القطر المناضل الذي أرغم شركة نفط العراق الانكليزية على الرضوخ التام لأول مرة بكل ما عناه هذا الحديث يومها من مغزى على المدى القريب والبعيد.. هذا الشعب كان يتوقع أن تتصاعد المعركة أكثر فأكثر وبسرعة، وكان مصمماً على خوضها إلى النهاية وعلى مجابهة التحدي بالتحدي والصمود، ولم يكن هذا الاختيار الثوري السليم رد فعل للأخطار الاستعمارية فحسب، وإنما كان دليلاً على نضج الحركة النضالية العربية، وتصميمها على تجاوز كافة الأساليب البالية التي كادت تفسح المجال للثورة المضادة التي كانت تستعد لاجتياح المنطقة العربية ولذلك أصبح حزبنا عرضة لشتى أنواع التآمر، واستهدف وجوده كما هو معروف ومن ثم أصبحت كل القوى التقدمية مستهدفة أيضاً بنفس المستوى من الحدة والشراسة.

اليوم.. مهما قيل.. وأياً كان مصدر القول ونوعه، فإن الجماهير العربية ترفض رفضاً قاطعاً قرار مجلس الأمن الذي رفضته منذ كان مشروعاً.

عملاء المخابرات الأمريكية الذين بدلوا جلودهم وبدلوا "صحفهم" في بيروت يتحدثون عن إمكانية تحول بريطانيا من جانب إسرائيل إلى جانب العرب بواسطة "الأصابع الدبلوماسية" على حد تعبيرهم!! يتحدثون عن اللبن الأسود، والعسل المر، ونحن لا نريد أن نناقش "سمومهم" التي برع "البنتاغون" في تحضيرها، ولكننا نريد أن نؤكد للجميع، إن كل الشهداء العرب الذين سقطوا منذ مذابح "دير ياسين" وحتى آخر مذبحة وقعت في مخيم "الكرامة" يرفضون بريطانيا ويرفضون مشروعها الذي أصبح قراراً، وإن كل المشردين تحت الخيام التي لا تقيهم حراً ولا برداً.. شيوخاً ونساء وأطفالاً.. الأطفال الذين ولدوا.. والذين لم يولدوا بعد..

كلهم يرفضون بريطانيا ومشروعها الذي أقر، وكلهم يرفضون الحل السياسي والأصابع الدبلوماسية المشلولة، بل إن الجماهير العربية تعتقد اعتقاداً راسخاً بأن هذه الأساليب هي في صالح العدو.

قرار مجلس الأمن مرفوض لأنه في صالح العدوان.. لأنه في صالح الاستعمار وإسرائيل.. ولأنه تصفية أكيدة للقضية الفلسطينية وتمكين الصهاينة من أرضنا وشعبنا، وعلى الجميع أن يرفضوا هذا القرار قولاً وعملاً، ونحن نستثني دون شك في مطالبتنا هذه عملاء المخابرات الأمريكية.

لا بدّ من الولادة

كلانا خرج من المعركة مقهوراً.. يملؤه الـذّل.. وتغيب عنه الإرادة لمقاومة اليأس.. وسؤال لا يفارق العقل والروح:

- ما الذي حصل؟! وكيف؟!

تضاءل وجودنا.. همنا على وجهنا.. وتقزمنا.. الثورة إلى النصف غالباً «بدأت بثماني صفحات.. وها هي تصدر بأربع» وأنا إلى لا شيء تقريباً.

مرت علينا أيام قاتلة.. والبحث عن ال «أمل».. أين تجده؟!

صيف ١٩٦٧ هو أسوأ صيف عرفته في حياتي.. ربما «الثورة» أيضاً..

كلما هدأت الجراح تجد ما ينكؤها.. جنود الاحتلال يدبكون في ساحة القنيطرة.. صهيونيات يدخلن بتحدٍ سافرات إلى حرم الأقصى..لهاث عربي والمنى أضغاث أحلام.. تبادل الاتهامات.. جرأة الفاجرين والمنافقين.. و.. كل يوم بشهر.

ماذا نفعل؟!

ها هي الثورة بمبناها ومطبعتها.. كانت حلماً وقد تكسّر على رأسي.. لم أعد أحب الذين أحببتهم فيها.. لم أعد أرى فيهم السحر والحياة.. كل ما تعكسه الوجوه السأم والقرف والحيرة.

لكن.. لا بد من الولادة.

تختلف مقدرة الناس على التعامل مع الألم والتصرف في المآزق.. بعضهم يقتله اليأس.. وبعضهم يقتل اليأس.. وبعضهم يهضم الدنيا.

كيف يكتبون؟!

ماذا يكتبون؟!

لا أعلم... لم أعد أقرأ الجريدة الصغيرة المقزمة إلا لأداء وظيفتي كمصحح للأخطاء المطبعية.. أذكر أنها تبدأ كل يوم بمقال محمد الجندي الافتتاحي وتختتم بزاوية معين بسيسو اليومية.. «من شوارع العالم».

أعترف اليوم – بالإذن من الكبير محمد الجندي أمدّ الله في عمره، ومن الراحل معين بسيسو، طيب الله ثراه – أنني لم أكن أقرأ هذه أو تلك..

على مصاطب الحزن في أروقة جامعة دمشق ومقاعد حديقتها الأمامية الصغيرة الجميلة.. نجتر الكلام.. أحتار من أين يأتيهم الأمل..

أحدهم سألني عن افتتاحية..

آخر سألني فيما إذا كانت البطولات التي يكتب عنها «ياسين رفاعية» حقيقية.. أجبته بالنفي دون معرفةٍ بحقيقة الأمور.. فيما بعد قال لي ياسين جواباً عن السؤال نفسه: فيها شيء من حقيقة.. ولم أره جاداً..

«سعيد أبو جبارة» الفلسطيني من غزة وكنا معاً في الأولى حقوق، طلب عدداً محدداً فيه زاوية لمعين بسيسو تتحدث عن بطولة أهل غزة في مواجهة قوات الاحتلال..

- متعاطف مع مدينتك..
- أهل غزة بواسل..
- ومعين بسيسو يخلد بسالتهم.
- معين وأنا من غزة.. هو نفسه رجل غير عادي..

روى لي سعيد عن معين كيف كان يفجر المظاهرات في غزة.. وقال: إنه قاد مظاهرة ذات مرة هتف فيها: يسقط اللئيم عبد الناصر.«غزة تبعت الإدارة المصرية بعد قيام إسرائيل واحتلت في ١٩٦٧».

وسألني فيما إذا كانت زوجته مازالت معه.. وسماها لي.. أعتقد «الصهباء» أو شيئاً من هذا القبيل.

استغربت إعجابه الشديد بمعين بسيسو ورؤيته للهتاف الذي أطلقه.. رغم أن سعيداً ناصري لا يخفي ميوله..

- هو شيوعي

- وأنت ناصري؟!

- صحيح.. أنا أحبهما عبد الناصر ومعين بسيسو.

- ما الذي حببك بالأول لتصل إلى الثاني.. وكيف مزجت بين الشيوعية والناصرية؟!

- ضد أميركا.

- ماذا يعني؟!

- ستتوحد قوانا ضد أميركا..

- عندك أمل؟!

- اسمع.. أنا فلسطيني.. مهجر أكثر من مرة.. وها هم احتلوا مدينتي.. وكلي أمل..

تابعنا معاً الحقوق.. كان متفوقاً.. حاضراً.. مبادراً سريع البديهة.

عدت إلى الصحيفة، حصلت على نسخة من العدد الذي طلبه سعيد وأعطيته له.. قرأت زاوية معين بسيسو.. وقرأت في العدد نفسه افتتاحية محمد الجندي.. وأيضاً بطولات ياسين رفاعية.

من شدة القهر عاد الوصل بيني وبين الثورة.

صغيرة.. مقزمة.. مقهورة.. وعدت أدمنها بسرعة..

أنتظر طباعتها يومياً.. آخذ العدد من المطبعة مباشرة.. «ساخناً وتازة».. معظم العاملين كانوا كذلك.. ننهي يومنا في "صالون فولكس فايكن" يقوده «أبو سامر ميسر تللو».. «أبو العون» وبقيادته نغزو محال الفول والحمّص في أنصاف الليالي ووجوه الصباحات.. لاسيما «بوز الجدي» في الشيخ محي الدين.

غادر أبو العون الجريدة إلى حيه كفر سوسة متقاعداً وأودع لنا فيها ابنه «سامر».. فني مونتاج فريد.. دائم الضحكة والفرح.. جميل الشكل رغم ما أحدثته فيه موائد الفول التي يدعونا إليها من بدانة.. وقد رحل في عز شبابه.. وملأني رحيله حزناً.

استعدت خيالي من شطحاته.. ألزمته بعالمي الصغير.. الجامعة.. جريدة الثورة.. وأمهما دمشق.. عاد حبي للجريدة يملؤني.. كل ما فيها.. أبطالها وأطفالها.. مكاتبها ومطبعتها.. وجيرانها.. الحميدية.. الحريقة.. باب الجابية.. والفولكس فايكن.. و«الأكيلة» يغزون محال الفول.. و..

ما يُكتب..

بدأت أقرأ فأميز الأنواع الصحفية..

بدأت أشعر أنه ربما زواج بلا طلاق..

كل الذين يحبونني وأحبهم يعرفون أنني لا أطلق أبداً.. وفي مقدمتهم «الثورة».

بلا بداية أو نهاية

مع نهاية تشرين الثاني يظهر تحسن واضح على وضع الصحيفة الفني وتبدأ برسم ملامح جديدة.

مانشيتها في اليوم الأخير من هذا الشهر بالأحمر على لسان الأتاسي:

نرفض المشروع البريطاني.. ولن نشترك في مؤتمرات القمة

المشروع البريطاني أصبح القرار ٢٤٢.

وتبدأ الصحيفة بنشر تقارير وصور المسيرات الجماهيرية في المحافظات تحت عناوين مثل:

الجماهير العربية تعبر عن سخطها الشديد على المؤامرات التي تحيكها الامبريالية والصهيونية ضد الأمة العربية.

والكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين.

هذه العناوين تستهلك مع المسيرات والصور معظم صفحات الجريدة.. حتى نشر الأدب والنقد والخواطر والمقالات يكاد يكون محصوراً في هذا الاتجاه، في حالة معالجة آثار الهزيمة المفروضة على الجميع.. ونقرأ في هذه الفترة مجموعة تحقيقات لممدوح عدوان من الأردن.. والفحوى العام هي الأجواء ذاتها.

تستند الاتجاهات السياسية لأخبار الجريدة كثيراً إلى موقفي الدول الاشتراكية وفرنسا.. دون أن تجد فيها دراسات ومقالات تحليلية حول هذه المواقف وخلفيتها واحتمالاتها، إنما هناك تقريظ شبه دائم لمواقف الرئيس ديغول.. وزعماء الاتحاد السوفياتي.

في عدد الأحد ١٢/٣ تذكر الثورة على صفحتها الأخيرة أنها في كل أحد ستنتشر محضر ندوة من الندوات السياسية التي يساهم فيها طليعة المثقفين العرب.. الندوة المنشورة في ذاك العدد يديرها معين بسيسو ويشارك فيها د. أنيس كنجو ود. نبيه رشيدات والأستاذان ابراهيم صقر وعطية الجودة.. وهي تحت عنوان:

العدوان الامبريالي الصهيوني وموقف سورية.

والندوة تحتل صفحة كاملة وتعتبر أهم محاولة لتنظيم محور عمل إعلامي يحاكي ما يجري.

على جانب آخر تتابع الثورة أخبار زيارة وفد من الحزب الشيوعي الفرنسي.. وكل ما يظهر اشتداد عضد سورية.

بشكل عام هناك محاولة لتنظيم اختصاص الصفحات..

السادسة الثقافية في عدد ١٢/٥ تعلن هويتها مستعيدة عنوان "ألوان"

وفيها زاوية بعنوان كل ثلاثاء.. يكتبها يوسف مقدسي ويختار عنواناً لمقالته "الكلمة الهادئة".. وتدعو الصحيفة جميع الكتّاب للتناوب على كتابة هذه الزاوية.

في الصفحة أيضاً.. مقال عن طفولة غيفارا.. ومجموعة رسائل وأشعار بينها قصيدة صغيرة جميلة لنزيه أبو عفش.. وهناك زاوية بعنوان نافذة تذيل بتوقيع "جون واين".

في عدد الثلاثاء التالي تضيع ملامح الصفحة تماماً وتغيب الزاوية "كل ثلاثاء".. هناك صور زمنية من حياة الفلاح ليوسف مقدسي كما يسميها هو، ومادة أخرى لممدوح عدوان بعنوان الفلاح المتمرد.

الأربعاء ١٢/٦ دراسة سياسية طويلة على الصفحة الثالثة لميشيل كيلو تحت عنوان "مامعنى استقالة ماكنمارا".

السادسة أيضاً ألوان وفيها زاوية كل أربعاء يكتبها هذا اليوم ممدوح عدوان.

على الصفحة الأخيرة.. أكثر من نصفها.. تحت عنوان غيفارا طالباً.

عدد الخميس ١٢/٧ على الثالثة مسرحية من فصل واحد تحت عنوان "العنقاء في اللهب" لتنسي وليامز وترجمة عاطف معتوق.

والسادسة أيضاً ألوان وفيها زاوية كل جمعة يكتبها اليوم سعيد حمامي.. وفيها زاوية كبيرة عن المرأة لآمال فؤاد.

ألوان السبت فيها زاوية كل سبت أيضاً وتطل منها بعد غياب هنريت عبودي.

والندوة الأسبوعية على الصفحة الأخيرة عمالية.. إعداد قسم التحقيقات.. وتقول إنها:

"أول ندوة عمالية في صحافة القطر".

ألوان الأحد يكتب زاويتها "كل أحد" نصر شمالي وزاويتها نافذة لعبد الله السيد.. ومقالها الرئيسي عن الشعر بعد حزيران.. دريد خواجة.. وعلى الصفحة الأخيرة يظهر اسم فخري عباس.

نصر شمالي المدير العام المساعد ورئيس التحرير حتى اللحظة هو المحرك الأساسي لهذه التغييرات.. وتأتي ضمن مشروعه لإطلاق الصحيفة بخاصيتين أساسيتين:

- الثورة والاشتراكية.
- الكتّاب الشباب.

واضح التحرك القوي الذي ينتظر انسجام وتواتر التنظيم ليعبر عن حاله بشكل يزداد ثراء الجريدة ويتعدد كتّابها.

لم يعد يحضر اسم محمد الجندي على الافتتاحية أبداً.. وتوقع باسم الثورة.. وليس ثمة ما ينفي أن كاتبها هو نصر شمالي ذاته.

الندوة الأسبوعية ليوم الأحد ١٩٦٧/١٢/١٧.. تختار موضوعاً "لكل مواطن دوره في المعركة".. يشارك فيها نصر شمالي مشرفاً والدكتور مصباح غيبة.. والدكتور نبيه رشيدات "شيوعيان" والدكتور أنيس كنجو وفاروق حموي.

ويشار إلى نصر شمالي أنه المدير العام المساعد لمؤسسة الوحدة ورئيس تحرير صحيفة الثورة.. هذا يفسر سر غياب محمد الجندي عن الافتتاحية والتغيرات التي تشهدها الجريدة والأسماء الجديدة فيها.

تميل الجريدة للهدوء خلف الأسس والمواد والصفحات المتخصصة فيها، وتؤكد انتماءها الثوري الاشتراكي، لكنها مستمرة بحالة تصاعد وتحسن من ناحية المحتوى الإعلامي النوعي للمادة الصحفية.

تستمر هكذا حتى نهاية العام.. فرسان الحلبة كثيرون منهم معين بسيسو.. ممدوح عدوان.. يوسف مقدسي.. عبد الله السيد.. ياسين رفاعية.. نصر الدين البحرة.. أيوب منصور.. صدر الدين الماغوط.. سعيد حمامي.. والاتجاه اليساري عموماً.

ونصر شمالي..

ولم يعد مبرراً لأحد أن يجهل قدومه بزخم إلى تقلد أمور الجريدة كافة.

أربــع بــوابــات للتيــه
بعــد الهزيمــة

البوابة الأولى

مع مضي صيف الحزن وعام الكارثة، استعادت الثورة شيئاً من نفسها.. عادت إلى ٨ صفحات بصورة متواصلة.. وشهدت جديداً في تنظيم صفحاتها وعملها.. وعرفت في أواخر العام المقدمات الأولى لمشروع الأستاذ نصر الشمالي الإعلامي الذي سطع نجمه في عام ١٩٦٨ ومطلع ١٩٦٩.

وجوه جديدة من الزملاء دخلت الجريدة.. جلال خير بك.. كنعان فهد.. مسعف البارودي.. نبيل الانكليزي» رحمه الله».. وبالتأكيد نسيت العديد من الأسماء.

- لن نقبل الذل.. قال فيصل وسانده محيا..
  - ذل؟!.. أكثر من الذي نحن فيه؟!
- لا تكن سلبياً..
  - ماذا أفعل؟!
- ألا تسمع صوت مدافع.. ولعلعة رصاص..
  - بلا.. أسمع أكثر مما أرى..
- انتظر وسترى.. إننا نخرج من صدمة الهزيمة.
  - كيف؟!
- بكل السبل.. بما فيها صحيفتك.. ألا تراها أفضل؟!
  - أفضل من ماذا؟.. من متى؟!
- منذ تعرفت عليك وأنت تدافع عنها.. ما بالك اليوم.. صحيفتك هُزمت معنا.. كلنا هزمنا.. وكلنا سنخرج من أهوال الهزيمة.

- أنت كنت تسخر منها وتسميها الأزفستيا.

• كانت ممازحة.. وأنا أقرؤها كل يوم.

في مقصف الجامعة قصدت تجمعاً فيه عديد من الإخوة الفلسطينيين.. محمد الشيخ.. سعيد أبو جبارة ..وآخرين.. كنت أنشد الدفء على طاولتهم.. وكانوا ينشدون أن يسمعوا مني.. لقد أسعدني كثيراً أنهم كانوا يتبادلون صفحات الثورة ويقرؤون باهتمام.. قال لي الشيخ:

• ما رأيك؟!

- بماذا؟!

• بما يجري عبر القناة، بما يفعله القائد الأسمر؟!

كان يحب عبد الناصر بطريقة مبالغة جداً.. ورغم لطافته أحببت أن أناوشه، مستفيداً من وجود طالب أعرف أنه من الحزب الشيوعي الأردني.. قلت له:

- هل كان الأسمر موجوداً في حزيران؟!

• كان ولم يكن..

سؤالي جذب ياسر يوسف « من زملاء جبلة» ويدرس الطب وكان مهذباً خلوقاً متفوقاً في دراسته، وهو من تلاميذ الأستاذ المرحوم محمد الجنيدي «من أشهر ناصريي جبلة وله جذور بعثية».

اقترب بكرسيه وقال بهدوء: إن عبد الحكيم عامر هو المسؤول.. فهو الذي عيّن «شمس بدران» وزيراً للدفاع و«صدقي محمود» قائداً للطيران..و..

هل فسر ياسر ما أراده محمد الشيخ بقوله كان ولم يكن؟.

التفت إلى الشاب الشيوعي الأردني.. وقال:

• التاريخ تصنعه الشعوب وليس الأشخاص.

- للفرد دوره.

• بالتأكيد.

- إذاً..؟
- ها هو الشعب يرد على تخاذل القادة؟!
- تخاذل أم ..تقصير؟!
- ربما الثانية..
- وكيف يرد؟!
- بالعمل بالمقاومة.. انظر إلى صحيفتك.. بدأت تمتلئ بالأقلام وتتنوع.. هذا رد.

أعتقد كان يشير إلى بعض المقالات لكتّاب شيوعيين في الجريدة.. بل حتى ظهرت مقالات لقوميين سوريين..

ندور.. ندور ..وعيوننا شاخصة إلى ما تسمعه الأذن..

حرب الاستنزاف في السويس.

المقاومة الفلسطينية.

في الصحيفة كنا نقوم بالجهد الإعلامي المطلوب.. لكن.. في السياسة كنا ننتظر لنتجاوز مرحلة الانفعال إلى مرحلة أن نفعل شيئاً.. أن نسمع ولا نرى.. يعني أننا نلهث وراء مجهول.

التقيت ناديا ..أصبحت أم سامر.. سألتها:

- أما زلت تخافين الحروب؟!
- أخافها اليوم أكثر.
- أصبح عندك أولاد.
- بغض النظر.. أخاف على كل شيء..
- عليّ مثلاً؟!
- طبعاً وعلى جريدتك.
- ما رأيك بها؟!
- الحمد لله على سلامتها.
- شو يعني؟!

- خرجت من مرض حزيران.

في الجريدة فاجأني يوسف مقدسي بدعوة لفنجان قهوة.. أبو سليم رحمه الله كان حالة متناقضة من المرح والنكتة والصخب والصياح والمزاج الصعب.. سألني أين كنت؟! وأخبرته بالتفاصيل..

- "أخت هالجامعة".. "نحتاج فدائيين".
- وجامعيين؟!
- صحيح..

ثم توقف.. وقال بلهجة لاذقانية: «يابو» لماذا لا تنقل هذه الحوارات إلى الجريدة.

سكت.. أربكني السؤال.. أنا مصحح أخطاء مطبعية، انتقلت للعمل في الأرشيف لا أكثر.. فكيف أنقله؟!

لا أنا ولا هو توقف عند الكلام.. ومضى كل شيء..

الآن أنا في الشارع.. في دمشق.. وعادت الثورة ترافقني أينما اتجهت.. وأرى الشارع يسير مسرع الخطا.. مقتفياً أثر الصوت.. من الجبهة المصرية.. من العمل الفدائي، ربما كان أبرز شيء نلهث خلفه مجتمعين.. النظام السياسي والناس.. ومعهما صحيفة الثورة.

لكن..

أعترف اليوم أنني وأنا أنظر مسترقاً السمع إلى تلك الأصوات من السويس إلى الأرض المحتلة.. كنت أسمع عبارات تطرح علينا يومياً لا سيما إذا كنت تعمل في الصحيفة الحكومية الوحيدة:

- إزالة آثار العدوان.
- الجيش الشعبي.. الكتائب العمالية المسلحة.. والحرس القومي..
- المجهود الحربي.
- ما أخذ بالقوة لن يسترد إلا بالقوة.

- الكفاح المسلح... الخ.

كلها عناوين كبيرة الأهمية لمضامين شكلية بعيدة عن الفعل.. هكذا كنت أرى.

وعندما سألت الشيوعي الأردني عن ذلك كله.. أيده وأعطاه قيمة.. في حين قال لي شاب دمشقي من أنصار الحكومات البرلمانية: كله حكي.

البوابة الثانية

ما دام أن كل شيء تحطم على رؤوسنا، وبان عُرينا من دون ساتر.. فلا شك أن ثمة خطأ فادحاً .

أين..؟!

اتهمنا عقولنا ..فكرنا.. ثقافتنا.. طعامنا.. شرابنا.. حتى مطربينا وجلسات الاستماع للغناء والراديو، قرأنا مقالات يومها اتهمت الأغنيات الطويلة ومفعولها التخديري، مثل أغنيات الراحلة أم كلثوم..

لن أدافع عن شيء أو أحد.. لم ينف أحد في حينه التهمة حتى عن نفسه.. وشعر الناس بالحاجة إلى الخروج من الراهن والانطلاق نحو المستقبل.. إطلاق كفاءة الجميع.

شهدت المنطقة تلك الفترة نزوعاً شديداً نحو اليسار.. والفكر الثوري الاشتراكي.. إلى درجة عسف الفكر الآخر أيّاً كان.. حتى لم تعد في حينه تجد من يدافع عن فكره المحافظ.. أو الليبرالي.. أو السلفي.. بل يدافع عن نفسه بأن يؤكد أنه من أعلام اليسار وحاملي رايات الثورة.. وكثيراً ما ترافق النزوع الشخصي المكبوت لليبرالية والمحافظة بإعلان التطرف اليساري إلى درجة كم الأفواه.. ولم تطل إقامتهم على ذاك الرف.. ألم يكونوا على طرف اليسار؟!

هزة أخرى وخطوة أخرى ولأنهم على الطرف أصبحوا في اليمين.. فكشفنا متأخرين حجم الكذبة.

ما الفائدة اليوم من تذكر ذاك الذي مضى..

لقد شهدت صحيفة» الثورة» في تلك الفترة الحالة ذاتها..

بل هي التي كانت في واجهة المعاناة.

الإعلام عموماً.. و -كالعادة - تسهل إدانته.. وليس بخاطري أن أدافع عنه.. بل.. أقول لكم الحقيقة: إلى الآن أخجل حزيناً، كلما تذكرت الإعلام الذي رافق حرب حزيران.. وإذ أتابع صفحات الثورة.. أشعر بما صنعته تلك الحرب.. بل بما صنعناه كي تكون تلك الحرب بتلك النتائج..

كان لا بد من تغيير..

كان لابد أن يصل التغيير إلى الجريدة..

دفعات من الشباب فتحت لها الأبواب..

جبهة عمل حقيقية..

إنتاج كبير فعلاً..

مبادرات وكل يعبر بطريقته.. ولم يحصل التغيير..

بل إن التغيير أعلن عجزه عن التغيير.. فعدنا إلى المتاهة..

البحث عن الجديد هرباً من الواقع أو الماضي اتخذ معايير حسية بسيطة.. ربما كان العمر والشباب، أهم هذه المعايير.. وجاء الجديد بلا جديد..

من أين..؟!

من أين إذا كان القادم يحمل أمراض الذاهب وليس محاسنه..

صراع القادم مع القائم عرفته صحيفتنا بشكل كبير في حينه... وكانت شكوى مستمرة: إن الموجودين لا يسمحون لأحد بالدخول..

بصراحة كان هناك شيء من ذلك.. ومازال..؟!

لكنه طبيعي ..المشكلة التي قامت إنه وفي الجدلية الثورية للتغيير، شاعت أفكار ضرورة تحطيم القائم.. وبالتالي القادم لم يدخل من بوابة أستاذ يؤهله.. بل خصم يعانده وكلاهما ارتكب الخطأ ذاته.. فكان النزاع..

في هذا النزاع لم تستطع «الثورة» ولا غيرها تحديد آلية لتطور الكوادر.. ولم تستخدم المواقع في الصحيفة كطعم للتطور.. أي لم يَسُد فيها: أن طريقك إلى ما ترغب فيه هو عملك ..أبداً.. لم يَسُد فيها ولا في غيرها!!.. لم يَسُد في كل الدولة السورية الحديثة.

لو ساد لانحلت مشكلة سورية الأساسية.. لو اقتنع المواطن السوري أن حقه في الطموح «حتى الطموح المنصبي» مشروع محترم.. وأن طريقه لتحقيق الطموح هو حسن الأداء والكفاءة.. لو كان ذلك لانحلت مشاكلنا..

كوادر جديدة شابة مناضلة لديها الخامة وجاهزة لتكون.. جلست فوق الغربال.. لكن.. كيف يتحرك الغربال.. وهل درست ثقوبه بشكل فعلي.. ولمصلحة ماذا ومن.. ثم تتم الغربلة..؟!

إلى اليوم لا أحد يعلم..

الثورة مدرسة كوادر حقيقية.. تأتيها الكوادر.. تتعلم.. تتأهل وبخلل معيار الغربلة كانت الكوادر بعضها يغادر.. وبعضها يناضل.. ومن البعيد يأتي الوحي.. فتعيد عملية الإنتاج الفاسدة خلق ذاتها مجدداً.

قفزة أواخر الستينيات في الثورة.. لم تستطع الحفاظ على نفسها.. لأنها انطلقت من قاعدة الحماسة المشروعة.. والعمل الدؤوب.. وغياب القواعد العلمية للعمل وإدارة الموارد البشرية.

لقد أخصب العقل العربي يومها.. وأراد الخروج من الهزيمة.. وَحبِلَ بعشرات الأفكار.. الكفاح المسلح.. حرب التحرير الشعبية.. رفض القواعد المجتمعية القائمة .. شعر الثورة.. أدب الثورة.. فن الثورة.. ثم أنجب.. لكن.

بعد سنوات اكتشفنا أن المولود جاء مشوهاً.. وكان لابد من إعادة الحسابات.. على قاعدة ذلك لم تنج صحيفتنا من خلافات كثيرة أخذت تخرق سور النظام الثوري.

البوابة الثالثة

الهزيمة تسكننا في كل شيء.. السياسة ..الإعلام.. والاقتصاد.. وحتى الحب والأكل والشرب .

في جو كهذا، هل يمكن للضحكة أن تكون إلا ساتراً لبؤس لا يجد دمعاً لينفّس عن حاله.

ازداد النزق ..والتحرش بكل شيء.. شاع النقد بل الانتقاد.. أصبح كل واحد وكل شيء متهماً.. وفي ظل هذه الظروف كانت تصدر صحيفة «الثورة».

طوبى لهم أولئك الذين مشوا بها تلك الفترة العجفاء الظلماء من عمر هذا الوطن.. أكثر من ذلك.. كان على الثورة أن تعمل على ثلاثة محاور:

- عرض بناء وتوجهات تزرع شيئاً من الأمل في النفوس..
- نقل ما يجري في العالم.
- ما دامت مشاعر الهزيمة ذاتها تعتري الجميع، كان لا بد من تراشق الاتهامات.. بأي صورة أتت .ربما تأتي بصورة ثقافية. وكثيراً ما كانت تلك صورتها.

كنا نريد أن ننتقم من كل ما أوصلنا للهزيمة.. خلال تلك الحقبة ١٩٦٨ -١٩٧٦ صنعنا أدب الهزيمة وبالتالي بالضرورة إعلام الهزيمة.. وأحجم الجميع عن التفصيل في شرح الهزيمة وما الذي جرى..!!

أبداً.. وحتى اليوم.. لم توضع التحليلات العلمية الدقيقة لما جرى.. إنما كتبت مرة للدفاع عن السياسي. ولا سيما عن القادة الذين يفرض البعض أنهم معصومون.. ومرة للمغالاة في الغضب على هذا السياسي أو ذاك العسكري.

ما علاقتنا ونحن في صدد تاريخ «جريدة الثورة» بذلك كله؟!

عندما أقلّب صفحاتها اليوم.. أتلمس مشاعر الهزيمة.. سواء من خلال حديث مباشر عنها.. أو حديث موارٍ يريد أن ينسي القارئ إياها.

لكن.. الصحيفة استمرت..

تقدمت خطوات .تراجعت أخرى.. غابت أقلام.. حضرت أخرى.. استمرت.. هل قامت بالمهمات التي حددتها لنفسها؟!

أنا أشك في أنها حددت تلك المهمات.. إنما الأمر مضى كيوميات لا يمكن إلا أن تعاش.. كانت وجهاً للنظام السياسي.. فعله الوحيد تقريباً أن يخفي العيوب.

لا نقرأ في أوراق الجريدة تلك الأيام ملامح واضحة للتراشق على الجانب السياسي.. لكنه كان موجوداً بالتأكيد.. بل لعله كان الأكثر إيلاماً.. ولا نجده أبداً على صفحات الجريدة.

أنا أستطيع أن أحدد اليوم ملامحه على هذه الصفحات.. ليس من خلال قراءة مباشرة.. يعني لو كنت بعيداً عن تلك الأيام وهذه الجريدة لتعذّر عليّ ذلك.. أما وأنا أتذكر وكنت – وما زلت – ابن الجريدة.. أستطيع أن أقرأ:

- لماذا هذه الصورة هنا..؟! لماذا هذا العنوان..؟! لماذا هذا الكاتب..؟!

مؤشرات لن يراها أو يعرفها إلا من عاشها.. لكنها تقدم الدليل لأبناء تلك الفترة من أصحاب الذاكرة.

على سبيل المثال:

تجد الصحيفة تتحرك سياسياً على بضعة محاور..

لا توضح سياستها.. ولا الخلافات في السياسات المشرفة عليها.. إنما توضح حالة من العجز التي تدفع إلى تبني أي فعل أو شبه فعل يضع رداء ما يستر شيئاً من عري الروح والجسد.

أهم المحاور التي تجدها واضحة بروتين يومي على صفحات الجريدة كانت:

- النزوع إلى الاشتراكية و«العلمية» تحديداً والاستجارة بالصداقة السوفييتية ومع الدول الاشتراكية عموماً.

في تلك الأيام كان هناك من يعترض فعلياً على ذلك ويرى فيه.. أنه أولاً قفز من فوق المنطق الموضوعي والممكن.. ولجوء إلى الشعاراتية.

- على منحى آخر كانت صفحات الجريدة تفتح يومياً بعبارات وعناوين ومقالات معاداة الغرب – باستثناء فرنسا - التي كان يقودها في حينه الرئيس الراحل شارل ديغول وأيضاً كان هناك من يعترض.. لكن صوتهم لا يمكن أبداً أن تقرأه في الصحيفة.. وإن مرّ فتسللاً بالتأكيد .وستخفيه صافرة الحكم في المرة الثانية..
- كانت الصحيفة تعكس لهاثاً حقيقياً خلف كل ثورات العالم.. ما سمعنا به وما لم نسمع.. بل نعرف مصيرها اليوم ومن لا نعرف.. وكثيراً ما أفردت المقالات الطويلة لبكائيات على غيفارا أو غيره.
- تغطية أخبار الجمهورية العربية المتحدة بشكل يومي وفي المواقع البارزة.. عملياً أخبار الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وفي ذلك أيضاً نوع من الاستجارة؟!

يكفي ما تقرؤه بالجريدة لتشعر أن عبد الناصر كان يسير لمعالجة الهزيمة بخطا مختلفة فعلياً.. أكثر علمية.. أكثر جدية.. أكثر موضوعية.. وبالمناسبة هو لم يغلق أبواب الحل السلمي .وكان هذا موضوع خلاف في الموقف منه من قبل النظام السياسي في سورية.. إذ يوافق البعض على سياسة عبد الناصر في هذا المجال.. ويرفض آخرون لعلهم الأكثرية لأن الصحيفة عملياً كانت مع الرفض.

- تغطية أخبار الكفاح المسلح الفلسطيني «الفدائية»، فقد دعمت سورية في حينه «وما زالت» العمل الفدائي الفلسطيني بكل ما تملك.. ورأت في ما طرح يومها على مستوى عريض إعلامياً في الثورة وغيره من مقولة «حرب التحرير الشعبية» رأت فيها مخرجاً ممكناً من أجواء الهزيمة..

في حالة من النقل عن تجارب الحروب الشعبية في دول أخرى.. وإهمال الظروف الموضوعية هنا.. أوصلنا الأمور أحياناً إلى أوضاع مضحكة «لجان الدفاع عن المدينة.. والإعداد العسكري لأبناء الشعب.. الخ».

وسط هذا الخضم من العواصف.. كانت جريدتي تقاوم بأوراقها السمراء.

تعرف يومها .ربما..

لكنها بالتأكيد لا تعرف غدها.

البوابة الرابعة

ها أنا أقلّب أوراق المرحلة.

كان مضى عليّ نحو عام في الصحيفة.. لا تشعرني هذه الصفحات بوجودي في تلك الفترة.. لكن الذاكرة الشخصية تفعل.

أستطيع اليوم أن أنقل من الذاكرة، وليس بفعل ما حصل لاحقاً.. إن الهروب كان الشعار الحقيقي للمرحلة.. أوراق الجريدة تشعرك أن درع المواجهة لا يواجه الحراب حول الأعناق إلا من زوايا بعيدة..

الصحيفة مشغولة كلياً تقريباً في تكرار ما أدمنت قوله.. شعارات سلبية وإيجابية.. ضد الرجعية مع المقاومة.. ضد الرأسمالية مع الاشتراكية.. ضد أميركا مع الاتحاد السوفييتي.. ضد الفرح مع الغضب..

حسن.. ثم ماذا؟!

هل كنا نتخيل أن العالم جالس ينصت لما نقول؟! أو ربما لا يهمه إلا ما نقول!! أترانا لا نزال نتخيل الأمر كذلك..؟!

لا تشعرك أوراق الجريدة بزملاء كسالى يجترون الكلام.. على العكس من ذلك.. جهد كبير طيب يُبذل، وفي كل اتجاه في كل أنواع العمل الصحفي.. لكنه يدور حول الفكرة ذاتها التي أصبحت مجترة.. وفيها نقول بالرفض ولا نملك مقومات الرفض.

صحيح أن العمل الفدائي حقق انطلاقة كبيرة بعد حرب ١٩٦٧.. وحقق أملاً كبيراً لنا.. للأمة.. ومن شعور الهزيمة لهثنا وراءه.. وعوضاً عن أن يوحدنا.. قسّمناه ليناسب ميولنا وقناعتنا.. وبدأت تتكاثر المنظمات الفدائية.. بل بدأ الصراع بينها.

لا تخفي أوراق» الثورة» ما يعتري الأمة من خلافات.. وفي قلب كل خلاف هناك خلافات.

نحن ضد الرجعية.. ونتفاهم مع عبد الناصر.. لكننا نختلف أيضاً مع الرجل حول حرب اليمن .ودورنا ودوره فيها.. حول مشروع السلام الذي بدأت طلائعه بالقرار ٢٤٢ الذي ترفضه سورية وبالتالي تحجم الثورة حتى عن ذكره.. في حين ورغم الرفض الظاهري أظهرت العربية المتحدة «مصر عبد الناصر» قبولاً ما.. أطلت يومها «صيغة روجرز».. لتعلن الخلافات بين عبد الناصر والبعث عن نفسها.

لا تظهر الثورة أبداً في تلك الفترة أين يقف الاتحاد السوفييتي من مسألة السلام.. لكن.. لا أحد ينسى أو يتجاهل أن القرار «٢٤٢» الصادر عن مجلس الأمن الدولي لم يكن له أن يصدر لو لم يرد ذلك الاتحاد السوفييتي الذي يملك ورقة النقض.

قال لي عبد الحميد:

• اسمع أنا سياسياً بعيد جداً عن الماركسية.. وخلافاً لما اتُهمنا به طويلاً لا أحب أميركا.. لكن هناك تناقض في مواقف جريدتكم.. هي ضد القرار «٢٤٢».. وضد احتمالات السلام..لكنها مع الاتحاد السوفييتي!

- أنت ماذا ترى؟!

• أنا مع المقاومة.

- الفلسطينية؟!

• طبعاً هي فلسطينية وهي عربية..؟!

- مع من؟!

• مع فتح.

- هل يتناسب ذلك مع كونك سورياً قومياً..؟!

• تقريباً.. لم أعد.

- لماذا؟!
- كي أتناسب مع الواقع العام.. كلٌ في دنيا.. ثم أنتم لا تريدون من الأحزاب إلا حزبكم.
- من نحن؟!
- جريدتك.. جريدتك.. تفتتح بالوحدة والحرية والاشتراكية وتختتم بالرسالة الخالدة.. وبين الغلافين هي مع وضد كل أشكال المواقف السياسية.
- بصراحة لا أفهم عليك.
- ياصديقي.. هذا هو القرار ٢٤٢ موجه لنا ولفلسطينينا ولقضيتنا.. هل ترى في صحيفتكم دراسة واحدة تتناوله.. سلباً أو إيجاباً.. قدموا رؤيتكم.
- عبد.. يحزنني أنك تكلمني كأنك أجنبي مستخدماً لنا كاف الخطاب.

تملؤني الحيرة، سألت فيصلاً:

- ما موقفكم من القرار ٢٤٢؟
- من أولها؟!
- هذا أولها.
- نحن ندعو دائماً للسلام.
- والأرض.
- السلام الذي يضمن الأرض.
- لكن كيف توصلون الرسالة؟!
- برأيي الشخصي أنكم تفكرون بنا وبمقدرتنا وببعدنا السوفييتي الاشتراكي العالمي فقط كدعم يخدم فكرة الحرب عسكرياً أو ملحقاتها «لوجستياً».
- وإلا ماذا؟!

- لنا قدرة جيدة لصناعة السلام.

- والأرض.

- السلام الذي يضمن الأرض.

لم يكن للصحيفة ولا لذلك كله أن يخرجني من الحيرة.. ولا لناديا.. وكنا جالسين على مقعد في حديقة الجامعة حين اقترب مني على بعد خطوات فتىً عرفته من فقره.. إنه سعيد من قريتنا .سلّم وعلى وجهه تعابير حرج.. «لم تكن مقاطعة رجل وامرأة جالسين أمراً معتاداً يومها.. فهذه حالة خاصة يجب عدم إفسادها» ثم قال:

- أنا بحاجتك..

- ماذا تريد؟!

ارتبك وكأنه لا يريد الحديث أمام ناديا التي حملت حقيبتها وهمت بالرحيل فاستوقفتها وسألته على جنب:

- قل لي..

- بصراحة أريد مساعدتك.

- بماذا؟!

- بأن أتطوع مع «الفدائية»..

لم أساعده قط.. ولم أكن قادراً على ذلك.. وكتمت طويلاً السبب الذي ذكره لي دافعاً له للتطوع.. لم أقله حتى لناديا التي ربما اكتشفته مع شكله الفقير المبالغ فيه، وقد حزنت كثيراً يوم أخبرتها باستشهاده فيما بعد.

حقبة خصبة .وعقول تتحرك بكل اتجاه.. وبكل اتجاه كان التيه يحيط بنا.. ولم يكن غائباً عن صحيفتنا التي ناضلت طويلاً في حينه لتقول ما يريده النظام السياسي.

نصر الشمالي على العتبة..

تبدأ الصحيفة عام ١٩٦٨ دون تغيرات تذكر.. تتابع المسيرة ذاتها.. النغمة ذاتها.. التوجه ذاته.. اهتمام كبير قبل حركات التحرر ونشاطات المد اليساري الثوري الاشتراكي وفي كل العالم.

عدد ١/٥ مثلاً تقرأ فيه على صفحتين متقابلتين "٢ و٣" الأول عن "تطوير الحركة الوطنية التحررية في أنغولا" مادة رئيسية تحتل نحو نصف الصفحة الثانية التي هي صفحة أخبار عربية ودولية.. وفيها مجموعة أخبار وقطعة "أضواء على العالم" بعنوان "فيتنام والانتخابات الرئاسية الأميركية".

على الصفحة الثالثة تحقيق مطول بصفحة كاملة كتبه معين بسيسو عن مؤتمر كتاب آسيا وإفريقيا وأميركا اللاتينية الذي عقد في "هافانا".

في عدد اليوم التالي ١/٦.. وفي الصفحتين ذاتهما اللتين تتابعان دائماً أو غالباً الشأن السياسي نجد العناوين التالية...

على الثانية:

استمرار الغارات العدوانية الأميركية على فيتنام الديمقراطية.

النفقات العسكرية في الولايات المتحدة تكرس عجز احتياطي الذهب الأميركي.

حول زيارة أشكول لأميركا.

على الثالثة:

أزمة النقد في بريطانيا. ترجمة نبيل خلوف.

الوهم الأميركي في فيتنام. ترجمة محمد حافظ يعقوب.

يضاف إلى ذلك على الصفحة الثالثة تقرير عن انتقاء الموظفين في فرنسا وانكلترا وألمانيا والولايات المتحدة والدول الاشتراكية والاتحاد السوفييتي والصين الشعبية.. وهو ينحاز كلياً إلى الدول الاشتراكية والاتحاد السوفييتي.

هذا التسييس لا يقتصر على الصفحتين الثانية والثالثة المختصين بالأخبار والدراسات الدولية وغيرها.. ولا تنجو منه الصفحتان التاليتان الرابعة والخامسة المختصتان بالأخبار المحلية.. ولا السادسة المختصة بالثقافة بعنوان ألوان.. ويلاحظ أن الصفحة السابعة التي كانت مخصصة عادة للرياضة والتتمات أصبحت غالباً أخبار الوطن العربي.. مع حيز محدود لرياضة في أسفل الصفحة.. والثامنة ولا خبر كالعادة تشغل بمقال فكري.. ثقافي.. سياسي.. وغالباً شوارع معين بسيسو.

طبعاً تقود عملية التسييس هذه وبشكل طبيعي الصفحة الأولى بمانشيتاتها.. افتتاحيتها التي إلى الآن لا تحظى بتوقيع كاتبها ولها نمط سياسي واضح التوجه، ثوري المعتقد.. وحماسي

تقرأ في الصحيفة دائماً تقارير ودراسات من كل العالم.. فيتنام.. كبوديا.. كوريا.. الدول الاشتراكية.. الصين.. وإلى الآن لم نقرأ دراسة واحدة عن القرار ٢٤٢ مثلاً.

جهد كبير يبذل لإظهار سورية جزءاً من حركة التحرر العالمية.

تعكس الصحيفة خلال هذه الفترة بشكل مطرد تطور حركة المقاومة العربية للاحتلال الإسرائيلي وكانت في تصاعد مستمر.

عدد ١/٩ تقرأ مانشيتاً علوياً جانبياً يقول التالي:

سلطات الاحتلال تعترف بتصاعد أعمال المقاومة العربية وشمولها الأرض المحتلة.

معارك في غزة وإيلات وعلى ضفاف الأردن في ضواحي تل أبيب

في عدد ١/١٠ تشير افتتاحية الثورة إلى تأجيل مؤتمر قمة.. وترد أن عقده هو القريب وليس تأجيله. وتهاجم الافتتاحية بوضوح دولاً عربية تصفها بالرجعية.. نأخذ مقطعين.

مؤتمر القمة الذي تأجل

فأقطاب الرجعية لا يجدون في مؤتمرات القمة أكثر من فرصة ينتهزونها لتشديد الحصار ضد الجماهير العربية، ولإجراء بعض الاتصالات الناجحة التي ظاهرها العمل العربي المشترك، وباطنها التآمر على الجماهير، وإعاقة المد التقدمي الثوري، ونتيجتها تدعيم عروشهم القائمة على الجماجم.

لقد قرر حزبنا مقاطعة مؤتمرات القمة عندما أدرك منذ البداية أنها ليست أكثر من فرصة تستغلها الرجعية للمزيد من التنكيل بالجماهير، وأنها بالنسبة لبعض أقطابها، وفي أحسن الحالات، ليست أكثر من فرصة يغتنمونها لتضليل الجماهير، وتحقيق بعض الانفراج الداخلي الزائف أمامها بتظاهرهم بالمشاركة في معالجة أقدس القضايا العربية.

إن سورية الثورة تؤمن بالعمل العربي المشترك إيماناً مطلقاً، وتعرف أنه الوسيلة المجدية لمجابهة العدو، ولكن هذا العمل المشترك لا يمكن أن تحققه إلا الأنظمة التقدمية والجماهير العربية، أما الرجعية فإنها بحكم تكوينها التاريخي، وبحكم مصالحها، وكما أكدت تصرفاتها، لا يمكن أن تكون إلا حليفة للاستعمار والصهيونية.

الصورة الرئيسية في الصفحة الأولى.. احتفال السفارة الكوبية لمناسبة ذكرى انتصار الثورة يحضره الأتاسي وجديد وزعين، على الصفحة الأخيرة ندوة الثورة الأسبوعية أدارها عطية الجودي وشارك فيها أحمد عباس صالح رئيس تحرير مجلة الكاتب.

والقسم الثاني من الندوة ينشر في اليوم الثاني على الصفحة الثالثة.

في عدد يوم الجمعة ١/١٢ تظهر الصفحة الثقافية "ألوان" مخصصة للانتاج الأدبي بعنوان "صفحة إنتاج أدبي" عوضاً عن "ألوان" فيها قصتان.. واحدة للمرحوم عبد الله عبد والثانية لعبد العزيز هلال. ويلحظ خلل في توزيع الزاوية الأسبوعية على الصفحة التي بدا أولاً أنها لستة كتّاب يتناوبون عليها كل في يوم وتسمى باسم اليوم.

كل خميس خلدون الشمعة. كل جمعة سعيد حمامي. كل سبت هنرييت عبودي. كل أحد عبد الله السيد. كل ثلاثاء يوسف مقدسي "الاثنين عطلة". كل أربعاء ممدوح عدوان.

عدد الجمعة وبسبب تخصيص الصفحة بالإنتاج الأدبي غاب اسم سعيد حمامي وزاوية كل جمعة طبعاً.. وفي عدد السبت لم يظهر اسم هنريت عبودي بل خلدون الشمعة مرة أخرى.

على كل حال اللا انتظام حكم الكثير من صفحات الجريدة وزواياها.. ولا سيما الصفحة الثالثة والأخيرة.. والكاريكاتير.. حيث عادت تظهر رسوم لعبد اللطيف مارديني في الصفحة الخامسة.. وتغيب رسوم علي فرزات.

تعكس الصحيفة بشكل عام حركة تجييش الشعب استعداداً للمعركة.. الجيش الشعبي.. ولجان الدفاع عن الوطن.. وإلخ.

بما في ذلك الندوة التي حملت اسم ندوة الثورة الأسبوعية رأيناها على الصفحة الأخيرة في عدد ١/١٠ والجزء الثاني في عدد ١/١١.. عادت للظهور على الصفحة الثالثة في عدد ١/١٤ وقد أدارها نصر شمالي رئيس تحرير الثورة.. وشارك فيها عضوا القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي علي بن عقيل ومالك الأمين.. إضافة إلى زكريا سياحي من الخارجية السورية.

على الصفحة الأخيرة من العدد ذاته يطرح ممدوح عدوان في مقال شغل مع صورة نصف الصفحة الأخيرة الأسئلة التالية:

كيف يمكن أن تتوقف الأمة منهكة عن القتال؟!

أين دورك..؟! وكيف..؟!

هل الفيتناميون بشر؟!

ويحاوره معين بسيسو في شوارع العالم بعنوان:

الرصاصة حدقة العين.

يوم الجمعة ١/١٩ تظهر في الصحيفة مجموعة تغيرات على الصفحة الأولى يتغير نوع الخط الذي كتبت فيه كلمة الثورة من الرقعي الممتد إلى النسخي العريض في الارتفاع ويستمر اللون أحمر.. ويغيب من تحت اللوغو شعار "وحدة – حرية – اشتراكية" في حين يفتح للمستطيل على مسار اللوغو.. مجالاً لطرح شعارات ابتدأت بالشعار التالي:

"لا مكان في مجتمع الجيش الشعبي والكفاح المسلح للمخنثين والمائعين والمشوهين الذين أوجدتهم سينما الاستعمار وثقافته".

لكن ذلك لن يستمر طويلاً حتى يقتطع مستطيلاً صغيراً لشعار وحدة – حرية – اشتراكية.. ويعود مستطيل "الترويسة" ليحتله خبر.

يتبدل أيضاً شكل الافتتاحية لتعود على عمودين يمين الصفحة بدلاً من عمود واحد.. تظهر على الصفحة الخامسة كاريكاتيرات علي فرزات عوضاً عن المارديني.. وتغيرات إخراجية أخرى في عمود الصفحات لا تشكل أهمية تذكر.

عدد الجمعة ١/٢٦ لا يكرر على الصفحة السادسة فكرة التخصيص للإنتاج الإدبي.. وتعود ألوان.

الخميس ٢٥ /١ تظهر لأول مرة على الصفحة الأخيرة زاوية معاً على الطريق يكتبها ممدوح عدوان.. بصورة مستمرة مبدئياً وقد حلت في المكان الذي اشتهر بتخصيصه لزاوية "من شوارع العالم" لمعين بسيسو الذي نشهد له انتشاراً في المقالات والدراسات المطولة في الصفحات الداخلية وعلى الأخيرة ولا تفارقه الطبيعة الثورية.. في مقال له احتل نصف الأخيرة اختار العنوان التالي:

البندقية.. هذه الآلة الموسيقية المفترى عليها

بكل الأحوال.. ليس في صحيفة الثورة ما يخفي مشاعر الهزيمة والدعوة للثأر في كل أنواع الصحافة والكتابة.

عدد ٣١ كانون الثاني بأضخم مانشيتاته مخصص ستة منها لمعركة سايغون.. واثنان لعدوان إسرائيلي على قناة السويس.. وتكمل الصفحة الأولى حديث المعارك عن القتال في اليمن وغيرها.

يبدأ الشهر الثاني من العام.. الروح ذاتها وطبعاً ليس منتظراً أن تتغير بين يوم وليلة.. إنما نتوسع في العرض رغبة في إظهار الحماس اللافت ربما المفرط للعمل العسكري.. في صفحتها الأولى في مطلع الشهر.. تقرأ العناوين التالية:

الدكتور الأتاسي يستقبل وفد النقابات اليوغسلافية.. ويتحدث إليهم عن طبيعة العدوان على الشعب العربي.

النضال الشعبي والتقدمي في العالم هو الهدف الرئيسي للعدوان الامبريالي.

الموقف العسكري بفيتنام يفلت من يد الأميركيين.. قوات التحرير تسيطر على سايغون وتجتاح جميع المناطق.

بعد أن سحقت حكومة الثورة اليمنية جميع محاولات المتسللين والمرتزقة ودمرتها السعودية تقوم بغزو عسكري مباشر لليمن.

مقرات سعودية مجهزة بالدبابات والأسلحة الثقيلة عبر الحدود وهاجمت مواقع يمنية.

سفير اليمن في القاهرة يبلغ الجامعة العربية بالعدوان وتوقع تقديم شكوى إلى مجلس الأمن.

عناوين أخرى:

اعترافات خطيرة للمتهمين أمام محكمة الثورة في المتحدة.

المخابرات الحربية أبلغت قيادة القوات الجوية في ٣ حزيران بأن إسرائيل ستقوم بضربة جوية خلال ٤٨ ساعة.

القيادة الجوية لم تتخذ أي إجراءات لتلافي الضربة.

عناوين أخرى:

أسوأ أزمة يواجهها الحكم في أمريكا منذ الحرب الأهلية عام ١٨٥١.

والافتتاحية بعنوان "سقوط سايغون".

والصورة الرئيسية لا علاقة لها بذلك كله.. صورة كبيرة وضع تحتها الشرح التالي:

الرفيق مصلح سالم يستقبل رئيس وفد لجنة التضامن الإفريقي الآسيوي السوفييتية.

عناوين أخرى:

الرفيق رستم يعلن تأييد الشعب العربي السوري لنضال الشعب الكوري.

هذه صفحة الواجهة التي تقدم دائماً بياناً سياسياً عن الموقف السياسي من خلال عناوينها.. ولأنه – كما أسلفنا – ثمة حاجة لتجاوز مشاعر الهزيمة التي خلفتها حرب حزيران ١٩٦٧.. اتخذت هذا الطابع.. لكن ماذا في الصفحات التالية:

نتابع عدد ١ شباط:

الصفحة الثانية وهي صفحة أخبار عربية ودولية تعنون:

المشاورات الخاصة مستمرة بين أعضاء مجلس الأمن حول أزمة سفينة التجسس الأميركية

جبهة تحرير فيتنام تعلن مساندتها لموقف كوريا الديمقراطية الجازم.

مصادر الأمم المتحدة تتحدث عن تراجع أميركا.. وموافقتها على إشراك كوريا الديمقراطية في منافسة كاملة للقضية الكورية أمام مجلس الأمن مقابل إطلاق سراح بحارة "بويبلو".

الصفحة الثالثة تنشر مادتين:

الأولى بعنوان:

في الخليج العربي.. حلف جديد.. أم مؤامرة استعمارية؟ وهي لفضل العبيد.

وتحتها مادة بعنوان:

الحلف الجديد القديم لصبحي أحمد..

الصفحة الرابعة وهي صفحة أخبار محلية تعنون:

إنجاز برنامج السدود السطحية للعام الحالي.

والصفحة الخامسة أيضاً أخبار محلية.. وعنوانها الرئيسي:

عاصفة ثلجية شديدة تعرضت لها منطقة دمشق.

السادسة.. ألوان فيها مواضيع متفرقة وفيها زاوية لمنيف حسون بعنوان:

الكلمة الطفل والكلمة الرصاصة..

السابعة تعنون:

رئيس الدولة يستقبل وفد النقابات اليوغسلافية.

الأتاسي للوفد: إننا نقف في الخندق الأول من معركة النضال ضد الامبريالية.

العدوان على البلدان العربية كان إنذاراً لكل الشعوب المناضلة.

وتحتل الرياضة ركناً صغيراً في أسفل الصفحة.

على الصفحة الأخيرة يحتل نصفها مقالاً لسعيد حمامي بعنوان:

ديان بيان فو على أبواب سايغون.

قصة الشعب الذي قاتل جيلاً كاملاً.

وفيها آخر ظهور لمعين بسيسو في الثورة وزاويته من شوارع العالم.. بعنوان "عمر المختار في غزة".

خطوة بعد عتبات الدخول

على الرغم من أن فترة محمد الجندي في إدارة مؤسسة الوحدة ورئاسة تحرير الثورة لم تكمل عامين.. فقد كانت الأطول حتى حينه.. لقد ساهمت سرعة دوران رؤساء التحرير على مستوى واستقرار الصحيفة.. ولم يكن تأثيراً إيجابياً ..

في الثورة كما في كل قطاعات الدولة.. وما زال قائماً حتى اليوم، يعتقد معظم من يتولون منصباً أو موقعاً أنهم يبدؤون من الصفر.. وأن ما فعله من سبقهم جدير بالدفن فقط.. وبالتالي ليس ثمة من يراكم تجارب وخبرات بل على العكس من ذلك، بوده أن يحرقها.. ومن يستمر من النقطة التي تسلم فيها مهامه.. يقولون عنه:

ليس لديه شيء..!! لم يغير شيئاً. كأن التغيير هدف بحد ذاته ولو افتقد الغاية..!

طبعاً أنا لا أقول ذلك لأنفي عن «الثورة» حاجتها إلى التغيير في تلك الفترة ١٩٦٨ -١٩٦٩.. بل كل شيء في حياتنا كان يحتاج التغيير.. حتى ولو بلا غاية أو هدف.. علّنا نخرج من ظلال الهزيمة..

أخلى محمد الجندي مكانه لنصر شمالي وكان قد قام بدور معاون مدير عام مع الجندي.. وبالتالي عندما تسلم زمام الأمور كاملة لم يكن لا غريباً ولا مستغرباً.. بل كانت الرسالة مقروءة من عنوانها.

الشخصيتان تتفقان في المواقف السياسية والعقائدية وكلاهما بعثي بعمق يساري وثوري.. لكنهما يختلفان بالتركيب.. محمد الجندي أستاذ رياضيات..

والنتيجة المفترضة تحتاج إلى برهان.. نصر شمالي رجل معاناة.. شاب جميل متحمس مندفع فقد شقيقاً له دفاعاً عن الحزب في حماة واتجه إلى عالم الفكر السياسي والكتابة من خلال الحزب وإيمانه به..

وهو إلى ذلك.. متابع متميز للشؤون السياسية وما يتبعها.. ومدافع بلا هوادة عن مواقفه.. مثقف بالتأكيد.. ولديه قدرة فائقة على العمل المتواصل.. لا يعترف بليل أو نهار أو تعب أو راحة.. ومن قراراته بعد أن تولى الأمور في الشهر الثاني من عام ١٩٦٨.. أنه ألغى العطلة الأسبوعية للصحيفة..

الأستاذ نصر "أبو مصعب" التصق بالعمل في قواعده.. ولم يتجه لقيادة الصحيفة من مكتب مغلق.. تراه في المطبعة.. في الأرشيف.. في الإخراج.. في الأخبار.. في كل الأقسام.

فجر في الصحيفة قدرات عمل كبيرة فعلاً حيث استطاع بالكادر الآلي نفسه أن يصدر إضافة إلى الجريدة دون توقف ثلاثة ملاحق متميزة.. سياسي اقتصادي.. أدبي ثقافي.. وملحق تسلية. دفع بإمكانات بشرية جديدة للعمل في الصحيفة.. طاقات شابة.. بلا خبرة غالباً.. ولم يكن تأمين الخبرة سهلاً..

اتصف بسرعة القرار وسرعة التنفيذ والمبالغة في الشك والثقة.. وقد أدى ذلك إلى تعدد الشخصيات التي قادت العمل الصحفي إلى جانبه «سليم خليفة.. نصر الدين البحرة.. سعيد العبد الله.. فخري عباس.. إضافة إلى يوسف مقدسي وممدوح عدوان ومحمود السيد وبشير الجلاد وغيرهم..».

الصديق نصر - كما شعرته يومها - كان يحبني.. وكلفني بأكثر من مهمة، أما ثقته بي فكنت أحسها مشوبة بحذره المستمد من خصومته مع شقيقي الذي كان يعمل مديراً للشؤون الإدارية والمالية.. وقد قام الأستاذ نصر بتسريحه مع عدد من الوجوه البارزة في الجريدة "١٤ أو ١٥".. فيما بعد عاد معظم المسرحين – من رغب منهم ربما – ولم يعد معين بسيسو الذي غادر سورية وكذا ياسين رفاعية.

كانت فترة عمل حقيقية في الصحيفة.. وأنجزت الكثير.. وأحدثت تغييرات جوهرية.. وهي إلى ذلك كانت أيضاً فترة خلافات سياسية لم تخف نفسها طويلاً.. فعاما ١٩٦٨ - ١٩٦٩ هما العامان التمهيديان لرسم الاتجاهات التي قادت إلى «الحركة التصحيحية» بقيادة الراحل حافظ الأسد في تشرين الثاني ١٩٧٠.

لهذه الخلافات علاقة لا شك فيها، بتراجع مستوى الأداء.. وما ظهر على الصحيفة من حالة قريبة للسأم ربما.. أو كانت حالة إحباط أدت إلى مغادرة نصر شمالي للصحيفة في الشهر الخامس من عام ١٩٦٩.

تلك الحقبة شهدت بدايات تفكير من قبلي بالطلاق مع الثورة.. ليس لسبب في الدنيا سوى أنني لم أجد طريقي الذي يقنعني بالتقدم والوصول إلى موقع محترم..

كنت أعمل في الإخراج الصحفي.. ورأسي تدور مع دوران رأس الجريدة.. بل البلد كلها حيث سيطر التيه ربما على الجميع.

انشغلت بالجامعة عن الجريدة.. وبدأت أحب الدراسة التي كرهتها في البداية «الحقوق».. وتحولت إلى طالب متفوق.. لكن.. أقول لكم بصدق.. الناس من حولي فرضوا عليّ فرضاً أن لا طلاق مع الثورة.. يسألونني عنها.. وأحب أن أجيبهم.. يعني أحب أن أتكلم عنها.

وأكثر من ذلك..

أكره أن أبتعد عنها..

ليس فقط بسبب الراتب الصغير الذي أحصل عليه.. بل ربما لطبعي الكسول لم أفكر ببديل..

وكان يا ما كان.. وأنا أكتب هذه السطور ها أنا أسلخ ٤٣ عاماً ونصف العام من عمري معها.

ألم يحن زمن الرحيل..؟!

اعترف لكم أن رغبة اعترتني.. أن أعطي لنفسي وقتاً أرى فيه الألوان.. وأكتب براحة.. وأعشق كما أرغب.

هـزة ..

ومزيد من الحماسة

أوراق الثورة لمن يتابعها اليوم ولم يعش المرحلة قد لا تشي بـــشيء.. واعترف أن الذاكرة الشخصية قد دفعتني للبحث عنه.. يتمثـــل هـــذا الأمـــر بإقصاء /١٤/ شخصية بارزة من العاملين في مؤسسة الوحدة بيـــنهم مـــديرو الإدارة والمالية والمطابع وشؤون العاملين "كان يشغله الزميل هشام بشير".

وبينهم المحررون: معين بسيسو، ياسين رفاعية، مروان خليل، مظفـــر شاكر، ومحمد المصري.

وكان للحدث صداه، وتم بقرار لوزير الإعلام الـــدكتور حبيـــب حـــداد بالاشتراك مع الأستاذ نصر شمالي أمر بتسريح المـــوظفين والعـــاملين الـــــ /١٤/.

ما تسجله وثائق المؤسسة أنه بين تكليف نصر شـــمالي مـــديراً عامـــاً لمؤسسة الوحدة وبين صدور قائمة التسريح هذه أسبوع فقط.. وبالتالي قد تبدو عملية مقصودة موجهة ضد أشخاص بعينهم.. لكن.. الحقيقة ليست كذلك.

نصر شمالي كما ذكرت لم يأتِ مديراً عاماً من خارج المؤســـسة جـــاء إليها مديراً عاماً مساعداً وتولى رئاسة التحريـــر.. ووضـــح للجميـــع الوقـــع الخاص لقدومه، رغم وجود مدير عام مهم وشخصية بعثية مميزة هو محمـــد الجندي، ولم يمض زمن طويل حتى عرف كثيرون أن نصر شمالي بديل قادم.

رغم ثورية محمد الجندي الأكيدة، وهو صاحب كتاب "الحزب الثوري" إلا أن نصر كان مندفعاً ومتحمساً للعمل بشكل لافت.. وأراد دائماً أن يحدث شيئاً لافتاً.. تعاون في البدء مع كثيرين من الشخصيات التي تناولها التسريح.. لكن نياته تجاههم وضحت قبل فترة من صدور القرار.. وهو أراد منه ثلاثة أمور أساسية:

١ - ألا يظن أحد في المؤسسة أنه كبير.

٢ - أن يفرغ مواقع عمل من أشخاص لم يعد تعجبه أدوارهم.

٣ - أن يفسح المجال لخياراته هو باستقدام كادر بديل.

خلال أسبوع التسريح.. قبل صدور القرار وبعده.. ظهرت مقالات في الصحيفة تمهد للحدث القادم وتعطيه طابعاً ثورياً.. بدأت بمقالات دون توقيع..

هناك مقال في زاوية معاً على الطريق عدد ١٠ شباط.. بعنوان "تجار القلم" هذا نصه:

أن يتحول الفكر إلى بضاعة، وإلى تجارة رابحة تلك هي المشكلة التي لا يمكن السكوت عنها.

وفي الأجهزة والمؤسسات الإعلامية ما يزال يوجد من يعيش بعقلية التاجر الذي يبيح لنفسه أن يتاجر بالفكر بل ويعرض ويروج للأفكار التي قضت الثورة على أساسها المادي وبنية الأنظمة التي أطلقتها..

إن الفكر لا يخضع للسمسرة التجارية إلا عند نمط محدد من الناس لا يؤمن بقضية الجماهير وإنما بكل ما يؤمن له الإثراء عن طريق المتاجرة بالأفكار والثقافة الاشتراكية وتجربة السنوات القليلة الماضية كشفت هذا النمط الذي يتاجر بالفكر محاولاً أن يبذر من جديد في بنية النظام الثوري جذور العلاقات البرجوازية التي يشكل الاستغلال والمتاجرة حتى بالفكر صلبها وأساسها.

ومحاولات التسلل هذه إلى أجهزة الإعلام تعتبر من أخطر محاولات قوى الثورة المضادة للانقضاض على الثورة عن طريق تمييع السياسة الإعلامية الثورية وحرفها عن خطها المرسوم الواضح.

إن لأجهزة الإعلام مهام أساسية ومتعددة إذ يقع على عاتقها المساهمة في توعية الجماهير وتقديم الحقائق لها ووضعها في الصورة الواقعية التي يعيشها شعبنا العربي ولا سيما في هذه الظروف التي يشتد التآمر فيها على مصيره وعلى وجوده.

إن الشيء غير المعقول أن توجد تلك الجيوب وتلك العناصر المعادية والمتاجرة بالفكر في بعض الأجهزة الإعلامية.. والبدهي أن تستأصل تلك العناصر وتظهر الأجهزة الإعلامية من كل من لا يتوفر فيه الحد الأدنى من الولاء للثورة والإيمان بقضية الجماهير.. والدفاع عنها والمساهمة في توعيتها وتقديم الحقائق لها.

تتكرر الحالة في الزاوية ذاتها في عددي ١١ و١٣ شباط.

في ١٤ شباط أي بعد صدور قرار التسريح بيوم يتعرض "منيف حسون" للأمر ذاته في زاوية كل أربعاء في صفحة ألوان.. تحت عنوان "لعبة الربح والخسارة".

تبدأ المشكلة عند تجار الكلمة، ومحترفي صنعتها، بالسلوك.. ويبقى استمرارها آخذاً "الطابع الملائم". وباحثاً عن أفضل "المناخات والأجواء" التي تمنحه الدفء، والخدر.. ذلك أن معنى السلوك في مثل هذه الحالة مرتبط، ومرادف لكلمة "البضاعة".

فالتزام "الكاتب" لا يأتي عن طريق طرحه للشعارات.. واختياره لها لا يمكن أن يعطيه الهوية التي يحلم بها.. ووضع الشعار بمثابة "الستارة" قد يحجب الزيف – بعض الوقت - لكنه لا يحجب الموقف.

إن "المحك" الحقيقي الذي يوضّح الموقف، ويكشف، ويحدده هم العمل.. "والكاتب الثوري الملتزم".. هو الذي يضع الراية.. وبيده البندقية..وليس الذي يكتب.. ويتطلع إلى الوراء.

إن التقاء الخط الذي تطرح منه الشعارات.. بالخط الذي ينفذ منه العمل، هو الكفيل بخلق "الكاتب الحقيقي".. صاحب الموقف، والرؤية الصحيحة.

أما سير الخطين بشكل متواز فلا يعطي إلا صورة لإنسان "مشوّه" لا يرى هذه الشعارات إلا من خلال اللافتات فقط.

والكاتب التاجر في "نضاله الورقي" يحفظ قصة "النعامة".. ولأنه لا يبغي من نضاله إلا تحقيق مصالحه الذاتية.. فهو لا يخجل أبداً من وضع أفكاره، ورأسه في الرمل منتظراً لحظة إيقاظه.

ولأن منطق التجار "ربح وخسارة" فهو لا يعتبر أن سقوطه يعني نهايته..

ويأخذ استمراره "التجاري" شكلاً آخر، يفرضه المنطلق الخاسر الذي يعيش من خلاله.. ذلك أن "تعرية" الكاتب التاجر، وكشف مواقفه المتواصلة يضطره إلى الهزيمة، خاصة عندما لا يجد – مع إيمانه الشديد – بمبدأ المتاجرة – أحداً يبيعه أفكاراً، أو حتى من يستدين منه.

في العدد ذاته تظهر مقالة معاً على الطريق بعنوان "لص البيت" موقعه بحرف"ي" وهي ليوسف مقدسي.. الذي أشير إليه بالبنان في وقتها كأحد الذين يقفون خلف قرار التسريح داعمين له..

إن تأمين حماية خارجية لبيتك من اللصوص ليست صعبة.. فأنت تستطيع أن تضع حارساً أو ترفع سوراً، ومن ثم تنام بهدوء.. ولكن ماذا تفعل عندما يكون اللص أحد سكان بيتك؟

المثل الشعبي يقول: لص البيت لا "ينطر" وبهذه الكلمات البسيطة النابعة من تجربة شعبنا التاريخية الطويلة يتحدد مفهوم قوى الثورة

المضادة التي ترتدي نفس ثياب أفراد شعبنا وتقوم بعملها التخريبي بينـــه.. فتطلق الإشاعات وتفتعل الروتين، وتمارس البيروقراطية، وتفعــل كــل مــا يعيق التطور الاجتماعي والإنتاجي.

إذن لا بد من استئصال لص البيت حتى يتحقق الأمـــان فـــي الـــداخل وعملية الاستئصال هذه هي الضمان الحقيقي لنجاح أي مـــشروع أو خطـــة توضع قيد التنفيذ..

ففي مؤسسة إعلامية أنت لا تستطيع أن تمـــارس دورك الحقيقـــي إذا كان يوجد بين كادرك من يخرب العمل ويكدس المعاملات ويتصيد الفـــرص لينقض عليك.

وفي منشأة إنتاجية لا تستطيع أن تزيد الإنتاج وتحسن مـــن نوعيتـــه وتستقطب العمال إذا كان بين كادرك الإداري من يدين بالولاء للطبقة التـــي حطمت الثورة مرتكزاتها المادية.

وفي دائرة حكومية أنت لا تستطيع أن تسير العمل وتضع القانون في خدمة المواطن إذا كان يوجد في جهازك من يعامل المواطن كالخادم، أنت لا تستطيع إذن أن تحقق أية مهمة إذا لم تكتشف اللص الموجود في مؤسستك وفي معملك وفي أجهزتك فتفرزه ومن ثم تستأصله، وحالما تفعل ذلك تكون قد حققت أول وأهم شروط الاستمرار والنجاح.

لقد أحدث نصر شمالي بذلك هزة أرضية رآها ضرورية لانطلاقته التي سيحققها في الصحيفة فيما بعد.. ولنتابع ونعود إلى عدد ١ شباط الذي توقفنـــا عنده، حيث كانت الزاوية الأخيرة لمعين بسيسو.

الشغل الشاغل لكتّاب الصحيفة كان الشأن الحربي العسكري.. كأن تقرأ في عدد ٦ شباط على الأخيرة مقالاً لعاطف حلوة بعنوان "خنادقنـــا أصـــبحت كالخبز" وهي بالحقيقة محاضرة لمدير شركة صناعية رأت فيها الثـــورة مـــن الحكمة ما يكفي لوضعها في هذا المكان الرئيسي.

بالمناسبة هناك اهتمام بأخبار النشاطات المحلية ولا سيما بنشر الصور.. التي تراها على الصفحة الأولى غالباً وبحجم كبير لنشاط محلي منفردة كلياً عن القطع الإخبارية التي تسيطر على الصفحة، تتفوق على مستوى الاهتمام الذي تظهره الصحيفة بها في هذه المرحلة.

إنها الواجهة الثانية للحماسة.. كانت تسمى معركة البناء.. وكانت مهمة جداً.

على الصفحة الثالثة من عدد ٦ شباط نقرأ مقالين اقتصاديين.. الأول "د. حنا حتر" بعنوان ضرورة تخطيط الإنتاج الصناعي، والثاني لداود وحيد بعنوان "الاقتصاد الاستعماري لعام ١٩٦٧ وأهم علائم أزمته المستعصية".

مقالان جيدان يصنفان في الأفق ذاته.. الذي حكم البلد. وهو الاتجاه اليساري الثوري الاشتراكي.

الوضع السياسي العام يمكن قراءة عناوينه من عناوين عدد الثورة الصادر في ٢٤ شباط ١٩٦٨.. وهي عناوين بيان للقيادة القومية بعد عامين على حركة ٢٣ شباط ونحو ثمانية أشهر على حرب حزيران:

بيان القيادة القومية بمناسبة الذكرى الثانية لحركة الثالث والعشرين من شباط.

المؤتمر القومي الأول للحزب الذي انعقد عام ١٩٤٧ جسد شعارات الثورة العربية المعاصرة.

أصبحت الوحدة والحرية والاشتراكية شعارات النضال في كل مكان من الوطن العربي.

حركة شباط رسخت مبدأ احترام المؤسسات الحزبية وتوطيد سلطتها.

وتقديمها على أي دور للأشخاص مهما بلغت مراتبهم الحزبية.

المؤتمر الشعبي ووحدة التقدميين العرب ضمن استراتيجية واضحة هما الطريق الوحيد إلى النصر.

قيادة الحزب تناضل بصبر واستمرار للوصول إلى تحقيق أي مستوى من مستويات الوحدة.

لجان الدفاع عن الوطن أفسحت المجال أمام كل مواطن ليقوم بدوره في المعركة.

تستمر الصحيفة بالنفس ذاته تقريباً.. ورغم أنه ليس من مؤشرات على صفحات الجريدة تظهر تغير إدارتها حيث سمي نصر شمالي مديراً عاماً في شباط. وعين محمد الجندي مديراً عاماً لدار البعث.. إلا أن الصحيفة أظهرت نوعاً من الهدوء في توجهها الحربي ربما غير مقصود.. يلاحظ تتالي التحقيقات الصحفية المحلية حول استثمار النفط والسدود السطحية "هاني الحاج.. فيصل عبد الله" ومقالات سياسية ثقافية أخرى.

على الصفحة الأخيرة تتناوب المقالات السياسية مع العسكرية.

والحقيقة أن الصحيفة كانت تحتاج إلى مزيد من الهدوء والتنظيم والانتظام. ومع أنه من المؤكد أن نصر شمالي لم يكن قصياً بعيداً عن قرار التحرير في الصحيفة.. إلا أنه ينتظر أن يقدم بيانه العملي الإعلامي وقد آلت كل مقاليد الصحيفة له.

في السادس من آذار نقرأ مانشيتاً بالأحمر يقول:

رئيس الوزراء يدشن اليوم في احتفال تاريخي العمل في بناء جسم السد.. سد الفرات العظيم

والافتتاحية بعنوان:

سد الفرات العظيم نواة المجتمع الجديد.

على الصفحة الثالثة تقرير يحتل كامل الصفحة عن السد.

على السابعة أيضاً مؤتمر نسائي يحي المشروع الكبير لسد الفرات.

وحتى في الصفحة الثقافية "السادسة" زاوية كل أربعاء كتبها نصر الدين البحرة بعنوان: "**سد الفرات.. الكلمة... الفعل**".

وزاوية لممدوح عدوان بعنوان: "**رجال وراء السد**".

وزاوية نافذة بعنوان: **"جيل الثورة يبني السد"**.

وعلى الصفحة الأخيرة زاوية معاً على الطريق بعنوان **"آذار السد العظيم"** يوقعها س.

في ٧ آذار..

أيضاً مانشيتات عن بدء العمل بالسد.. من خلال خطاب رئيس الوزراء في الاحتفال.. وهناك مانشيت بالأحمر يقول:

خط أنابيب النفط مشروع كبير آخر سنحتفل بإنجازه في الشهر القادم.

الصفحتان الثانية والثالثة عن الاحتفال ذاته والعناوين عن السد والنفط.

وفي الصفحة الثقافية ألوان.. نقرأ تحقيقاً بعنوان:

العمال والعمل في مصنع السماد الآزوتي.

توقع بدء الإنتاج في نهاية العام الحالي.

وعلى الصفحة السابعة النص الكامل لخطاب الدكتور يوسف زعين في بدء العمل بسد الفرات.

وهكذا تدخل الاحتفالات بالذكرى الخامسة لثورة ٨ آذار في خطاب لرئيس الدولة الدكتور نور الدين الأتاسي.. نأخذ منه العناوين التي نشرتها الصفحة الأولى من عدد ٨ آذار:

الأمين العام للحزب يعلن في المهرجان الكبير بمناسبة الذكرى الخامسة لثورة "٨" آذار.

العدوان لا يفهم إلا منطقة الكفاح المسلح.

نحن نعلن من هنا للرأي العام العالمي وللمنظمات الدولية أن الجماهير العربية ترفض الاستسلام.

كل الظواهر تؤكد أن الطرق السياسية لن تفلح.. ومن حق الجماهير أن تثير التساؤلات حول الفائدة من مهمة يارينغ.

إننا نحذر من مغبة اللعب بالنار والتساهل بحقوق الفلسطينيين ومن نتائج أي موقف متخاذل.

الحزب رسم في مؤتمره التاسع الاستثنائي استراتيجية كاملة للعمل العربي الفعال.

الفترة التي تلت العدوان شهدت جهوداً جبارة قام بها الجيش لتعزيز قدرته الدفاعية ورفع استعداده القتالي.

بعد قيام المنظمات الشعبية.. الخطوة التالية تطبيق نظام الإدارة المحلية.

المجالس الشعبية المنتخبة انتخاباً مباشراً من قبل الشعب سيكون لها أوسع السلطات في التقرير والمراقبة.

الجيش الشعبي ولجان الدفاع عن الوطن تجربتان رائدتان وخطوتان في توسيع القاعدة الديمقراطية.

هذه الوقفة مع المشاريع والتحقيقات المحلية واحتفال عيد الثورة.. ورغم طبيعتها التقريرية غير المستقطبة للقارئ تعطي طابعاً مريحاً من حيث توقف قرقعة السلاح التي استهلكت الجريدة في الفترة السابقة.

وبالمناسبة يلاحظ عدم إعطاء خصوصيات كثيرة للاحتفال بذكرى الثورة.. العدد عادي.. ٨ صفحات.. لا عروض عسكرية ولا إسراف في الحديث عن المنجزات.. ولا شك ان لذلك علاقة صريحة بأجواء ما بعد الحرب.

في عدد ٩ آذار ينشر الكاتب حيدر حيدر في الصفحة الثقافية مجموعة خواطر متتالية كأنها فقرات من مذكرات لها تاريخ يقول في خاطرة وضع لها تاريخاً بـ "١٩٥٥/١/٧":

أهملت دفتر مذكراتي، انصرفت في الليالي الماضيات لقراءة بعض كتب المطالعة التي جلبتها معي.

كنت أحلم بصمت أن أكون يوماً ما أديباً، حلم صغير خائف راودني:

كم من السنين ستمضي قبل أن أكون؟ وكم من الكتب عليّ أن أقرأ؟ ثم هذه الوظيفة. ادفن أحلامك أيها المعلم المنفي لشد ما أنت صغير في هذا العالم الغول!

واستمرت القراءة ومعها استمر اكتشافي لنفسي والعالم.

في عدد ١٠ آذار أيضاً وفي الحيز ذاته من الصفحة الثقافية قصيدة لحيدر حيدر بعنوان "مرثية السلطان حسن الهلالي":

بالأمس كانت الأرض صلبة تحت قدميك
وكان لوقع حوافر مهرك الجامع فوقها
رنين وأثر
لصوتك كان دوي
يشبه انهيار الجبال تحت قصف الرعد
وكالطاووس كنت تختال فوق المروج
سيد الجبال، والرياح، والمطر
كنت
وسيد البحار
بمشيئتك السفن تجري وبمشيئتك
ترسو
وتحت اسمرار شفتيك كان يقطن
عقرب الزمن
من مشرق الأرض إلى مغربها
كنت الصدى والصوت،
تدير مقياس الريح وإبرة الطقس
ومهرك الطاعن جناح الريح،
مراهن عليه
لهفي هي الأرض لفارس قديم

يطلع من فجوات الريح الشرقية
حاملاً لعصور الذل عبق صحارانا البدائية،
يصد عنا خيول أبرهة
ويقوض مملكة آخاب
ومن أي جيل نقف على بوابة الكهف
وبأيدينا حصان مسروج
وسيف
ودرع؟
لسنا ندري
ولسنا ندري أأنت النائم داخل الكهف
أم نحن
عباد الشمس والمعجزات النبوية
ومن فجوات هواجسنا قدمت يوماً
هاذباً مع ريح الغفلة
فوق جوادك الخاص
طيفاً خاطفاً مرق في سرنا
لمحناك
معك راية وفي وجهك القاسي علامة
فقرأنا: وبشر الفقراء والمقهورين بنصر قريب
هو أنت إذن،
ذلك القادم من ضلوع صحارانا
الرافع راية الفرسان القدامي
قال الأمل القتيل
شرارة من برق سماء عربية
ومضت من توقنا الخاص

في ليلة كسف فيها قمر القبيلة
هلا.. هلا لاي.. يا للبشرى
صاح الفرح المخذول
وسرحنا الحصان المسروج.

في العدد ذاته تنشر الصفحة الأخيرة في زاوية معـــاً علـــى الطريـــق مقتطف من خطاب رئيس الدولة نور الدين الأتاسي.. ومقال أكثر من نـــصف صفحة عن باناما ترجمة عن الفرنسية وليم مسوح... وتستمر حالة اللا انتظام في هذه الصفحة.

الصفحات الأولى غالباً تتصدرها أخبار المقاومة في الأرض المحتلـــة وكانت قد بدأت تحتل حديث الشارع.. إضافة إلى متابعة حـــروب التحريـــر الأخرى في فيتنام وجنوب شرق آسيا.. لكن اخبار هذه المعارك تراجعت إلى الشق الثاني.. علماً ان سايغون لم تسقط بعد.

تستمر معاً على الطريق في نشر فقرات من خطاب الأتاسي كل يـــوم.. والمقالات الطويلة مترجمة أو معدة غالباً وأخـــرى للـــسياسة تحتـــل معظـــم الصفحة إضافة إلى أخبار منوعة تأتي في زاوية من كـــل مكـــان.. وهنـــاك زوايا تحضر وتختفي مثل زاوية أضواء على الداخل.

يستمر نشاط التحقيقات المحلية والمقالات الاقتـــصادية وترتـــع وتيـــرة كاريكاتيرات علي فرزات. وتظهر أسماء جديدة:

عبد الله الأحمد – علي الصيوان – رشاد رشدي – عـــاطف حلـــوة – صبحي أحمد – مروان مرتضى – عبد القادر الـــضلعي - وديـــع اســـمندر (قاصاً) - زهير بغدادي (مترجماً) – مروان خاطر (شـــاعراً).. وآخـــرون... وهناك رسائل من لبنان باسم إيليا أبو الرواس.

تضيف الصحيفة إلى حركات التحرر الوطني وحروب التحرير التـــي تتابعها مسألة النظام العنصري في روديسيا.

الاثنين ١٢ آذار عدد جديد يعلن نهاية عصر العطلة الأسبوعية في جريدة الثورة.. ولهذا علاقة بالنشاط الذي أظهرته الصحيفة في التحقيقات والمقالات وتكرار أسماء الكتاب والمحررين.. ذلك أن الصحيفة كانت تعطل يوم الأحد ولا تظهر الاثنين.. وقد ألغيت العطلة بالاتجاه ذاته.. العمل المتواصل.

في عدد ١٣ آذار وضمن متابعتها للذين يعملون في العيد – عيد الأضحى – تنشر تحقيقاً عن عمالها وصحفييها.. الذين أيضاً لم يعطلوا خلال فترة العيد.. ويؤكد جميع الذين تناولهم التحقيق وغالباً لا تذكر أسماءهم أنه لا يجوز التعطيل في العيد!

ثمة تصعيد لوتائر العمل في الصحيفة.. لكن التغييرات محدودة.

في عدد الخميس ١٤ آذار.. تظهر صفحة ألوان باسم "الأسبوع الأدبي" وتنشر قصة "أكثر من نصف صفحة" لعصام ميرزو وقصيدة لسميح القاسم وزاوية عن المسرح لصالح مرسي.. والنص الكامل لاسكتش جسر العودة للأخوين رحباني والخبر يقول إنهما انتهيا من تسجيله وستغنيه السيدة فيروز.

وتغيب عموماً الزاوية المسماة بأيام الأسبوع.

في العدد التالي على صفحة ألوان مقال عن الموسيقى لمجدي العقيلي وآخر عن مسرحية "ياليل ياقمر" لهشام شيشكلي.. وزاوية باسم كل يوم كلمة لممدوح عدوان.. وتعليق على صورة لخالد أبو خالد.

"الثورة" كثيراً ما تشعرك أنها في مرحلة مخاض سينتهي بولادة.. وعندما تحدث الولادة لا يستمر المولود طويلاً.. ربما لذلك علاقة بسرعة دوران المديرين العامين ورؤساء التحرير.. هذه المرحلة بين السياسة ومناصرة حركة التحرر ومقاومة حروب الهيمنة.. وظلال حرب حزيران.. تظهر حالة ارتفاع في وتيرة العمل والإنتاج الإعلامي الذي يتناول الشؤون المحلية والتنمية وبناء الدولة والشؤون الثقافية.

هذه الحالة تشعر بمخاض ما سينجم عنه وجه جديد للصحيفة.

يوم الاثنين ١٨ آذار تظهر الصفحة الأخيرة بصفة جديدة فيها استعادة للماضي.. عدسة الثورة في الأعلى بارتفاع يقرب من ١٥ سم مع زاوية معاً على الطريق تنتقل إلى تحت الصورة على ٣ أعمدة كتبها فخري عباس.. وزاوية من هو للتعريف بشخصية عالمية وقد اختير لهذا العدد الزعيم الصيني ماوتسي تونغ. ومقال سياسي ترجمة وليم مسوح بعنوان "أحداث لاووس إلى أين تسير" وزاوية أضواء على العالم على طول الصفحة حيث غالباً كانت تنشر زاوية معين بسيسو من شوارع العالم وقد كتبها يوسف مقدسي تحت عنوان : العالم الرأسمالي يترنح في الطرق المسدودة.

عدسة الثورة فيها صور من يوم ٣/٦ حيث دشن رئيس الوزراء الدكتور يوسف زعين سد الفرات.

في العدد التالي عدسة الثورة لصور وكالات حول التمييز والممارسات العنصرية في الولايات المتحدة ومذابح فيتنام.. وفي هذا العدد معاً على الطريق لسعيد عبد الله.. ومن هو تتحدث عن بريجينيف.. المقال السياسي بعنوان الأميركي الهادي وسد الفراغ بالقوة الثالثة لقاسم طوير.. وأضواء على العالم ليوسف مقدسي.

وتستمر الصفحة على هذا المنوال.

خلال باقي أيام آذار يتأكد تماماً غياب أسماء مهمة معين بسيسو – ياسين رفاعية – هنرييت عبودي.. الخ.

وحضور متجدد ومتواتر لممدوح عدوان – يوسف مقدسي – حيدر حيدر – سعيد عبد الله – عبد الله الأحمد في زاوية مالية – نصر الدين البحرة.. وآخرين ويطل سعد الله حرب بقصيدة ومحي الدين ناصر أكثر من مرة في زاوية معاً على الطريق.. ابراهيم صقر في تحقيق صحفي أرض المعركة وهاني الراهب أيضاً في معاً على الطريق.. وعدنان عمامة في قصيدة..

هناك استقطاب للكتاب وأبواب مفتوحة لهم، بينهم جابر عصفور الـــذي ينشر مقالاً نقدياً على صفحة ألوان "الـــسادسة" فـــي عـــدد ٣١ آذار ١٩٦٨.. عنوانه: "**الصورة الشعرية.. لماذا تفشل القصيدة التقريرية في إثارتنا؟**".

ونقتطف منها:

وعلى هذا فمهمة الشاعر هي التعرف على النمط والشكل أينما يلمحه في الحياة، وعليه أيضاً أن يبني إدراكاته لهذا النمط في شكل شعري يقنعنـــا – بالحاجة وتآزره – بحقيقة الإدراكات. ويمكننا أن نقول إن الشاعر وجـــد في هذا العالم ليكون مشاهداً على مبدأ الحب ما دام الحب هو خيـــر كلمـــة بالنسبة لتوقنا البشري للدفء والتوحد مع أقراننا. ومن ثم فإدراك مبدأ الحب الذي تقوم عليه كل أشياء العالم هو الأهم بالنسبة للشاعر إذ عليه أن يتفهم هذا الحب كضرورة ترتبط بها كل الأشياء وكضرورة تمكننا من أن نرى الشكل الشعري كصورة تتصالح فيها كل متناقضات العالم وتتضامن في وحدة.

وهذا هو السبب الذي يجعلنا نشعر بالبهجة إزاء صـــورة القـــصيدة إذ أنها بتجمعها في نمط متكامل تهب المتعة لأنها ترضي توقنا البـــشري إلـــى النظام والكمال. إن الصورة الشعرية –كما يقـــول المؤلـــف – هـــي العقـــل البشري طالب الالتحام بكل شيء حياً كان أو جامداً وهو لكي يحقق هذا فإنه يصنع عن طريق الاستعارة تماثلاً بين أشياء العالم اللا متماثلة وهذا هو سر قوتها الذي أدركه أرسطو كإدراك حدسي للتماثل في اللا تماثل.

وعلى هذا فالصورة الشعرية ليست هي فقط الوسيط الذي يدك القارئ عن طريقه العلاقات التي تشكل النمط الشعري بل إن وظيفتها أكثر وأخطـــر من ذلك، أنها تخبرنا أن العالم الواقعي أيضاً يقوم أو ينبغي أن يقـــوم علـــى نمط ونظام.

انتهى الربع الأول من عام ١٩٦٨.. أسس نـــصر شـــمالي الأرضـــية المناسبة لانطلاقة يضمر تحقيقها في الصحيفة.. فلنتـــابع مـــسيرة الـــصحيفة بقيادته الكاملة وقد أثبت ولايته عليها وقوة كلمته فيها.

يمكن أن أضيف هنا إلى ملاحظات أواخر شباط أن الثورة انشغلت أكثر بالشأن المحلي، وما يمكن أن تسميه عملية البناء.. في محاولة لفرض كلمة "حدث" على الأحداث وليس الانقياد كلياً لها.

مانشيت عدد ١ نيسان.. عن أسبوع القطن.. وطبعاً بعد أن يعطي المقاومة حقها.. وعلى صفحته الأولى الصورة الرئيسية لمنصور شدايدة رئيس الاتحاد العام لنقابات العمل.. الذي خلف خالد الجندي.

على الصفحة الثالثة يظهر عنوان لموادها "العالم في أسبوع" تتبعه عبارة "يقدمه: القسم السياسي".

الصفحة السابعة يشغلها كاملة كلمة لرئيس اتحاد نقابات العمال ألقاها في المؤتمر العمال العالمي من صوفيا.

على الصفحة الأخيرة في زاوية من هو؟! نرى تعريفاً بالزعيم اليوغسلافي "تيتو" وبالمناسبة هذه الزاوية التي بدأت بالتعريف بماوتسي تونغ.. لم تترك رئيساً أو أمين حزب أو رئيس وزراء في الدول الاشتراكية إلا عرفت به.

عدد ٢ نيسان أيضاً، المانشيتات عن القطن والرئيسي منه يقول:

الرفاق الحزبيون جنباً إلى جنب مع الأخوة الفلاحين في حقول القطن.

على الصفحة الثالثة ندوة حول "ملء أوقات الطلاب في العطل الصيفية" يديرها أنور يونان.

في الصفحة الثقافية هناك مقال رئيسي لفيصل ياسري يحمل العنوان التالي:

أطول عنوان مسرحي.. بيتر فايس يكتب عن فيتنام.

ومقالة لوفاء طيلوني عن الاحتفال بالذكرى المئوية لميلاد مكسيم غوركي عنوانها:

غوركي.. عربي

وزاوية كل يوم كلمة لأحمد صوان بعنوان **"صورتان من الماضي والحاضر"**.

في ٣ نيسان على الصفحة الأولى مانشيتان محليان:

أول قطار من طرطوس إلى الطبقة يصل في نهاية الشهر الحالي حاملاً معدات خاصة ببناء سد الفرات.

أسبوع القطن يدخل يومه الثالث.. المسؤولون يواصلون العمل مع الفلاحين في حقولهم.

على الصفحة الأخيرة ريبورتاج بالصور وتعليقات نافذة لحادث وقع في صيدا بلبنان أثناء الانتخابات هناك.. زاوية معاً على الطريق لحيدر حيدر بعنوان: **"في محاولة النقد الذاتي للامتيازات"** وعرض كتاب للزعيم الزنجي الأميركي ستوكلي كار مايكل بعنوان:

بين جيل الثورة وجيل الاستسلام.

مانشيت عدد ٤ نيسان:

الرفيق الأمين العام للحزب رئيس الدولة يشارك اليوم في أسبوع القطن.

وعلى الصفحة الثالثة بحجمها الكاملة نص محاضرة مطولة لوزير الثقافة "سهيل الغزي" بعنوان: الثقافة ودور المثقفين في المعركة.

في اليوم التالي ٥ نيسان تظهر على الصفحة الأولى صورة كبيرة للأتاسي بلباس "الكاكي" مع الفلاحين في الحقول.. وأخرى لابراهيم ماخوس في موقع آخر.

على الصفحة الثالثة تحقيق لعبد الله السيد بعنوان: الغاب وأسبوع القطن.. على الصفحة الرابعة تتكرر صور المسؤولين في الحقول..

وعلى الصفحة الأخيرة تتكرر صور رئيس الدولة ومسؤولين آخرين في الحقول.. ويتكرر "الكاكي".

كذا الصفحة الأولى عدد ٦ نيسان صورة بارزة لرئيس الدولة في الحقول.. وعلى الثانية مانشيت يقول:

موجة اضطرابات عنيفة تهز الولايات المتحدة

بعد اغتيال الزعيم الزنجي مارتن لوثر كينغ

على الصفحة الثالثة.. مقال مطول ربما مترجم لخلدون الشمعة عن معركة الانتخابات الأميركية.. وتحته مقال يحمل عنوان:

غينيا.. قطعة حلو.. قفلت من فم البرتغال

الاستعمار البرتغالي يواجه أحلك أيامه.

يوقع المقال باسم "قسم التحقيقات السياسية – عبد الهادي سعيد.

صفحة الأدب فيها قصة قصيرة لسحبان سواح ونقد لمسرحية علي كنعان " سد مأرب" كتبه علي عقلة عرسان وقصيدة لحيدر حيدر.

عدد ٧ نيسان.. المانشيت الأحمر والافتتاحية عن ذكرى تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي.. وللمناسبة تغيب الافتتاحية عن الصفحة الأولى أكثر مما تحضر.. وما زالت تظهر بتوقيع – الثورة -.

على الصفحة الرابعة "الأخبار المحلية" عنوان رئيسي يقول:

شعار مضاعفة القطن رمز صغير سيدل نجاحه على صمودنا.

على الخامسة لا يغيب تقريباً كاريكاتير علي فرزات.. وقد ظهر تطور لافت عليه.. كخطوط وكفكرة.. في حين لم نعد نرى كاريكاتيرات لعبد اللطيف مارديني.

في ٨ نيسان تعرض الصفحة الأولى الخطاب الذي ألقاه الأتاسي باحتفال ذكرى تأسيس الحزب وفيه المانشيتات التالية:

بدء مرحلة جديدة في تحقيق الديمقراطية الشعبية.

الثورة حرصت على أن تهيء لهذه الخطوة كل أسباب النجاح وعوامل النمو الطبيعي.

مشروع المجالس الشعبية سيعرض للمناقشة العامة في فرصة قريبة.

يحتل الاحتفال كامل الصفحة الأولى مع قطعة عنوانها: أسبوع القطن في درعا يبدأ اليوم.

في صفحتها الثالثة.. والتي تحمل عنوان العالم في أسبوع.. تفرد الجريدة مطولاً لمصرع الزعيم الزنجي الأميركي مارتن لوثر كينغ.

في مقال على صفحة ألوان الثقافية من العدد نفسه.. يكتب صلاح دهني مقالاً مطولاً عن فيلم "سائق الشاحنة" ويصفه بأنه أول فيلم روائي على مستوى جدي في سورية.

على الصفحة الأخيرة.. التي عادت إلى التسييس بالكامل تقريباً عدا عدسة الثورة في أعلاها وزاوية معاً على الطريق أحياناً.. وفي هذا العدد الزاوية لـ"جاد بوز" بعنوان: الكفاح المسلح والاقتصاد الإسرائيلي.

في ٩ نيسان مانشيت عن مشاركة الأمين العام للحزب بزراعة القطن في درعا.. ومانشيت ثاني عن توزيع ٥ قرى من غوطة دمشق على الفلاحين.. ومانشيت عن تصدي القوات الأردنية لعدوان إسرائيلي جنوب البحر الميت.. وهناك صورة بارزة لرئيس الدولة يقبل أوراق اعتماد سفير تشيلي.. وافتتاحية قصيرة نسبياً بعنوان سقوط سياسة الوجهين بتوقيع – الثورة -.

على الصفحة الثالثة من عدد ١٠ نيسان.. صفحة كاملة بعنوان نجاحات كوريا الديمقراطية الشعبية، مع صورة لكيم آيل سونغ.. وهي تنشر كإعلان وسيتكرر نشر مثل هذا الإعلان مرات ولطويل الزمن ودائماً صفحة كاملة وصورة للزعيم "سونغ".

في عدد ١٢ نيسان مانشيت يقول:

المسؤولون في حكومة الثورة والمواطنون يساهمون اليوم في أعمال تحصين مدينة دمشق.

وتنفصل عن الخبر صورة كبيرة لمحمد رباح الطويل يتحدث عن الأمر.. بصورة عامة تتصف الصحيفة بهذه الصفة.. أي لا يشترط أن تأتي الصورة الرئيسية داعمة للموضوع أو الخبر الرئيسي علماً أن الصحيفة بدأت تشهد تحسناً إخراجياً.

على الصفحة الثالثة.. عنوان جديد لصفحة يقدمها القسم السياسي هو: الوطن العربي في أسبوع.. يعني أننا صرنا أمام صفحتين "العالم في أسبوع.. والوطن العربي في أسبوع".. وهما صفحتان سنعرض هنا العناوين التي نشرت في صفحة هذا العدد ١٢ نيسان.

في ذكرى ميلاد حزب البعث العربي الاشتراكي.

مؤتمر القوى التقدمية في رونا يطالب بانسحاب القوات الإسرائيلية المعتدية.

زيارة رئيس الدولة ورئيس الأركان "مصطفى طلاس" لسرب القاذفات السوفياتية في إحدى قواعدنا الجوية.

تفاصيل العدوان الإسرائيلي على الأردن.

القوات اليمنية تسيطر على جميع المواقف..

الانتخابات في لبنان إلى أين؟!

الرئيس عبد الناصر: على الأمة العربية أن تحشد قواها من أجل المعركة.

الجزائر استغلال الثروات الطبيعية.

هجمات جريئة للمقاومين العرب.

غير أن اللافت في هذه الصفحة السياسية المنوعة أنها تفتقد كلياً أي مصدر للمعلومات أو كاتب للمادة الصحفية.

تكاد تكون العناوين حول تحصين دمشق.. وحفر الخنادق في شوارعها.. من أبرز العناوين وأكثر المواضيع استحواذاً على الصورة

المنشورة.. والحكاية كانت محل خلاف.. سواء من ناحية جدوى هذا التحصين المنقول من فيتنام أو طريقة تنفيذه.

يكتب ممدوح عدوان في زاوية معاً على الطريق في عدد ١٤ نيسان مقالاً حول هذا الموضوع: بعنوان المشاركة بالمراسلة، نقتطف منه:

قال بعضهم تعليقاً على يوم تحصين دمشق: - ألم يكن من الأفضل استئجار عدد معين من العمال للحفر بدلاً من هذا الحشد من الموظفين الذين لم يعتادوا الحفر؟ ألم يكن في وسع ربع هذا العدد من العمال، لو كانوا عمالاً حقيقيين، أن يحفروا أضعاف ما حفر هذا العدد الضخم من الموظفين والعمال والطلبة؟ -.

ربما كان هذا صحيحاً لو أن الغاية من الحفر كانت إنجاز الخنادق وتهيئتها فقط، لكن هناك أمور أخرى كثيرة إضافة إلى تأمين وجود الخنادق.

مواجهة المسؤولية لا تتجزأ. ومواجهة المسؤولية، في ظروف قتالية من النوع الذي نعيشه، تتجلى في أبسط صورها في مشاركة عملية من نوع حفر الخنادق.

حفر الخنادق القتالية يستفيد منها الذين سيقاتلون وحين نقول عن علينا استئجار عدد معين من العمال لحفر الخنادق فإن هذا المبدأ سيوصلنا، باستطراد منطقي إلى استئجار مقاتلة يملؤون هذه الخنادق.. وإلى العودة إلى مبدأ "الحرب بالوصاية".

كان بين من يحفرون مثقفون وأدباء وصحفيون وسياسيون.. وجميع هؤلاء مهتمون اهتماماً كبيراً بالعمال وبالفلاحين وبالمعركة..

لكن مشاركة ساعات في الحفر جعلت الجميع يعودون مشققي الأكف، منهكين، متألمين من جميع عضلات أجسادهم.

لا يفوتني أن أذكر أن الصحيفة تنشر في معظم الأيام إعلاناً على زاوية الصفحة الأولى يقول:

أيها الأخ المواطن.. تبرع لبناء الكرامة.. في يوم الكرامة \والتوقيع.
لجنة الدفاع عن الوطن وحماية الثورة.

في زاوية من هو على الصفحة الأخيرة التي اعتادت أن تقدم الشخصيات القيادية في الصف الأول والثاني في الصين ومجموعة الدول الاشتراكية ودول آسيوية.. تعرض في عدد ١٨ نيسان لشخصية جون كينيدي..

لا نجد في عدد ١٨ نيسان أي تغطية لأي احتفال بعيد الجلاء.. بينما مرت بعض المواد في عدد ١٧ نيسان..

وفي هذا العدد يتناول هاني الراهب في زاوية معاً على الطريق مهمة السفير غونار يارينغ التي قلما نجد شيئاً عنها في الصفحات السياسية.

عدد ١٩ نيسان يعلن بالمانشيت الأحمر على الصفحة الأولى:

تدفق نفطنا من آباره إلى ساحل البحر.

عدد ٢٠ نيسان يعلن بمانشيت:

المؤتمر العام للجنة الدفاع عن الوطن وحماية الثورة يبدأ أعماله غداً في دمشق

عدد ٢١ نيسان بمانشيت أيضاً:

المؤتمر العام للجنة الدفاع عن الوطن وحماية الثورة بدمشق يفتتح مساء اليوم.

الصفحة الخامسة من هذا العدد تحذر في عنوان رئيسي من ارتفاع نسبة مياه نهر الفرات الذي وصل ٦٣٦ سم.. وإجلاء سكان عن بعض القرى على ضفتي النهر.

عدد ٢٢ نيسان الاحتفال بافتتاح المؤتمر المنوه عنه على مدى يومين بعناوين مأخوذة من خطابين واحد للأتاسي أخذت منه العناوين التالية:

الرفيق الأتاسي يعلن في افتتاح المؤتمر العام للجنة الدفاع عن الوطن وحماية الثورة:

تشكيل قوة ردع عربية من القوى المتحررة هو أكبر دعم للمقاومة العربية.

الجماهير العربية لم تعد تفهم إلا لغة الإنجاز والعمل ولا تقبل التبرير أو التهرب

يجب أن يكون واضحاً للجميع أننا لن نسكت على التآمر ضد القضية العربية مهما كلف ذلك من ثمن.

الشعوب المناضلة ترفض مبدأ تجزئة معركة التحرر الوطني.. ولن تستفيد الصهيونية من المماطلة والتسويف الأمريكي في فيتنام.

الثورة استهدت من خلال الاستراتيجية التي رسمها الحزب جميع الخطوات لتجعل من هذا القطر حصناً للصمود وقلعة للكفاح.

لجان الدفاع عن الوطن أصبحت خلال فترة قصيرة تجربة نضالية فعالة في معركة الإعداد والتخطيط وتعبئة اكبر الطاقات.

والثاني لعفيف البزري نائب رئيس لجنة الدفاع عن الوطن في دمشق:

راية الكفاح المسلح التي رفعها القطر العربي السوري تظلل اليوم كل الجماهير العربية التي تتصاعد ثورتها ويتأكد صمودها.

عفيف البزري شخصية يسارية شيوعية ويشير استحضاره لهذا الموقع التقارب القائم والمنشود بين سورية يومها والدول الاشتراكية والقوى اليسارية.

مانشيت عدد ٢٣ نيسان:

المؤتمر العام للجنة الدفاع عن الوطن وحماية الثورة بدمشق يواصل اجتماعاته بتشكيل ٦ لجان فرعية لدراسة التقارير المقدمة من قبل المكتب التنفيذي.

المانشيت الثاني مجموعة عناوين عن "المقاومين العرب".

الصفحة الأخيرة إضافة إلى صور "عدسة الثورة" المأخوذة من اجتماعات لجان الدفاع عن الوطن يحتلها ثلاث مقالات.. واحد كبير مترجم

عن الغرانما الكوبية حول "غواتيمالا" واثنان لسعيد عبد الله في زاويتي معاً على الطريق وأضواء على العالم... سعيد عبد الله شغل وقتها منصب سكرتير التحرير.

عدد ٢٤ نيسان.. أيضاً المانشيتات مجموعة عن لجان الدفاع عن الوطن ومجموعة عن المقاومة.. وعلى الصفحة الثالثة تحقيق موقع باسم التحقيقات عن لجان الدفاع عن الوطن.

مانشيت عدد ٢٦ نيسان:

الرئيس الجزائري بومدين ينجو من مؤامرة مجرمة.

الأتاسي وزعين يبرقان بومدين مهنئين: نجاتكم من المحاولة الغادرة هزيمة كبرى لقوى الغدر والتآمر.

مجموعة عناوين عن المقاومة.. وقطعة متوسطة الحجم عن خطاب للرئيس عبد الناصر في جامعة القاهرة يقول فيه:

معركتنا مع إسرائيل مصيرية وفاصلة.. وشعبنا العربي مستعد للسير في الشوط إلى نهايته.

رئيسي الصفحة الثانية "الأخبار الدولية":

هانوي تكذب أنباء بدء الاتصالات مع واشنطن وتؤكد إصرارها على شروطها.

قطعة ثانية كبيرة الحجم عنوانها:

مظاهرات صاخبة تستقبل جونسون في شيكاغو

تطالب بوقف العدوان الأميركي على فيتنام

على الثالثة:

مقال اقتصادي مطول بعنوان: **"استراتيجية المعادن في الوطن العربي"** وقعه الدكتور الشاذلي محمد الشاذلي.

وفيها أيضاً لقاء مع عفيف البزري نائب رئيس لجنة الدفاع في الوطن.. وآخر مع الدكتور مصباح غيبه بصفته رئيس اللجنة الصحية في لجنة الدفاع عن الوطن.

في الصفحتين الرابعة والخامسة المحليتين هناك العنوانـــان الرئيـــسيان التاليان:

البدء بدراسة المصورات والمخططات العائدة لمشروع معمل الغــزل الرفيع

فيضانات الفرات تجتاح ٥٠ ألف دونم من الأراضي الزراعية.

على الصفحة السادسة مجموعة أخبار وقطع ثقافية والـسابعة أخبـــار عربية بمعظمها تدور حول القصة الفلسطينية وهناك زاوية رياضية.

على الصفحة الثامنة.. عدسة الثورة.. صور ومشاريع.. مقال طويـــل مترجم بعنوان أميركا على أبواب صيف عاصف.. وزاوية أضواء على العالم ليوسف مقدسي بعنوان آلام النمو في أميركا.. ومعاً على الطريق لنمر حمـــاد بعنوان: الانفتاح على العالم.. ومن هو تتحدث عن الزعيم الغـــاني "كـــوامي فكروما".

على هذا المنوال تستمر الثورة.. دون تغيرات تذكر على أي صـــعيد.. وميل إلى الرتابة نتيجة سيطرة عرض البناء والدعاية والدعاية المضادة.

في عدد ٢٨ نيسان على الصفحة الثقافية يطل اسم بدر الدين عرودكـــي في لقاء مع صلحي الوادي.. اسم جديد.. لكن ضمن سياق تقريباً لـــيس فيـــه جديد.

في هذه الصفحة هناك قصيدة لصدر الدين ماغوط ولقاء مع خالد تاجـــا شاباً بطلاً لفيلم سائق الشاحنة وهناك قطعة صغيرة بعنـــوان بـــرج وتوقيـــع مراقب جاء فيها:

كنا نظن دائماً أن الروائي الحلبي "فاضل السباعي" فـــارس الروايـــة السورية لا يشق له غبار.

حتى اكتشفنا أخيراً أنه فارس الرواية المصرية، والرواية العربيـــة – الألمانية أيضاً.. فقد صدرت للمؤلف مؤخراً رواية "رياح كانون" جـــاء فـــي نهايتها ثبت بأسماء الروايات التي أصدرها، نقتطف منه ما يلي:

"ثريا".. "رواية مصرية"!!
"ثم أزهر الحزن".. (رواية سورية)!!
"الظمأ والينبوع".. "قصة – عربية – ألمانية"!!
والرواية القادمة ربما كانت "قصة فولطية علوية".

مراقب

عدد ٢٩ نيسان يعلن عن أكبر موازنة عامة للدولة تسميها الصحيفة وكذا المرسوم التشريعي "ميزانية" بقيمة أقل من ١,٥ مليار ليرة.

أعداد أول أيار تنشغل باحتفالات عيد العمال ويطل منها أمين اسبر بمقالة عمالية في زاوية معاً على الطريق.

في السابع من أيار تنشر صفحة ألوان قراءة لممدوح عدوان في ديوان لنزيه أبو عفش "الوحي الذي لا يعيش" وهي في الحقيقة تقديم محدد للديوان تنشره الصحيفة بكامله ونقتبس منه فقرة من أوله وفقرة من آخره.

هذا الجيل، الذي يرى وراءه أكثر من ألفي عام، يعيش في رعب. يسيطر عليه الخوف من أن لا يكون شيئاً في هذا التيار الزمني العنيف.. أن هناك – داخل كل فرد – أشياء معينة – صغيرة أو كبيرة – تميزه. أو تبعث فيه الرغبة لأن يميز نفسه.. إننا نحس بها.. ولذلك فنحن نبحث عنها.. أو إننا نبحث عنها في محاولة مستميتة لأن نحرك التاريخ.. ندفعه نوقفه.. نفعل أي شيء بدل الاستسلام له.

وخلال التعبير يمر نزيه – مع جميع الشعراء الشباب من هذا الجيل - بين حدي سيفين مصلتين يكفي أن يلامس الشاعر أياً منهما ليموت كشاعر.

إن الشاعر الشاب معرض، خلال بحثه عن الجدة وعن الصوت الخاص، للوقع في ظل من سار قبله.. في شبكته الحبال الصوتية التي يملكها الشعراء الآخرون.. والخطر أن اللذان أعنيهما ينبعان من أن الجيل الذي فتح طريق الشعر الحديث قد امتص اهتمامات الناس. وصنع ذوقهم

الشعري الحديث.. والخطر الأول هو أن يكون الشاعر الشاب واحداً من الناس.. أن يتحدد وراء أحد الذين سبقوه.. أن يقع ضحية إعجابه أو حبه.

والخطر الثاني هو أن يكون للشاعر الشاب، فعلاً، صوته الخاص لكن آذان الناس لم تعد مستعدة لسماع أصوات أخرى فقد تحددت طريقة استمتاعها بالأصوات من خلال الأصوات المعدودة التي سمعتها في البدء.

ونزيه أبو عفش.. صوت شاعر شاب يبح عن نفسه بيننا. يصرخ في وجوهنا وآذاننا بحدة – تارة شخصية وأخرى مجتلبة – فلنستمع إليه.. علّ استماعنا يساعده في تعميق ملامحه الخاصة وتأكيدها.

يلاحظ في هذه المرحلة أن افتتاحية الثورة مستمرة دون توقيع ويقل تواترها عن السابق.. - أيام محمد الجندي -.

في ٧ أيار يتعرض المقال الافتتاحي والمفترض أنه لنصر شمالي لمواقف الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة.

ما هو مغزى عودة بورقيبة؟

حتى ما قبل عدوان حزيران بقليل كانت الصهيونية تعتقد أنها قد قطعت شوطاً بعيداً وكافياً في مجال التمهيد داخل الأقطار العربية بالقدر الذي يضمن لها تحقيق حلقة أخرى في مشروعها العدواني الكبير.

كانت تعتقد أن روح النضال قد خبت، وأن الشعب العربي قد بلغ حالة من التمزق والاستسلام لا يملك معها أية قدرة على المقاومة الفعلية، وأصبح بالإمكان فرض الصلح على العرب بشيء من القوة أو بشيء من الدبلوماسية.

ولقد زار الحبيب بورقيبة بيروت في مهمة سرعان ما انفضحت.. بل إنه لم يكن حريصاً على تمويهها فقد كان صريحاً بما فيه الكفاية، ولم يستعل الألغاز والكلمات المبطنة المموهة في دعوته العلنية إلى الصلح مع إسرائيل.

كان بورقيبة مكلفاً بجس نبض الجماهير العربية في المشرق بشكل خاص.. كان يريد أن يتأكد من أن برودة الموت قد سرت في أطراف شعبنا الصامد المكافح، وبدا من الوقاحة البالغة التي تحدث بها أنه كان واثقاً من النتيجة، وقد قال ما قاله ثم عاد تاركاً لأسياده تقدير أهمية رد الفعل العربي.

ولكن حدثت خلال فترة قصيرة أمور كثيرة يبدو أنها كانت مستبعدة، فمن جهة حقق القطر العربي السوري انتصارات ثورية ضد الاحتكارات الاستعمارية وعملائها المحليين، وخطا خطوات قوية في طريق النضال القومي الاشتراكي، ومن جهة ثانية كانت المقاومة الفلسطينية تتصاعد باستمرار، ومع اندحار شركة نفط العراق الاستعمارية أمام صمود الثورة في سورية ومؤازرة الجماهير العربية لها، ظهر القلق والذعر جلياً في الأوساط الاستعمارية الصهيونية، وبدأت تظهر في الأفق مقدمات الغزو العسكري المباشر بعد أن فشلت الأساليب العدوانية الأخرى.

كان عدوان حزيران يستهدف تحقيق جملة أهداف محددة مسبقاً، أضيفت إليها أهداف جديدة على ضوء التطورات الهامة التي طرأت على حركة الثورة العربية والمقاومة الفلسطينية.

لقد اقتنعت الامبريالية بالضرورة الملحة للهجوم العسكري الصاعق، وبأقصى سرعة قبل أن تضيع كل سنين التمهيد والاستعداد عبثاً على أيدي رجال المقاومة، وقى الثورة العربية.

واليوم.. تحاول الامبريالية استكمال عدوانها الذي لم ينجح في تحقيق أبرز أهدافه، وإنما حقق العكس إلى حد كبير. إذ بدون الاستسلام من قبل شعبنا للصهيونية، والصلح معها، والقبول تدريجياً بزعامتها المطلقة للمنطقة، تبقى نسبة الخطر كبيرة جداً على الوجود الصهيوني الاستعماري.

لقد عجز العدوان عن إسقاط القوى والأنظمة التقدمية، غير أن تأخر هؤلاء في تحمل مسؤولياتهم كاملة أفسح من جديد مجالاً رحباً للحبيب بورقيبة كي يعود إلى متابعة القيام بدوره في خدمة الامبريالية والدعوة إلى

الصلح مع إسرائيل، وسيتمادى بورقيبة وأمثاله أكثر وأكثر في طريق الخيانة إذا ما طال التردد.

إن الأنظمة التقدمية، والتي تملك الحرية والقدرة على الحركة مدعوة في الحال إلى تحقيق اللقاء الفعلي، وإلى اتخاذ كافة الإجراءات الوحدوية بما يتناسب مع حجم المعركة التي تواجهها الأمة العربية، وإنها لقادرة بذلك على تقرير مصير بورقيبة وأمثاله، وعلى تحويل العدوان القائم إلى بداية النهاية للوجود الصهيوني الاستعماري.

مانشيت الثورة في عدد ٢١ أيار ١٩٦٨ يتناول الإضرابات العمالية في فرنسا:

الشلل التام يصيب معظم نواحي الحياة الاقتصادية في فرنسا إثر تفاقم حركة الإضرابات.

اجتماع للحكومة الفرنسية برئاسة ديغول لبحث الموقف.. وأنباء عن استيلاء المضربين على ١٢٠ مصنعاً.

في اليوم التالي وفي الشأن نفسه تنشر المانشيت التالي:

وكالات الأنباء تتحدث عن ٣ خطوات بدأ الرئيس الفرنسي ديغول باتخاذها لمواجهة موجة الاضرابات.

عفو عام عن الطلبة المعتقلين – تعديل وزاري واسع – استفتاء عام في حزيران.

في عدد ٢٤ أيار هناك تغير طفيف في إخراج الصفحة الأخيرة حيث تنقل زاوية "معاً على الطريق" إلى الزاوية اليسارية في أسفل الصفحة "خمسة أعمدة".. وهناك تغير آخر في الزاوية إذ إن كاتبها وقّع باسم "أبو مصعب" ويرجح انه نصر شمالي "المدير العام - رئيس التحرير" والتغير الآخر أنه يهاجم فيها صحفاً أخرى وتحمل عنوان: "المقاومة وحكاية الذئب والديك".

نوردها هنا:

قال الذئب:

أيها الديك.. إنك ملك الطيور.. ألست أزهاهم ريشاً.. وأجملهم شكلاً.. وأحسنهم تغريداً

واهتز الديك خيلاء.. وانتشى طرباً.. وغمض عينيه قليلاً.. بينما ارتخت عضلاته المشدودة.

وتابع الذئب وهو يتظاهر بالولاء، ويتفنن في الوصف والمديح:

أيها الديك.. إنني عاشق متيم.. فاسمعني تغريدك الشجي لأشنف أذني بعذوبته.

ودون أن يفطن الديك للخدعة، أو يلاحظ الخبث والغدر في عيني الذئب، والشهوة الإجرامية في حركة لسانه وبروز أنيابه، أغمض عينيه تمماً واستعد للصياح، ولكنه لم يفعل.. فقد أصبح عنقه بين فكي الذئب.

يجب أن تكف جريدة "الحياة" عن ملاحقة المقاومين العرب، وكذلك بعض الصحف الأخرى التي تصدر في لبنان، وفي غير لبنان، فهذه هي المسألة التي تؤرق اليوم كل مناضل واع.

ونحن نعلم أن المقاومين الحقيقيين المناضلين الذين يلخصون في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا كل آمال أمتهم، ويمثلون ذروة إرادتها، لا يمكن أن يتحولوا إلى مادة صحفية رخيصة ومشبوهة في أيدي العملاء في جريدة "الحياة" ولا "موديلات" لكاميرا صاحب "الصياد".

إن ملايين العرب يدركون بأن على صاحب "الصياد" أن يصطاد في مكان آخر غير هذا المجال المقدس، فمدخل رزقه كما يعرف الجميع ليس في هذا الباب، دائماً في مواخير العهر السياسي والجنسي التي ترعرع فيها "كرشه" وارتفعت بفضلها عمارته.

كما أنه لا بد من طريقة تبعد الأيدي القذرة للعملاء في جريدة "الحياة" عن العمل الفدائي، فالدور الذي يريد هؤلاء أن يلعبوه لحساب الصهيونية مفضوح وواضح لكل ذي عينين.

غير أن لرجال المقاومة مسؤوليتهم أيضاً في وضع حد لهذه المهزلة التي يقيمها العملاء لحساب الاستعمار والصهيونية، والتي لا تزال في صعود إلى الأوج!!

وإذا كان أي عربي لا يصدق أن أبطال المقاومة يقبلون تبادل الحديث مع عملاء "الحياة" أو يقفون أمام مصور "الأنوار" أو سواه ويعتقد أن كل التحقيقات المصورة التي نشرت وتنشر هي من باب التمثيل والتهريج الهادف، فإن هذا العربي المشدود بكل أعصابه إلى ساح المعركة يتساءل عن السبب الذي يمنع المقاومين المناضلين من وضع حد لهذه المهزلة التي لا يقتضي إيقافها أكثر من تحذير شفهي أو خطي.

إن الأسى والقلق يعصفان بقلوب العرب المخلصين وهم يرون تجار المآسي، وعملاء الصهيونية والاستعمار يرقصون على جثث الشهداء، ويتاجرون بأشرف معركة خاضها العرب في تاريخهم الحديث، ويساهمون في تنفيذ مؤامرة احتوائها، بعد أن فشلت كل أساليب التآمر والعدوان الأخرى، التي استهدفت إجهاض المقاومة.

كل هذا يحدد، والمراقب يتصور وكأن الحيلة قد انطلت على المناضلين من رجال المقاومة، فلم يفطنوا للغدر والخبث في العينين، ولا لحركة اللسان وبروز الأنياب!

غير أن ثقتنا المطلقة بالمقاومة كتطور تاريخي حتمي، وبنضالية ووعي المقاومين العرب، وبالمناعة التي اكتسبوها كفلسطينيين عبر عشرين عاماً من التشرد والتآمر عليهم، إن هذه الثقة تجعلنا نجزم مطمئنين أن مهزلة العملاء المفضوحة الأهداف لن تستمر.

وهل من المعقول أن يكون ما حدث بين الذئب والديك أكثر من أقصوصة خيالية؟

.... إذ حتى الديك لن ينخدع بالشكل الذي ترويه الحكاية.

مانشيت عدد ٢٥ أيار.. عودة إلى الشأن الفرنسي:

الرئيس ديغول يدعو الشعب الفرنسي إلى استفتاء عام في الشهر القادم ويعلن:

إذا قال الشعب نعم.. فهذا يعني سلطات كاملة لتنفيذ الإصلاحات.. وإذا قال لا سأستقيل.

مانشيت عدد ٣٠ أيار:

ديغول يغادر باريس فجأة إلى مكان مجهول.. والمراقبون يتوقعون إجراءات هامة.

على الصفحة السادسة من هذا العدد هناك قراءة نقدية في ديوان شعر لمحمود درويش "آخر الليل نهار" كتبها المدير العام لمؤسسة الوحدة ورئيس تحريرها الأسبق إنعام الجندي.. والديوان من إصدارات مؤسسة الوحدة.. حيث اتجه نصر شمالي لتنشيط هذا العمل.. وهو من صلب عمل المؤسسة التي أصدرت أكثر من كتاب.. بينها واحد عن غيفارا، وآخر رواية لآثيل مانين... وغيرها.

في اليوم التالي وبالشأن الفرنسي تنشر الصحيفة مانشيتاً رئيسياً يقول:

الرئيس الفرنسي يترأس اجتماعاً للوزارة الفرنسية فور عودته إلى باريس أمس يعلن فيه

حل الجمعية الوطنية الفرنسية وإجراء انتخابات عامة جديدة.

في هذا العدد شيء لافت على الصفحة الثقافية حيث تتناول دراسة نقدية ديوان محمود درويش "آخر الليل نهار".. وبقلم عاصم الجندي.. شقيق إنعام.. هل كان ثمة خطأ؟! وهل الدراستان النقديتان لأحدهما؟! إن كان ذلك نرجح أن تكون لعاصم.

أيضاً في عدد ١ حزيران نتابع مانشيتات الصفحة الأولى الشأن الفرنسي.. وعلى الصفحة الثقافية التي اسمها عادة ألوان. هناك عنوان جديد "حصاد الأسبوع الأدبي" فيه قصة قصيرة ليحى يخلف. وقصيدة لفدوى طوقان..ومقال مترجم عن الروسية أرسله من لينيغراد زهير بغدادي..

مقطوعة شعرية صغيرة لسلافة حجازي.. لها مقطوعة أخرى على الصفحة الأخيرة.

في ٤ حزيران تنشر الصحيفة على الصفحة الأخيرة تقريراً عن تناول صحف لبنانية غالباً، لعمل المقاومة، وكان في جذوته، تحت عنوان لصالح من ترتكب هذه الخطايا.. ويرى الكاتب الذي وقع بحرف "غ" أن هذه الكتابات لا تخرج عن كونها مؤامرة.. وهناك صور أغلفة بينها ملحق لصحيفتي النهار والأنوار.

عدد ٥ حزيران فيه افتتاحية تتناول الذكرى السنوية الأولى لحرب حزيران ١٩٦٧ وفيه صفحة تتابع نشاطات اعتصام وتظاهر وبيانات لبعض المنظمات العربية والدولية.

وهناك صفحة تروي قصتين لمعركتين.

معركة الجليبينة بقلم المقدم الركن غازي أبو عقل.

ومعركة تل الفخار دون توقيع.

عدد ٦ حزيران فيه مانشيتات عن عدوان حزيران مأخوذة عن بيان للقيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي الذي ألقاه الأتاسي بينها عنوان بالأحمر يقول:

النكسة جاءت حصيلة واقع التجزئة والتخلف الذي يعيشه الوطن العربي.

ومانشيت آخر عن اضراب في الأراضي العربية المحتلة.

وقطعة بعنوان:

عبد الناصر يجدد العهد على استعادة الحق العربي كاملاً.

وقطعة عن بيان للقيادة القطرية الفلسطينية لحزب البعث تدعو إلى وحدة القوى التقدمية.

على الصفحة الثالثة.. يكتب جاد بوز عن الاقتصاد الحربي.

وغيرها وينشر حلقة أخرى من دراسته بعنوان:

إسرائيل الفكرة وإسرائيل الدولة.

تقريباً هذا كل شيء عن ذكرى الحرب..

على الصفحة الدولية "الثانية" مانشيت:

محاولة اغتيال روبرت كندي.

في اليوم التالي عدد ٧ حزيران.. ينتقل الحدث إلى الأولى بالمانشيت التالي:

توفي كينيدي بعد مرور ٥٢ ساعة على إصابته.. المتهم باغتياله مازال ملتزماً الصمت.

في هذا العدد.. يكتب نصر شمالي في زاوية معاً على الطريق مقالاً بعنوان "الوجه الآخر" باسم أبو مصعب.. مرة أخرى يظهر موقفاً إعلامياً.. وربما معاناة صحفية.. وللأمر علاقة بالاهتمام الذي أبداه خلال قيادته للصحيفة.. بتطوير عملها مستهدفاً بشكل واضح وعلني زيادة عدد النسخ الموزعة أو المباعة.. وقد عمل على هذا الخط بأكثر من مجال إداري وإعلامي، مما أظهره فعلاً كصاحب مشروع.. ولاسيما إن قرنا ذلك بأنه الذي بدأ بعرض حالة مبنى الصحيفة والضرورة الملحة لمبنى جديد وإمكانات زيارة دول أخرى للاطلاع.... أعتقد كان في مقدمتها جمهورية ألمانيا الديمقراطية في حينه.

في العدد التالي تتابع الثورة على صفحتها الدولية تشييع جثمان روبيرت كندي والإجراءات الأولية لمحاكمة سرحان بشارة سرحان المتهم بقتل كندي، وفي معاً على الطريق أولى نشر لسمير مسعود بعنوان صائد كلاب البحر.

في عدد ١٣ حزيران تحتل أحداث فرنسا ومظاهرات الطلاب صدر الصفحة الأولى:

حظر المظاهرات في جميع أنحاء فرنسا وحل بعض المنظمات اليسارية.

اشتباكات تسفر عن إصابة ٧٢ شخصاً واندلاع عشرات الحرائق واعتقال ٢٠٠٠ متظاهر.

مجلس الوزراء الفرنسي يعقد اجتماعاً طارئاً برئاسة ديغول لبحث الموقف.

في عدد ١٤ حزيران تظهر على الصفحة الأولى زاوية كبيرة الحجم في الربع السفلي اليساري من الصفحة، باسم "وجهة نظر" ويفتتحها "حنا حتر" بزاوية اقتصادية وهو كاتب اقتصادي أردني يساري.. ثم يتبعه في اليوم التالي على الزاوية نفسها جاد بوز..وفي اليوم الثالث عبد المناف سحلول وهكذا.. والزاوية تستهدف عرض مسألة الإدارة الملحية وكان مشروع قانونها أعد منذ فترة قريبة.

تلفت في عدد ١٥ حزيران عنوان كبير رياضي منشور على الزاوية العليا اليسرى للصفحة الأولى:

في أولى مباريات الدورة العربية التي تنظمها مؤسسة الوحدة فاز الأهلي على الراسينغ بحضور ٢٥ ألف متفرج.

هي إحدى النشاطات العامة التي مارسها نصر شمالي لتوسيع أفق المؤسسة ونشاطها الاجتماعي.

في أواخر حزيران تعود الثورة لمتابعة الشأن الفرنسي حيث كانت الشوارع الفرنسية تواجه ما يشبه ثورة عرفت فيما بعد بثورة الطلاب، على صفحة الأخبار الدولية في عدد ٢٨ حزيران يظهر ديغول في صورة وهو يدلي بصوته في الانتخابات.. وفي عدد ٢٩ حزيران خبر ثانٍ يحتل مساحة كبيرة وعناوين واضحة ٥ أعمدة:

وقوع سلسلة من الانفجارات في باريس مع بدء المرحلة الثانية من الانتخابات.

ديغول يوجه اليوم خطابه إلى الشعب الفرنسي.

هكذا يمضي الربع الثاني من عام ١٩٦٨.. تستمر الصحيفة في إظهـــار هويتها متابعاً دائماً لمعركة البناء والشؤون القومية العربية.. وحركات التحرر العالمية ومقارعة الدول الغربية والاتجاه الرأسمالي.

ما تظهره الصحيفة حتى اليوم بعد مضي عام على حـــرب حزيـــران.. هو محاولة خروج من قمقم الهزيمة.. وإطلاق طاقات المحررين فيها.. بغض النظر عن طريقة وهوية الخطاب الإعلامي ما عدا ذلك التغييرات محـــصورة ببعض التعديلات الإخراجية التي لا تطرح جديداً فعلياً.

أسماء كثيرة تظهر على صفحات الجريدة (أكرم شريم_ فارس قويدر – ظافر دلول – يحيى الخاير – عبد الرحمن شبلي – نبيل فرج – عبد الكـــريم اسماعيل – أحمد خطاب – عثمان الرفاعي - عباس حكيم – جـــورج قيـــصر وسمير مسعود واسكندر لوقا).

تواتر نشر هذه الأسماء توضح أن معظمهم إن لم يكن كلهـــم، يكتـــب لصحيفة من خارجها، ويضاف إليهم الكتّاب الذين ارتادوا زاوية "وجهة نظر" على الصفحة الأولى التي خصصتها الصحيفة لمناقشة قانون الإدارة المحلية.. ومنهم بهجت حتاحت – مفيد عبد الكريم - كاظم التونسي – مساعد قدســـي – مصطفى العالم – ناظم حافظ.. وغيرهم).

أما أسماء كتّاب الجريدة النشيطون في تلك الفترة.. أبرزهم نمر حمـــاد وكان ينشر حلقات مسلسلة يبدو وأنها لكتاب بعنـــوان: "إســـرائيل الفكـــرة.. وإسرائيل الوجود.." نواف أبو الهيجا – سعيد عبد الله وعبد الهادي سعد.

وغيرهم.. وبين هؤلاء عدد من الفلسطينيين.

علي فرزات يستمر في الكاريكاتير يومياً مع وضوح الشخصية الفنيـــة أكثر.. وتألق رسوماته.

العدد الأول في شهر تموز والذي يأتي صدوره مع الـــذكرى الخامـــسة ظهور صحيفة الثورة.. لا يحوي أي إشارة إلى هذه المناسبة.

في مهب الريح

الثورة في الخامسة ثمة تغير أرجو أن أكون استطعت عرضه من خلال ما عرض.. لعل المظهر الأوضح للتطور أن الجريدة أصبحت تنهل من منابعها.. وتنشر لكتابها.. ولم تعد تميل بشدة للاستدانة عبر الترجمة ونقل الصورة القادمة من الوكالات.

خطابها اختلف بقدر هذا الذي ذكرته.. لكن هذا عائد بالتأكيد لتغيير الخطاب السياسي العام في سورية.

يمر الآن أكثر من عامين على قيام حركة ٢٣ شباط.. وأكثر من عام على هزيمة حزيران.. البلد مالت إلى الاستقرار.. لكن سيثبت فيما بعد أن الذين يتحدثون عن نار تحت الرماد، مخطئون بحدود.. ومصيبون ربما.. ما ثبت هو عبث الرياح الحزيرانية بالدنيا كلها ومن ضمنها ولا ريب خطاب الثورة الإعلامي.

حتى هذا التاريخ لا تقترب الصحيفة من مشاريع السلام.. أبداً.. وتعوّل كثيراً على مقولة عبد الناصر "ما أُخذ بالقوة لن يسترد إلا بالقوة".

لذلك تستهجن كثيراً ما يثار عن تفهمات مصرية لبعض مشاريع السلام.

نتابع الآن مسارات الجريدة..

عدد ٢ تموز يؤكد سيطرة أخبار البناء المحلية والمقاومة مع إعطاء حيز بحدود للأحداث الدولية المهمة.. على الصفحة الأولى مثلاً نقرأ:

فوز الديغوليين في الجولة الثانية للانتخابات الفرنسية

على صفحة الأخبار الدولية هنا متابعة للحرب الفيتنامية وغيرها من نضالات حركات التحرر الوطني.

عدد ٣ تموز ينعي المرحوم زكي الأرسوزي على الصفحة الأولى.. وفي الصفحة زاوية كبيرة عنه غير موقعة ولها تتمة بعنوان "المناضل الفقيد"، كما أنه يشغل جلّ الصفحة الأخيرة من العدد.

على هذه الصفحة.. كتب ممدوح عدوان في زاوية "معاً على الطريق" مقالاً يتعرض لخلاف بين الفنان دريد لحام والزميل هاني الحاج.. وقد جاء في زاوية ممدوح:

تفجرت أخيراً، الأزمة التي كنت أتوقع تفجرها منذ عامين وأكثر، هذه الأزمة بين الفنانين والصحفيين. وقد انفجرت أخيراً منذ يومين، وبعد أن أحب الزميل هاني الحاج أن يكسر مزراب العين، وأن يتهجم على الفنان دريد لحام.. وضج الفنانون وضجت النقابة وأصبح الأمر الآن عند السيد وزير الإعلام.

لن يستطيع الفنانون، بالطبع، أن يتوصلوا إلى فرض إرهاب على أقلام الصحفيين، فالصحفيون سيستمرون في الكتابة عن الفن والأعمال الفنية تقييماً وعرضاً وأخباراً. كما وأن ما قالوه حول زاوية الزميل هاني الحاج من أنها نشرت في صحيفة "الثورة" الرسمية، وبالتالي فإن الآراء الواردة فيها آراء رسمية.. هذا تحميل للأمر أكثر ما يستحق وأكثر ما يعنيه. وكان من الممكن ببساطة أن يعتبروا ما كتب ليس إلا رأياً شخصياً للزميل هاني الحاج – وهذه هي الحقيقة.. فأنا مثلاً من المعجبين بالسيد دريد لحام وبفنه وأنا أعمل في الصحيفة ذاتها.

كلما قدم المسرح القومي عملاً كتب عنه جميع الصحفيين وجميع من يريدون أن يأخذوا ثمن مقال، المهم في الأمر أن هناك مسرحية وأن هناك أقلاماً تكتب، والسؤال الذي نطرحه دائماً على الفنانين: هل الفن يخدم الشعب؟ ينقلب إلى سؤال آخر: هل هذه الصحافة تخدم الفن؟

أنا أحس بالامتهان، رغم أنني أعرف أنني مازلت في أول الطريق الشعري، إذا كتب عن ديواني إنسان أعرف أنه لا يقرأ قصيدة كل ثلاثة أشهر، وكنت أشعر بالغيظ والامتهان أيضاً كلما رأيت إنساناً لم يقرأ في حياته عشر مسرحيات ينبري للنقد المسرحي ومن لم يشاهد في حياته إلا أفلام الكاوبوي وجيمس بوند وهو يكتب عن دور السينما وعن الموجة الجديدة وعن المخرجين الطليعيين.

هذه هي حقيقة الأزمة، وأنا أرجو أن نحقق من الانفجار الذي أحدثه الفنانون أخيراً أمرين في غاية الخطورة والأهمية:

١ - ان نكون أكثر حرصاً، كصحفيين، حين ننشر ما نحاول تسميته نقداً فنياً وأن نحاول ان نصل إلى نسبة من التخصص في هذا الميدان إن كان التخصص الكامل صعب التحقيق حتى الآن.

٢ - أن يكون الفنانون، أيضاً، أكثر حرصاً حين يقدمون لجماهيرنا أعمالاً فنية.

في العدد التالي ٤ تموز يتابع عبد الله السيد في الزاوية نفسها رؤية مشابهة:

في فترة الأسبوع الماضي، ومن خلال سلسلة ما كتب عن (فرقة الحكم) التي زارت قطرنا، فعرضت مسرحية "آه.. يا ليل، ياقمر)، تبدت أمور في وسطنا الفني والثقافي والأدبي، والأحرى أن نسمي هذه الأمور "ظواهر" فقد كانت خافية، ثم ظهرت لنا، فكشفت عن واقع هذا الميدان، كما كشفت عن التكوين الفكري للعاملين فيه.

ويمكننا تلخيص تلك الظواهر بالنقاط التالية:

١ -تبدى في غالبية ما كتب، وفي غالبية ما قيل طابع الانفعال، وربما "الهيجانة" أحياناً، كانعكاس لمشاهدة هذه المسرحية، مما قاد – على ما اعتقد – إلى مبالغة عظيمة في الإشادة بها ونجاحها نصاً وإخراجاً وتمثيلاً – وأستطيع أن أقول شخصيات

أيضاً - فلم أسمع، ولم أقرأ إلا "العبارات المفخمة، والصيغ المكررة" مما يستنتج المرء منه، أن الشعور "المأخوذ" قد قاد إلى هذه الحالة.

٢ - من خلال عملي في صحيفة يومية، خيل لي – من خلال ما ورد إلي – أنه ما من حدث كانت له أهميته، وكان يستدعي انخراط الكتاب، والإدلاء برأيهم، والتحمس له، إلا حدث عرض هذه المسرحية.

ولا بد للمرء أن يستغرب هذا الاهتمام الجديد، لقد زارت القطر فرق فنية – عربية وأجنبية – وعرضت برامجها مسرحاً أو رقصاً فولكلورياً، كما صدر أكثر من مجموعة شعرية، وأكثر من دراسة، وأكثر من كتاب، كما شهد قطرنا مواسم معارض تشكيلية عديدة ومع هذا.. فغن اصمت كان يلف هذا العرض أو الإنتاج.. ما السبب؟!

ترى ألم يكن في نقد "آه.. ياليل، ياقمر" مبالغة؟.. ألم يكن به مصلحة؟.. ألم يكشف عن سلبية؟.. أم يكشف عن خلفية فكرية؟.. ألا يطرح مشكلة المسؤولية؟.. ألم يكشف عن التكوين النفسي لأصحاب هذا النقد؟..

في عدد ٥ تموز تظهر مرة أخرى زاوية وجهة نظر لشريف كوش وتناول مشروع قانون الإدارة المحلية.

على الصفحة الثالثة ممدوح عدوان مرة أخرى متهماً:

هل كان للشعر.. دور في النكسة.

حين تحول الشاعر إلى طبل إعلامي يدجل على المواطن العربي.

هناك نوع من تراشق الاتهامات على الخفيف بين المثقفين.

وكان موجود بين السياسيين أيضاً لكن الثورة لم تظهر في هذه المرحلة..!!

إنه الضمير المثقل بالهزيمة غير المفهومة حتى حينه.

هناك إطلالة لهشام الدجاني كاتباً ومترجماً.

وعلى الصفحة الأخيرة رسالة مطولة من "مصعب جواد" في لوس أنجلوس يتحدث فيها عن سرحان بشارة سرحان المتهم باغتيال وربيرت كندي.

في الثامن من تموز تستمر الثورة لليوم الثالث بمتابعة زيارة للرئيس عبد الناصر للاتحاد السوفييتي، وذلك على الصفحة الأولى وبالمانشيت. وفي التاسع منه يتحدث المانشيت عن عدوان إسرائيلي على مدينة السويس.. وفي قطعة بارزة على الصفحة الأولى متابعة لزيارة عبد الناصر للاتحاد السوفييتي.

في ١١ تموز تنشر الصفحة الأولى خبراً رئيساً بياناً مشتركاً عن محادثات عبد الناصر مع القادة السوفييت.

خطوتـــان

فـي المتاهـة

في عام ١٩٦٨ طرحت القيادة "ضمنا الحكومة" مشروع قانون الإدارة المحلية للجمهور ما أجل الحوار حوله. تبنت جريدة الثورة عملية الحوار وأحدثت زاوية على الصفحة الأولى بعنوان "وجهة نظر" تناوب عليها كتاب عديدون.. وللأمانة أذكر.. أن معظمهم أيد مشروع القانون أو امتدحه.. أو لاطفه على الأقل..

إلا أن رسالة "حوار" جاءت من نقيب محامي حلب - في حينه - وجه فيها الكثير من الانتقادات لمشروع القانون..

لم ترض الصحيفة بمهمة الناشر ووسيط الحوار.. بل تعدت إلى أن تكون هي المحاور المدافع عن القانون.. وردت على الرسالة التي نشرت في صفحة داخلية بحرف صغير تحت عناوين تتهم كاتبها.. بمقالات متتالية على صفحات وشملت عشرات العناوين التي تهاجم نقيب محامي حلب وتتهمه باتهامات شتى.

أثير الموضوع في محاضرة بكلية الحقوق (مادة الحقوق الدستورية) وكان يدرسها المرحوم الدكتور "كمال الغالي".

افتتح الحديث زميلي نشأة.. وصديقه -أتذكر أن اسمه مروان- نشأة كان مؤيداً للنظام على الرغم من أن اتجاهه الديني المحافظ.. أما مروان فلم يكن مؤيداً لأحد.. ولا أعلم لماذا كانت حكاية الموضوع المطروح للنقاش والرد على رسالة نقيب محامي حلب قد استثارته إلى هذا الحد..

وجه حديثه إلي وقال:

- هيك الحوار..؟! الرجل أرسل إليكم بعض الملاحظات فتردون عليه بصفحات من التقريع والسخرية..؟

هممت بالرد عليه لكن ليس بحماسة، لأنني سمعت الكلام أكثر من مرة من أكثر من شخص.. ويصل في رفض ما أقدمت عليه الصحيفة إلى درجة السخرية.

لم يكن الدكتور "غالي" رحمه الله قد غادر القاعة بل نزل عن المنبر واتجه إلى الباب، حين سمع حديث مروان.. وربما رأى ارتباكي. كان معارضا للنظام السياسي البعثي، على أساس قومي ناصري.. ولم يكن يخفي ذلك..

أذكر أنه مرة كان ينتقد قيام دولة الانفصال وقال: أن ما حصل في الشارع السوري بعد الانفصال كان بسبب الشعور الشعبي بلا شرعية الحدث..

رد عليه زميل وصديق لي اسمه رائد:

- لكن يا دكتور.. الشعب نزل إلى صناديق الاقتراع وانتخب برلمانا..

قال:

- الظروف لا تتيح للناس دائما دقة الاختيار..! حتى اختيار ما يريدونه..!

انتبه الدكتور "غالي" على الحديث وأدار وجهه مبتسما بسخرية:

- يكفي الصحيفة، أنها فتحت باب الحوار..

قلت أنا معتقدا أن الدكتور "غالي" يقف مع الجريدة:

- هناك كتاب كثر شاركوا في الحوار وعلى الصفحة الأولى..

أومأ إلي أستاذنا بيده.. فتبعته.. نظر إلي وقال:

- الحوار يكون بين أطراف.. وليس طرف واحد يحاور نفسه.. هذا حوار كان أفضل أن لا يقوم.. وجريدتكم لا تستطيع أن تتحمل مسؤولية حرية الحوار.

في مرة ثانية قال لي رحمه الله، وكأنه كان يريد أن يرمم في نفسي ما قد تكون أحدثته كلماته السابقة :

- يا بني.. الحرية ليست لعبة.. وكذا الحوار.. لابد من التأهيل.. كي نعيش الحرية ونمارس الحوار..

لم تكن صحيفة الثورة وحدها التي تواجه إشكالية مفهوم الحرية.. وممارستها ولم تنته تلك المواجهة..

وظل السؤال قائما:

لمن الحرية..؟! وكيف تكون..؟!

أمضيت في صحيفة الثورة ٤٣ عاما منها ثلاث سنوات في رئاسة تحريرها.. وتشكلت لدي رؤية.. ولا أستطيع أن أنقلها إلى منهج نظري أو عملي..

أنا أومن.. أن ممارسة الحرية التي تحتاج إلى ضمانات تأهيل متعددة.. بينها وجود دعائم الحياة المادية بالضرورة .. لا يمكن أن تحدد إلا بممارستها..

يعني.. نصنع الحرية بأساليب صحيحة عندما نمارسها وليس بمخطط مسبق.

حوار .. لكن ..؟!

في ١٤ تموز تعنون الثورة على صفحتها الأولى فوق اللوغـو بـالخط العريض:

رد على مغالطات وافتراءات نقيب محامي حلب حول مشروع قانون الإدارة المحلية.

ويذكر الخبر:

"ننشر على الصفحة الثالثة نص الرسالة التي بعث بها نقيب محـامي حلب حول مشروع قانون الإدارة المحلية وننـشر معهـا أيـضاً مناقـشات "الثورة" لهذه الرسالة وتفنيد المغالطات والافتراءات التي لحقت بها".

على الصفحة الثالثة نجد مايلي:

١ - إن المتصدي للرد على رسالة نقيب محامي حلب هو الأستاذ نصر شمالي المدير العام رئيس التحرير ذاته.

٢ - إن الرد يسبق الرسالة التي تنشر مع صورتها "زنكـوغراف" فـي وسط وأسفل الصفحة.

٣ - يفتتح الرد بالعناوين التالية:

محاولة يائسة تنضح بالحقد الأسود للنيل من مشروع قانون الإدارة المحلية.

رسالة نقيب محامي حلب هي حشرجة المتـضررين حتـى المـوت بالمشروع.

حين لا يميز رجل القانون بين "مشروع القانون والقانون"

كل مواطن أدرك علاقته الفعالة بمشروع قانون الإدارة المحلية ماعدا المخربين من أعداء الشعب.

أما الرسالة فنشرت معها العناوين التالية:

وجهة نظر برجوازية في موضوع اشتراكي.

نقيب المحامين في حلب يعطي رأيه في مشروع المنطلقات الأساسية لقانون الإدارة المحلية.

٤ - نشر الرد بحرف أكبر واسم الكاتب كذلك.. في حين نشر اسم نقيب المحامين مع البقية في الصفحة السابعة وبالحرف الأصغر.

٥ - تتمة الرسالة نشرت على الصفحة السابعة بحرف صغير جداً.

٦ - ذيّل الرد بعبارة "البقية غداً".

في اليوم التالي ينشر الأستاذ نصر شمالي بقية مقاله مفصلاً كل ما ورد في رسالة نقيب المحامين بحلب على الصفحة الثالثة والبقية على الرابعة وفيها العناوين التالية:

عندما يصدر الرأي عن هيئة منظمة لا بد أن يكون موضوعياً ونقابة محامي حلب لا يمكن أن يلخصها شخص النقيب.

ما سبب الإصرار على أن العمال هم الأكثر في مجالس المدن.

الثقافة في المجتمع الاشتراكي هي للجميع وليست وقفاً على فئة دون أخرى.

النقيب يفرض على حرمان المتآمرين والمشمولين بقوانين الإصلاح الزراعي والتأميم.

هل يشكل المثقفون طبقة خاصة متكاملة تملك مصانع ومزارع تنتج الثقافة؟

لماذا أهملت الرسالة ذكر الحرفيين وصغار الكسبة؟

للمناسبة تستمر الثورة في تقبل ونشر الرسائل التي تردها حول مشروع قانون الإدارة المحلية المطروح للنقاش، وفي اليوم التالي ١٦ تموز تنشر على صفحتها الأولى رسالة في الزاوية نفسها "وجهة نظر" لمصعب جواد.

حتى ١٧ تموز لم نلحظ وجود مقال افتتاحي "صوت الثورة" على الصفحة الأولى إذ نرى هنا مقالاً على عمود بعنوان "نشاط غير عادي للدوائر الأميركية".

الأحد ٢١ تموز على الصفحة الأولى والإعلان بالمانشيت عن بدء اجتماعات المؤتمر التحضيري لاتحاد شبيبة الثورة.

في ٢٣ تموز في زاوية "وجهة نظر" على الصفحة الأولى رأي نقابة عمال البناء بحلب بعنوان "سلبيات في المشروع تتعلق بالديمقراطية" والعنوان الرئيسي في الصفحة باللون الأحمر:

بدء تصدير نفطنا إلى أسواق العالم.

مع صورة كبيرة من حفل عشاء أقامه مكتب المنظمات في القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي تكريماً لأعضاء المؤتمر التحضيري لاتحاد شبيبة الثورة ويظهر فيها صلاح جديد مصافحاً الجمع.

في ٢٨ تموز حدث يحتل الصفحة الأولى كلها تقريباً مع صورة كبيرة للدكتور زعين يرفع الستارة عن اللوحة التذكارية عن مشروع مرساة النفط في طرطوس وبدء **تصدير النفط العربي السوري.**

وقد كتب على اللوحة أيضاً:

بعزيمة الجماهير المناضلة

بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي

وفي خضم معركة المصير ضد قوى الامبريالية والصهيونية

التي يخوضها أبناء الشعب العربي لبناء وطنه وتحرير أرضه.

احتفل تحت رعاية السيد رئيس مجلس الوزراء الدكتور يوسف زعين.

والعناوين كلها من خطابه بالمناسبة وجاء فيها:

في الاحتفال ببدء تصدير نفطنا إلى العالم.. الدكتور زعين يعلن:

- **وضعنا أيدينا على المخطط الاستعماري الصهيوني الرجعي.**
- **ستجري للمتآمرين محاكمة علنية أمام الشعب في محكمة أمن الدولة.**
- **أوكار التآمر الاستعماري تفضح كل عملائها دفعة واحدة فتربط البيطار بالحوراني والدواليبي.**
- **التمويل الاشتراكي جزء أساسي من نضال الجماهير في القطر العربي السوري.**
- **الذين أيدوا الانفصال وأقروا إلغاء الإصلاح الزراعي والتأميم لا يمكن أن تخفى حقيقتهم على أحد.**
- **المعتدون أرادوا أن يحققوا عن طريق الانقلابات ما فشلوا في تحقيقه عن طريق العدوان المباشر.**
- **مرفأ طرطوس ليس لسورية وحدها بل للعرب جميعاً.**
- **توحيد العمل الفدائي يشكل خطوة أساسية نحو انطلاق حرب التحرير الشعبية.**
- **إننا نعلن مجدداً عن قناعتنا بضرورة التحام القوى التقدمية وتوحيد طاقاتها.**
- **لم يعد السكوت جائزاً على أوكار التآمر في لبنان**
- **سنتخذ كل الخطوات التي تكفل عدم طعن الثورة من الخلف.**

الآن سنساير الخطوط العامة للنشر في الجريدة في العددين الأخيرين من شهر تموز والأولين في شهر آب.

٣٠ تموز.. على الصفحة الأولى افتتاحية عمود كامل يمين الصفحة.. خبران ترويسة في أعلاها على جانبي اللوغو.. الأول عن ثورة جنوب

اليمن.. والثاني منسوب للنهار اللبنانية يشير إلى أن مطار بيروت يشكل أحد المصالح الاستراتيجية لوزارة الدفاع الأميركية.

العنوان الرئيسي:

صدور مراسيم بتسمية رئيس وأعضاء محكمة أمن الدولة العليا التي ستنظر بقضايا المتآمرين والمخربين.

مجلس الوزراء يجتمع برئاسة الدكتور زعين ويقر عدة مشاريع مراسيم تشريعية.

تنظيم تجارة الترانزيت عبر الأراضي السورية.

ثم صورة كبيرة لرئيس الدولة يستقبل سفير اليونان..

قطعة خبرية كبيرة عن أسرار جديدة عن المؤامرة التي سبقت عدوان حزيران.

برقيات تهنئة بمناسبة بدء تصدير النفط

الإعلان رسمياً عن بدء المحادثات بين قادة الحزبين الشيوعيين السوفييتي والتشيكي. وكانت أزمة في العلاقات السوفيتية التشيكية قد نشبت إثر محاولة الحزب الشيوعي التشيكي بقيادة "ألكسندر دوبتشيك" الخروج على القيادة السوفياتية لمجموعة الدول الاشتراكية وحلف وارسو، وهو ما عرف بـ "ربيع براغ".

قطعة خبرية مع صورة بأسفل الصفحة: اللواء طلاس يزور أكاديمية القوات المدرعة السوفييتية.

قطعة فيها تفاصيل المانشيت عن تشكيل محكمة أمن الدولة العليا:

محمد سعيد طالب عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي رئيساً.

العقيد محمد بلال بن توفيق الحاج عبيد عضواً.

محافظ دمشق السيد عبد الحليم خدام نائباً عاماً للمحكمة.

الصفحة الثانية أخبار دولية.. مع زاويتي أضواء على العالم ومختارات من أقوال الصحف..

العنوان الرئيسي عن فيتنام..

القطعة الأولى عن اضطراب الأمن في أميركا.

القطعة الثانية عن القتال في نيجيريا.

الصفحة الثالثة فيها كشكول منوعات ترجمة مقتبسة عن مسائل مختلفة في العالم.

الصفحتان الرابعة والخامسة.. أخبار محلية، مع صورة كبيرة للنصب التذكاري بمناسبة تدشين مرساة النفط.

الصفحة السادسة: ألوان.. الرئيسي فيها لقاء مطول من صوفيا مع رئيس الوفد السوري إلى مهرجان السلم والصداقة الطلابي في صوفيا "بلغاريا" السيد رياض حداوي. فيها أيضاً منوعات أخبار ثقافية مع مقالة صغيرة لأحمد صوان عن دور الأب في المعركة مع العدو.

الصفحة السابعة أخبار عربية.

على الصفحة الأخيرة مجموعة صور وتحقيق لفيصل عبد الله عن معسكر طلابي في كسب.. وزاوية معاً على الطريق لجاد بوز بعنوان "المسيرة التي بدأت قبل ربع قرن"..

عدد ٣١ تموز..

على الأولى مجموعة أخبار وقطع من يوميات سياسية ومحلية ليس فيها لافت.. الرئيسي ويتوسطه صورة شخصية لوزير الخارجية الدكتور ابراهيم ماخوس. عن تحذير سورية من تهجير العرب في فلسطين.

الثانية أخبار دولية.

الثالثة، تحمل اسماً: الصفحة الاقتصادية. يعدها قسم الاقتصاد فيها مقال رئيسي للدكتور "حنا حتر" وهو اقتصادي يساري من الأردن.

الرابعة والخامسة محليات مع كاريكاتير لعلي فرزات.

السادسة ألوان.. تقارير وبعض الإنتاج الأدبي والفني والثقافي.

السابعة أخبار عربية.

الثامنة صور وريبورتاج طويل لعلي فرزات عن "أزمة الفيلم العربي" وزاوية معاً على الطريق لممدوح عدوان بعنوان "الإنجاز".

ندخل شهر آب.

لا جديد على الصفحة الأولى من ناحية التوجه الإعلامي، ولا على الثانية.. وعلى الثالثة مجموعة تقارير سياسية لا يجمع بينها هوية للصفحة..

الرابعة والخامسة محليات..

السادسة ألوان ثقافية..

السابعة أخبار عربية طبعاً مع الزاوية الرياضية دائماً.

الصفحة الأخيرة.. ريبورتاج طويل من فيصل عبد الله عن زيارة السيد رئيس مجلس الوزراء لمعسكر كسب الطلابي.. وهناك صورتان كبيرتان عن فيضانات الفرات في دير الزور ومعاً على الطريق كتبها "احمد خطاب".

عدد ٢ آب..

الصفحة الأولى متعددة الصور.. صورتها الرئيسية استقبال الأتاسي للسيد سيزوف رئيس وفد الحزب الشيوعي السوفييتي. والثانية صلاح جديد يستقبل الوفد نفسه.

والثالثة مؤتمر صحفي لوفد بحضور حبيب حداد وزير الإعلام.. وهي ثلاث صور كبيرة.

الصفحة الثانية دولية مع الزاويتين نفسهما.

الثالثة تقارير ومقالات سياسية.

الرابعة والخامسة محلية.

السادسة ألوان.. فيها مقال مطول لصلاح الدهني عن فيلم البوسطجي "المصري" وفيها زاوية لعبد العزيز هلال حول الحركة الأدبية عنوانها "ركود على السطح" وتدعو الصحيفة من يريد لإبداء رأيه حول موضوع هذه

الزاوية، إضافة إلى مجموعة أخبار وصور ومختارات زاوية من كل مكـان اليومية.

على الصفحة الأخيرة تحقيق عن تطوير كليـة الآداب.. غيـر مـذيل بتوقيع والصور توضح أنه هاني الحاج الذي كتب أيضاً زاويـة معـاً علـى الطريق على الصفحة نفسها.

تتالى الأيام والشهور..

لا نستطيع أن نجد علامات قفزة ما منتظرة.. نلمس أحياناً حالة حـوار غالباً تأتي في الإطار الثقافي.

وتشير صفحات الجريدة إلى بوادر أزمة في العلاقات مع لبنان تبدأ من مقال افتتاحي في عدد ٥ آب.

رغم "براعة" صحف لبنان المأجورة في حملات التضليل، واسـتنادها إلى أعتى الأجهزة النفسية الاستعمارية، فإننا لعلى ثقة تامة من أن أصواتها المنكرة لا يمكن أن تطغى على صوت لبنان الحقيقي الذي لا بد وأن يرتفـع ليسمي الأشياء بأسمائها، ولا بد من أن يقول رأيه صريحاً واضـحاً عربيـاً بمختلف قضاياه المحلية والقومية.

إن أجهزة الدعاية المأجورة لصالح الحرب النفسية الاستعمارية تلقـي اليوم بكل ثقلها في هجمة الافتراء على سورية الثورة، وتحاول جاهدة زرع الفرقة بين أبناء الشعب الواحد في القطرين الشقيقين، وتريد هذه الأجهـزة أن تتظاهر بالمنطق وبأنها تعتمد مقاييس الإحصاء والأرقام، مع أن وزيـر المال اللبناني صرح منذ يومين بالحرف الواحد "أن لبنان قد أثبت أنه فعـل تحد لمقاييس الإحصاء والأرقام"!!

إنهم يتحدثون عن الاتفاقيات والمواثيق والعهـود، ولا نـدري كيـف يمكن أن تطبق اتفاقيات فعلية مع حكومة يقول وزير ماليتها أن اقتصاد بلده هو فعل جهد وتضحية وليس وليد موارد طبيعية!!

إن هناك من يحاول أن يفرض على الشعب العربي في لبنان وضعاً اقتصادياً واجتماعياً شاذاً بل لا مثيل له في العالم، ولا يستطيع أحد أن يفهم كيف يكون الاقتصاد فعل جهد وتضحية وليس وليد موارد طبيعية، فهذا التحليل يتطلب بإلحاح تفسيراً لمعنى "الجهد والتضحية" كما وردت في تصريح وزير المال اللبناني!

ولسنا هنا في معرض مناقشة سياسة لبنان الاقتصادية، ولكننا نجد أن من حقنا السؤال عما إذا كان مفهوم "الجهد والتضحية" يتضمن السماح للدوائر الاستعمارية والعملاء بالنشاط ضد الأقطار العربية المجاورة.

إن شعب لبنان المناضل لا يمكن أن يسمح لحفنة من أصحاب "الجهد والتضحية" أن يحولوا بلده الطيب إلى "هونغ كونغ" عربية، مهمتها التصدي لكفاح شعبنا، ومحاولة ضرب تطلعاته في التحرر والسيادة.

إن الاستعمار لا يمكن أن ينجح إلى الأبد في التغطية على الواقع المرير الذي يعيشه أخوتنا في لبنان، ولا بد لاقتصاد لبنان أن يأخذ شكله الطبيعي والمنطقي لصالح مجموع الشعب، فيقوم بالدرجة الأولى على الموارد الطبيعية وعلى كونه جزءاً لا يتجزأ من المجموعة العربية.

لقد اتخذت سورية الثورة ما أملته عليها المصلحة القومية، ومنها مصلحة شعبنا العربي في لبنان الشقيق، ولا نعتقد أن هناك من يصدق بوجود أية رابطة تجمع بين جماهير لبنان وبين حفنة الاحتكاريين الذين يقفون وراء الحملة المسعورة، ويتنقلون بين مكاتب المسؤولين اللبنانيين يحضرونهم على الانتقام لمصالحهم الشخصية المتضررة.

ولن تتوانى سورية الثورة عن اتخاذ كل الإجراءات اللازمة التي تمليها عليها واجباتها القومية، ولن تسمح أبداً بأن يتحول لبنان الشقيق إلى مقر للذين يحاولون طعن مسيرة الجماهير العربية من الخلف، ولا يعنينا، كما لا يعني أخوتنا في لبنان أن يكون هؤلاء المتآمرين مصدر رزق رئيسي لطغمة الاحتكاريين.

إننا في هذا القطر المناضل لا نلقي الكلام جزافاً، ولا نعتقد بأن من الحكمة، ولا من الوطنية أيضاً تحدي مقاييس الإحصاء والأرقام، ونؤمن إيماناً راسخاً بأن الرأسمال الحقيقي لأي اقتصاد كان هو الشعب وثروات الوطن الطبيعية.

ونثق بأننا لا نختلف حول هذه المسلمة مع الشعب العربي في لبنان ولا مع أي مواطن حر شريف يؤمن بسيادة شعبه، ويحترم مقدراته على تحمل مسؤولياته وتقرير مصيره.

ثم في عدد ٧ آب يتضح من مذكرتين متبادلتين بين وزيري الخارجية السوري إبراهيم ماخوس واللبناني فؤاد بطرس أحد جوانب الخلاف نأخذ من الخبر الجزء التالي:

النص الكامل لرد الدكتور ماخوس على رسالة وزير خارجية لبنان:

إذاعة البرقية اللبنانية قبل وصولها رسمياً مناقض لما جاء فيها عن علاقات الأخوة وأعراف الدبلوماسية.

ما فرض بالمرسوم ١٠٤ ليس رسماً ولا ضريبة وإنما هو بدل الخدمات التي تؤدي للسيارات حصة سورية من الحمولات المشتركة مع لبنان ٦٠% بينما لم تتمكن من الحصول على أكثر من ٦% من حصتها.

الشعب العربي في لبنان يثق بحرص الحكومة السورية على علاقات الأخوة والمصير المشترك.

تجاوز المحنة لا يكون بجعل أرض لبنان مرتعاً للتخريب وإنما بالعمل لبناء اقتصاد وطني حقيقي.

إذا كان البعض لا يستطيع المساهمة في النضال فعليه أن يترك الآخرين يوفرون الطاقات.

نص الخبر:

بعث الدكتور ابراهيم ماخوس نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية برسالة إلى وزير خارجية الجمهورية اللبنانية رداً على رسالته

التي كان قد بعث بها يوم الأحد الماضي بشأن الإجراءات الاقتصادية التي اتخذتها حكومة الجمهورية العربية السورية. وفيما يلي نص هذه الرسالة:

السيد الوزير فؤاد بطرس وزير الخارجية والمغتربين – لبنان:

اطلعنا على برقيتكم من الإذاعة اللبنانية والصحف ووكالات الأنباء قبل أن تصلنا بشكل رسمي بتاريخ ٤ -٨ -١٩٦٨ وأنه لأمر مؤسف ومستغرب ومناقض لما جاء في البرقية عن علاقات الجوار والأخوة والأعراف الدبلوماسية والدولية.

وإن استغراب الحكومة اللبنانية لصدور المرسوم التشريعي رقم ١٠٤ بتاريخ ٣٠ تموز ١٩٦٨ ليس له ما يبرره على الإطلاق إنما العكس هو الصحيح فإن المعاملة التمييزية تأتي تجاه سورية باستمرار وإن الأعمال التي تجري في لبنان هي التي تتنافى مع علاقات الجوار والأخوة المفروضة بين بلدين عربيين والتي تتناقض مع تاريخ لبنان العريق ودوره العظيم في النضال العربي وتصميمه على ألا يكون ممراً ولا مقراً للاستعمار وعملائه، وإن قولكم بأن هذه التدابير تعتبر خرقاً لارتباطات سورية تجاه لبنان والدول العربية والمجموعة العالمية أمر عجيب حقاً لأنها عمل من أعمال السيادة الوطنية ومنسجماً انسجاماً مطلقاً مع كافة الاتفاقيات والالتزامات الثنائية العربية والدولية.

في عدد ٩ آب يتفاقم الوضع مع لبنان.. مقال افتتاحي يرد على الصحف اللبنانية بعنوان:

أية حرية وأي حياد..؟!

والرئيسي بالأحمر: **فضيحة مالية جديدة في لبنان.**

مانشيت عدد ١١ آب:

الهيئات التقدمية والوطنية في لبنان تعتبر الحملة ضد القطر العربي السوري جزءاً من المخطط الامبريالي الصهيوني.

في عدد ١٢ آب

الافتتاحية عن لبنان أيضاً وهناك زاوية على يسار أسفل الصفحة اسمها وخزات.. ظهرت الزاوية كأنها مخصصة للشأن اللبناني.. وعنوان الأولى منها: حاميها حراميها والتوقيع "مخرز" لكنها فيما بعد نوعت من اهتماماتها ولم تحافظ على يوميتها.

في هذا العدد تعلن الصحيفة عن طبعها لملحق يحوي أسماء الناجحين والناجحات في شهادة الدراسة الإعدادية، ثمنه عشر ليرات.. وفيها أيضاً إعلان على الزاوية اليسرى من الصفحة لصحف:

الثورة... دمشق

العروبة.. حمص

الفداء.. حماة

الجماهير العربية.. حلب

إضافة إلى أسبوعية الموقف الرياضي.

هذا يعني أن عملية الاستيلاء على صحف المحافظات المحلية قد تمت.. وأبعد أصحابها عنها.. وتبعت لصحيفة الثورة.

يتكرر هذا الإعلان في الموقع ذاته لأيام متتالية قادمة على الصفحة الأخيرة من العدد.

تحقيق مطول بعنوان: **لبنان.. إلى أين؟!**

عدد ١٥ آب تتعامل صفحة الأولى مع حادثة نزول طائرتين عسكريتين سوريتين في مطار إسرائيلي.. وهذه هي العناوين:

قطعاً لحملة التضليل والشائعات التي تشنها الأجهزة المعادية مستغلة الحادث كجزء من الحرب النفسية ضد الشعب العربي:

إيضاح حقيقة حادث هبوط الطائرتين السوريتين في مطار معاد.

رئيس أركان القوى الجوية يعرض بصراحة ملابسات "الحادث وتفسيراته الفنية".

حديث دار بين الطيارين وسجلته طائرة سورية يؤكد أنهما هبطا في مطار معاد وهما يعتقدان انه مطار حميميم في اللاذقية.

رادار العدو لم يكتشف الطائرتين.. وطيرانه لم يعلم بهبوطهما إلا بعد مضي فترة من وقوعه.

حوادث ضياع الطيارين نتيجة الخطأ والرؤيا السيئة والعوامل الفنية معروفة وتحدث في مختلف أسلحة الطيران في العالم.

في مانشيت عدد ١٨ آب:

الدكتور ماخوس يعلن عقب اجتماعه بسفير السودان لمدة ساعتين أمس:

القضية ليست قضية وساطة.. وعلى الحكومة اللبنانية أن تسكت الأبواق الصهيونية التي تخذ من أرض لبنان مركزاً للتآمر.

على الصفحة الأولى من عدد الأربعاء ٢١ آب.. قطعة خبرية بعنوان:

عقد اجتماع طارئ للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي.

الزعماء السوفييت يقطعون إجازاتهم لحضور الاجتماع المغلق للجنة.

وفي العدد التالي يذاع السر..

حلف وارسو يحتل براغ ويسقط حكومة دوبتشيك..

مانشيتات عدد ٢٢ آب تقول:

التفاصيل الكاملة لما جرى في تشيكوسلوفاكيا خلال الـ ٢٤ ساعة الماضية

قوات الدول الاشتراكية الخمس التي دخلت تشيكوسلوفاكيا بناء على طلب قادتها ستنسحب بعد القضاء على خطر الانقلاب الرجعي

سفوبودا يدعو الشعب التشيكوسلوفاكي إلى الالتزام بالهدوء وإدراك المسؤولية الوطنية حفاظاً على مصالح الجمهورية.

وكالة تاس تنفي شائعات أعداء الاشتراكية وتؤكد أن القوات الاشتراكية المتحالفة لن تتدخل في شؤون تشيكوسلوفاكيا الداخلية.

وفي عدد ٢٣ آب:

إضراب شامل ومظاهرات عنيفة تجتاح القدس العربية المحتلة أمس احتجاجاً على الإرهاب الصهيوني.

صحيفة "برافدا" تتهم العناصر الرجعية واليمينية بالإعداد لحرب أهلية في تشيكوسلوفاكيا.. ونشر وثيقة تتهم دوبتشيك بالخيانة.

أنباء براغ تتحدث عن تشكيل حكومة تشيكوسلوفاكية جديدة.

وكالة تاس: قيادة القوات الاشتراكية وقيادة الجيش الشعبي التشيكوسلوفاكي تعملان معاً على صيانة أمن البلاد.

مشروع قرار يتهم دول حلف الأطلسي بالاشتراك مع أمريكا في المؤامرة التي تحيكها العناصر المعادية لتشيكوسلوفاكيا.

خفت إلى حد ما الحملة على لبنان.. توقفت سلسلة تحقيقات: لبنان إلى أين؟! عند الحلقة الثامنة.. وغابت زاوية وخزات عن الصفحة الأولى.

وتتابع الصحيفة يومياً بمانشيتاتها العريضة على الصفحة الأولى تطور الأوضاع في تشيكوسلوفاكيا وميلها إلى الهدوء.

هكذا وصولاً إلى شهر أيلول.. وفي العدد الأول منه يشير المانشيت إلى أن محكمة أمن الدولة تبدأ أعمالها السبت القادم "وكان اليوم أحد" بمحاكمة الدفعة الأولى من المتآمرين على سلامة الدولة. في الحادي عشر من نيسان ١٩٦٧ وهم بقايا المتآمرين مع سليم حاطوم.

بعد غياب طويل نسبياً تعود زاوية وخزات لكن لشأن محلي وتذكر بهجوم سابق للثورة على مؤسس "سيميكس" وهي مؤسسة الاستيراد والتصدير للقطاع العام، التي تجزأت فيما بعد إلى مجموعة من شركات التجارة الخارجية.. جاء في الزاوية:

يبدو أن مؤسسة سيمكس غير راضية عن جميع مؤسسات الدولة، ولذلك فهي تستهدف – بشكل مباشر أو كنتيجة مباشرة لأسلوب عمل دون تخطيط – تغيير هوية جميع المؤسسات الأخرى بتغيير طبيعة عملها.

مثلاً:

مؤسسة الوحدة، كما يعلم على الأقل جميع موظفيها وجميع قراء صحيفة الثورة والموقف الرياضي والكتب الأخرى التي صدرت عن المؤسسة، تعمل في ميدان "الطباعة والنشر والتوزيع".. ولذلك وضع اسمها بتواضع كبير، مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر والتوزيع.

وكما يعلم جميع البشر، إلا سيمكس ربما، الطباعة تتم على ورق يجب ألا يكون ممزقاً، إذ انه من غير المعقول أن نقدم إلى القارئ صحيفة مشطورة الصفحات، إضافة إلى أن آلات الطباعة لا تطبع إلا على ورق سليم... وإن الورق الممزق لا يدخل ضمن الآلات.

ولذلك فإن عمال المطبعة مضطرون إلى تنظيف رولات الورق وفك جميع طبقات الورق الممزقة منها.، وكان العمال يستفيدون من هذا الورق الممزق في صنع دفاتر مسودات للتحرير.

وبالتدريج بدأت تنحل أزمة الدفاتر بالنسبة للمحررين مع ازدياد نسبة الورق الممزق.. وقفزت نسبة الورق التالف من الرولات التي ترسلها إليها سيمكس إلى (٤٠%) من مجموع الورق المرسل وتصاعد هذه النسبة يعني أن تتحول مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر والتوزيع إلى مؤسسة لصنع دفاتر المسودات.

هل هذا ما تريده سيمكس؟ إن كان ذلك كذلك فإن من حقنا أن تعلمنا مؤسسة سيمكس سلفاً بنواياها بدلاً من وضعنا أمام الأمر الواقع.

في هذا العدد تحقيق جميل عن البدو والبادية لعبد الله السيد بعنوان:

كنت في أثرية

في عدد ٤ أيلول.. مانشيت علوي "فوق اللوغو" ويبدو أنه خبر متأخر عن تصدي قواتنا المسلحة لعدوان صهيوني.

عدد ٥ أيلول مانشيت عن خطاب للأتاسي في افتتاح مؤتمر المحامين العرب العاشر يقول فيه والمانشيت بالأحمر:

هناك دول عربية تمتلك ثروات نفطية هائلة تساهم بالعدوان وتعتقد أنها ستخفي دورها عن طريق تقديم المساعدة الجزئية لبعض الدول العربية.

على الصفحة الأولى "إعلان" في الزاوية اليمنى بحرف بارز يقول:

"تقيم قيادة الجيش الشعبي اليوم مسيرة كبرى في محافظة دمشق ثم تأخذ وحدات الجيش الشعبي بعد انتهاء العرض أماكنها على أرض ملعب المزرعة"

وليس هناك أي إيضاح ما المقصود..؟!

في العدد التالي.. على الصفحة الأولى إخراج جميل لاستعرض منظم والعنوان بالأحمر:

بيان عملي.. وعرض كبير لوحدات الجيش الشعبي في دمشق.

فيما يبدو أن المقصود بـ "تأخذ أماكنها على أرض ملعب المزرعة" هو فقط الإشارة إلى مكان الاحتفال والخطابات.

في عدد ٩ أيلول إعلان عن انتهاء أعمال المؤتمر العاشر لاتحاد المحامين العرب.. وخلال الفترة من ما قبل انعقاد المؤتمر إلى ما بعد انتهائه انشغلت الثورة "الصفحة الأخيرة غالباً" بلقاءات مع رؤساء الوفود.. وتركيز في الأحاديث كلها على العمل الفدائي والكفاح المسلح.

في عدد ١١ أيلول على الصفحة الأخيرة.. ريبورتاج مصور لكريس بغدويان عن زيارة للفنانة السيدة فيروز للاتحاد العام النسائي، اللافت في هذا العدد زاوية جديدة على الصفحة الأخيرة اسمها "كل صباح" والتوقيع "محترف" وهو التوقيع الذي اشتهر به ممدوح عدوان علماً أنه صاحب زاوية معاً على الطريق على الصفحة نفسها.

عـاد الخريـف

كانا قد رتبا لي مقلباً مفترضين أنني بانتظارهما وحدي.. كنا في «كافيتريا» كلية الهندسة، أنا وصديقان أحدهما معي في الحقوق والآخر في الهندسة، جلسة استرخاء في شهر أيلول والجامعة لم تبدأ عامها الدراسي بعد، لكنها في هذا الشهر تعرف نشاطاً مطرداً حيث مواعيد امتحانات الدورة الثانية.

لا شك أنهما فوجئا بوجود صديقيّ الآخرين.. ولا بد من تعديل المتفق عليه تحسباً للحضور.. لكن عبد الحميد أقدم دون حسابات تذكر، ومن بعده تشجع فيصل.

مع كل منهما عدد من جريدة الثورة.. ليس العدد نفسه.. عدد اليوم واليوم الذي يليه ربما... أواسط أيلول تماماً.. مع تتبعي لمجلدات الثورة وجدت العددين وتذكرت الحكاية.

على الصفحة الأولى من كلا العددين تحتل جلسة لمحكمة أمن الدولة العليا الجزء الأعظم من الصحيفة.. تحاكم «متآمرين» مع صور ومانشيتات متعددة.

قال عبد الحميد:

- ألم تشبعوا مؤامرات..؟!

قلت:

- المتآمرون لم يشبعوا..

تدخل فيصل وفتح العدد الذي يحمله.. أيضاً محكمة أمن الدولة العليا في جلسة أخرى تحاكم« المتآمرين».. قال:

- «أي شو» كل يوم مؤامرة..

- هي المؤامرة نفسها على حلقات..

- مسلسل ١٣ حلقة.

١٣ حلقة في حينه هي سمة المسلسلات الدرامية «معظمها مصري» ولهذا الرقم حسابات مالية مختلفة، فإن قل عدد الحلقات عن هذا العدد يومها.. ينخفض سعر المسلسل.

قلت:

- هذا على الأقل واقعي.. ألم تمل من بطولات وسفالات مفبركة على الشاشة؟.

تدخل عبد الحميد:

- إن توقف المتآمرون عن تآمرهم... فماذا ستكتبون في جريدتكم؟.

- هناك اتفاق بيننا وبين المتآمرين أن يستمروا في عملهم كي نستمر في عملنا.

من الطاولة المجاورة لنا تدخل طالب بلهجة ترجح أنه أردني أو فلسطيني وقال:

- كل تاريخنا مؤامرات..

رد عبد الحميد:

- كل تاريخنا اكتشاف للمؤامرات..

تدخل الشاب عن الطاولة المجاورة جعلني أرتدي رداء الجدية، وتصديت للدفاع عن جريدتي.. على الرغم من اليأس الذي يعتمر في قلبي.. قلت:

-مؤامرة أو اكتشاف مؤامرة.. أو محاكمتها.. ما دخل الجريدة؟! لا نحن نتآمر ولا نكتشف.. ولا نحاكم.. نحن ننقل لكم ما يجري..

قال عبد الحميد:

- ليس بحيادية..

- أي حيادية ..هذه جريدة الدولة «الحكومة» ومحكمة أمن الدولة تحاكم متآمرين.. هل تتوقع منا الحيادية..؟!

- نعم..

- كيف..؟!

- لأن المسألة قضية عدالة.. هذه محكمة..

- حسن.. العدالة تطبقها المحكمة.. ونحن ننقل ما يجري.

- أنتم تروجون لموقف المحكمة.

- عندما ننقل أخبار حوادث السير.. هل نحن نروج لها ونشجعها؟.

- إن كتبت الخبر.. أن سائقاً مجرماً.. أقدم على مصادمة سيارة لسائق بريء مناضل.. تجانب العدالة.

شعر فيصل بزنقتي.. تدخل لإنقاذي رغم أنه شريكه في «المؤامرة» عليّ:

- أخي عبد الحميد.. هل الأفضل ألا يقدموا على نشر شيء عن هذه المحكمة..

قال:

- إما أن ينشروا بحياد.. وإما الأفضل ألا يفعلوا.

أحس فيصل أن في الكلام تحدياً لمنهجه السياسي.. فالحياد لمعتنق الماركسية مكيدة لها احتمالات، كالحياد بين الطبقة العاملة والبرجوازية.. لذلك رفع من نبرات صوته وغيّر لهجته إلى

درجة أنه أبدى إعجابه بعددي الثورة.

تنفست الصعداء وتركت الحوار بلا طائل من ورائه لهما.. وقد جاب حوارهما أطراف الدنيا وأحداث التاريخ.. وثورات العالم.. وحكايات المجتمع.. و...

في بدء الحوار تصديت للدفاع عن الصحيفة لشعوري أنني مستقصد في كمين حبي.. وأعطيته طابعاً ممازحاً.. وفي نهاية الحوار نظرت إلى الجريدة

بحب وتعاطف.. أنا الذي أعرف كيف يذوب شبابنا في الليالي والصباحات.. على المكاتب والآلات.. أصوات الأزيز والدوران ورائحة الأحماض وأبخرة الرصاص.. والنتيجة.

ورقتان كبيرتان.. تتمددان على طاولة لجمع فضلات الطعام أو يمسح بهما زجاج.

قال لي محمود السيد وأنا أطلعه على هواجسي تلك:

- هذا الذي تتحدث عنه هو فضلات الجريدة وليس الجريدة.. وأنت تقرأ الأمور معكوسة.. كل نشاط في الدنيا له فضلات.. فلا تبدأ من هنا..

قويت معنوياتي تجاه التحدي الذي واجهته مدافعاً عن جريدتي هذا الصباح.. وما زلت أواجهه حتى اليوم..

فعلاً حديث المؤامرة كان شبه يومي.. لكن الصحيفة لا تبتدعه.. وهي ليست وهمية.. مؤامرات كثيرة اكتشفت ومؤامرات أخرى نجحت في أن تتحول إلى «حدث تاريخي غير مسبوق».. عملية صراع لا تنتهي.. تكتسب إما بالاقتناص «الانقلاب أو الثورة» وإما بالتمايز «الديمقراطية».. وفي الحالتين لا تغيب المؤامرة.

ذاك اليوم وبعد الانتهاء من طباعة العدد وكان الصبح ينذر بالقدوم.. قادنا «أبو العون» في صالون فولكس فاكن وكان عددنا كبيراً.. المناوب... وغير المناوب.. المحرر والكاتب، المصور والمخرج وأيضاً بضعة من عمال الطباعة المتميزين باكتشاف محلات خدمة آخر الليل.. ومنها «بوز الجدي» في الشيخ محيي الدين.. يحضرون الخبز المشروح الساخن من تنور مجاور وينادون صاحب المحل بالطلبات.. فول بزيت وفول بلبن وكثير من المخلل والبصل.. بل يتدخلون أحياناً بإعداد الوجبة.. وأي وجبة!!

يومها.. وإلى حد كبير شعرت بانتماء إلى هذا الربع.. ولعلي دون أن أدري أقسمت يمين الولاء لجريدة الثورة.

* * *

لم يكن لجريدتي «الثورة» أن تنفصل بأي شكل عن تطورات الوقائع في الحياة السياسية في سورية.. وليس لها اليوم.. لكن الفرق.. هو استقرار الوضع السياسي إلى درجة كبيرة منذ1970 .

قبل ذلك بعام، وقبله أيضاً، لم يكن الحال كذلك.. تحت ظلال الهزيمة الحزيرانية النكراء، وفي محاولة الخروج من حالة البؤس واليأس تمسكنا بكل قشة يمكن أن تنقذ غريقاً.. ولأن الروح لا تنتظر كان ثمة استعجال: الاشتراكية العلمية.. الاتحاد السوفييتي.. حرب التحرير الشعبية.. المقاومة الفلسطينية.. الكفاح المسلح.. الخ.

قد لا يكون في ذلك كله أي خطأ.. لكن رخاوة الأرض من تحت الأقدام.. شتتت المواقف.. وبدأت خصومات تعلن نفسها على الملأ.

ما العمل؟.

إذا كانت رخاوة الأرض تحت الأقدام هي العامل المؤثر الأساسي.. فلا بد من تثبيتها.. ومن ثم تكون المواقف على أرض ثابتة.

هل كانت الأرض رخوة تحت أقدام صحيفة الثورة.؟!

نعم ..وبالتأكيد..

هي الصورة التي ربما يتجلى فيها تراقص الأرض من تحتنا أكثر من غيرها.. ولذلك شهدت حالة تتابع مديرين عامين ورؤساء تحرير قلّ نظيرها.

بين نصر شمالي الذي غادرها في شهر أيار ١٩٦٩ وقيام «الحركة التصحيحية» في تشرين الثاني ١٩٧٠ أي نحو السنة ونصف السنة عرفت الثورة مديرين عامين ورؤساء تحرير: المرحوم عدنان بغجاتي وهيثم عقاد ومصباح دبجن وحسين العودات ليومين أو ثلاثة.

لقد تعرضت سابقاً لسرعة دوران إدارة الثورة «مدير عام ورئيس تحرير» ولن أعود إليها.. لكن لا بد من الإشارة إلى أنها في تلك الفترة ١٩٦٩ -١٩٧٠ عكست توتراً في أجواء النظام السياسي القائم وخلافات تعمقت باستمرار إلى أن انتهت بقيام الحركة «التصحيحية».

خلال هذه الفترة المحددة زمنياً.. بلغ اليأس في النفوس شأواً كبيراً.. واضمحلت الصحيفة.. أوقفت ملاحقها وانسحب منها عدد من الكتّاب.. وأصبحت تكتفي من الجهاد بالنيات.

دعوني أقل:

إنه حتى ذاك اليوم.. كانت الثورة مشروعاً لم يكتمل.. حقل تجارب أو أنبوب اختبار على الرغم من أهمية ما أنجزته وما قدمته.. والسؤال:

ألم يكن النظام السياسي أيضاً كذلك؟.. على الأقل الصحيفة لم تستخدم السلاح لتبدل مواقعها!! لهذه التوءمة شكل آخر أو أساس آخر عرضته فيما سبق متقطعاً..

الثورة هي ابنة الوحدة.. لا أعني مؤسسة الوحدة فقط بل أعني جريدة الوحدة.. وكان يمكن أن تسير على أساس تطوير المشروع الذي كان لجريدة الوحدة.. ولا سيما أن أول مدير عام ورئيس تحرير لها هو المرحوم جلال فاروق الشريف مدير عام جريدة الوحدة نفسها ورئيس تحريرها.

ولأن تطورات صحيفة الثورة اقترنت بتطورات الوضع السياسي.. كانت القطيعة أو شبه القطيعة مع الماضي من كليهما.. حتى بشكل مترافق تقريباً.

لقد قامت ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣ رداً على الانفصال ومن أجل عودة الوحدة "وحدة سورية ومصر ١٩٥٨ – ١٩٦١" وشهدت تطورات سريعة متلاحقة انتهت إلى محاولة مسلحة لاستلام السلطة من قبل الناصريين في ١٨ تموز ١٩٦٣ قاومها البعثيون بضراوة وانتصروا وكان الانشقاق الكامل مع عبد الناصر.. بعد محاولات عدة لإعادة الوحدة وصلت إلى إعلان قيام وحدة اتحادية في ١٧ نيسان ١٩٦٣ بين مصر وسورية والعراق الذي كان يُحكم من حزب البعث العربي الاشتراكي أيضاً.

عندما وقعت الأحداث العسكرية في ١٨ تموز ١٩٦٣ وكان الطلاق النهائي مع عبد الناصر.. كانت جريدة الثورة ابنة ١٨ يوماً فقط.. عددها

الأول صدر في ١ تموز ١٩٦٣... لفترة وجيزة تابعت مشروع جلال فاروق الشريف مع الكوادر الناصرية التي فيها.. ثم كان الطلاق النهائي.. تماماً كما حدث في تطورات النظام السياسي.

الثورة جريدة .. والحكومة ناشر أو دار نشر.. لكل جريدة ناشر.. ولا تخالف جريدة واحدة في العالم ما يريده الناشر. لكن.. عندما يكون المشروع إعلامياً بحتاً تكون آفاق الناشر أوسع بكثير.. حتى وإن كان في المحصلة النهائية يخدم اتجاهاً سياسياً. وعندما يكون الناشر نظاماً سياسياً «حكومة» يضيق هذا الأفق، لأن السياسي يقوم بدور الإعلامي والعكس صحيح أيضاً.. وهذا يغيب مهمة الإعلام نشاطاً اجتماعياً مستقلاً.

يعني أن السياسي لا يريد إعلاماً يخدمه بل يريد إعلاماً يصوره ويمثّله.. الإعلامي ينتج إعلاماً يخدم به اتجاهات سياسية دون أن ينقلها حرفياً.

فترة الخلافات والاضطرابات تلك ١٩٦٣ – ١٩٧٠ لم يكن لها أن تعطي الثورة أرضاً صلبة صالحة لتؤسس لمشروعها الإعلامي.. لكن ما لا ينكر أنها شهدت هبات متقطعة لم تبلغ أي منها مستوى أن نسميها مشروعاً.

من الناحية الإعلامية كانت تلك فترة بدايات، وكانت صالحة لو عرفت تلك الهبات بالاستمرار بمعزل عن الانخراط في التوترات السياسية.. حتى ولو تقلب الموقف السياسي للجريدة حسب القوى التي تحسم الأمور لمصلحتها.

هي فترة صالحة للتأسيس لخطابين: إعلامي .. وإعلامي سياسي. ولو كان للأول أن يستمر لقدم شيئاً للمستقبل لكنه اندمج بالثاني.. واضطرب الإعلام في الثورة مع الاضطراب السياسي.

إنذارات العاصفة

في عدد ١٣ أيلول.. المانشيتات كلها والصورة الرئيسية مع الخبر امتداد إلى نصف الصفحة عن جلسات محكمة أمن الدولة العليا.. وقد ورد في المانشيتات:

محكمة أمن الدولة العليا تابع النظر في قضية التآمر على الثورة في القطر العربي السوري.

تفاصيل اجتماعات باريس وعمّان بين المتآمرين.

وصفي التل تولي رسم خطة تنفيذ المؤامرة وتوزيع الأدوار على عناصرها.

رسول الكيلاني افتعل عدة حوادث – بينها حادث الرمثا وعزاها إلى السلطات السورية لإثارة الرأي العام ضدها.

القوى المعادية للثورة تنظم لقاءاتها بحضور ضباط من المخابرات الأردنية لتنفيذ الخطة المتفق عليها بين البيطار والتل.

حاطوم أمّن في عمّان جواز سفر للرزاز ونفقات انتقال لتسهيل سفره من لبنان.

وهناك صفحة أخرى في عدد ١٥ أيلول جاء في مانشيتاتها:

الوفود العمالية العربية والصديقة تصل إلى دمشق تباعاً لحضور مؤتمر الاتحاد العام لنقابات العمال.

اعترافات خطيرة يدلي بها المتهمون في قضية التآمر على الثورة أمام محكمة أمن الدولة العليا.

كشف العلاقة بين عدوان حزيران والمؤامرة.

وصفي التل يقول للمتآمرين بعد العدوان مباشرة: الظروف الآن مواتية لتنفيذ الخطة.

رسالة من الحافظ إلى حاطوم وأخرى لبدر جمعة لتنسيق العمل بين المتآمرين وإجراء مصالحة فيما بينهم.

تفاصيل جديدة عن الاتصالات بين جميع عناصر المؤامرة في لبنان والأردن وباريس.

في عدد ١٦ أيلول تنشر على الصفحة الأخيرة كلمات أغنيتين لفيروز تحت عنوان:

أغنيات جديدة لفيروز

والأغنيتان هما: أنا لحبيبي.. وفايق يا هوا

في عدد ١٨ أيلول.. تهتم الصحيفة بخطاب للدكتور يوسف زعين رئيس مجلس الوزراء في افتتاح مؤتمر الاتحاد العام لنقابات العمال، تورد منه على الصفحة الأولى العناوين التالية:

الدكتور زعين يؤكد في افتتاح مؤتمر الاتحاد العام لنقابات العمال أن في طليعة أهداف النضال النقابي تحقيق أهداف الشعب.

زمن حرية المتآمرين ولى إلى غير رجعة.

الديمقراطية الشعبية هدف رئيسي من أهداف الحزب.. والحرية الحقيقية هي حرية الجماهير الكادحة.

الثقة التي أولاها العمال لإخوانهم النقابيين هي مسؤولية قبل كل شيء.

الثورة تهدف إلى تحقيق ربط الأجر بالإنتاج لتحسين التقنية في مكان العمل وتحسين نوعية الإنتاج.

حركة ٢٣ شباط كانت نقطة تحول أساسية في مسيرة الثورة ولولاها لما أمكن تحقيق الإنجازات الضخمة وصنع قانون موحد للعاملين في الدولة.

إزالة التباين في القوانين القائمة وتنظيم أوضاع العـاملين فـي مختلف الأجهزة.

البناء الداخلي ضرورة لتدعيم قوتنا الذاتية وتعزيز قدرتنا علـى خوض المعركة.

معركتنا ليست مع إسرائيل وحدها بل هي مع الامبريالية العالمية وعلى رأسها أمريكا.

جماهير الشعب العربي تفرق بين الـذين يقـدمون كـل شـيء للمعركة وبين الذين يقفون منها موقف المتفرجين.

وعلى الصفحة الرابعة مع النص الكامل العناوين التالية:

نص خطاب الدكتور يوسف زعين في افتتاح مؤتمر الاتحاد العام لنقابات العمال

الحرية الحقيقية هي حرية الجماهير الكادحة.

زمن حرية المتآمرين وأعداء الشعب والمتلاعبين بقوته ولى إلى غير رجعة.

تنظيم قطاعات الشعب خطوة أولى للانتقـال إلـى الديمقراطيـة الشعبية تمهيداً للانتقال إلى مرحلة الإدارة المحلية.

قانون موحد للعاملين في الدولة يزيل التباين في القوانين القائمة وتنظيم أوضاع العاملين بمختلف الأجهزة.

حركة ٢٣ شباط كانت نقطة تحول أساسية في مسيرة الثورة.

وتتابع الخطابات الأخرى في الصفحة الخامسة.

على الصفحة الثالثة في العدد نفسه نص كامل لخطاب الزعيم الثـوري الزنجي الأميركي ستوكلي كارمايكل في مؤتمر للطلبة العـرب فـي أميركـا الشمالية.

في عدد ٢١ أيلول يغيب توقيع محترف عـن زاويـة كـل صـباح.. والزاوية الأخيرة في عدد ٢٠ أيلول جاء فيها:

الذكاء وخفة الدم والمهارة أمور رائعة، حين تتوفر في أي إنسان تتوفر فيه أهم الصفات التي تيسر له النجاح وحب الناس.

على أنه ليس شرطاً أن يكون جميع الناس أذكياء وخفيفي الدم ومهرة متقنين.

إن توفر شرط واحد منها كاف لكي تكون من الناس المقبولين.. يكفي أن تكون ذكياً أو خفيف الدم أو ماهراً متقناً لعمل الموكل إليك.

أما مصيبة المصائب فهي من لا تتوفر فيه صفة ما وحاول ادعاءها. فهذه الصفات مما لا يمكن ادعاؤه. هي موجودة أو غير موجودة وكفى وادعاؤها يقلبها. فمدعي المهارة فاشل ومدعي خفة الدم من أغلظ خلق الله.

هل التقيت بإنسان يحاول ادعاء الذكاء أو ادعاء خفة الدم وادعاء المهارة والاتقان؟ لاشك. ألم تلاحظ كم يثير من غيظك وقرفك وضحكك عليه بدلاً من ضحكك معه؟ أأضرب لك مثالاً؟

أنا..

كان من المفروض أن أكون خفيف الدم في هذه الزاوية.

وها أنذا أدعي أنني أثير ضحكتك! بربك هل ترى فيها ما يضحك؟ أنا أعرف الجواب. وهذه حالة كل من يدعي الفهم أو الذكاء أو المهارة أو خفة الدم؟

في عدد ٢٥ أيلول تخرج زاوية "كل صباح" عن هويتها تماماً وتنشر قصيدة شعرية لـ "أراغون" ترجمة حامد بدرخان.

هكذا ينتهي الربع الثالث من عام ١٩٦٨.. أهم ما تحقق حتى الآن هو انتظام عملية الصدور اليومي بثماني صفحات وتوزيع غالب للمواد على الصفحات.. لكن.. دون أحداث خروج فعلية في العملية الصحفية.

المانشيت على الصفحة الأولى وثماني أعمدة من ١٩٦٨/١٠/١ كان:

السفر بالبطاقة الشخصية اعتباراً من اليوم إلى الأقطار العربية التي صدقت اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية.

وعلى هذه الصفحة إشارة باللون الأحمر "رسائل عن ضفتي النهـر".. بأن ممدوح عدوان سيبدأ من اليوم نشر مذكراته حول جولة له في الأغوار بالأردن.. ولا تحدد الإشارة هل هي رسائل جديدة أم إعادة نشر لما سبق.. وهل هي جولة جديدة له في الأغوار.. أم تلك السابقة ذاتها.

على الصفحة الخامسة نقرأ:

رسائل على ضفتي النهر

أرض الأغوار بين الفدائيين والفلاحين والعدو

وإشارة إلى أنها الرسالة الأولى

الرسالة قصيرة نسبياً مع صورتين متوسطتي الحجم غير مشروحتين

عدسة الثورة في الصفحة الأخيرة لكريبس بغدويان عن مسلسل "حمام الهنا" مع الشرح التالي:

"حمام الهنا"

كان المسلسل التلفزيوني "حمام الهنا" قد توقف في الأسبوع الماضي وعرضت حلقة سابقة بسبب غياب بعض العناصر في الخارج لتصوير فيلم سينمائي. وأمس تجولت عدسة "الثورة" في استديوهات التلفزيون أثناء تصوير مشاهد الحلقة الجديدة، وقبل ساعتين فقط من ظهور الحلقة على الشاشة الصغيرة وسجلت هذه اللقطات.

تصوير كريبس بغدويان

ويفيد الشرح بأن العمل كان ينجز أثناء البث حلقة فحلقة والصور أخذت في استديوهات التصوير وليست عن شاشة التلفزيون.

عدد ١٠/٢ اهتمام بالأحداث الدولية.. على الثانية والثالثة..

إضراب عمال الموانئ الأميركيين..

وأخبار أخرى.. وعلى الصفحة الثالثة:

القصة الكاملة للثورة في غواتيمالا.

وثالثاً وعلى الصفحة ذاتها:

الرابعة محلية والرئيسي عن تطبيق البطاقة الشخصية الموحدة.

الخامسة: رسائل من ضفتي النهر.

يلاحظ هنا انكفاء الصفحة الثقافية "ألوان" عن السادسة لمصلحة الأخبار العربية ثم السابعة أخبار دولية مع كاريكاتير ثم الأخيرة التي تتنوع دون قرار.. وقد تخلت زاوية معاً على الطريق فيها عن التذكير باسم الكاتب في الأسبوع التالي..

عدد ١٠/٣ على الصفحة الثالثة صفحة كاملة عن "سياسة بورقيبة تجاه القضية الفلسطينية".. وتأتي الصفحة تحت اسم:

صفحة فلسطين.. يُعدها مكتب الدراسات.

تستمر رسائل ضفتي النهر باحتلال الجزء الأبرز من الصفحة الخامسة.. وصفحة أخبار الوطن العربي تحتل الصفحة السادسة.

في عدد ١٠/٥ تعود صفحة أدب إلى الثالثة التي تشهد حالة لا استقرار أو لا انتظام في الصفحات التي تصدر فيها.. وهذا العدد يذكر.. أنها صفحة أدب وتصدر كل سبت.. يظهر عليها اسم محرر.

تغيب صفحة "رسائل ضفتي نهر" عن هذا العدد لكن لا تغيب الإشارة إليها على الصفحة الأولى مع التوضيح أنها ستكون بعدد الغد.

الصفحة الخامسة تحقيق صحفي عن القطن لجلال خير بك، والسادسة أخبار الوطن العربي كالعادة.

في هذه الفترة يغلب الطابع الإخباري على الصحيفة ٢ -٤ -٥ -٦ -٧ وإلى حد ما نصف الثانية والأخيرة.. ويتراجع النشر الثقافي بعد غياب عن الصفحة السادسة التي كانت له منذ صدور الجريدة.

في عدد ١٠/١٣ تظهر افتتاحية الثورة، عموداً على يمين الصفحة الأولى دون توقيع.

تهتم الصحيفة كثيراً بدورة مكسيكو الأولمبية وتفرد لها صفحة يومية تسميها "مجلة الدورة الأولمبية" وتشير إليها في الثورة.

في عدد ١٠/١٥.. مانشيت أحمر:

انتخاب القيادتين القومية والقطرية للحزب.

ويشير الخبر إلى أن المؤتمر القومي انتخب قيادة قومية من ١٧ عضواً بينهم ستة سوريين هم:

نور الدين الأتاسي، صلاح جديد، يوسف زعين، ابراهيم ماخوس، مصلح سالم، فوزي رضا.. واختار الأتاسي أميناً عاماً للحزب.

ويشير أيضاً إلى انتخاب قيادة قطرية.. ثم يتحدث عن مؤتمر قطري "الرابع" والقومي "العاشر" ويشير إلى أن البيان يذاع قريباً، أما أعضاء القطرية فهم:

نور الدين الأتاسي، صلاح جديد، يوسف زعين، ابراهيم ماخوس، حافظ الأسد (غاب اسمه عن القيادة القومية)، محمد عيد عشاوي.. عبد الكريم الجندي.. حبيب حداد.. محمد رباح الطويل.. محمد سعيد طالب.. حديثي مراد، عبد الحميد المقداد، مروان حبش، مصطفى طلاس، عادل نعيسة، حمود قباني.

ويشير الخبر إلى انتخاب صلاح جديد أميناً عاماً مساعداً للحزب.

تغيب "رسائل ضفتي النهر" منذ عدد ١٠/١١.. وذكر في الرسالة المنشورة على هذا العدد أنها السابعة.. وتمر أعداد عدة دون حلقات جديدة بما يشعر أنها توقفت عند الرسالة السابعة دون إشارة أنها الأخيرة.. لكنها تعود إلى الظهور في الصفحة الخامسة عدد ٢٣ تشرين أول.. تحمل عنواناً "البيضة النيئة وزوج ثلاث نسوان"..

وهي رسالة لا تحمل رقماً ولم يشر إليها بالصفحة الأولى..

لم تتوقف الرسائل إنما فقدت رقمها التسلسلي والإشارة على الصفحة الأولى وتواترها شبه اليومي.

خلال هذه الأسابيع أهم ما يذكر هو تواتر جيد للافتتاحية.. وهي عموماً تتصدى لمؤيدي الحلول السلمية وتتبنى حل المقاومة ورفض الاستسلام.

عدد ٢٩ تشرين الأول ينشر مانشيتات تحوي تشكيل الحكومة الجديدة:

القيادة القطرية تصدر قراراً بقبول استقالة الدكتور زعين وتسمي الدكتور نور الدين الأتاسي رئيساً لمجلس الوزراء.

تشكيل الوزارة الجديدة برئاسة الدكتور الأتاسي..

وتولى فيها اللواء حافظ الأسد وزارة الدفاع إضافة إلى عمله قائد القوى الجوية والدفاع الجوي.. وجاء أسعد صقر وزيراً للإعلام.

هذه كانت محاولة لطي الخلافات وتهدئة الجراح بين طرفي الصراع في القيادة.. ولعل ذلك يفسر انتقال رئاسة الحكومة من الدكتور زعين إلى الدكتور الأتاسي إضافة إلى توليه الأمانة العامة للحزب ورئاسة الدولة.. علماً أن كثيرين كانوا يرون في الدكتور زعين كفاءة جيدة لرئاسة الحكومة.

في هذا العدد يظهر اسم ملاحة الخاني على زاوية معاً على الطريق التي فقدت دوريتها.

في عدد الخميس ١٤ تشرين الثاني ينشر في ترويسة الصفحة الأولى وباللون الأحمر (**اطلب ملحق "الثورة" الأسبوعي مجاناً**).

وعلى الصفحة في الأسفل أيضاً بالأحمر

اطلب الملحق مجاناً

ويليه

طالعوا هذا الخميس وكل خميس ملحق "الثورة" الأسبوعي.

ثم

في الملحق

- **رسالة يهودي إلى أمه**
- **أزمة الجيل الجديد**

- **استفتاء**
- **ندوة مع المنظمات الشعبية**
- **الغجر.. ونبوءة الملل التبع**

هكذا بدأت حكاية الملاحق في الثورة بإدارة ورئاسة تحرير من نصر شمالي.. الذي أولى اهتماماً فعلياً بتوزيع الصحف ومحاولة خلق الطلب عليها.

في عدد الأحد ١٧ تشرين ثاني تشير الصفحة الأولى إلى أنه على الصفحة الثالثة ستنشر ما يكتبه نصر شمالي عن:

الأيام الحاسمة في تاريخ الحزب

في هذه الحلقة وهي الأولى يتعرض الكاتب للخلافات بين ما عرف بالقيادة التاريخية "ميشيل عفلق وصلاح البيطار" والقيادة الشابة التي تولت الحكم.. والبحث يأخذ الطابع التوثيقي الذي يبحث عمّا يؤيد وجهة نظر تبناها الكاتب إلى جانب القيادة الجديدة.

وقد تحول هذا البحث التوثيقي إلى كتاب لم يقدر له أن يرى النور.

في عدد ٢٠ تشرين الثاني تنشر الثورة نص مطالعة النيابة العامة في محكمة أمن الدولة العليا فيما وصفته "قضية التآمر على أمن الثورة وسلامتها" وتطالب النيابة بإعدام ١٩ منها بينهم صلاح البيطار.

وإلى جانب صورة المحكمة والمتهمين هناك استمرار نصر شمالي في نشر "الأيام الحاسمة في تاريخ الحزب" على الصفحة الثالثة.

في الحلقة التاسعة من الأيام الحاسمة في تاريخ الحزب.. يتعرض نصر شمالي إلى ما جرى في مدينة حماة ١٩٦٤.. وهي جوانب العنف التي وقعت بين الإسلاميين والنظام السياسي أدت إلى ضرب أحد الجوامع وخسر فيها نصر شمالي شقيقه نزار.

في عدد ٢٧ تشرين الثاني تشير الجريدة إلى غياب الأيام الحاسمة.. وأن "الرفيق" نصر شمالي سيعود إلى كتابتها قريباً.

ويتكرر الإعلان ذاته على الصفحة الأولى في أعداد قادمة.

في عدد ٣٠ تشرين الثاني تنشر الصفحة الأولى تحت عنوان "آراء حرة".. تعقيباً على الأيام الحاسمة كانت نشرته "الفداء".. والغريب أن الصحيفة تنشره في صفحة الأدب الأسبوعية.

في عدد الاثنين ٩ كانون أول تنشر الثورة بياناً للقيادة القومية عن المؤتمرين القومي والقطري بعد مرور نحو ثلاثة أشهر على انعقاد المؤتمر الذي انتخب قيادات وشكل حكومة جديدة.

وعنونت الصحيفة بما يلي:

النص الكامل لبيان القيادة القومية عن أعمال المؤتمرين القطري الرابع والقومي العاشر لحزب البعث العربي الاشتراكي.

الحل الثوري هو الطريق الوحيد أمام الجماهير العربية.

عقد المؤتمر الشعبي لا يزال أمراً ملحاً تقتضيه ظروف المواجهة العربية الشاملة.

المؤتمر يولي تركيزاً خاصاً على ضرورة قيام الوحدة بين سورية ومصر.

الاستمرار في عملية التنمية جزء لا يتجزأ من الاستعداد لمعركة المصيرية.

الاشتراكية عامل أساسي في طريق الأمة العربية ووحدتها.

الأخطاء لا يمكن أن تجعل أي حزب ثوري يفكر بمعاكسة حركة التاريخ.

جاء البيان بأربع صفحات مكتظة بالكلمات.. ولم يكن ليخفي حدة الخلافات بين توجهات أطراف متصارعة في القيادة رغم أنها انتخبت مؤخراً فقط.

بعد غياب نسبي عادت افتتاحية الثورة في الوقت الذي طال غياب الأيام الحاسمة.. وفي عدد ٢٠ كانون أول.. نشرت الثورة افتتاحية لا تخرج عن

سياستها الفعلية المرتبطة بالحركة الثورية والمقاومة وحرب التحرير الـشعبية وغيرها. لكنها تشير إلى حد ما إلى خلافات في الصف العربـي. لـم تعـد تقتصر على التوزع بين عرب أميركا وعرب الثورة. ذلك أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بدأ يتقبل الحديث عن حلول سلمية ويتعامل بإيجابيـة مـع المبادرات والمبعوثين.. في حين ترفض سورية كلياً ذلك..

ننشر هنا نص الافتتاحية:

حقيقة يجب أن تقال

دعونا نتساءل بصراحة، ومن مواقع المسؤولية التاريخيـة الخطيـرة الملقاة على عاتق أصحاب العلاقة العرب في هذه المرحلة الحاسمة من حياة أمتنا.

ما هو أسلوب الكفاح ضد العدو الصهيوني، الكفاح الذي أثبت وجـوده وفعاليته منذ الاحتلال وحتى يومنا هذا؟

أليس هو أسلوب الكفاح الشعبي المـسلح؟ .. ألـيس هـو عمليـات الفدائيين المظفرة داخل الأرض المحتلة؟

لن نتحدث عن مراحل ما قبل الخامس من حزيران ولكن هل هناك منذ الخامس من حزيران وحتى هذا التاريخ عملية مشرقة ومشرفة خارج نطاق عمليات الفدائيين داخل الأرض المحتلة؟

هل هناك عربيان اثنان يختلفان حول فعالية كفاح المقاومين العـرب، وحول كونه الأسلوب الوحيد الذي لا بد من رفده وتصعيده، ثم هـل هنـاك اثنان يتفقان حتى الآن حول شكل آخر من أشكال الكفاح؟

لقد جرب العرب كل الوسائل.. وفشلت كل الوسائل ما عدا المقاومـة والعمل الفدائي، ومع ذلك فإن اسم سكرانتون وصور سكرانتون تجـد لهـا متسعاً كبيراً في عدد كبير من الصحف العربية؟

ومع ذلك فإن هناك من لا يزالون يولون قسطاً كبيـراً مـن وقـتهم وتفكيرهم للوسائل التي ثبت فشلها، وثبتت استفادة العدو منها!

إن العدو يرى أيضاً أن العمل العربي الوحيد الذي أثبت فعاليته هو المقاومة العربية المسلحة، حتى أن بعض أجهزة إعلامه تعبر صراحة عن هذا الرأي ولم يكن هناك من ضرورة للتعرض إلى أصحاب الأساليب الأخرى، لولا أن أساليبهم تلك تشكل إضعافاً مباشراً لحركة المقاومة العربية.

إن الذين يتحدثون الليل والنهار عن مهمة سكرانتون، ويجهدون أنفسهم في البحث عن إمكانيات نجاح مهمته، ومهمة الدكتور يارينغ من قبله، يساهمون شاؤوا أم أبوا، وبشكل مباشر في إضعاف حركة المقاومة العربية.

إن الأجهزة العربية التي تتحدث عن بارينغ وسكرانتون ملمحة أحياناً، ومصرحة أحياناً أخرى إلى إمكانية نجاح مساعيها تساهم مع أجهزة العدو في محاولة إضعاف تصميم شعبنا على المقاومة إلى النهاية، وتساهم أيضاً في محاولة إضعاف تلاحمه مع حركة المقاومة العربية المسلحة.

وليست إمكانية نجاح هذه المحاولات نابعة من استعداد شعبنا للتنازل عن دوره، ومن عدم رسوخ قناعته في شكل الكفاح من أجل التحرير، وإنما هي تنجم عن تخوف الجماهير العربية في الأرض المحتلة من توصل الحكومات العربية إلى "حل" من وراء ظهرها ليس في صالح القضية الفلسطينية إن لم نقل العكس.

وهذا التخوف يخلق حالة من القلق والتوقع وعدم الاستقرار النفسي، تفسد إلى حد، المناخ المطلوب لنشاط رجال المقاومة العربية.

إن رجال المقاومة لا يمكن أن يقوموا بواجبهم على أكمل وجه إلا كجزء لا يتجزأ من الشعب العربي الفلسطيني، وإن الحملات السياسية والنفسية التي تشنها بعض الأجهزة العربية على هذا الشعب، بقصد أو بدون قصد، تسيء إساءات بالغة إلى الكفاح المقدس الذي يخوضه المقاومون العرب، لأنها تسمم الهواء الذي يتنفسون منه.

الحقيقة يجب أن تقال.. إن الخطر الأكبر على القضية الفلسطينية مصدره بعض الأجهزة العربية التي تساهم من مواقع قوة في محاولة خنق الأمل الوحيد في خوض معركة حقيقية مشرفة ومضمونة الاستمرار والتصاعد مع العدو.

لقد حسمت الجماهير النقاش الذي دار سنين طويلة ولم يتوقف، بينما الهزائم والنكسات تتوالى، واختارت عن وعي وتجربة أسلوب الكفاح الشعبي المسلح، ولا شك أنها ستحسم موقفها أيضاً من هؤلاء الذين ما زالوا يستخفون بوعيها وبتصميمها على السير في الطريق الذي اختارته.

تتالت الافتتاحيات بعد ذلك، تدور في الحلقة ذاتها، تشعر القارئ أنه ثمة من يضغط لقبول مبادرات وحلول ما.. وتصف الثورة القابلين لهذا النشاط "بالرجعية".. وحين تتحدث عن القوى التقدمية لم تعد تذكر دمشق.

أنهت الصفحة عامها بتوثيق خطوتها وسياستها كصحيفة تتبنى المقاومة والاشتراكية والعمل الثوري العالمي.. ورغم عدم استمرار توزيع الصفحات.. وتبدلات إخراجية منها.. وإضافات عديدة في أهمها بدء الاتجاه لإصدار ملاحق.. وهكذا بدت الصحيفة في الربع الأخير من عام ١٩٦٨ بتشكيل صفحات إعلامية لا غبار عليها.. طبعاً من وجهة نظر واحدة.. حاولت مراراً أن تشعر أنها تتجاوزها.

الشيء الجديد فعلياً هو الاتجاه إلى زيادة عدد القراء ورفع مستوى التوزيع وقد قدمت الصحيفة أسماء جديدة بينهم محمود جابري، نبيل فراج، بديع بغدادي ، ونائل الجشي.

وقد توقف في الشهر الأخير من هذا العام نشر "الأيام الحاسمة من تاريخ الحزب" كذلك توقفت رسائل ضفتي النهر.

لكن.. بكل الأحوال بدت الجريدة أكثر استعداداً لمواجهة المستقبل.

بين عامين.. تاهت الفصول

انتهى بنا عام ١٩٦٨ دون أن ينهي حالة الوشيش على كل صعيد .. مضى أكثر من عام ونصف العام على هزيمة حزيران النكراء .. وحالة عداء تعم الشارع لكل ما كان .. على أساس أنه هو ما أوصل إلى الهزيمة.

نزرع الأمل ونحن نبحث عن الأمل .. المقاومة الفلسطينية تشتد لتهز العدو بحق وجد . والجبهة المصرية مشتعلة بشكل شبه يومي (حرب استنزاف) .. وسورية مشغولة بكل ما لديها في الإعداد والاستعداد للمعركة المفترضة.

وحدتنا الهزيمة ولم نتحد ..

لا يمكن الاتحاد على أساس الهزيمة .. الوحدة تكون على مقاومة الهزيمة وإخراجها من روحنا ..

كثر المنظرون .. المحللون .. المقترحون .. الكتاب .. الشعراء .. السهارى والسكارى .. كل يبحث عن ملجأ من اليأس ..

صحيفتنا أيضا ..

عام ١٩٦٨ كان عام تأسيس بجد.. عام ١٩٦٩ .. بدأ الزرع يأتي أكله (ربما).. ثم بدأ التداعي.. لم تهدأ الدنيا من حول أوراقنا (أعني أوراق صحيفتنا).. ولا أحد يلتزم الصدق مع الورق .. أسوأه أن يزرع فيه كذبا متعمدا .. وما لا مفر منه أن نرى فيه حقائق مجتزأة لأنها تفتقد موضوعيتها.

قال لي شاب فلسطيني في الجامعة، كنا في السنة الثانية من كلية الحقوق:

- جريدتكم "تنغّم" ..

بصراحة لم أفهم قصده .. هل هو يمدح أم يشتم ..

- تنغّم ماذا ..

- تريدون شتم عبد الناصر وتعدلون ..

لم تكن القيادة السورية على وفاق تام مع الرئيس عبد الناصر.. لكن بالتأكيد العناصر الجامعة أكثر من المفرقة.. عبد الناصر في وقتها خريج تجربة مرة لا يمكن أن تدفعه إلى خصومات وعداءات أبدا.. والقيادة في سورية كان يحكمها شعور أنه إن اختلفنا مع عبد الناصر علنا، فمع من نتفق ؟..

الخلافات داخل القيادة السورية ليست خافية عن الناس .. لكن مختفية عن صفحات جريدتنا .. أطراف الخلاف يرون عبد الناصر من أكثر من وجهة نظر .. وليس بينهم من يخونه "لا سمح الله" .. بل ينتقده ..

عبد الناصر الذي خرج من حرب حزيران مهزوما إلى حدود القهر وأكثر، أنضجته نار الحرب .. ووضعته أمام مواجهة الحقيقة كما هي .. لابد من مواجهة العدو .. ورغم ذلك .. رغم شعاره التاريخي: ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة .. ورغم أنه صرخ يوما في خطاب: الجولان قبل سينا.. فتح عقله ليسمع ما يرد من مبادرات دولية .. أمم متحدة "مهمة السفير غونار يارينغ" وأميركية وصولا إلى مهمة "روجرز" .. لم يكن ذلك مرض للنمط العام لتفكير القيادة السورية في حينه .. لكن .. مع ذلك ..

لا عداء..

صديقي محمد الفلسطيني الذي تركنا في الجامعة والتحق بالعمل الفدائي .. تابع هجومه على جريدتي "الثورة" ..

كان ذكياً .. مثقفاً .. ناصرياً إلى درجة الدعوة إلى عبادة عبد الناصر .. ويقرأ ما بين السطور ..

لم يكن في افتتاحية الثورة قبل أيام من نهاية عام ١٩٦٨ ما يشير بشكل مريح إلى عبد الناصر .. لكنه فهم منها: أن سورية لا توافق أبواب الرئيس عبد الناصر المفتوحة لاستقبال المبادرات مهما كان مصدرها .. قال محمد:

- جريدتكم تصنفه مع الرجعية العربية ..

- أيضاً ..؟!

تناول الجريدة وقرأ في المقال الافتتاحي .. ووصل إلى عبارة تقول: القوى التقدمية وفي مقدمتها سورية ..!!

ثم تابع ..

- كنتم تقولون سورية والمتحدة (مصر) .. واختصرتموها ..

اقترب عبد الحميد ولم يكن يحب محمد أبدا .. ولا عبد الناصر أيضا.. وقال مازحا:

§ نوع من الاختصار والتكثيف ..

رد محمد:

- لم أفهم ..

§ اعترضت على من في مقدمة القوى التقدمية ولم تعترض على الفكرة ذاتها .. وتابع:

§ هذا زمن يحتاج جهد الجميع .. ولابد من آلية نجمع فيها الجهد قبل التصنيف.

تمنيت أن أنسحب أنا وعبد الحميد .. خائفا من صدام بين الرجلين وأنا أعرف خلفية كل منهما..

عندما وصلنا إلى مقصف الجامعة "الأرزوني أعتقد" .. جلسنا على كرسيين متقابلين لأقرأ في أعين عبد الحميد كل علامات التعاطف معي ..

بصراحة لم أشعر بحاجة إلى تعاطف .. بل أنا فهمت وجهة نظر محمد .. وأعلم ليس من ورق الجريدة بل من أصوات الحوار داخلها .. أن شيئا من هذا التصنيف قائم .. وبالتالي لم أستظرف كثيرا ذاك التعاطف ..

قال لي :

§ أكملت عامك الثاني في الصحيفة ؟!

- كم شهر وأكمل ..

§ أقل من عامين وقد خف شعرك وقصرت قامتك؟!

- "تاني" .. قلتها بلهجة مصرية ..

ضحكنا معا طويلا .. لدرجة أنه غامر ودفع ثمن الطلبية ليوسف عامل البوفيه، أربعين قرشا ثمن العصير والشاي والقهوة وعشرة قروش ليوسف أي نصف ليرة .. مغامرة .. لكن عبد الحميد مقتدر أكثر مني رغم أنني موظف نادر في تلك الأيام.

قلت له:

- اسمع أنا أحب هذه الجريدة .. أنا أعرف حجم الجهود التي تبذل فيها .. أن نخرج بها ونحن محرومون من قول كل شيء أصعب بمئة مرة، من أن نخرج بها ولنا الحق في قول كل ما نريد .. علينا أن نختار ..

§ تختارون على قناعتكم أم قناعة الدولة.

- هيك .. وهيك ..

§ كيف يعني .. لم أفهم ..

- هناك الكثير لتقوله ولا تعترض عليه الدولة.

§ قضية الحرية كل لا يتجزأ ..

- ليس هناك حرية كلية ..

§ أثر عليك فيصل الماركسي.

- بل هي الحقيقة ..

خلال أسبوع تلا، تابعت صفحات الجريدة بدقة ووجدان .. أحببتها .. لكم أحببتها .. ولم أزل.

أسأل نفسي وأنا أتفقد أعمدتي الورقية هذه، أين رفاقي الذين بدأت معهم الحكاية؟ !

وأظن أن بعضكم على الأقل لديه السؤال ذاته.

علاء.. قيصر .فيصل.. عبد الحميد.. الخ.

لا شك في أن حضورهم في هذا السرد من الذاكرة قد تراجع.. لكن وجودهم فيها لم يتراجع.. ولا بد أن أحدهم أو بعضهم أو كلهم أو غيرهم سيعود للحضور، وأنا أتابع كيف بنت «الثورة» أعمدتها.

أصل الحكاية ليس أنا.. ولست ببطلها.. ولا موثقها ولا مؤرخها..

أنا فقط راوٍ، يروي من شهادته على الأحداث «الذاكرة الشخصية» ومن تقليب صفحات الثورة «الذاكرة الورقية».

ربما يقتضي الأمر مبدئياً استمرار حضور الأصدقاء والأصحاب الذين يسكنونها.. إلا أن حضورهم لا بد أن يتراجع أو تتبدل شخصيات الحاضرين، لسببين:

- السبب الأول هو ما أسلفته بأن الحكاية هي حكاية «الثورة» وهي بطلتها.. وصاحبة الذاكرة الأعرض.
- السبب الثاني :أن الذاكرة تنتسب إلى زمانها.. أي عندما تروي عن مرحلة يكون الأبطال أولاد هذه المرحلة.. وبالتالي عندما استحوذتني «الثورة» بالكامل أصبح الأبطال الذين سيرسخون في الذاكرة هم من هذا المحيط.. وغالباً تستلبهم الذاكرة الورقية من ذاكرتي الشخصية وأجدني موثقاً أحدد بقدر ما أستطيع، ما يضع الذاكرة الورقية في محيطها السياسي والاجتماعي، من خلال إظهار بعض روابطها بالأحداث التي ترويها.

وكي أكون صادقاً.. لم تستحوذني الثورة كاملاً في الحقبة التي أكتب عنها، رغم تنامي مهمتي فيها.. في نهاية الستينيات كانت الهزيمة الحزيرانية بطلة كل ذواكر العرب.. يشغلها الألم والتشويش والبحث عن الخلاص.. وأخطر ما فيها أنه من شدة الإحباط وربما اليأس كثيراً ما حلّ الخلاص الفردي مكان الخلاص العام.

مازلت طالباً جامعياً لم أحدد اتجاهي بعد، ولم أحدد خطاً لي في «الثورة».. ما أنا إلاّ موظف أقوم بالأعمال التي أكلف بها.. خالفت نصيحة

المرحوم محمود السيد وبدأت أعمل في القسم الفني «الإخراج» ودائماً شعرت أنه عمل جميل مريح، لكن لا أحبه لأنني لا أجيده.. طبعاً هذا لا يعني أن مخرجين آخرين ولاسيما مخرجي هذه الأيام يجيدونه أكثر ..

لكن.. كوني لم أعد هناك، يسهل لي الاعتراف ويخفف مخاطره.. الإخراج اليوم عمل تقني أولاً ثم فني .في أيامنا كان فنياً أولاً ثم تقنياً.

الحيرة تتملكني.. وقد طال أمدها معي.. لكن عامل الاستقرار الأساسي في تلك الحقبة كانت الجامعة وكلية الحقوق «المقدسة» في جامعة دمشق.. أتمنى أن يقدر لها من يكتب شيئاً من حكايتها وتاريخها - وما أغناها - لكن..؟!

نحن متميزون في تمييع تواريخنا ومسيرات حياتنا.. بارعون في هدم آثارنا.. تصوروا مثلاً أننا أمضينا ثلاث سنوات إقليماً في الجمهورية العربية المتحدة، بقيادة المغفور له الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.. ومع ذلك.. ومع خصوصية السنوات الثلاث إيجابياً لمن يقرأ إيجابياتها.. وسلبياً لمن يقرأ سلبياتهم.. وكانت مفصلاً حقيقياً في حياة بلدنا .أقول:

مع ذلك كله ..أين يمكن أن نجد ما يشير بوضوح إلى ما جرى خلال السنوات الثلاث.. أستثني كتب المستشرقين والكتّاب الأجانب للتاريخ.

أوضح من ذلك:

ألم يدشن الرئيس عبد الناصر أي مشروع في سورية..؟! أين لوحته..؟! أين كرسيه؟ أين المشروع؟!

الحاضر هو الأهم من الماضي والمستقبل.. لكن.. كيف يكون الحاضر إن كان مقطوعاً عن الماضي وبعيداً عن التفكير بالمستقبل.

أواخر الستينيات حقبة مرصودة للتردد.. وبالتالي لم يكن للثورة رغم تطور وضعي فيها.. ورغم ما تقدمه لي من دعم اجتماعي ومالي محدود.. لم يكن لها أن تستحوذني فبقيت مرتاباً دون تيه... أسعى بين الجامعة والصحيفة.. أحب الثورة، وتتوق روحي إلى نيل الشهادة الجامعية.. حقوق.. محام.. والسلام عليكم.

سيأتي يوم تحسم الأمور نهائياً، برأي وموقف ومحبة من الراحل المرحوم أحمد اسكندر أحمد عندما كان مديراً عاماً لمؤسسة الوحدة ورئيس تحرير الثورة..

حتى ذاك التاريخ 1973 – 1972 كنت خارج خط الانتماء الكلي للثورة.. وهو ما سميته الاستحواذ..

في هذه الفترة تراجعت علاقتي بالجامعة لتنتهي بالتخرج ١٩٧١ وتقدمت علاقتي بالثورة لتنتهي بمرسوم جمهوري بتعييني فيها بشهادة جامعية.. وبالتالي أبطال الذاكرة كانوا رفاق دراسة من أكثر من كلية.. وزملاء عمل في الثورة..

وكانت الرحلة خصبة على الرغم من مرارة الهزيمة والتردد والقلق.

تلك الحقبة تقاعست وأهملت ما كنت أسجله في دفتر خاص.. ففقدت مساعداً مهماً لي.. عندما نويت أن أتجاوز التردد في هذه المحاولة للوفاء للذاكرة.

كل ما أجلت عمله في تلك الفترة لوقت محدد.. لم أعمله أبداً.. وهي ليست من خصوصيات المرحلة.. ربما هي من خصوصيتنا أيضاً كشعب..!!

نؤجل.. ونؤجل .ثم.. نكتشف أن علينا أن ننسى..

مطبعة الثورة القديمة، المكان الذي استقبلني واحتضنني وغمرني بأبخرة الرصاص وشحوم الآلات وعرق العمال.. وعلمني مشهداً آخر للحياة.. كثيراً ما رغبت في زيارتها.. بغاية كتابة تحقيق صحفي تختلط فيه الذاكرة الشخصية بذاكرة المكان.. وأجلت الأمر.... أخاف أن أبكي .حنيناً رغم ما وصفته.. وخذياً لأن المطبعة أزيلت ولم أكتب التحقيق الصحفي الذي نويته وفاء للذاكرة.

أبطال ومواقف

ها هم قادمون يسرجون الحلم وتحدوهم العزيمة وترافقهم محفظة الكتب الجامعية.. ثمة انطلاقة ثورية في «الثورة» وتحتاج إلى من يتأبط قلماً أو ريشة – وفيهم البركة – توالت أفواجهم وتتالت الحكاية .

بسرعة الديكة قفزوا إلى الرفوف والمكاتب.. وبحماستها بدأ الصراع..

حكاية طالت فصولها، وتبرمجت ذكرياتها على يوميات الحياة في الصحيفة «المدرسة».

ذاك الصراع لم يكن تماماً على مكاسب ومناصب - وإن كان لا يخلو من ذلك – لكن العامل الأساسي المحرض:

- أريد فرصتي؟!
- • من أنت؟!
- اعرف أن أكتب وهذا قلمي.
- • اذهب وتعلّم..
- لن أذهب أنا هنا بقرار.
- • الصحافة لا تصنعها قرارات.
- لم تولد صحفياً.. أنت أيضاً جئت إلى هنا لتتعلم وبقرار..

وعلى هذا المنوال..

يواجهون الحقيقة.. هذا جاء من خلف مشروع قصيدة.. وهذا من وراء مشروع قصة ... ومعظمهم يريد فرصة عمل.

أما المقيم وقد ثبت بعضاً من خطواته في الصحيفة، فليس بسهولة سيأخذ دوره كأستاذ.. مبدئياً سيعارض ..لا يمكن أن يثق بقادم على هامش قصيدة أو قصة.

ثمة فرق بين مفهومي الكتابة والصحافة.. فرق لم يتضح في ذهن الكثيرين حتى اليوم .. لاشك أن المفهومين متقاربان إلى حدود الاندماج.. كلاهما مسكون بالهواجس ويريد التواصل .. لكن للإعلامي والصحفي شخصية فضولي ناقل للحكايات.. يفتح عوالمه للخارج ليصطاد منه ويعطيه محدداً هدفه.. متابعاً متلقياً كلما حانت الفرصة..الكاتب «الأديب» يغوص في داخله ولا يخرج إلا عندما يجد نفسه أكمل دارة يرمي بها إلى قارئ مجهول..

أعتذر لهذا التنظير.. هي صورة من صور المواجهة بين القادم من مقاعد الجامعة.. أو هامش قصيدة أو قصة أو منهما معاً ليعمل صحفياً، والمقيم الذي يضنيه العمل اليومي فيعتذر عن مهمة الأستاذ.. لن ينطوي على ذاته وفي لحظة تفجر ما لديه يكتب.. بل عليه أن يكتب والأخطر أن ينشر وفوراً.

رافقت مرة الصحفي اللبناني حنا غصن، صاحب مجلة الديار ورئيس تحريرها في حينه، في زيارة لوزير الدفاع السوري وكان اللواء مصطفى طلاس.. حدثه الوزير بخبر ليس للنشر.. ذكرته بوعده لوزير الدفاع أن الخبر ليس للنشر.. فقال لي:

- يا بني الصحفي ليس لديه شيء لا ينشر.. وإلا لماذا جئت من بيروت إلى دمشق والتقيت الوزير، إنني أبحث عن شيء أنشره.

وعندما صدر عدد الديار كان الخبر منشوراً على الغلاف..

آلية العمل هذه التي تدفع الصحفي المقيم للاعتذار عن قبول كرسي الأستذة على القادمين.. هي نفسها تدفعه للبحث عنهم فيما بعد.. يمر القادمون من شقوق الأبواب وثقوب المفاتيح.. وعندما يكتشف لعبة الصحافة ولو أولياً وجزئياً يبحث عنه المقيم.. يريد أن يرتاح.

الصراع بين المقيم والقادم في «الثورة» اختصر عملية تدريب وتأهيل هائلة في أهميتها.. هي التي حوّلت هذه الصحيفة إلى مدرسة تخريج كوادر..

بين الضجر والفرح.. بين الملل والتألق.. بين الفقر ورغيف الخبز.. عرفت الثورة حالة دوران في الأقلام الصحفية ربما فريدة من نوعها حتى في المواقع القيادية.. رئيس تحرير ومدير عام.. فقط الأستاذان عميد الخولي ومحمد خير الوادي أمضيا فترة طويلة نسبياً فيها..

والباقي يأتي ويذهب قبل أن نعرف لماذا أتى؟ فمن أين لنا أن نعرف لماذا ذهب؟!

عندما قدمني وزير الإعلام الدكتور محسن بلال إلى رئيس تحرير جريدة السفير اللبنانية وكنت قد تسلمت رئاسة التحرير مؤخراً.. بارك لي الأستاذ طلال سلمان بعبارة تعزية.. وقال ضاحكاً:

§ هذا لأنك رئيس التحرير سابقاً..

طبعاً هو يشير إلى سرعة دوران رؤساء التحرير، ولكم أن تقدّروا موقفه هو الذي لم تعرف السفير رئيس تحرير منذ تأسيسها إلا إياه.

على ما قدمته الثورة من تدريب وتأهيل للكوادر الإعلامية قلما حصلت على أكثر من العتب.. ربما المبالغة في العتب.. والتجريح أحياناً والشتم أيضاً.

أعود الآن لأقول:

إن عملية «صراع الديكة» بين القادم والمقيم، لم تختلط أبداً بالكراهية.. ولا بالحب.. هي عملية طبيعية موضوعية تنبّه بأن صاحب المقدرة لا بد أن يأخذ دوره.. وصاحب العجز لا بد أن يقتنع بعجزه فيغيّر أو يبقى عمراً فوق «طربيزة».

لكن ما لا ينكر أنها سرعة في دوران اليد العاملة.

اليوم في عصر المواقع الالكترونية.. لم يعد من حاجة لكل هذا التبادل الخلاق بين المقيم والقادم .بين القديم والحديث.. كلهم – ماشاء الله – يولدون

أساتذة إعلام.. وكل ما يكتب يُنشر.. لا حاجة إلى تدقيق معلومة أو لغة أو موضوعية!! لا وقت لدى أي كان.. اكتب ..انشر.. تقاضَ أجرك..

وأحياناً انشر قبل أن تكتب..

أنا شخصياً مستسلم أمام هذه الحقيقة القائمة.. ومؤمن أنه لا يمكن إلباسها الموضوعية إلا بفعل التراكم وحتمية أنه لن يصح إلا الصحيح.

هكذا جئنا إلى الثورة.

هكذا جاؤوا..

كثيراً ما كانت البداية في أحد الأقسام التابعة للتحرير.. أرشيف.. تصحيح.. تدقيق لغوي.. إخراج ..الخ.. وقد تمر عليها جميعاً كما حصل معي.

في فترة إطلاق العمل بأربعته مع نصر شمالي مديراً عاماً ورئيس تحرير.. كانت الفرصة عريضة جداً للدخول فوراً عالم الكتابة والتحرير.. إنها الحاجة.. وبدؤوا يتوافدون..

كثيرون منهم برزوا كصحفيين.. ومنهم من ارتد إلى نفسه.. ولو استمر في الصحيفة سنين طويلة..

* * *

روى نصر الدين البحرة: أن منذر عامر دخل بالخطأ إلى مبنى الجريدة، ولم يكن يبحث عن عمل إنما هو واحد ممن تاهت بهم الدروب بفعل الرياح الحزيرانية وحطت بهم الرحال في دمشق، مرّ من أمام المبنى فوجد حركة، أناس ينتقلون برزمات من صحف ودوشة، فرغب في الفرجة ثم بالمساعدة، وهكذا أحصوه بين العمال في قسم الأرشيف، وأصبح موظفاً !!

هي إحدى دعابات أبي عمر، أطلقها في حملة رد على خلاف بينه وبين المدير العام الأستاذ نصر شمالي انتهت بترك الأستاذ البحرة لموقع سكرتير تحرير جريدة الثورة.

وروى منذر عامر:

إنه بعد أن تخرج من كلية الصحافة بجامعة القاهرة، وبعدما أحدثته حرب حزيران، قصد دمشق، مأوى المقاومة العربية، التي تحتضن عشرات الشباب العربي ولاسيما اليساريين. اتجه إلى جريدة الثورة وتقدم بطلب للتشغيل على ورقة مقتطعة من دفتر، لم يكن يأمل كثيراً بفرصة العمل، وفوجئ عندما أعيدت له بالموافقة وقالوا له: اذهب إلى الأرشيف.

هناك، التقيته، شاب فلسطيني نحيل أسمر يتحدث بلهجة مصرية وكفاءة تكلم عالية، بانورامي الثقافة، جيد الاطلاع، ولا سيما في الأدب إلى درجة تلفت النظر فعلاً وبسرعة أصبحنا أصدقاء.

لم يكن منذر يخفي ميوله الناصرية، وكانت علاقات سورية بمصر عبد الناصر جيدة، أو هكذا يفترض على الأقل، وعندما أُنهي عقده بصورة مفاجئة صدمته، عزا السبب لصورة للرئيس عبد الناصر كان وضعها على مكتبه، وكان قد انتبه عندما لفتت الصورة انتباه القائمين على الجريدة.

كان قسم الأرشيف إحدى نقاط الانطلاق في مشروع الأستاذ نصر شمالي.. وبالمحاولة للانتقال به من مستودع قادر على أن يلبي حاجة الطبع اليومي بأضيق السبل.. إلى أن يكون ذاكرة ودماغ الجريدة - هكذا كان يتكرر يومها -

من أجل ذلك زجّ فيه بقوى عالية المستوى ينقصها الاختصاص «الأرشفة» والخبرة.

هذه الانطلاقة في عمل الأرشيف وحاجته إلى الكوادر فسحت لي المجال لأن أترك المطبعة وأنتقل إليه. هناك التقيت «إضافة إلى الأستاذ البحرة» بياسين رفاعية.. ومنيف حسون.. وفخري عباس.. وأخ عراقي أعتقد أن اسمه كان حسان الشامي.. برجس عزام.. وموفق خاجكية .وصياح السخني "الشاب الدمشقي الميداني الجميل، المتابع المثقف الذي انتهى به

المطاف رئيساً لقسم الأخبار، وأعتقد أنه من أفضل من أداروا هذا القسم في الثورة.. وكنا دائماً وسنبقى أصدقاء".. وآخرين.. وطبعاً منذر عامر..

كان واحداً من عشرات الشباب العرب الذين قصدوا دمشق علّ الأمل، يولد من الرفض السوري للأساليب الدولية في معالجة نتائج حرب حزيران.

المقاومة حديث الساعة، تتقاطع مع العمليات العسكرية عبر قناة السويس.. وما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة..

كررها كثير من الزعماء العرب.. وعندما ذكرها الرئيس عبد الناصر في خطاب له وجهه إلى سورية وهنأ مقاتليها على الرد البليغ على عدوان إسرائيل.. قالها وأضاف إليها: الجولان.. قبل سيناء.

أثلجت عبارة الرئيس عبد الناصر صدور السوريين وبددوا شيئاً من خوفهم من الاحتمالات.. والأخبار تتلى عن مشاريع للتسوية، أشهرها مشروع «روجرز» وزير الخارجية الاميركي.

ذاك الصيف.. ١٩٦٨ اختلف عن سابقه.. ثمة أمل يولد.. عاد إلي حب الجريدة والحياة.. شاركت في الانطلاقة الجديدة للصحيفة.

ذهبت ومنذر إلى الجامعة يوم تبلغ قرار إنهاء عمله في الثورة فاجأني هدوءه اللافت الذي استعاده بسرعة بل عاد يتذكر بعض «النكات» وأخرج رسائل أصدقائه وأخذ يقرأ أثناء تناولنا الغداء وكانت هذه من عاداته التي يحبها.. ولم أصارحه أنني لا أحبها.. على الرغم من إعجابي به وهو يمارسها.

أصر منذر يومها: أن صورة عبد الناصر على مكتبه هي السبب ولم أقتنع أنا.

- ليس ثمة سوء علاقة مع عبد الناصر.

- لا يمكنك أن تقرأ كل شيء في الصحف.. هناك ما تخبئه الأنفس.

- هل هناك خداع؟

ثم سألني فجأة:

- لماذا لا تلتزم بحزب؟!
- بصدق؟!
- طبعاً.
- ليس لي خلق؟!

ضحك من قلبه مستلطفاً وأشار إلى أن تعبيري مختصر يريح من التورط في السياسة.. ثم سألني:

- هل ستستمر في عملك بالجريدة طويلاً؟!.
- أحب هذه الجريدة كثيراً.. لكن؟!
- وتحب حزب البعث العربي الاشتراكي؟
- نعم..
- وتحب عبد الناصر أيضاً؟
- بصدق نعم.
- وتحب الماركسيين؟
- نعم.
- ووالدك سوري قومي؟!
- كان..
- اسمع أنا مشرد ..لاجئ فلسطيني.. ولدت في الضفة الغربية.. وتعلمت في مصر.. وجواز سفري أردني .وسأغادر سورية ولدي اختصاص جيد في البحث والتعامل مع الجميع سأبحث عن عمل لي ولك ونصبح مشردين.
- مشرد نعم ..أما لاجئ فلا..
- لا تخف ..العرب لاجئون في أوطانهم.

تودعنا وتفارقنا.. ولم أعد أسمع منه شيئاً.. أُقرأ له في بعض المجلات.. والتقيته بعدها مرة واحدة في دمشق وكان كالعادة.. عصفوراً دائم الزقزقة والضحك وكأن كل ما يجري على هواه وحسب ما يريد.

قبل أن نفترق قال لي:

- حافظ على جوهرتك.. جريدة الثورة.

نفذت الوصية بإرادة أو دون إرادة.. وإلى اليوم لا أعلم إن كان قالها جاداً أو مازحاً.

* * *

صديقه عادل أبو شنب سماه: «رئيس مفرخة البيض».. في حين سمى طريف الحسيني نفسه «وكالة الواط..واط واختصاراً واط».

للاسمين علاقة بشغف المرحوم طريف بتوريد الأخبار.. صح.. غلط.. غير مهم.. أنت تتلقى الأخبار وعليك أن تصنفها بين الصح والغلط.. وكالة أنباء نوعية، تنافس حتى الوكالة التي كان يراسلها شقيقه الراحل «مالك حسيني» وهي وكالة رويترز.

طريف شخصية لافتة بجد.. عينه ترى الجمال بعشق.. وعلى كل من يتعامل معه أن يرى الجمال حيث يراه.

صديقي الذي رحل هو بوابة أخرى لعبوري إلى احتراف العمل الصحفي.. التصحيح المطبعي بوابة عبور إلى الوظيفة، والأرشيف بوابة خلاص من جو المطبعة الشديد التلوث.. ثم الإخراج.

طريف وأنا تحاببنا منذ تعارفنا قبل الوظيفة، هو المشرف الفني على صحيفة الموقف الرياضي أيام المرحوم عدنان بوظو وأنا زائر.. لعله وجد فيّ منصتاً قليل الاعتراض على «واط» أو« تفقيس البيض» ودائماً قال لي طريف: سأنقلك إلى الإخراج.

عندما تولى الإشراف الفني على الثورة ضمن مشروع نصر شمالي لتطوير الجريدة، نفذ ما وعد به .وعمل جاهداً لأكون المخرج الصحفي المتفوق.. وبصراحة لم أكن.. إنما استمرت الصداقة بيننا.. كنا نتفاهم على كل شيء تقريباً حتى وإن اختلفنا.. احترمت خصوصيته الباهرة بجد ، واحترم

خصوصيتي رغم أنه اكتشف أن محبتي لعبد الناصر ليست كافية لأكون ناصرياً مثله.. وأكثر من ذلك أن لدي ميولاً ماركسية.

نصحني المرحوم محمود السيد بالابتعاد عن الإخراج.. وأن أتوجه إلى التحقيقات تحت إشراف شقيقه الصديق عبد الله السيد رئيس قسم التحقيقات في حينه.. ولو نفذت نصيحته لاختصرت الزمن.. لكن.. وجودي في الإخراج قدّم لي قاعدة عمل صحفي جيدة وربما متينة ومنحني فرصة التعرف على الصحيفة وكتّابها ومحرريها قبل أن أخرط مشطها بقلم وورقة.

جمعنا المرحوم طريف في دورة تدريب على الإخراج الصحفي، أنا وصبري عيسى وشاب لم يكن يعمل لدينا ويدرس الرياضيات.. اسمه يوسف.. أدخلنا الإخراج من باب الرؤية الفنية العلمية «كان أستاذاً بحق».. عرّفَنَا على المطبعة.. على الزنكوغراف.. على الأرشيف.. بالتفاصيل الكاملة، كي يؤسس القاعدة التي يبدأ منها تعليمنا الإخراج.. نجح ذلك جيداً مع صبري ولا أدري شيئاً عن يوسف.. أما معي فلم ينجح.

أول صفحة تجريبية أخرجتها وقدمتها له وصفها كالتالي:

«هذه صفحة ليس فيها خطأ إخراجي لكنها عجرة كالبطيخة».

أمضيت بعد ذلك التاريخ نحو خمس سنين في الإخراج الصحفي في الثورة شكلت لي قاعدة عمل متينة، وظل إخراجي أعجر كالبطيخة، لكنني أديت ما طُلب مني بشكل جيد وأُثني علي أكثر من مرة.

خلال السنوات الخمس كلفني المرحوم محمود السيد بإعداد الصفحة الأخيرة تحت إشرافه.. وحقق لي ذلك سعادة شديدة واقتراباً كبيراً من عالم الكتابة وتواصلاً مع كتاب كبار.. لاأدري كم مضى عليّ من أيام السعادة يوم اتصل بي المرحوم سعد الله ونوس لنشر تقرير على الصفحة عن مسرحيته التي ذاع صيتها.. وكانت رائعة بحق «حفلة سمر من أجل ٥ حزيران».

خلال الفترة نفسها عوّل علي مرة أخرى في العمل الاستثنائي للمساهمة في مشروع تطوير الجريدة.. كانت المطبعة هماً يومياً - وما زالت.. بل لم

يعد من مطبعة – ارتسم ذلك بوضوح على وجه نصر شمالي رغم شبابه وجبروته وإرادته الصلبة حين استقبلنا لتكليفنا بالمهمة.. وروى كم تؤرقه المطبعة.. وأنه تم اختيارنا «أنا وأحمد صوان وعبد العزيز المسوتي» لإدارة لصيقة لعمل المطبعة على أساس ثلاث ورديات.

طريف هو الذي اختارني لهذه المهمة.. وحين عدت منها إلى الإخراج مرة أخرى.. هدأت أموري وتعرفت على كل محرري الجريدة وكتّابها بشكل لصيق.. متصادقاً حميماً مع كثيرين منهم.. هاني الحاج.. يعرب السيد.. منيف حسون.. وكثيرون آخرون.. إضافة إلى المخرجين.. ملحم المير وابن عمه مصطفى.. وجاءنا فيما بعد المرحوم محي الدين حكيم «أبو عجاج» و«لا بد من نسيان بعض الأسماء».

تمضي الأيام بنا.. ثمة أطياف للفرح.. على الأقل نحن في سن الشباب.. ونزداد تآلفاً مع الجريدة .لكن... الجريدة لا تستطيع الائتلاف مع نفسها.. إنها الثورة في جريدة الثورة.. وليس الإعلام فقط.

* * *

رياح الحرب الحزيرانية التي عصفت بكل شيء، خلفت ما يفتك بهدوء في محاولات الترميم والترقيع .والوثوب خارج دائرة القهر.

عشرات الأسئلة أطلقها فيصل في وجهي لم أجب عنها.. ليس لفرط عقد المودة لا سمح الله.. بل لأنني بصراحة لا أعرف الإجابة.

- هناك صراع خفي في القيادة..
- كيف عرفت به إن كان خفياً؟!
- نحن لا يخفى علينا شيء.
- على أساس أنتم خارج اللعبة؟!
- عندما كشف لينين عن مؤامرة سايكس بيكو لم نكن في اللعبة.
- كبرتها!!

- لا.. إنما أردت أن أوضح لك.

نتلقى الأخبار.. نصّفي.. نحفظ.. ونصمت.. قليلون يجرؤون على المشاركة في الحديث.. وأقل منهم الذين يجرؤون على تبني مواقف.. بينهم صديقي المرحوم طريف الحسيني.. حدد موقفه، فهو مع أي طرف في الخلافات التي بدأ يذيع صيتها، أقرب لعبد الناصر.

بصراحة معظم الاصطفافات كانت كذلك.. لأن الخلافات لم تكن واضحة.. وبالتالي.. الناصريون مع الطرف الأقرب لعبد الناصر.. الشيوعيون مع الأقرب للاتحاد السوفييتي.. أيوب منصور مع الأقرب للصين.. البعثيون القوميون مع الأقرب للانتقام من ٢٣ شباط.

.حتى ذاك التاريخ ليس ثمة وضوح في خلفية المشهد.. وفي واجهته حزب وقيادة وحكومة.. وكل شيء كما يجب.

أعترف أنني رغبت في دور المتفرج.. وقد أمن لي الإخراج الصحفي تلك الفرصة.. وعلى الرغم من الحب الشديد الذي يربطني بالثورة.. وجدت في الفضاء الجامعي ما يغري ويغوي ويعوّض.

انتظمت دراستي في الحقوق.. وأحببتها.. ونسيت أحلام الهندسة.. ولكل شيء هندسة.

وأنا أقلّب صفحات الجريدة، كأي جريدة، كأي قارئ، تطالعني أولاً الصور والعناوين.. قبل مضمون الخبر وقبل اسم الكاتب ومستوى المقال .

إلى هنا ترون الأمر عادياً..

بالنسبة إلي أيضاً عادي، لولا صورهم التي تنتصب أمام عيني لتدغدغ شغاف القلب، أستطيع ببساطة رغم مرور السنين واصفرار ورق الجريدة أن أميّز إبداعهم.. في الخطوط وفي الصور.. هذا خط المرحوم عبد الرزاق قصيباتي.. وهذا للمرحوم توفيق حبيب وهذا لأحمد علي اسماعيل أطال الله عمره.. وصور المرحوم كربيس بغدويان.

يجرحني أنني ودعت كل هؤلاء الأصدقاء المبدعين في غفلة من زمن مضى عليه زمن..

هؤلاء يشبهون الجنود المجهولين..

تكتب مقالاً .زاوية.. تحقيقاً.. أي شيء، ومهما كان مستواه، تضع اسمك تحته.. فيخلّد اسمك بخلود الورق.. يكتب خطاط عنواناً بشكل فني متألق.. فيخلد العنوان بخلود الورق.. ويغرب الاسم بجفاف الحبر.

عبد الرزاق قصيباتي - رحمه الله - خطاط أصيل، كلاسيكي، يجيد الرقعي والنسخي.. هو تلميذ لخطاط ملأت شهرته دمشق وسورية واسمه «بدوي».. وقد مارس المهنة منذ كان الخطاطون يكتبون عناوين الصحف حفراً على المطاط.

أحمد علي اسماعيل.. جاء الصحيفة بموهبة طيبة متدرباً عند القصيباتي.. شخصية ممازحة.. ضاحكة .جميلة ويدخر ثقافة تراثية لافتة.. اخترع لنفسه اسماً هو «السيادات» واشتهر به بين العاملين في الصحيفة.. لم أعد أراه.. إنما قد يتصل أحياناً لأمر.. أعرف أنه أُصيب بعارض صحي أدى إلى بتر إحدى رجليه ويعيش في مدينة السلمية.. وكم وعدت نفسي أن أقصده لأزوره.

توفيق حبيب -رحمه الله -.. شخصية فنان حقيقي.. خطوطه سلسة يمد السطر ويغنيه برشاقة الارتفاع .وهو إلى ذلك يملك شخصية فنان.. يروي النكات ويضحك من قلبه.. ويعزف على العود .ويغني، أعجبك صوته أو لم يعجبك.. هو ما صرح به يوماً.. وكنّا في ضيافة رسام الكاريكاتير «أمين خلف» وهو شاب فلسطيني عمل في صحيفتنا لبعض الوقت ولم أعد أراه..

قال المرحوم توفيق: سأغني أعجبكم أم لم يعجبكم وتناول العود.

لعل المصور كربيس بغدويان امتلك الشهرة الأفضل في عالم الصحافة السورية في تلك الفترة..

«أبو جورج» كان فعلاً محترف صحافة وصور وكل ما يلزم المهنتين من «زعبرة»..

فنان في كل شيء.. يوجز لمن يعرفه، فكرة عن الأرمن في سورية ومحبتهم للعمل واتقانه وللحياة وابتسامتها..

قضى كربيس رحمه الله وهو يمارس التصوير الصحفي في الخليج العربي.

أحببتهم جميعاً.. وكنت أتعامل معهم كل بحسب ميوله..

القصيباتي كان يداوم ليلاً.. لأنه يعمل في التلفزيون.

ولأننا نحتاج إلى خطه الأصيل للصفحة الأولى.. وعندما أناوب ليلاً.. تأخذنا السهرة في مكتب الإخراج - حيث مكان عمل الخطاط أيضاً - حتى الصباحات.. أحببت كثيراً شخصيته الرصينة.. دمشقي نمطي.. ابن حي الميدان.. يأتي على الأصول.. ويغادر على الأصول .أنيق ونظيف.. وفي سهراتنا القسرية كثيراً ما تبادلنا الهموم والحكايات.

روى لي وهو يكتب عنواناً يتعلق بالعدوان الإسرائيلي ونتائج حرب حزيران.. ما رآه بعد مشفى ابن النفيس باتجاه «مساكن برزة» التي لم تكن قد وجدت بعد من تجمع للنازحين.

روى حزيناً .وسألته كيف يمكن أن أصل إلى هناك؟!

قال: سهلة جداً.. اركب باص ركن الدين إلى آخر موقف.. أمام مشفى ابن النفيس.. ثم اتجه شرقاً.

حُزن عبد الرزاق القصيباتي «أبو بسام» وتحديده الموقع لي.. أعادني إلى دمار الروح مرة ثانية.. إنها رياح الحرب الحزيرانية التي ليس لها أن تتوقف ولم تتوقف حتى اليوم.

بعد أيام سألني:

- ذهبت إلى تجمع النازحين؟!

- ذهبت.. لكنني لم أعد..

ضحك وقال:

- بقيت معهم..؟!

- ولن أعود.

- لو تعرف الجولان أراضيه.. أشجاره.. أزهاره.. وطن النرجس هو.. عيونه وماءه.. لعرفت كم هي معاناتهم أن يستبدلوا به هذه الأشواك والأرض القاحلة.

شعر الرجل أنني لم أعد أستطيع الاحتمال.. قال:

- يجب أن نتذكره ونذكره ونحفظه للجميع.

أحسست بخلل التعامل مع الجولان المحتل.

لم تكن تذكره صحيفتنا إلا كأرض محتلة..!! لا بل إن ذكره قد يعرضك للمساءلة؟

حين كتب ممدوح عدوان رسالته الحزينة للقنيطرة طلبه وزير الإعلام وحاوره مستهجناً أن يستثير ممدوح المشاعر بحديثه الحزين عن القنيطرة.

في نهاية الحوار.. بكى ممدوح الذي لا يبكي.. ونظر في عيني الوزير وقال صارخاً:

تريدوننا أن ننساها؟! لن ننساها..

قصّرنا مع الجولان.. نعم وبصراحة قصّرنا مع الجولان.. تجاهلنا أو كنّا نجهل أن لمقاومة الاحتلال أساليب عدة وليس العسكرية منها فقط.. لو أنشأنا منذ تلك الأيام هذه الصلات القائمة اليوم مع أبناء الجولان وأرضه ورزقه لاختلف الواقع.

ذاك كان زمناً للأخطاء المتكررة.

لم أسمع بوفاة القصيباتي إلا بعد وقوعها بزمن.. وإلا يميناً لكنت ذهبت إلى قبره بباقة نرجس اشتهاها وهو يحدثني عن الجولان.

* * *

كانت "الثورة" جريدة تحاول بجدية أن تتمثل اسمها .. وكانت الثورة مفهوما يصلح لكل شيء بما في ذلك تغطية الخيبة والهزيمة وفقدان القدرة على الإدارة وتوظيف الإمكانات.

كانت رؤى ساذجة تعتري الكثيرين، تقدم كلها على أن الثورة هي منظومة مشاعر عداء ، لكل شيء .. للتراث.. للأصالة .. للناس .. للأغنياء .. للحرية .. للثروة .. للزمن .. كل شيء .. كل شيء ..

في مقهى الهافانا، قال لي الزميل صدر الدين الماغوط رحمه الله:

- أنت واحد كلاسيكي ضعيف ..

- لماذا ..

- كل شيء فيك.. حديثك.. مواقفك .. مرجعيتك لأبيك وقريتك .. والساعة التي في يدك .. و...؟!

أنا انتخيت للساعة فقط .. كانت جميلة جدا، اشتراها لي أبي من مدينة جبلة الصغيرة عندما كنت في الصف العاشر .. وصعب علي فراقها مع أني كنت في الصف الثاني من كلية الحقوق .. ربما توزيع راتبي "٢١٠" ليرات .. كان أجدر به برامج أخرى ليس بينها شراء ساعة .. ربما .. لكن الحقيقة لكم أحببت تلك الساعة الصغيرة .. قلت له:

- أستاذ صدر .. ما بها هذه الساعة .. على الأقل أنا بيدي ساعة .. أما أنت فلا ..

قلت ذلك متحمساً ومتحسباً لفرق القوة البدنية الهائل بيني وبينه رحمه الله .. كان قوي البنية ولم يكن منظره يخفي ذلك ..

ذات مرة تصادم مع شاب في مقهى الهافانا، أعاب على صدر طول شعره وسالفه، فقال له:

أنت واحد خنفوس..

تلا العبارة صوت اصطدام قبضة صدر برأس الشاب قاذفاً به بضعة أمتار وصوت صدر يقول له:

- شو رأيك قبضة خنفوس أم حافر بغل.

نظر إلي بنوع من التعالي الثوري .. وقال:

- أنا أرفض الزمن ..

مد يديه يحاول أن يأخذ الساعة من يدي .. قائلا:

- "سأسحنها تحت حذائي" ..

هربت بساعتي من يديه .. وانقلب وجهه ضاحكا .. وعلى الفور قال لي:

- اطلب لنا قهوة ..

فرحا بخلاص ساعتي ندهت على العامل .. طلب هو قهوة دون سكر .. وطلبت أنا قهوة وسطاً..

عاد إلى مهاجمتي:

- قهوة حلوة ..؟!
- بل وسط ..
- القهوة لا تشرب إلا مرة ..

تقاويت أنا باعتباري سأدفع الفاتورة "لا تتجاوز ليرة سورية واحدة".. وقلت له:

- هذا عندكم بالسلمية .. نحن نشربها حلوة ..
- أي يحلي أيامك .. لذلك خربت الثورة ..

اكتشفت بعد ذلك أن القهوة بلا سكر فيها نوع من الممارسة الثورية .. ومن يومها ولليوم أشربها دون سكر .. لكن ثوريتي لم تتحسن .. إلا إذا اعتبرنا "الحماقة" ثورة.

كل هذاغير مهم .. فقد عرفت كيف أهرب من بين يديه القويتين .. المهم أنه أخرج من جيبه ورقة مكتوباً عليها بالطول والعرض والوجه والقفا .. وبدأ يقرأ لي شعرا .. طبعا غير موزون .. لكن .. بصراحة وصدق كان لديه لقطات وصور شاعرية بحق ..

أخيرا قرر الانتقال إلى طاولة أخرى في "الهافانا" عليها أناس يلعبون "كونكان" أعتقد أنها جلسة قمار على الخفيف .. وأتذكر كل اللاعبين .. رحم الله من مات .. وأدام من منهم حي .. ارتحت مع أنني لم أكره تلك الجلسة .. إنما خفت من تماديات أخرى ومن يدري ما موقف المفاهيم الثورية .. من رجل يجلس على كرسي بثيابه وفي رجليه حذاء ..

فرحتي لم تدم طويلا .. عاد صدر إلى طاولتي .. وكان قد حضر شخص يتردد على الجريدة .. يقدم بعض المواد الصحفية لا أكاد أعرفه..

افتتحا حديثا عن الثورة الطلابية في فرنسا .. وعن تردي موقف صحيفة الثورة التي لم تستطع أن تكون ثورية..

سألت أنا كتلميذ مهذب:

- لماذا ..؟!

قال صدر:

- لو كانت تحمل اسمها بجد .. لجاءت صورة "كوهين بندت" مكان هذه الصورة ..

أشار بيديه إلى صورة للمرحوم نور الدين الأتاسي رئيس الدولة في حينه..

وقفت مستغربا ولست مستهجنا .. وتذكرت الاسم ..

كوهين بندت .. طالب فرنسي يهودي .. كان مفجر المظاهرات في المدن الفرنسية في فترة ما عرف بثورة الطلاب .. ١٩٦٨ – ١٩٦٩ .. التي أدت إلى استقالة الرئيس الفرنسي شارل ديغول كسبب غير مباشر..

تجرأت واعترضت ..

- لماذا .. ما هي فوائد كوهين بندت ..

- له تصريح يطالب فيه بإزالة إسرائيل.

- لم أسمع بهذا التصريح ..

- أنت أصلا لا تقرأ إلا جريدتك هذه ..

- لكنها تنشر أخبار ثورة الطلاب في فرنسا ..

• هذه ليست ثورة طلاب .. إنها ثورة .. وليست هذه الأوراق الصفراء هي الثورة ..

لم أنجح بالدفاع عن "ثورتي" ..

بعد يومين التقيت صدر في أحد المكاتب باشاً مبتسماً – بالمناسبة كان شاباً جميلاً – وفورا قال لي:

• لا تزعل بسبب جلستنا في الهافانا .. كنت بائساً يائساً و"قطَّعناها" عليك ..

- يعني أنت لا تحتقر جريدة الثورة ..

• يا رجال .. الله يبارك فيها .. عالقليلة تجد في جيبتك ثمن رغيف الخبز .. لكن ..

بعد هذه الـــ "لكن" كان هجوما حادا على المدير العام رئيس التحرير "نصر شمالي".. طبعا لا أحد يعرف لماذا تناوله بهذه الحدة، كما لا أعرف لماذا تناولني في المقهى ..وقد مثلت علاقته به خطا بيانيا شديد التعرجات .. يمثل بدقة تطورات وضع صدر ومشاعره الداخلية ..

كان قوة بدنية .. وتحدياً .. وشعراً .. وقلب طفل .. وكانت جريدتنا .. للأمانة منشغلة كثيرا بكل الثورات في كل الدنيا.

باتجاه مرحلة جديدة

هل يمكن للإنسان أن يعيش عمرا على شفير اليأس، لا يقع فيه، ولا يخرج منه ؟!

هل يمكن للورق، أن يعيش الحال ذاته..؟!

لعله الأمل ذاك الذي سكننا، لكن الأمل بلا حدود سلاح بحدين !؟

هو انتظار لمجهول غير محدد .. ورفض لليأس بغض النظر عن معرفة ماذا نريد ..؟!

ماذا نريد .. ذاك ما واجهنا .. وواجه الورق ..!!

حتى عندما حددت بعض الجهات ماذا تريد .. كان كل شيء مقتبسا، فاقدا لشروط التجربة ..

تلك الحقبة علا صوت الاشتراكية العلمية ..

حتى الرئيس عبد الناصر تحدث عنها علنا في إحدى خطبه في فترة شفير الهاوية من اليأس .. حاول رحمه الله أن ينجو من غبار الهزيمة التي افتقدت حتى تلك الساعة قراءة دقيقة معمقة لما جرى ؟! وكيف جرى ..؟! وبناء عليه ما الذي نفعله ..!

القادة أنفسهم، انقادوا إلى تحليلات الشارع الذي هو الآخر كان يحاول أن يخرج من شفير اليأس. كان السؤال الذي لا يجيب عنه أحد ..

ماذا بعد الهجاء ...

بل قبل ذلك لم يكن محددا ما نهجوه ..

الطبيعي أن "الثورة " لم تصغ أملا في حينه .. هي أيضا كانت على شفير اليأس .. استمرت بقدرة أن لا خيار إلا الاستمرار ... لهثنا وراء كل ما لا نفهمه .. أو ما لا نعرفه .. وهات يا ساقي.

الجريدة (الورق) .. ومعها ربما الجميع لهثوا خلف إحدى ثلاث أو الثلاث معا:

١ - حرب التحرير الشعبية ... والعمل الفدائي.
٢ - اليسار والاشتراكية العلمية ووحدة قوى الثورة العالمية وحركات التحرر الوطني.
٣ - الاستعداد لمعركة أخرى .. ولعله كان الاتجاه الوحيد الذي يبتعد عن الصخب الحزين .. لكن ..

استمرت بنا الأيام ..

لم نكن مشلولي الإرادة .. بل قليلي الحيلة .. نميل إلى الفهم الأولي السطحي المريح .. ولاسيما ذاك الذي يمتلئ بعبارات يستحق شرحها هدر الزمن الذي يمر بنا دون أن ندركه .

عندما يكون الأمل.. حلما.. يكون شفير الأمل كأنه شفير اليأس.. الحالتان لا تسقط في اليأس ولا تبعد عنه ..

حملت "الثورة" عبئا حقيقيا بعد ذلك كله.. وعرفت أوراقها أراء واتجاهات ونظريات.. لكن.. الكلمة الأولى والأخيرة للناشر..

في جو العبث الفكري والثقافي والسياسي الذي عصف بالدنيا عرفت بالتأكيد أطيافا لهذا العبث .. تحملت جراح الجميع، وقصدها كتاب جرحى من بقاع شتى .. أعطت فرصة لقاصديها "أحيانا يريدها الناشر .. وأحيانا لا يراها.".. واستطاعت بشكل ما أن تشكل منبرا حقيقيا لشفير الأمل .. شفير اليأس .. وساهمت بقوة في إبعاد اليأس.

تلك الحقبة عرف البناء الوطني والعمل الشعبي نهوضا فاعلا ..

سد الفرات.. استثمار النفط وطنيا.. بناء الطرق وسكك الحديد.. إنشاء المزارع التعاونية والحكومية .. عمليات التشجير وتعمير الأرض.. كل ذلك كان يقوي الأمل في متابعي "الثورة "و قد خلق حالة تبادل حقيقية بينهما.. أضف إلى ذلك، محاولات إدخال الحياة العسكرية والإعداد القتالي إلى الناس في الشارع الأمر الذي لم يصل أبدا حدود الإقناع، بل حتى شفير الأمل.

قال سعدي:

- أنا بجد أحب جريدتكم ..

- ما الذي تحبه فيها .

- قدرتها ببساطة أن تضعنا في صورة ما يجري في سورية .. فلاحة وزراعة .. وصناعة .. وإنشاء .. ومرافئ .. و..

استمر وجه صديقه الذي لم يعرفني عليه متسما بقليل من الاهتمام .. انتبه سعدي وقال لي:

- أبو ابراهيم . تاجر يعمل بين سورية ولبنان.

مددت يدي وصافحت الرجل واستعنت به لتعرية مديح سعدي لصحيفتنا .. متوقعا منه صفعة لي ولسعدي وللثورة .. لكونه تاجرا يعمل بين سورية ولبنان، وفاجأني الرجل:

- أنا أطلع على الصحف اللبنانية دائما .. وعلى الثورة يوميا .. وأفضل الثورة..

- على ماذا ..؟!

- على غيرها ..

- لماذا ..؟!

- هادئة .. تنشر عن المشاريع .. وأيضا تنشر عن التقصير .. ولا تتبع ما تريده الزعامات.

قلت لنفسي: أتراه اتفق مع سعدي على هذا الرأي استكمالا لترحيبهم بي على فنجان القهوة ..؟!

عهدنا بجريدتنا أنها لا تحب التجار .. بل لا "تقصّر" بهم .. وأبو ابراهيم تاجر بين سورية ولبنان .. فكيف يراها صحيفته ..؟!

تجرأت وسألته:

- أخي أبو ابراهيم .. أنا أرى الثورة تعري التجار يوميا فما الذي يعجبك بها ..

• أكيد ليس هذا الموقف من التجار بسليم.. وأنتم – بلامؤاخذة – غلطانين .. التجار مثل غيرهم فيهم الجيد الذي يقدم لوطنه جل الخدمات .. وفيهم السيئ المحتكر ..

- ما نسبة المجموعتين ..؟!

• لا أعرف .. وأنتم لا تعرفون ..

- من نحن ..

• أعني جريدتكم لا تعرف .. تحكم على الناس من عناوين عامة ومواقف لها متخذة ..

رغم ادعائي اليسارية، لم أشعر أن روحي مستعدة للاستمرار في الحوار .. الذي أخذ طابعاً.. أبو ابراهيم يشرح لي.. وأنا "استمع أيها الصغير.."

سكت وغيرت الحديث.. تحدثت وسعدي عن الأساتذة الجدد في كلية الحقوق لأفاجأ أن أبو ابراهيم طالب معنا في الكلية.

على بساطة الحادثة.. وكلها جلسة فنجان قهوة.. اهتزت في داخلي اعتبارات "التابو". التصنيف والتوزيع .. دون بينات ودراسة ودقة معلومات بما يضيع أي فرصة لتطور الأمور منطقيا.

لم يبعدني حديث أبي ابراهيم على ما به من جديد بالنسبة إلي من الوقوف بين شفير الأمل وشفير اليأس .. علما أنه هو كان ممتلئاً بالأمل ..

تذكرت حديث محمود السيد رحمه الله:

- لا تذهب إلى الإخراج .. هذا غير مناسب لك .. اذهب إلى التحقيقات ..

* * *

حبات البرد تنهال بغضب شديد على الأغصان اليانعة.. الثمار في طور النضج.. الخضار مزهرة.. وشتلات التبغ تتقصف أوراقها بلا عودة.. رأيتها تمشي في كل الاتجاهات.. شمال.. جنوب.. غرب.. شرق.. تدخل من الباب، تطل من النافذة.. تخرج تحت البرد.. ورأيت وجهه في أجمل صورة ابتسامة تحمل من الحزن ما لا يعرفه المبتسمون في حزنهم ..

سألته:

- ما بها؟

- ما بها ..؟! تكاد تجن.

- ماذا نستطيع أن نفعل؟

- لأننا لا نستطيع أن نفعل.. لو استطعنا لفعلنا..

- هل ينفع الجنون؟

- لا سيتوقف البرد، ونستوعب الصدمة ونعالجها بمزيد من الفقر.. والغضب.

الغضب.. صحيح كيف نسيت أنه الغضب.. بل هو العجز والغضب.. كان يجب أن أدرك ذلك.. فلا أتورط بما جرى..

لم أكن حميمياً مع «ناجي» زميلي في الجامعة.. ولم نكن أعداء.. لكنني سمعته أكثر من مرة يغمز من قناة صحيفتي «الثورة» ولم أفهم لماذا؟!

عندما سألت محمداً عنه كونهما من الأردن.. «ناجي أردني ومحمد فلسطيني» قال لي:

- اتركه إنه معاد للثورة.

- أي ثورة؟!

- الثورة الفلسطينية.

- يعني ليس جريدتنا؟!

- ضحك وقال :اسأله..

- أراه منعزلاً..

- غاضب دائماً.

- وأنت؟!

- غاضب أحياناً.. ومرح أحياناً..

- متى تكون مرحاً؟!

- عندما أستطيع ادعاء النسيان.

كان غضبهما أشد من كل ما توقعته.. كل من مرّ في الشارع المجاور لمقصف الجامعة – لم أعد أتذكر إن كانت جرت تسميته مقصف الأرزوني وقتها - سمع إما الصياح وإما تكسير الكاسات والطاولات.. وإما..

ما الذي جرى؟!

اقتربت من الموقعة.. فنظر إليّ ناجي بغضب وشتمني مع الثورة، ووصفها ب «الكذابة».. وأنا«ياغافل الك الله».

لم أفهم ما جرى.. إلا عندما تطوع يوسف عامل المقصف فقال لي:

كان «محمد وناجي» يتحدثان عن معركة الكرامة.. هذا يقول: «الفدائية» وذاك يقول «الجيش الأردني».. وهكذا اشتد بهما الغضب وحصل ما تراه.

قلت:

- فظيع..

قال يوسف:

- شو فظاعته..كل يوم لدينا شيء كهذا..

- معقولة..!؟

- ولو يا أستاذ.. شو أين تعيش؟!

- منذ متى؟!

- من الحرب.

فهمت تقريباً ما جرى.. لكن لم أفهم علاقتي في ذلك كله.. حتى أخبرني محمد أن ناجي يعتبر الثورة أحد المنابر التي زيفت الحقيقة حول معركة الكرامة في أغوار الأردن «١٩٦٨».

لم يطل الزمن حتى أصبح العداء سافراً بشكل أكثر.. إلى درجة أن كل الأطراف «ليس طرفين وإنما أكثر».. كل منها يعتبر نفسه البريء المظلوم.. مع شعور داخلي بالتقصير والحيرة.. ثم اللهاث خلف أي شبح لنصر ما.. ولو كان بالتحليل والاستنتاج..

لم يكن ثمة شيء في الدنيا دقيق وصحيح يستطيع أن يبرر ما جرى.. إلا الحرب أو الاستعداد للحرب.. وأي أمل في هذا الاتجاه كان مبعث الخلافات والاصطفافات.

ظلت الثورة ملتزمة خطها اليساري الواضح.. الداعي لإزالة آثار العدوان..وما أُخذ بالقوة لن يسترد إلا بالقوة.. وتجنيد الجماهير لحرب التحرير الشعبية.. و.. الخ

إخلاص النيات واختيار الانتماء الفكري لم يكن كافياً لإقناع كل الناس بمسيرة الرضا.

وبدأت الخلافات تظهر على السطح.

عرفت «الثورة «طيوفها.. وشهدت آثارها.

هل ثمة من يستعد للحرب؟!

لم يكن لأحد أن يعلم.. لكن.. بذاك الاتجاه يمكن أن يستعيد الرجال رجولتهم.. وأن يجد الناس ما يلتفون حوله.. عندما أسرعوا إلى البندقية الفلسطينية بحثاً عن الرضا.. كان لكل رايته، فتعددت فيها ومن ورائها الرايات.. وتراجعت الآمال..

يشرِّقون .يغرِّبون.. من الباب إلى النافذة.. من الحقل إلى المنزل.. والدنيا عاصفة بَرد، تتلف كل شيء وهم عاجزون إلا عن الغضب.

قال لي رحمه الله:

- اختر لك امرأة من هذا الصف.

كان يحمل بيده صورة اصطفت عليها نساء بـــ «المايوه» استعداداً لانتخاب ملكة جمال الكون.

- هذه..
- لا تناسبك..
- لماذا؟
- هذه امرأة إثارة.. تحتاج إلى رجّال..
- ماذا ينقصني؟
- لم يعد بيننا رجال.
- منذ متى؟!
- منذ حرب حزيران.
- فإذاً..
- اختر لك واحدة تصلح للبيت.. طبخ ونفخ.. ولا تطالبك بشيء آخر.. هذه..

أشار بيده إلى صورة امرأة جميلة.. فقلت:

- ما بها؟!
- لا أتخيلها.. ستسكت عن رجال فقدوا رجولتهم.

* * *

بعد عام ونصف العام، أكثر بقليل، أقل بقليل، مازال الألم يعتصر النفوس، واليأس يقبع خلف ستار من هواء. ما يطرح على الناس .. على الشارع .. على العالم .. في صحيفتنا وغيرها، أبأس من أن يثير تلوينا

للستار الهوائي ليمنع ظهور اليأس. والخلافات في القيادة التي تتسرب أخبارها همسا لا لمسا توزعنا ببساطة توزع الذين لا يعرفون إلا ما يطرح عليهم وغالبا شعارات تدفع للتثاؤب أكثر مما تدفع للحماس ..

شوارع المدينة شهدت حفرا للمقاومة ،لا أدري لماذا لم يحاسب على حفرها أحد حتى اليوم .. ورسم تحت اسم المجهود الحربي يدفعه الناس دون رغبة أو رفض .. وصوت يصرخ :

"حرب التحرير الشعبية"

في الإعلام شرحناها كثيرًا .. حفظناها للناس .. ومن لم يحفظها، ساعدناه على حفظها ، توصيفا للمشاعر المفترضة بقوة الإعلام يقول:

"مشاعري هي مشاعر كل مواطن عربي حر يؤمن بقوميته وعروبته وأن حرب التحرير الشعبية هي الطريق الوحيد لتحرير فلسطين"

مازلت أحفظها ..

في تلك الحقبة زارنا العقيد معمر القذافي، قائد ثورة الفاتح، لم تكن ألقابه قد اكتملت بعد .. لكنه طاووس بمعنى الكلمة .. يستمد من الرئيس عبد الناصر أنه أنعم عليه بلقب "الأمين على القومية العربية" .. وهو الخطاب الذي آخذ منه هذه الفقرة فقط، وأظنها لا تستمر أكثر من دقيقة إلى دقيقتين، ليسمعها كل من حضر مؤتمر القمة الأخير للقذافي في سيرت على مدى الليل والنهار تكرر وتعاد.

حماسة القذافي تلك الفترة للمفاهيم الكلاسيكية في النضال واضحة .. فلم يبتكر بعد رؤاه الخاصة "الكتاب الأخضر .. الجماهيرية .. سلطة اللجان الشعبية .. الخ.." . على العكس من ذلك خاض حوارا واضحا مع القيادة عندنا حول صلاحية حرب التحرير الشعبية .. للتحرير .. فهو كان يرى أن مقاتلة إسرائيل تكون بالجيوش النظامية، أما الحرب الشعبية فهي عامل مساعد ..

طرح ذلك في خطاب له في دمشق .. وقاطعه أكثر من مرة جمهور يهتف لحرب التحرير الشعبية ..

سيكون من الظلم أن نعتبر أن طرح الشعار في تلك الفترة والحماسة له .. واللهاث خلفه .. استوعب كل الجهد المبذول لإعادة ترتيب وضع الجيش والجبهة حيث كان الوقع المادي الأشد للهزيمة ..

دفعت سورية تلك الفترة الكثير لتحصين الجبهة التي رسمت خطوطها وقائع حرب حزيران .. ودفعت الأكثر لإعادة تجهيز الجيش وتدريبه .. وهو المشروع الذي تتوج بعد بضع سنين بحرب تشرين ١٩٧٣ .

رغم كل شيء .. حصل فعلا في سورية أن يدا حملت البندقية وأخرى حملت المعول .. لكننا أرهقتنا الروح بما لا يلزم ولم يقدم أي فائدة فيما بعد .. لأنه لم يوضع في إطار برمجة معركة "الجيش الشعبي مثلا" .

وحصل فعلاً في صحيفتنا أنها حملت لواء الدفاع عن اليسار والثورة والتحرير ..

رفضت سورية طلب المساعدات من غيرها ..

رفضت "الثورة" التشبه بغيرها من الصحف ..

لعله كان ينقصها الإثارة والاستثارة .. لكن بجد لم يكن ينقصها الاحترام .. ولاسيما والجو العام للشارع السوري والعربي وكذلك الشارع الدولي كان يزخر برايات الثورة والاشتراكية العلمية ..

أجواء الهزيمة فرضت تحالفا، ربما غير سياسي، بل وطني.. بين القيادات العربية المهزومة.. والشارع الذي رأى في سقوط هذه القيادات مخاطر وطنية ..

قال عبد الناصر:

أنا هزمت وسأتنحى ..

قال الشارع المصري:

بل هزمنا معك ..

وخرجت العبارة الشهيرة:

"حنحارب" ..

انتشر الصدى على مساحة الوطن العربي .. بل شهدت القضية تعاطفا دوليا معلنا في وجه غطرسة إسرائيل بعد انتصارها في حرب ١٩٦٧ .

مثل عبد الناصر تلك الفترة نقطة استقطاب، ومصدر رأي، على الرغم من تراجع شديد في جماهيريته .. وعرف أنه ليس بالشعارات وحدها تقاد الأيام .. فتح أبوابا خارجية غير مباشرة - ربما مباشرة - لمشروع السلام الأميركي غير الناضج في حينه .. صيغة روجرز أو غيرها .. لكن هذا المشروع كان بطيئا أو ربما غير جدي ..

رحلات السفير "غونار يارينغ" ممثلا للدول الأربعة دائمة العضوية في مجلس الأمن .. كانت تستقبل عندنا بنوع من الإهمال المتعمد ..

لا أذكر مقالات كثيرة - بصراحة لا أذكر شيئا - من تعامل إعلامي في صحيفتنا مع مهمة يارينغ .. إلى درجة أنك إن أراد أحد متأثراً بموقفنا أن يتخذ موقفا من مهمة يارينغ لم تكن الجريدة تقدم له الدعائم المعلوماتية الحقيقية لما يجري ..

رحلات مكوكية بلا جديد .. أتراها .. مازالت مستمرة حتى اليوم ..؟!

في سهرة جمعتني مع عدد من أصدقاء بينهم الراحلان سهيل خليل والشاعر أديب عزت المعروف باسم "أبو الفتح ".. وكان رجلا جميلا طيبا صاحب "بوزات" بريئة ويحاول أن يكون شاعرا .. المهم في تلك السهرة قرأ لنا قصيدة في رسالة موجهة إلى غونار يارينغ .. أدهشتنا القصيدة برومنسيتها وبكائيتها .. وطأطأنا الرؤوس احتراما لأدب الهزيمة..

لم تنشر جريدتنا القصيدة .. ورفضت بموقف شخصي تجاه "أبو الفتح" تحت حجة أنها من أدب الهزيمة ..

قال أبو الفتح:

- ألستم صحافة الهزيمة ..؟!

- هل كنا ؟.. هل بدنا كذلك ..؟!

إلى أين نمضي..؟!

افتتحت الثورة عام ١٩٦٩ بعدد من ١٢ صفحة، فقد أضافت ثلاث صفحات عن أحداث العام المنصرمة، وبصفحة حربجية على الصعيد العسكري والديبلوماسي والسياسي.. المانشيت الأحمر قال:

أوامر للأسطول السادس بالاتجاه إلى شواطئ المتوسط الشرقية

ونصت المانشيتات العريضة الأخرى على:

فيما يواصل مجلس الأمن مناقشته للعدوان.. اليافي يعلن وجود حشود صهيونية على الحدود

تبادل الاتهامات الحادة في مجلس النواب اللبناني وأنباء عن استقالة وزارة اليافي

إده يقول: إن معلومات عن العدوان تسربت إليه قبل وقوعه

طلاب كليتي التجارة والاقتصاد يعتصمون مطالبين بالتسلح وإطلاق حرية العمل الفدائي

أخبار وقطع الصفحة الأولى كلها كانت عن الصراع المستمر مع العدو الصهيوني:

مجلس الأمن يدين الصهاينة بالإجماع.

الصهاينة في أميركا يحاولون إقتحام مبنى مجلس الأمن.

الدعوة إلى الإضراب في الضفة الغربية المحتلة.

جماهيرنا العمالية تعلن وقوفها إلى حانب نضال الشعب اللبناني.

العويني يحيط سفراء الدول الكبرى علماً بالتهديدات الصهيونية ضد لبنان.

خريجو جامعة بيروت العربية يدعون إلى اجتماع وطني عام لمجابهة الموقف.

عملية قرصنة خطيرة يقترفها العدو ضد الأردن.

سلطات الاحتلال تقيد حرية التنقل داخل الأراضي العربية المحتلة.

هذا ما ورد في الصفحة الأولى في العدد الصادر في اليوم الأول من عام ١٩٦٩.

الصفحة الثالثة أتت أدبية، ولم تستطع أن تستوعب كامل مسرحية بفصلين لنواف أبو الهيجا بعنوان "سودرا" والإشارة أنها "صفحة نصف أسبوعية".

الصفحة الثانية استمرت ذات طابع إخباري دولي، والرابعة أخبار محلية والخامسة أيضاً شؤون محلية حوت تحقيقاً لموفق النعال حول مشروع تطوير الغاب.

الصفحة السادسة خصصت لأخبار الوطن العربي.. اعتادت الثورة أن تخصصها صفحة ثقافة وأدب.

الصفحة السابعة جاءت إخبارية وتتمات وضمت أيضاً كاريكاتيراً لعلي فرزات.

الصفحة الثامنة والأخيرة جاءت منوعة وصور لعبد الكريم نداف وزاوية معاً على الطريق لرفيق صبان بعنوان "الطباشير العربية".

الأربع صفحات التالية كانت لرصد أحداث العام المنصرم ١٩٦٨.

تتابع الثورة أيامها في العام الجديد على المنحى ذاته، لكن في عدد اليوم اللثاني من العام حوت الصفحة الثالثة تحقيقاً لعبد الله السيد حول هجرة الريف إلى المدينة وأعطي الصفحة اسماً كل أسبوع.

الرابعة والخامسة محليات والسادسة أخبار الوطن العربي والسابعة أخبار وتتمات وكاريكاتير لعلي فرزات. الصفحة الأخيرة على هويتها مع ظهور زاوية "كل صباح" لعيسى علاونة بعنوان الشعب يقول.

في اليوم الثالث تضعنا الصفحة الثالثة أمام صفحة سياسية بعنوان "العالم الغربي" تقديم قسم الدراسات يظهر فيها اسم هشام الدجاني كاتباً للمادة الرئيسية، وبقية الصفحات على حالها. وفي الصفحة الثامنة يوقع "فوز" زاوية كل صباح وطالب أبو عابد زاوية معاً على الطريق بعنوان الحياة غالية.

بهذا الشكل نرى أغلب صفحات الجريدة الثماني ذات طابع إخباري مما يؤدي إلى تراجع عدد أسماء الكتاب في الصفحات.. وهم محصورون على الصفحة الثالثة وتقريباً زاويتين من الصفحة الأخيرة.. والافتتاحية المستمرة في الظهور على يسار الصفحة الأولى تحت اسم صوت الثورة.

في عدد ١٩٦٩\١\٤ تعلن الثورة على صفحتها الأولى عن ملحق سياسي اقتصادي مجاني، ويشير الإعلان إلى أنه يصدر كل ثلاثاء.

في العدد التالي ١\٥ يشير مانشيت الصحيفة باللون الأحمر إلى:

قرار الحكم على المشتركين في مؤامرة ١٠ حزيران.

وتقول المقاطع الأولى في الخبر:

أصدرت محكمة أمن الدولة العليا أمس برئاسة الرفيق محمد سعيد طالب عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي أحكامها في قضية مؤامرة العاشر من حزيران ١٩٦٧ على سلامة وأمن الثورة في القطر العربي السوري التي كان قد اتهم فيها ٧٧ شخصاً حوكم منهم حضورياً ٥٥ متهماً بينما حوكم الباقون غيابياً.

وقد ضمت المحكمة في عضويتها كلاً من القاضي السيد لطفي النائب والمقدم حازم البني وممثل النيابة العامة في هذه الجلسة السيد أبو الخير عابدين، نظراً لتغيب النائب العام الأصيل في مهمة رسمية خارج القطر.

وقد قضت أحكام المحكمة التي اتخذت بالإجماع بالأشغال الشاقة المؤبدة على كل من خالد الحكيم والوليد طالب ونبيل الشويري ومصطفى البرازي وعبد الوهاب البكري وصلاح البيطار وأحمد راتب عرموش وعادل

عيسى وبالسجن لمدة عشرين سنة على عبد الرحيم بطحيش ولمدة ٢٢ سنة على كل من نذير النابلسي ولورانس الشعلان.

وتتابع الصحيفة نشر نص قرار الحكم ووقائع المحكمة على تسع صفحات مما يضطرها للصدور بـــ ١٢ صفحة كي تستوعب، ونصف صفحة مكتظة وبحرف صغير. وكما هو واضح من الأسماء فإن هذه الأحكام تتناول مجموعة قيادة البعث "عفلق - البيطار".

طبعاً فقد العدد طبيعته وهويته نتيجة هذا التحميل غير الطبيعي عليه.

يوم ١\١٦ يظهر على الصفحة الأولى من الجريدة إعلان آخر لملحقين.. الأول الملحق السياسي الاقتصادي صباح كل ثلاثاء.. والثاني الملحق الأدبي الفني الذي يصدر كل خميس.

والحقيقة أن الصحيفة لم ترض تلك الفترة بملحقين، بل أضافت لهم ملحق ثالث "تسلية" وكانت رئاسة التحرير تفكر بملحق رابع أو أي إضافة تضمن زيادة عدد القراء.. ذلك أن مديرها العام ورئيس تحريرها نصر شمالي، اهتم كثيراً بتوزيع الصحيفة وزيادة عدد قرائها.

وما من شك أن إصدار كل هذه الملاحق الأسبوعية بقدر ما كان عملاً موفقاً على صعيد الأداء الإعلامي، كان مرهقاً لصحيفة تملك مطبعة محدودة الإمكانية بثلاث آلات "إنترتيب" ومعمل زينكوغراف واحد.. وآلة دوبلكس واحدة "رول طويل". وقد تطلب ذلك الضغط الشديد على الكادرين البشري والتقني بما سيؤدي فيما بعد إلى توقفهما جميعاً.. إضافة إلى تطورات أخرى في البلد أثرت في ذلك.

من جانب آخر فلعل صدور الملاحق – لم نستطع الاطلاع عليها – يفسر قلة عدد الكتاب في العدد الأساسي. يذكر هنا أيضاً أن جاد بوز كان يشرف على الملحق السياسي الاقتصادي من خارج الجريدة غالباً.. وممدوح عدوان كان يشرف على الملحق الأدبي الفني.

في عدد الاثنين ١\١٦، مانشيت جانبي "فوق الأحمر":

إيفاد رئيس القسم الجزائري في جامعة دمشق للدفاع عن الفدائيين العربيين في أثينا

جاء في الخبر:

نقابة المحامين توفد الفاضل للدفاع عن الفدائيين العربيين

قررت نقابة المحامين بدمشق إيفاد الدكتور محمد الفاضل رئيس القسم الجزائري في جامعة دمشق للدفاع عن الفدائيين العربيين المحتجزين في اليونان والاتصال بجميع المنظمات الحقوقية الصديقة في اليونان وتنوير الرأي العام العالمي بملابسات الموضوع، كما يقوم الدكتور الفاضل بطرح العدوان الصهيوني الامبريالي على الأمة العربية أمام الرأي العام العالمي والبحث في الجرائم الصهيونية التي ترتكب ضد المواطنين العرب في الأرض العربية المحتلة.

على الصفحة الثانية تحقيق مشترك لجلال خير بك وكنعان فهد وهما من الكوادر الجديدة حول دور الجمعيات التعاونية في إنجاز التحويل الاشتراكي، وزاوية "معاً على الطريق" على الصفحة الأخيرة لبديع بغدادي.

في عدد الخميس ١\٩، على الصفحة الأولى تبادل رسائل بين نور الدين الأتاسي وجمال عبد الناصر والمانشيت الأحمر **"سورية والمتحدة متفقتان على طريق الكفاح المسلح"**.. الافتتاحية أيضاً تأتي بعنوان السياسة في خدمة الكفاح المسلح، وفي زاوية الصفحة الأولى العليا اليمنى دعوة للقارئ للحصول على الملحق الأدبي مجاناً. على الصفحة السابعة تلتقي الثورة الدكتور محمد الفاضل قبل سفره إلى أثينا للدفاع عن الفدائيين الذين قاما بمهاجمة طائرة العال الإسرائيلية في مطار أثينا.

في عدد ١٠ كانون الثاني.. صوت الكفاح المسلح مستمر والعناوين عن تحركات حشود صهيونية في غور الأردن.. خبر رئيسي يقول إن ليفي أشكول رئيس وزراء إسرائيل وموشي دايان وزير الدفاع فيها يهاجمان الرئيس الفرنسي ديغول.. وكانا لا يزالان بنشوة نتائج حرب ١٩٦٧.. وعلى

الصفحة الأولى ثمة خبر صغير عن اجتماع لجنة برئاسة المرحوم سليمان الخش "كان وزيراً للتربية في حينه" لتخليد ذكرى فقيد العروبة زكي الأرسوزي.

على الصفحة الثالثة تحقيق للمرحوم موفق النعال عن السوق العربية المشتركة ويستمر غياب صفحة الأدب، وعلى الأخيرة رفيق الصبان في زاوية معاً على الطريق.

في عدد السبت، تتابع الصحيفة مسيرة الصراع مع إسرائيل على الصفحة الأولى.. وتظهر صورة صغيرة لصلاح جديد الأمين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي الذي قلما تظهر صوره والخبر عن محاضرة له يفتتح بها دورة الإعداد النقابي السياسي الثالثة.

في العدد ذاته تظهر الصفحة الثالثة بعنوان "صفحة نصف أسبوعية.. صفحة قصة ودراسة وشعر وكتب ونقد وزجل.." وهي على سعة ما أشار عنوانها كانت صفحة نصفية لتحتل الإعلانات نصفها الثاني.. وتوضح الصفحة أن الجريدة مستمرة في تغييب صفحة الأدب والثقافة ليتولى المهمة الملحق الأدبي الأسبوعي والصفحة الأخيرة المنوعة إلى حد ما.. في نصف الصفحة الأدبي، مقال لزهير بغداد يتحدث فيه عن مسرحية سودرا لنواف أبو الهيجاء الذي كان نشرها في الصحيفة منذ أيام.

وفي هذا العدد تتابع الثورة نشر ترجمة لكتاب "هؤلاء هم عملاء المخابرات المركزية الأميركية".

عدد الأحد ١٢ كانون الثاني يلاحظ الاهتمام المتكرر بأوضاع في لبنان والأردن وفلسطين.. وللذين عايشوا تلك الفترة أن يؤولوا أن في ذلك هرباً من شيء ما يحصل في سورية..

هناك صورة كبيرة مع عنوان محاضرة للدكتور ابراهيم ماخوس في الدورة الثالثة للإعداد النقابي.. وصور لوزير الإعلام الأستاذ أسعد صقر يستقبل السفير الفرنسي.

في عدد الأحد١٢ كانون الثاني يذكر خبر بارز في الترويسة اليمنى للصفحة الأولى أن عصابة السطو المسلح التي كانت تنتحل صفة رجال الأمن وقعت في قبضة العدالة واعترفت بجرائمها..

ويشير الخبر على الصفحة السابعة حيث نشر كقضية رئيسية إلى أن العصابة تتألف من خمسة "مجرمين" يرأسهم "فيصل أسعد" ومعه في العصابة صالح عرجاوي وأحمد مأمون بن عبد الوهاب الحمصي البندقجي ورياض دعدوع. وكان للخبر وقع خاص ربما تحديداً بسبب فيصل أسعد الذي كان يطرح نفسه حامياً للنظام السياسي يحق له في سبيل ذلك أن يفعل ما يشاء.. ولم يمنعه أحد حتى اكتُشف يقود عصابة مسلحة.

بعد ذلك وفي إطار سياسة الجريدة الراغبة في زيادة كمية التوزيع نشرت الصحيفة أكثر من تحقيق لطالب أبو عابد "جيدة كنوع صحفي" تابعت فيه ما أقدمت عليه هذه العصابة وانتهت التحقيقات بخبر يقول: أن والد فيصل أسعد سلم صندوقاً معدنياً إلى الأمن بعد أن اطلع على ما نشرته صحيفة الثورة.. وجد فيه "٢٩٧٠٠" ليرة ومجموعة قطع ذهبية.. وهناك صورة للصندوق والمال والذهب المستخرجين من داخله.. وللعلم فإن ٢٩٧٠٠ ليرة كانت كافية في حينه لشراء ثلاث شقق مقبولة في دمشق أو واحدة فخمة جداً.

في عدد اليوم التالي، أيضاً صورة كبيرة "خمس أعمدة" للدكتور يوسف زعين محاضراً في الدورة ذاتها والعناوين للعمل الفدائي.

في عدد الأربعاء ١٥ كانون الثاني هناك وقفتان، الأولى مع خبر مع صورتين شخصيتين يقول عنوانه:

الرفيقان جديد وحبش يتفقدان المناطق المتضررة بالفيضانات في محافظة الحسكة

وقفتنا الأولى عند "فيضانات في الحسكة.."

أما الوقفة الثانية فهي مع إعلان على الزاوية اليمنى العليا من الصفحة الأولى تقول مع هذا العدد هدية قيمة أطلبها من البائع مجاناً.. وهي إشارة تؤكد ما ذهبنا إليه من اهتمام نصر شمالي الشديد بتوسيع توزيع الصحيفة.

المانشيت الأحمر يقول:

الأزمة الوزارية في لبنان تدخل مرحلة حادّة..

تتابع الصحيفة على الخطى ذاته..محلياً التحويل الاشتراكي.. وعربياً القضية والصراع مع إسرائيل.. ودولياً القضايا الثورية التحررية وخصوصاً حرب فيتنام.

في عدد الاثنين٢٧ كانون الثاني، يظهر على الصفحة الأولى اهتمامان.. الأول بجريمة قتل تقول الصحيفة إن صاحب مدرسة خاصة ارتكبها بحق المرحوم محمد مصطفى جويد المدير المنتدب في مدرسته.

والثاني يتحدث عن إصدار أحكام إعدام على سبع مدانين بالتجسس.

واضح في الصحيفة بعد اختتام الشهر الأول من العام ١٩٦٩، أنها مالت إلى اجترار الإضافات التي أدخلها نصر الشمالي بحماسته ومقدرته.. متأثرة باستقطاب الملاحق للمواد والكتاب، وسادت عليها الصفحات الإخبارية.. وهذا مبدئياً مقبول.. لكن الصحيفة تقرأ بصفحاتها لا بملاحقها! على أن سياسة نصر شمالي ظلت تركز على توزيع الجريدة.. وهذا شيء جديد يشذ ولو قليلاً على أولوية المهمة العقائدية للصحيفة.. ونلحظ في هذه الفترة محاولة طيبة للمواءمة بين الاثنين.. أعني الاتجاه العقائدي.. والعمل لتوسيع دائرة توزيع إقليمية.. وتستعرض هناك نموذجاً لهذه المحاولة.

في عدد السبت ١ شباط كانت مانشيتات الثورة كالتالي:

كيف قتلت عصابات "القوميين العرب" الطالب كمال عز الدين..

نقلوه إلى وكر سري.. وقال له جورج كتن عضو اللجنة المركزية: أنت محكوم بالإعدام ونفذ به الحكم فوراً.

الجماهير تطالب بإحالة جرائم عصابة السطو المسلح، وقتل الطالب كمال عز الدين، واغتيال المعلم جويد إلى محكمة أمن الدولة.

في اليوم التالي تتابع الصحيفة على الصفحة الأولى بمانشيتات وبونط عريض تفاصيل الجريمة و"العصابة" مع صور أفرادها "المزعومين" جورج كتن.. وليد مبيض.. عبد المنعم مراد.. زهير كنفاني:

الإرهاب والاغتيال والتصفيات الجسدية تحت ستار "الخلاف المذهبي"

عصابات (القوميين العرب) تجسد شعاراتها الأولى "دم، حديد، نار"! في عمليات القتل والحرق.

أسلوب اغتيال الطالب كمال عز الدين يعيد إلى الأذهان أساليب عصابات القوميين السوريين.

وهنا مقدمة الخبر:

"بعد سلسلة من موجات الفشل والتخبط التي عانت منها عصابات القوميين العرب، وبعد أن افتضحت كل مناوراتهم وأساليبهم التخريبية المضللة راحوا الآن يفتكون ببعضهم بعضاً.. قرروا أن الاغتيال وسيلتهم لحسم الصراعات بين رؤوسهم المتطاحنة، ولم يعد "زي اليسار واليمين" الكاذب الذي يتزيون به قادراً على أن يضفي على جرائمهم الإرهابية مسحة "الخلاف المذهبي".

وتتابع الصحيفة تحقيقاتها المثيرة حول المسألة.. بالكلام والصور والغرض الذي لا يخبئ نفسه:

- الإثارة وزيادة مساحة التوزيع.
- الاشتباك العقائدي مع القوميين العرب.

في بضعة أعداد تتابع الثورة على الصفحة الأولى مسألة اغتيال قيادي بعثي في العراق هو عبد الكريم مصطفى نصرت. كما تتابع عدة أعداد احتفالات بذكرى ثورة شباط وهي ثورة البعث في العراق.. طبعاً كان قد انتهى حكم البعث بفعل حركة عبد السلام عارف. ويلاحظ أن الصحيفة استمرت طويلاً في معارضة ما كانت تسميه"الحكم القائم في العراق" وبشكل يومي تقريباً وبمانشيتات الصفحة الأولى.

تتألق في هذه الفترة تحقيقات عبد الله السيد ويظهر كل من إسكندر لوقا ومسعف البارودي والمرحوم خالد بشار كتاباً لزاوية "معاً على الطريق".. كما تظهر مقالات على الصفحة الأخيرة لكتاب مصريين بارزين "أحمد عبد المعطي حجازي.. نبيل فرج.. وغيرهم"..

في عدد الثلاثاء ١٨ شباط تنقل صفحة الأدب إلى السادسة لكن تبقى تحت اسم "صفحة نصف أسبوعية".. ويظهر فيها كتاب:

صبحي حديدي وبندر عبد الحميد، شاعرين.. سامي حمزة ومنذر عبد الحميد.. قاصين.. إضافة إلى ترجمة شعرية وملاحظة للمحرر.

في عدد ١٩ شباط.. على ترويسة الصفحة الأولى من اليمين إشارة تقول:

تحقيق مصور عن مجرمي عصابات القوميين العرب /ص ٦

على الصفحة السادسة نجد تحقيقاً طويلاً لا تستوعبه الصفحة.. وهو إعداد طالب أبو عابد وسهيل زيدان تحت عنوان:

عصابات القوميين العرب مرة أخرى:

الحقائق تفضح من جديد أكاذيب عصابات القوميين العرب وجريدة الحرية اللبنانية.

ومن الصور المنشورة في الصفحة نستفيد أن جريدة الحرية لصاحبها محسن ابراهيم "قوميون عرب".. تتهم النظام السوري بقتل الطالب كمال عز الدين الذي يشكل مقتله موضوع التحقيق الرئيسي.

وتقول صفحات الحرية المصورة في الثورة:

مقتل الطالب الجامعي كمال عز الدين

في أقبية مخابرات البعث الحاكم في سورية

اعتقالات واسعة تشمل المزيد من العناصر التقدمية

وتضيف في صفحة أخرى:

الحكم السوري يواصل تهمه الملفقة للمناضلين جورج كتن ووليد مبيض.

ويستند تحقيق الثورة إلى اعترافات المتهمين أمام مدير السجن، وإلى ما أورده قاضي التحقيق "توفيق صالحة" من إجابات عن أسئلة الزميلين طالب وسهيل، وقد أشار صالحة أن المحامين عبد المنعم مراد ومظهر الشربجي، يتوكلان عن المتهمين وليد المبيض وجورج كتن - القاضي توفيق صالحة هو ذاته الذي أصبح فيما بعد عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الإشتراكي - .

على الصفحة الأخيرة من هذا العدد.. صور ولقاءات من معرض الفنانين المرحوم سعيد مخلوف والياس زيات ومقطع شعري بعنوان أحزان ليلة الميلاد للشاعر نزيه أبو عفش.

في هذه الفترة يلاحظ تكرار صور شخصية ونشاطات للمرحوم صلاح جديد وغيره من شخصيات قيادية.. يوسف زعين.. عبد الكريم الجندي مدير مكتب الأمين القومي وعضو القيادة القطرية.. ولننتبه هذه المرحلة شهدت مخاض الحركة التصحيحية.. ستتصاعد الأحداث والتوتر والمشاحنات وأكثر من ذلك بين فريقي القيادة، الأول يترأسه نور الدين الأتاسي وصلاح جديد والثاني يترأسه حافظ الأسد ومصطفى طلاس.

في عدد ٢١ شباط الصورة الرئيسية على الصفحة الأولى، صورة كبيرة نسبياً لصلاح جديد ولجمهور يتلقى محاضرة له عن آفاق استراتيجية الحزب في المرحلة الراهنة.. وصور أيضاً عن المحاضرة والمحاضر في الصفحة الأخيرة..

هل أرادت الصحيفة أن تعلن موقفاً من خلال ذلك.. علماً أنها غالباً حاولت أن تظهر حياداً ولم تكن محايدة تماماً..

في هذا العدد "الجمعة" صفحة بعنوان "العالم الثالث" وتحوي مقالاً يحمل الرقم ١٢ بعنوان القصة الكاملة لأمريكا اللاتينية.. وهو مقال مترجم عن الفرنسية للمرحوم وليم مسوح ونشر على صفحة كاملة تحت عنوان:

البرازيل.. تناقضات لا حل لها.

اليوم التالي ٢٢ شباط هو المصادف لعيد الوحدة وفيه إفتتاحية مع ملاحظة تراجع تواتر المقال الافتتاحي.. عنوان المقال أيلول وحزيران وجهان لمؤامرة واحدة.. والمقصود أيلول الإنفصال وحرب حزيران ١٩٦٧.

نأخذ من الافتتاحية فقرتين منسوبتين إلى الأمين العام للحزب "نور الدين الأتاسي".. مع ملاحظة أن هاين الفقرتين تعطيان عنواناً للتفكير الذي ساد في سورية وفي حزب البعث العربي الاشتراكي تلك الفترة.. وجوهره الربط بين المؤامرة كفعل سلبي والنظام التقدمي عموماً، كموقف إيجابي متآمر عليه.. وطبعاً كان في إطار ذلك نظام حزب البعث العربي الاشتراكي.. والموقف تطور إلى حدود القول إن حرب حزيران فشلت لأن غايتها كان إسقاط الأنظمة التقدمية "عبد الناصر والبعث" ولم تستطع ذلك..؟!

فيما بعد سيظهر من تصريحات ومواقف للرئيس حافظ الأسد أنه لم يكن مع هذا التحليل.. وقد رد يوماً في مؤتمر للحزب على أحد أعضاء قيادات الحزب الذي قال إن العدو لا ينظر إلى إلعرب كرقم قطيعي.. فقاطعه الأسد بأن العدو ينظر إلى العرب كرقم قطيعي لأنه يريد الأرض..

لعل ذلك يشكل أحد جوانب وأسباب الخلافات الحادة في القيادة – أقول أحد وليس كل – وهو يطرح سؤالاً.. هل رأى البعثيون في حينه أن نظام حكمهم في سورية أهم من الأرض؟!

هل يفسر ذلك اصطفاف معظم الحزبيين خلف صلاح جديد أكثر من اصطفافهم وراء حافظ الأسد؟! ستتابع الأحداث ونرى.. الآن دعونا نأخذ فقرتي الافتتاحية:

وكما قال الرفيق الأمين العام للحزب في الذكرى الأخيرة للردة التشرينية: إننا إذا فتشنا عن أسباب النكسة والهزيمة في ٥ حزيران فإنا سنجد حتماً أن الأسباب الحقيقية تكمن في ٢٨ أيلول.

إن الأهداف التي سعى الانفصاليون إلى تحقيقها في ٢٨ أيلول هي نفسها التي سعى الغزاة الصهاينة إلى تحقيقها في ٥ حزيران وإن الدماغ الذي خطط للهجمة الانفصالية هو نفسه الذي خطط للهجمة الصهيونية.

في العدد نفسه نقرأ على الصفحة السادسة التي ضاعت هويتها تماماً تقريراً إخبارياً بعنوان:

مؤتمرات الحزب أكدت على استمرار النضال لتحقيق الوحدة بمضمونها الاشتراكي الشعبي.

والمفارقة أن الصورة المنشورة مع التقرير هي من زيارة وفد ضم الأتاسي وجديد مع الرئيس عبد الناصر، وأخذ منها صورتان، بينما الصورة الثالثة لقاء بين زعين وعبد الناصر.

نشر التقرير لمناسبة عيد الوحدة بين مصر وسورية.. وبالتالي كأن في الأمر إشارة إلى أننا مازلنا معاً، رغم الاشتراط البعثي على الوحدة المتوفر في عبارة "بمضمونها الاشتراكي الشعبي". في ذلك إشارة إلى خلاف طال بين عبد الناصر والبعث أدى إلى استحالة العودة إلى دولة الوحدة.. ولما كان النظام السياسي في سورية، يحسن من موقفه السياسي بعرض علاقات طيبة مع عبد الناصر والمتحدة.. فإن هذه العبارة تأتي تبريرية.. علماً أن ثمة خلافات هامة بين النظامين.. إذ قبل عبد الناصر ولو دون مباشرة الدخول في مباحثات سلام "مبادرة روجرز".

نشر هذه الصور لا يعني فقط: نحن نعمل للوحدة.. بل هو يعني أيضاً: من نحن..؟!

وما يعنيه أكثر من ذلك بكثير أن الرئيس عبد الناصر كان يعمل جاهداً لعدم تفاقم الخلافات أو انفجارها بين طرفي القيادة السورية لأسباب استراتيجية ستظهر فيما بعد.. وسيظهر أيضاً من بيان الحركة التصحيحية القادمة التي حسمت الأمور لمصلحة الرئيس حافظ الأسد.. أن عبد الناصر كان يقوم بهذا الدور.

في اليوم التالي ترصد الصحيفة في صفحة كاملة منجزات حركة ٢٣ شباط "التصحيحية".

في عد ٢٤ نقرأ على السادسة صفحة أدب وإشارة إلى أنها تصدر صباح كل إثنين.. وفيها إشارة إلى الملحق الأدبي الفني كل خميس.

عدد ٢٥ على الصفحة الأولى إشارة إلى عدوان إسرائيلي.. وصورة للرئيس الأتاسي يعود أحد الجرحى.. وصورة أخرى لصلاح جديد مستقبلاً ياسر عرفات.

طبعاً كانت تلك أيام تصاعد العمل الفدائي والكفاح المسلح الفلسطيني وقد اجتمعت الفصائل تحت راية التحرير الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات.

على الصفحة السادسة تحقيق مصور للزميل هاني الحاج وتصوير كربيس بغدوريان حول العدوان.. كان الصدام بين إسرائيل وسورية يتم بصورة دائمة.

في عدد ٢٦ شباط .. مانشيت الثورة:

يارينغ يعود إلى قبرص لمتابعة مهمته.. وممثلو الدول الكبرى يواصلون مشاروراتهم..

هي مهمة السفير "غونار يارينغ" في مساعيه السلمية بين العرب وإسرائيل بصفته مبعوثاً دولياً.

على الصفحة السادسة من العدد نفسه صفحة فنية تقول إنها أسبوعية وتصدر كل أربعاء. على الأغلب بإشراف عبد الله السيد.. وهو الذي كتب المادة الرئيسية فيها بعنوان "الجمال والمأساة".. وكتبت السيدة ضحى القدسي مقالاً فيها عن الفن الياباني.

أشير في عدد ١ آذار إلى مقال في زاوية أضواء على الأخبار لفخري عباس.. وهو عراقي عمل في الثورة وتولى مهمة سكرتير تحرير الصحيفة. ويبدأ حدث التغطية لمنجزات "ثورة الثامن من آذار".. هكذا نصل إلى عدد ٣ آذار الذي يعلن بوضوح لم يعد قابلاً لأي تستر، حدة الخلاف في القيادة. الصفحة الأولى للثورة بكاملها تقريباً عن حادثة وفاة المرحوم عبد الكريم

الجندي وتشييعه وهو عضو القيادة القطرية للحزب ومدير مكتب الأمن القومي فيها.. الذي انتحر في اليوم السابق..

كان عبد الكريم الجندي مؤيداً دون تحفظ لصلاح جديد.. وخصماً أكيداً للرئيس حافظ الأسد.. وفي ظروف الخلاف التي تفاقمت كثيراً انتحر الرجل بإطلاق النار على رأسه. كانت الواقعة واضحة لا تقبل تعدد احتمالات.. وقد نشرت صحيفة النهار اللبنانية بعد يومين من الحادثة رسالة للجندي "شبه وصية" يعلن فيها اتجاهه للانتحار وموقفه من وزير الدفاع في حينه اللواء حافظ الأسد.

اهتمت الثورة برحيل الجندي كثيراً.. وأذكر أنها طبعت كمية كبيرة من صوره ووزعتها على كل النوافذ والأبواب والجدران وعدة دوائر أخرى..

في تلك الفترة أخذ طيف نصر شمالي يغرب عن الثورة.. وقد سكنت المخابرات مكاتب الصحيفة.. كنت أعمل في قسم التصحيح اللغوي وكان يرافقنا زوج من رجال الأمن.. قابلوا صور عبد الكريم الجندي والكتابات حوله بسخرية.

احتل التشييع الصفحة الأولى بكاملها تقريباً.. في الترويسة مقتطف للجندي يقول:

"إنني متفائل بمستقبل الثورة.. قد لا نشاهد انتصارها نحن.. وقد لا يتحقق انتصارها في أيامنا.. إلا أن النصر الكبير سيتحقق حتماً.."

وضع تاريخ لهذا القول ١ آذار، أي قبل الانتحار بساعات.. لأن الانتحار كان فجر ٢ آذار..

لمن قال عبد الكريم الجندي ذلك؟.. وكيف..؟!

ليس في الثورة ما يشير إلى ذلك..

على الصفحة الأولى كانت ثلاث صور كبيرة لتشييع الجثمان حتى مدخل المدينة.. والمانشيتات تقول:

الرفيقان الأتاسي وجديد والقيادتان القومية والقطرية والمنظمات الشعبية

وكبار الضباط يشاركون في

تشييع جثمان الرفيق عبد الكريم الجندي.

وتنشر الصفحة نعية القيادتين القطرية والقومية:

"تنعي القيادتان القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي بمزيد من الأسف الرفيق العقيد عبد الكريم الجندي الذي توفي بعد منتصف ليلة أمس، والقيادتان القومية والقطرية اللتان عرفتا بالرفيق العقيد عبد الكريم الجندي مناضلاً صلباً وحزبياً أميناً تسجلان في هذه المناسبة الأليمة مواقفه البطولية في تاريخ الثورة وتذكران بتاريخه النضالي الحافل بالتضحيات، تغمد الله برحمته وأسكنه فسيح جناته".

وكذلك نعية وزير الدفاع وضباط القيادة له:

"إن الفريق الجوي حافظ الأسد وزير الدفاع وضباط القيادة وكافة ضباط القوات المسلحة ينعون بكل أسى إلى الشعب العقيد الركن عبد الكريم الجندي الذي توفي فجر هذا اليوم الأحد الثاني من آذار عام١٩٦٩.

لقد فقدنا بفقده مناضلاً صلباً تمرس بالكفاح في سبيل قضية أمته وعرفته السجون مكافحاً لا يلين كما كان خلال خدمته العسكرية مثالاً في نكران الذات وفي أدائه للواجب.. إن تضحية العقيد في سبيل الرسالة التي حملها وآمن بها ستكون حافزاً لعناصر قواتنا المسلحة للسير على طريق النضال التي سار عليها والتضحية بكل شيء حتى تتحقق أهداف أمتنا."

من ١ وحتى ٨ آذار كانت الثورة تصدر بأربع صفحات وكان عبد الكريم الجندي يتصدر الصفحة الأولى والأخيرة يومياً بصور وأقوال مختارة. وما يذكر هنا أن تلك الفترة صادف مرور عيد الأضحى المبارك.. هل كان ذلك سبب تقلص عدد صفحات الثورة من ٨ إلى ٤ أم أنه بدأت عهد انحسار.

في ٨ آذار صدرت بـــ ٨ صقحات فقط.. وافتتاحية بعنوان "في الذكرى السادسة للثورة" تحدثت عن المنجزات.. وواضح أن تغطية الجريدة للذكرى كان محدوداً.

في ١٠ آذار تبدو الصحيفة كأنها استعادت أنفاسها.. بمانشيتات تتحدث عن الاشتباكات العنيفة بالمدفعية عبر قناة السويس بين العربية المتحدة وإسرائيل..واستشهاد الفريق عبد المنعم رياض. في هذا العدد يتوزع زاوية "أضواء على الأخبار"، وهي زاوية تعليقات سياسية على الصفحة الثالثة، فخري عباس ونمر حماد وميشيل كيلو. وفي اليوم التالي أضيف اسم حنا حتر وهو يساري أردني كان يقيم في سورية.

في عدد الخميس ١٣ آذار أشارت ترويسة الصفحة الأولى أنه لأسباب فنية لم يصدر الملحق الأدبي اليوم..؟! ولم تحدد له موعد إصدار آخر.. في حين تتابعت الإعلانات عن الملحق السياسي الإقتصادي صباح كل ثلاثاء..

عدد الإثنين وعوضاً عن الإعلان عن الملحق السياسي الإقتصادي غداً.. نشر اعتذار لأن الصحيفة صدرت بأربع صفحات لأسباب فنية.. وبالمناسبة طباعة الجريدة في حينه لم تكن تحتاج إلى إمكانات فنية خاصة عندما تكون بثماني صفحات.. مثلها.. مثل الأربع..

في اليوم التالي وهو يوم الثلاثاء موعد صدور الملحق السياسي الاقتصادي لا إعلان بطلب الملحق مجاناً من البائع..

وعدد الأربعاء أيضاً لم يعلن عن الملحق الفني الأدبي.. وعدد الخميس لم يعلن عن طلبه مجاناً من البائع.. إذاً لا أسباب فنية ولم تعد الملاحق للصدور وهي من مبادرات الأستاذ نصر شمالي، وأتذكر يومها أنني كنت من الذين استنفروا للمساعدة في إدارة المطبعة.. أنا وأحمد صوان وعبد العزيز المسوتي نتوزعها على ثلاث فترات.. وعندما جئت إلى الأستاذ نصر شمالي متردداً محرجاً أطلب إعفائي من هذه المسؤولية فقد اقترب موعد امتحاني.. وافق فوراً.

هكذا تتابع أعداد الجريدة، تثير تساؤلات دون أن تعلن عن حقيقة ما اعترى الوضع في حينه، إلى يوم الإثنين ١٧ آذار حيث يصدر عدد صحيفة الثورة رقم ١٨٣٩\١ يشكو حاله لكل ذي بال. عدد من أربع صفحات يعاني إختلالاً "حقيقياً".

الصفحة الأولى قطعة رئيسية تحتل نحو نصف الصفحة مع صورة ومانشيت:

قوات العاصفة تسقط ٨ طائرات صهيونية

لكن الصفحة لا تحتوي على أي خبر محلي على الإطلاق.. وفي ترويستها اعتذار يقول:

بسبب ظروف طباعية نعتذر لصدور الجريدة بأربع صفحات

نقلب الصفحة الأولى إلى الصفحة الثانية.. مجموعة أخبار محلية ودولية وتتمات وإعلانات "نحو ربع الصفحة"..

على الصفحة الثالثة.. مقال مترجم طويل يحتل معظم الصفحة بعنوان:

مستقبل الثورة في موزامبيق بعد مقتل الدكتور موندلاند.

وهناك زاوية «من وإلى»، وكانت إحدى الزوايا الجديدة في الجريدة تتعامل مع بريد القراء عموماً، وقد ابتدعها الزميل طالب أبو عابد حين أوكلت إليه مهمة سكرتير تحرير.. لكنها هنا في هذه الصفحة بتوقيع "أبو مهيب"، وأعتقد أنه المرحوم فواز النقري.. كان رحمه الله مخاصماً دائماً لنصر شمالي.

الصفحة الأخيرة.. تكمل الخبصة.. هناك أخبار عربية وكاريكاتير لم يوقعه أحد.. وزاوية "معاً على الطريق" كتبها نواف أبو الهيجاء.

ما الذي جرى:

بعد فترة اضطراب حقيقي في الجريدة وشحن متواصل وتدخلات من الأمن.. أصدر المدير العام نصر شمالي قراراً بإغلاق الجريدة إلى إشعار آخر.. وعلق القرار على باب الجريدة.. وهكذا كان الموظفون يصلون باب المؤسسة ليطالعهم القرار.. فيعودون أدراجهم. عند المساء حضرت إلى الجريدة مفرزة أمنية بقيادة ضابط وقد انتشر خبر إغلاق الجريدة. فُتح الباب ونودي على "أصدقاء" الأمن العاملين في الصحيفة وأرسلت سيارة لإحضار عمال المطبعة..

في المطبعة وجدوا مواد جاهزة وأضافوا إليها أخباراً أعدت على عجل مما تبثه الإذاعات وتنقله الوكالات.. وهكذا تمكنوا من إعداد عدد بأربع صفحات طبعوه وأرسلوه إلى الأسواق.

في اليوم التالي فوجئ العاملون في الصحيفة بوجود الجريدة في الأسواق.. وكانت نكتة تقول:

جريدة الثورة تصدر حتى ولو لم يحضر العاملون بها!!

في الأعداد التالية:

١٨ و١٩ و٢٠ و٢١ آذار.. غابت تماماً الافتتاحيات وصور المسؤولين وتغيرت أسماء الكتّاب.. وحضر على زاوية معاً على الطريق كنعان فهد ومسعف البارودي وهالة الطيان وحميدة نعنع.. ولعل ثمة أموراً كثيرةً توضح فراغاً وضياعاً في الجريدة التي لم تعد تعرف هي مع من.. على الرغم من الوجود الأمني الكثيف..

غاب نصر شمالي واستمرت الجريدة بنوع من الضياع الحقيقي حتى أواخر شهر أيار حين عين المرحوم عدنان بغجاتي مديراً عاماً ورئيس تحرير للثورة.

في عدد السبت ٢٢ آذار نشر علي فرزات كاريكاتيراً على الصفحة السابعة عبارة عن لوحة بيضاء فيها صورة لعنوان صحفي يقول:

نيكسون يهني غولدا مائير..

وعبارة بمناسبة الاحتفال بعيد الأم.

في عدد ٢٣ آذار أول إشارة إلى إنعقاد المؤتمر القطري الرابع الاستثنائي لحزب البعث العربي الاشتراكي من خلال مانشيت يقول إن الرفيق حافظ الأسد قد تلا تقريره في الجلسة الثالثة للمؤتمر.

في عدد ٢٥ آذار على الصفحة الخامسة وهي محلية عنوان يقول:

فيضان نهر بردى يدخل يومه الرابع.

في عدد ٢٦ آذار عنونت الثورة في سطر فوق المانشيت:

المؤتمر القطري الرابع الاستثنائي يعقد جلستين أمس.. ويستأنف اجتماعاته صباح اليوم.

وليس هناك أي صور أو معلومات إضافية، فقط خبر من ستة أسطر..

ما الذي جرى..؟!

لم يكن لأحد أن يعرف ما الذي يجري داخل المؤتمر الاستثنائي لحزب الجماهير الذي يعالج وضعاً متأزماً في قيادته!

اليوم التالي ٢٧ آذار

السطر فوق الرئيسي يقول:

المؤتمر القطري يشكل لجنة لصياغة المقترحات والتوصيات وتقديمها إلى المؤتمر مساء اليوم.

والخبر مأخوذ على ثلاثة أعمدة.. بالعنوان ذاته مع إضافة أن اللجنة برئاسة الأمين العام للحزب.. دون أي إضافة أخرى في متن الخبر.

يكرر الخبر في عدد ٢٩ آذار على أنه حدث أمس.

وفي عدد ٣٠ إشارة أيضاً بسطر فوق المانشيت أن المؤتمر سيستأنف أعماله "اليوم". نظراً إلى فقر الخبر وتكراره مراراً يحاول المحرر إضافة شيء إليه فيقول:

والمعروف أن المؤتمر قد استأنف أعماله في الساعة السابعة من مساء أمس وكان اجتمع في العاشرة صباحاً.. مرة أخرى ما الذي يجري..؟!

في عدد ٣١ آذار الخبر ذاته والعنوان يقول:

المؤتمر القطري الرابع الاستثنائي للحزب يستأنف أعماله اليوم.

كان يجب أن تكون في أولى مهماته رأب الصدع بين صفوف الحزبيين وتضميد الجراح وتقديم إجابة ولو غير مباشرة عن سر انتحار المرحوم عبد الكريم الجندي.. لكن.

استمرت الصحيفة في تغييب صور المسؤولين وأخبارهم من صفحتها الأولى تفاعلاً مع الضبابية التي تحيط بكل شيء.

شهدت الصحيفة تراجعاً واضحاً تمثل في الفوضى الإخراجية واضطراب صدور الصفحات النوعية وغياب الملاحق وتعدد الأسماء وظهور أسماء جديدة. هذا ما تظهره صفحات الجريدة، أما من شهد المرحلة فقد عرف حجماً من الإحباط والملل غير قليل.. بل بصراحة كان البلد كله يسير في حالة شبه انقلاب غير معلن..

هكذا تنادى البعثيون إلى عقد مؤتمرهم القطري الرابع الاستثنائي الذي كان عليه أن يواجه ظرفاً غير عادي في تاريخ الحزب الذي على الرغم مما أظهره من قوة في بسط سلطته، لم تعرف هذه السلطة الاستقرار.. ولم يكن مضى على حركة ٢٣ شباط سوى ثلاث سنوات.. يكفي أنها شهدت حرب ١٩٦٧ لنعرف جيداً أنها لم تكن ثلاث سنوات هدوء واستقرار، أضف إلى ذلك حركة سليم حاطوم الفاشلة في السويداء وعدداً من المؤامرات التي جرى الحديث عنها.

تفتتح الثورة الشهر الرابع من عام ١٩٦٩ بالمانشيتات التالية:

المؤتمر القطري الرابع الاستثنائي يختتم أعماله وينتخب قيادة قطرية جديدة.

الأمين العام للحزب: المؤتمر خرج بخطوط عريضة لعمل سياسي في المجال الداخلي والعربي والدولي.

تحديد مسؤوليات العمل الكبيرة داخل الحزب وبين الجماهير في المجال العربي.

القيادة القطرية الجديدة تذيع بياناً على الشعب يتضمن أهم القرارات والتوصيات التي أقرها المؤتمر.

أعتقد أنه من الصعب استنباط جديد شهده المؤتمر الإستثنائي لرأب الصدع بين طرفي الصراع في الحزب.. فهل تستطيع ذلك التشكيلة الجديدة للقيادة القطرية المنتخبة؟

نور الدين الأتاسي، صلاح جديد، يوسف زعين، ابراهيم ماخوس، حافظ الأسد، مصطفى رستم، محمد رباح الطويل، حديثة مراد، محمد سعيد طالب، عبد الحميد مقداد، مروان حبش، حبيب حداد، حمود قباني، مصطفى طلاس، أحمد الشيخ قاسم، أنيس كنجو.

لا تطرح هذه الأسماء أي جديد، وعلى الأغلب أن الأزمة غلفت ووضعت على نار هادئة.

على كل حال موضوعنا جريدة الثورة المحيرة المعذبة.. وبالتالي نتابع الصفحات.

وقفة اعتدال

أم وقفة هزيمة؟!

بشكل ما، تعاملنا مع الهزيمة في نهاية الستينيات، كهزيمة لا تقبل كثيراً من التدجين .. رغم بعض الاعتبارات الساذجة التي انتشرت في حينه، وكانت "الثورة" إحدى منابر النشر .. مثل القول: إن إسرائيل لم تحقق أهدافها من حرب ١٩٦٧ لأنها أرادت إسقاط الأنظمة التقدمية .. وليس احتلال الأراضي ..!!

ظهرت عبارات أخرى .. لكنها أقرب إلى الواقعية .. وأقدر على زرع الأمل .. مثل:

خسرنا معركة ولم نخسر حرباً .. إشارة إلى أننا مستمرون في الحرب وسنربح معارك أخرى ..

اتجاه العرب إلى الواقعية والإقرار بالهزيمة كحقيقة قائمة - كانت خسارة معركة و حرب - دفع بهم إلى الاستعداد بكل ما يمكن من إمكانات ..

على الجانب الآخر .. غرقت إسرائيل بالغطرسة غير المحدودة .. بل إن ضباطها مارسوا تشبها بضباط هتلر في بدايات الحرب العالمية الثانية .. حيث لا ترى العين إلا رايات النصر ..

العدوان الإسرائيلي مستمر يوميا .. على الجبهة السورية .. على المدن والمواقع العسكرية .. على كل شيء.. وعلى الجبهة المصرية التي شهدت في تلك الفترة استبسالا حقيقيا .. والتنسيق على الجبهتين قائم .. لأنه تنسيق عسكري لا تنقل أخباره صحفيا .. فقد أساء كثيرون فهم طبيعة العلاقات

السورية المصرية في حينه .. ذلك أن الصحف وبينها "الثورة" لم تخف بشكل كامل خلافات قائمة على قاعدة قبول الرئيس عبد الناصر"رحمه الله" التعامل مع مشاريع السلام المطروحة، عمليا المشروع الأميركي.

منذ محادثات حسين مكماهون في أواخر العقد الثاني من القرن الماضي.. مرورا بالثورة العربية الكبرى .. ووقوفا عند سايكس– بيكو .. افتقد العرب ثقتهم بالغرب .. ولم يقصّر هذا الغرب أبداً في تذكير العرب بموقفه الذي لم يؤيدهم فعليا في يوم من الأيام .. في حين استعد العرب لينسوا ويسامحوا بعد الوصول بالثورات الشعبية والمسلحة إلى استقلال الدول العربية .. أصبح عليهم أن يتذكروا كل شيء مع فلسطين .. وتبعا لها.. ما جرى في حرب ١٩٦٧ ..و من ثم في العراق ولبنان أيضا ..

الاستراتيجية كما تصورها جريدة الثورة في تلك الأيام تقول كثيرا عن الصداقة مع الدول الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي ..

كان صديقا.. وحليفا.. ومصدراً أهم للقوة والسلاح .. لسورية ومصر..

ورغم أن بعض الكتّاب والمحللين وبينهم الكبير "محمد حسنين هيكل" رأوا في موقف الاتحاد السوفياتي من حرب حزيران، تخاذلاً بشر بنهايته كدولة عظمى جبارة .. إلا أن المنطق والعقل يفترضان أن نقر أننا لم نكن منصفين في اتكالنا الكلي على الاتحاد السوفياتي إلى أن وصلت الامور إلى هنا ..

إلى أين ؟!..

إلى أن غاب الاتحاد السوفياتي، وتركنا أمة مباحة للغرب ومخططاته الاستعمارية دائما .. ودائما كان الخوف على الأرض وما تحتويه.. شغلتنا صحفياً أحداث تلك الأيام التي كان محورها الاعتداءات الإسرائيلية المستمرة .. ونشاط المقاومة الفلسطينية "العمل الفدائي" ..

اليوم وأنا أتابع صفحات الثورة تلك.. أراها تمثل إعلاما يستنجد ولا يضيف .. يصف ولا يحلل .. يمنع أو يسمح ولا يحاور ..

لكن .. أنا عشت المرحلة .. ومضطر أن أقول: لله درها "صحيفة الثورة" وكل الذين يعملون فيها كيف استطاعوا الاستمرار في الصدور.

قلت لعامل "الزنكغراف" وقد تأخر في إحضار "الكليشيه" الصورة ..

- ما الذي أخرك ..
• أعدت سحب الصورة ..
- لماذا؟..
• أريدها واضحة ..
- هل انتشيت ..
• غريق يتمسك بقشة ..

كانت الصورة لحطام طائرة إسرائيلية أسقطتها طائراتنا، تلك الفترة تعددت انتصارات من هذا النوع رغم التفوق الإسرائيلي .. انتصارات عسكرية على الجبهتين .. وأخرى تصنعها المقاومة المسلحة الفلسطينية "العمل الفدائي" .. وكنا غرقى نبحث عن قشة ..

قال لي زميل جامعي وأنا أعطيه نسخة من "الثورة":

• هات .. أشبعتمونا انتصارات ..
- كي ننسيك الهزيمة ..
• كيف أنساها ..
- بصناعة الانتصار ..
• بالصحف ..
- بكل شيء .. وتابعت:

عمّ تريدنا أن نكتب .. هل نعرض انتصارات الثوار في العالم .. وننسى أنفسنا ..

قال:

• هناك أيضا لستم بمقصرين .. حفظتمونا أسماء مواقع ودول وثورات لم نسمع بها إلا منكم ..

أعترف أن ما حيرني من يومها وحتى اليوم – أمضيت في الثورة ٤٣ عاما - : كيف يمكن أن نكسب الرضا..؟!

بصورة ما كانت الصحيفة تقاد من داخلها وكان فيها إعلاميون جيدون وقادرون.. لكن.. منذ ذاك التاريخ كانت عيون القادة تبتعد عن اختيار إدارة للصحيفة من داخلها.. وقد أسس ذلك لسياسة استمرت غالباً ولسنوات طويلة.. ربما حتى اليوم.

وكنا ننتظر..؟!

ماذا..؟!

أن نعرف شيئاً؟!.. أين نحن؟! إلى أين نمضي..؟ ويجابهنا ذاك القول:

أنت لا تتدخل.. نحن نتدخل عنك..

أنت لا تفكر .. نحن نفكر عنك..

كان الضباب يحيط بكل شيء والدنيا ربيع..

نيسان.. أيار.. وإلى آخر يوم فيه ومطلع حزيران وبعد فترة تردد طويل زارنا خلالها حسين العودات مديراً عاماً ليوم ونصف اليوم، قبل أن يتركها مختاراً، صدر مرسوم بتعيين المرحوم عدنان بغجاتي مديراً عاماً..

من جانب آخر أعلنت في آخر أيار ١٩٦٩ تشكيلة الوزارة برئاسة الدكتور نور الدين الأتاسي رئيس الدولة في حينه، وقد اختير حمود قباني وزيراً للإعلام ليخلف حبيب حداد فيها..

هكذا اكتملت الدوائر.. مدير عام جديد.. وزير جديد.. قيادة ووزارة جديدتان.. ولا جديد.. الربيع الذي كان في عزه مبشراً باقتراب الصيف "حزيران".

بعد طول غياب التقيت عبد الحميد ومعه زميلنا وليد الذي دخل كلية الصيدلة وصبية جميلة.. حاولت تجاهلهم ليس خوفاً بل خجلاً من الصبية التي معهم.. يومها لم يكن شديد التداول أن تتعامل مع صبية في الجامعة.. لكنه كان ممكناً وليس بممنوع بل محسود.. ناداني عبد الحميد وتبعه وليد.. وكانا

طويلي القامة.. واتفقا أنهما يسمحان لي بالاقتراب رغم قصر قامتي.. أدركني خوف من التمادي في المزاح أمام الصبية.. وعالجت المسألة بجرأة مصطنعة وقلت لها:

- "الموضة" قصر القامة.. وأستغرب كيف سمحوا لكما بدخول الجامعة..

قال وليد:

• باب الجامعة عالٍ مهما طالت القامات..

أضاف عبد الحميد:

• وأرضها "قوية" مهما حاولت"م"..

هكذا نطقها.. أضاف الميم إضافة.. فقلت:

- من نحن.؟ قصار القامة..؟

• لا.. بل أنتم.. هات أخبارك..

كانت الجريدة معي فناولته إياها.. لكنه شكرني بممازحة وفتح محفظته وأراني نسخة منها.. قلت:

- ها.. لا تقدر من غيرها..

• شرف إلى البوفيه ونتحادث..

عندها فقط استدركا أنهم لم يعرفونا على بعضنا أنا والصبية..

كانت زميلة وليد.. طالبة صيدلة.. وكانت ساحرة بجد بجمالها وهدوئها.. وحديثها.. بل.. ثقافتها..

بعد مشاورات ولأن الدنيا امتحانات وبدايات صيف اخترنا بوفيه كلية العلوم لأنها مفتوحة.. أحببت الجلسة كثيراً.. ولاسيما أن حديث عائشة بدد خوفي، وأيضاً ألزمهم بنسبة من الوقار..

عائشة هي التي افتتحت الحديث ووجهته إلي فأصابتني بالزهو.. قالت:

• فهمت من كلامكم أنت تعمل في جريدة الثورة..

- نعم..

- كاتب..
- لا.. مخرج أتطاول أحياناً على الكتابة..
- بصراحة أنا لا أعرف ماذا يعني مخرج.. وقلما أقرأ الجرائد لكن.. ما دمنا تعارفنا فسأقرأ بعد اليوم جريدتكم.. وتابعت: في أي كلية أنت..
- الحقوق..
- أي صف..؟!
- الثاني.. راسب ويعيد..
- يعني سنة ثالثة صف ثاني..

ضحكنا ومازلت أتهيأ لما سيقوله عبد الحميد..

عبد الحميد لم يكن مجرد فرد.. ولا حتى مجرد سوري قومي حالم.. بل كان متابعاً للحياة يستطيع بحديثه أن يقدم جانباً مهماً من الرأي العام.. أو الانطباع العام.. قال:

- على من تضحكون..؟!
- من نحن ؟!
- قصدي "يضحكون".. جماعتكم.. مؤتمر وقيادة جديدة ووزارة عصرية.. ولا أحد له علاقة.. وبعدين.. "خير إن شاء الله" من القباني الذي أتوا به وزيراً عليكم ؟! هل هو من الإعلام..
- لا..
- كيف فكروا فيه للإعلام..
- ما المانع..
- يا أخي أريد لكم أن تخرجوا من هذا الغرق.. أنت تعلم أنني لم أغب عن جريدتكم منذ صدورها.. وقد بشرت في أول عمرها بمستقبل.. وانتظرناها أن تكبر.. لكنها شاخت قبل أن تشب.
- لم تشخ..

- تعاني من شلل الأطفال إذن..

قال وليد:

- أنا وعائشة نستطيع التدخل بتقديم الدواء.

قال عبد الحميد:

- سيطول عليكم الزمن قبل أن تجدوا الدواء..

كانت عائشة قد انشغلت عنا بتقليب الجريدة.. ثم التفتت وقالت:

- لماذا التطاول.. هذه جريدة "كويسة"..

قال عبد الحميد:

- "ما في" أكيّس منها.. لأنه "ما في" غيرها.. والله يجيرنا من الأعظم..

نظرت عائشة إلى السماء.. وقالت:

- أي صيف هذا.. نكاد لا نرى الشمس بسبب الغيوم..!!

لم أعد أراها.. ولو رأيتها لما عرفتها.. أتمنى أن أنقل لها أن الغيوم مهما تكاثفت فلن تحجب الشمس.

البغجاتي مديراً عاماً

حضور مريح.. وفراق سريع

تظهر أسماء كتاب جدد.. الأبرز في هذه المرحلة عبد الله السيد بتحقيقاته ومقالاته الفنية وعلي فرزات بكاريكاتيراته.. ولعل ذلك يعود إلى ارتباك الحالة السياسية، ولا نكاد نجد افتتاحية واحدة في الجريدة..

لنستعرض صفحات عدد ٣ نيسان لمتابعة توزيع صفحات الجريدة بحسب تخصصاتها.

الأولى إخبارية والمانشيت عن تشكيل قيادة للكفاح المسلح الفلسطيني ضمت مقاتلي قوات العاصفة "فتح" والصاعقة والتحرير الشعبي والجبهة الشعبية الديموقراطية.. الصورة الرئيسية عن اجتماع مجلس الوزراء برئاسة الأتاسي مع خبر صغير.

الصفحة الثانية أخبار دولية والرئيسي فيها:

بريطانيا مهددة بالإفلاس النقدي.. وديونها تسجل أرقاماً قياسية.

الصفحة الثالثة أيضاً أخبار.. توحي بتخصصها بالأخبار العربية.. الرابعة والخامسة صفحتا أخبار محلية..

السادسة أيضاً لا توحي بتخصص ما تحتلها مادة بعنوان:

القطب الشمالي.. البنتاغون.. وحلف شمال الأطلسي.

هي مادة مترجمة لمحمد حرفوش عن مجلة الأزمنة الحديثة الفرنسية.

الصفحة السابعة.. فيها قطعة محلية وكاريكاتير لعلي فرزات وزاوية رياضية وزاوية متابعة لكتاب "هؤلاء هم عملاء المخابرات المركزية الأميركية".

الصفحة الأخيرة منوعة تتعدد الصور فيها ويشارك بصورها مروان مسلماني.. أما زاوية "معاً على الطريق" فهي لعلي شفى عمري وأعتقد أنها المرة الأولى التي يرد اسمه فيها في الجريدة.

في عدد ٥ نيسان هناك افتتاحية عنوانها جبهة الشعب لا تغلب أبداً.. نأخذ منها ما يلي:

جبهة الشعب لا تغلب أبداً

في غمرة هذه الأنباء وفي خضم هذا الانشغال العالمي – بسلبياته وإيجابياته – بتعقيداته وغموض تياراته، فإن شعبنا يدرك بوضوح وبساطة البديهيتين التاليتين:

١ -إن المعركة آتية لا ريب فيها، وإنها طويلة وقاسية، وإن مصيره متعلق بنتيجتها على صورة أو أخرى.

٢ -إنه لا بد من زج كل الطاقات واستخدام كل القوى وبأقصى الفعالية لكسب المعركة التي هي معركة الشعب كله.

إن الطليعة الثورية المناضلة، ومرتكزاتها الجماهيرية الكادحة في هذا القطر الصامد والتي تعي بعمق ويقين أن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيدة للتحرير، لا بد أن تعمل مع جميع الفئات التقدمية والعناصر الوطنية الشريفة على رص الصفوف في جبهة شعبية صامدة تكرس إصرار الجماهير على أن كل شيء للمعركة وأن لكل مواطن دوره فيها.

وأن جبهة الشعب لا تغلب أبداً.

هل يوحي هذا الكلام بأي شيء..؟! الافتتاحية بلا توقيع كالعادة.. من كتبها..؟!

كانت مسألة الحرب الفدائية أو حرب التحرير الشعبية محط خلاف بين طرفي الصراع.. هناك من يرى فيها المخرج وهناك من يرى ضرورتها لكن الحل في أعداد الجيوش النظامية.. عموماً هذه كانت رؤية وزير الدفاع بشكل طبيعي.

الصحيفة لا تشي بأي إطار يمكن أن يستمد منه القراء فهم شيء عن ذاك الخلاف.. وبالتالي هي الحالة التي ستدوم طويلة إذ تعجز صحيفة الدولة الأولى عن تقديم الحقائق كما تجري، والسؤال: هل هي مسؤوليتها تلك..؟!

وهكذا إلى يوم الأحد ٦ نيسان، إذ تنشر الثورة بيان القيادة القطرية عن أعمال المؤتمر القطري الرابع الاستثنائي.. في إطار العناوين "المانشيتات التالية":

تحقيق التنسيق الفعال بين الجبهات العربية وبذل الجهود للوصول إلى موقف عسكري موحد

تقرير الجبهة الشعبية الداخلية

الدستور المؤقت يصدر الشهر القادم وانتخاب مجلس الشعب ستم بعد أربعة أشهر:

انتخاب مكتب سياسي من تسعة أعضاء في اجتماع مشترك يضم قياديي الحزب.

وجاء في بيان المؤتمر:

لقد كانت الأزمة الأخيرة نتاجاً لمجموعة من الأسباب البعيدة والقريبة لعبت فيها الظروف القاسية الصعبة التي يمر بها الوطن العربي بعد النكسة والظروف الذاتية التي يمر بها الحزب دوراً رئيسياً، وأمام الواقع الذي فرضته النكسة أصبح هدف التحرير هو الهدف الأسمى والرئيسي للمرحلة وأصبح الكفاح المسلح محوراً لسياسة الحزب في جميع المجالات وكان من الطبيعي أن تختلف وجهات النظر في محاولة للبحث عن مختلف الأساليب والوسائل التي تكفل تحقيق أفضل وضع لمواجهة الاحتلال والعدوان القائم على أرضنا مما أدى إلى مواقف تختلف في بعض جوانبها مع مواقف للقيادة السياسية وفي مجال بناء الحزب ونمو العلاقات الحزبية الصحيحة لم تأخذ مقررات المؤتمرات التي تلت -٢٣ - شباط طريقها إلى حيز التطبيق الكامل.

كما لم يتحقق التوازن بين تنفيذ مقررات المؤتمرات في مجال السياسة الداخلية وتحقيق شعار لكل مواطن دوره في المعركة من جهة وبين المنجزات الكبيرة في مجال بناء القاعدة المادية للثورة من جهة أخرى. كما لم يتحقق التوازن أيضاً بين إرادة الثورة في بناء الجيش العقائدي وبين توفير الأساليب واتخاذ الخطوات العملية اللازمة لتحقيق ذلك. ولقد أدت هذه الظروف بالإضافة إلى جملة من العوامل الذاتية الأخرى إلى ظهور بوادر أزمة استمر تصاعدها حتى وصلت إلى حد القيام ببعض الإجراءات التصادمية مما جعلها تتعدى نطاق الحزب لتصبح أزمة وطنية وقومية انعكست على الشعب العربي في مستوياته الجماهيرية والرسمية وأصبح العمل على الخروج منها وبما يكفل وحدة الحزب والحفاظ على الثورة مطلباً وطنياً وقومياً هاماً.

وهناك افتتاحية دون توقيع بعنوان "الوحدة أمل الجماهير العربية" تحاكي الأمر ذاته.

الصفحتان الثانية والثالثة أخبار دولية وعربية مع زاوية طويلة على عمودين يكتبها على الأغلب أكثر من كاتب.. حيث تتسع لكاتبين أو ثلاثة، لكنها هذه الأيام لا تذيّل بأسماء الكتاب.

الرابعة والخامسة محليات.

السادسة تعود لها أجزاء القصة الكاملة لأميركا اللاتينية، وهذه الحلقة عن الإكوادور ورقمها "١٧" ترجمة وليم مسوح وتعد بالحلقة القادمة عن بنما.. وكل حلقة صفحة.

السابعة أخبار وتتمات والصفحة الأخيرة عادت إلى طبيعتها والمرحوم جلال خير بك يكتب زاوية "معاً على الطريق".

الإثنين ٧ حزيران.. لا تزال صور المسؤولين ونشاطاتهم غائبة عن الصفحة الأولى.. وهناك قطعة واحدة محلية حول الاستعداد للاحتفال بذكرى الحزب.. والباقي قطع عربية ودولية.. طبعاً يغيب عنها نهائياً الإعلان عن صدور ملاحق الثورة.

فجأة تعود صفحة السياسة الدولية إلى الصفحة الثالثة بثلاثة مقالات مجهولة الكاتب.

الصفحة السادسة منوعات.. كتابها فيصل عبد الله ومسعف بارودي وجلال خير بك.. وعلي فرزات على الصفحة السابعة بكاريكاتير والصفحة الأخيرة بلا معاً على الطريق.. هناك زاوية صغيرة بعنوان "ما قل ودل" كتبها هاني الحاج.

في عدد ٨ نيسان هناك تغطية بمناسبة ذكرى تأسيس حزب البعث.. وخطاب للأتاسي يقول فيه حسب مانشيت الصحيفة:

قرارات المؤتمر القطري كانت الأصدق تمثيلاً لإرادة الجماهير العربية.

الصفحة الثالثة بلا هوية تقريباً، كأنها اقتصادية، وفيها كاريكاتير لعلي فرزات وتحقيق صغير لفيصل عبد الله..

على الصفحة الرابعة زاوية بعنوان "حديث يومي مع مسؤول" أعده يعرب السيد.

السادسة منوعات.. وفيها زاوية "معاً على الطريق" التي يفترض أن مكانها الصفحة الأخيرة.. وهناك صورة فوتوغرافية عوضاً عن كاريكاتير علي فرزات الذي تبوأ موقعاً في الثالثة.

حالة ارتباك واضحة تظهرها الصحيفة.. ويصعب تماماً معرفة من كان يقودها في تلك الأيام..

ثمة صورة في عدد الأربعاء ٤\١٩ ومعها عنوان سطر على ثمانية أعمدة فوق المانشيت.. يقول:

الأمين العام للحزب وبعض أعضاء القيادتين يلتقون أمس بقيادة الطبقة العاملة في القطر.

تظهر الصورة المنشورة عن الحدث، الأتاسي والأسد وطلاس.. هل أرادت الثورة أن تقول: لقد طوينا الخلافات!

يلاحظ عودة النشاط الدولي والحزبي إلى الصفحة الأولى التي يشغلها غالباً أخبار القتال المستمر في حرب الاستنزاف الشهيرة بين القوات المصرية "العربية المتحدة" والعدو الصهيوني "إسرائيل" عبر قناة السويس.

مفاجأة أخرى تقدمها الصفحة الثالثة في تبديل هوية محتواها، إذ تحمل عنواناً "تحقيقات محلية" وفيها الكاريكاتير.

في عدد ١٠ نيسان تعود صفحة أدب إلى السادسة وتقول إنها ستكون صباح كل خميس.. وفيها قصيدة لعز الدين المناصرة.

وكون الصفحة مخصصة للأدب.. لم تنشر معاً على الطريق وغابت عن الأخيرة واستمرت «ما قل ودل».

في عدد ١١ نيسان إشارة على الصفحة الأولى مع صورة للرئيس الفرنسي الراحل شارل ديغول الذي يعلن أنه سيستفتي الشعب الفرنسي على إصلاحات دستورية وأنه سيستقيل إن كانت نتيجة الإستفتاء سلبية.

الصفحة الثالثة لا تفهم لها هوية وقد غاب عنها كاريكاتير علي فرزات.. ليحضر في الصفحة الخامسة بحجم كبير، والسادسة عادت منوعات و"معاً على الطريق" لسنية صالح بعنوان: "العالم البارد وطلقة النار" تتحدث فيها بلغة مباشرة عن إنطلاقة العمل الفدائي، وهناك عرض كتاب تقدمه الشاعرة المرحومة "أمل جراح" أما الكتاب فهو "الحب والحب العذري" لصادق جلال العظم.

لا شيء ثابت.. تظهر صفحة أو زاوية وتضع إلى جانب اسمها وموعدها أسبوعاً "غالباً" وهذا لا يعني أبداً أنك ستجدها كل أسبوع في مكانها.. في هذه الفترة بدأت تظهر صفحات الإعلان لـــ جمهورية كوريا الديموقراطية وهي تتحدث بإسهاب وتكرار عن خطابات ومقابلات وإبداعات للرئيس كيم إيل سونغ.

يبدو الآن أن زاوية "معاً على الطريق" نقلت إلى صفحة منوعات "السادسة".. ومن كتابها الجدد بهجت حتاحت.. ويظهر اسم هدى الزين من خلال لقاء أجرته مع الأديبة اللبنانية ليلى بعلبكي.. والمقدمة تقول:

"كانت الزميلة هدى الزين قد أجرت هذه المقابلة مع ليلى بعلبكي للملحق الأدبي.. ونظراً إلى توقف الملحق فإننا ننشرها هنا مصرحين أن المقابلة أجريت قبل أكثر من شهرين".

في ١٥ نيسان في زاوية صغيرة على الصفحة الأخيرة بعنوان "لقاؤنا اليومي"، يروي سعد الله ونوس لكنعان فهد ما يواجهه مع القيمين على المسرح في سورية ومصر حول مسرحية "حفلة سمر من أجل ٥ حزيران".

في عدد ١٦ نيسان تظهر الصفحة الثالثة باسم "تحقيقات سياسية"، المادة الرئيسية فيها إعداد عبد الحفيظ دويري بعنوان "هلاك أوروبا" وهناك مادتان صغيرتان، واحدة لحنا حتر والثانية ترجمة لمحمد حرفوش.

في ١٧ نيسان.. الأتاسي يقول بخطاب مناسبة الجلاء:

نرفض بحزم كل مشروع يفرط بحقوق أمتنا.

لا تظهر الصحيفة تغطية لاحتفالات خاصة تتناسب ومناسبة الجلاء..

بشكل عام، غابت معظم الزوايا التي اعتدنا عليها في الثورة أو التي بشرت بنفسها مرات متعددة.. ذلك كان من خصائص تلك المرحلة.. إذ إن غياب القيادة الصحفية عن الجريدة أدى إلى أن يخترع أي محرر يريد شيئاً يرضيه ويؤديه ثم يعجز أو يكسل، فيهجره وهكذا..

على الصفحة الأولى عدد ٢٢ نيسان ترد المانشيتات التالية:

البدء بإعداد الجداول الانتخابية

وزارة الداخلية تطلب من أمانة العاصمة وسائر المحافظات والمناطق اتخاذ التدابير اللازمة لتهيئة الجداول الانتخابية بأسماء الناخبين من ذكور وإناث خلال شهرين.

طبعاً غير واضح ما هي الانتخابات المقصودة.. والخبر أيضاً غير واضح.. إنما هناك إشارة إلى ما أوصى به المؤتمر من دستور مؤقت وانتخابات مجلس شعب.. وفي آخر الخبر إشارة.. إلى أن اللجنة المكلفة بوضع الدستور المؤقت قد أنهت أعمالها.. وقدمت مشروعها إلى القيادة لبحثه وإقراره وإصداره في الموعد الذي حدده المؤتمر الرابع الإستثنائي.

على هذا النحو تمضي الثورة أيامها.. بين زاوية تظهر وأخرى تغيب ثم تعود إلى الظهور وكتّاب بلا مواعيد وصفحات بأسماء وبلا أسماء..

عاشت الصحيفة تلك الفترة في حالة من الفلتان وكنت قد عدت إلى عملي في الإخراج الصحفي.. لكن الجو العام للمحررين، رغم التشاحنات والتهافتات وتدخلات الأمن، بدعوة وبلا دعوة.. كان جواً جميلاً لعله يشتق جماله من فرحنا بشبابنا.. وكان اليسار موضة تلك الأيام.. والعمل الفدائي منارة يتلطى الجميع وراءها.. والانهزام يسكنهم.

في أواخر نيسان تعود "معاً على الطريق" للظهور في الصفحة السادسة.. وتستقر "ما قل ودل" على الأخيرة لمنيف حسون..

لكن.. إلى متى..

في هذه الأيام يضطرب الوضع في لبنان بسبب "العمل الفدائي الفلسطيني" ومانشيتات الثورة في ٢٥ نيسان كالتالي:

مظاهرات التأييد للعمل الفدائي في لبنان تتحول إلى اشتباكات دامية مع قوات الأمن

وفي ٢٦:

استقالة وزارة كرامي.. واستمرار حظر التجول في لبنان

وفي ٢٧:

استنكار عربي شامل لموقف لبنان من العمل الفدائي

وفي ٢٨:

دمشق تعلن غضبها في المسيرة الشعبية الكبرى على مخططات التآمر

التي تنفذ في لبنان ضد العمل الفدائي..

وحدة المقاتلين هي الرد الثوري على التآمر

تدخل الصحيفة على الخط بعدد من المانشيتات مؤيدة للعمل الفدائي وعلى الصفحة الثانية من العدد نفسه نقرأ لطالب أبو عابد في مادة رئيسية العناوين التالية:

لبنان أمام خيارت لا ثالث لهما

متى يقوم لبنان بدوره الحقيقي في معركة العرب المصيرية؟!

إلى متى تظل القضية العربية خيمة للتوازن السياسي اللبناني..؟!

حرية العمل الفدائي الفلسطيني فوق كل الاعتبارات المحلية والظروف الخاصة

رغم ذلك تغيب عن الصحيفة المقالات التحليلية الغنية بالمعلومات لتتماهى بعيداً مع الحماسة..

في عدد ٢٩ نيسان مانشيتان لافتان:

استقالة ديغول حديث العالم

الدستور المؤقت يعلن في أول أيار

والصورة الرئيسية كبيرة جداً للجنرال ديغول وهو يدلي بصوته.

مانشيت عدد ٣٠ نيسان:

استمرار محاصرة الفدائيين ومخيمات الفلسطيين في لبنان

* * *

في العدد الأول من شهر أيار، تظهر الصحيفة استعدادات رسمية للاحتفال بعيد العمال العالمي.. وتعد بخطاب هام للدكتور الأتاسي.. وتتحدث عن رسالة منه إلى رئيس العراق أحمد حسن البكر نقلها وزيرا الخارجية والداخلية "الدكتور مصطفى السيد ومحمد رباح الطويل"، وبعد غياب طويل لأيوب منصور يظهر في مقالة صغيرة يوجه من خلالها تحية للعمال بمناسبة الأول من أيار.

في اليوم الثاني لم يكن الاهتمام منصباً من الصحيفة على خطاب الأتاسي الموعود بل جاءت المانشيت:

الأتاسي والأسد في القاهرة

الرئيس عبد الناصر يستقبل رئيس الدولة ووزير الدفاع في المطار

وعلى الصفحة الأولى إشارة تحت العنوان التالي:

طالع على الصفحة الرابعة نص قرار القيادة القطرية بإعلان الدستور المؤقت

على الرابعة نشر الدستور المؤقت وامتد لمساحة أخرى على السابعة، وعنونت الصفحة كالتالي:

القطر العربي السوري دولة ديموقراطية شعبية اشتراكية وجزء من الوطن العربي

مجلس الشعب في القطر هو المؤسسة العليا لسلطة الدولة.

وتتابع الصحيفة.. يوم.. اثنان.. ثلاثة.. لا وجود لأي إضافة معلوماتية أوتحليل أو تعليق.. أو..؟! على أي من الخبرين، الدستور المؤقت.. والسفر المفاجئ للأتاسي والأسد إلى القاهرة..

هذا الخبر كان يحتمل كثيراً من الكلام.. كانت الأجواء ساخنة جداً.. وفيها نوع من الاستفاقة العربية لمواجهة إسرائيل في إطارين: العسكري للقوات المسلحة ويلحظ هنا حرب الإستنزاف الحقيقية التي دارت بين المتحدة وإسرائيل، وكذلك الاشتباكات المتتالية بين الجيش السوري والجيش الإسرائيلي، كما أن هناك تسخيناً من الجانب العراقي أيضاً.. وتواصل مع القيادات العربية بما فيها سورية ما صنعه الحداد.

لماذا السفر المفاجئ..؟!

لماذا الأتاسي والأسد..؟!

وقتها كانت قراءتنا للزيارة المفاجئة.. إما أن تكون نوعاً من التنسيق العسكري عالي المستوى تطلبها.. أو أن الرئيس عبد الناصر ارتاح كثيراً للمصالحة المبدئية التي أظهرها طرفا الخلاف في القيادة من خلال المؤتمر القطري الاستثنائي الرابع للحزب..

نتحدث هكذا.. كنا نستحضر معلومات ونحللها.. كنا نصل إلى نتائج ما..

لكن.. بعيداً عن أي إمكانية للتفكير بنشره..، الصحيفة في حالة ارتباك لم يبددها الصدور الآلي اليومي بصفحاتها المتثائبة.. لا افتتاحية.. لا مقال..

لا تعليق.. فقط متابعة لشؤون محلية غير سياسية أو لشؤون دولية تأخذ طابع المواقف المسبقة الحماسية!؟ فقد كنا مع الدول الاشتراكية وضد الغرب دون التزام هنا أو هناك.. في إطار ذلك مثلاً تجد الصحيفة تتابع على أيام متتالية وضع إيران وعربستان على الصفحة الأولى.. دائماً أمريكا وفيتنام والغرب على صفحتها الثانية.

حتى الأول من حزيران، إذ أشير إلى أنه تم خلال هذا الشهر إنهاء تكليف نصر شمالي بمهام المدير العام ورئيس التحرير بشكل رسمي بقرار من وزير الإعلام تاريخ ١٩٦٩\٥\٦ ويحل محله في الأول من حزيران بموجب مرسوم صادر عن رئيس الدولة الأستاذ المرحوم عدنان بغجاتي.. وأؤكد مرة أخرى أن نصر شمالي كان ترك الجريدة قبل صدور قراره بنحو شهر وهكذا وريثما تم تعيين المرحوم بغجاتي، شهدت الصحيفة ذاك الاضطراب الذي أشرنا إليه.

في الأسبوع الأخير من أيار أظهرت أوراق الجريدة تغيرات محدودة لكنها لافتة.. تمثلت بصورة رئيسية في الإخراج.. وفي الصفحتين السادسة حيث استقرت كصفحة منوعات "ثقافية" والأخيرة التي استعادت معاً على الطريق واستغنت عن زاوية "ما قل ودل" وحلت محلها زاوية باسم "سلامات" وهي ساخرة عاد إليها ممدوح عدوان باسم "محترف" وكثيراً ما كانت تنشر دون توقيع..

التغيرات الحاصلة في الإخراج وفي الأخيرة، تشير – ربما – إلى أسلوب محمود السيد.. وقد كلف بمهام رئيس التحرير في فترة البغجاتي، لكن.. هذه التغييرات تسبق مرسوم تعيين الأخير.

أكثر من ذلك.. يوم ١ حزيران هناك افتتاحية على عمود.. والسؤال: من كتبها..؟!

وهل صادف أن تنشر باستقبال المدير العام الجديد.. أم أنه مارس مهامه قبل صدور مرسومه.. الافتتاحية جاءت شعاراتية تتحدث عن أهداف

المرحلة وتستند إلى توصيات المؤتمر القطري الاستثنائي للحزب وحديث الدكتور الأتاسي.

واللافت في عدد ١ حزيران ليس ذلك وحسب.. بل جاء في مانشيتات العدد:

الأتاسي يتحدث في أول جلسة عقدتها الحكومة الجديدة عن الإطار السياسي لعمل مجلس الوزراء.

إذن هناك حكومة جديدة!؟

الغريب أنه خلال مروري بين أوراق مجلدات الجريدة وعلى صفحاتها لم ألمح نشراً عن تشكيل الحكومة الجديدة! ما دعاني للعودة باحثاً عن ذلك..

لم أذهب بعيداً.. ففي العدد السابق، عدد ٣١ أيار، وعلى عمود واحد.. وبعنوان صغير جداً.. نقرأ:

الرفيق الدكتور الأتاسي يشكل الوزارة الجديدة!!

لماذاهذا النشر الهامشي..؟! هل هو التواضع.. أم أسلوب إعلامي..؟! لا أدري.. إنما جاء تشكيل الحكومة كالتالي:

الأتاسي رئيساً لمجلس الوزراء، اللواء حافظ الأسد: وزيراً للدفاع إضافة إلى عمله كقائد للقوى الجوية والدفاع الجوي، محمد رباح الطويل: للداخلية، مروان حبش: للصناعة، محمد سعيد طالب: للزراعة والإصلاح الزراعي، سامي صوفان: الأشغال العامة والثروة المائية، مصطفى حداد: التعليم العالي، ممدوح جابر: القرى الأمامية، غالب عبدون: أوقاف، فايز اسماعيل: الشؤون البلدية والقروية، أحمد الحسن: النفط والكهرباء، مصطفى السيد: الخارجية، سهيل غزي: الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، محمد طلب هلال: التموين، عبد الله الفالح: العمل والشؤون الإجتماعية، ناجي الدراوشة: التخطيط، إبراهيم حمزاوي: العدل، واصل فيصل: المواصلات، عبد الحليم

خدام: الاقتصاد والتجارة الخارجية، نور الله نور الله: المالية، محمود الأيوبي: للتربية، داود الرداوي: الصحة.

هذا وسمى المرسوم الألوية مصطفى طلاس ولويس الدكر وعواد باغ.. نواباً لوزير الدفاع.. وأشار إلى احتفاظ مصطفى طلاس بمنصبه رئيساً لهيئة الأركان العامة.

في هذا العدد ١ حزيران تتوزع الصفحات:

الثانية: الأخبار العربية والدولية.

الثالثة: مع أحداث العالم في أسبوع.. إعداد: بشير الجلاد.

الرابعة والخامسة: محليات مع كاريكاتير علي فرزات.

السادسة: منوعات مع إشارة إنها أدب وفن وفكر.

السابعة فيها زاوية رئيسية بعنوان: "منبر المواطن"، مع إشارة إلى أنها إعداد فواز النقري، واضح أنها تحل محل زاوية "من وإلى"، وفيها رياضة وزاوية لقاء على الأثير وهي زاوية خدمات ومواعيد للمواطن.

الصفحة الأخيرة.. تعلوها عدسة الثورة "صور" وفيها زاويتا "معاً على الطريق" و"سلامات".

تستمر الصحيفة هكذا.. الصفحة الثالثة متغيرة غالباً.. هناك عودة حضور لافتة لممدوح عدوان، وكذا نسبياً لأيوب منصور..

في عدد السبت ٧ حزيران تعود صفحة "مع أحداث العالم في أسبوع"، وتغيب الصفحتان المحليتان لأنه عدد السبت وهو يغطي أحداث يوم الجمعة "عطلة" وتظهر صفحتان تلامسان الذكرى الثانية لحرب حزيران ١٩٦٧.. على الصفحة الرابعة موضوع عن اقتصاد الحرب في البلدان النامية.. وعلى الصفحة الخامسة مقال مطول لنمر حماد حول تطورات الأوضاع بين حزيران ١٩٦٧ وحزيران ١٩٦٩ عنوانه: "مسيرة شاقة ولكنها مثمرة".. ويفتتح بعبارة: خسارة معركة لا تعني خسارة حرب.

في الصفحة السادسة "منوعات" مقال مطول لحيدر حيدر بعنوان: من الذي منع فيلم الفهد ولماذا.. جاء في مقدمته:

"فيلم الفهد صارت له قصة كقصة إبريق الزيت.. الفيلم أقر ثم منع.. ثم قيل سينتج.. ثم قيل وقيل الكثير..

ثم يعود مؤلف قصة الفهد حيدر حيدر ليكتب للثورة القصة الكاملة.. يبدأ المقال:

"ليس لأنها قصتي أكتب عنها، فيوم كتبتها لم يخطر ببالي أن تكون شريطاً سينمائياً.. ويومها لم أكن أعرف أن في بلدي سينما.. فلماذا وبعد أن أصبحت قيد التنفيذ.. قيل لها: لا."

يتابع حيدر حيدر القصة إلى أن يختمها:

أيها الزملاء الأدباء نصيحة مجرب: إذا كنتم عقلاء اكتبوا عن الحب العذري والزهور والمجرات الكونية والخط الحديدي الحجازي فهذه المسائل الحساسة غير محرمة في نظر وزارة الثقافة".

زاوية «معاً على الطريق» تنشر قصيدة لمروان خاطر بعنوان "ما كل عاقر موات".

في عدد ١٠ حزيران هناك مقالة خاصة في زاوية «معاً على الطريق..» أعتقد أنها تقدم نقداً شخصياً له أهمية في تلك الأيام.. المقالة للأستاذ الكبير "غازي أبو عقل" وكان عقيداً في الجيش ويشغل إدارة التوجيه المعنوي.. عنوان المقالة "شكراً أيتها الصحافة" ونوردها كاملة:

الخامس من حزيران كلمة أصبحت بغيضة، وآثار ذلك اليوم ونتائجه صارت شوكة في عيوننا وغصة في نفوسنا..

ومع أنني لا أريد لهذا اليوم أن يتحول إلى حائط مبكى تراق أمامه الدموع مهما كان نوعها، غير أنني لم أفهم صحافتنا اليومية التي تطالعنا كل صباح بما يحلو لها من كل شيء .

المعركة لم تنته بعد (أو على الأقل هذا رأي صحافتنا) وفي هذه المعركة سقط لنا شباب أعطوا دمهم ببساطة وببسالة دون أن يفلسفوا الأمور كثيراً. وكان هذا العطاء (باعتراف صحفنا دائماً) مثالاً يحتذى لأن التضحية طريق النصر .

طيب .. أعرف أنا ويعرف كتاب صحفنا أن يوم التاسع من حزيران كان (يوم الجبهة السورية) في خطة العدوان الامبريالي الصهيوني على الأمة العربية ففي صبيحة ذلك اليوم انصبت جهود المعتدين كلها لإحداث ثغرة في تلك الجبهة تمهيداً لتطويقها وإسقاطها..

ونعرف كلنا أن عشرات من شبابنا ظلوا طيلة ذلك اليوم واليوم الذي يليه وهم يقاتلون في حفر والقلع وتل هلال وتل العزيزيات وتل أحمر والجليبينه، يقصفهم النابالم من السماء وتنهمر عليهم قذائف المدفعية من الأرض ثم تصدمهم كتل متراصة من دبابات العدو .

وكلنا نعرف أن محمد سعيد يونس ونورس طه ظلا يقاتلان في القلع وحفر حتى مرت الدبابات فوقهما.

وكلنا نعرف أن تاج الدين الشيني وجميل موسى وعلي حافظ عيسى قتلوا كل قادة الهجمات المعادية على تل الفخار قبل أن يستشهدوا.

ولقد حلق طيارونا صبيحة الخامس من حزيران ليؤدوا واجبهم وجابهوا طائرات العدو بهدوء وبساطة واستشهد ناصح علواني ومروان زين العابدين وعدنان حسن وابراهيم زين الدين بصمت متواضع .

ومرت الأيام... وجاء التاسع من حزيران ١٩٦٩ وفتحت جرائدنا متوقعاً قراءة كلمة بسيطة تذكر واحداً من هؤلاء الرجال بالخير، أو رؤية صورة أحدهم وتحتها دعوة إلى الثأر له .

نعم رأيت صوراً. في (الثورة) مشاهد من تمثيلية أطفال مدرسة يوحنا الدمشقي وصورة قرعة بريخت تنشر للمرة الألف ولوحة داخل لوحة لطفلة تداعب تمثالاً وأمها تنظر إليها، وصورة كاريكاتورية أخذت ربع الصفحة الخامسة تهزأ من موظفي مؤسسة السينما .

أما جريدة (البعث) فطالعتنا بصور (اللحظات الحاسمة) طلاب وطالبات أثناء الامتحانات.. ومعن دندشي متأبطاً عوده وطلاب في مكتبة الجامعة مع صورة لطفل تريفييرا.. الخ.

قلت لعل – أرشيفهم – فقير بصور الشهداء – كأرشيف مجلة جيش الشعب – إذن لابد أن واحداً ما من كتاب الزوايا قد كتب كلمة في ذكرى أولئك الشباب. ولكن لا.. لم يكتب أحد للشهداء. بل كتب صاحب ملاحظة صغيرة – البعث ص٦ – عن مكتب وساطة للزواج .. وكتب صاحب مع الأحداث – البعث ص٣ - لماذا فشلت مهمة روكفلر.

أما – سلامات - الثورة فقد كتب عن المعلم الذي احتج على قلة ذوق صاحب الزاوية عندما انتقد – معاً على الطريق - في الجريدة نفسها والصفحة نفسها تعريفاً للهرب الكوني.

أما - قلم الصفحة السادسة في الثورة - وهذا أعتب عليه من الناس كلهم فقد اختار المغامرة وطريق التمرد وزقو صقيع الأعماق والبحث عن عش الحنان. . الذي أرجو أن يكون قد وجده أخيراً .. لماذا يا أخ هذا الاختيار وأنت تعرف شخصياً أكثر من واحد من أولئك الذين سقطوا يوم ٩ حزيران ١٩٦٧ .

وحتى لا نظلم الصحافة، وحتى نكون موضوعيين وليصبح نقدنا موضوعياً يجب ألا ننسى أن جريدة "البعث " قد كتبت - أي والله عن الشهداء..–

ومن لا يصدق فليقرأ في الصفحة الرابعة وفي زاوية أخبار المحافظات - هذا الخبر من اللاذقية – انقله حرفياً للأمانة والموضوعية - :

اللاذقية ٨ سانا - أقيم قبل ظهر اليوم في كنيسة الأربعين شهيد لطائفة السريان الارثوذكس قداس وجناز تليت فيه الصلوات على أرواح شهدائنا في الخامس من حزيران..–

أنا لم أصل في جامع ولا في كنيسة من زمان بعيد.. ولكنني تمنيت من أعماقي لو أنني كنت من السريان الأرثوذكس وفي كنيستهم الصغيرة لأقف لحظة واحدة خاشعاً صامتاً أمام ذكرى الشباب الذين لم يعيشوا حتى التاسع من حزيران ١٩٦٩ لحسن حظهم والله..

وشكراً أيتها الصحافة..

في عدد الخميس ١٢ حزيران تنشر الثورة في زاوية معاً على الطريق.. رداً من وزارة الثقافة على مقالة حيدر حيدر.. مما ورد فيها:

أما عن التساؤل بشأن منع انتاج القصة المسماة بالفهد فإننا نقول بصراحة إن وزارة الثقافة هي التي منعت تصوير وإنتاج هذا الفيلم للأسباب التالية :

١ - القصة تدور حول أحد الخارجين عن القانون قاطع الطريق المعروف (شاهين) الذي كان يرتكب جرائمه في عام ١٩٤٦ دون أي هدف سوى السرقة والنهب بالعنف ولقتل العديد من رجال الدرك الذين قاموا بواجبهم في تقصيه والقضاء على جرائمه أنذاك والذي أدانته المحاكم الوطنية وحكمت عليه بالإعدام ونفذ الحكم فعلاً . إن الجرائم التي ارتكبها هذا المجرم معروفة لدى القاصي والداني في محافظات اللاذقية وطرطوس وحمص وحماة.

٢ - إن تصوير هذا الرجل كمناضل طبقي يسيء إلى النضال في حد ذاته لاقترانه باسمه فالمناضل يفترض فيه أن يكون شريفاً أما شاهين فقد كان ينفذ خطته الإجرامية بدناءة عجيبة .

٣ - لقد رفض الكاتب تطوير القصة بشكل تصور نضال الفلاحين في السهول وفي الجبال على حد سواء وخاصة نضال الفلاحين في المنطقة الوسطى الذين بذلوا أنهاراً من دمائهم في نضالهم ضد الإقطاع. وقد أصر مؤلف القصة على أن تبقى كما هي عليه تمجيداً لمنطقة معينة واحدة مما قد يفسر بتفسيرات كثيرة ومما قد يثير نعرات لا يجوز إثارتها قومياً ولا وطنياً .

هذه هي الأسباب التي جعلت وزارة الثقافة تمتنع عن إنتاج هذه القصة وهي لتعلن للأدباء الكرام بأن أبوابها مفتوحة لكل من يقدم إنتاجاً أدبياً منزهاً عن الشوائب التي تعيق تقدم ثورتنا ومسيرتها نحو الأمام وهي

تعلن مع شديد الأسف إن في الحديث المنقول في المقال المشار إليه على لسان وزير الثقافة ما ليس له أساس من الصحة وهي لتترفع أن تخوض مع الكاتب بمثل ما خاض به لأن بناء الثقافة لا يمكن أن يشاد على الأحقاد وعلى الضغائن وإن رسالة الكلمة هي أجل من أن تنحدر إلى ما أراد لها حيدر أن تكون .

المقال موقع باسم وزارة الثقافة وكان وزيرها في حينه سهيل غزي.

واللافت أن الرد نشر بحرف كبير واحتلت الزاوية كامل العمودين على الصفحة الأخيرة تحت عدسة الثورة.

في عدد السبت ١٤ حزيران يظهر اسم الأديب المرحوم "عادل سلوم" في زاوية "معاً على الطريق" بمقالة بعنوان: عرض حال إلى الأدباء.

عدد الأحد ١٥ حزيران.. يضع كاريكاتير علي فرزات على الصفحة الأولى.

على الصفحة الأولى بعدد الاثنين ١٦ حزيران سطر فوق المانشيت يقول:

بومبيدو يدخل الإليزيه رئيساً للجمهورية الفرنسية بعد فوزه في الجولة الثانية للانتخابات.

وفي المانشيت:

التسوية التي اقترحتها أميركا في اجتماعات الدول الكبرى تتضمن تحقيق كل الشروط التي تطلبها إسرائيل

أسرار النقاط التفصيلية "لورقة العمل" الأميركية.

أميركا تشترط أن يكون الإتفاق على جميع نواحي التسوية السلمية كصفقة تامة

وتصر على التفاوض وان تأخذ وثيقة "الحل النهائي" صفة تعاقدية بضمانات دولية.

قبول المقترحات الأميركية سيكون بداية للمطالبة بتنازلات كثيرة تتبناها أميركا نيابة عن إسرائيل.

المانشيت في اليوم التالي:

لندن بعد واشطن تتبنى مطالب "إسرائيل".

حكومة ويلسون تدعو إلى إيجاد ضمان واضح وفعال لأمن "إسرائيل" وتلوح بضرورة إجراء مفاوضات مباشرة.

في هذا العدد تظهر زاوية "سلامات" بتوقيع عين.. لا أستطيع أن أحدد من هو عين.. إنما أتذكر أن بين كتابها كان المرحوم علي الجندي.. والذي عمل في الثورة وتبوأ لفترة موقع سكرتير التحرير.

الأربعاء ١٨ حزيران تعنون الثورة:

وصول وفد الجمهورية العربية المتحدة برئاسة السادات وسط استقبال رسمي وشعبي خاص.

المباحثات الرسمية بين القطرين تبدأ صباح اليوم.

الجانب العربي السوري برئاسة الدكتور الأتاسي وعضوية جديد والأسد والطويل وماخوس والرداوي.

وتنقل الثورة عن السادات:

لا بد من المعركة لأن العدو لن ينسحب إلا بالحرب.

كان ذلك هو الحراك الأول في سلام الشرق الأوسط.. وهو إلى حد كبير حراك أميركي.. ولم تكن المتحدة وسورية على وفاق تام حوله.. حيث كان الرئيس عبد الناصر يتعامل مع الموضوع في حين سورية تأخذ منه موقف الرفض الكامل.

عدد ٢٤ حزيران يشير إلى صفحة تحقيقات أسبوعية على الثالثة تصدر كل ثلاثاء. وفي العدد ذاته يظهر محي الدين صبحي في زاوية معاً على الطريق وبعنوان "اقتراح طموح".. والمقالة تتناول الصحافة المحلية.. نأخذ منها ما يلي:

أظن أن الأوان قد آن لإعادة النظر في صحافتنا المحلية كلها، واليومية منها خاصة. فهذه الصحافة أقل ما يمكن أن يقال عنها، أولية –

في رأيي طبعاً - هو أنها صحافة لا تهتم بتطوير ثقافة القارئ. فالصفحات الثماني التي تصدر كل صباح تكاد لا تتسع لأخبار القطر والعالم، فكيف بها إذا أرادت أن تنقل للقارئ شيئاً عن الانتاج الأدبي والعلمي والفني بشيء من التفصيل والتوضيح المفيدين للقارئ الوسطي غير المختص .

فالأخبار، بعد كل حساب، تصل إلى القارئ قبل أن تصل الصحيفة، ومن وجهات نظر مختلفة وبتفسيرات متباينة . فيبقى دور الصحيفة، في عصر المذياع، تثبيت وجهة نظر معينة تستمد – بالنسبة لقضيتنا - من الموقف القومي التقدمي. غير أن هذا الموقف لا يبنى، ولا يمكن مطلقاً بناؤه، من خلال تعليقات أو وجهة نظر سياسية، لأن الموقف السياسي ينطلق من واقع حضاري معين وتطلع حضاري مكمل له، ليصل المستقبل العتيد بالماضي المجيد .

ومن هنا تنشأ حتمية وجوب أن تعتمد الصحيفة اليومية على التعليق مكملاً للخبر ومفسراً له – هذا من جهة ومن جهة أخرى تنشأ في الصحيفة حتمية وجوب أن يظهر في العدد نفسه عرض أدبي وفني وعلمي ينطلق من الموقف نفسه -الموقف القومي التقدمي - بحيث يكون كل عدد من الصحيفة سجلاً تاريخياً بين تكامل وجهات النظر التي تعمل الأمة بأكملها لتحقيقه . كما أن هذا السجال اليومي يوضح خطوات التطور ومنعطفات التغيير والوثبات النوعية التي قد تطرأ على ذاك المسار الفكري .

قد يقال أن صحافتنا تلم بذلك كله، ولو مرور الكرام ولكن لكي تتضح الصورة بالشكل الحضاري – التثقيفي الذي طرحناه آنفاً ، لابد من حيز يتسع لهذا الهدف، والصفحات الحالية لا تكفي لتغطيته، خاصة وأن النظرة المطلوبة لن – ولا يجوز أن – تقتصر على الانتاج المحلي.

من هنا كان لابد من إضافة أربع صفحات تغطي شؤون العلم والفن والأدب والمجتمع، على شكل مراجعات أو مقابلات أو تحقيقات – تضاف مرة في الأسبوع على الأقل، ريثما تستطيع تغطيتها يومياً - على ألا تكون ملحقاً بالصحيفة بل جزءاً منها .

في اليوم التالي وفي الزاوية نفسها يكتب هشام شيشكلي بعنوان: الصحافة مرآة.

في عدد الخميس ٢٦ حزيران على الصفحة الأخيرة زاوية "معاً على الطريق" بعنوان أقصوصة الريح لمحسن غانم.. وفي زاوية «سلامات» ثمة نشر خاص، يشير بوضوح إلى وجود علي الجندي وإشرافه.. جاء في الزاوية:

الكلب/ ملحق العدد ١٠٣ دمشق تموز ١٩٦٩/ زاوية النقد/

الحمى الترابية

لعلي الجندي ديوان شعر أنزلوه بالأمس للأسواق

في غلاف "موديرن " فيه التصاوير تراعي تناقض الأذواق..

وعليه العنوان "حمى تراب " ذكرت بعضهم بصيف العراق

قد قرأناه صفحة بعد أخرى بعد أخرى.. فكان صح الباقي: إنه

غامض عنيف التراكيب ولكن مضمونه أخلاقي..

إنما بحره تبخر حتى.. لم يعد منه غير بعض السواقي

صار إيقاعها خطاباً موشى ربما صادراً من الأعماق.

ناقد "الكلب" ليس ينبح للشعر ولو كان نوعه جد راقي

رغم أن النقد المهذب في البلدة – قد صار دعوة للخناق..

(طبق الأصل).. سلامات

هكذا تمضي الثورة شهر حزيران، الشهر الأول بقيادة المرحوم عدنان بغجاتي وليس ثمة ما يشير إلى وجوده.. لا افتتاحية ولا مقالة ولا.. إلا همة أدبية ثقافية واضحة ولاسيما وجوده ترافق - كما قلنا - مع محمود السيد كرئيس تحرير.

تستقبل "الثورة" عامها السابع في العدد الصادر في الأول من تموز دون أي إشارة إلى ذلك.. وفي هذا العدد نقرأ تحقيقاً ليعرب السيد منقول منه مانشيت للصفحة الأولى يقول:

تسمم ١٣٥ مواطناً في حي القيمرية حادث ينحصر في أحد الأفران.. التحقيق مستمر لتحديد المسؤولية.

على الصفحة الأخيرة يطل اسم سامي عطفة في زاوية معاً على الطريق بمقالة بعنوان: "شعور ومقصات".

في عدد ٣ تموز تدخل على الصفحة الثالثة صفحة جديدة باسم صفحة المنظمات الشعبية.. في العدد التالي هناك على الثالثة صفحة جديدة باسم صفحة المقاومة، والإشارة إلى أنها تصدر كل سبت.

نلاحظ هنا.. أن عطلة جريدة الثورة رسمت في البدء أن تكون يوم الأحد.. وبالتالي تغيب الصحيفة عن الصدور يوم الاثنين، ثم وبعد مجيء نصر شمالي إلى إدارة الصحيفة ألغى العطلة الأسبوعية.. في حين نجدها فيما بعد ذهابه، لا تصدر يوم الجمعة بما يعني أن عطلتها أصبحت الخميس.. وهذا الغياب الذي يفترض يوم الخميس يوم عطلة، سبق قدوم المرحوم بغجاتي دون أن نستطيع تحديد قرار من هو..

في العدد ذاته السبت ٥ تموز نجد على الصفحة الخامسة "منبر المواطن" وقد أصبحت على صفحة كاملة وغاب عنها اسم فواز النقري.. وهي تجعل الصفحة الخامسة "محلية".. بذلك تخفف من عبء الأخبار المحلية واليوم السابق كان يوم العطلة الرسمية والشعبية "الجمعة".

في هذا العدد نجد على صفحة المنوعات "السادسة" مقالاً رئيسياً للشاعر المصري الراحل "نجيب سرور" بعنوان:

المسرح في سورية.. عقبات على الطريق

ويطل على العدد ذاته اسم الشاعر المرحوم محمد عمران في زاوية «معاً على الطريق» بمقالة بعنوان "الشعر والتجربة".

الاثنين ٧ تموز.. الصفحة الثالثة باسم صفحة الوطن العربي تصدر كل يوم اثنين.

الجزء الثاني من مقالة سرور حول المسرح في سورية موجودة في هذا العدد وتحتل «معاً على الطريق».

الخميس ١٠ تموز نحن أمام ١٢ صفحة دون سابق إنذار وما يلي يعود إلى ٨ صفحات.. وإن افترضنا اعتماداً على تعدد صفحات الثقافة والأدب، أنه محاولة لتغطية غياب ملحق الثورة الأدبي الفني الذي كان يصدر كل خميس.. فإن الخميس الذي تلا لا يستجيب لهذا التحليل.. لأنه ٨ صفحات فقط.. وبالتالي نميل إلى الاعتقاد أن صدور الصحيفة بـــ ١٢ صفحة في ذاك العدد ليس أكثر من حدث عرضي ربما يستجيب لزيادة المواد المتراكمة.

يحوي العدد، وطبعاً يختل توزيع الصفحات، الذي لم يعرف بطبيعته الاستقرار:

الصفحة الثانية أخبار دولية.

الصفحة الثالثة منظمات شعبية.

الصفحة الرابعة أخبار محلية..

الصفحة الخامسة صفحة أدب تصدر صباح كل خميس، ويفترض بالأصل أن تكون صفحة شؤوون محلية.. ونقرأ عليها قصائد وقصصاً "صفحة إنتاج أدبي" لكل من صادق رزوق، عدنان عمامة، بكري حريتاني،عادل أديب آغا، مها بيرقدار..

نتابع صفحات العدد فنجد:

السادسة ندوة في المصرف التجاري أعدها كنعان فهد عن عمل المرأة.. وسماها "ندوة المصرف التجاري".. وإن كانت كلمة "المصرف" قد وردت دون الـــ التعريف..

السابعة سميت الصحافة في أسبوع، إعداد قسم الأرشيف.

الثامنة صفحة الفن تصدر صباح كل خميس.

والصفحة العاشرة تأخذ مكان الصفحة السادسة في العدد العادي، منوعات، وفيها تتمة مقال نجيب سرور حول المسرح السوري.

إن انتقلنا إلى الخميس التالي نجد:

الثالثة ليست منظمات شعبية كما ورد في الخميس السابق، بل صفحة بلا اسم تنشر تحقيقاً مطولاً بالصور بعنوان "قبائل الهيبيين".

الصفحة الرابعة شؤون محلية والخامسة كذلك.. أما السادسة فوردت دون اسم ونشرت فيها قطع إنتاج أدبي، قصة قصيرة بعنوان مدينة تحت السطح لياسين رفاعية.. قصيدة بعنوان السقوط في ٤ أزمنة منسية لحسان عطوان.. وقصة ظلال الأشياء لفايز مزعل.. فإن كانت هذه صفحة "أدب" التي وعدنا بها كل خميس.. وقد تكون فعلاً كذلك.. فقد حلت محل صفحة الثقافة التي لا تخلو من الأدب المعروفة باسم منوعات.

وهكذا تغيب عدة صفحات موعودة عن هذا العدد صفحة الفن.. صفحة الصحافة.. نقرأ اعتذاراً واحداً عن صفحة منظمات شعبية مع الوعد أن تنشر السبت!.

قبل أن نتأكد من عدد السبت.. نمر بسرعة على الأعداد التي صدرت بين الخميسين. يوم السبت ١٢ تموز ترد وزارة الثقافة والإرشاد القومي في زاوية "معاً على الطريق" على المرحوم سعيد مراد الذي قدم في إذاعة دمشق نقداً للوزارة لموافقتها على عرض فيلم "مدافع من أجل سان سيبستيان"، ولا ندري ما علاقة صحيفة الثورة في نشر رد على نقد في إذاعة دمشق.

في عدد ١٣ تموز يعلن مانشيت الصحيفة عن بيان مشترك لزيارة للأتاسي إلى الاتحاد السوفياتي استمرت تسعة أيام بين ٢ و١١ تموز.. وعلى الصفحة الثالثة من هذا العدد تنشر الثورة على كامل الصفحة الثالثة محاضرة طويلة ناقدة بعنوان "صحافي لبناني يكشف عورة الصحافة في لبنان" وهي للكاتب ابراهيم سلامة وقد ألقيت في النادي الثقافي العربي في بيروت.

في زاوية "معاً على الطريق".. هناك مقالة مجهولة الكاتب بعنوان "الصحافيون وزمن القهر الطويل".. واضح تعدد الكتابات عن الصحافة وتكرارها بحيث لا تغيب عن عدد تقريباً.. فإن قَرنّا ذلك بارتباك واضح في الصحيفة، نشعر بأن ثمة ما يبحث عن الفعل الإعلامي السوري..

أول افتتاحية في الثورة بعد مجيء عدنان بغجاتي كانت في عدد الأربعاء ١١ تموز وبعنوان "المتآمرون على شعبنا سينالهم العقاب"

والافتتاحية تتناول العلاقات السورية اللبنانية، وهي افتتاحية بلا توقيع فيه ويرجح أن تكون للمرحوم البغجاتي.. وقد جاء فيها:

عندما نتحدث عما جرى، وعما يجري في القطر اللبناني الشقيق من أحداث تلفت النظر، وتستثير الاهتمام الشديد فإننا بحاجة إلى مزيد من الدقة لتمحيص دلالات هذه الأحداث، واستكشاف النوايا الكامنة وراءها والمخططات التي تحركها، وما ذلك إلا لأن هذه الأحداث التي تطفو على السطح الآن تبدو لعلم المراقب المدقق مجرد مقدمات لمخطط تآمري واسع النطاق، لا يقتصر مداه فقط على القطر الشقيق والقوى المناضلة ضد الاستعمار والصهيونية فيه، بل يتعدى هذا المجال ويستهدف مجمل الحركة العربية الثورية المكافحة ضد العدوان والأنظمة والقوى التي تقود هذه الحركة.

ويحتاج المراقب حين يتحدث عما جرى ويجري في لبنان إلى مزيد من الدقة أيضاً لكي يميز بين موقف القوى المعادية للشعب فيه والتي ربطت نفسها بمخططات الاستعمار وأهدافه سواء كانت هذه القوى ممثلة في الحكم أو ملتفة حوله، وبين موقف الشعب الذي يشتد يوماً وراء يوم كفاحه ضد محاولات ضرب حركة المقاومة وضرب القوى الوطنية والتقدمية والتآمر على الحركة الثورية العربية، وهو الشعب الذي قدم خلال هذا الكفاح الشهداء وواجه كل صنوف القمع والاضطهاد.

وانطلاقاً من هذه النظرة المدققة يمكن القول الآن أن ما يجري في لبنان هو المحاولة التمهيدية، حيث تتجمع فيه إلى جانب القوى المحلية المرتبطة بالاستعمار زمر العملاء التي افتضح أمرها في أقطار أخرى، وحيث يعمل هؤلاء جميعاً وفق مخطط واحد، وزعت فيه الأدوار بإحكام على القوى والعناصر التي أنيط بها تنفيذ هذا المخطط.

وإذا قصرنا حديثنا على أحداث المرحلة الأخيرة وحدها فقد بدا جلياً أن تنفيذ المخطط الاستعماري بدأ بارتفاع الأصوات المعروفة مطالبة

بالتضييق على نشاط الحركة الفدائية ثم بضرب هذا النشاط، واستمر عبر المجزرة التي نظمتها قوى السلطة ضد الجماهير التي هبت تدافع عن وجود العمل الفدائي واستمراره وخلال هذه المعركة بين الجماهير وبين جلاديها وبعد أن اتضح بالدليل العملي أن ضرب العمل الفدائي ليس من الأهداف التي يمكن أن تحرر بسهولة، حاولت القوى العميلة في لبنان أن توجه الانتباه إلى نواح أخرى، فافتعلت من جهة الأزمة الوزارية المستحكمة منذ شهور وركزت حملة منظمة ضد القطر العربي السوري بحجة أنه هو الذي يساند الحركة الجماهيرية المناهضة لسلطة العملاء وسياستهم.

وبالطبع انطلقت القوى التي نظمت الحملة ضد قطرنا من الاعتقاد السائد بأن الموقف الصلب الذ ي يقفه القطر يشكل مساندة طبيعية لكفاح شعب القطر الشقيق وحاولت أن تشوه هذه المساندة الطبيعية وأن تقرنها بمزاعمها من التدخل في الشؤون الداخلية.

وقد أخفقت هذه الحملة.. أخفقت في تشويه مواقف قطرنا الصامد، كما أخفقت في صرف انتباه الجماهير في القطر الشقيق عن الهدف الرئيسي الذي هبت للكفاح من أجله.

وإزاء هذا الإخفاق خطا أعداء شعبنا العربي خطوة أخرى، وأفردوا صفحات الصحف المأجورة الناطقة باسمهم، لكتابات العملاء الذين اتخذوا من بيروت مقراً لتآمرهم على سورية الثورة، لكي يقوموا بحملة جديدة هدفها التشكيل بالمواقف والسياسة التي تسير وفقها، ونشر الأكاذيب والافتراءات، وفي وهمهم أ حملة التشكيك هذه سوف تؤثر في مدى تأييد الجماهير لحركة الثورة العربية والتفافها حولها.

هذه الحملة الجديدة، هي استمرار لمثيلاتها من الحملات وبسبب خبرتها بأساليب عمل الاستعمار وهي الأساليب الذي يشكل الدس والكذب جانباً بسيطاً منها.

وبكلمات أخرى إن هذه الحملة الجديدة ليست هي التي تستوقفنا في هذا الوقت، بل يستوقفنا ما يكمن وراءها خاصة وأن السلطات الرسمية في لبنان هي التي ترعى وتشجع العملاء الذين نظموها وهي التي تسمح بأن تتحول العاصمة اللبنانية إلى وكر للتآمر على سورية الثورة وعلى القوى العربية الثورية كلها.

وفي تقديرنا إن هذا الوضع يعكس نية مبيتة لتشديد التآمر على سورية الثورة كجزء من التآمر على كفاح شعبنا العربي بأسره.

وفي مثل هذه الحالة لا بد أن نقول كلمة صريحة وهي أن شعبنا العربي في لبنان وفي سوية، وفي كل قطر آخر، قد استطاع حتى الآن أن يحبط كل أشكال التآمر على قطرنا، وعبر كفاحه في هذا المجال لقي العديد من المتآمرين مصائر معروفة وما زال شعبنا قادراً على إحباط كل تآمر جديد، وهو قادر على أن يطال العملاء مهما اعتقدوا أنهم محميون، ومهما تفننوا في التستر.

وشعبنا الذي يكز جهده الرئيسي في معركة المجابهة المباشرة مع العدو الذي يحتل أجزاء غالية من وطننا ومع القوى الاستعمارية التي تسند هذا العدو، لن يسمح أبداً بأن يخرب العملاء والأذناب هذا الجهد، لن يتيح لهم أن يؤثروا أدنى تأثير في مسيرة كفاحه المتصاعد.

في عدد السبت ١٩ تموز تظهر زاوية على الصفحة الأولى بعنوان "القلم في المعركة" توقع باسم "عين".

في عدد الأحد ٢٠ تموز تظهر الصفحة الأولى بلمسات إخراجية وصحفية لافتة.. تعدد القطع.. تعدد صور.. والرئيسي فيها عن اقتراب "أبولو" من القمر.. والمانشيتات على النحو التالي:

ظهور نشاطات غريبة على القمر

أبولو تدور حول القمر على بعد ١١٢ كيلومتراً

ولونا – مركبة الفضاء السوفيتية - **غيرت مدارها في مرحلة جديدة من رحلتها**

العلماء البريطانيون: الاحتمال قائم في تحقيق انتصار جديد للسوفييت.

مرصد جودرل بانك: لونا هبطت أو بدأت بالعودة إلى الأرض.

وتتابع الصحيفة الحدث ليكون مانشيتها الأحمر في العدد التالي:

أول برقية من القمر إلى الأرض

هبط رائد الفضاء على سطح القمر الساعة ١١ والدقيقة ١٨ ليلاً

لونا ١٥ تقترب إلى مسافة ١٦ كيلومتراً من القمر وتوقع هبطها عليه.

والطريف في الخبر الذي نشرته الثورة بتفاصيله الكاملة أنه يفتقد أي وصف للمركبة أو الرواد أو هذا الإنجاز التاريخي الكبير ينسبه لأميركا..

تتابع الصحيفة.. لا دورية للصفحات المتخصصة حتى وإن أعلن عنها فهي لا تتحقق.. ويتعدد أسماء الكتاب.. وتنهج معاً على الطريق أسلوباً أن تذكر في آخر المقالة اسم الكاتب التالي.. وتستمر زاوية "القلم في المعركة" حتى يوم الثلاثاء ٢٢ تموز لتغيب كما بدأت دون سابق إنذار.. وفي هذا العدد تتابع الثورة هبوط الإنسان على سطح القمر ومقاطعتها لأميركا في إمكانية أن تنسب هذا لها هذا الإنجاز.

الشاعر والمسرحي المصري نجيب سرور يقترب أكثر من الصحيفة ويصبح من كتاب "زاوية معاً على الطريق"، يكتبها في عدد الخميس ٢٤ تموز، وفي العدد الذي يليه "السبت" تنشر الثورة نص مشروع مرسوم التنظيم الحرفي في سورية.. وفي عدد الأحد ٢٧ تموز تطلب ثلاث مرات على الصفحة الأولى وبالأحمر من القراء تقديم آرائهم وملاحظاتهم ومشاركاتهم، الإشارات على الصفحة الأولى باللون الأحمر إلى مواد منشورة في العدد تتكرر دائماً لتضاف إلى تغيرات إخراجية واضحة في الصحيفة بشكل عام..

وهي بغض النظر عن استخدام اللون الأحمر.. تشكل تطويراً فعلياً لعملية الإخراج الصحفي لا يخفي بصمات الراحل محمود السيد.

مع ملاحظة أن الثورة ومنذ عددها الصادر في ٢٧ تموز تتخلى عن اللون الأحمر لاسم الثورة "اللوغو" ويصبح أسود، مع الاحتفاظ بنوع الخط. وتستقر الصحيفة – إلى حد ما – على تحويل صفحة منوعات صباح كل خميس إلى صفحة أدب.. إنتاج أدبي..

في ٣٠ تموز.. مانشيت الثورة يتحدث عن إقرار الموازنة العامة للدولة بقيمة ١١٩٩ مليون ليرة.

في الرابع من آب على الصفحة الأولى كاريكاتير لعلي فرزات يرسم ديكاً يصيح على سطح بناء كبير كتب عليه "النهار اللبنانية" والتعليق كل ديك على مزبلته صياح..!!

كانت معركتنا مع الإعلام.. ومازالت.. ذاك هو السر.. أن نصنع إعلاماً لنا.

في عدد ٥ آب تستعيد كلمة الثورة اللون الأحمر.. وحسناً فعلت..

الأحد ١٠ آب تظهر على الصفحة الأولى زاوية سياسية لها اسم "ما وراء الأحداث" وليس لها كاتب.. بمعنى لا ينشر اسم الكاتب.. في حين تغيب الافتتاحية غالباً.. وفي عدد ١٣ آب تظهر الافتتاحية إلى جانب ما وراء الأحداث وكلاهما بلا توقيع، نقتبس من "ما وراء الأحداث" في هذا العدد:

حقوق الإنسان بين قناة الغور وجنوب لبنان

صرح السيد ابراهيم بويا رئيس اللجنة الدولية المكلفة بالتحقيق بجرائم الصهيونية ضد المواطنين العرب أن أعمال الصهاينة في الأرض المحتلة تشكل خرقاً فاضحاً لحقوق الإنسان.

ولقد كان من الطبيعي أن يصل السيد رئيس اللجنة إلى مثل هذا القرار دونما حاجة إلى الكثير من الأدلة والبراهين عن إجرام وبطش الصهاينة.

وفي اليوم نفسه طلع المتحدث العسكري الصهيوني بتصريح أكد فيه أن المدافع الإسرائيلية ستتصدى لأية محاولة لإعادة بناء قناة الغور الشرقية التي دمرت الطائرات الإسرائيلية جزءاً منها يوم وصول اللجنة الدولية إلى الشرق الأوسط.

والمتحدث العسكري الصهيوني لا يكتفي بالتصريح بأن الطائرات الإسرائيلية قد قصفت عمداً قناة الغور الشرقية في الأردن ومساكن المدنيين في جنوب لبنان، بل يعلل ذلك بأسلوب يحمل الكثير من التحدي للجنة الدولية، وللأمم المتحدة كلها، ولا ميثاق أو عرف لحقوق الإنسان فيقول لقد قصفنا الحدود اللبنانية كي نؤكد للمواطنين اللبنانيين أن الحياة قد أصبحت مستحيلة ضدهم. ثم يعلق على قصف قناة الغور الشرقية يأن توقف المياه فيها سيؤدي إلى اتلاف المزروعات في أكثر من عشرة آلاف هكتار هي أخصب الأراضي الزراعية في الأردن.

ليست هذه قرائن جديدة نضيفها إلى مجموع القرائن والأدلة المقنعة التي وضعت وستوضع أمام اللجنة الدولية.

ولكن هذين العدوانين بالذات والتعليق الإسرائيلي الرسمي حولهما، واختيار زمان القيام بإلحاح من الأمم المتحدة عن طريق لجنتها الدولية لحقوق الإنسان إلى العمل على إعطاء قراراتها صيغة عملية، فلا تكتفي بالإدانة والشجب، بل تطالب بفرض العقوبات سياسياً واقتصادياً على "اسرائيل" وعلى كل القوى الاستعمارية التي تقف وراء اسرائيل.

في عدد السبت ١٦ آب.. أيضاً هناك على الصفحة الأولى افتتاحية وزاوية ما وراء الأحداث.. وهكذا يلحظ تواتر الكتابات السياسية على الصفحة الأولى، بعد أن غابت عنها لفترة طويلة. في العدد ذاته يلحظ انتقال زاوية منبر المواطن إلى عهدة سهيل زيدان ويظهر اسم محمد محلا كاتباً في المنوعات وسلافة الشاعر في زاوية معاً على الطريق التي تكثر فيها الأسماء الجديدة.. ياسر ابو النور.. محمود حامد.. ياسر موشللي.. وغيرهم.

في عدد ٢٤ آب تعود صفحة فن تقديم عبد الله السيد إلى الصفحة السادسة لتحل محل صفحة منوعات.. وهي غالباً صفحة فن تشكيلي.

٢٥ آب يلحظ غياب عدد الاثنين.. بما يشير إلى عودة الصحيفة إلى تعطيل يوم الأحد "نهاية الأسبوع" كما بدأت عهدها.

عدد ٢٩ آب يعكس أخبار مسيرة شعبية في دمشق استنكاراً لجريمة اقتحام الأقصى.

في عدد ٣٠ آب وهو عدد ١٢ صفحة تتحدث الصحيفة عن طائرة بوينغ أميركية للهبوط في مطار دمشق الدولي، طالبةً التزود بالوقود.. وبعد هبوطها تبين أنها تعرضت لتهديد مسلح.. وبعد أن أفرغت من ركابها انفجرت مقدمتها.

وتضيف الصحيفة:

دلت التحقيقات الأولية التي أجرتها سلطات الأمن في الجمهورية العربية السورية أن فدائيين احتجزا الطائرة الأميركية ويحملان جوازي سفر ديبلوماسيين عراقيين وهما رجل وامرأة.

الثلاثاء ٢ أيلول تعلن الثورة على مانشيتها الرئيسي:

قيام الثورة وإعلان الجمهورية في ليبيا

مجلس الثورة: هدفنا تشييد دولة ليبية ثورية اشتراكية تكافح الإمبريالية والتمييز العنصري

عواصم الغرب تعرب عن قلقها وتخوفها من تغير ميزان القوى لصالح التحرر العربي.

في العدد ذاته تتحدث الثورة عن لقاء بين الرئيسين عبد الناصر والأتاسي بحضور حافظ الأسد وأنور السادات.. على هامش اجتماع دول المواجهة في القاهرة الذي حضره إضافة إلى سورية ومصر "المتحدة"، الأردن ممثلاً بالملك حسين والعراق ممثلاً بالفريق صالح مهدي عماش نائب رئيس الوزراء.

اليوم التالي ٣ أيلول تتبنى الصحيفة في مانشيتها أن:

الثورة الليبية ستغير ميزان القوى في الشرق الأوسط.

وتشير في عنوان رئيسي "٨ أعمدة" إلى برقية أرسلها الأتاسي إلى رئيس مجلس الثورة الليبي.. وتشير الصورة المنشورة أنه "سعد الدين بوشويرب".

في العدد التالي يقول المانشيت:

الثورة تجمد القواعد العسكرية الأنكلو - أميركية في ليبيا

وتنشر على الصفحة الثالثة صفحة كاملة لطالب أبو عابد وأحمد صوان عن: ثورة ليبيا العربية.. من أين.. وإلى متى..؟!

صفحة منوعات "السادسة" توجد زاوية جديدة بعنوان رسالة إلى قارئ.. تأخذ أسلوب أن يجيب أحد المثقفين البارزين عن سؤال لقارئ "قد يكون افتراضياً" ليعرفه بنشاط أو علم ثقافي يسأل عنه.. مثلاً في هذا العدد يجيب الأستاذ المرحوم "أديب اللجمي" القارئ عدنان خالدي عن سؤال من هو ألبيير كامو.. وبالمناسبة كان يعرض يومها فيلم "الغريب".

ترويسة الصفحة الأولى لعدد ٥ أيلول:

الدكتور الأتاسي يبرق: سيبقى هو شي مينه منارة لجميع الثوريين في العالم

وتتحدث الصحيفة في أكثر من موقع عن رحيل الزعيم الفيتنامي الشهير. وهناك أكثر من ريبورتاج على صفحة الجريدة خلال هذه المرحلة عن حفلة فيروز على مسرح دمشق الدولي وكانت تقدم مسرحيتها "جبال الصوان"..

في عدد اليوم التالي ٦ أيلول.. ترويسة المانشيتات على الصفحة الأولى تتحدث عن اجتماع ثلاثي بين الأتاسي وعبد الناصر وهواري بو مدين في القاهرة.. هناك متابعة للوضع في ليبيا.. والحديث عن تشكيل حكومة جديدة وإعلان أسماء أعضاء مجلس الثورة.

بشكل عام تستمر الافتتاحية وزاوية ما وراء الأحداث بشكل يومي تقريباً..

في عدد الثلاثاء ٩ أيلول تشير افتتاحية الثورة إلى تأزم في مخيم نهر البارد للفلسطينيين في شمال لبنان.. نأخذ منها الفقرات التالية:

النهر البارد ولهيب التآمر

لا تزال الأزمة التي افتعلتها الأجهزة الرجعية اللبنانية في مخيم "نهر البارد" في شمال لبنان مسيطرة على الجو العام في القطر اللبناني كله.

ولا يزال الانذار الذي وجهته قيادة الجيش اللبناني إلى سكان المخيم بتسليم المسؤولين عن اطلاق النار على الجيش خلال أربع وعشرين ساعة قائماً_ بالرغم من أن قيادة الجيش أطالت الفترة التي منحتها في إنذارها إلى سكان المخيم إلى يومين.

والرجعية اللبنانية التي دبرت الفتنة من البداية وحرضت قوات الجيش على محاولة هدم مقر قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني في المخيم، لا تزال تبذل كل جهودها من أجل تطوير الأزمة، وجعلها سبباً ومبرراً لصدام جديد قد لا تستطيع الساحة اللبنانية احتماله في الوقت الحاضر.

والرجعية اللبنانية في تنظيفها للصدام المقبل تعلن صراحة أن الوضع في لبنان لا يستطيع احتمال صدام جديد وأن صداماً على غرار صدام نيسان قد يؤدي إلى انقسام القطر أو سقوط الكيان، أو على الأقل يمكن لمحاولة صدام جديد أن تؤدي إلى مجزرة أكبر من مجزرة نيسان.

كل هذه الظروف التي تواكب أزمة مخيم "نهر البارد" تؤكد أن القضية ليست أزمة المخيم، خاصة وأن تقرير قوات الأمن اللبنانية في الحادث قرر بأن كل سك ان المخيم قد شاركوا في الدفاع عن مقر قيادة الكفاح المسلح، وعلى هذا فطلب سلطات الجيش تسليم المسؤولين عما حدث يبدو مناقضاً للوقائع التي أقرها في بداية الأزمة.

إن ما يجري في لبنان حالياً، يؤكد الموقف الذي أعلنته القوى التقدمية والوطنية في وطننا العربي كله، وهو أن حماية العمل الفدائي والقوى الجماهيرية الحاضنة له في لبنان هي مسؤولية كل الأمة العربية بتنظيماتها ونظمها التقدمية والوطنية.

فلا يجوز أن تترك للاستعمار فرصة الانفراد بجبهة واحدة يختارها من دون الجبهات قبل أن يكتمل بناؤها، فيحقق بذلك كسر السلسلة قبل أن تشتد حول عنقه وتخنقه.

إن ما يجري في لبنان يتطلب أكثر من التصريح بالرأي، وأكثر من فضح للتآمر إنه يتطلب موقفاً عربياً موحداً يقطع على المتآمرين كل طريق للتآمر ويحفظ للبنان عروبته، ويضعه في مكانه النضالي الصحيح.

في عدد ١٦ أيلول.. تنقل مانشيتات الثورة خبر افتتاح مطار دمشق الدولي الجديد.

وفي عدد ١٧ أيلول تتناول زاوية ما وراء الأحداث مهمة السفير "غونار يارينغ" للسلام في الشرق الأوسط وقد جاء فيها:

يارينغ ٦٨ ويارينغ ٦٩

لنتفق أولاً بأن الدورة القادمة للجمعية العمومية للأمم المتحدة لن تستطيع تحريك قضية الشرق الأوسط في أي اتجاه..

فموقفها من هذه القضية لن يتجاوز بياناً معدود الأسطر يشجب حوادث – خرق وقف اطلاق النار من الجانبين - ثم يؤكد على ضرورة – الالتزام بالقرار الذي أقره مجلس الأمن الدولي في أعقاب عدوان حزيران.

إذا اتفقنا على هذا، فإننا لا بد سنتفق على أن قضية الشرق الأوسط لن تجد أي جديد في الدورة القادمة للجمعية العمومية.

لكن التطور الذي طرأ على القضية خلال الأشهر الأخيرة، يتطلب موقفاً دولياً جديداً.

فالوضع في الشرق الأوسط - بإقرار جميع المراقبين_ يسير نحو الحرب، ولا بد من اتخاذ خطوات سريعة لتدارك الموقف قبل أن ينفجر.

وإذا كانت الجمعية العمومية لا تستطيع اتخاذ مثل هذا الموقف، فلا بد من وجود طرف آخر أو مركز ثقل آخر أو قوة أخرى تستطيع ذلك.

والطرف الآخر هو مباحثات وزراء الدول الأربع الكبرى التي ستعقد في نيويورك خلال انعقاد دورة الجمعية العمومية.

ليس هذا فحسب، بل إن مركز ثقل هذا الطرف الآخر – الاتحاد السوفياتي، الولايات المتحدة - سيعقد مباحثات ثنائية خاصة لدراسة الموضوع نفسه.

هذه هي الصورة التي ستتخذها القضية في نيويورك.

وأما في الشرق الأوسط – المسرح الحي للأحداث فللصورة وجهان:

الوجه السياسي: حيث موقف إسرائيل لم يتغير مفاوضات مباشرة مع العرب -.

وموقف العرب لم يتغير: انسحاب إسرائيل الكامل من الأراضي التي اغتصبتها في أعقاب العدوان، ووضع حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين العرب.

والوجه العسكري: قوى عسكرية عربية متزايدة شعبياً ورسمياً (المقاومة – والجيوش النظامية) واشتباكات مستمرة على كافة خطوط المواجهة.

تقابلها قوى عسكرية إسرائيلية متزايدة ومشتبكة باستمرار مع قوى المقاومة أو مع الجيوش النظامية.

وخلال الأشهر الأخيرة بالتحديد منذ بدء معارك المدافع على قناة السويس في آذار الماضي – أخذ الوجه العسكري يطغى على الوجه السياسي للصورة ويغطيه.

ومع تزايد الوجه العسكري أخذ الوجه العسكري صيغة أكثر عنفاً.

فطلب إسرائيل مفاوضات مباشرة مع العرب، يعني أن على العرب إنهاء حالة الحرب من ناحيتهم، دون أن تنهي إسرائيل حالة الحرب من ناحيتها.

وطلب العرب انسحاب إسرائيل وتسوية قضية اللاجئين بعدل يعني - في تفسير القوى التقدمية وقوى المقاومة - إنهاء الدولة الصهيونية في فلسطين وبناء دولة علمانية تضم جميع الأديان والأجناس باختصار ووضوح.

العرب ضد وجود إسرائيل.. وإسرائيل ضد وجود العرب..

أمام هذا الطرح الحاد للقضية، ماذا تستطيع الدول الأربع الكبرى أن تفعل؟..

حتى الآن يبدو أن كل دولة من هذه الدول قد فعلت ما تريد أو ما تستطيع.

أمريكا قدمت السلاح لإسرائيل.

الاتحاد السوفياتي قدم السلاح للعرب.

بريطانيا سلبية مع العرب إيجابية مع إسرائيل.

فرنسا سلبية مع إسرائيل إيجابية مع العرب.

إذن: فالدول الأربع الكبرى لن تأتي بجديد.

لكن الموقف يستدعي عملاً جديداً وسريعاً. وإعلان الدول الأربع الكبرى فشلها في ذلك يعني خطوة نحو الحرب في الشرق الأوسط. وعلى هذا فستختار هذه الدول الحل الوسط.

والحل الوسط يعني الوسيط الدولي يارينغ.

وكلمة يارينغ تعني بضعة أسابيع مع الأسفار والترحال والمباحثات بين عواصم الشرق الأوسط. تماماً كما حدث عام ١٩٦٨.

لكن يارينغ سيجد نفسه أمام شرق أوسط جديد هذه المرة..

فرائحة البارود تملأ المنطقة، وأزيز الطائرات يعلو سماءها، وطلقات الرصاص تغطي جبالها ووديانها..

وهذا ما سيختصر مهمته ويقنعه بالعودة نهائياً إلى سفارة بلاده في موسكو..

خلال هذه الفترة يبتدع هاني الحاج زاوية على الصفحة السادسة "منوعات" وكان يشرف عليها بصفة رئيس قسم، باسم "جرة قلم".. وكان يكتبها يومياً لكن.. بعد فترة أصبحت تكتب من مجموعة من الكتاب العاملين في الجريدة غالباً.. وغالباً هاني الحاج. في هذا الوقت أيضاً غابت زاوية "سلامات" على الصفحة الأخيرة وظهرت مكانها زاوية باسم "صباح الخير" توقع باسم "أبو راجح" ثم ظهر توقيع "أبو وضاح" والغالب أنه المرحوم محمود السيد، نأخذ زاويته في عدد ٢٦ أيلول:

آغا شان : يشتم الدولة ويلعن أمانة العاصمة

في تاريخ التنابلة حادثة تسمى بموقعة "الدردنيل" مثل موقعة "واترلو" أو موقعة "العلمين".. ومثلما عرف نابليون" و"رومل" و"مونتغمري" عرف آغا شان!!

وآغاشان بطل موقعة الدردنيل، لم يكن عاملاً ولا كاتباً لم يكن موظفاً ولا بائعاً متجولاً يتهرب من المواقع التي تعينها أمانة العاصمة ويحتل أخرى لا لأنها أكثر رزقاً، بل لأنها توفر له الماء العكر الذي يتصيد به دونما رقابة أو حساب.

لم يكن آغا شان هذا ولا ذاك، بل هو عاطل لا يتسكع في الشوارع قارصاً كبرغوث غامزاً كغراب أعور، وهو أيضاً لا "يتمجلس" في واجهات المقاهي ليمتد لسانه وراء المارة كحبل من "الدبق" أو إلى ما حوله وإلى معارفه كما كان " الحطيئة" رحمة لأمه.

وظل آغا شان يأكل هنيئاً ويشرب مريئاً حتى صدر "فرمان" الباب العالي الذي يقضي بقذف التنابلة في مياه "الدردنيل" بعدما ضاق السلطان بتزايد التنابلة وفقر ذات اليد، لكن أحد "المحسنين" توسط السلطان وتكفل بخبز جاف "للتنابلة" عندها ظهر آغا شان كبطل موقعة وقال إما أكل بمرق، إما موت بغرق..

ورغم أن آغا شان قذف في الدردنيل، وشبعت منه أسماك ذاك الزمان إلا أنه ما زال يظهر بين حين وآخر، وفي زمننا هذا تعدت أشكاله لكنه ظل هو هو: آغا شان الذي يأكل من تعب الآخرين ويطلب من الدولة لا أن تحفظ الأمن، وتقيم المصانع وتفتح الشوارع، وتبني المدارس، بل يريدها أيضاً أن تقدم له الفطور وهو مضطجع والغداء في زاوية معطرة بـــ "مكسيم" والعشاء في "القصر" و.. أن تلاحق معاملة له في إحدى الدوائر، وأن تجند أمانة العاصمة مستخدماً يعمل بينه وبين "برميل القاذورات" وإلا فإنه سيظل يشتم الدولة، ويلعن "أمانة العاصمة".

أبو وضاح

تشير صفحات الجريدة خلال هذه الفترة إلى أنها حققت هدوءاً انعكس على صفحاتها ولاسيما في الإخراج، وأظهرت توسعاً ثقافياً واضحاً على حساب الصفحات الأخرى، ولا شك أن لذلك علاقة أكيدة بقيادة عدنان بغجاتي ومحمود السيد لها.. من جانب آخر سهل ما وصفناه بهدوء الجريدة توفر مواد سياسية ذات طابع أميل إلى الهدوء، بعد أن أثرت حرب ١٩٦٧ إما بإبعاد المادة السياسية التحليلية المعلوماتية وإما بإغراقها بالحماسة ولاسيما في متابعتها للعمل الفدائي والكفاح المسلح.

وقد كثر كتاب الجريدة خلال هذه الفترة حتى إن الزاويا أصبحت توزع على الصفحات دون تنظيم.. هناك زاوية مثلاً تنشر مع المواعيد التي هي زاوية خدمات للقارئ يكتبها أبو عاصف.

ومن الكتاب الجدد في الجريدة هذه الفترة حسن حيدر، صادق رزوق.. محمود حامد.. عبد السلام حجاب.. صبحي أحمد.. وليد مشوح.. وحسين جمعة.

صيف وخريف
مع عبد الناصر

اقتربت الساعة من الواحد ظهراً.. شمس آب ترمي الجو بأشعة يصعب تلقيها.. ودمشق تسخّن بانتظار المساء.. ونحن على مقربة من أيام معرض دمشق الدولي حيث ليالي بردى الرطبة.. الذي كان يفتتح في أواخر آب ويغلق في أواسط أيلول..

دخلت المكتبة قرب ساحة فيكتوريا، طلعة بوابة الصالحية، ربما لأستظل.. وربما لأضيع وقتاً ريثما يقترب موعد دوامي في الجريدة.. وربما وهذا الغالب اقتداء بفتاتين جميلتين سبقتاني.

زميلنا في كلية الحقوق الليبي، "فتحي" اختطف النظر مني.. لم أكن معتاداًعلى رؤيته في الصيف مع أنه كان مقيماً في سورية.. التقطني على الفور بضحكته الجريئة، هتف لي وهو يومي بيده وفيها الغليون "البايب" الذي لا يفارقه..

بدأت مقدمة معه فيها إشارة إلى أنني مشغول جداً وسأغادر إلى الصحيفة، فهم فوراً.. وقال لي:

- *لا تخف.. لن أستوقفك.. ذاهب إلى لقاء سفيرنا.. فقط أريد أن أعرف منك.. هل لديكم في الجريدة تعليمات بخصوص العلاقة مع عبد الناصر..*

قلت:

- لا أبداً.. بالعكس نحن نلهث وراءه..

- على أي خط "وضحك"..
- الستر ة..
- لسنا مكشوفين..!!
- لا أبداً.. لكننا نجد في جهد العربية المتحدة ما يقوي من عزمنا..
- لن نفوت في بازار.. قل لي هل هناك إحساس بأن الرئيس عبد الناصر قد يتماهى مع مشاريع السلام المحتملة..
- اليساريون القريبون من الشيوعيين يقولون ذلك..
- وأنت ماذا تقول..؟!
- أعتقد أن ثمة كثيراً مما يواجهنا ويحتاج إلى أن "نقول" حوله قبل أن نصل إلى الرئيس عبد الناصر.

تركني واتجه إلى أحد الرفوف يتابع عناوين الكتب.. كان مثقفاً، قارئاً جيداً، وعريف حفلات من النوع الممتاز..

استغللت انشغاله عني وسألت صاحب المكتبة.. عن كتاب "عبد الناصر من حصار فالوجة إلى الاستقالة المستحيلة.."

قال لي:

- غير موجود..
- لماذا؟
- لا يسمحون به..
- نحن وعبد الناصر في أحسن علاقات اليوم.
- لا تصدق.. يمدون له يداً وفي الأخرى خنجر..

كان فتحي يسترق السمع فاتجه إلى صاحب المكتبة وقال له:

- مددنا له يدنا فوجدنا كلتا يديه مشغولتين كل منهما بخنجر..

رد صاحب المكتبة وبدت واضحة مناكدة الصداقة:

- دخيلك أنت شو بتفهم بالسياسة..
- أنت بياع كتب.. أنا أقرؤها وأنت تجمع المصاري..

• أنت ما بقي عندك شيء تبيعه..

رغم الطابع الممازح، بدا الزعل على فتحي..

حوّل صاحب المكتبة الحديث مستغلاً انشغاله لبعض الوقت في الرد على طلبات الفتاتين.. قال لي:

• شو صار بصاحبنا..؟!

- من..؟!

• هذا الشاب الصحفي المثقف خريج القاهرة..

- منذر عامر..

• نعم..

- ترك الجريدة..

• تركها أم تُرّك..؟!

بدا واضحاً أنه يريد أن يستمر الحديث لمجابهة فتحي في الحوار.. كان منذر عامر – وقد أسلفت حديثاً عنه في هذا الكتاب - ناصرياً بامتياز، وهو فلسطيني الجنسية بجواز سفر أردني خريج جامعة القاهرة قسم صحافة، عمل معنا في أرشيف صحيفة الثورة.. وكان سلساً في حديثه غنياً بالمعلومات الثقافية البانورامية ولهجته مصرية دون أي شائبة. وغالباً يتلقى الناس حديثه برغبة وحب ومنهم صاحب المكتبة.. هذا إضافة إلى أنه زبون كتب مميز وقد زرنا أنا وهو هذه المكتبة أكثر من مرة.. والحقيقة التي لا يمكن نكرانها أن إدارة الثورة أنهت التعاقد معه لأنه كان يضع صورة عبد الناصر على مكتبه.. وأعترف اليوم أنا دون خوف.. أنه سألني:

• هل هناك مسؤولية على وضع صورة عبد الناصر هنا..؟

قلت:

- لا.. أبداً.. نحن في أحسن علاقات..

أخطأت أنا التقدير ودفع منذر الثمن.. على أنه لم يقاطعني ولم يحملني أي مسؤولية ثم غادر سورية ولم يعد..

على عكس ما توقع صاحب المكتبة، لم يقم فتحي للحكاية كبير الاعتبار.. كي لا يستفسر.. وبصراحة رغم انتمائه إلى حزب البعث العربي الاشتراكي.. كان منطلق الفكر والعقل.. لكنه يتجاوز الحدود في تعامله مع الآخرين..

خرجنا معاً أنا وهو.. وفاجأني أنه اتجه لمرافقتي رغم ادعائه أنه ذاهب للقاء سفيرهم.. تحدثنا عن معارك تجري مع إسرائيل.. عبر قناة السويس.. وعبر خطوط وقف إطلاق النار مع سورية.. وعبر العمل الفدائي.. وسألته:

- هل يكفي هذا للتحرير..؟!

- العمل الفدائي وحده يكفي..

- استنزاف العدو ضرورة..

- أعرف إعجابكم بذلك.. معارك لا تغيب عن مانشيتات صحيفتكم.

- أيضاً العمليات الفدائية لا تغيب..

- هنا الأمل.. حرب التحرير الشعبية وفقط..

- يا رجل، القضية أكبر من ذلك..

- الجيوش النظامية لن تستطيع أن تفعل.. وهي تستهلك الموارد.. هل تعرف كم دفعنا لتحصين الجبهة..

كنا قد خسرنا خطوط جبهتنا الحصينة بحرب ١٩٦٧ وعلى خطوط وقف إطلاق النار الجديدة كانت تجري عمليات تحصين الجبهة بجهود آلاف العمال.

تلك الفترة عرف الشارع العربي الاتجاهين.. اتجاه الدعوة للتحرير عبر حرب تحرير شعبية وكنا نغني لفيتنام في مقاومتها للأميركان.. واتجاه التحرير عبر الحرب النظامية وشعارنا ما أخذ بالقوة، لن يسترد إلا بالقوة.. وكانت مقولة الرئيس عبد الناصر الذي كان كثيرون يشيرون إلى أنه بدأ لعبة السلام.. وكانت مدانة من الجميع تقريباً..

لم تكن القيادة السورية على موقف واحد من ذلك كله.. لكن طيف الرئيس عبد الناصر كان يوحدها.. أما صحيفتنا فلم تجد من يوحدها.. ولم تنفع شهور المرحوم عدنان البغجاتي الخمسة أو أقل من خمسة في إظهار هوية إعلامية لها.

بسرعة مضت أيام البغجاتي

في عدد الأول من تشرين الأول صفحة كاملة عرض وتعليق طالب أبو عابد.. بعنوان تقارير من داخل إسرائيل.. تتحدث عن حاجة إسرائيل للحرب حملت عنواناً يقول:

متى تشن إسرائيل عدوانها الرابع..؟!

ولماذا يعتقد الصهاينة أن الحرب قادمة حتماً..؟!

في العدد التالي صباح الخميس ١٠\١٢ وعلى الصفحة الثالثة أيضاً تقرأ مادة صحفية سياسية تحليلية على امتداد الصفحة للدكتور فتحي موسى بعنوان: "لماذا مضمون تقدمي للثورة الفلسطينية".. وحملت عناوين أخرى منها:

إما أن تكون الثورة تقدمية.. وإما أن لا تكون

لا يمكن تأجيل الثورة لما بعد التحرير.. لأن التحرير لا يتم إلا بالثورة..

تلك الأيام كان هذا الموضوع إشكالياً وكل نقاش مؤيد ثوري متحمس ورافض مستهجن.. أعني موضوع لمن الأولوية للثورة الاجتماعية داخل البلدان العربية أم للتحرير.

في أعلى الصفحة السادسة "منوعات" نقد سينمائي بقلم الدكتور رفيق الصبان. يتابع من خلال أسبوع الأفلام البولونية في دمشق متوجاً فيلم "كل شيء للبيع" قائلاً: إنه سيطر على الأسبوع البولوني.. الفيلم للمخرج "أندريه فايدا" الذي حضر عرض فيلمه في دمشق والتقى الجمهور.. وقد أقيم له فيما

بعد أسبوع خاص لأفلامه، وكان يتمتع بشهرة ولا سيما في الغرب لأنه كان مناهضاً لزعامة الاتحاد السوفياتي المطلقة على مجموعة الدول الاشتراكية ومن بينها بولونيا.

كانت أسابيع الأفلام تقام غالباً في صالة الكندي التي شكلت في تلك الفترة منارة ثقافية.. وكان النادي السينمائي يقدم عروضه فيها .

في هذا العدد يظهر اسم "سهيل ابراهيم" لأول مرة في زاوية "معاً على الطريق" تحت عنوان "أدباؤنا لمن يكتبون".

في العدد التالي الصفحة الثالثة "اقتصاد" يكتب فيها د. محمد رياض الأبرش وجميل الجندي ومؤيد أبو الشامات.

وفيه أيضاً - وهو عدد جمعة - تظهر صفحة "أدب" مكان صفحة منوعات علماً أن موعدها الافتراضي كما كان موعوداً هو الخميس.. وعلى الصفحة السابعة تظهر لأول مرة صورة معمر القذافي مأخوذة من مؤتمر صحفي له في طرابلس بصفته رئيس مجلس قيادة الثورة.

عدد السبت يعلن عن انتهاء زيارة الأتاسي لكوريا وانتقاله إلى موسكو.. حيث اجتمع برئيس الوزراء السوفييتي ألكسي كوسيغين.

في عدد ١٩٦٩/١٠/٥.. لقاء على صفحة كاملة أجراه فيصل عبد الله مع الدكتور محمد العمادي.. وكان يشغل منصب معاون وزير التخطيط.. ويحمل اللقاء العناوين التالية:

الشعب سيشرف بصورة مباشرة على مختلف مشاريع الدولة

الفرق بين الخمسية السابقة والمقبلة..

الانتقال من إعداد الموازنة الإنمائية إلى شمول التخطيط لمختلف موارد ومشاريع القطر

مضاعفة الدخل القومي خلال عشر سنوات

الزيادة ستصيب دخل كل مواطن.

طبعاً هكذا وردت العناوين في اللقاء.. والمقصود بالخطة السابقة هي الحالية في حينه.. وهي الخمسية الثانية التي كانت في عامها الأخير.. وكثير من الباحثين الاقتصاديين يعتبرونها أفضل خطة خمسية بتاريخ سورية.

على الصفحة السادسة تحل صفحة "فن" محل منوعات والمقال الرئيسي فيها عن الفن العربي الحديث بين الأصالة والتقليد للفنان نعيم اسماعيل.. والطريف أن الثورة أخذت المقال عن مجلة "الطليعة" السورية وكانت تصدر عن دار البعث.

على الصفحة الأخيرة ترى زاوية "ما قل ودل" تحل محل زاوية سلامات وقد كتبها منيف حسون، وتستمر في العدد التالي للكاتب نفسه بما يعلن عن أنها ترسخ أقدامها مكان زاوية سلامات.

الأربعاء ١٠\١٨، مانشيتات الصفحة الأولى محلية، وجاء فيها:

الدكتور الأتاسي يحدد معالم الخطة الخمسية الثالثة

محور الخطة يجب أن يكون الاعتماد على النفس وبناء القدرة الذاتية

مجتمع التخطيط الكامل هو الذي يجعل الإنتاج مجدياً.. وإذا بقي التسيب سيبقى هدر الطاقات والموارد

الحزب سيتحمل مسؤوليته كاملة في أن يكون قدوة في العمل وفي مستوى الريادة.

على الصفحة الثالثة يترجم متري حمارنة عن "الشؤون الدولية" بحثاً بعنوان "التغلغل الصهيوني في العالم الثالث" وما ينشر في هذا العدد الحلقة الأولى منه.

يستمر منيف حسون كاتباً وحيداً لزاوية "ما قل ودل" وتستمر زاوية "ما وراء الأحداث" على الصفحة الأولى يومياً ودون توقيع.

يظهر اسم مجدي العقيلي في الصفحة الثقافية ويستمر الدكتور رفيق صبان ناقداً سينمائياً فيها. وكذا نعيم اسماعيل ناقداً فنياً، ويظهر اسم "ياسين رجوح" في زاوية معاً على الطريق بمقال بعنوان "صباح الخير أيتها السعادة".

في عدد السبت ١٠/١١ ودون توقيع هناك افتتاحية "صوت الثورة" بعنوان "حديث الحلول.. إلى أين؟"

كان الموضوع في حينه خلافياً إلى حد ما.. وقد بدأت تظهر إشارات إلى الرئيس عبد الناصر على أساس أنه يبحث عن حل سلمي بما يضعه تحت اتهام غير معلن بصوتٍ عالٍ.. الافتتاحية دون توقيع.. وسنعرضها هنا لأنها تمثل موقف حزب البعث العربي الاشتراكي وقيادته والحكومة السورية في حينه:

الذين يتحدثون عن الحلول السلمية وعن الخطوات الجديدة التي قطعت على هذا الطريق. معتمدين على الاتصالات التي تمت بين ممثلي الدول الكبرى ثنائياً ورباعياً في الأمم المتحدة، وعلى بعض التصريحات التي صدرت عن هؤلاء الممثلين، وعلى نفي الأمين العام للأمم المتحدة للأنباء التي ترددت عن انتهاء مهمة المبعوث الدولي للشرق الأوسط. وتأكيده على استمرار هذه المهمة.. وأخيراً على ما يتردد الآن من أخبار حول مفاوضات على طريقة مفاوضات رودس.. الذين يتحدثون عن هذه الحلول والمفاوضات معتمدين على كل هذه الظواهر. يتجاهلون كثيراً من الحقائق التي تقود إلى عكس ذلك وتؤكده، فالحلول التي يريدها أو يرضى به الطرف الآخر، فالعدو لا يرضى بأقل من الحصول على الاعتراف الكامل بوجوده، وتوقيع معاهدة للصلح معه، والتسليم له بكل الأراضي العربية التي يحتلها أو بالقسم الأكبر منها على الأقل.

بالإضافة لفلسطين المحتلة. وقد جاءت معظم تصرفاته منذ عدوان حزيران حتى الآن لتؤكد مطاليبه هذه، وعدم تنازله عن أي واحد منها. بل إنه في الأسابيع الأخيرة أخذ يتصرف على أساس تجاوز ما يسمى بقرار مجلس الأمن، واعتباره جزءاً من الماضي لا يجب العودة إليه. كما أخذ يتحدث عن مفاوضات على مستقبل العلاقة بين دولة العدوان الصهيوني بحدودها الحالية، وبين الأقطار العربية المجاورة. وهذا السلوك هو نفس

الأسلوب الذي اتبعه العدو أعقاب قرار التقسيم عام ١٩٤٧، وفي أعقاب الهدنتين الأولى والثانية اللتين وقعتا بين العدو والجيوش العربية عام ١٩٤٨، وفي أعقاب مفاوضات رودس والهدنة الدائمة التي نتجت عنها. ثم في أعقاب جميع الاعتداءات والتجاوزات على الأرضي المجردة من السلاح التي استولى عليها العدو.. كان دائماً يعتدي ويتوسع، ثم يماطل ويسوف في كل القرارات الدولية التي تطالبه بالانسحاب إلى أن تصبح هذه القرارات جزءاً من الماضي كما يدعي ويتصرف الآن، أو إلى أن يغطيها بعدوان توسعي جديد يصبح هو محور المماطلة والتسويف.

وإذا كان هذا هو موقف العدو الذي لايقبل بأي حل لا يمنحه حرية الوجود وحرية العدوان والتوسع في الوقت الذي يشاء. فإن موقف الجماهير العربية المقابل هو رفض أي حل يمنح العدو أي حق في أي شبر من الأرض الفلسطينية والعربية، ومن هنا نرى أن الفرق كبير بين شعار كل شيء للعدو الذي يرفعه العدو. وشعار لا شيء للعدو الذي ترفعه الجماهير العربية وقواها المقاتلة والذي يكفي وحده لأن يمنع كل حل قد يكون فيه أدنى تنازل عن أي حق من حقوق الشعب العربي في أرضه ووطنه وأن يحول دون قيام أية مفاوضات مع العدو مهما كانت طبيعة وغرض هذه المفاوضات.

والجماهير العربية وقواها المناضلة حين ترفض مثل هذه الحلول إنما ترفضها بسلوكها النضالي اليومي سواء على جبهات القتال العربية أو داخل حدود الأرض المحتلة وانتقال القوات العربية إلى ممارسة العمليات الهجومية المحدودة، والإغارة على مواقع العدو في عمق الأرض التي يحتلها. كل ذلك لا يوحي بأن الأمور تسير نحو حل سلمي. بل على العكس إن تصاعد هذه العمليات يعتبر مقدمة لعمليات أكبر وأوسع، وربما يشير إلى اقتراب الصدام الواسع الذي يستهدف تحرير الأرض العربية، ولا يقلل من صحة هذه التوقعات ما تثيره الأوساط العملية بغرض الدس والتشكيك عن قبول الجمهورية العربية المتحدة بالمفاوضة مع العدو على طريقة رودس.

كذلك إن الذين يتحدثون عن الحلول السلمية ومفاوضات رودس، يتجاهلون وجود الشعب العربي الفلسطيني، والدور النضالي الطليعي الذي يمارسه في المنطقة الآن، والعمليات الجريئة والباسلة التي يمارسها مقاتلو هذا الشعب ويكبدون العدو فيها أفدح الخسائر، والاستقطاب الجماهيري العربي الذي يلتف حول حركة المقاومة لفلسطينية والذي يمكن أن يتحول إلى حركة تحررية شعبية هائلة تستهدف ضرب كل المواقع والاحتكارات الأميركية في المنطقة.. ويتجاهلون بالتالي الدور الذي يمكن أن يلعبه هذا الشعب - بكل هذه القوى المادية والمعنوية التي يملكها - في التصدي لكل المساومات والحلول التي تمس قضيته.

وحتى الدول الكبرى أو الدولتان الكبيرتان اللتان تتفاوضان من أجل الوصول إلى حل لما يسمى بأزمة الشرق الأوسط فإن بينهما من الخلاف والتباين حول مفهوم هذا الحل ما يقارب الخلاف القائم بين إرادة الجماهير العربية، وإرادة العدوان الصهيوني، ولم تستطع كل الجلسات والاتصالات المستمرة أن تقرب بين وجهتي نظرهما.

من هنا ولكل هذه الاعتبارات نرى أن الحديث عن الحلول السلمية والمفاوضات من أي نوع وعلى أية طريقة لا يستند إلى أي دليل من دلائل الصحة، ولا يقصد منه إلا الدس والتشكيك. وهو لذلك حديث مرفوض.

وفي اليوم التالي تتابع افتتاحية الثورة الشأن ذاته وفيها رد على ما طرحه آبا إيبان "وزير الخارجية الإسرائيلي" حول المفاوضات والسلام مع العرب.

على الصفحة الثالثة من هذا العدد.. نقرأ عنواناً:

الأيديولوجيا والتكنولوجيا

الأبعاد الأساسية للمشكلة

والطريف أن الصحيفة تشير في مربع صغير إلى أن المقال هو حلقة ثانية وقد نشرت الأولى في ٢٢ آب الماضي ومنقول عن مجلة "الكاتب"

المصرية!! وبالمناسبة فقد كثرت في هذه المرحلة المقالات المأخوذة من دوريات أخرى.

في العدد نفسه يحل طالب أبو عابد كاتباً لزاوية "ما قل ودل" محل منيف حسون.. وفي العدد التالي يسميها "صباح الخير.." ويستمر كاتباً لها.

الخميس ١٠\١٦ تظهر لأول مرة صفحة اسمها "الفكر السياسي".. وتشير أنها ستصدر كل خميس بإشراف الدكتور "طيب تيزيني".. ويكتب مقالها الرئيسي بعنوان قضية الثقافة والمثقفين وآفاق حلها.. ويكتب محمد أبو خضور نقد بعنوان: الرجل ذو الاتجاه الواحد.. وهو كتاب الفيلسوف الأميركي هربرت ماركوس.. ويفتح صفحات القاموس السياسي.. تعريف بادئ ذي بدء لـــ"الإمبريالية" وهناك زاوية بعنوان رجل وموقف وموضوعها "كارل ماركس" وزاوية أخرى لطيب تيزيني بعنوان "على طريق الوضوح".

الأربعاء ١٠\٢٢ تعنون الثورة على صفحتها الولى:

المكتب السياسي لحزب البعث العربي الاشتراكي يتخذ مواقف حازمة تجاه مؤامرة تصفية العمل الفدائي في لبنان

إغلاق الحدود وإنذار السلطات المتآمرة..

والافتتاحية عن محاربة التآمر بحزم الثورة..

ينشر العدد أيضاً مشروع قانون اتحاد شبيبة الثورة.

ويظهر في العدد اسم محمد الماغوط كاتباً لزاوية معاً على الطريق بعنوان "سينما الكندي وأفلامها الطليعية".. نوردها هنا:

بمنتهى حسن النية ومع بالغ التقدير، للأهداف السينمائية النبيلة التي افتتحت صالة الكندي لتحقيقها، نجد أن لا مناص من التنبيه إلى أن هذه الصالة تكاد تتحول في الآونة الأخيرة إلى ملجأ فوق سطح الأرض لإيواء العقد والمعقدين! إذ قلما يمر شهر إلا وتتحفنا بفيلم بين المشكلة التي يطرحها وأي من مشاكلنا الملحة مسافة مليون ميل على الأقل، وذلك بحجة أن مخرجه "طليعي" أو أن كاتبه من "النخبة" والمواطنون عندما يقبلون على

أفلام هذه الصالة بتلك الكثرة التي يشهدها شباك تذاكرها، إنما يفعلون ذلك لاطمئنانهم أن هذه السينما ملك الدولة، وأن الدولة لا يمكن أن تخدع المواطن وتدعوه – على نفقته – ليربض ساعة ونصف الساعة على مقعده ليشاهد فيلماً لا يعرف لموضوعه رأساً من ذنب. وفيلم "برسونا" للمخرج السويدي "برغمان" آخر الأمثلة على ذلك: امرأتان وحيدتان – مريضة وممرضة في مستشفى منعزل، تتطور علاقتهما الطبية بفعل الضجر والعزلة إلى علاقة غرامية.

في البلدان الاسكندنافية حيث المجتمعات لا توجه في حياتها أية مشكلة إلا مشكلة الطقس، تجد في عشق امرأة لإمرأة، أو قط لقطة مشكلة تستوجب اجتماعاً طارئاً للبرلمان السويدي أو الدانماركي لمناقشة أسبابها وأبعادها، أما في بلادنا وحيث عندنا من المشاكل الأكثر أهمية وإلحاحا ً وبأعداد تفوق عدد الشعر الذي في رأس مخرج بيرسونا وممثلي بيرسونا، فلن يكون من المستملح لا سينمائياً ولا وطنياً تقديم هذا الفيلم أو من كان على شاكلته كخطوة جديدة نحو الأهداف السينمائية النبيلة التي افتتحت صالة الكندي لتحقيقها. ثم لو أن الصالة افتتحت أصلاً بأموال سويدية أو إيطالية لكان من حقها أن تنصب تمثالاً لبرغمان على ذرى قاسيون، وآخر لفلليني أو انطنيوني في ساحة الأمويين، وتعرض كل أسبوع فيلماً جديداً يعالج مشكلة سويدية أو ايطالية جديدة.

ولكن بما أن هذه الصالة قد افتتحت بأموال الشعب في هذا البلد فمن حقه عليها ومن واجبها هي، أن تعرض له أولاً وقل كل شيء الأفلام التي تعالج مشاكل قريبة من مشاكله، أو تمت بطريقة ما إلى همومه وعذاباته وقضاياه. وتحقيق هذا الواجب. لا يلزم صالة الكندي بالاشتراط على مصدري الأفلام إليها أن يرفقوا مع ما يثبت انضمام مخرجيها وممثليها إلى إحدى المنظمات الفدائية، وإنما يقتضي التسليم النهائي من قبل لجنة مراقبة الأفلام عندنا بأن المواطن العربي قد تغير أو هو في مرحلة التغير النهائي

بعد حرب حزيران، وأن الطرفة التي كانت تستثير ضحكه قبل الحرب، قد تستثير دموعه في الوقت الحاضر.

وهذا المواطن لا يضع مشاعره التي اكتسبها بعد الحرب في درج المكتب أو خزانة الثياب، ويمضي خالي البال إلى المسرح أو السينما. إن تلك المشاعر تجلس في مؤخرة رأسه حينما جلس في السينما أو المسرح أو الباص أو صالون الحلاقة، وكل ما يعرض عليه من أفلام ومطبوعات ونوادر، إذا لم تمس بطريقة أو بأخرى. تلك المشاعر المستقرة كالرصاصة في مؤخرة الرأس، سيكون عديم الجدوى . وهذه الانطباعات لا ترمي إلى التقليل من أهمية أفلام "برغمان" وإخلاصه الواضح في بحثه عن الأشياء التي يفتقدها أبطاله. ولكن تظل مشاكلنا الملحة أكبر من مشاكل برغمان. والأم التي فقدت أولادها في حرب أو معركة أن تجد ما يعزيها في نواح امرأة فقدت حقيبتها أو مظلتها في شارع أو مقهى.

في عدد الخميس ١٠١٢٣ جاء عنوان الافتتاحية باللون الأحمر "الحل السلمي وأحداث لبنان..".. ومن المناسب ذكره أنه في هذا اليوم صدر مرسوم إنهاء تكليف عدنان بغجاتي مديراً عاماً للثورة.. ولم يحضر بديلاً على الفور.. إنما استغرق الأمر نحو أسبوع..

صفحة طيب تيزيني عدلت اسمها من الفكر السياسي إلى "الفكر".. وأكدت موعدها الخميس ويلحظ عن الدكتور تيزيني كتب كل مواضيعها وزواياها عدا زاوية على طريق الوضوح التي جاءت موقعة من قبل عبد الإله النبهان.

تتحدث الصحيفة في هذا الفترة بإسهاب عن "مؤامرة" والمقصود بالحديث هو الاحتكاك الذي جرى بين الفدائيين الفلسطينيين والسلطات والجيش في لبنان.

على الصفحة الأولى من عدد ١٠١٢٤ العناوين التالية:

حظر التجول في جميع أنحاء لبنان.. والمعارك ماتزال مستمرة بين الفدائيين والجيش.

جماهيرنا العربية في مسيرتها الكبرى تصر على ضرب المتآمرين.

في المادة التالية تحت الرئيسي والصورة الكبيرة:

الجيش اللبناني يشن هجمات جديدة على الفدائيين بينما تواصل القوات الإسرائيلية احتلال قرية كفركلا

فتح تسلم الجنود اللبنانيين المحتجزين

اشتباكات في شوارع بيروت وسقوط عدد من الجرحى

الافتتاحية بعنوان: أميركا.. والمؤامرة في لبنان.

على الصفحة الثانية وفي زاوية أضواء على العالم كتب سليم خليفة تحت عنوان أبعد من لبنان..

وعلى الصفحة الثالثة تحقيق موسع لطالب أبو عابد تحت عنوان:

ماذا جرى في لبنان قبل وبعد المجزرة

قوى الثورة العربية تطالب بسحق المؤامرة

وعلى الصفحة الخامسة تغطية للمسيرة وبيانات وبرقيات حول ما يجري في لبنان.

وتتابع الحالة اللبنانية على صفحات الجريدة بأعدادها التالية.. ومن بين ما نشر قطعة في أعلى الصفحة الأولى بعنوان:

الناطق الصحفي في رئاسة الوزراء يوضح واقع المخابرة الهاتفية مع رئيس الدولة

وقد ورد فيها:

الناطق الصحفي في رئاسة مجلس الوزراء يوضح واقع المخابرة الهاتفية مع رئيس الدولة

توضيحاً لما أذيع ونشر في بيروت حول مخابرة هاتفية مع السيد رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء الدكتور نور الدين الأتاسي فقد صرح الناطق الصحفي في رئاسة مجلس الوزراء بما يلي:

في صباح الخميس الثالث والعشرين من تشرين الأول الجاري رن جرس الهاتف في منزل رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء الدكتور نور الدين الأتاسي وتبين أن الرئيس شارل الحلو كان على خط الهاتف من بيروت وطبقاً لما تتطلبه المجاملة واللباقة فقد تفضل السيد الرئيس بالإجابة على هذه المخابرة. وقد تكلم الرئيس حلو عن هجوم للقوات المسلحة السورية على بعض المخافر اللبنانية واحتلالها، ولما كان الرئيس الدكتور الأتاسي متأكداً من أن القوات المسلحة في القطر العربي السوري لا يمكن أن تتصرف على أي حال إلا بناء على أوامر تصدر إليها من قيادتها وبما أن السيد الرئيس كان متأكداً من عدم صدور مثل هذه الأوامر فقد أبلغ الرئيس حلو أنه ينبغي أن يتأكد من المعلومات التي تعطى إليه قبل أن يجري مثل هذا الاتصال! ونحن لا نستغرب أن تعمد السلطات اللبنانية إلى تشويه الحقائق ولا نستغرب أيضاً أن يقلب الاتصال الأخوي كما سماه الرئيس الحلو أثناء مخابرته الهاتفية إلى ما أسمته السلطات اللبنانية تبليغ استياء ذلك أن من يوجه الرصاص إلى طلائع الفداء العربي والمدافعين عن الحق العربي في فلسطين ويوجه إليهم الطعنات من الخلف بينما يواجهون قوى العدوان الصهيوني لا يستغرب منه أن يقلب الحقائق على هذه الصورة ويشوه الأحاديث بهذا الشكل. وما كنا نريد أن نتعرض لمثل هذا الحادث على تفاهته لولا أنه يعطي دليلاً ساطعاً على إغراق السلطات اللبنانية في عيها المتعمد وتآمرها المستمر ويؤكد أن كل ما أحاط بظروف العمليات الأخيرة الموجهة ضد العمل الفدائي ليس إلا جزءاً من المخطط الاستعماري الصهيوني الذي تنفذه السلطات العميلة في لبنان بكل وقاحة. إن الحوادث التي وقعت في بعض مخافر الحدود اللبنانية قد تم توضيحها بشكل كاف من

قبل المنظمات الفلسطينية وزيادة في الإيضاح نقول أن السلطات العربية السورية قد بذلت جهوداً هامة لإقناع هذه المنظمات بإخلاء المخافر التي احتلتها وإعادة العناصر المعتقلة إلى السلطات اللبنانية، إن الذي يمنع السلطات العربية السورية من الدخول في مثل هذه الأعمال هو إدراكها الكامل لمسؤولياتها القومية وإيمانها المطلق بأن السلاح الذي تحمله قواتنا لا يمكن أن يوجه إلى عربي أبداً وإنما ندخره لعدو الصهيوني ومن وراءه وأن قدرة القوات المسلحة العربية السورية أكبر من أن تقف عند حدود هذه العمليات الصغيرة. إن كل الجماهير العربية تدرك مغزى استغلال هذه الحوادث وتضخيمها لكي تتخذ ذريعة لإكمال المخطط الاستعماري الصهيوني ونحن حريصون كل الحرص على تفويت الفرصة لاتخاذ ذريعة مثل هذه الذرائع، ورداً على ما نشر حول إعداد مذكرة شديدة اللهجة في لبنان لتوجيهها إلى السلطات العربية السورية حول الأحداث الأخيرة نقول إن المكتب السياسي لحزب البعث العربي الاشتراكي عندما اتخذ قراره ونفذت حكومة الثورة هذا القرار كانت مدركة تمام الإدراك لكل أبعاد المخطط الصهيوني الاستعماري ولدور السلطات الحاكمة في لبنان في تنفيذه وأننا لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن نقبل أي حوار مع السلطات العميلة في لبنان وسوف تتصعد إجراءاتنا حتى يعود للبنان وجهه العربي الأصيل بعد تنكيس زمرة العمالة والخيانة برمتها وحتى يأخذ لبنان حكومة وشعباً دوره الكامل في معركة العرب الكبرى لتحرير الأرض المحتلة.

ترك عدنان بغجاتي الصحيفة بعد أن استمر مديراً عاماً تزيد قليلاً على أربعة أشهر.. لم يعين خلفاً مباشراً له.. ولا تظهر أوراق الجريدة أي تغير حتى عدد ١٠/٢٨.. حيث ولأول مرة منذ محمد الجندي تظهر افتتاحية الثورة موقعة بالاسم الصريح.. حسين العودات.. افتتاحية يوم الثلاثاء "يعني بداية الأسبوع بالنسبة إلى الثورة".. وأخرى يوم الأربعاء.. الأولى بعنوان المسألة اللبنانية والثانية بعنوان "لماذا العمل الفدائي".. والافتتاحيتان تتوزعان على أيام

إقامة الأستاذ العودات في صحيفة الثورة.. ما بشرتا به من كتابته باسم صريح يوضح أنه لن يستمر.. فقد ترك حسين العودات الصحيفة على الفور حتى إن صك تكليف له لم يصدر واستمر الحال دون مدير عام لأسبوع آخر حيث كلف هيثم العقاد مديراً عاماً لمؤسسة الوحدة بمرسوم صادر في ١٩٦٩/١١/١٠.. وحضر معه مصباح دبجن لمهمة رئيس التحرير.. ولعل القيادة توخّت في حينه أن يغطي الأستاذ مصباح دبجن الذي قاد العمل الصحفي في الجريدة لفترة سابقة وعمل مديراً للإذاعة أيضاً، ربما في ذلك تداركاً للنقص الذي يمكن أن تتعرض له إدارة المؤسسة من حيث كون هيثم العقاد بعيداً تماماً عن الجو وقد أحضر من وزارة التعليم العالي وهو خريج كلية الآداب قسم الجغرافية.

على الرغم من قصر الفترة التي قاد بها حسين العودات الجريدة إلا أننا سنعرض إحدى افتتاحيتيه وقد توضح الموقف السوري مما يجري بين الفلسطينيين واللبنانيين في لبنان..

المسألة اللبنانية

لو شاء أحد أن يصور الواقع اللبناني القائم بالكلمات لأمكنه القول أن النفوذ الأميركي بلغ أوسع أبعاده، وأن الطائفية تكاد تشعل حرباً أهلية في لبنان، والبرجوازية التجارية اللبنانية بدأت تعيش ظروفاً صعبة، وموقف المتفرج الذي لا شأن له، والتناقضات الثانوية القائمة بين المتسلطين على الحكم وصلت أبعاداً جديدة تكاد من جرائها أن تعاد مآسي ١٩٥٨ وأخيراً فإن النظام القائم يكاد يشرف على التفسخ الكامل الذي يودي به إلى الأبد.

من خلال هذه الكلمات تبدو محاولات تصفية العمل الفدائي في القطر الشقيق، ليست أمراً نشازاً، بل نتيجة منطقية لجملة الظروف القائمة داخل لبنان ومن خلال ما يجري في المنطقة سابقاً ولاحقاً.

المسألة إذن وكما يبدو واضحاً هي في النظام القائم، وما نتج عنه من واقع اقتصادي وسياسي واجتماعي، وليست في وجود الفدائيين أو عدمه،

أو في ما يحلو للسادة الحاكمين في القطر الشقيق أن يسموه بالظروف الخاصة التي لا مثيل لها.

لقد أدى حكم البرجوازية التجارية اللبنانية، المتحالفة مع كبار الاقطاعيين والمتنفذين، إلى وضع القطر الشقيق في طريق مسدودة يكاد لا يستطيع الخروج منها، فهي التي جعلته بلد المصارف والتمويل والودائع بدلاً من تصنيعه وتنظيم الزراعة فيه، وربطته بعجلة المنتج الأجنبي والاحتكارات الرأسمالية وخلقت منه مركزة لتسويق بضائع هذه الاحتكارات داخل لبنان، وفي معظم بلدان المنطقة، وكان لا بد لهذه البرجوازية وحلفائها من تنظيم المجتمع والاقتصاد بما يخدم مصالحها، ويؤكد هيمنتها، ويديم تسلطها، فتحالفت مع الاحتكارات الأجنبية وسياستها، وعمت الطائفية لتشويه طبيعة الصراع داخل المجتمع اللبناني وتحريف طريقه الصحيح، وكرست سلطة المتنفذين وكبار الاقطاعيين حلفاءها الطبيعيين، ونظمت الدولة والمجتمع تنظيماً يكاد يكون غريباً، وتمسكت بنظام سياسي يستحيل فيه ومن خلاله على جماهير الشعب أن تشارك في السلطة أو تستلمها، وأطلقت العنان للنفوذ الأجنبي يأخذ مداه ليحميها ويساعدها على خنق التطلعات الجماهيرية الحقيقية ، ويغذي الصحف الصفراء التي تمثل كل ما في العالم من اتجاهات معادية للشعوب.

المسألة تكمن في طبيعة النظام اللبناني الذي لم يستطع بعد نكسة حزيران أن يكبت الإرادة الشعبية التي تريد وضع لبنان ضمن حركة التحرر العربية أو الاستفادة من إمكانياته البشرية والجغرافية في المعركة المستمرة، وتصفية النفوذ الأجنبي فيه، وتغيير العلاقات الاقتصادية والاجتماعية القائمة تغييراً نوعياً وبالتالي تغيير الواقع السياسي القائم.

لم يستطع النظام اللبناني كبت إرادة الجماهير والتغلب عليها، فبدأ تراكم الأحداث المتزايد يوماً بعد يوم، يتفجر في جسم هذا النظام، الذي يحاول عبثاً رتق التمزق الحاصل في جسمه، وسد الفوهات المفتوحة،

ويحاول تحريف المطالب الشعبية الحقيقية، بتعميق الخلافات الثانوية بين سادته والتي لا شأن للجماهير بها.

لم يستطع النظام اللبناني حل معضلات المجتمع اللبناني القائمة حلاً جذرياً لأن ذلك يعني إسقاطه والقضاء عليه فحاول أن يوجه النقمة الشعبية نحو عدو وهمي لا وجود له .. فكان ما كان من محاولات تصفية العمل الفدائي، وتوجيه النقمة الشعبية نحو بعض الأقطار العربية التي ثأرت للعمل الفدائي والتزمت بواجبها القومي.

إن الشعب العربي في لبنان فوت الفرصة على أسياد النظام، عندما ثأر للعمل الفدائي، وتلاحم مع الفدائيين في مقاومة تآمر السلطة، وعندما أمد في ساحة المعركة أنه لن يتخلى عن مسؤولياته القومية وأنه لم يعد يستطيع السكوت على استمرار مثل هذا النظام الذي لا يمثل إلا طغمة المودعين، وأصدقاء النفوذ الرأسمالي الاستعماري. ومهما حاولت الطغمة الحاكمة أن توجه النقمة الشعبية إلى غير اتجاهها الصحيح فلن تفلح.

إن الثورة لا تستورد ولا تصدر، والشعب العربي في لبنان هو المؤهل الحقيقي للوقوف بوجه المتسلطين، أعداءه وأعداء الأمة العربية، وأصدقاء النفوذ الأجنبي والاحتكارات الرأسمالية، وهو كفء لذلك دون شك.

لا نجد أي تأثير في الصحيفة بشكل عام، للفترة الفاصلة بين ذهاب عدنان بغجاتي وحضور هيثم عقاد. علماً أن الصحيفة نشرت افتتاحية دون توقيع في عددها ١٠١٣٠ بعنوان "الفرد وقانون الثورة" وأخرى أيضاً في ١٠١٣١ بعنوان "لبنان.. إلى أين.." ويلاحظ غياب زاوية ما وراء الأحداث.

وهكذا استمرت الافتتاحيات دون توقيع، مع تغيرات إخراجية طفيفة.. على الصفحة الأخيرة مثلاً نقلت "معاً على الطريق" من اليسار إلى اليمين ورفعت صباح الخير إلى أعلى الصفحة وهكذا..

لا أتذكر الآن ولا يتذكر أي من الزملاء الذين سألتهم فيما إذا كان هيثم العقاد قد باشر عمله في الثورة قبل صدور مرسومه.. وأرجح أن الأمر حصل كذلك..

تتوقف الافتتاحيات بعد ذلك، حتى عدد ١١\١١ وهو اليوم التالي لتاريخ مرسوم العقاد.. فلم يعد من شك أن هذه المقالة المنشورة في موقع الافتتاحية "صوت الثورة" ودون توقيع هي إما لهيثم عقاد وإما لمصباح دبجن.. وفي الحالتين سننشر أجزاء منها أو معظمها، استبياناً لأي احتمال تغير في سياسة الجريدة، نرجح أنه غير موجود..

المناورات الأميركية – والموقف الجماهيري الثابت

تعرضت السياسة الأميركية في منطقة الشرق العربي في الآونة الأخيرة لأزمة جديدة من خلال فشلها في تحقيق هدف من أهداف هذه السياسة.

وهو هدف إيجاد التغطية الضرورية لتحركاتها ومناوراتها وخططها في المنطقة وليست حالة التأزم التي تعانيها السياسة الأميركية في هذه المنطقة بالحالة الجديدة فمنذ تسلم نيكسون مقاليد منصب الرئاسة حاولت هذه السياسة والقوى الموالية لها، أن تلفت إليها النظر، بطريقة كان الهدف منها زعزعة الأحكام الثابتة للمواطن العربي على هذه السياسة، وعلى الدور الامبريالي الأساسي للولايات المتحدة الأميركية في العالم، وعلى دورها الحاسم في دعم الكيان الصهيوني ذي الأهداف العدوانية والتوسعية في الوطن العربي، ولم تكن الإشارة إلى هذا الأمر، لتغدو مهمة، لو لم تكن ثمة بعض مواقع رجعية الوطن العربي تتصف بالولاء لهذه السياسة وتحاول بين حين وآخر، التحرك واستخدام وسيلة أو أخرى لمواجهة الموقف الجماهيري التقدمي الذي يزداد عمقاً وتمرساً في التصدي للسياسة الأميركية والانطلاق لتحليل الواقع العربي، والواقع الدولي، وتكوين الوعي السياسي على أساس كشف السياسة الأميركية في كل منعطف من منعطفاتها.

وفي الواقع، فإن مراجعة الوقائع منذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٦٧، ومراجعة الوقائع بعد عام ١٩٦٧، تظهر أنها لا يمكن عزلها عن التخطيط

الأميركي المعادي لشعبنا العربي، بل إن مجابهة العداء الأميركي الصهيوني هي العنوان الكبير الذي يتوج صفحات الكفاح والنضال للأمة العربية.

ويجعل أي انتصار في خط هذه المجابهة تقدمها للأمة العربية نحو موقع أمامي من مواقع تحررها ووحدتها وتقرير مصيرها .

وإذا كانت مؤشرات كفاحنا الراهن ضد قوى الاحتلال الصهيوني، المدعومة بالإمكانيات المعنوية والمادية لأمريكا والدول الاستعمارية الأخرى، تدل على حدوث تطورات إيجابية ملموسة لصالح قضيتنا ، فإن هذه المؤشرات تتحدد بالضرورة في ثلاثة خطوط رئيسية للمعركة هي: خط المواجهة لجيوش الدول العربية المعنية بأمر المعركة بصورة مباشرة، وخط المقاومة المسلحة داخل الأرض المحتلة، وخط الكفاح الإعلامي والسياسي في الميادين الدولية والعالمية فإلى جانب التطورات الإيجابية الملحوظة الناجمة عن دعم القوى التقدمية والشعوب الصديقة في العالم لقضيتنا وإلى جانب نجاح المقاومة المسلحة الفلسطينية في إثبات قدرتها المنظمة والفعالة داخل الأرض المحتلة، فإن المعركة تجسد الآن المقدرة المتنامية على الصمود وعلى القيام بعمليات ردع فعالة ضد قوى العدوان.

وإذا كانت مناورات السياسة الأمريكية قد فشلت في تحقيق التغطية المناسبة لتحركاتها والذي كان هدفاً من أهدافها في الآونة الأخيرة وسجلت تراجعاً إلى الوراء فلا شك أن حدثا ً مثل الهجوم الجريء الباسل الذي قامت به القطعات البحرية للجمهورية العربية المتحدة أول أمس على مواقع العدو الصهيوني في شمالي سيناء والذي كان من أنجح العمليات البحرية بعد إغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات يعتبر علامة كبرى يخطها السلاح العربي بالدم والنار في منحى أساسي من مناحي المعركة هو الاتجاه نحو الأمام.

وهكذا تستمر الصحيفة دون تغيرات تذكر ولا أي إشارة لأي من المدير العام أو رئيس التحرير الجديدين.. تغيب زاوية صباح الخير لبضعة أيام ثم تعود ويغيب عنها طالب أبو عابد وتوقع باسم أبو فراس.

كما ظهرت بعض الأسماء جديدة ومتجددة.. صالح ابراهيم كاتب سياسي.. ممدوح سكاف، هداية المرادي، عمر صبري كتمتو، أسعد صائب في معاً على الطريق، صفوح الأخرس، خالد عبد النور، حسين راجي، د. أحمد سليمان الأحمد، خلدون الحكيم من خلال صفحة طيب تيزيني "الفكر" التي تصدر كل خميس.

في صفحة "الفكر" هذه وفي عدد الخميس ١٢\١٨ نقرأ مقالاً رئيساً دون توقيع عن موقف لينين من الحروب القومية ضد الدول الاستعمارية الذي يؤكد حتميتها.. وعنوان المقال:

حركات التحرر الوطني.. ستلعب دوراً ثورياً أكبر بكثير مما نتوقع..

وفي زاوية "على طريق الوضوح" يكتب طيب تيزيني تحت عنوان "القديم والجديد في قضايانا الفكرية":

سئلت مؤخرا ً من قبل بعض الزملاء الطلاب الجامعيين حول هذه المسألة وأثيرت بعد ذلك مناقشات في هذا الخصوص . وأنا الآن أحاول تبيان بعض جوانب هذه المسألة .

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ومع بداية النصف الثاني من القرن العشرين شهد الوطن العربي اتجاها ً جديدا ً في مجال القضايا الفكرية أخذ ينمو ويشتد ويكتسب طابعا ً محددا ً وواضحا ً هذا الاتجاه قام على طرح مسألة القديم والجديد من قبل أدبائنا ومفكرينا في ذلك الحين :

لقد دارت المسألة آنذاك حول ما يلي: هل نتابع مسيرتنا الثقافية الفكرية كما حددت أركانها ومبادئها وطرائقها في تراثنا الفكري النهجي الذي امتدت به فترة وجوده من القرن السابع حتى القرن الرابع عشر، أم نحاول طرح قضايانا الجديدة من خلال رؤى فكرية جديدة ومنهج جديد يتلاءم مع هذه القضايا.

وفي الحقيقة كان نشوء وتطور هذا الاتجاه استجابة واعية كثيراً أو قليلا للوضع الاجتماعي والسياسي الجديد، فلقد أخذ المجتمع الرأسمالي يضرب جذوراً في حياة الوطن العربي ، بالطبع كانت هذه العملية قد بدأت فيما قبل الحرب العالمية الثانية، بيد أنها (العملية تلك) انطلقت في بداية النصف الثاني من القرن العشرين تأخذ وتائر سريعة وواسعة نسبياً، كان هذا قد تم من خلال نضال عفوي أعلنته العلاقات الرأسمالية الجديدة ضد المجتمع الاقطاعي البدائي السائد.

غير أنه قد تم ضمن هذا النضال تواطؤ تاريخي بين برجوازية المدينة واقطاع الريف. ففي الخط العام تحول عدد كبير من الاقطاعيين الريفيين إلى برجوازيين مدنيين، بحيث أنهم ما رسوا في نفس الوقت دور الاقطاعي والبرجوازي. إن هذا ما ميز التطور الاجتماعي الاقتصادي لعدد من بلدان الوطن العربي، مع بعض الفروق بين البلد الواحد، مثل سورية ومصر.

ونحن إن تتبعنا الأمر بدقة تاريخية، فإننا نجد أن هذا الوضع الاجتماعي الطبقي قد وجد تعبيره في الحركة الفكرية الثقافية في تلك البلدان.

في تلك البلدان لم تستكمل الثورة البورجوازية تطورها ولم تكتسب آفاقها، فهي قد أجهضت نتيجة التواطؤ التاريخي الذي تم بين البورجوازية الصاعدة والاقطاعية المتخلفة وبالطبع فإن الاستعمار القديم والجديد قد لعب دوراً هاماً في عملية الإجهاض هذه، وذلك لأنه قمع اتجاهات التطوير البورجوازي الصناعي في البلاد العربية المعنية.

كل هذا نجده قد انعكس في طرح قضية الجديد والقديم في القضايا الفكرية الثقافية آنذاك لقد طرح ممثلو الاقطاع الفكريين تلك القضية انطلاقاً من أن الجديد يكسب وجوده فقط من القديم، وما هو إلا امتداد ميكانيكي لهذا القديم لقد رأى هؤلاء الممثلون أن الجديد ينطلق وينتهي في الخط الأول مثلاً في "البيان والتبيين" للجاحظ أو في " ألفية ابن مالك " أو في "

أحياء علوم الدين للغزالي " الخ.. بيد أن ممثلي الجديد مثل طه حسين وسلامة موسى لم يستطيعوا أيضاً طرح المسألة طرحاً عملياً تاريخياً. لقد تمظهر التواطؤ الاقطاعي البورجوازي في كيفية هذا الطرح. فالممثلون أولئك لم يستطيعوا رؤية الخط الجوهري في المسألة. فهم أرادوا تجاوز القديم تجاوزاً سلبياً، تجاوزاً لا يأخذ بعين الاعتبار الجوانب الإيجابية في القديم، لقد قالوا بأن الجديد ينبغي استشفافه واستخراجه وتطويره في بداية جديدة كلياً. لذلك فإنهم لجأوا إلى الفكر الفرنسي أو الانجليزي محاولين أن يجدوا فيه بغيتهم، كما حاول البعض بعث التراث الإغريقي وجعله الترسانة الأساسية لحياتنا الفكرية الثقافية، إلى جانب هذا دعا آخرون إلى نبذ الثقافة والأحرف العربية نبذاً كاملاً واستبدالهما بفكر وأحرف أخرى.

بيد أن هؤلاء المجددين جميعاً، وأن حاولوا الكفاح ضد القديم من خلال رؤاهم الجديدة غير الناضجة، غير العلمية الجدلية، فإنهم أفادوا اتجاه التجديد بشكل فعال، حيث أنهم وقفوا بحزم ضد ممثلي الاقطاع والايديولوجيين وعروا إلى حد كبير بناهم الفكرية اللاعلمية واللاإنسانية إلا أننا ونحن نطمح الآن إلى تعبيد الطيق في انتقالنا من مجتمع اشتراكي متقدم، لا يمكننا إلا أن نخضع ممثلي الاتجاه التجديدي في وطننا للنقد العلمي، بحيث نعمل على تعميق اتجاههم من خلال المنهجية الجدلية التاريخية، هذه المنهجية التي تستوجب الجوانب الإيجابية في القديم مطورة ومتمثلة إياها ومغنية لها من خلال القضايا الجديدة في وطننا.

في هذا العدد، تعلن وزارة الثقافة عن برنامج العروض المسرحية لشهر في صالتي الحمراء والقباني، وفيه:

مسرحية يوميات مجنون، تأليف: غوغول، إخراج وتمثيل هاني الروماني.

مسرحية وفاة بائع جوال، تأليف: آرثر ميلر وإخراج: محمد الطيب.

مسرحية حكاية حب، تأليف: ناظم حكمت وإخراج: رفيق صبان.

مسرحية علي جناح التبريزي وتابعه قفة، تأليف ألفريد فرج وإخراج حسين إدلبي.

مسرحية الملك العاري، تأليف شفارتس، إخراج أسعد فضة.

إضافة إلى ثلاث عروض فولكلورية وموسيقية.

فس عدد الخميس ١٢\٢٥ تظهر المانشيتات والافتتاحية أيضاً تطورات في الموقف السياسي بين الدعم الحماسي الكلي للعمل الفدائي، ومواجهة أي محاولة لاعتراضه وأيضاً الابتعاد عن طروحات السلام.. وهكذا عندما دعي إلى مؤتمر قممي في الرباط لمناقشة وضع الفدائيين الفلسطينيين في لبنان.. شكلت سورية وفداً برئاسة المرحوم محمد رباح الطويل وزير الداخلية في حينه!! ليس ذلك وحسب بل انسحبت من المؤتمر كما تشير عناوين الثورة:

الوفد العربي السوري إلى مؤتمر القمة يعود إلى دمشق والطويل يدلي بتصريحات هامة

قاطعنا جلسات المؤتمر وأعلنا انسحابنا منه

مشاركتنا في المؤتمر كانت على أساس واضح ومفهوم: حشد الطاقات العربية في معركة التحرير

تقدمنا بمقترحات عملية واضحة وبذلنا كل الجهود الممكنة لتحقيق هذا الهدف

دول عربية تمتلك إمكانيات وطاقات كبيرة امتنعت عن المساهمة الجدية في المعركة

مما خلق حالة جعلت المؤتمر عاجزاً عن مجرد اتخاذ قرار يدعم هدف التحرير

الوفد العربي السوري أكد على الصمود ومتابعة معركة التحرير والبناء.

أما الافتتاحية فكانت بعنوان: مؤتمر القمة بين المنطق والنتائج.

على الصفحة الأولى أيضاً تنشر الحلقة الأولى من مقال لحسين العودات بعنوان أضواء على مؤتمر القمة الخامس يستمر أربع حلقات ويحتل الركن اليساري على ثلاثة أعمدة.. وينتهي مع نهاية العام.

استمر التيه

انتهى عام ١٩٦٩ والوضع العام على ما هو عليه.. لا أحد يعرف حقيقة ما يجري.. لكن الشائعات وما يروى تقدم طوفان حكي يتجاوز كثيراً حاجة أي باحث عن المعلومة. والحالة تلخصها عبارة قالها أحد كبار مسؤولي سورية في تلك الفترة في جلسة خاصة مع شخص كان يتوجه لتولي مهمة محددة.. قال له:

- البلد في حالة انقلاب.. لكن.. يجب أن نستمر في العمل..

لم تكن الوزارة الأخيرة بقيادة الدكتور نور الدين الأتاسي بقادرة على فعل شيء.. والبلد في حالة هبوط شبه كلي.. رياح الحرب الحزيرانية لم تفارقنا بعد ولم يذهب معها الإحباط القاتل في الشعور الشعبي العام رغم ما عوضت به حركة الكفاح المسلح الفلسطيني أو العمل الفدائي.. وكانت هذه الحركة قد بدأت تواجه مواقف متباينة من العالم بين داعم ومهاجم ومقاتل لها، وصلت بها هذه المواقف، إضافة إلى الأرضية الفلسينية المناسبة، إلى الانقسام والتشرذم والدخول في نفق العمل السياسي العربي بكل محتوياته.. لقد لهث النظام السياسي العربي محاولاً سحب غطاء العمل الفدائي ليغطي به هزيمته.. فنقل كل خلافاته ومواقفه إلى هذا العمل "الأمل".

كان الصدام بين الفلسطينيين وأحزاب ومليشيات وقوات لبنانية قد بدأ في عهد الرئيس اللبناني الراحل شارل حلو.. وسورية داعمة بلا حدود للعمل الفدائي، ولبنان يعيش في أزمة سياسية اجتماعية لافتة.. وقد عقد في تلك الفترة مؤتمر قمة عربية في الرباط.. اشتهر عنه فيما بعد، أن إسرائيل كانت

تعرف كل ما يجري داخله عبر أجهزة تنصت واتصال مركبة داخل قاعة الاجتماع – تحدث عن الموضوع الصحفي العربي الكبير محمد حسنين هيكل في مقال مطول له في مجلة "وجهات نظر" حول مواقف بلاط الملك المغربي الراحل الحسن الثاني -. وأظن أن هذا المؤتمر هو المعني بقول الشاعر الراحل عمر أبو ريشة:

خافوا على العار أن يمحى فكان لهم

لدعم العار على الرباط مؤتمر

على أرائكهم .. سبحان خالقهم..

عاشوا وما شعروا .. ماتوا وما قبروا

قد تكون روايتي لهذين البيتين اعتراها بعض الهنات لأنني استحضرتهما من الذاكرة ولم أقرأهما في حياتي، بل حفظتهما من أحد زملاء الجامعة في تلك الأيام.

بالمناسبة..

في تلك الأيام كثرت القصائد والقصص والحكايات "أدب الهزيمة" وشارك فيها كبار الأدباء.. بدوي الجبل.. نزار قباني.. أمل دنقل.. نديم محمد.. عبد المطلب أمين.. وغيرهم الكثير.. وكان هذا الإبداع الأدبي، يشكل محور حديث وتفكه لنا في الجامعة وكنا نحفظها غيباً.. كما تفوقت القريحة الشعبية على قريحة الشعراء.. فكانت النكتة سلاح شعبي يومي للسخرية مما حصل.. ومما وصلنا إليه..

في "الثورة" أمضينا عام ١٩٦٩ في حالة من اللا استقرار الأكيدة تبعاً لحالة البلد وانقسام القيادة أولاً.. وثانياً لأن الثورة – بصراحة - ورغم ما وثقته من الجهود الفكرية والأدبية والفنية والإعلامية السورية، حتى يكاد يندر أن يكون هناك كاتب أو أديب أو صحفي لم يمر اسمه على صفحاتها وبينهم كثير من الكتاب العرب غير السوريين، لم تستطع أن توثق حقيقة وجودها

كوسيلة إعلام مهني فعال.. بل تبعت تماماً للقيادة والحكومة في سورية.. وكان فيها كتاب من جانبي الخلاف في القيادة.

يكفي للإشارة إلى حالتها المحزنة أن نتذكر أنها عرفت في ذاك العام ١٩٦٩ أربعة مديرين عامين هم: نصر شمالي وعدنان بغجاتي وهيثم عقاد وحسين العودات ليومين فقط كتب خلالها افتتاحيتين، والاثنتان عن حالة العمل الفدائي في لبنان وأزمة لبنان السياسية.. ثم وبعد أن رفض الاستمرار مديراً عاماً للمؤسسة استمر يكتب لها مقالات سياسية على الصفحة الأولى.. ويضاف إلى هؤلاء الأربعة مصباح دبجن الذي جاء رئيساً للتحرير مع هيثم عقاد.. وكان له سابق وجود في هذا المنصب.. ومحمود السيد أيضاً الذي جاء رئيساً للتحرير مع عدنان بغجاتي.. وغيرهم كل الذين قادوا العمل بتكليف أو دون تكليف، إذ كانت الجريدة تترك لأيام وأحياناً أسابيع دون إدارة، بين ذهاب مدير عام وحضور آخر..

التقيت ناديا مصادفة.. سألتني إن كنا سنحضر مؤتمر القمة أم لا.. قلت لها:

- هنيئاً لمن سرق انتباهك.. وفدنا وصل الرباط وانسحب، وناولتها الصحيفة.

وبارتباك خجول سألتني:

- ما علاقة محمد رباح الطويل بالقمة..

-نحن لم نكن موافقين كثيراً على عقد القمة وخفضنا مستوى التمثيل..

- غير موافقين.. فلا نحضر.. أما أن نمثل بوزير الداخلية وليس برئيس الدولة فهذا غريب!.

-الطويل ليس فقط وزير داخلية بل هو عضو قيادة قطرية..

قال لي الرجل الذي يرافقها بصوت خافت مقدراً خطورة ما يقوله:

* اسمح لي.. الطويل بالذات لا يصلح.. وأضاف: هو قريبنا ونعرفه..

-لا يصلح لماذا..

* لحضور القمة..

-والأتاسي..؟!

* هذا رئيس دولة..

-على كل هو حضر لينسحب..

أعادت ناديا السؤال بإلحاح:

* لماذا حضرنا إن كنا سننسحب..؟!

-إكراماً لعبد الناصر.. وكي لا نغيب عن القمة..

أخذ الرجل -وسمعت ناديا تسميه "فاروق" – الحديث مرة ثانية وقال:

* عبد الناصر لا يلزم أحد بالحضور.. وعدم الحضور أفضل من الانسحاب للحفاظ على القمة..

لم أرد وقد ظهر لي بوضوح أن فاروقاً هذا مؤيد بشدة للرئيس عبد الناصر.. وكنت أنا أؤيده كذلك لكن ليس بشدة.

في مثل هذه الأجواء كان قارب صحيفة الثورة يسبح في محيط والأسماك التي تمثلها المعلومات الحقيقية في محيط آخر..

ولعشرات السنين استمر هذا القارب يبحث عن الأسماك وكنوز البحر، في غير المحيط الذي تتوفر فيه..

يسار يهتف
والصدى.. ضجيج

هكذا دخل عام ١٩٧٠.. كل شيء مشوش.. فوضى كلام وشعارات وتنظيرات ومواقف.. الموضة يسار.. واليمين عيب.. وبالتالي لم يعد أحد يعرف من اليميني ومن اليساري، ولم يكن من ضرورة لأحد أن يعرف..

كان العام الثالث على الهزيمة، وما زالت أم تنتظر عودة ابنها الشهيد وأخرى تخاف على ابنها في الجيش.. والأرض رهينة الاحتلال والوعد أننا كما خسرناها بالخطابات الجوفاء نستعيدها بالتنظيرات الخرقاء..

والخلافات داخل القيادة لم تعد سراً، تروى قصصها ومجابهاتها على كل الألسن بين السخرية والاستهزاء وبكثير من الخوف..

كانت "الثورة" منبراً يجاهر باليسار.. ولا تغيب المعارك والشعارات عن صفحتها الأولى.. بل مانشيتاتها..

الاشتباكات المستمرة مع العدو.. على الجبهة السورية وعلى جبهة قناة السويس. الكفاح المسلح الفلسطيني والعمل الفدائي.. حرب التحرير الشعبية وحتمية الانتصار!! خسرنا معركة ولم نخسر حرباً.. العدو لم ينتصر لأنه لم يستطع إسقاط أنظمة الحكم التقدمية؟!.. بقاء القوى التقدمية بديلاً عن مؤتمرات القمة.. وهكذا.. والحبل طويل.. إلى أين يمكن أن يصل..؟!

نزرع الأمل.. ولا نراه بسبب دخان الأفكار وفوضى التفكير.. إذا أردت القلق، فكر بعدة أمور دفعة واحدة.. هذا على صعيد الفرد.. وعلى صعيد المجتمع، يصح ذلك أيضاً، وهكذا لم يكن للإعلام في حينه وفي مقدمته

صحيفتنا "الثورة" أن يمنع القلق ويزرع الأمل بالمعلومة التي تخدم هدفاً وحيداً يفترض أنه كان تحرير الأرض.

في إحدى قاعات كلية الحقوق كان الدخان يعبق في أجوائها ونحن ننتظر محاضرة القانون المدني -عقد البيع- للدكتور "جاك الحكيم". إحدى مدفأتي الحطب في القاعات الكبيرة متعثرة في عملها.. ترمي الجو بدخان استطاع أن يحقق وجوداً رغم كبر القاعة وارتفاع سقفها.. فهي من الأبنية القديمة ويحكى أنها كانت مهجعاً عسكرياً.. سمعت طالباً أردنياً يقول لزميله: ألا يكفي الدخان في العقول.. وأخذا يتضاحكان..

دخل الدكتور جاك الحكيم وعلى الفور أمر بفتح الشبابيك وإطفاء المدفأتين رغم برودة الجو في الخارج، ثم قال: ألا يكفي الدخان في العقول؟!

تطلع إلي طالب من غزة وكان يستفقدني دائماً بأفكار ساخرة تتناول غالباً جريدتنا "الثورة"، قال:

- ألا يملأ الدخان جريدة الثورة..

-لا أبداً..

- كيف؟ وهذا الذي تنشرونه..

-هذا حبر وليس دخانا..

- صحيح.. أصلكم تشتغلون على الكهرباء وليس على الحطب.

بعد المحاضرة سألني الطالب الغزاوي عن سر اعتذارنا عن اللقاءات العربية.. وسألته إن كان يراها تجدي.. قال:

- حسب جريدتكم، لا..

-وفي جرائد أخرى..؟!

- أي لقاء مفيد.

-حتى مع روجرز..؟!

كان ناصرياً بامتياز وكان من قراء جريدة الأهرام المصرية، ويحملها دائماً.. وكان الرئيس عبد الناصر قد قبل التعامل مع صيغة روجرز للحل السلمي في المنطقة ورفضتها سورية كلياً.

قدم لي الأهرام.. وفي صفحتها الأولى كلام لعبد الناصر "ما أخذ بالقوة لن يسترد إلا بالقوة".. وأضاف:

- يا صديقي هذه الأهرام تنقل لنا واقعاً وموقفاً.. الواقع أن الرئيس – قالها الريس – عبد الناصر يتعامل مع كل المطروح في المنطقة ومع الأنظمة العربية الرجعية خدمة للقضية أما موقفه فهو "مأأخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة".

-وبعدين..؟!

- في جريدتكم تختلط المواقف مع التعامل مع الواقع مع الشعارات مع الاحتمالات.. لا يعرف شيء من شيء..

-بصدق وليس دفاعاً عن جريدتنا، أنت تظلمها..

- لا أنكر وجود بعض المواد والمقالات الجيدة فيها.. وتنشر لأسماء كبيرة، أما في عرضها للقضية السياسية وخصوصاً على الصفحة الأولى.. لا تؤاخذنا..

كان ذاك هو الحال.. ومنذ ذاك التاريخ كان توحيد العقل العربي على هدف فيه شيء من الاستحالة.. لا في جريدتنا ولا في غيرها.. وبصراحة وصدق لم تكن قط أكثر بؤساً من غيرها.. بما في ذلك جريدة الأهرام.. التي استمرت أكثر من يوم تنشر على صدر صفحتها الأولى مع المانشيتات صوراً لتثبت أن طيف السيدة العذراء قد ظهر في إحدى الكنائس!! ولم يكن ذلك إلا إعلاماً للتخدير وإبعاد الناس عن القضية.

كان إعلام الهزيمة.. مثل أدب الهزيمة..

رجعت إلى الجريدة مبكراً.. كأن صوتاً يناديني لأتلقى أول عقوبة مسلكية في حياتي "تنبيه".. كانت العقوبة من الأستاذ "مصباح دبجن" رئيس التحرير.. لخطأ وقع في عنوان مادة أدبية.. عوضاً عن "العكر" كتبت "العسكر".. ولم يكن لي علاقة في الخطأ كما هو مفترض إذ كنت أعمل مخرجاً صحفياً..

أحد الزملاء مازحني وقال:

• لو كانت الغلطة بكلمة أخرى لما عوقب أحد..

وغمز قائلاً: يخاف من العسكر..

قلت: كلنا نخاف من العسكر..

كان الخلاف في القيادة متعدد الجوانب يسمى من قبل البعض اختصاراً أنه خلاف بين الحزب والعسكر.. وبصراحة لم يكن توصيفاً دقيقاً..

تعاطف معي المرحوم محمود السيد.. نصحني بترك قسم الإخراج .. والعمل في التحقيقات.. وكترغيب لي تعهد أن يوصي شقيقه الصديق عبد الله السيد بأن يأخذ بيدي.. وكان عبد الله من أشهر كتاب التحقيقات في حينه.. رغم أنه كان يشرف على صفحة "فن".. متخصصة بالفنون التشكيلية..

فهمت النصيحة جيداً.. لكنني كنت أتهيأ لإنهاء دراستي الجامعية بأقصر فترة زمنية ممكنة.. ورأيت أن قسم الإخراج يتيح لي فرصة التعامل مع الجامعة بشكل أفضل..

في الجريدة كان يسود جو من اليأس.. وكنت أفكر في تركها والاتجاه إلى المحاماة.. لذلك لم أسرع لتغيير عملي من الإخراج باتجاه التحرير.. لكن الزمن الذي أمهلني، عاد وأسرع واعتقلني في التحرير الصحفي.. حتى..؟!

* * *

عرفت جريدتنا شيئاً من الهدوء مع هيثم عقاد ومصباح دبجن.. لكنه الهدوء المخاتل المسدود بقشة. ثمة اتفاق غير معلن على عدم البحث عن أي اتفاق.. وكان مناخاً رائعاً للسكر واللهو والمزاح والضحك الكثير..!! كل ذلك بسبب اليأس والبؤس وليس بسبب الفرح والسعادة.. كان خرم الإبرة الذي ننظر منه إلى الشمس هو العمل الفدائي، ولأنه الأمل الوحيد – في حينه – سكتنا عن كل عيوبه وانشقاقاته حتى أصبحت تنفجر أمامنا رصاصاً ودماً..

قتال في الأردن.. والمشير حابس المجالي يسجل انتصاراته!! لكن وبكل أسف على الفدائيين الفلسطينيين.. وتوتر في لبنان لم تخف صوت قرقعة السلاح..!!

أين نحن..؟!

أين الثورة.. خذوا الكلمة بمعنييها.. أين الثورة التي وعدت بها صبيحة ٨ آذار ١٩٦٣ ؟! وأين الثورة الجريدة التي ولدت من ضلعها لتعلن كلمتها..

كلاهما حاضر وغائب "هون ومش هون"..

صحيفتنا موجودة.. لكنها تحتاج – بالشدة ما تحتاج – إلى أن تثبت أنها موجودة..

وثورة الثامن من آذار موجودة أيضاً من حيث هي تغير في كل الأنظمة والطرائق والأساليب.. وسعي إلى الاشتراكية والتقدمية يستنبط كل يوم خططاً جديدة.. ومن حيث هي طريق إلى بلدة ومدرسة في قرية ومركز صحي في أخرى أو وظيفة لريفي، ومشاريع متعددة.. كانت موجودة.. أبعد من ذلك، لم تكن موجودة!! اغتالتها رؤىً ثورية امتنعت عن قراءة الواقع المتجدد.. واكتفت بالمخزون لديها..

سألني شاب من الأردن - أتذكر أن كنيته الرفاعي - وكان معنا في كلية الحقوق:

- متى سيعلن الدستور السوري الجديد..؟!

كانت الدولة تعمل بموجب دستور مؤقت صادر عن قيادة الحزب، وكنا في جلسة حوار جاد حول ما تحقق في ظل الثورة، والخلافات القائمة، والاحتمالات الممكنة، وكنت "مزنوقاً" في النقاش أدافع بأوهى الحجج.. وأكثر من واحد يهاجم بأقنع الاتهامات..

لذلك لم أتحمل سؤال زميلي الأردني.. فتوجهت إليه بلؤم:

-"إن شاء الله عمرو ما بيكون دستور".. الثورة هي الدستور..؟!

سكت الرجل وهو يرى شدة حنقي.. وضحك صديقي "سيروان رشيد" وهو عراقي من كردستان وكان لطيفاً ودمثاً وأخذني من يدي وجلسنا على الطاولة المجاورة، وطلب لي قهوة..

هدأ الجو.. وجاء الشاب الأردني إلى طاولتي.. وأقسم إنه لم يقصد استثارتي في سؤاله، إنما الاستفادة مني كوني صحفياً.. قلت له:

- أقبل كلامك وأنا مقتنع تماماً أن نيتك لم تكن بهذه الطيبة.. ثم.. كوني صحفيا لا يخولني الإجابة عن سؤالك ولاسيما أنني مخرج صحفي.. وأنت طرحت السؤال من باب التحدي..

قال سيروان:

• "طيب سيدي" ومن باب التحدي، ثم ضحك وأضاف: صحيح متى سيعلن الدستور السوري الجديد..

اضطررت للسكوت.. فقال هو غامزاً:

• يجب أن نحل مشاكلنا أولاً ..

طبعاً كان يشير إلى الخلافات المتفاقمة داخل القيادة لم يعد أحد لا يعرفها..

أحسست بالهزيمة.. رجع فيصل إلي وقال:

• ما بك..؟! لماذا كل هذا الحماس..؟! تفوقت على البعثيين..؟!

رد سيروان:

• فيه بعث وفيه ثورة.. وهو من الثورة..

- الثورة أم صحيفة الثورة..؟!

• لا.. أنت تعرف.. أنا أعرفك في صحيفة الثورة فقط..

- والبعث والثورة..

• علمك كافٍ..

كنت قد خضت معه حواراً ذات سهرة وكنا وحيدين وروى لي شدة آلام يخفيها عن الحرب التي شنت على كردستان الملا مصطفى البرازاني مع بداية الثورة وشارك فيها الجيش السوري حيث كان البعث يحكم البلدين.

في أجواء ١٩٧٠.. وخصوصاً في سورية.. وخصوصاً قبل ١٦ تشرين الثاني.. كان مثل هذا المشهد "الحوار العاصف إلى درجة الخصومة" عادي جداً.. بل كان من ضرورات الحياة.. ومازالت الطاولة..

كنا نتقاتل على كل شيء!!

شيءٌ من ذلك ظهر فيما بعد، في إحدى مسرحيتي محمد الماغوط ودريد لحام "غربة".. و"ضيعة تشرين".. أعني ضيق الخلق إلى درجة لم يعد أحد يتحمل رؤية الآخر..

في صحيفة الثورة أيضاً.. كان هناك كتاب ومن مختلف الاتجاهات وقد لا يتفقون في رؤية ولا ينتظمون في حزب واحد.. لكن كان لصحيفتنا ذاك التابو:

الثورة.. الاشتراكية.. حرب التحرير الشعبية.. الكادحون والعلاقات مع الدول التقدمية..

وبالتالي المرور من هنا..

كان ذلك مقبولاً جداً.. فمن أين سيمر العقل العربي يومها إن لم يمر من هنا..؟!

أولوية الصراع مع العدو الصهيوني وتحرير الأرض المحتلة وأعني بها فلسطين والجولان.. كانت تلقي أي اتجاه لخيارات لا تخدم هذا الخيار.. وبالتالي.. لا داعي للديمقراطية..؟!

هكذا كان الوضع يومها..

وللأمانة والصدق.. فإن الطابع العام للرأي العام لم يكن شديد الحزن على التجربة الديمقراطية السورية التي أوقفت مرتين.. مرة من قبل الوحدة والرئيس عبد الناصر.. ومرة من قبل الثورة وقيادة البعث.

لقد أحدثت الثورة انفتاحاً عريضاً على الشعب.. لكنه ليس عميقاً... ورغم سطحيته فقد أفاد منه الفقراء في الأرياف خصوصاً.. وفي المدن أيضاً.. لكن..

لم تكن عجلات القطار راكبة على السكة تماماً.. واحتمالات الخروج عن الخط.. واردة.. وكانت البلاد في حالة انتظار حراك ما..

عـام الحسم

دخلت الصحيفة عام ١٩٧٠ مع هيثم العقاد ومصباح دبجن، وقد غابت تماماً أسماء كبيرة مرت من هنا، ومن هنا مرّ معظم كتّاب سورية وصحفييها وكثيرين خارج سورية.

لا شيء يشعرك بتغير إدارة الصحيفة.. إذ قلما كانت الصحيفة تذكر من يديرها أو يرأس تحريرها.. إنما قد يرد ذلك في إطار مقابلة أو ندوة.. أو شيء من هذا القبيل.. الانطباع الأول أن ثمة تغيرات في الإخراج متراجعة ربما.. وبمقتضاها غابت بعض الزوايا وانتقلت أخرى..

نستعرض عدد ١٩٧٠/١/٢..

الصفحة الأولى والرئيسية للعمل الفدائي الذي كان يحتل بشؤونه المختلفة معظم مانشيتات الصحيفة.. وتتوزع على الصفحة كمية كبيرة نسبياً من الأخبار.. بينها قطعة صغيرة في أسفل الصفحة عن توتر العلاقات بين فرنسا وإسرائيل بعد سطو إسرائيلي على خمسة زوارق حربية فرنسية وخطفها من ميناء "شيربورغ" وإيصالها إلى ميناء حيفا بعد ثمانية أيام.

هناك خبر صغير جداً بعنوان: نائب نيكسون يصل فجأة "سايغون".. وسيكبر هذا الخبر كثيراً.. لأنه مقدمة الانسحاب الأميركي من فيتنام.

الصفحة الثانية.. أخبار عربية ودولية والرئيسي فيها عن فيتنام، ومجموعة قطع يتوجه معظمها لمعاداة الدول الغربية ومساندة السياسة السوفياتية والدول المتحررة وحركات التحرر الوطني.

الصفحة الثالثة.. تبدو سياسية.. ليس لها تسمية.. ولا أسماء كتاب فيها باستثناء ترجمة للمرحوم وليم مسوح وأيضاً عن حرب فيتنام.

الرابعة صفحة محلية وفيها زاوية منبر المواطن "شكاوى المواطنين" وقد آلت رعايتها مرة أخرى لسهيل زيدان بعد أن دار عليها مجموعة من المحررين بينهم يعرب السيد.

الخامسة شؤون محلية أيضاً.. وفيها زاوية عناقيد ومواعيد.. عن الخدمات المناوبة وبعض التسالي.

الصفحة السادسة منوعات ثقافية.

الصفحة السابعة تتمات وأخبار مختلفة.. وهي التي تتحمل فوائض الأخبار وتبقى مفتوحة لآخر الليل لأن التتمات تنشر فيها.

الصفحة الأخيرة.. غابت الزوايا الصغيرة بتسمياتها المختلفة المتغيرة بتغير المشرف عليها وغالباً هو الذي يكتبها وتبقى زاوية "معاً على الطريق" على يمينها "اللوغو" ملوناً أحمر، وبالمناسبة لوحظ في هذه المرحلة الإكثار من استخدام اللون الأحمر.

عدد ١١٤ المانشيت بالأحمر يقول:

أول ميزانية عامة موحدة في تاريخ القطر..

اهتمام بالشأن المحلي لم يظهر منذ زمن طويل..

في هذا العدد تؤكد صفحة "فن" حضورها المستمر بإعداد عبد الله السيد.. ويتكرر فيها اسم "ختام نبيان".. وتحضر معاً على الطريق لحيدر حيدر.

على الصفحة الأولى في الأعداد المتتالية قلما تغيب قطعة كبيرة عن السودان، إذ كان جعفر النمري قد سيطر على الحكم، أو عن ليبيا حيث القذافي.. وهناك اهتمام بشكل عام بأخبار العربية المتحدة والرئيس عبد الناصر رغم الخلاف غير الخفي غير القطعي حول مهمة روجرز.

على الصفحة الثالثة تستمر صفحة الاقتصاد في عدد ١١٦ والإشراف لجميل الجندي.. وزاوية معاً على الطريق لحسين العودات.

وهكذا تستمر الصحيفة.. على مبدأ "بتعرف شغلها" لكن بما لا يخفي التثاؤب.. رغم حضور بعض الأسماء الجيدة ولاسيما في زاوية معاً على الطريق.. فبالإضافة إلى حيدر حيدر وهاني الراهب وعلي الجندي وحسين العودات.. وممدوح فاخوري.. وخالد عبد الرحيم.. كتب فيها أيضاً مسؤولون حزبيون ومدير عام الصحيفة هيثم عقاد.

في عدد الخميس ١\٨ تؤكد صفحة طيب تيزيني "فكر" حضورها أيضاً.. وتحضر فيها سعاد وقاف في زاوية على طريق الوضوح، في هذا العدد تؤكد صفحة أدب ورودها الأسبوعي بدلاً من منوعات.. ويظهر فيها أسماء أحمد خنسا ومصطفى بدوي - شعراً – إبراهيم الخليل – قصة - والمرحوم محمد الحريري – شعراً – وحامد بدرخان – شعراً أيضاً – وقصيدة مكتوبة بخط اليد مع رسوم لمظفر النواب.. وصبحي الحديدي وعبد الله أبو هيف ناقدان.. وزاوية معاً على الطريق على الصفحة الأخيرة للمدير العام هيثم عقاد بعنوان النفاذ إلى الجوهر نعرض منها:

النفاذ إلى الجوهر

لئن كنت معرفاً (التقدمية) بمعناها اللفظي فقط.. وأن إنساناً ما، تقدمي، لأنه يقدم..

لئن كنت منكراً ورود أسماء علماء العالم وفلاسفته بألفاظها الأجنبية في الكتب العربية حرصاً على المشاعر "القومية".

وكنت مصراً على وصف أحد زملائك بأنه نشيط في عمله، سمج في علاقاته الاجتماعية، نحب لزملائه وأنت تعني بأنه دمث في علاقاته الاجتماعية!!

وكنت تشرح أن بحار العالم لا تقتصر على تسمياتها الجغرافية التي وردت في كتب "المدرسة" بل أن لها أرقاماً سياسية، فالبحر المتوسط هو السادس، وكل أسطول ينزل فيه يأخذ هذا الرقم!!

وكنت توجه النقد إلى تصرفات بعض شبابنا في استهتارهم ولا مبالاتهم. فتصفها بأنها تصرفات بوذية ولو أنك تعني خطأ بأنها وجودية!!

وأن الثورة الثقافية في الصين تعتمد في خلفياتها على الخلاف بين ماو وماوتسي ورغبة أحدهما في التخلص من الآخر.

وأن تنصح بعض أخوانك في اقتناء بعض المصادر للمسيو "الجبرتي" وهو في الحقيقة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي واصف تاريخ مصر في القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر!!

إن كنت تفعل ذلك أو مثله فتلك ظاهرة خاصة تقتضي المعالجة والتصحيح.. أما إن كنت تفعل ذلك وأنت قيم على الناس في عملهم ومعاشهم في علمهم وثقافتهم في توجيههم الفكري والسياسي فتلك مصيبة تنعكس آثارها على نطاق واسع ومن الواجب الحد منها وردعها عن الاستمرار والتحكم في المصائر والمقادير.

من الواضح قطعاً أن الأرض لن تتوقف عن الدوران إذا كنت تتحدث بمعلومات خاطئة أو تسير أمور الناس في اتجاه مغاير لطبيعة الأشياء.

إن التصدي للواقع المرير يقتضي النفاذ إلى الجوهر والمعالجة العميقة الدائبة ودون أن نغور في جذور المسائل لا يمكن مواكبة التطور والتغلب على المعيقات وإلا فإننا نحكم على أنفسنا بالموت المتدرج أو بالانتحار المتعمد كمن يشد شريطاً بدون حذر ليقطعه فتنفجر عليه الألغام.

ولا يعني كل ذلك إلا الرغبة الملحة في السير إلى أمام وأفضل، يحدونا الأمل في الوعي المتراكم والمتنامي لدى جماهيرنا والتي بدأت في طريق التمييز بين الحقيقة والدجل بين الواقع والغيبيات.

ولفظت كثيراً من من مظاهر الخداع والشعوذة.

لسنوات خلت وأمام مدخل سوق الحميدية في دمشق.. كانت تجري مسرحية مثيرة ومؤسفة حيث يقف أحد المشعوذين على صندوق خشبي ويحمل في يده أطلس لتشريح جسم الإنسان ويأخذ في الصراخ والتهويش،

ويعلن عن دواء عجيب يشفي من كل الأمراض مستعيناً بذلك الأطلس يفتح صفحاته على غير هدى ويخلط بين المعدة والأمعاء وبين الجهاز العصبي والجهاز العضلي. ومع ذلك يبيع دواءه العجيب.

ويوماً بعد يوم أخذ البيع بالتناقص حتى جاءه يوم لم يبع فيه زجاجة واحدة بالرغم من صراخه وتهدج أوداجه وإرهاق عضلات فكيه وكتفيه.. وظن أن السبب راجع إلى أطلس التشريح الذي لم يعد مثيراً للمارة، وفي اليوم الثاني اشترى أطلس آخر وكان للجغرافية وأخذ يفتح صفحاته ذات الألوان الرائعة ويصرخ ويقفز ومع ذلك فإن أحداً لم يشتر زجاجة.

حمل صندوقه الخشبي وسار باتجاه النهر وعنده ألقى بالزجاجات وأعادها إلى حيث كانت ولم يظهر بعدها أمام السوق.

في عدد الجمعة ١\٩ توضح مانشيتات الصفحة الأولى موقفاً سياسياً للقيادة التي كانت مستمرة في حالة انقسام غير معلن:

القيادة القومية تصدر بياناً هاماً وشاملاً عن مؤتمر القمة الخامس

الفرز العلمي بين قوى المواجهة.. وقوى عدم المواجهة.. هو المنعطف الحاسم / أحمر

الحزب ما يزال يؤكد أن لقاء القوى التقدمية العربية هو البديل عن مؤتمرات الغد

هذا الموقف السياسي لم تكن القيادة تجمع عليه.. كان الراحل حافظ الأسد يعطي أولوية للوحدة الوطنية والأرض.. في حين كانت القيادة الحزبية ترى الأولوية للقوى التقدمية وصمودها.

في صفحة منوعات من هذا العدد "السادسة" مادتها الرئيسية كانت بعنوان: كيف تخترق الطائرة جدار الصوت.. علماً أن شريط التعريف بالصفحة في أعلاها يقول: منوعات.. فكر.. فن.. أدب..

طبعاً لا يخفي ذلك أن بين أشكال التحدي الذي كنا نواجهه مع العدو الصهيوني.. قيام طائراته باختراق جدار الصوت فوق المدن السورية.. وكانت فرحة شعبية كبيرة عندما رد الطيران السوري فاخترقت إحدى الطائرات ذلك الجدار فوق حيفا.

في عدد الأحد ١١\١٨ يغيب اسم عبد الله السيد عن صفحة فن.. في حين يحضر اسمه في العدد الذي سبقه بتحقيق سياسي موسع عن نيجيريا وسقوط إقليم "بيافرا"..

هكذا تمضي الصحيفة الشهر الأول من عام ١٩٧٠ بهدوء ظاهر على صفحاتها رغم أنها تتكرر يومياً باستثناء يومين أو ثلاثة على مدى الشهر، أخبار المعارك الطاحنة مع العدو الإسرائيلي على ثلاث جبهات.. السورية والمصرية والفلسطينية "العمل الفدائي". ونقرأ أيضاً في المقالات الأدبية لاسيما زاوية معاً على الطريق التي اجتمع فيها عدد جيد من كتاب سورية وأدبائها، ما يشبه تعارك فكري، وكانت تلك الفترة خصبة للحوار رغم الغلبة للفكر اليساري الذي لم يكن موحد الاتجاه والنزعة.

لو حاولنا بالتتبع أن نجد رؤية الصحيفة، أو حتى رؤية الإدارة التي تصدرها، في المعارك السياسية الحقيقية التي كانت تخاض تلك الفترة لامتنع علينا الوضوح تماماً.. الشعارات تخفي كل شيء، والسرية تمنع كل شيء.. كان هناك ثلاث جبهات على الأقل يمكن للرؤى السياسية أن تشغل صحيفة كصحيفتنا "الثورة" بها.. لكن قلما نجدها بوضوح:

١ - جبهة الخلاف الداخلي في قيادة الحزب.

٢ - جبهة الخلاف بين اتجاهي الحرب والسلام..

٣ - جبهة الخلاف.. بين الاتجاه شرقاً دائماً، أو إلى اتجاهات أخرى أحياناً.

جبهات الخلاف كانت مربوطة بخيوط غير معلنة وكان يمكن للصحيفة أن تعلنها.. لكن..

تستمر الصحيفة في السياسة الهادئة الباردة التي عنوانها الأساس تغطية الأحداث على ثماني صفحات تستوعب أقلاماً كتاباً وأدباء ومفكرين يجدون في هذه الصفحات فرصة ما لأقلالهم.

ندخل شهر شباط مع العدد التالي:

الصفحة الأولى أخبار كالمعتاد يختفي عنها أي اسم لأي كاتب، والمانشيت:

قواتنا تشتبك مع العدو في القطاعين الشمالي والأوسط..

إسكات مصادر نيران العدو وإجبار طائرتين حاولتا اختراق مجالنا الجوي على الفرار.

تدمير عدد من عربات العدو في عملية عبور جديدة لقوات المتحدة.. وقصف مواقعه على طول جبهة القناة..

ولو تابعنا أيام الشهر لوجدنا مضمون المانشيت نفسه يتكرر في أعداد الأيام التالية، مثلاً يقول المانشيت:

إسقاط "٥" طائرات للعدو في القطاع الجنوبي.

قواتنا المسلحة تلحق بالعدو خسائر كبيرة في قتال عنيف بالطيران والمدفعية والدبابات.

تكبيد العدو ٢٥ قتيلاً وجريحاً وتدمير ٣ دبابات ومجنزرتين ومحطة رصد ورادار وبطارية مدفعية.

وللحق فإن تلك الأيام كانت تشهد معارك متلاحقة مع العدو بحيث تبدو سياسة أن لا يترك له أن يستريح، معتمدة..

نعود إلى عدد ١ شباط:

الصفحة الثانية أخبار دولية وموضوعها الرئيسي حرب فيتنام..

الصفحة الثالثة جديدة وبعنوان "مع الأعلام" وموضوعها في هذا العدد "وصفي قرنفلي" كتبه عبد الودود التيزيني.

الرابعة محلية تحوي زاوية منبر المواطن، تقديم طالب أبو عايد..

الخامسة محلية مع زاوية مواعيد..

السادسة صفحة فن "اليوم أحد" وعادت مجدداً باسم عبد الله السيد..

السابعة أخبار عربية وتتمات..

الثامنة منوعات وزاوية معاً على الطريق لأحمد سويدان بعنوان: "الكتابة الاشتراكية.. ماذا تعني..؟!".

ويمكن أن نلحظ هنا، أنه في اليوم التالي للعدد الذي يحوي صفحة فن "فنون تشكيلية" يعدها ناقد متخصص هو عبد الله السيد، نجد رئيسي صفحة المنوعات "ثقافية" عن الفن التشكيلي لكنعان فهد ويطرح عنوانها سؤالاً كالتالي:

واقع الحركة التشكيلية.. هل هناك أزمة..

في عدد الأربعاء ٤ شباط.. حُجزت الصفحة الثالثة بكاملها لعنوان مع الفكر الاشتراكي.. مليئة بالعناوين.. موقعة بحرف "س".. وفي العدد الذي يليه الخميس.. صفحة "الفكر" التي يشرف عليها الدكتور طيب تيزيني وكتب فيها مقالاً بعنوان فلسفة المقاومة والثورة من سلسلة مقالات له بعنوان دروس في الفكر الاشتراكي.. والمادة الرئيسية للدكتور داود حيدو بعنوان علاقات الإنسان الجدلية بالإنتاج.. والمقال الجانبي مأخوذ عن مجلة الطليعة المصرية بعنوان "الاشتراكية والثورة التكنولوجية"، وتحوي الصفحة الملاحظة التالية:

"إن صفحة الفكر طرحت منذ البدء شعارها الأساسي: تنظير واقعنا الاجتماعي والثقافي تنظيراً ثورياً..

وهي في الوقت الذي تلح فيه على هذا المنطق، تؤكدبقناعة عميقة أن القيام بهذه المهمة يمكن أن يتم فقط، وفقط من خلال الأقلام الناضجة الواضحة والثورية. فالكتابة حول قضيتنا هذه ليست متعة ذاتية، وإنما هي في الخط الأول التزام علمي ثوري بخط التقدم القومي والاشتراكي في وطننا".

في عدد ٧ شباط يظهر اسم هيثم عقاد لأول مرة على الصفحة الأولى ككاتب افتتاحية بعنوان: طريق المواجهة.. وهي تتناول زيارة الدكتور الأتاسي للجزائر ولقاءه هواري بو مدين.

في عدد الجمعة ١٣ شباط على الصفحة السادسة وفي زاوية رسالة إلى القارئ التي تترك فرصة لتعريف القارئ بشيء يسأل عنه، تعرفنا الصحفية "ميسون أموي" وكانت تعمل رئيس تحرير وكالة سانا، بالصورة بالراديو.

السبت ١٤ شباط تصادر الصفحة الأخيرة بكاملها، وتلغى جميع المواد، لصالح مقابلة يجريها المدير العام هيثم العقاد مع الصحفي الفرنسي ببيير ديمرون وكتابه "ضد إسرائيل".

في عدد السبت ٢١ شباط كتب مظفر النواب مقالاً حول المعرض الثالث لوليد عزت تحت عنوان "الأصابع التي تنمنم ذاتها".. بدأه بـــ:

"ذهبت إلى معرض وليد عزت لأزداد حدة بالشعور بما حولي.. فرائحة الكذب والمؤامرات شديدة هذه الأيام على الوطن العربي".

وختمه بـــ:

"خرجت من المعرض.. وشفافية الألوان المائية، أو هفافتها كما قيل روحت عني، تركتني بلا حتى المؤامرة.. ما نحتاجه هو ذاك الفن الذي يعمق من حسنا بالتآمر الذي حولنا.. رائحة التآمر تزكم الأنوف..

ما نحتاجه فناً يذبح راحتنا وأنفسنا بالحزن والمجانية وعدم الاكتراث

إلى متى عدم الاكتراث..!!

وعدم الإنسان..!!. "

وكان المعرض قد شهد في افتتاحه استقطاباً سمي وقتها "بورجوازياً"..

وفي عدد ٢٨ شباط، يرد طالب أبو عابد على مظفر النواب بمقالة مقاطعة له في كل فقرات ما نشره تحت عنوان "عودة إلى المعرض الثالث لوليد عزت..".. كل ذلك يجري خارج صفحة فن المخصصة للفن التشكيلي..

والحقيقة أن مواجهة الرأي التي ظهرت بين مظفر النواب وطالب أبو عابد لم تكن بعيدة إلى درجة القطيعة، عن الخلافات القائمة في الواقع السياسي.

في ٢٢ شباط يظهر العدد اهتماماً بالذكرى الثانية عشرة لقيام الوحدة وفيه افتتاحية لهيثم العقاد باسمه الصريح.. وعلى الصفحة الثالثة مطالعة للمناسبة ذاتها في أكثر من مقال.. وفيها بادرة غير مسبوقة لاستطلاع رأي القارئ.. تحت عنوان استفتاء مفتوح لقراء الثورة ورد فيه:

يمر مجتمعنا في مرحلة تحول جذرية.. وخلال هذه المرحلة تزول بعض الظواهر وتبرز أخرى..

١ - عدد:

أ - أهم الظواهر التي تؤيدها في بيئتك.

ب -أهم الظواهر التي تحاربها في بيئتك.

٢ -يفضل التعليق على كل ظاهرة بإيجاز جداً.

٣ -يجب ذكر الاسم والعمر والعمل والمدينة والقرية.

٤ -ترفق مع الإجابة صورة شخصية للمشترك.

٥ -تكتب على المغلف عبارة "استفتاء الأسبوع".

٦ -يجب أن تصل كافة الآراء في موعد أقصاه يوم الثلاثاء ٣ آذار ١٩٧٠.

٧ -تنشر نتائج الاستفتاء وآراء المواطنين يوم السبت ٧ آذار.

في العدد التالي هناك أكثر من مطالعة بمناسبة الذكرى الرابعة لحركة ٢٣ شباط. وفي العدد ذاته كتب زاوية معاً على الطريق "سعد صائب". في العدد التالي كتب هيثم عقاد افتتاحية بعنوان: لماذا مؤامرة "انفجار" الطائرة في هذا الوقت بالذات. جاء فيها:

قبل أن يثبت الخبراء الفنيون من أن تحطم الطائرة السويسرية كانت نتيجة متعمد أم غير متعمد.. وقبل أن تحدد الأسباب الحقيقية وراء الحادث، أكانت من فعل بشري إرادي أو من خلل آلي محض.. وقبل أن تتكشف

هوية الفاعل رغم تعدد الاحتمالات فإن الدوائر الاستعمارية الصهيونية قد باشرت نشاطها الفوري، وأطلقت سلسلة من الاتهامات الكاذبة ضد المقاومة العربية لاستغلال الحادث على أوسع نطاق، والتأثير على الرأي العام العالمي من خلال العطف على الضحايا والخشية المتولدة في نفوس المسافرين على خطوط الطيران .

إن هذا الإطار المشبوه الذي أحاط بالحادث والذي استخدمته الصهيونية لإصدار التهديدات ضد المقاومة الفلسطينية والأقطار العربية والذي ستستخدمه من أجل الحصول على أسلحة جديدة، يدفعنا للتأكيد على أن الحادث مدبر من تلك الأوساط. ضمن وضع مهيأ من الظروف المناسبة والإخراج الدقيق.. فاختيار طائرة سويسرية، استغلال لانحياز سويسرا إلى موقف الصهيونية وحتى يظن العالم أن ذلك العمل هو انتقام لظلم القضاء السويسري وتحديه السافر للقيم والقوانين، كما ألحق بالحادث وبتواقت عجيب ذلك الانفجار الذي لحق بالطائرة النمساوية وهي تحمل بريداً "لإسرائيل" كي يكون ذلك مؤشراً نحو الحادث الكبير وعن طريقه تتسرب كل الاتهامات نحو المقاومة العربية وتبتعد الأنظار عن المجرمين الحقيقيين.

وفي اختيار مآسي الطيران يكمن اللؤم والخبث لأنه أضعف نقاط السلامة في السفر ولأنه يستثير أكبر قدر من الذعر والاستنكار.

إن إصرارنا على أن الحادث قد وضع في إطار الاستغلال لتغطية عجز الدعاية الاستعمارية الصهيونية وأنه مدبر من قبلها لا يستند على ما أوردناه من كشف للأساليب المشبوهة فقط بل يعتمد أكثر من ذلك معرفتنا بالأسلوب الذي تستخدمه المقاومة الفلسطينية في كفاحها العادل والمشروع.. والتي لا يمكن أن تلجأ وهي الحركو الوطنية التحررية إلى أساليب الاستعمار والنازية ولم يحدث لأية حركة وطنية أن استخدمت تلك الأساليب التي تقوم على استخدام النابالم والتعذيب الوحشي والمذابح الجماعية ومؤامرات الاغتيال والتصفية الجسدية سواء على الأرض أو على الجو.

على الصفحة الثالثة تظهر صفحة علمية بإشراف زهير كتبي.. وهكذا تكون هذه الصفحة خصصت على مدى أيام الأسبوع.. اقتصادية.. فكرية.. علمية.. أدبية.. سياسية.. تحقيقات لكن دون تقيد دقيق تماماً.

على الصفحة الثالثة أيضاً في عدد ١ آذار مقال طويل حول السينما، ترجمة "عمر الطاهر" وهو صحفي تونسي عمل في الثورة مستكتباً من الخارج لفترة طويلة نسبياً.

في ٧ آذار وهو الموعد المحدد لاستفتاء الأسبوع الذي ظل الإعلان عنه يتردد على الصفحة الثالثة.. تنشر الثورة نتائج الاستفتاء على أكثر من صفحة ونصف.. وهو فقط عرض مختصر لكل من تقدم مع صورة صغيرة، نحو ٥٠ إلى ٦٠ مشاركاً دون أي قراءة من قبل الصحيفة فيما اتجه إليه رأي القارئ.. علماً أن الشعارات القومية والوطنية والطبقية تتكرر لدى معظم الذين نشروا صورهم.

في هذا العدد تظهر صفحة أدب تحمل الشعار التالي:

"دون أدب كما دون سلاح لا يستطيع شعب أن يعيش.." المقولة منقولة عن شاعر فيتنامي..

وللصفحة تقديم في زاوية بعنوان: هذه الصفحة.. لماذا..؟! موقعة مع محمد عمران، جاء فيها:

بين الأديب وبين صفحاتنا الأدبية، جسر منسوف، بل لعلي أقول: بينه وبين القارئ أيضاً! الأدباء الذين أسماؤهم أخذت امتدادها، يعتبيرون هذه الصفحات للناشئة، ويغيبون عنها. وإذا وقعت بين أيديهم، صدفة، نحوها جانباً، وغمغموا: كم هي هزيلة! الناشئة، يعطيها حضورها هذا الغياب. يمنحها غبطة أن تمتد على كل الأعمدة، أن تكتب في كل شيء. وهي، بهذا، تحمل جرثومة موتها دون أن تشعر. فبدل أن تتجه إلى تكوين نفسها تكويناً ثقافياً صامتاً. يصير همها التطلع إلى أسمائها المعروضة في واجهات الصحف، ويوحي لها الزهو، أنها بلغت الكمال، فتقف عند هذا المستوى، وشيئاً فشيئاً تنتهي..

الأدباء الذين صاروا "كباراً" هم، الآخرون، بدورهم يسهمون في عملية الحرق هذه، وهم، لذلك، مسؤولون أيضاً. حين يحجبون أسماءهم عن هذه الصفحات يحكمون عليها، سلفاً، بالموت، وبذلك يخمدون حركة الأدب، بدل أن يشعلوها. في كل صحافة العالم، يعطى للأدب جزء، يسهم في تحريره كبار الأدباء. هذا الملحق الأدبي يدفع حركة الأدب، يربط القارئ بها، أكثر من تفعل المجلات التي لا تصدر إلا مرة كل شهر. هذا الملحق الأدبي هو الجسر الدائم بين القارئ والأديب.

في بلدنا نسف الأدباء أنفسهم هذا الجسر. ومثلهم فعل محرروا هذه الصفحات، نحن، جميعاً، بشكل أو بآخر، مسهمون في هذه العملية. الأديب يحترم نفسه، لا يحمل قصيدته، قصته أو مقالته، ويأتي إلى محرر الصفحة: "من فضلك انشر لي هذه.." وبدوره المحرر الأدبي لا يكلف نفسه مؤونة الاتصال، حتى الهاتفي، بأديب معروف، ليطلب إليه أن يمد صفحته بقصيدة أو بسواها.. شيئاً فشيئاً، تنشأ بينهما جفوة، بعد، ثم انفصال، ويجد الأديب نفسه غائباً، ويجد المحرر نفسه مقسوراً على ملء صفحاته مما جاء به البريد. والنتيجة؟ هزال في الأدب الذي تقدمه هذه الصفحات...

هذه الصفحة إذن. وأختها التي تأتي بعدها، والمختصة في القصة القصيرة، والمسرحية القصيرة، إنما هما لإزالة هذه الجفوة، لإحضار غياب الأدب في بلدنا. ومنذ البدء أهمس في آذان الزملاء الأدباء، كباراً وناشئين "هذه الصفحات لكم!"..

هذه الصفحات لكم، وبقدر ما تمدونها بالنسغ تنمو، تصير شجرة صوتكم التي تمنح القراء ثمارها الطيبة.

هذه الصفحة إذن لإقامة الجسر!!

في الصفحة أيضاً مقال نقدي طويل عن مجموعة الطيب صالح "دومة ود حامد" لنصر الدين البحرة.. وقصائد لأحمد سليمان الأحمد وأخرى مترجمة عن الأرمنية.. وممدوح سكاف.

واضح أنها صفحة جديدة يتولى أمرها محمد عمران وتأخذ مكانها الأسبوعي على الصفحة السادسة.

عدد ٨ آذار بثماني صفحات فقط وإخراج سيىء للصفحة الأولى نظراً إلى الحجم الافتتاحية الذي بلغ نحو نصف صفحة نشرت بكاملها على الصفحة الأولى ودون توقيع.

في ٣/١٠ نحن أمام صفحة جديدة بعنوان: مع القصة القصيرة بإشراف محمد عمران، فيها مقابلة طويلة مع مراد السباعي وقصة له.. وتحتل الصفحة السادسة أيضاً.

في عدد ٣/١٤ صفحة متخصصة أخرى على الرابعة والخامسة واسمها استفتاء الأسبوع.. تقديم طالب أبو عايد.. وموضوعها في هذا العدد: أطفالنا والمعركة والمستقبل.

وتعلن الصفحة عن موضوع الأسبوع القادم بعنوان "هل عملنا في مستوى الخطر الذي يتعرض له وجودنا ومصيرنا..؟!"، وفي العدد تؤكد صفحة "دون أدب كما دون سلاح لا يستطيع شعب أن يقاتل" وجودها ويؤكد محمد عمران إشرافه عليها عبر مقالها الافتتاحي.

يلاحظ هنا مع متابعة الأعداد أن المقال الافتتاحي على الصفحة الأولى ينشر أحياناً بتوقيع المدير العام هيثم عقاد وأحياناً أخرى دون توقيع.

في العدد التالي أيضاً تتكرر صفحة مع القصة القصيرة وجودها الأسبوعي على السادسة وبإشراف محمد عمران، والصفحة بكاملها مع بقية نصف صفحة على السابعة تحتلها قصة وصورة للراحل هاني الراهب بعنوان "علب كرتون".. وقد قدم لها محمد عمران بـــ"إشارة" جاء فيها:

في الصفحة السابقة قدمنا قاصاً يمثل مرحلة من أدب القصة القصيرة في بلدنا. كنت أتصور أن تثير ردوداً آراء مراد السباعي في تجاربه مع القصة القصيرة لاسيما مع الكتاب الشباب الذين تحدث بعضهم معترضاً على ما جاء في تجارب مراد السباعي من مفاهيم مختلفة حول أدب القصة.. لكن أحداً لم يكتب وهذا واحد من أسباب ركود الحركة الأدبية عندنا.

صفحة اليوم لقاص شاب.. هاني الراهب، كما يعرفه القراء روائي وكاتب قصة قصيرة. هو بالضرورة أحد أصوات المرحلة الجديدة من أدبنا القصصي. "علب كرتون" القصة التي نقصها اليوم هي آخر ما كتبه، أعني هاني الراهب، الآن..

تدخل في هذه المرحلة مجموعة من أسماء جديدة على معاً على الطريق: "فاضل سباعي –نبيل ظواهرة –

في عدد ٢٧ آذار وبعد غياب طويل يعود يوسف مقدسي في زاوية معاً على الطريق بمقالة تحت عنوان مرتكز التصور. ويدخل اسكندر لوقا إلى الزاوية ليستمر فيها زمناً طويلاً ربما أكثر من ثلاثين عاماً.

هكذا بحلول صفحتي الأدب والقصة القصيرة وصفحة الفن على السادسة تكون صفحة منوعات التي يناط بها تقديم الحياة والنشاطات الثقافية تقلصت إلى ثلاث مرات في الأسبوع، عدا ما تتحمله من طوارئ.. كما في عدد الأول من نيسان حيث تحتلها صفحة طارئة بموضوع رئيسي بعنوان: أضواء على الملتقى الفكري العربي – الخرطوم – مارس – ١٩٧٠.. والعرض "الأضواء" إعداد المدير العام للثورة هيثم عقاد ويعطيه رقم "١" مما يشير أننا أمام سلسلة.

في هذا العدد عودة ليوسف مقدسي في زاوية معاً على الطريق بمقالة بعنوان: النشاط الثقافي خارج دمشق.

في عدد ٤\١٢ تؤذن الصحيفة على صفحتها الأولى بالاحتفال بذكرى تأسيس الحزب "٧ نيسان" والمانشيت الترويسة يقول:

محافظات القطر تبدأ احتفالاتها بالذكرى الثالثة والعشرين لتأسيس الحزب

في وسط الصفحة هناك صورة لمحاضر ومحاضرة والشرح يقول أنها احتفال في شعبة القصاع..

الصفحة السادسة مرة أخرى تحتلها الطوارئ.. لكن في الجزء الرئيسي منها ريبورتاج يحمل عنواناً:

مشاهدات وقضايا من القطر السوداني الشقيق

الريبورتاج غير موقع لكنه يرجح أنه من إعداد هيثم عقاد في إطار زيارته للسودان. ورغم أن الريبورتاج لا يحتل سوى رئيسي الصفحة فله بقية في الصفحة السابعة، ليفسح المجال لبعض مواد المنوعات الثقافي، ربما تحت تأثير إلحاح الأستاذ هاني الحاج صاحب هذه الصفحة الذي كان متميزاً بمتابعته لعمله.. في الجزء المتبقي من المنوعات الثقافية نقرأ مقالاً سينمائياً لقيس الزبيدي بعنوان:

آكيرو كوروساوا: ساموراي السينما في العالم

الساموراي السبعة دراما تاريخية من أجل الخصب والأرض

الآن سنقف قليلاً مع عدد ٤١٣.. وهو عدد صباح جمعة.. ولعلّ مانشيتاته تفسر سبب وقفتنا:

قواتنا المسلحة تسجل انتصارات ساحقة في تصديها للعدو الصهيوني براً وجواً

الجبهة كلها تشتعل بمعارك الطيران والمدفعية والدبابات \أحمر

إسقاط "٧" طائرات للعدو منها "٣" فانتوم وأسر اثنين من الطيارين

تدمير:

مستعمرة تل فرس – مرصد جبل الشيخ – نقطة استناد جسر الرقاد - ٥٠ دبابة وناقلة مدرعة وآلية – مقر قيادة وتوجيه للطيران والمدفعية – كتيبتي دبابات في القنيطرة والجوخدار – ٦ سرايا مدفعية.

المقاتل العربي يؤكد كفاءته وروحه القتالية العالية ويكبد العدو "١٢٠" قتيلاً وجريحاً

العدو زجّ بـ ١٠٠ طائرة في المعركة فتصدى لها طيارونا بمقاتلاتهم الميغ ولقنوه درساً قاسياً

وزير الدفاع يصدر أمراً عسكرياً بترقية أبطال المعركة وشهداء القوات المسلحة الذين سقطوا في ميدان الشرف ومنحهم الأوسمة الحربية.

ليس طارئاً في مسيرة الصحيفة في تلك الفترة ظهورها حربجية.. أبداً.. بل كانت تلك السمة العامة لها.. والطارئ أن لا تكون.. لكن هذه المعركة بالذات من بين سلسلة الاشتباكات المستمرة مع العدو بعد حرب حزيران على جبهتي الجولان وقناتي السويس كان لها وقع نفسي ربما ما زال معاصرو تلك الفترة يتذكرونه.. وبالمختصر ربما يحق لي أن أسميها معركة "بسام حمشو".

الصفحة بكاملها تقريباً شغلت بالمعركة، إضافة إلى خبر مانشيت ترويسة يقول:

الرفيق الدكتور الأتاسي يلقي كلمة الحزب في المهرجان الجماهيري الذي يقام في الذكرى الثامنة والعشرين لتأسيسه.

تحت المانشيت صورة عريضة لحطام طائرة فانتوم إسرائيلية..

وتحتها قصة الخبر مع تصريح الناطق العسكري وتعليق لناطق بلسان هيئة أركان الجيش..

على يسار الصورة الرئيسية خبر يحمل العنوان التالي:

وزير الدفاع يصدر أمراً عسكرياً

بترقية أبطال وشهداء المعركة ضد العدو.

تحت الصورة الرئيسية "صورة الحطام" صورة الفريق حافظ الأسد مستقبلاً النقيب الطيار بسام حمشو بعد أن تسلم رتبته الجديدة "رائد" ووسامه الحربي، إثر إسقاطه طائرة فانتوم..

فوق هذه الصورة صورتان لحطام الطائرة..

وفي القاعدة صورة يظهر فيها الأسيران الإسرائيليان، وهما الطيار النقيب "جدعون ماجن" والطيار الملازم الأول "بنحاس ألخماني". في القاعدة على اليمين أيضاً صورة أخرى من حطام الطائرة..

هكذا مع افتتاحية هيثم عقاد وهي عن المعركة أيضاً تكتمل الصفحة وقد جاء في الافتتاحية:

التحول النوعي على طريق الصمود والمقدرة

يبرز الصمود حقيقة واقعة تواجه العدوان وتؤكد على تمرس الشعب العربي بالنضال والتضحية عبر تاريخه الطويل.. ويسجل الشعب مرة أخرى بطلائعه المسلحة أيامه المجيدة.. وفي الثاني من نيسان تشتعل الجبهة السورية وكما هي من قبل، وتخط بعنف ردها وردعها، مؤشرات التحول النوعي الواضح على طريق الثبات والمقدرة وتتويجاً لتضحيات هذا الشعب وثقته التي منحها على قدر آماله.. وتتحول أسماء القرى في الجولان إلى أسماء للمعارك الظافرة تخوضها قواتنا المسلحة بكل بسالة وإقدام..

وروح الصمود التي بدت تباشيرها بعد أيام وجيزة من العدوان والتي ألزمت العدو بالحصول على مزيد من أسلحة الدمار وعلى طائرات الفانتوم من الولايات المتحدة الأميركية، قد نمت وتعاظمت حتى أحالت طائرات الفانتوم إلى حطام..

ومعركة بعد معركة وتضحيات إثر تضحيات تصبح ساحة النضال العربي على جبهات المواجهة، في الطليعة من نضال الشعوب ضد الإمبريالية العالمية بزعامة الولايات المتحدة الأميركية، لتمتد مقابر الفانتوم من أرض الفيتنام البطلة إلى الأرض العربية في سورية والمتحدة ولتتسع فسحة التحدي والمجابهة والبطولات.

ويفضح نسورنا البواسل جنون الإمبريالية ويعرون وجهها القبيح من كل ما تحاول التستر به من أقنعة وأضاليل.. ويغدو حطام الفانتوم على الأرض العربية برهاناً قاطعاً على أن الولايات المتحدة الأميركية تستعجل

العدوان على الأمة العربية، فالكتابات على الطائرات مازالت كما صدرت حديثاً عن المصانع الأميركية دون تعديل، وهذا يعني وبشكل قاطع أنها باشرت عدوانها بمجرد وصولها إلى الأرض المحتلة ولم يكن لديها متسع من الوقت لإجراء أبسط أشكال التغطية والتستر.. بل وأنها قد جاءت بقيادة طيارين أميركيين يحملون الجنسيتين الأميركية واليهودية..

إن الانتصار الذي حققته قواتنا المسلحة على طول الجبهة وشراسة العدوان الذي مارسته وتمارسه قوى الاستعمار والصهيونية ضد شعبنا العربي لتؤكد مجموعة من الحقائق الملموسة يصعب على الأعداء إنكارها فقد ثبت أن عدوان الخامس من حزيران وما تبعه من اعتداءات لم يستطع تحقيق أغراضه التي قام من أجلها، والشعب العربي لم ولن يرضخ لشروط المعتدين ولم ولن يثنه ذلك عن متابعة ثورته التحررية ولن توقفه هزيمة واحدة في طريق نضاله الطويل..

تحية الشعب العربي تحية إكبار وإجلال لشهداء قواتنا المسلحة لكل الشهداء العرب الذين يسقون بدمائهم أرض المعركة.

وتحية اعتزاز بصمود المناضلين الأبطال على الجبهة السورية على كل خطوط المواجهة والجبهات العربية.

تستمر المعركة على عدد اليوم التالي ٤\١٤ بالمانشيتات التالية:

جماهير الوطن العربي تعكس اعتزازها بنتائج المعركة وتعتبرها انتصاراً للأمة العربية

تعليق المراقبين والوكالات الأجنبية على نتائج المعركة:

سلاح الجو العربي السوري أصبح يشكل تحدياً كبيراً للطيران "الإسرائيلي"

دمشق وحلب والسويداء ويبرود تشيع شهداءها الأبطال في مواكب شعبية ورسمية

الجماهير صممت على الصمود والمواجهة مهما كانت التضحيات
رفاق السلاح يعاهدون على الثأر والسير في طريق الكفاح
تشييع ضباط الصف والجنود من شهداء القوات المسلحة في مدنهم وقراهم بالمراسيم العسكرية تقديراً لبطولاتهم.

تحت العناوين صورتان عريضتان لتشييع الشهداء.. وعلى يسار الصفحة في وسطها صورة كبيرة نسبياً للفريق حافظ الأسد، والعنوان يقول:

وزير الدفاع يكافئ المواطن الذي أسر الطيارين
ويقدم له مسدساً حربياً تقديراً لشجاعته

تحت هذا المستوى من الصفحة الأولى كانت قطعة خبرية حول احتفالات تأسيس الحزب.

وفي العدد التالي أيضاً الأحد ٥\٤ هناك مانشيت ترويسة عن صدى المعركة.. ثم مانشيتات:

الفريق الأسد يمضي يوم أمس في الخطوط الأمامية.. ويقول لرجال التشكيل الذي خاض المعركة ضد العدو الهيوني:
الشعب.. كان معكم في كل لحظة من لحظات المعركة.
الانتصارات التي حققتموها لقيت صدىً رائعاً في كل مكان من الوطن العربي.
قائد التشكيل: نعاهد الوطن العربي على أن هذا التشكيل سيبقى صامداً وسيكون المقاتل لتحرير الأرض المغتصبة.
منح قائد التشكيل المقاتل ولبعض الضباط وصف الضباط والجنود الأوسمة وترقية بعض العسكريين لرتب أعلى.

تحت المانشيت ثلاثة صور للفريق حافظ الأسد يرافقه اللواء مصطفى طلاس وكان رئيساً للأركان العامة وهو يلتقي الضباط والجنود. وإلى جانب الصور خبر الزيارة بكامله على الصفحة الأولى وضمنه كلمة الفريق الأسد.. ربما مجتزأة وقد ورد فيها:

قال الفريق الجوي حافظ الأسد لرجال التشكيل الذي خاض معركة الثاني من نيسان ضد العدو الصهيوني: لقد لقيت الانتصارات التي حققتموها على العدو الصهيوني صدىً رائعاً في القطر العربي السوري وفي كل مكان من الوطن العربي..

وقال الفريق وزير الدفاع: إن الشعب يقف بكل جوارحه وراء جيشه وقد كان معكم بكل حواسه في كل لحظة من لحظات المعركة، فلنكن عند حسن ظنه ولنكن جديرين بالحياة لا نقبل الذل والاستسلام بأي حال من الأحوال ومهما بلغ الثمن وغلت التضحيات..

فقد أمضى السيد الفريق الجوي حافظ الأسد وزير الدفاع نهار أمس في الخطوط الأمامية مع رجال التشكيل الذي خاض معركة الثاني من نيسان ١٩٧٠ وكان يرافقه السيد اللواء مصطفى طلاس النائب الأول لوزير الدفاع ورئيس هيئة أركان الجيش والقوات المسلحة وبعض ضباط القيادة.

وبعد جولة على المواقع الأمامية اجتمع السيد الفريق ومرافقوه بمجموعة من المقاتلين من الرتب المختلفة لتهنئتهم على البسالة التي أبدوها في القتال ولتقليدهم الأوسمة والرتب الجديدة التي قررت القيادة منحهم إياها بعد أن قاتلوا بشجاعة وجابهوا قوات العدو وأنزلوا به أفدح الخسائر.

وألقى السيد الفريق حافظ الأسد كلمة في ضباط وجنود التشكيل قال فيها: لقد تابعنا وتابع شعبكم في كل مكان أنباء الانتصارات التي حققتموها على العدو الصهيوني والتي لقيت صدىً رائعاً في القطر العربي السوري وفي كل مكان من الوطن العربي.

وقال السيد الفريق وزير الدفاع: إنه في كل معركة نخوضها ضد العدو لا بد من خسائر غير أن المهم أن لا نستسلم وأن لا نرضى بالهزيمة والذل وأن شعوب العالم في الماضي والحاضر دفعت ثمن حريتها وقدمت القرابين والضحايا في سبيلها ولنا من تاريخنا العربي المجيد ما يدفعنا إلى العمل من أجل حريتنا واستعادة كل شبر من أرضنا العربية المغتصبة.

وأوضح السيد الفريق حافظ الأسد أن معركة الخامس من حزيران التي خسرناها ليست إلا واحدة من المعارك على الطريق الطويل طريق الكفاح المسلح ضد العدو ونحن كعسكريين ندرك ما هو أمامنا من صعوبات وعقبات. غير أن غيماننا بوطننا وشعبنا سيمكننا من تذليل هذه الصعوبات وتجاوز تلك العقبات ولابد لنا من أن ننتصر لأننا اصحاب حق وأن كل ما في تاريخنا العربي من بطولات وتضحيات وأمجاد يجعلنا نثق بأن النصر سيكون حليفنا في النهاية.

وبعد أن انتهى السيد الفريق حافظ الأسد من إلقاء كلمته أعلن قرارات القيادة للجيش والقوات المسلحة بمنح السيد قائد التشكيل المقاتل الوسام الحربي من الدرجة الأولى تقديراً منها لشجاعته في إدارة المعركة وتوجيه المقاتلين ومنح بعض الضباط وصف الضباط والجنود أوسمة الشجاعة وكذلك ترقية بعض العسكريين إلى رتب أعلى تقديراً لبسالتهم في هذه المعارك.

وفي ختام اللقاء وقف قائد التشكيل المقاتل وألقى كلمة قال فيها أننا نعاهد الوطن العربي على أن هذا التشكيل سيبقى صامداً في الدفاع غن أرض الوطن وسيكون أيضاً التشكيل المقاتل لتحرير الأرض المغتصبة.

كان ذلك الظهور الثالث لصور الفريق حافظ الأسد في الثورة.. ولم يكن مغزاه ليخفى على أحد.. لقد أراد الأسد أن يقول: أنا بين جنودي.. وهنا رهاني.

وقد غابت عن كلمته العبارات النضالية الطنانة والحزبية إلى حدٍّ ما، وحضرت العبارات الوطنية..

لم تغب عن الصحيفة متابعة أخبار احتفالات ذكرى تأسيس الحزب التي شهدت في الأيام التالية ٦ و٧ وحتى ٨ ذروتها.. ويمكن من هذه المتابعة ملاحظة أن الاحتفالات كانت أوسع بكثير من احتفالات ٨ آذار و"١٧" نيسان فيما بعد.. المناسبة التي حظت بتغطية عابرة.

في الأعداد التالية نقرأ مانشيتات وعناوين تشير إلى النشاطات العمالية الفلاحية للقيادة.. وفي مانشيت ١٠ نيسان نقرأ مانشيتاً يفتقد مبررات وجوده:

ثوار الصاعقة يعاهدون: سنجعل العدو يدفع الثمن غالياً..

ذلك رداً على قصف إسرائيلي لمدرسة في العربية المتحدة.

لا يخفي ذلك رغبة الصحيفة في استعادة الألق الإعلامي من المعركة التي خاضها الجيش السوري وحققت ظهوراً لافتاً للفريق حافظ الأسد لصالح شعار حرب التحرير الشعبية.

في هذه الفترة تزدهر مقالات هيثم عقاد.. افتتاحيات ومعاً على الطريق.. وهناك افتتاحيات دون توقيع.. وما دام هيثم عقاد يذيل افتتاحياته بتوقيعه، يفترض أن تكون الأخرى لمصباح دبجن. وبين فترة وفترة تطل مقالات افتتاحية لحسين العودات مذيلة بتوقيعه.

تتكرر ما نشيتات انتصارات "الصاعقة" على إسرائيل وبشكل يومي تقريباً، والقتلى بالعشرات.

عدد ١٩ نيسان جاء بالحلقة الثانية من سلسلة ريبورتاجات هيثم عقاد حول السودان. وعدد ٤/٢٣ جاء بـــ ١٦ صفحة، بينها ٨ صفحات ملحق بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد لينين، هو أشبه بملحق إعلانات لشركات ومؤسسات روسية.

خلال هذه الفترة هناك معارك أدبية حامية الوطيس لا تخفي ظهورها على صفحات الثورة وبشكل خاص معاً على الطريق..

هناك مثلاً مقال لممدوح عدوان في عدد ١٨ نيسان بعنوان "الأسلوب الخاص والكراهية بين الأدباء"، ومقال آخر لحيدر حيدر في معاً على الطريق بعنوان "ثرثار المقاهي والطعن في الريح".

هذا إضافة إلى ما تحتويه الصفحات التي يشرف عليها محمد عمران.

في صفحة القصة القصيرة في عدد ٤/٢٨.. مقال رئيسي لعبد العزيز هلال بعنوان:

القصة والنظرة المغلوطة في صفحة القصة القصيرة الماضية.

يتعرض فيها إلى أربع قصص لمحمد كامل الخطيب وممدوح سكاف وفاروق مرعشلي.

مع الأول من أيار تظهر الصحيفة حفاوة خاصة بعيد العمال وتصدر له ملحقاً من ٤ صفحات وتنشر الكثير من المقالات.

في عدد ٢ أيار تنشر صفحة "دون أدب كما دون سلاح لا يستطيع شعب أن يقاتل" لقاء مطول مع الشاعر خليل حاوي أجراه الشاعر ممدوح سكاف..

صفحة الفن لعبد الله السيد المرصودة غالباً للفنون التشكيلية تعطي الموقع الرئيسي في عدد ٥/٣ لمقال مسرحي كتبه "ظافر دلول" عن مسرحية "الكارت بلانش".. وأعتقد أن عرضها الأول كان في مهرجان دمشق للفنون المسرحية وهي لفرقة "محترف بيروت للمسرح" إخراج روجيه عساف وبطولة نضال الأشقر.. وقد لاقت المسرحية قبولاً واستقبالاً واعتبرها ظافر دلول وكتاب آخرون في حينه أنها تبشر بانطلاقة تحديث في المسرح العربي.

في صفحة "مع القصة القصيرة" عدد ٥/٥ يرد محمد كامل الخطيب على عبد العزيز هلال بمقال يحمل عنواناً "القصة القصيرة والمفهوم المتخلف". وفي الصفحة قصة لفاروق مرعشلي وأخرى لمحسن غانم وثالثة لسحبان السواح.

في العدد التالي ٦ أيار تفرد الصحيفة ملحقاً بأربع صفحات لذكرى شهداء ٦ أيار. وفي اليوم التالي يتابع هيثم عقاد ريبورتاجاته "مشاهدات وقضايا من القطر العربي السوداني" على الصفحة الثالثة..

في عدد ٧ أيار ينضم نصر الدين البحرة إلى إحدى حومات الوغى الأدبي والدائرة حول القصة القصيرة، ويشير محمد عمران – المشرف على الصفحة – أن هذه المعركة تدور بين أدباء قدامى وآخرين جدد.

في ١٤ أيار تتناول مانشيتات الصحيفة معركة جرت في جنوب لبنان بين الفدائيين وإسرائيل.. وفي اليومين التاليين تنشر الصحيفة تحقيقان بالصور على الصفحة الأخيرة بعنوان "من جنوب لبنان.. أرض المعركة" تشارك فيهما طالب أبو عايد وفيصل عبد الله.. وتصوير كربيس بغدويان.

بشكل عام تمضي الصحيفة بهدوء وبمستوى جيد نسبياً، وتتالى افتتاحيات هيثم عقاد وحسين العودات وأخرى دون توقيع.. ويعود إلى النشاط يوسف مقدسي "تحقيق عن أزمة السكن" في عدد ٥/٢٢. وتنضم إلى كتابة معاً على الطريق "أمل حجيلان". في صفحة القصة القصيرة في عدد الثاني من حزيران يرد "هاني الراهب" على "فالح عبد الجبار" الذي كان تناول في الصفحة نفسها في الأسبوع الذي سبقه مجموعة الراهب "المدينة الفاضلة".. في الصفحة قصة قصيرة لمحمد كامل الخطيب بعنوان لافت: "محاولات جاهدة ومشروعة لرفع إصبع صغيرة يقوم بها تلميذ جاد في مدرسة ابتدائية".

لقد شكلت الثورة في تلك الفترة منبراً هاماً للحوار الثقافي والأدبي والذي سمي "معارك" ولعلّي لا أبالغ إن قلت إنه لم يبق قلم أدبي أو ثقافي أو إبداعي لم يمر على صفحاتها.

ابتداءً من عدد الجمعة الخامس من حزيران تبدأ الصحيفة بتغطية أول زيارة للعقيد معمر القذافي إلى دمشق.. اهتمام الصحيفة بالذكرى الثالثة لحرب حزيران بدا هزيلاً.. لا تحليلات.. لا دراسات.. لا تعليقات.. فقط هناك تحقيق لاسكندر لوقا حول النيات المبيتة لإسرائيل في العدوان وافتتاحية لهيثم عقاد نأخذ منها:

الصمود العربي يحبط أهداف العدوان

"ثلاث سنوات كافية.. ماذا تنوون أن تفعلوه من خطوات جديدة؟"

ذلك ما قاله شاندرا سكرتير مجلس السلم العالمي منذ وصوله أمس إلى دمشق..

من المحتم أن عمر العدوان أكبر من ثلاث سنوات.. فمنذ قرون، وبعد سقوط الدولة العربية الواحدة، وجحافل الغزاة والمستعمرين تتوالى موجة إثر موجة على أرضنا العربية.. غير أن العدوان الصهيوني الإمبريالي في الخامس من حزيران هو الذي "توج" موجة الاستعمار الحديث في القرن العشرين على الشعب العربي وهو الذي فضح الرأي العام العالمي بعد غفوة الصهاينة كمعسكر أمامي لجنود الإمبريالية ينطلقون منه لتحقيق الأهداف التي عسكروا من أجلها.. (بوضع شعب غريب في ملتقى القسمين الآسيوي والإفريقي من الوطن العربي وعلى شفاف السويس يمنع الوحدة ويحقق أهداف الاستعمار).

لذلك فإن السنوات الثلاث كافية لتعرية الوجود الصهيوني وإدانة وإزالة كل ما بقي على وجه القوى الإمبريالية وحلفائها في المنطقة من أستار.. وبعدها يجب أن تأخذ المعركة أبعاداً جديدة.. أن ترتفع حدتها.. أن يتزايد أكثر فأكثر نضال الشعب العربي المسلح داخل الأراضي المحتلة ةمن على حدودها.

وإن كنا نرفض أن يتحول الخامس من حزيران إلى ذكرى كذكرى المأساة في عام ١٩٤٨، تتسلسل أرقامها من الآحاد إلى العشرات. فإن ذلك لا يمنعنا من أن نقرر مجموعة من الحقائق تبدو جلية الآن أكثر من أي وقت مضى حين نسترجع ما حدد من أهداف للعدوان ومنها نتعرف على مدى تحققها وما أدت إليه من نتائج...

إن الإمبريالية لا تستطيع أن تقف موقف المتفرج حين يمارس شعب من الشعوب دوره في التمتع باستقلاله وسلوك النهج الذي يقوده إلى التحرر الاجتماعي والاقتصادي ةالسياسي. ذلك أمر يؤدي للصدام المباشر مع المصالح الاحتكارية التي لا تقبل إلا باستقلال شكلي محصور في علم ونشيد وشعار.

من هنا نحدد أن العدوان المسلح كان محتماً على قوى التحرر العربية إذ لا يمكن للقوى الإمبريالية أن تنظر بارتياح أو أن تصبر طويلاً على الخطوات الثورية التي انتهجتها ثورة القطر العربي السوري في القضاء على المصالح الاحتكارية المصرفية، والإجهاز على قوى الإقطاع ورأسمال وتجريدها من أهم أسلحتها، استغلال الأرض والمصنع.وتنظيم الجماهير العربية الكادحة في طليعة ثورية ومنظمات شعبية تدخل تلك الجماهير فعلاً في ساحة التحويل الاجتماعي وتعطيها ثقلها الحقيقي وتعيد لها دورها المنتزع منها في السيادة وتقرير الأمر والمصير.

أن يتحدى هذا القطر الصغير دولة شركة نفط العراق.. أن يستثمر نفطه لوحده وبمساعدة الأصدقاء غير المشروطة.. أن يبني مصفاة للبترول تجهض آمال الشركات الاستعمارية في الأرباح التي ضاع قسم منها في الاستثمار وكانت تأمل ببقية الأرباح الناجمة عن التكرير... أن يستثمر ثرواته الطبيعية... أن يشرع في بناء السد العظيم.. أن يقضي على المؤسسات الثقافية الاستعمارية.. أن يلح على دور الجماهير الكادحة في الثورة العربية ويزعج العروش والأتباع.. أن يشعل شرارة الحرب الشعبية التي لا يمكن لأية قوة في العالم أن تحد مداها.. أن يحددها طريقاً لبناء الإنسان العربي الجديد انتهاء بمجتمع موحد متحرر اشتراكي.

في اليوم التالي يشارك القذافي الأتاسي حضور مهرجان شعبي بمناسبة بدء أسبوع التضامن مع الشعب العربي.. وقد ألقى القذافي كلمة في المهرجان طويلة جداً.. تمت مقاطعته فيها بشكل ربما توضحه الفقرة التالية من الكلمة كما نشرتها "الثورة".

إننا نقول بأن إسرائيل هي مقدمة للاستعمار الأميركي معسكر متقدم أو قاعدة متقدمة للاستعمار الأميركي فنحن في مواجهة هذا لدينا الجواب في اعتقادنا وهو أن لابد من تعبئة الطاقات الجماهيرية العربية مثل ما هو

قائم الآن في القطر العربي السوري من لجان الدفاع عن الوطن هذا عمل عظيم وأحييه الآن فهذا هو المطلوب بخصوص العمل الشعبي هو أن نعبئ طاقات الأمة العربية الشعبية من محيطها إلى خليجها وتكون كلها جاهزة للمقاومة الشعبية عندما تدخل أمريكا عملياً أو يدخل حلفاء إسرائيل عملياً في المعركة أو يتقدمون لاجتياح الوطن العربي فعندئذ يجب أن تكون الأرض العربية كلها ناراً تتلظى ونشنها حرباً شعبية لمواجهة القوة العالمية التي تري اجتياح الوطن العربي والتمركز فيه لإنقاذ إسرائيل مثلاً، أما في مواجهة إسرائيل ذاتها فيما يخص الفلسطينيين يواجهونها بما يواجهون بها الآن فهذا هو المنطق وبقية الأمة العربية وأقطار عربية أخرى خارج فلسطين احتلتها قوات إسرائيل الآن في امواجهة الآن لابد أن تكون مواجهة ساخنة مواجهة بقوة مسلحة نظامية وإذا رفضنا هذا المنطق نحن نتهرب من الحقيقة ونريد أن نتقي العدوان بأشياء سلبية وهذا لا يجوز فنحن الآن لابد أن نكون من الشجاعة بمكان حيث نقول أننا يجب أن نواجه القوة المسلحة الإسرائيلية بقوة مسلحة عربية.

هتافات جماهيرية:

١ -حرب التحرير الشعبية طريقنا إلى النصر.

٢ -سيكون عامل المقاومة بداية حرب التحرير الشعبية.

٣ -لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية.

يعود العقيد القذافي إلى القول: انا أوافق الأخ فعلاً بأنه لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية وعليه فنحن الآن النظرية ومن واجبنا الآن أن نضع مدعوون العرب جميعاً أن نضع نظرية ثورية فعلاً لأن هناك متاهات كثيرة هناك عدم رؤية تشكك في الإمكانيات وبعثرة الجهود في غياب النظرية الثورية التي تكون إطار ووعاء أمين تصب فيه الطاقات الثورية للأمة العربية حتى تؤتي ثمارها فنحن فعلاً بحاجة إلى نظرية ثورية حتى تكون لحركتنا الثورية أصالة ومعنى وطريق واتجاه هذا شيء صحيح ففي

الهند الصينية مثلاً تعتمد الشعوب هناك حرب التحرير الشعبية لأنها تواجه أمريكا مواجهة مباشرة. هناك شعوب صغيرة تواجه قوة عالمية كبيرة هي قوة أمريكا مواجهة مباشرة بالفعل فلا وسيلة أمام هذه الشعوب إلا حرب التحرير الشعبية مثلما هو أمام الفلسطيني الآن لا وسيلة إلا حرب التحرير الشعبية. أما أن ليبيا تجمد القوات المسلحة مثلاً ةتبعثر ميزانيتها في أشياء أخرى وتقول أنني سوف أبعث بعشرة آلاف من المتطوعين لأن الرب الشعبية هي الطريقة فهذا نعتبره تقصيراً من ليبيا وتردداً وهناك أؤكد لكم أيها الأخوة أن هناك حكومات عربية انهزامية ليست من الأقطار العربية التحررية بالطبع هذه الحكومات إذ تقول أن التضحية قضية فلسطينية إسرائيلية وليس لنا علاقة بهذه القضية، ولماذا نحشد الجيوش والقوة المسلحة ونزجها في مثل هذه المعركة فنحن ندعم بالمال الفلسطينيين ونرسل المتطوعين لمن يريد أن يتطوع وهذا تفعله باكستان وتفعله الهند وتفعله الهند وتفعله شعوب كثيرة مناصرة للحق العربي ترسل بمتطوعين وترسل المال كما ترسل المال لمساعدة حركات تحررية أخرى في بلدان أخرى من العالم.

أما أن العربي في القطر العربي يقول الآن أن تجمد القوات المسلحة وتترك المعركة معركة فلسطينية إسرائيلية، هذا تهرب من المعركة وتنصل من المسؤولية وهذا لا توافق عليه ونرفضه ولابد أن نكون شركاء في المعركة وأن تكون أرضنا عمقاً للمعركة. فعندما نتكلم عن المقاومة الفلسطينية أو نظرة حرب التحرير الشعبية أنا أتكلم عن هذا ونحن في نفس الوقت ندعم كل حركات المقاومة الفلسطينية برغم أننا ننادي بوحدتها ولكننا الآن مضطرون أن نساهم مع كل حركة على انفراد لأن كل من يقاتل في الميدان ويوجه الرصاص للأعداء هو حري بأن نقف معه ونساعده فلا يعني هذا الكلام عن حركة المقاومة الفلسطينية والدعوة إلى وحدتها هو تخلي منا عن واجباتنا نحو أخواننا المقاتلين فنحن إلى هذا اليوم ندعم كل

المقاومة والحركات الفلسطينية بكل ما نملك ولكننا لا نريد أن نذكر دورنا في هذا الميدان لأن هذا واجب علينا ولا نحتاج عليه جزاء ولا شكوراً.

في صفحة "فكر" التي يشرف عليها الدكتور طيب تيزيني عدد ٦/١١ مقال رئيسي للعميد "مصطفى نابلسي" بعنوان نحو إصلاح إداري شامل؟!..

أما المادة الثانية فهي حول السلب والإيجاب في الأمثال الشعبية لخلدون الحكيم.. وهناك زاوية "على طريق الوضوح" ليوسف محمود الخطيب.

في العاشر من حزيران تبدأ الثورة بتغطية انفجار العلاقة المتوترة بين النظام الأردني والفدائيين الفلسطينيين. في هذا العدد أخذت الثورة مانشيتها من تصريح لوزير الإعلام "حمود القباني" ومن هذه المانشيتات:

نرفض ولا نقبل أن تقتل فصائل المجابهة العربية.

الطلب الملح والعاجل.. وقف القتال دون إبطاء وتوفير قدراتنا لمواجهة العدو.

في العدد التالي تصعَّدت اللهجة التي نقلت فيها "الثورة" وعرضت الموقف والمانشيتات كالتالي:

القطر العربي السوري يحذّر

سنكون مع الفداء ومع المقاومة الفلسطينية مهما كلف ذلك من تضحيات وجهود

لن نتهاون أبداً مع من تمتد يده لحركة المقاومة الفلسطينية لإضعافها أو لتصفيتها

استمرار قصف مواقع الفدائيين ومخيمات الفلسطينيين بأوامر بعض العناصر الحاقدة ممن يساهمون في تحمل مسؤولية السلطة في الأردن.

اللجنة المركزية لحركة المقاومة تطالب بطرد الشريف ناصر والشريف زيد ومحمد رسول الكيلاني لمسؤوليتهم في إثارة الاضطرابات وارتباطهم بالمخابرات المركزية الأميركية.

عدد ١٢ حزيران.. الموقف مرة أخرى في مانشيتات الثورة:

الصاعقة: مؤامرة قوى الثورة المضادة في الأردن تستهدف تصفية حركة المقاومة المسلحة تمهيداً لإنفاذ مشروعات التسوية المشبوهة

إجراءات التصفية الجسدية لرجال المقاومة هي المقدمات التي تستهدف ضرب إحدى فصائل المجابهة العربية لتنفيذ المؤامرة الكبيرة

في رسالة هامة للدكتور الأتاسي من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية:

التفاصيل الكاملة للأحداث الدامية في الأردن

الموقف بدأ باستفزازات من جانب مجموعات خاصة تتبع للسلطة وتحوّل إلى اشتباكات سقط نتيجتها عشرات القتلى

القوى العميلة داخل قيادة الجيش والخاضعة مباشرة لقيادة الشريف ناصر مصرة على جرّ البلد إلى مذبحة دامية

لن نلقي السلاح حتى التحرير الكامل مهما تعاظمت محاولات التصفية والإفناء

اللجنة المركزية لحركة المقاومة تكشف عن المخطط الذي تنفذه الإمبريالية الأميركية والصهيونية بالتضامن مع العناصر العميلة بالأردن لتصفية حركة المقاومة

في عدد ١٦ حزيران يوسع محمد عمران من فضاء صفحة القصة القصيرة التي يشرف عليها لتشمل المسرح بشكل ما.. والظاهر أن هذا التوسع كان لاستيعاب مقال نقدي مطول لسامي عطفة عن مسرحية "حفلة سمر من أجل ٥ حزيران" لسعد الله ونوس.. بالمناسبة لم تكن المسرحية قد قدمت بعد على الخشبة، ورغم أن المقال يزيد على حجم الصفحة فقد أخذت له بقية لتستوعب الصفحة قصة قصيرة ليوسف مقدسي بعنوان شرح في الدائرة..

في عدد الخميس ٦/١٨ زاوية معاً على الطريق لمحمد الماغوط بعنوان الطابق الرابع.. ننقلها هنا كاملة:

الطابق الرابع

هل ثمة مفاضلة بين أعظم مفكر أو شاعر أوموسيقي وبين وطنه؟ أو هل يجوز مجرد التفكير بشرعية المقارنة بين أي من هؤلاء (مهما كان وسيماً جذاب المحيا) وبين أي مرج أو سهل أو حتى.. مستنقع على خريطة الوطن؟

المواطن البسيط العادي حامل المطرقة أو المعول أو وصفة الدواء (وهو موضوع رئيسي لكل النظريات والقصائد والسيمفونيات عبر التاريخ) لا يستغرب هذه المقارنة أو تلك المفاضلة فحسب، بل يرفض مجرد البحث في هذا الموضوع، بينما هناك أدباء ومفكرون وموسيقيون لا يجيزون مثل تلك المقارنة، ويحللون مثل تلك المفاضلة فحسب، بل لا يجدون أية غضاضة في نشر صورهم في الكتب الجغرافية بدل خريطة الوطن، وفي نشر سير حياتهم الشخصية والعاطفية والمادية في كتب التاريخ بدلاً عن سيرة الوطن!! وكأن شخصياتهم في هذا الزمن قصور وقاعات ومرايا.. والوطن مجرد قن أو مطبخ في الزوايا!!

مثلاً: شاعر عربي كبير في السن والموهبة، كانت دموع الفقراء بمثابة نقط الفوسفور التي جعلت شعره يتألق في ظلمات البؤس العربي في بداية الخمسينيات، وكرسته كشاعر طليعي ممتاز هاجسه الأول تقصي عذابات الفقراء والمضطهدين، أبحر عن وطنه قبل سنوات وسط هالة دعائية صاخبة تبرر هذه الهجرة الوطنية على أساس أن مياه البؤس الإقليمية أضيق من موهبته كملاح طليعي، وأنه من الجريمة بمكان حرمانه من رحلة طويلة في أعماق الظلم البشري، يعود إلينا بعدها وهو محمل بكنوز من العبر والتجارب!

في يوم من الأيام رسا هذا الفلاح الأمي في أحد موانئ دمشق الفندقية حيث التقيته وبي شغف جمركي لمعرفة ما تحمله سفينته الشعرية من كنوز ولآلئ بعد إبحار طويل مبارك دام عقدين من لزمن. ولكن بعد حديث خاطف انتهى قبل أن تنتهي كؤوس الشاي التي نحتسيها تبين لي أن تلك السفينة العائدة لا تحمل في قاعها وبين جوانبها إلا الشقوق والصدوع.. وحقائب الألبسة المفصلة على أحدث طراز، مما اضطرني إلى التخفيف من اندفاعي الفج نحو قلعته الشعرية المتداعية الأسوار، إذ وجدت الجواب على كل ما كان يعتمل في صدري من أسئلة حول الشعر والشعراء والخلق والإبداع منقوشاً في ملامحه المتعبة ونظراته الشاردة نحو الأفق البعيد.. أفق بلده! إذن فقد تعب الملاح القديم ويريد العودة إلى شواطئه القديمة، وهنا سألته على الفور: أستاذ لماذا لا تعود إلى بلدك مادمت مشتاقاً إليه كل هذا الشوق؟.. فانتفض مستفظعاً هذا السؤال وكأنه طالب جامعي طلب إليه العودة إلى روضة الأطفال. وبعد سؤال من هنا، وجواب من هناك اتضح لي أن المشكلة التي تقف حائلاً بينه وبين العودة هي أنه وعائلته قد ألفوا العيش في الخارج على مستوى معين من المآكل والملابس والحفلات ويخشى أن عاد إلى بلده أن يهبط منسوب هذا المستوى أو يتدنى. وعند ذلك ودعته واتجهت مسرعاً إلى "المصعد" حيث هبطت ثلاثة طوابق عن مستواه.. إلى الأرصفة إلى الشوارع، وبرغبة ملحة في ابتلاع مغناطيس يلتقط من ذاكرتي كل ما حفظته لهذا الشاعر من قصائد يتغنى فيها بالفقراء والمعوزين.

في عدد ٢١ حزيران تظهر صفحة باسم سياسة دولية وفيها مقال رئيسي للدكتور أديب خضور بعنوان:

لماذا نجح المحافظون في الانتخابات البريطانية

وتتكرر الصفحة في الأسبوع التالي، اليوم نفسه "الأحد" مما يعني أننا أمام صفحة أسبوعية.. المقال الرئيسي فيها أيضاً لأديب خضور.

ينتصف عام ١٩٧٠.. لا إشارة في عدد ٧/١ إلى الذكرى السابعة على صدور "الثورة".

تتميز هذه المرحلة، بتعدد الصفحات المتخصصة، ومعظمها أسبوعية.. وتتعرض لنقاط ومواضيع هامة وحيوية قيد التداول في الحياة السورية الاجتماعية الاقتصادية منها:

- صفحة علمية أسبوعية على الثالثة.
- صفحة الفكر "الثالثة" صباح كل خميس يشرف عليها الدكتور طيب تيزيني.
- صفحة الاقتصاد "الثالثة" صباح كل سبت يشرف عليها جميل الجندي.
- صفحة أدب كل سبت "السادسة" يشرف عليها محمد عمران.
- صفحة فن كل أحد "السادسة" يشرف عليها عبد الله السيد.
- صفحة السياسة الدولية "الثالثة" أيضاً كل أحد يشرف عليها أديب خضور
- صفحة سياسة بعنوان "بؤرة ضوء" على الثالثة كل ثلاثاء، لا يتضح المشرف عليها.

في هذه الصفحات ما هو جديد.. ومنها ما هو قديم.. ومنها ما تغير موعدها أو رقم صفحة النشر أو اسمها أو المشرف عليها.. أو النوع الصحفي المعتمد فيها وأسماء كتابها وزواياها أيضاً.. ويلاحظ تنقل عمل المحررين من صفحة إلى أخرى ومن نوع صحفي إلى آخر.. مع أنه كان هناك زملاء ينادون بالتخصص النسبي للصحفي.. في النوع أو في الاهتمام.. مثلاً: اهتم الزميل هاني الحاج خلال تلك الفترة بالشأن الإفريقي حتى شكل مرجعاً لزملائه في كل ما يتعلق بالقارة السوداء.

استقطبت الصحيفة في تلك الفترة كتاب كثر وكانت تصدر بـــ /١٢/ صفحة كل سبت.. وأدى ذلك إلى توسع في الصفحات المتخصصة وتجمع الكثير منها في هذا العدد.

ويكفي للإشارة إلى تعدد الكتّاب الذين استقطبتهم الصحيفة في تلك الفترة أن نذكر أسماء من نشر في زاوية "معاً على الطريق" على الصفحة الأخيرة خلال الشهر السابع من عام ١٩٧٠ وبينهم:

زكريا تامر.. محمد الماغوط.. علي الجندي.. محي الدين صبحي.. سعد صائب.. عبد العزيز هلال.. مسرة شاكر.. صالح درويش.. نزار عادلة.. ممدوح فاخوري.. حسين جمعة.. عبد الكريم عيسى العلي.. بندر عبد الحميد.. بديع بغدادي..

إضافة إلى كتاب الجريدة: نصر الدين البحرة.. يوسف مقدسي.. منيف حسون..الخ.

في عدد الخميس ٧/٢ مرة أخرى نرى اختلاط الفكري بالاقتصادي والإداري في صفحة الفكر بإشراف الدكتور طيب تيزيني.. إذ إن المادة الرئيسية كانت حول الإصلاح المرحلي للجهاز المصرفي للدكتور محمد طعمة، علماً أن هناك صفحة اقتصادية متخصصة بإشراف جميل الجندي.

في عدد ٧/٣ يطل اسم حسان أبو غنيمة.. ناقد سينمائي أردني نشط في دمشق لبضع سنوات من خلال النادي السينمائي ومن خلال كتاباته في الثورة.. ومقاله في هذا العدد بعنوان "هوليوود.. وسينما الزيف والخداع ومحاولة للكشف عن الحقيقة". وفي هذا العدد يكتب مظفر النواب لأول مرة زاوية "معاً على طريق" تحت عنوان: "البذور لا يمكنها أن تنمو على الرصيف".

في عدد الثلاثاء ٧/٧ تظهر صفحة مجهولة المعد بعنوان بؤرة ضوء "يوم في الأسبوع السياسي".

على الصفحة السادسة من عدد ٧/١١ تظهر مسرحية "مهرجو الخليفة" لزهير بغدادي، ولا يعرف إن كانت تنشر في إطار المنوعات التي تحتل السادسة عندما تكون أو صفحة القصة القصيرة الأسبوعية التي يشرف عليها محمد عمران وقد أفرد بساطها باتجاه المسرح أيضاً.

في عدد ١٦ و٧/١٧ نجد التحقيقات المحلية على الصفحة الثالثة، في حين لم تعد إلى الظهور صفحة التحقيقات الأسبوعية التي يفترض أن تكون على الرابعة.

يوم السبت ٧/١٨ على الصفحة الخامسة صفحة الفكر للدكتور تيزيني والمقال الرئيسي لابراهيم البسيوني وبهذا يكون موعدها تغير من الخميس إلى السبت والحقيقة أنها لم تظهر في الخميس السابق ويبدو ذلك في إطار التحشيد لعدد السبت الذي أصبح عدد /١٢/ صفحة.

في العدد صفحتا أدب بكلمة افتتاحية لمحمد عمران بعنوان: **هذه الكلمة لنا**.. ويتحدث فيها عن النقد.. وفي المادة الرئيسية للصفحتين مقال نقدي لديوان علي كنعان "أنهار من زبد" بقلم علي الجندي. وفي الصفحتين قصائد لنزيه أبو عفش "من مفكرة النخيل والزعتر" ومروان خاطر وأحمد خنسا وحامد بدرخان.. ومقال لأحمد سليمان الأحمد وقصائد لنزار عادلة وفاروق مرعشلي.

كذا صفحة الاقتصاد نقلت إلى عدد السبت ١٢ صفحة.

ويظهر اسم "زكريا تامر" في الصفحة الأخيرة زاوية "معاً على الطريق".

بظهور عدد أسبوعي ١٢ صفحة ونقل عدد من الصفحات المتخصصة إليه تزدهر صفحة منوعات "السادسة".. وتنشر الثالثة مواد مختلفة بين يوم ويوم. بالنسبة للصفحة الأولى باستمرار مانشيتاتها ومعظم قطعها عن الصدام مع العدو على جبهتي القتال والجولان والعمل الفدائي.

على الصفحتين الثانية والثالثة من عدد ٧/٢٦ هناك عرض مطول لرسالة دكتوراه بصورة كتاب للدكتور عبد الله حنا بعنوان:

الدولة العربية الوطنية السورية ١٩١٨ – ١٩٢٠

عوامل قيامها وانهيارها

تغيب عن هذا العدد صفحة السياسة الدولية للدكتور أديب خضور.

في عدد الثلاثاء ٧/٢٨ تُظهر الصفحة الأولى تفاقم الخلاف حول مقترحات روجرز التي كان بدأ الرئيس عبد الناصر بالتعامل معها.. في حين جاء مانشيت الثورة على لسان محمد رباح الطويل – عضو المكتب السياسي لحزب البعث العربي الاشتراكي –وزير الداخلية في بيروت:

موقفنا من مقترحات روجرز هو الرفض التام

والافتتاحية خالية من التوقيع بعنوان:

قرار مجلس الأمن.. أو مشروع التصفية..

وجاء فيها:

عندما بدأ غونار يارينغ، المبعوث الخاص للأمم المتحدة، يفتتح نشاطه الديبلوماسي، لتنفيذ قرار مجلس الأمن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني، ويجول متنقلاً بين العواصم المختلفة، حاملاً معه في حقيبته "مسودات" لا تنتهي من التفسيرات المتعددة له، والمفصلة وفق كافة الاحتمالات التي يمكن أن يتوقعها... كان الوطن العربي، على الرغم مما سببته وقائع حزيران، مشحوناً بالمرارة من موقف هذه الهيئة الدولية التي جاء قرارها، مكملاً لما يستهدفه العدوان الصهيوني، ومكرساً الوافقة على نتائجه، بصيغة لم يكن (ينقصها)، أن توضح لنا نحن العرب، بأن هذا القرار ليس الغرض منه إلا تصفية القضية الفلسطينية، مسجلاً سابقة خطيرة، في جعل العدوان، شريعة دولية مقبولة ومؤيدة من جهة، ومؤكداً من الجهة الأخرى للشعب العربي، حقيقة لم يشك فيها يوماً، وإن كان قد أضاف إليها استنتاجاً جديداً لهذا القرار، هو أن موقع وطنه الكبير وثرواته، وأهدافه

القومية في وحدة المصير، والتناقض المحتوم بين ذلك وبين المصالح الإمبريالية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأميركية التي تدعم إسرائيل دون حدود، لا تدع له خياراً في استخدام "قوته" في الكفاح دون حدود لأنها طريق أهدافه من ناحية، وطريقة الرد الناجحة على كل عدوانه غير مكترث بقرارات مجلس الأمن التي يذهب ما هو سليم منها إلى زوايا النسيان والإهمال والاستهتار، ويصبح ما هو صادر عن مكائد إمبريالية موضع للضغط والمناورة والتهديد من ناحية أخرى.

ونحن إذ نذكر ـــن القطر العربي السوري قد رفض رفضاً قاطعاً قرار مجلس الأمن هذا واستقبال مبعوث الأمم المتحدة يارينغ، فإننا لا نذكر بذلك، بقدر ما نؤكد اليوم أن الموقف الذي اتخذه هذا القطر، كان منبثقاً من إرادة الجماهير العربية، كان مرتبطاً بطبيعة نظرة الثورة إلى النضال العربي ضد الصهيونية والإمبريالية، ومستنداً إلى تحليل علمي لواقع الصراع الثوري الكبير الذي تعيشه أمتنا العربية ضد العوامل والقوى المعادية التي تقف في وجه مسيرتها نحو تحقيق أهدافها القومية التحررية. وقد عبر عن ذلك أدق تعبير الرفيق الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي في قوله "إن شعبنا مازال في وسط المعركة فالأيام تمضي وتتوالى الدلائل معها على أن العدو الصهيوني مدعوماً بقوى الاستعمار العالمي يريد أن يفرض الحلول التي يريدها على العرب فقد استطاعت الولايات المتحدة الأميركية أن تمارس ضغطاً هائلاً على منظمة الأمم المتحدة، وتمنعها حتى من شجب الغزو الإسرائيلي للبلدان العربية وبعد مساومات متعددة ومتتابعة وافق مجلس الأمن على مشروع القرار البريطاني وطلب إلى الأمين العام للأمم المتحدة تعيين ممثل عنه لتنفيذ القرار.

كما أكد في مناسبة أخرى بقوله "إن عدوان حزيران وما ترتب عليه من نتائج جعل الأمة العربية على مفترق طرق: فإما أن تواجه العدوان بجميع إمكانياتها المادية والمعنوية، وإما أن تستكين وتتخاذل وتسلم

بشروط العدو، وبالطبع فإن المخططات الاستعمارية الصخيونية تعمل على فرض الخيار الثاني على شعبنا أي التسليم ومن أجل وضع هذه المخططات موضع التنفيذ، تعرضت الجماهير العربية لحرب نفسية لم تشهدها من قبل".

"لقد سبق لنا في عام ١٩٦٧ وانطلاقاً من معطيات تاريخنا ونضالنا إن رفضنا المشروع البريطاني الذي أقره مجلس الأمن، لأننا رأينا فيه تجاهلاً مطلقاً لحق العرب في فلسطين وتكريساً للعدوان ونتائجه ولقد أثبتت الأيام صحة نظرتنا ونحن اليوم نعلن بكل حزم وتصميم، إننا نرفض كل مشروع ينطوي على أي تنازل أو تفريط مهما صغر، بحقوق أمتنا المقدسة".

إن جميع الدلائل تشير اليوم إلى أن الكفاح ضد الصهيونية والولايات المتحدة الأميركية، أصبح يتطلب مزيداً من اليقظة والحذر. والاعتماد على قوة الشعب العربي، وعلى تجسيد استراتيجية ثورية كفيلة برفع فعاليات الجماهير إلى مستوى أعلى من التعبئة والحشد... والقوة.. والاستمرار في خوض معركة الصمود والكفاح مهما طال أمدها ومهما كانت شاقة.لأن قضية أمتنا لا طريق لها إلا طريق الكفاح الثابت العنيد.

في هذا العدد يعود نصر شمالي إلى الثورة كاتباً بمقال على صفحة كاملة.. وبرقم "١" ما يعني أنها سلسلة بعنوان:

"العالم البائس"

في عدد الخميس ٧/٣٠ نجد صفحة السياسة الدولية، ما يعني تغير موعدها من الأحد إلى الخميس.. وقد غاب عنها اسم الدكتور أديب خضور واحتوت على خمس مواد صحفية عن "لاوس".

في مطلع شهر آب تنشر الثورة في صدر صفحتها الأولى ما وصف في حينه بـــ "تصريح صادر عن الاجتماع المشترك للقيادتين القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي.."

وكانت المانشيتات المستخرجة من التصريح كالتالي:

تأكيد رفض الحزب والثورة لقرار مجلس الأمن وكل ما ينص عليه

رفض قاطع لمشروع روجرز الذي يحاول فرض الاستسلام على الأمة العربية

الكفاح المسلح هو الطريق الذي أثبتته تجارب الشعوب والثورات المعاصرة للانتصار على الإمبريالين

الدور الطليعي الذي تمثله حركة المقاومة الفلسطينية جزء لا يتجزأ من حركة التحرر والثورة العربية

لا تساهل ولا تردد في اتخاذ المواقف الحازمة ضد أي جهة أو طرف يحاول منع الثورة الفلسطسنسة من تأدية مهامها النضالية

أما التصريح فهذا نصه الكامل كما نشرته الثورة:

صدر عن الاجتماع المشترك للقيادتين القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي التصريح التالي:

إن الاجتماع المشترك للقيادتين القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي وهو يتابع بدقة واهتمام بالغين التطورات الأخيرة للقضية الفلسطينية وما يرافقها من مخططات ومواقف يؤكد مجدداً رفض الحزب والثورة في القطر العربي السوري لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ وبالتالي كل ما يبنى عليه ويخص رفضه القاطع لمشروع وزير خارجية الولايات المتحدة الأميركية روجرز الذي يحاول فرض الاستسلام على الأمة العربية ويؤكد أن الكفاح المسلح هو الطريق الذي أثبتته تجارب الشعوب والثورات المعاصرة للانتصار على الإمبرياليين.

إن الحزب والثورة يؤكدان بإصرار ووضوح على الدور الطليعي الذي تمثله حركة المقاومة الفلسطينية هو جزء لا يتجزأ من حركة التحرر والثورة العربية وهما لن يتساهلا أو يترددا في اتخاذ المواقف الحازمة ضد

أي جهة أو ظرف يحاول منع الثورة الفلسطينية من تأدية مهامها النضالية في معركة تحرير أرضها من العدوان والاستعمار الإمبريالي الصهيوني.

إن الاجتماع المشترك في هذه الظروف الصعبة المعقدة يتوجه إلى جماهير الأمة العربية وطلائعها الثورية وقواها التقدمية من أجل المزيد من التماسك والتراص لتعزيز الصمود والمفاح ضد محاولات تطويق حركة الثورة العربية وتصفية الثورة الفلسطينية.

تنشر الصحيفة خبراً صغيراً على صفحتها الأولى تحت عنوان:

إسرائيل تقبل مشروع روجرز.

الخبر:

"في نبأ لوكالة رويترز أعلن في تل أبيب أن إسرائيل قبلت ما يسمى بالمبادرة الأميركية بشأن الشرق الأوسط وذلك في بيان أصدرته وزارة الخارجية الإسرائيلية عقب اجتماع عقدته أمس واستمر ساعتين."

وجاءت الافتتاحية التي لم تتسع لها المساحة المخصصة لها حول الموضوع ذاته.

في هذا العدد يظهر اسم على الجندي مشرفاً على صفحتي الأدب "العدد ١٢ صفحة" وأول ما فعله الاستغناء عن الشعار الذي رافق الصفحة طول فترة إشراف محمد عمران وهي لشاعر فيتنامي يقول: "دون أدب كما دون سلاح لا يستطيع شعب أن يقاتل". يسجل علي الجندي أيضاً كلمة افتتاحية للصفحة يدعو فيها الكتاب والأدباء والفنانين إلى المساهمة.

في الصفحتين.. نقد لديوان عز الدين المناصرة "يا عنب الخليل" ونقد آخر لرواية "الأبتر" لممدوح عدوان بقلم نزيه أبو عفش.. وفيه قصة قصيرة لزكريا تامر بعنوان "الليل"، قدم لها محمد الماغوط على النحو التالي:

كلنا نعرف أن الأبطال في قصص زكريا تامر، ليسوا في الحقيقة إلا شرذمة من البائسين العراة على شاطئ هذا الشرق، كلما ألقى أحدهم

بسنارته في أمواج الحب أو الخبز، أو الحرية أو التاريخ، خرج له على طرفها.. شرطي شهر مسدسه، لكن في هذه القصة التي عهد إلى علي الجندي بتقديمها لم أكن خائفاً على البطل من الوقوع في قبضة الشرطة بل على زكريا نفسه من الوقوع في كمين خطر ومعاد لكل تاريخه القصصي وهو الواقعية الكستهلكة، ولو لم يكن بمهارة الدوري في هذا المجال لكنا الآن في القفص. ولكنه نجا.. وبنجاته يبرهن على أنه قادر حتى على بيع الثلج للإسكيمو، في ميدان القصة القصيرة. فبطل "الليل" نموذج عادي جداً قرأنا وسمعنا عنه وعن أمثاله الشيء الكثير (إنسان فقير سرق ليعيش) لكن، من بين أصابع زكريا تامر يخرج وكأنه أوبرا في ضرباتها الهادرة الأبدية. لقد ألغى الكاتب امتياز التشويق وترك البطل لاهثاً موزعاً.. بين الرغيف والجنس والحرية كديك جريح متوحش أمام مرآة. وعندما يغمض عينيه ليعيش ماضيه، يكون مستقبله قد أخذ ينزف قطرة قطرة.. حتى تأتي الشرطة بضماداتها المعروفة.

الذي يمس شغاف القلب في هذه القصة الهادئة.. كعنوانها أن القارئ يجد مبرراً لسلوك الجميع لكلنه عاجز عن تقديم العون لأحد.

على الصفحة الأولى في عدد الثلاثاء ٨/٤ هناك صورة للأتاسي مستقبلاً ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية.. وفي زاوية الصفحة السفلى اليسرى نشرت الصحيفة رسالة الرئيس جمال عبد الناصر إلى الرئيس العراقي أحمد حسن البكر رداً على رسالة هذا الأخير إليه. كانت تلك الفترة فترة ارتباك حقيقي في الحياة السياسية العربية.. وسورية تحاول تجميع القوى الممكنة لرفض مبادرة روجرز تبعاً لرفضها القرار ٢٤٢ من أصله في حين كان الرئيس عبد الناصر يتعامل معها، ورسالته الجوابية للبكر تشير بوضوح إلى ذلك:

وقال الرئيس في رسالته:

١ - إن ما يسمى بالمبادرة الأميركية جاءت – كما تذكرون سيادتكم – قبل مؤتمر طرابلس يومي ٢١ و٢٢ حزيران ١٩٧٠ ولم يجيء نتيجة لهذا المؤتمر وما أسفر عنه كما تشيرون في رسالتكم.

٢ - إن التحرك الذي تمثله هذه المبادرة جاء بسبب ما أشرت إليه سابقاً من عوامل سياسية وعسكرية ودولية خلقت أوضاعاً جديدةً في الأزمة وكان رأينا أنه من المناسب استغلالها لتوجيه أكبر قدر ممكن من الضغط المركز على العدو.

وإذا كنا في طرابلس لم نتشاور مع سيادتكم في هذا الأمر فإن هدفنا كان إخفاء تحركنا إلى آخر لحظة لكي يستطيع أن يحدث ما توقعنا له أن يحدثه من خلل في توازن موقف العدو وذلك حدث بالفعل وتستطيعون الحكم عليه بنظرة نحو ما يجري الآن في إسرائيل.

٣ - إن ما تحدثنا فيه خلال اجتماعنا في طرابلس كان بالغ الأهمية ولكن التجارب علمتنا أن العبرة ليست بما يقال في المحافل ولكن العبرة بما يجري على الواقع وحين تلوح أمامنا فرصة للتحرك فإننا لا نملك حق التغاضي عنها خصوصاً وأن هناك أجزاء كبيرة من الأرض العربية تتعرض لمهانة الاحتلال كما أن مئات الألوف من أبناء أمتنا العربية يرغمون على العيش تحت وطأته وكذلك فإن هناك عشرات الشهداء الأبطال يسقطون في صفوفنا كل يوم.

وإذا كان في إمكاننا تخليص القدس العربية وغزة والضفة الغربية والمرتفعات السورية وسيناء من المحنة الرهيبة التي تعيش فيها الآن فلست أدري لماذا لا نتحرك.

أضيف إلى ذلك وأضغط على ما أقوله لألفت نظر سيادتكم إليه أن أي تحرك قمنا به لا يتعارض إطلاقاً مع أي أهداف وضعناها للبحث في طرابلس أو في غير طرابلس إذا ما توفرت لذلك القوة المناسبة والإخلاص الضروري وحجم التضحيات المطلوبة.

إن الشعب المصري لم يمارس ترف النضال من خلف منابر الخطابة أو من دهاليز المناورات السياسية وإنما مارس دوره في وضح النهار وتحت النور وفي ميادين الخطر بكل أعبائه ومشاقه المادية والمعنوية وكان الشعب المصري –وسوف يكون –طليعة قوة التحرير.

٤ - لقد أوضحت دائماً وبما فيه الكفاية موقفنا القومي والتزامنا المبدئي ولست أرى أننا نستطيع أن نبني مستقبل الأمة وأن نصون حرية هذه الأمة بالكلمات ولم يكن باستطاعتي أن أترك فرصة للتحرك تلوح أمامنا انتظاراً لأفكار لم تتبلور بعد ولم تتحدد وسائل تنفيذها ولم يقم دليل على أن القائلين بها على استعداد لتدعيم ما يقولون بالتنفيذ العملي لالتزاماتهم.

٥ - إن الشهب المصري قد يكون أكثر شعوب الأمة العربية خبرة بأساليب الاستعمار الأميركي ولقد تصدينا لهذا الاستعمار منذ أول يوم وكانت علينا مسؤولية مواجهة مخططاته وأكسب ذلك شعبنا ذخيرة من الخبرة لا تعوض وقد كنا ندرك أن الاستعمار الأميركي يسعى إلى إحداث انقسام في الأمة العربية وكان تصورنا وربما طموحنا أن كل الأطراف العربية سوف تتسلح بقدرٍ كافٍ من الوعي يحقق لها إحباط سعي الاستعمار الأميركي.

٦ - لقد دهشت إلى حد كبير من المسيرة التي نظمتها السلطات العراقية سواء كانت رسمية أوحزبية ضد الجمهورية العربية المتحدة وأنا أقول ذلك صراحةً لأنني تعودت أن لا أداري أو أدور من حول الأشياء.

إننا "سيادتكم وأنا" نعرف من حقائق الحياة ما يسمح لنا بأن نتجاوز ظواهر الأشياء إلى دخائلها ولم يكن لهذه المسيرة أن تتم بالطريقة التي تمت بها ولا بالإعلان الواسع الذي جرى عنها لو لم يكن ذلك موقفاً رسمياً وحزبياً.

٧ - ولقد كنت أتمنى لو أن الجهد الذي بذل لتنظيم هذه المسيرة والإعلان عنها وجه إلى ما هو أجدى منها وكان الأجدى منها توجيه طائرة تقصف موقعاً للعدو أو تعزيز فاعلية الجيش العراقي على الجبهة الشرقية ضده.

ولست أخفي على سيادتكم أنني أحياناً أتساءل لماذا لم تتلق قواتكم على الجبهة في أي وقت من الأوقات أمراً بالاشتباك مع العدو... لماذا لم تقم طائرة من طائراتكم بالإغارة على مواقعه.

لماذا لا يوجه العدو اشتباكاته نحو قواتكم ولماذا لا يوجه طائراته نحوها. إن تركيز العدو كله على الجبهة المصرية والنار ضد العدو كلها من الجبهة المصرية وذلك شرف نعتز به ونعتبره شهادة لنا عن إدراك عميق بأنه ليس بالشعارات وحدها تدور الحرب وتتم معارك التحرير.

نشر الثورة لرسالة عبد الناصر استهدف توضيح موقفه والعربية المتحدة بغرض الإدانة وليس التبرير.

أما الموقف السوري فلعل افتتاحية العدد الصادر في ١٩٧٠/٨/٧ تظهره بشكل جيد.

من قرار مجلس الأمن

إلى الرد الإسرائيلي

عالج قرار مجلس الأمن المسألة الفلسطينية، وكأنها بدأت يوم الخامس من حزيران ١٩٦٧، ولولا تلميحه الغامض السريع إلى (تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين)، لأمكن الجزم أنه تعمد طمس أساس المشكلة وتاريخها، وحتى قراراته هو، وقرارات الجمعية العامةوهيئاتها المتعلقة بها. فقد كان المحور العام لقرار مجلس الأمن حل مشكلة "إسرائيل" وليس حل المسألة الفلسطينية، ورغم ذلك بقي تنفيذه يدور من يد هيئة سياسية إلى يد هيئة أخرى، حتى كان مشروع روجرز. وبين ما تضمنه قرار مجلس الأمن، وما تضمنه الرد الإسرائيلي، فوارق ليست قليلة الأهمية، وربما يسلط ضوء على النوايا الإسرائيلية والأميركية الواضحة.

لقد أكد الرد الإسرائيلي على نقطتين، أبرزهما بشكل واضح، ووسع شرحهما، مما جعلهما يختلفان عن أي قرار سابق حولهما، ويختلفان حتى عن مشروع روجرز. النقطة الأولى هي المحادثات التي ستعقد تحت إشراف يارينغ. لقد تضمن قرار مجلس الأمن الدولي النص التالي عن مهمة يارينغ (ثالثاً: يطلب من السكرتير العام تعيين ممثل خاص للذهاب إلى الشرق الأوسط، كي يقيم ويجري اتصالات مع الدول المعنية بغية إيجاد اتفاق، ومساعدة الجهود لتحقيق تسوية سليمة ومقبولة، وفقاً للنصوص والمبادئ الواردة في مشروع القرار هذا) ويلاحظ أن مجلس الأمن لم يشر أن هذه الاتصالات هي محادثات غير مباشرة تتم في مكان واحد، سواء كان دولة أو مدينة أو حي أو بناء، ومن الصعب تفسير الاتصالات على أنها محادثات مباشرة.

وجاء مشروع روجرز ليحدد هذه الاتصالات بأن الدول المعنية (سوف تعين ممثلين لها في المناقشات التي تعقد تحت إشرافي – إشراف يارينغ – طبقاً للإجراءات والمكان والزمان الذي قد أوصي به..)، فكان مشروع روجرز خطوة أخرى اقتربت من الموقف "الإسرائيلي".

وكان الرد "الإسرائيلي" خطوة جديدة أخرى نحو تفسير هذه النقطة تفسيراً مناسباً "لإسرائيل" فقد تبنى صيغ مشروع روجرز حول المحادثات وأضاف الرد الإسرائيلي عليها بأن المحادثات المعنية جاءت (بغية تحقيق اتفاق سلام متفق عليه وتعاقدي ملزم للجانبين..) وهكذا تحولت الاتصالات التي سيجريها يارينغ مع الدول المعنية كما في قرار مجلس الأمن إلى محادثات غير مباشرة بإشراف يارينغ، كما جاء في مشروع روجرز، وإلى محلدثات غير مباشرة بإشراف يارينغ تهدف إلى تحقيق اتفاق تعاقدي، وشتان ما بين مضمون القرار الأصلي، وما بين مضمون الرد الإسرائيلي.

أما النقطة الثانية، فهي وقف إطلاق النار: أقر مجلس الأمن وقف إطلاق النار بعد انتهاء العدوان مباشرةً، ثم لم يعد هذا القرار نافذاً وكان

القرار الأصلي متعلقاً بظروف معينة، ولم يكن من صالح "إسرائيل" ربط القرار الأصلي بأية شروط، ولذلك لم يتضمن قرار وقف إطلاق النار بعيد الحرب أي شرط.

وبعد تنامي القدرات العربية، وبعد أن أصبح وقف إطلاق النار يهم "إسرائيل" جاء مشروع روجرز ليتمسك بهذا القرار مجدداً، ويطالب بالعودة إلى (وقف إطلاق النار ولو لفترة محددة)، وجاء الرد "الإسرائيلي" ليبرز هذه المسألة، وليضيف إلى مشروع روجرز عبارة (على أساس الإيضاحات التي قدمتها حكومة الولايات المتحدة في هذا الصدد).

وهكذا يتحول قار وقف إطلاق النار الذي أقره مجلس الأمن بلا شروط، إلى قرار مشروط بتنفيذ تعهدات الولايات المتحدة، التي كانت ترفض أثناء العدوان، ربط قرار وقف إطلاق النار بشرط آخر.

وهناك نقطة ثالثة لم يبرزها الرد الإسرائيلي، ولكنه ذكرها بوضوح وهي أن كل فريق سيكون (مسؤولاً ضمن حدوده عن منع جميع الأعمال العدائية من قبل القوات المسلحة النظامية أو شبه العسكرية، بما في ذلك القوات غير النظامية..) وباستثناء الشق الأول من هذا الشرط، لم يرد في قرار مجلس الأمن ما يشير إلى بقية النقاط، ولم يتعرض مشروع روجرز إلى هذه النقطة، وإنما هي شرط جديد تضيفه الحكومة الإسرائيلية إلى مطالبها. وهكذا استطاعت السياسة الأميركية و"الإسرائيلية" أن تضيف تفسيرات لقرار مجلس الأمن، لم تكن موجودة فيه، وأن تؤكد نقاطاً تخدم مصالحها، لم يتعرض لها قرار مجلس الأمن.

ولعل هذه الإضافات هي التي جعلت العدو الصهيوني يقبل قرار وقف إطلاق النار بالإجماع رغم ما أحيط به "القبول" من مظاهر إعلامية..

ولعل هذه الإضافات هي التي جعلت غولدا مائير أيضاً تقول فيما يسمى "بالكنيست" (إن الحكومة الإسرائيلية بقبولها إجراء محادثات بإشراف يارينغ، لا تتخلى عن موقفها الأساسي القاضي بالوصول إلى المفاوضات المباشرة مع الدول العربية).

إن الاتفاقيات الخلفية بين إسرائيل من جهة والولايات المتحدة من جهة أخرى، هي التي تبرز اليوم وهي التي ترسم خطواتهما المشتركة المترابطة وذلك لاستعمال قرار مجلس الأمن، في تحقيق الغرض الأساسي لصدوره، وهو تطبيق التفسير "الإسرائيلي" له ومتابعة سياستها الثابتة ضد الأمة العربية.

إن قرار مجلس الأمن.. ومشروع روجرز أو ما يسمى "بالمبادرة الأميركية" والرد الصهيوني عليها، يتضح بعد التحليل، أنها حلقات في مؤامرة أميركية – صهيونية، تعبر عن سياسة ثابتة يتبعانها ضد الأمة العربية، وتستهدف كغرض أساسي تصفية القضية الفلسطينية.

في هذا العدد "١٢ صفحة" تظهر صفحة متخصصة جديدة على الصفحة الثالثة بعنوان "قضايا الوطن العربي".. يكتبها يوسف مقدسي كما نص الشريط الذي يتوج الصفحة.

في عدد ٨/١١ تشير الثورة إلى أن اللجنة المركزية لحركة المقاومة تؤكد رفض قرار مجلس الأمن ومقترحات روجرز.. وفي خبر آخر تذكر أن المتحدة أبلغت وفدها بالأمم المتحدة بضرورة الاتصال بالأمين العام "أوثانت" والسفير "غونار يارينغ" المبعوث الدولي للشرق الأوسط.. مع رؤساء الوفود لتؤكد أن موقفها وبشكل قاطع في موضوع الانسحاب أنه يجب أن يكون من جميع الأطراف العربية الممكنة.. في رد على احتجاج الخارجية الإسرائيلية "آبا إيبان" على تقرير الأمين العام أوثانت لمجلس الأمن اتهمته فيه أنه لم يعبر عن وجهة نظرها في موضوع الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة.

بالمناسبة هذه المواضيع الساخنة والمصيرية قلما تجد مقالاً سياسياً أو دراسة تحليلية تعالجها على صفحات الجريدة باستثناء قطع الصفحة الأولى الإخبارية والافتتاحيات.

وبشكل عام تمارس الثورة يومياً الهجوم على مخطط روجرز.

في هذا العدد يظهر اسم محمد عمران في زاوية "معاً على الطريق" بعد أن غاب عن صفحتي الأدب والقصة القصيرة اللتين توحدتا في عدد كل سبت /١٢/ صفحة بإشراف علي الجندي.

في عدد الخميس ٨/١٣ يعود اسم الدكتور أديب خضور للظهور على صفحة السياسة الدولية مجدداً.. ومقاله الرئيسي حول الغزو الأميركي لفيتنام.

عدد السبت ٨/١٥ تظهر صفحة "قضايا الوطن العربي" للمرة الثانية ليس بعنوان "يكتبها" يوسف مقدسي، بل "يقدمها" والمقال الرئيسي فيها لمظفر النواب بعنوان: كل هذا.. ألا يكفي لفهم مشروع روجرز.

الأحد ٨/١٦ عادت صفحة السياسة الدولية إلى الصفحة الثالثة وعلى شريطها "الترويسة" إعداد أديب خضور.

في عدد ٨/١٨ على أسفل الصفحة الأولى تعلن الصحيفة فوز سليمان فرنجية برئاسة الجمهورية اللبنانية باقتراع ثالث ضد الياس سركيس.

في عدد السبت ٨/٢٩.. تظهر صفحة فكر دون اسم الدكتور طيب تيزيني.. وفيها موضوع واحد تقريباً طويل جداً للمرحوم سليمان الخشن بعنوان "من مسائل الفكر الاشتراكي.. في العقيدة".

ورغم أن العدد ١٢ صفحة فإن صفحات الجريدة اليومية تستعيد ترقيمها السابق لتأتي الصفحات الأربع كملحق دون ترقيم وهي أربع صفحات متخصصة.. الفكر.. الاقتصاد التي غاب عنها أيضاً اسم جميل الجندي وصفحتا الأدب..

كذا صفحة السياسة الدولية فقد غاب عنها للمرة الثانية أديب خضور بعد أن استعادته لعدد واحد..

أنفاق المتاهة

وأيلول الأسود

رغم اليأس كانت تولد آمالٌ، لكن التكرار يخلق السأم.

في هذه الحقبة كانت الحرب مع إسرائيل متوقفة لكنها غير باردة.. الاشتعال شبه يومي، تتناوب عليه ثلاث قوى عربية، الجيش السوري في جبهة الجولان والجيش المصري في جبهة القنال والعمل الفدائي الفلسطيني على كل الجبهات.

لكن.. غالباً كل جبهة تعمل وحدها..

لا شك أن التنسيق بين سورية والمتحدة كان قائماً.. وكذلك لم يكن في البلدين عداءات للعمل الفدائي.. إنما هو اختلال الرؤية وخلل التقديرات.. حس الهزيمة يسيطر على كل شيء وعلى الجميع، فيدفع إيجاباً بالتنسيق والاستعداد للمعركة وسلباً بالحماس المبالغ والمضي بعيداً وراء الشعارات.

داخل سورية كان هذا الخلل موجود.. هناك من يعوِّل على الجيش والاستعداد العسكري.. وهناك من يعوِّل على "حرب التحرير الشعبية" وهذا لم يخلق خلافاً داخل القيادة السورية، بل هو في الحقيقة كان عرضاً لخلاف ليس في سورية من لا يعرف بوجوده.. وكثيرون من الشطار استغلوا ذاك الخلاف..

تبنى حزب البعث العربي الاشتراكي منظمة للعمل الفدائي "الصاعقة" وهو للأمانة والشهادة التاريخية لم يبخل بالتأييد والدعم لجميع فصائل المقاومة الفلسطينية دون تردد، لكنه أنشأ منظمة ترتبط به بشكل كامل.. وعلى هامش ذلك هناك من فاخر فكابر فقال: هذه هي البديل..؟!

بديل من ماذا..؟!

لا جواب محدد بدقة، إنما نظر إلى ما عرف بحرب التحرير الشعبية أنه بديل عن الحرب بين الجيوش النظامية.. ومرة أخرى أقول: إن تعاكس النظرتين كان قائماً في سورية، لكن ليس لدرجة أن يتخلى أحد عن طرف من المعادلة.. يعني أنصار الجيش النظامي لا يعترضون على أهمية حرب التحرير الشعبية في المعركة.. وكذا أنصار هذه الأخيرة لا يستغنون عن الجيش النظامي، إنما الحكاية بما فيها تصفية خلافات.

وسط هذه الظروف وقعت في ٢ نيسان ١٩٧٠ معركة هامة بين القوات السورية والإسرائيلية.. ذهب ضحيتها الكثير من الشهداء.. وأكد الناطق العسكري سقوط طائرتي فانتوم للعدو.. وقد تم أسر طيارين إسرائيليين واحد برتبة رائد والآخر برتبة ملازم أول.. قام بأسرهم أحد الرعيان..

هي المعركة المعروفة باسم بسام حمشو الطيار الشهيد الذي أسقط الطائرة الإسرائيلية، ولم يستشهد في هذه المعركة.. بل فيما بعد.

جلسنا مساء.. صديقي عبد الحميد وشلة من أصحابه وأنا.. وعبد الحميد هذا خطير جداً.. أحضر أعداد الثورة من ١ إلى ٢٠ نيسان.. انتبهوا ماذا أراد:

أن يظهر انحيازنا اللامنطقي كصحيفة سورية تمثل الحكومة.. تحتفل بذكرى تأسيس الحزب على مدى ثمانية أيام وعلى كامل صفحاتها.. وتحتفل بذكرى الجلاء في عدد واحد وبشكل شبه بائس. وقال:

- هناك صحيفتان "الثورة والبعث".. الأولى حكومية والثانية للحزب.. الأولى يكون اهتمامها بالجلاء.. والثانية بذكرى التأسيس.. فما بالكم - ما شاء الله – نافستم صحيفة الحزب في الاحتفال بذكرى تأسيسه ونسيتم الجلاء إلا قليلاً..

- الجلاء مناسبة تاريخية..

حاولت أن أكمل، لم أجد تعبيراً يسكت هذا "الخطير" عني.. قال:

- اسمع.. لن تجد الإجابة.. ولاسيما أنك موضوعي..

-ماذا يعني موضوعي..

- لست حزبياً.. وبالتالي لا يفرض عليك الالتزام مواقف لا تقتنع بها..

-هل ينطبق ذلك عليك..؟!

- بالتأكيد..

- كيف..

أنا إلى الآن أفسر كل شيء كما شرح أنطون سعادة..

- إذن لماذا زعلك..

- أنا أتحدث عن جريدة حكومية وليس عني وعنك..

- هي جريدة بعثية..

سكت ليس لأنني أحرجته بل لينقلني إلى ما هو أخطر.. مستعيناً علي بشلة أصدقائه.. قال:

- هذا أجمل عدد صدر من صحيفتكم..

- ما هذه الأعداد كلها..

- لا تخف هي للدفاع عنكم..

-عمّن ..

- عن جريدتكم..

- كيف..

- أنتم مورطون بالخلافات القائمة في القيادة بما يصعب مهمتكم..

وأخذ يشرح..

العدد الذي اختاره كأفضل عدد هو الذي تتصدره أخبار معركة ٢ نيسان ١٩٧٠ مع العدو الصهيوني.. وفيها الكثير من صور حطام الطائرة الإسرائيلية وفيها صورة للفريق حافظ الأسد وهو يستقبل الطيار بسام حمشو..

وفي العددين التاليين هناك وجود لافت للفريق الأسد.. مرة يكرم الراعي الذي ألقى القبض على الطيارين.. ومرة يزور التشكيل البري الذي خاض المعركة..

ويرى عبد الحميد وأصدقاؤه أن دخول معايير الخلافات ولأي طرف تتبع قامت الصحيفة بعد هذا التألق الذي عرضته للفريق الأسد بنشر أخبار انتصارات للصاعقة على أكثر من عشرة أيام.. وكلها بالمانشيت والقتلى من العدو بالعشرات..

سمعتهم حتى النهاية ثم قلت:

- أي وبعدين..

- طرف قال هذا جيشي الذي أشرف على إعداده.. وطرف قال هذه منظمتنا طريقنا إلى حرب التحرير الشعبية.

- أنا لا أنفي خلافات القيادة، وتباين المواقف.. لكنني لا أعتقد أن الأمر أكثر من مصادفة.. أخبار العمل الفدائي وبشكل خاص الصاعقة تنشر يومياً تقريباً.. وعلى الصفحة الأولى.. وبالمانشيت.. وكذا أخبار الاشتباكات المسلحة بيننا وبين العدو، سواء الجيش المصري أو الجيش السوري. وأراكم خضتم طريقاً طويلاً لإثبات ما لا يحتاج إلى إثبات..

قال عبد الحميد:

- ما يعنيني.. كيف ترسم جريدتكم موقفها؟ ومع من هي..؟!

وكـان أيلــول

بشكل عام، بدا واضحاً أن التفاهم الهش الذي كان قائماً بين الملك حسين والجيش الأردني من جهة وبين الفدائيين الفلسطينيين الذي أصبح لهم إطار سياسي تنظيمي يجمعهم هو "منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات". كان التراجع من معركة الكرامة التي خاضتها المقاومة الفلسطينية بالاشتراك مع الجيش الأردني ضد القوات الصهيونية وأظهرت إضافة إلى النصر الذي حققته، تفاهماً وتنسيقاً بين المقاومة والأردن، واضحاً ومستمراً، إلى أن بدأت الصدامات المسلحة في عام ١٩٧٠.. وبعد كل صدام هناك مشروع تفاهم ثم تقاذف اتهامات ثم عودة إلى المواجهة المسلحة.

هكذا إلى أن دخلنا شهر أيلول..

إنها الحرب دون هوادة، بين الملك حسين والجيش الأردني، وياسر عرفات والمقاومين الفلسطينيين.

الشارع العربي يغلي مطالباً بدعم الثورة الفلسطينية، دون أن يعني ذلك أنه خلف ارتفاع وتيرة الصوت المطالب بالدعم، لم يكن هناك صوت محافظ يطالب بالهدوء والتفاهم.

هكذا تشكل صوتان في الشارع:

- الأول يطالب بتحمل المسؤولية الثورية، والدعم المباشر للفدائيين.
- الثاني يسعى للهدوء ومحاولة نشر التفاهم، والعمل على الخط السياسي أيضاً.. وأفضل من يمثله كان الرئيس جمال عبد الناصر.

خلف صوت العقلانية الذي يمكن تصوره في خط الرئيس عبد الناصر، كانت أصوات خفية تخاف التمادي في دعم الثورة الفلسطينية وترفضه.. كشفت عن نفسها بعد حين لنجدها تتحدث على مساحة أكبر بكثير مما توقعناه في حينه.

سورية كانت مع خط المسؤولية الثورية، ومعها حزب البعث العربي الإشتراكي، كان قائداً في سورية والعراق لكن.. بسياستين، وفي إطار مواجهة خط اليمين العربي المحافظ الذي خفض نبراته مراعاة للشعور الشعبى العربي العام، وجدت نفسها في مواجهة الرئيس عبد الناصر.. الذي قبل العمل على خط السلام ومشروع روجرز. وجاءت أحداث الأردن لتزيد في عمق واتساع الهوة بين القيادة البعثية في دمشق والرئيس جمال عبد الناصر.

لكن للأمانة والتاريخ كان الرئيس عبد الناصر يشكل نقطة الارتكاز والعقل والحكمة للأمة العربية بين من يعاديه حتى الموت وبين من يحبه حتى العبادة وقد بلغ مرحلة الجدارة بالتأكيد.

وسط هذه الأجواء تداعى القادة العرب إلى قمة القاهرة.. في محاولة لفرض رجاحة العقل .. حضر كل العرب بمن فيهم الملك حسين وياسر عرفات اللذان وصلا قصر المؤتمرات مسلحين وكذا العقيد القذافي مما استدعى عملية نزع أسلحة قبل البدء بالحوارات.

سورية حضرت ولم تحضر.. يعني ذهب الوفد برئاسة الدكتور الأتاسي وأجرى لقاءات وأظهر المواقف، لكنه رفض حضور القمة.. وبصراحة كان يشاع في حينه – وهي إشاعة ثبت فيما بعد صحتها – أن سورية تدخلت عسكرياً في الأردن لنصرة المقاومة الفلسطينية واصطدم لواء من الجيش "اللواء ٧٠ في حينه" مع الجيش الأردني.

لا تشير صفحات الثورة أبداً إلى هذا التدخل.. فيها تهديد ووعيد وتبرير، وفيها رد على ما تصفه الصحيفة بـــ"ادعاءات أميركية" بالتدخل في

الأردن. وبالمناسبة ألقى الملك حسين خطاباً هاجم فيه القيادة السورية بشدة وتحدث عن صدام مسلح بين الجيشين..

اليوم لا أحد لا يعرف الحكاية إن أراد معرفتها، وبالتالي: أنا لا أذكرها هنا للتوثيق التاريخي أبداً وإنما لتقديم بيان عرض حال عنا نحن الصحفيين السوريين.

كانت جريدة الثورة ثاني اثنتين لا ثالث لهما "هي والبعث" ومع ذلك يذهب الجيش إلى الحرب ولا تجد على أوراقها من شارك أو غطى أو حتى علم بالأمر.

كانت تلك حالة صحفيي سورية أكثر من حالة صحيفة سورية.. ولذلك بقيت الأعمدة من ورق.

هل تغير الحال..؟! ربما..

جو الصحيفة كان ثورياً إلى حد كبير ولم يكن يغيب عنها الصوت الآخر، صوت عبد الناصر ممثلاً بزملاء في العمل، وصوت من يتغطون بحلم عبد الناصر وحكمته لينجوا بيمنيتهم، وشكواهم من العمل الفدائي، ومناصرتهم خصومه.

لم تكن القيادة أيضاً -على الأغلب- في نهج واحد موحد.. جريدة الثورة لا تذكر شيئاً عن ذلك، لكن الأيام التالية تظهره.. ورغم أن دخول اللواء ٧٠ –المفترض- إلى الأردن لا يمكن أن يتم إلا بأمر من وزير الدفاع الفريق حافظ الأسد.. إلا أن الأيام التالية تظهر أن الأسد كان أميل إلى الحكمة عبد الناصر.. وموافقته على التدخل أثر فيها – ولا بد – كونه في قيادة الحزب.

في تلك الفترة روى لي منسق عمل صحيفة الراية اللبنانية التي كانت تمثل وجهة ونظر حزب البعث العربي الاشتراكي في سورية.. وكان مدير مكتبها في دمشق.. أنه زار الفريق حافظ الأسد.. وقد رحب فيه وشكر الصحيفة لأنها تهتم بأخبار الجمهورية العربية المتحدة "مصر". بكل الأحوال،

كما أسلفت، أثبتت الأيام فيما بعد خصوصية موقف الأسد من عبد الناصر ولاسيما في بيان الحركة التصحيحية ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠.

هكذا كانت الأجواء..

هكذا كان الشارع..

هكذا كانت الأحوال..

كما ترسمه أوراق الثورة وذاكرتي، معاً مع الشارع مع الأجواء مع الأحوال.. مضينا إلى حالة قمع تاريخي قلبت كل الموازين والاحتمالات وغيرت وجه العرب..

مات الرئيس جمال عبد الناصر..

"ودعت الأمة العربية ابنها الأكبر.. القائد المناضل"

هذا كان مانشيت الثورة عشية تشييع جثمانه إلى مثواه الأخير.. تغيرت الحسابات والاعتبارات، وتهاوى كل شيء.. وخلف الدموع التي تذرف كما لم يحصل قط.. كثيراً ما تخفت خطط الخداع والخيانة ومشاعر الخوف والتحسب.

رحل عبد الناصر.. وكل الملفات العربية مفتوحة.. وفي حالة بائسة:

الوحدة العربية.. العلاقات العربية.. القضية العربية.. الحرب والسلم.. التنمية والازدهار.. وكل شيء.. كل شيء.. فإلى أين المسير..

لم يكن عبد الناصر يقود الأمة بشكل مباشر.. لكنه كان قائدها بلا منازع، حتى خصومه كانوا ينتظرون ما يريد قبل أن يقرروا أو على الأقل قبل أن يعلنوا قراراهم..

وحده كان قادراً على جمعهم..

وحين جاء الزمن مناسباً لموسم العطاء.. كان الطوفان ومضى عبد الناصر إلى لا عودة..

وخلفه أنور السادات.. وكانت الفجيعة..

اسّود أيلول..

ورحل عبد الناصر..

هكذا دخلت الصحيفة شهر أيلول ١٩٧٠ وما أدراك ما أيلول، لنبدأ بالعناوين الرئيسية "المانشيتات":

اللجنة المركزية للمقاومة الفلسطينية تكشف في بياناتها حقيقة الأحداث في الأردن

السطات الأردنية تقصف عمان ومقر اللجنة المركزية بالمدفعية الثقيلة

السلطة الأردنية والمخابرات المركزية الأميركية في خطة مشتركة لخنق الثورة الفلسطينية

الأجدر بالذين يريدون فرض الاستسلام على شعبنا بقوة السلاح أن يفرضوه على العدو المحتل

ستستمر الثورة الفلسطينية صامدة مناضلة تقاتل العدو وعملاءه حتى النصر

في اليوم التالي الخميس ٣ أيلول تنشر الصحيفة بياناً صادراً عن الاجتماع المشترك للقيادتين القومية والقطرية لحزب البعث الاشتراكي، ونأخذ منه العناوين التالية:

القوى المتآمرة على المقاومة ستضطر إلى دفع ثمن جرائمها ومؤامراتها ضد شعبنا وقواه المقاتلة

على كافة القوى التقدمية والجماهيرية العربية تحمل مسؤولياتها في حماية المقاومة ومساندتها

إمكانيات الحزب والثورة بكاملها تحت تصرف المقاومة والجماهير في الأردن

الحزب يؤكد وقوفه الحازم والصريح إلى جانب المقاومة ضد أعدائها ومشاركته لها في الكفاح

وجاء في البيان مع ملاحظة أن ما سبق وأعلن عن الاجتماع المشترك للقيادتين ونشرته الصحيفة في أول آب كان تصريحاً وليس بياناً:

إن التطورات التي انتهت إليها سلسلة الاستفزازات التي دبرت ضد حركة المقاومة في الأردن في الأسابيع الأخيرة لم تكن مفاجئة، فقد جاءت هذه التطورات منسجمة مع ما هو معروف من مخططات القوى التي ظلت تتآمر على العمل الفدائي منذ ولادته حتى اليوم، ومنسجمة مع الأجواء التي استجدت في ظل تزايد الضغوط الاستعمارية من أجل فرض التسوية الاستسلامية على أمتنا العربية.. وفي ظل هذه الأجواء بلغ التآمر على العمل الفدائي إحدى مراحله الخطيرة، وأياً كانت المبررات التي يتستر وراءها المتآمرون، فإن هذه المبررات عاجزة عن ستر نواياهم الحقيقية وإعداداتهم العملية من أجل تهيئة الجو لضرب حركة المقاومة وتصفيتها تمهيداً لوضع المشاريع التصفوية موضع التنفيذ باعتبار أن حركة المقاومة المسلحة تمثل عقبة من العقبات الرئيسية التي تحول دون تنفيذها.. وتؤكد الأحداث التي شهدتها عمان خلال الأيام القليلة الماضية أن القوى المتآمرة في الأردن ماضية في تنفيذ مؤامرة ضرب العمل الفدائي، وأن هذه القوى تريد أن تحكم قبضتها ضد حركة المقاومة وضد الحركة الوطنية في الأردن وضد الجماهير الشعبية، وهي تستخدم من أجل تحقيق هذا الغرض أشرس وأخبث الأساليب والوسائل بدءً من الدس والتفرقة بين أبناء الشعب الواحد على محاولة إيجاد تناقضات مفتعلة متعمدة توجيه رصاصها ونيران دباباتها

ضد المدنيين بقصد إرهابهم، ومستخدمة كل ما لديها من إمكانيات للتشكيك بحركة المقاومة وعزلها عن الجماهير.. وتعتقد هذه القوى أنها بوسائلها الإجرامية هذه تستطيع التمهيد لتوجيه الضربة الحاسمة التي تعدها لحركة المقاومة حين يكون الجهد المبذول من أجل اغتمام الحل التصفوي قد بلغ غايته المرسومة.

إن حزب البعث العربي الاشتراكي مدركاً لأبعاد ومرامي المؤامرة التي تستهدف حركة المقاومة وجماهيرها وكل القوى الشعبية الرافضة للضغوط الاستعمارية لا يمكن أن يقف مكتوف الأيدي إزاء هذه التحركات التآمرية والعمليات التصفوية، والحزب الذي وقف مع حركة المقاومة منذ ولادتها، والذي طرح استراتيجية حرب التحرير الشعبية والكفاح المسلح طريقاً لمجابهة الاستعمار والصهيونية، والمتحالفين معهما، واعتبر حركة المقاومة طليعة هذا الكفاح ليؤكد اليوم كما أكد في كل وقت مضى وقوفه الحازم والصريح إلى جانب حركة المقاومة في كفاحها ضد العدو الغاضب وضد المتآمرين عليها، ومشاركته لها في هذا الكفاح، وسيظل الدرع القوي الذي يحمي ويرفد حركة المقاومة ويسهم في دفع مسيرتها إلى الأمام بكل أشكال ووسائل الدعم والمساندة.

إن حركة المقاومة الفلسطينية التي تتعرض الآن لحملة إبادة وتصفية من قبل القوى المتآمرة ليست وحيدة في مواجهة الأخطار التي تتهددها، ذلك أن القضية التي تناضل من أجلها ومن أجل انتصارها هي قضية كل الجماهير العربية وقواها التقدمية، ولايمكن لهذه القوى كلها إلا أن تقف بحزم وصراحة إلى جانب حركة المقاومة تحميها وتدافع عنها وتمدها بكل أسباب النمو والاستمرار.

وإن حزب البعث العربي الاشتراكي وثورته في القطر العربي السوري إذ يتوجهان إلى كافة القوى التقدمية والجماهيرية في الوطن العربي لكي تحمل مسؤولياتها في حماية حركة المقاومة ومساندتها في كفاحها يحذران

كافة القوى المتآمرة بأنها ستضطر إلى دفع ثمن جرائمها ومؤامراتها ضد شعبنا وقواه المقاتلة، ولن يستطيع المتآمرون أن ينجحوا في إتمام مؤامرتهم..

وإن الحزب والثورة في القطر العربي السوري يعلنان أن إمكانياتهما بكاملها تحت تصرف حركة المقاومة والجماهير في الأردن لحمايتها من التآمر ولخدمة قضية الثورة والتحرير..

دمشق في ٢ -٩ -١٩٧٠

القيادتان القومية والقطرية لحزب
البعث العربي الاشتراكي

هكذا بدأت الحوادث والصدامات تتالى بين الفدائيين الفلسطينيين والجيش الأردني.. وهي التي ستستمر وتتطور إلى معارك فيما بعد تنتهي بخروجهم من الأردن ونزوحهم إلى سورية ولبنان بصورة خاصة.

تتابع الصحيفة بشكل يومي هذه الحالة وطبعاً هي لا تخفي تضامنها مع العمل الفدائي الفلسطيني تبعاً لموقف الحكومة والحزب.. وإضافتها إلى الموقف بمقالات أو دراسات سياسية قليلة جداً.. وتتركز غالباً على أخبار الصفحة الأولى والمقالات الافتتاحية.

في عدد ٧/٤ مانشيت الثورة:

اللجنة المركزية لحركة المقاومة تطالب بسحب الجيش من عمان ومن حولها

وفي أسفل الصفحة صورة لشاب ومجموعة تشيع جنازة والعنوان يقول:

دمشق تشيع شهيد الصاعقة

وفي الخبر أن الراحل شهد مصيره على يد الجيش الأردني في عمان.

تتكرر العناوين وصور التشييع والمشيعين وغالباً من الصاعقة.

صفحة جديدة تظهر في عدد السبت ٩\٥ "عدد ١٢ صفحة" بعنوان "قضايا الوطن العربي" تعد بالصدور كل سبت ومقالها الرئيسي ليوسف مقدسي حول مشروع روجرز.

صفحة الفكر الأسبوعية يغيب عنها مرة أخرى اسم الدكتور طيب تيزيني.. ومرة ثانية المقال الرئيسي لسليمان الخش وهو حلقة ثانية من مسائل الفكر الاشتراكي.

في صفحة الأدب تظهر أسماء سليم بركات، ابراهيم جرادي، عاصم الجندي، عصام ترشحاني، صالح درويش، حسان عطوان وعدنان عمامة شعراء.. مع قصة لنيروز مالك ومقال نقدي رئيسي لعبد الكريم الناعم حول ديوان فايز خضور "صهيل الرياح الخرساء".

في عدد ٧/٦ هناك مانشيت فوق الترويسة:

الرفيق الأتاسي يهنئ الحزب الاشتراكي التشيلاني بفوز مرشح الجبهة الثورية للعمل الشعبي سلفادور ألندي بانتخابات الرئاسة.

في العدد ذاته على الصفحة الثالثة يحضر اسم أديب خضور على السياسة الدولية لكن ليس على شريط الترويسة بل من مقال رئيسي عنوانه:

الأسئلة الصعبة التي طرحتها انتخابات الرئاسة في تشيلي

ويطرح أربعة أسئلة:

- **لماذا فشلت الإصلاحية..؟!**
- **كيف أصبحت التشيلي على عتبة الثورة الاشتراكية؟**
- **ما العمل أمام تقدم اليسار..؟!**
- **ما العمل أمام كوبا ثانية ولكن عبر الوسائل الديموقراطية..؟!**

ويتوقع الكاتب فوز مرشح اليسار سلفادور ألندي.. ليس بالتنبؤ طبعاً.. إنما بتحليل لواقع قوى القوى السياسية المتصارعة في التشيلي وعليها.. والأجدر من ذلك أن الكاتب توقع انقلاباً عسكرياً إن نجح مرشح اليسار معتمداً على عرض معلومات كثيرة من مصادر عدة ولاسيما أميركية.

وإلى جانب العرض التحليلي في الصفحة الثالثة "السياسة الدولية" كتب أديب خضور زاوية أضواء على الأحداث في الصفحة الثانية تحت عنوان "فوز مرشح اليسار في التشيلي".

في عناوين عدد الأربعاء ٩/٩:

الجيش الأردني يهاجم عدداً من قواعد الفدائيين بعد قصفها بالدبابات والمدفعية

المجزرة الجديدة أسفرت حتى الساعة الثامنة مساءً عن استشهاد /٢٥/ فدائياً وجرح /١٧/ والقتال مستمر

اللجنة المركزية لحركة المقاومة تعتبر بيانها المشترك مع الحكومة الأردنية لاغياً بعد خرق السلطات له

مانشيتات عدد اليوم التالي كانت أخطر وجاء فيها:

رئيس الدولة يتسلم نداء اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية

في الوقت الذي تقاتل فيه الثورة الفلسطينية في أكثر من ساحة تتعرض لأبشع عملية غدر وأشرس هجمة

وقد جاء في النداء كما نشرته الثورة:

في هذه اللحظات التاريخية التي تمر على أمتنا وفي الوقت الذي تقف فيه الثورة الفلسطينية تقاتل عدونا الصهيوني والاستعمار العالمي في أكثر من ساحة من ساحات النضال والشرف تتعرض هذه الثورة لأبشع عملية غدر وأشرس هجمة استعمارية صهيونية تحاول جاهدة تصفية هذه الثورة والقضاء على كيان ووجود الشعب الفلسطيني وضرب جماهير شعبنا الباسل في الساحة الأردنية.

وأمام الأحداث الجسام التي تخطط لها وكالات الاستخبارات الاستعمارية العالمية للقضاء على الثورة الفلسطينية التي بدأت بوادرها تنفذ بإحكام في الأردن الصامد الشجاع البطل.

وقد كانت الحوادث المحزنة التي حدثت في جنوب الأردن وفي كثير من المدن كعمان والشوبك والطفيلة والكرك والتي استهدفت جماهير شعبنا الفلسطيني، حيث نهبت بيوتاً وانتهكت أعراضاً وقتلت نفوساً بريئة.

تلك الأحداث التي قامت بها السلطة مع بعض عملائها من ذوي النفوس المريضة من بعض العشائر والقبائل وفي الوقت نفسه تضرب وحدة شعبنا الوطنية والقومية ولم تكتف السلطة بتلك المجازر التي امت بها في المدن الجنوبية بل أتبعتها بعملية غدر بشعة عندما أصدرت أوامرها إلى اللواء -٤٠ - المدرع وبعض الكتائب الأخرى من المشاة بالهجوم صباح يوم ٨ -٩ -١٩٧٠ على عدد من قواعدنا الفدائية في المنطقة الشمالية من الأردن والمتواجدة على مقربة من خطوط التماس مع العدو الصهيوني بعد أن دكتها بالمدفعية الثقيلة دكاً عنيفاً ومركزاً وقد نتج عن عملية الهجوم الحربي والذي لم تقم به ضد العدو الصهيوني ولكن ضد قواعدنا الفدائية التي تقوم بإجراء عمل حربي في القتال ضد العدو المحتل لأرضنا المقدسة وكانت النتيجة ٣٠ شهيداً مثّل بجثثهم غدراً عدا عدد آخر من الجرحى، هذا بجانب ما قامت به هذه السلطة من قصف مدينة عمان أكثر من مرة مستهدفة قصف سكانها العزل فقتل من قتل وجرح من جرح. إن هذه الحالة الخطيرة التي يحياها الأدرن وشعبه الباسل الشجاع لتتطلب من كل الأخوة الملوك والرؤساء العرب أن يتحملوا مسؤولياتهم الوطنية والتاريخية، وأن ينظروا إليها نظرة المسؤولية والخطورة التي تلوح أمام أعيننا إنقاذاً لشعبنا الصامد في الأردن من قوى البغي والتآمر وحفاظاً على الثورة الفلسطينية.

وإن اللجنة المركزية إذ تعلن لكم إصرارها على المضي قدماً للحفاظ على مسيرتها الثورية تناشدكم أن تتحملوا مسؤولياتكم التاريخية والقومية حتى لا يتحول الأردن بفضل عمليات التآمر البشع إلى دمار.

التوقيع: أخوكم ياسر عرفات

في صفحة السياسة الدولية في هذا العدد يعود اسم أديب خضور على شريط الترويسة كمعد للصفحة.

افتتاحية الثورة في عدد ٩/١١ تربط بين مشروع روجرز والتآمر على المقاومة.

عناوين الثورة يوم الجمعة ١٩٧٠/٩/١٨ تؤكد استمرار الصدام بين الفلسطينيين والجيش الأردني وجاء فيها:

صدور تصريح عن الاجتماع المشترك للقيادتين القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي

اتخاذ القرارات بوضع كل طاقات الحزب والقطر لحماية الثورة الفلسطينية العربية

رئيس الدولة يستقبل سفراء المتحدة والسودان وليبيا والجزائر ويبلغهم خطورة الوضع في الأردن وضرورة التدخل لوقف المجزرة

استدعاء السفير الأردني وإبلاغه أن الثورة في القطر لا يمكن أن تقف مكتوفة اليدين إزاء المذابح

تصعيد أكثر في عدد ٩/١٩:

الجماهير الشعبية في دمشق تعلن غضبتها على المتآمرين عملاء الإمبريالية والصهيونية في عمان

الرفيق الأتاسي: إننا في هذا القطر نعتبر المعركة معركتنا جميعاً

يجب أن نسترخص الدم والمال وكل شيء في سبيل الوجود العربي وترسيخ الثورة الفلسطينية وحمايتها حتى الانتصار الكبير

ليس الوقت وقت كلام.. إنه وقت عمل جاد ولذلك فلا نتكلم إلا بالقدر الذي يبين ويوضح موقفنا

إن ما نراه اليوم فوق ربا الأردن.. ليس إلا فصلاً من فصول المؤامرة الكبرى

ليعرف المستعمرون والعملاء أن المعركة التي بدأوها ستدور عليهم.. وسيدفع الثمن غالياً

رفضنا قرار مجلس الأمن.. ووقفنا بكل صلابة في وجه مشروع روجرز لأنه تتمة للمؤامرة

كلمة الثورة الفلسطينية: الثورة صممت على خوض المعركة ضد الحكم العميل حتى إسقاطه ولإقامة السلطة الوطنية

في صفحة السياسة الدولية من هذا العدد.. نتابع أحداث الأردن بمقالين، الأول ليوسف مقدسي:

السلطة الأردنية تسفر القناع عن وجهها وتبدأ مؤامرة تصفية المقاومة

وإزالة الحواجز العتيقة لمشروع روجرز

والثاني جانبي لأحمد صوان:

أضواء على مؤامرات السلطة الأردنية على المقاومة

في شباط وحزيران وأيلول

في الصفحة الاقتصادية من هذا العدد يتكرر اسم جاد بوز على مقالها الرئيسي في حين غاب نهائياً اسم جميل الجندي.

في عدد الاثنين ٩/٢١.. وبالمناسبة يفترض ألا يصدر عدد في يوم الاثنين لأن عطلة الصحيفة الأسبوعية هي يوم الأحد.. لذا هو عدد خاص بالأحداث في الأردن التي تحتكر الصفحة الأولى.. علماً أن المانشيت الرئيسي أخذ عن خطاب للأتاسي في افتتاح المؤتمر السادس عشر لاتحاد العام لنقابات العمال:

الرفيق الأتاسي في خطاب هام بافتتاح المؤتمر السادس عشر للاتحاد العام لنقابات العمال:

فلتكن.. معركة حاسمة

لن يستطيعوا ستر جرائمهم بالاتهامات لأن هذه الأساليب لن تضلل أحداً

الأساطيل التي تجوب شواطئ المنطقة وتصريحات المسؤولين الأميركيين تفضح المخطط بكامله

السلطة العميلة في الأردن كان لها دور مرسوم في عدوان حزيران نفذوه وتابعوا تنفيذه

السكين التي بلعناها ثلاث سنوات سنسحبها الآن ونرميها في وجه أي متطاول على الثورة والشعب والجماهير في هذا القطر

المعركة معركتنا.. ونضع كامل إمكانيات القطر تحت تصرف الثورة الفلسطينية

لواء حطين التابع لجيش التحرير الفلسطيني يخوض معارك بطولية لمدة "٣٦" ساعة يحطم خلالها محاولة قوات السلطة العميلة فرض سيطرتها على المنطقة المحررة

القتال ما زال مستمراً في عمان.. وقوات السلطة تواصل قصف أحيائها بوحشية

وفي الصفحة الثالثة يعود يوسف مقدسي وأحمد صوان إلى جوانب الأحداث في الأردن..

في العدد التالي هناك أيضاً الكثير من العناوين المميزة، نختار منها ما يفيد بتحديد اتجاهات تطور الحدث:

ناطق باسم وزارة الخارجية ينفي الادعاءات الأميركية حول تدخل قواتنا المزعوم في الأردن

الادعاءات الأميركية توطئة لتدخل عسكري أميركي في المنطقة بعد تحركات الأسطول السادس

الرئيس الأتاسي يصل القاهرة للاجتماع بالرؤساء عبد الناصر والنميري والقذافي

هل حصل التدخل السوري في الأردن لنصرة الفدائيين الفلسطينيين؟! الثورة مستمرة في النفي ونتابع مع الإشارة أن الصفحة الثالثة فتحت أبوابها لأعنف هجوم على النظام الأردني..

بالمناسبة لا تشير الثورة إلى مؤتمر القمة العربية الذي كان معقوداً في القاهرة، باستثناء إشارة في مؤخرة بقية خبر على الصفحة الرابعة يقول على لسان وزير الإعلام: إن سفر الأتاسي إلى القاهرة لا علاقة له بمؤتمر القمة الذي لن يحضره.

عناوين الأربعاء ٩/٢٣:

ناطق باسم الخارجية: الشعب العربي سيواجه أي تدخل إمبريالي أميركي بكل قوة

رسالة المقاومة إلى المسؤولين العرب في القاهرة:

الآن.. وبعد هذه المذابح يطلب إلينا إبداء رأينا

بحر من الدم يفصل بين الشعب والحكم العميل.. انقطعت كل الجسور وشعبنا مصمم على الاستمرار في النضال

لماذا لا تنتقلون إلى عمان أو الزرقاء لتشاهدوا وحشية المذبحة وصمود شعبنا

١٢٠ ألف قنبلة ألقاها الملك العميل وضباطه الخونة على عمان فقتلوا وجرحوا وشوهوا أكثر من ٢٠ ألف مواطن مدني

اللجنة المركزية تحذر واشنطن من التدخل وتؤكد أن جميع مصالحها ستدمر على أيدي الجماهير.

في العدد افتتاحية بعنوان "دماء الشهداء تأبى المساومة" وقعها هيثم العقاد.

على الصفحة السادسة عوضاً عن صفحة المنوعات الثقافية استفتاء أجراه يعرب السيد تحت عنوان: ما هو رأيك بأحداث الأردن؟

الخميس ٩/٢٤ تشير الثورة إلى انتهاء اجتماع القاهرة وعودة الأتاسي وإلى سوء تفاهم واضح، دون إشارة مباشرة إلى القمة العربية وما جرى خلالها.. جاء في العناوين والخبر:

صدر عن المكتب الصحفي لرئاسة الدولة في القطر العربي السوري البيان التالي:

أوضح السيد رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء الدكتور نور الدين الأتاسي أنه قام بزيارته السريعة للقاهرة أول أمس لكي يضع الرؤساء العرب الذين اجتمع بهم في صورة المأساة الكبرى والمحنة القاسية للثورة الفلسطينية وجماهير الشعب العربي في الأردن.

وقال السيد الرئيس أنه أكد خلال جميع اللقاءات الشخصية التي تمت بينه وبين الرؤساء العرب على ضرورة اتخاذ موقف حازم لتدعيم الثورة الفلسطينية ونضال الشعب العربي انطلاقاً مما يفرضه الواجب إزاء المجزرة الرهيبة التي ينفذها سفاح الأردن حسن وطغمته العميلة تطبيقاً للمخطط الإمبريالي الصهيوني نحو القطر الأردني.

وعندما جاء الرؤساء لزيارة السيد الدكتور نو الدين الأتاسي زيارة شخصية في مقر إقامته في القاهرة بين لهم أن الثورة في القطر العربي السوري ملتزمة بخط واضح وسياسة ثابتة بتأييد الثورة الفلسطينية ودعمها بلا حدود. وشرح لهم السيد الرئيس واقع المأساة التي يعيشها القطر الأردني مؤكداً بصورة قاطعة أنه لا يعتبر نفسه بأي حال من الأحوال شريكاً فيما اتخذوه من قرارات بينها إرسال الوفد الخاص إلى عمان. ولم يترك السيد الدكتور نور الدين الأتاسي في أذهانهم مجالاً للشك في أن القطر العربي السوري يرى أن الطريقة الوحيدة لوقف المجزرة وقفاً حقيقياً تكون من خلال وضع حد للمخطط التآمري الكبير والوقوف الحازم في وجه الحكم العميل في الأردن وعلى رأسه السفاح الكبير وزمرته الخائنة. مؤكداً أن الواجب يقتضي من الأمة العربية أن تلقن المتآمرين وسفاح الأردن درساً يكون عبرة لغيرهم.

وأضاف الدكتور نور الدين الأتاسي في حديثه للرؤساء الذين زاروه أن شعب فلسطين الذي تتحمل الدول العربية مسؤولية تشرده أكثر من عشرين عاماً ومسؤولية المآسي والنكبات التي حلت به ينتظر من الأمة العربية أن تشد زره وأن تسنده بدون قيد أو شرط وبغير حدود وأن تحميه من الذين يعملون على تصفيته تصفية كاملة بالحرب والنار.

وقال السيد الرئيس إننا لذلك نعتبر البيان الذي صدر عن الوفد الخاص الذي أرسله الملوك والرؤساء العرب إلى عمان بياناً لا يمثل رأي الشعب العربي بل هو يسبب خيبة أمل مريرة لكل جماهير الأمة العربية.

ويعود السؤال مجدداً.. هل تدخلنا عسكرياً بالأردن؟! حتى الآن لا تشير الصحيفة بوضوح إلى احتمال ذلك..

على الصفحة الأولى افتتاحية أخرى حول الموضوع ذاته لهيثم العقاد.. وعلى الصفحة الثالثة:

حسين جسر لحماية العدو

ما ينفذه الملك العميل استمرار لما نفذه أجداده لتصفية القضية الفلسطينية بالتعاون مع الاستعمار والصهيونية

في عدد الجمعة ٩/٢٥ تنشر الثورة خبر استقالة محمد الداوود رئيس الحكومة العسكرية بالأردن وتقول:

الداوود رئيس الحكومة العسكرية العميلة يختفي في القاهرة بعد أن بعث بكتاب استقالته إلى السفاح حسين

وتنقل عن ابراهيم ماخوس في الجزائر:

"إقامة سلطة وطنية في الأردن والالتزام بالدفاع عن المقاومة الضمان الوحيد".

وتنشر أيضاً بياناً لياسر عرفات إلى جماهير الشعب والثوار.

هكذا تتابع الأحداث ولا إشارة واضحة إلى احتمالات التدخل السوري لكن العقل يستنتجه.. وما تنشره الصحيفة يشير إلى احتمالات هدنة أو وقف إطلاق نار كما في مانشيت عدد ٩/٢٦:

السلطة العميلة في الأردن تواصل تنفيذ المجزرة رغم مزاعمها عن وقف إطلاق النار

وفي الصفحة عنوان منقول عن ماخوس:

المجازر في المنطقة توضح أهداف مشروع روجرز

وفي عدد ٩/٢٧ ينشر هيثم عقاد افتتاحية على شكل قصيدة:

المجزرة مستمرة..
والاجتماعات مستمرة..
كانت الاستعدادات للمجزرة في الأردن واضحة جلية.
بإحناء الرأس أمام المد الشعبي..
بالتستر وراء القوى الوطنية
بتكديس الأسلحة والذخائر في مستودعات قوى القمع
بشحن تلك القوى بالمال والحقد والأضاليل
....
والمجزرة مستمرة
والاجتماعات ماتزال مستمرة
وكأنها تنتظر أطرافاً أخرى
لتبدأ من جديد
وقد يرسل على ضوء الأحداث الجديدة وفد
ليعود الوفد ويصدر بيان..
وقلب عمان ينزف بلا توقف
لكنه مايزال يخفق
وسيخفق بلا توقف

لا جديد في عدد ٢٨ أيلول.. حيث ذكرى الانفصال ولا إشارة إلى أين مع عبد الناصر..

هكذا إلى عدد ٢٩ أيلول.. والخبر الصاعقة:

وفاة.. القائد العربي الكبير

وصورة كبيرة للرئيس عبد الناصر..

الدكتور الأتاسي معزياً بوفاة الرئيس الراحل:

لمما يزيد من جلل الخطب أن نفتقد رفيق النضال ومعركة التحرير على أشدها

الفقيد العظيم ظل صامداً على درب النضال حتى النفس الأخير

القطر العربي السوري يعلن الحداد أربعين يوماً

وجاء في تقديم الخبر:

كالصاعقة المنقضة جاء الخبر، وانتشر وسط بحر من الذهول... كان الموت قد انتزع من حياة الأمة العربية أحد رجالها العظام، وأي رجل.. حياة حافلة بالنضال من أجل حياة أفضل للجماهير العربية.

لقد كان عبد الناصر وليد المأساة – النكبة.. ومن إحساس الشعب بمرارة القهر وذل الهزيمة، تولدت في روحه شرارات التوتر الثوري... وتجسد الرفض الحاسم للواقع الأليم، ليكون خطوة البداية على درب الثورة الطويل.. الطويل.

ووسط الضباب والمخاطر، وكثافة الثقل الاستعماري على الأمة العربية، أخذ الرجل يتلمس الطريق.. وتتراكم في مقدرته حصيلة النضالات الشاقة ضد أعداء الأمة العربية في الداخل الخارج..

ومن خلال صراعه الدامي مع الأعداء.. ومن خلال نضاله الوطني.. ومن خلال التهج الاستقلالي والتخلص من أخطبوط التبعية ومناطق النفوذ.. برزت حقيقة الرجل.. الفذ، ليغدو القائد العربي الكبير..

وبالرغم من عنف المؤامرات الاستعمارية... بالرغم من شراسة الأعداء التي تفوق الوصف.. وبالرغم من كل الطعنات التي وجهتها الإمبريالية الحاقدة ضد الثورة في أكثر من موضع.. ظل القائد الكبير في

مقدمة السفينة.. وجهته على الدوام.. انتصار الثورة العربية، وتحقيق أهدافها في بناء مجتمعها المتحرر من الاستعمار وأتباعه.. مجتمعها الموحد.. مجتمع العزة والرفاه لجماهير الكادحين..

ليس المصاب للمتحدة بل هو للأمة العربية جمعاء وعزاؤنا أننا على درب الثورة ماضون.. حاملين المشعل الذي حمله الرئيس الراحل.. ومصممون على بلوغ النصر للثورة العربية التي قضى الرئيس العظيم وسط معاركها وجاد بآخر أنفاسه في ساحتها، ساحة النضال والشرف والبطولة.

ويتابع الخبر:

لقد حملت أسلاك البرق النبأ المفجع.. معلنة أن إذاعة الجمهورية العربية المتحدة قطعت كافة برامجها في الساعة الحادية عشرة لتذيع وفاة القائد العربي الكبير الرئيس جمال عبد الناصر، ولتنقل النبأ المفجع عبر الأثير إلى الوطن العربي كله..

رئيس الدولة يبرق معزياً

ومن دمشق التي هالها المصاب الجلل، بعث الدكتور نور الدين الأتاسي رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء إلى السيد أنور السادات نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة بالبرقية التالية:

صعقنا للنبأ المؤلم وفجعت الأمة العربية بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر الذي فقدت فيه مناضلاً كبيراً وقائداً شجاعاً نذر نفسه وحياته للكفاح الدؤوب في سبيل أهدافها القومية ولتحقيق أماني الجماهير العربية.

وإنه لما يزيد من جلل الخطب أن نفتقد رفيق النضال ومعركة التحرير على أشدها والأهداف التي حددها لنفسه وللشعب العربي لما يتم بلوغها بيد أن امتحان الله لا راد له وإن كان لنا من عزاء في هذه الفاجعة فهو أن الفقيد العظيم قد ظل صامداً على درب النضال حتى النفس الأخير وإنه خطّ للشعب العربي في القطر الشقيق طريقاً للنضال هدفها واضح ومحدد.

أرجو أن تتقبلو أحر تعازي القلبية وتعازي الشعب العربي في هذا القطر وتعازي حكومة الجمهورية العربية السورية.

رحم الله فقيدنا الكبير وأسكنه فسيح جنانه.

الحداد ٤٠ يوماً في القطر

وصدر عن رئاسة مجلس الوزراء بلاغ إعلان الحداد العام وتنكيس الأعلام على جميع الوزارات والدوائر الرسمية والمؤسسات العامة في القطر العربي السوري لمدة ٤٠ يوماً حداداً على القائد العربي الكبير الرئيس جمال عبد الناصر الذي وافته المنية مساء أمس.

السادات ينعي الرئيس الراحل

وكان السيد أنور السادات نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة قد وجه بياناً في الساعة الحادية عشرة إلا خمس دقائق من الليلة الماضية ينعي للأمة العربية ابناً من أبنائها وبطلاص وقائداً. وفيما يلي نص النعي الذي تلاه السيد أنور السادات من إذاعة القاهرة:

فقدت الجمهورية العربية المتحدة وفقدت الأمة العربية وفقدت الإنسانية كلها رجلاً من أغلى الرجال وأشجع الرجال وأخلص الرجال وهو الرئيس جمال عبد الناصر الذي جاد بأنفاسه الأخيرة في الساعة السادسة والربع من مساء اليوم ٢٧ رجب ١٣٩٠ الموافق ٢٨ سيبتمبر ١٩٧٠ بينما هو واقف في ساحة النضال يكافح من أجل وحدة الأمة العربية ومن أجل يوم انتصارها.

لقد تعرض البطل الذي سيبقى ذكره خالداً إلى الأبد في وجدان الأمة والإنسانية لنوبة قلبية حادة بدت أعراضها عليه في الساعة الثالثة والربع بعد الظهر.

وكان قد عاد إلى بيته بعد انتهائه من آخر مراسم اجتماع مؤتمر الملوك والرؤساء العرب الذي انتهى بالأمس في القاهرة والذي كرس له القائد والبطل كل جهده وأعصابه ليحول دون مأساة مروعة دهمت الأمة العربية..

إن اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي ومجلس الوزراء وقد عقد جلسة مشتركة طارئة على إثر نفاذ قضاء الله وقدره لا يجدان الكلمات التي يمكن بها تصور الحزن العميق الذي يلم بالجمهورية العربية المتحدة وفي الوطن العربي والإنسانية إزاء ما أراد الله امتحانها به في وقت من أخطر الأوقات..

وإن جمال عبد الناصر كان أكبر من الكلمات وهو أبقى من كل الكلمات ولا يستطيع أن يقول عنه غير سجله في خدمة شعبه وأمته والإنسانية مجاهداً عن الحرية مناضلاً من أجل الحق والعدلمقاتلاً من أجل الشرف إلى آخر لحظة من العمر.. ليس هناك كلمات تكفي لعزاء في جمال عبد الناصر.

إن الشيء الوحيد الذي يمكن أن يفي بحقه وبقدره هو أن تقف الأمة العربية الآن كلها وقفة صابرة صامدة شجاعة قادرة حتى تحقق النصر الذي عاش واستشهد من أجله ابن مصر العظيم وبطل هذه الأمة ورجلها وقائدها.

يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضيةً مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الحداد يسود العربية المتحدة

كما أعلن الحداد في كافة أنحاء الجمهورية العربية المتحدة لمدة ٤٠ يوماً. وذكرت – ا.ش.ا - أن سيسود العربية المتحدة الحداد الكامل لوفاة

الرئيس جمال عبد الناصر لمدة ثلاثة أيام تعطل فيها كافة الوزارات والمصالح العامة والشركات.

هكذا تنادى القادة والزعماء والكتاب إلى إعلان الحزن على الراحل وكلٌ يذرف دمعه أو ينشد قصيدة، ووحده عبد الناصر الذي أعفاه الله أن يرى أو يسمع أو يقرأ..

كان الحزن في الشارع.. وكان التشييع يليق بالراحل..

وكانت كل الدوائر تسعى لترسم جديداً بعد ذهاب القائد.. ودخلت صحيفتنا الثورة في الحداد.. ألغت اللون الأحمر وتكررت صور الرئيس عبد الناصر على كامل صفحاتها..

معاً على الطريق في عدد الخميس ١٠/١ كتبها محمد حيدر، وفي عدد ١٠/٢ "يوم التشييع" كتبت على شكل قصيدة شعرية وقعها "أبو فراس"، وواضح أنها وصلت متأخرة إلى الصحيفة لأن عنوانها كان حرف مطبعة وليس خط خطاط كما هي العادة.. وفي العدد التالي كانت الزاوية لفيصل حوراني وهي أيضاً عن رحيل عبد الناصر، وفي الزاوية التي تلت كانت قصيدة شعر لسليمان العيسى.

يوم ١٠/٣ تعكس الصحيفة لقاءات الدكتور الأتاسي في القاهرة مع قادة منهم بو مدين والقذافي والسادات وعلي صبري والشافعي. في هذا العدد تبدو صفحة الاقتصاد كما لو أنها أولت بأمرها ليوسف مقدسي.

في عدد ١٠/٤ عادت صفحة السياسة الدولية تتروس بشريط كتب عليه: إعداد أديب خضور.. وفيه مقال دون توقيع عن التشيلي بعد الانتخابات.

الصفحة الأخيرة من هذا العدد تحتلها بكاملها صور تشييع عبد الناصر مع تحقيق شامل بعنوان: انطباعات من مأتم القاهرة الكبير ليوسف مقدسي.

عدد ١٠/٦ خرجت الصفحة الأولى للثورة من صدى الوفاة، وكذا مواد الجريدة بمعظمها إن لم يكن كلها باستثناء معاً على الطريق لمحمد عمران بعنوان "من الذي يختطفنا ويغيب".

في عدد ١٠/٧ عاد موضوع التأزم والصدام بين الملك حسين والفدائيين الفلسطينيين إلى صدر الصفحة الأولى:

الثورة.. تحذر السلطة العميلة في الأردن

لا نستطيع أن نقف مكتوفي الأيدي أمام الجرائم المستمرة

وسنضطر لاتخاذ الإجراءات الصارمة الكفيلة بحماية أهلنا وشعبنا

وكان الراحل عبد الناصر، قد فارق قبل أن يستكمل توديع الزعماء العرب العائدين من القمة، وبتقدير الكثيرين أن الضغط الذي تحمله الرئيس عبد الناصر لخلق حالة وئام أو عدم صدام بين العرب قد أثرت في صحته وسرَّعت بوفاته.. وكان السؤال إلى أين نمضي اليوم وقد غاب عبد الناصر وغاب دوره..؟!

استمرت الثورة في عرض فواصل الصراع الأردني الفلسطيني وإبداء المواقف المعادية كلياً لمشروع روجرز وعرض العمليات الفدائية التي يعلن عنها، ولاسيما عمليات قوات الصاعقة.

لا جديد يذكر في صفحات الجريدة.. تسيطر عليها الرتابة نسبياً.. وتمضي الحياة في الخفاء حيث يتفاقم الخلاف والصراع، والقصص على كل لسان.

عدد ١٠\١٦ نقلت الصحيفة انتهاء عمليات الاستفتاء على منصب رئيس الجمهورية العربية المتحدة إذ ترشح أنور السادات لخلافة عبد الناصر، وفي العدد التالي كان المانشيت:

السادات رئيساً للجمهورية العربية المتحدة بأغلبية ساحقة

مانشيت عدد ١٠/٢١:

تشكيل الوزارة الجديدة في المتحدة برئاسة محمود فوزي

في عدد الخميس ١٠/٢٢ أول زاوية معاً على الطريق لحميدة نعنع بعنوان "عمان المغدورة".

الثلاثاء ١٠/٢ وعلى صفحة كاملة ودون سابق إنذار نقرأ العنوان التالي:

من بيان القيادة القومية.. أهم المقررات التي اتخذها لمؤتمر القومي العاشر

الصفحة مكتظة ولها مقدمة جاء فيها:

"يجيء انعقاد المؤتمر القومي العاشر الاستثنائي لحزب البعث العربي الاشتراكي في هذه المرحلة الهامة من مراحل نضال أمتنا العربية وصراعها الشاق ضد قوى الإمبريالية والصهيونية والرجعية، ليؤكد على تعميق مقررات المؤتمر القومي العاشر العادي وترسيخ استراتيجية الحزب في الصمود والتحرير، وفيما يلي أهم مقررات المؤتمر القومي العاشر العادي".

هكذا يبدو أن الأمر لا يحوي أكثر من تذكير بما سبق الاتفاق عليه. هل كان ذاك البيان والتذكير به قادراً على التغطية على حقيقة ما يجري في القيادتين القومية والقطرية..؟!

لا تقول صحيفتنا شيئاً..

ولا نرى فيه جديداً فهو يستلهم مما قرر قبل عامين..؟!

الأربعاء ١٠/٢٨ تنقل مانشيتات الثورة ما أعلنه مالك الأمين عضو القيادة القومية ورئيس مكتب النشر والإعلام:

الانتهاء من إعداد التقارير التي ستقدم إلى المؤتمر القومي العاشر الاستثنائي

في العدد ذاته افتتاحية لهيثم عقاد جاء فيها:

إن هذه الأحداث.. وإيماناً بالمسؤوليات النضالية الملقاة على عاتق الحزب وبالمسؤوليات النضالية الجديدة التي ولدتها التطورات الأخيرة في الوقوف بحزم وصلابة ومبدأية في وجه التآمر على ثورة القطر العربي

السوري وفي وجه التآمر على مجمل الثورات العربية إزاء ذلك كله.. يأتي انعقاد المؤتمر القومي العاشر الاستثنائي ليحلل ويقيم الأوضاع القائمة وليحدد الخطوات النضالية التي تستلزمها المسيرة المقبلة للثورة العربية تجسيداً للروح النضالية التي سلكها الحزب في مسيرته الطويلة والتي أكدت عليها ووضحت معالمها حركة الثالث والعشرين من شباط ورسمتها المؤتمرات السابقة على صعيد المقررات وعلى صعيد التنفيذ.

إن أهمية المؤتمر القومي العاشر الاستثنائي إنما تنبع من خطورة الأحداث التي تواجه الأمة العربية في هذه المرحلة الراهنة من أهمية مقرراته التي ستحدد أسلوب لمواجهة وطريق العمل الثوري والتصدي لكل المخططات الاستعمارية والإجهاز عليها.

إن حزب البعث العربي الاشتراكي في مؤتمره هذا ليؤكد دوره الأساسي في حمل راية الثورة العربية رغم كل الأخطار والعقبات ودوره في متابعة السير نحو تحقيق أهداف الأمة في التحرير والنصر، رغم كل الظروف المعادية.. وثقته المطلقة بقدرة الجماهير العربية على الاستمرار في تفجير طاقاتها الثورية وتأكيدها الدائب على مواصلة النضال الشاق.

إن الحزب في مؤتمره القومي الذي يضم مناضليه في كل أرجاء الوطن العربي الذين يخوضون كل يوم معارك ضارية ويقدمون كل يوم قوافل الشهداء في مواجهة القوى الرجعية والاستعمارية.. ليعطي الدليل القاطع على أن الحزب بتنظيمه القومي قادر على الارتفاع إلى مستوى المهام التي تطرحها المرحلة الراهنة وقادر على أن يكون معبراً عن إرادة الجماهير في مجرى الحركة التاريخية.

وسيبقى الحزب وفياً لمبادئه.. وفياً لإخلاصه للجماهير العربية مناضلاً لتحقيق تطلعاتها في تحرير الأرض المغتصبة وبناء المجتمع الاشتراكي الموحد.. متحملاً لكافة مسؤولياته النضالية مهما عظمت التضحيات في دعم الثورة الفلسطينية المطلق وتمكينها من الدفاع عن

مواقعها ومن إيجاد مواقع جديدة واستخدام تلك المواقع في انطلاقات جديدة تحقق لها الظفر والنصر.. وفي دعم النضال الشامل للجماهير العربية الكادحة للتحرر السياسي والاقتصادي الشامل حتى تتمكن من بناء مجتمعها المتحرر من التخلف والتجزئة والتبعية.

ولن تكون القضايا الحاسمة إلا مواقف حاسمة لا تعرف التردد أو الاجتهاد.. فإما ثورة أو لا ثورة..

تلك هي المسألة...

لا يعود من ذكر للمؤتمر، وفي عدد ١٠/٣٠ تورد الثورة خبر تشكيل وزارة أردنية جديدة برئاسة وصفي التل على شكل تساؤل في المانشيت:

ماذا بعد تشكيل وزارة التل في الأردن؟!

هكذا يدخل تشرين الثاني، وتتلقاه الثورة بافتتاحية على ثلاثة أعمدة وعلى طول الصفحة الأولى وبقية بالحجم ذاته دون توقيع وبعنوان يقول:

الشرعية الجماهيرية.. تتجسد بشرعية الحزب الثوري

كان الصراع داخل القيادة قد وصل أوجه، فصيل من القيادة يستقوي بالحزب.. وآخر يستقوي بالجيش. مما ورد في الافتتاحية:

"في ظروف كهذه، ووسط تحديات ومخاطر كهذه، يكون غياب الحزب الثوري الأمين على التطلع التاريخي للأمة العربية، ويكون التفريط بهذا الحزب الثوري خيانة تاريخية لن تغفرها الأجيال"

في العدد التالي تشير الصحيفة أن المؤتمر يتابع جلساته وأن الدكتور الأتاسي ألقى كلمة تحدث فيها عن أهمية انعقاد المؤتمر في هذه الظروف الصعبة.

والخبر بضعة أسطر فقط..

اقترب الموعد
ولا مجال للتخفّي..!!

لم تعد الأمور لتخفى على أحد.. هي لم تكن خافية تماماً، إنما محاطة بالصمت تاركة الفرصة للشائعات..

خلافات في القيادة وصلت حدها الأقصى تتمحور على اصطفافين.. اصطفاف من خلف القيادة القومية وأمينها العام والأمين العام المساعد.. واصطفاف من خلف وزير الدفاع ورئيس الأركان العامة.

دخل تشرين الثاني ١٩٧٠.. وحسب صحيفتنا لا شيء.. لولا افتتاحية لافتة خالية من التوقيع عنوانها:

"الشرعية الجماهيرية.. تتجسد بشرعية الحزب الثوري.."

سألني صديقي "قائد" وهو زميل من اليمن:

- وصلت إلى النهاية.. أليس كذلك..؟

- ما هي.. وكيف..؟!

ثم وجدت تغابيّ عما يجري مضحكاً فتابعت بعد نفس عميق:

- لعلها واصلة من زمان.. ما الجديد..؟!

أخرج الصحيفة من محفظته وقال:

- الافتتاحية.

لو قرأت الافتتاحية اليوم لما وجدت فيها ما يشي بالخبر، لكنه في أجواء ذاك الزمان وما يقال عن الاصطفافات داخل القيادة يجعل في طياتها الخبر.. لكن.. على أوراق الجريدة.. لا خبر.

كان الصراع محتدماً.. وكلٌ يجيّش على طريقته.. أعيد الآن أن توزيع ما جرى كرد فعل في الشارع على مقولتين:

- مقولة الحزب الثوري والمنظمات الشعبية.... وإلخ..

وكانت تتبناها القيادة القومية في حينه "نور الدين الأتاسي وصلاح جديد".

- مقولة الدولة المركزية بمؤسساتها الإدارية وجيشها النظامي، ويتبناها العسكريون على وجه الخصوص "حافظ الأسد ومصطفى طلاس".

عندما تحدثنا أنا وقائد في الوضع قال:

- اسمع.. القيادة تتبنى شعارات ولا يمكنها أن تنتصر بموجبها..

- ووزير الدفاع..؟!

- ما يطرحه قابل للتنفيذ ويشكل خطوات جديدة.

في الجامعة الكل تقريباً، حزبيون، يساريون، الاتحاد الوطني لطلبة سورية، الكل.. مع القيادة وبحماسة.. وعندما ذكرت ذلك على الطاولة وكان انضم إلينا آخرون.. هناك من قال:

- كل الخطر من هذا الحماس بلا معنى.

الناصريون كان برأيهم، أن رحيل عبد الناصر أحدث فراغاً في الجدار الذي استمر يسنده طويلاً كي لا تتصدع الأمور بين أطراف الخلاف. وبدا غالباً أنهم أميّل إلى الرؤية محور وزير الدفاع ورئيس الأركان العامة..

على كل حال ذكرت القيادة القطرية المؤقتة للحزب التي تصدت لإعلان إدارتها للأمور شيئاً من ذلك.

تتالت افتتاحيات الثورة.. وفقرها بالأخبار.. في حين في الشارع طوفان أخبار..

ببطء شديد بدأت ترد أخبار عن المؤتمر القومي العاشر الاستثنائي على صفحات الجريدة.. دون أي مرور على الخلاف المضطرم الذي وصل حدود القول: إن المؤتمر قد صوت بالإجماع على فصل حافظ الأسد ومصطفى طلاس..

وكان لهذا الكلام ردا فعل:

رد فعل حماسي عنوانه "عليهم يا رجال"!..

ورد فعل هادئ يقول: معقول..؟! وبالإجماع..؟!

بصراحة الحديث عن الإجماع أثار الريبة أكثر من أن يعطي الدعم للاصطفاف الحاد خلفه..

أخذت الثورة تنشر مانشيتات متتالية عن نقاشات المؤتمر لكنها غالباً تنقل شعارات ولا أخبار.

في ١٣ تشرين الثاني ١٩٧٠ قالت الثورة إن المؤتمر أنهى دورته الاستثنائية ووعدت باسم القيادة القومية ببيان تفصيلي..

وعدت وتأخرت.. من ١٣ إلى ١٧ وكان البيان ليس من القيادة القومية، بل من القيادة القطرية المؤقتة للحزب تعلن إنهاء ما وصفته بعقلية التسلط والانعزال والمناورة.. هكذا لم تستطع الثورة أن تفي بكامل وعدها إنما بجزء منه.

لا ينكر أن ثمة صدمة حصلت.. وجرى حراك في الشارع، لكنه لم يصل قط إلى حد ما يمكن وصفه بـ"الرفض الشعبي.".. ولم يدم طويلاً..

أيام وتحولت المئات من طلاب الجامعة وتلاميذ المدارس التي خرجت لتعلن رفضها للحدث، إلى آلاف.. وعشرات الآلاف ترحب به وتهتف له.

الشارع عمته الفوضى.. وتسيّده وضعية الزكرتية والقبضايات.. لكن الأمور كانت تسير بسرعة إلى الترحيب شبه الكلي بالحدث..

جيء بالمرحوم أحمد الخطيب رئيساً للدولة.. وشكل الفريق حافظ الأسد الحكومة "رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع".. وتمثلت في الحكومة أطياف سياسية متعددة.. الناصريون.. الاشتراكيون العرب.. الشيوعيون.. المحافظون من الشخصيات السياسية والاقتصادية...إلخ.

مشاركة هذه الأطياف بالحكومة المؤقتة كان يعني مباركتها الحركة التصحيحية، ليس أكثر.. لأن الحكومة مؤقتة، وكذا الترتيبية كلها.. حتى إن

الشارع السوري وقف مدهوشاً من أن يكون أحمد الخطيب رئيساً للدولة وحافظ الأسد رئيساً للوزراء!!

سرت يومها نكتة شعبية جميلة تقول:

هل تعلم أن أحمد الخطيب أفضل رئيس للدولة في تاريخ سورية..؟! كيف..؟! لأنه جاء بأقوى رئيس وزراء..!

ستمضي الأيام السريعة.. لتأخذ الأحداث صيغتها النهائية وكل في مكانه.. والحالمون بأن: غداً ستسقط الحركة، كان عليهم أن يغادروا الحلم يوماً بعد يوم.. فقد عرف الأسد جيداً ما الذي ينقص لإقامة الدولة المركزية القوية بسلطتها شبه الكلية.

باتجاه الحركة التصحيحية

وفي عدد ١١/٣.. مانشيت عريض وخبر صغير مشابه، وليس لدى الصحيفة ما تضيفه لا إلى الصفحة الأولى ولا في الصفحات الداخلية، وفي عددها التالي المانشيتات في الجو ذاته والخبر على شكل افتتاحية عنوانها:

رأس الحزب.. ورأس الثورة

هما هدف الاستعمار في المرحلة الراهنة

في عدد ١١/٥ تستنبط الثورة سبع مانشيتات متتالية من خلال مناقشة أعضاء المؤتمر العاشر الاستثنائي في يومه السادس. وتشير مقدمة الخبر إلى أن أعضاء المؤتمر يمثلون جميع منظمات الحزب في الوطن العربي والخارج. وجاء في المانشيتات:

الدورة الاستثنائية للمؤتمر القومي العاشر للحزب تتابع مناقشاتها العامة لتقرير القيادة القومية

خمس نقاط تركزت حولها المناقشات خلال الأيام الماضية

تعميق استراتيجية الحزب في الكفاح المسلح والتأكيد على مواقف القطر المشرفة لحماية وتدعيم الثورة الفلسطينية وتعزيز هذه المواقف

دراسة تجربة الجيش العقائدي ومتابعة توفير كل ما يلزم ليقوم بأشرف واجب في تنفيذ استراتيجية الحزب في معركة الصمود والتحرير

الدور الإجرامي الذي قامت به الرجعية لضرب وتصفية قوى الصمود والمجابهة التي تمتلكها الأمة العربية

الدور الذي يمثله اليمين المشبوه لخدمة الإمبريالية في الوطن العربي ولطعن الثورة الفلسطينية وفي حجب قوى بشرية واقتصادية وعسكرية هامة عن معركة المواجهة في الجبهة الشرقية

التركيز على الأخطاء والثغرات التي ظهرت في المرحلة الماضية ومعالجتها بما يعمق مسيرة الحزب والثورة في كافة المجالات.

يشير عدد الجمعة ١١/٦ إلى أن ثمة ما يجري دون أن يتحدث به من خلال الإعلان أن اللجنة الإعلامية المشكلة من القيادة القومية هي الجهة الوحيدة المخولة بنقل أخبار المؤتمر.

في عدد ١١/١٠ تنقل الثورة عن مالك الأمين ما قالت إنه: خلاصة لمضمون التقرير الشامل الذي أقره المؤتمر القومي العاشر للحزب في دورته الاستثنائية.. والمانشيت يقول:

قواعد الحزب كانت ومازال حاضر الحزب ومستقبله ومستودع قدراته وقوته السياسية.

البيان طويل جداً ولا يشير إلى الخلافات المتفاقمة بشكل مباشر، وكذا لا تجد شيئاً من ذلك في صفحات الثورة.

في ١٩٧٠/١١/١١ تنشر الثورة:

غداً يشيع جثمان الجنرال شارل ديغول.

في ١٩٧٠/١١/١٢ مانشيتات الثورة تؤكد الإجماع داخل المؤتمر القومي الاستثنائي العاشر على الالتزام باستراتيجية الحزب وقراراته ومؤسساته وقياداته.. وتؤكد على الإجماع..

في العدد التالي ١٩٧٠/١١/١٣ تقول المانشيتات:

المؤتمر القومي العاشر لحزب البعث العربي الاشتراكي ينهي دورته الاستثنائية

المؤتمر يتخذ جميع القرارات على الصعيد الحزبي والداخلي والدولي ومعركة التحرير المصيرية

القيادة القومية للحزب ستذيع بياناً شاملاً عن أعمال المؤتمر..

هذه المانشيتات، أما الخبر فهو المانشيتات نفسها دون أي إضافة تذكر.

هذا العدد صدر يوم الجمعة برقم ٢٣٥٦..

العدد التالي صدر يوم الثلاثاء ١٩٧٠/١١/١٧..!!

ماذا يعني ذلك..؟!

توقفت الثورة عن الصدور بين التاريخين لأن إدارتها كانت توالي خط القيادة "صلاح جديد".. ولأن حركة تصحيحية قد قامت بقيادة الفريق حافظ الأسد.. القيادة السابقة تقول إن الحركة وقعت في ١١/١٤، والقيادة اللاحقة تقول إنها وقعت في ١١/١٦..

جريدة الثورة البائسة، لا تقول شيئاً.. وكأنها لم تكن تعلم بشيء.. لكن عناوينها وافتتاحيتها في هذا العدد ١٩٧٠/١١/١٧ توضح كل شيء.. ومقتطفات من بيان القيادة القطرية المؤقتة..

جاء في المانشيتات:

قيادة قطرية مؤقتة للحزب تتحمل مسؤولياتها في قيادة المرحلة الانتقالية وتحدد برنامج عملها

إعادة الصفاء والثورية إلى الحركة "٢٣" شباط تحتم التصدي للعقلية القيادية المتسلطة المناورة وإبعادها

العقلية الفردية المتسلطة دللت على استهتارها بالمسؤولية بافتعال أزمة جديدة في وقت تعاظمت فيه مخاطر الهجمة الاستعمارية والصهيونية والرجعية ولاحت بشكل جلي مشاريع الحلول الاستسلامية

حشد كل الطاقات التقدمية والشعبية في خدمة المعركة وتشكيل مجلس للشعب خلال ٣ أشهر وتعميق وتطوير التحولات الاشتراكية

تحرك واسع مع الدول والقوى العربية التقدمية لتعزيز استراتيجية الكفاح المسلح ودعم الثورة الفلسطينية والعمل على تحقيق خطوات وحدوية

تطوير العلاقات مع المعسكر الاشتراكي وخاصة الاتحاد السوفييتي الصديق والتعاون مع كافة حركات التحرر الوطني والقوى التقدمية في العالم

وجاء في مقدمة الخبر:

أذاعت القيادة القطرية المؤقتة لحزب البعث العربي الاشتراكي بياناً حددت فيه برنامج عمل على الصعيد الداخلي والعربي والدولي في المرحلة القادمة.. قال البيان إن القيادة القطرية المؤقتة أخذت على عاتقها قيادة الحزب والثورة في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ أمتنا لحين انعقاد مؤتمر قطري لانتخاب قيادة قطرية جديدة بعد تجنيب الحزب والوطن من كارثة محققة كانت تدفع إليها العقلية المناورة والمتسلطة في القيادة السابقة.. أكد برنامج العمل على الصعيد الداخلي على حشد كل الطاقات التقدمية والشعبية وتشكيل مجلس للشعب خلال ٣ أشهر ومتابعة وضع وتنفيذ خطط التنمية الاقتصادية وتعميق التحولات الاشتراكية كما أكد على التحرك الواسع مع الدول والقوى العربية التقدمية وتحقيق خطوات وحدوية معها ودعم الثورة الفلسطينية وتطوير العلاقات مع المعسكر الاشتراكي وخاصة الاتحاد السوفييتي.

وجاء في البيان:

كما استمرت هذه العقلية بتسميم الجو الحزبي وخاصة على نطاق التنظيم القومي وتشويه صورة الثورة وجيشها العقائدي في هذا القطر بأذهان رفاقنا المناضلين في الوطن العربي الذين يخوضون أشرس المعارك ضد الرجعية العميلة في الأردن وضد العقلية اليمينية المتسلطة على شعبنا في العراق وضد كل قوى التخلف والعمالة على كل الساحة العربية.

وفي الوقت الذي تعاظمت فيه مخاطر الهجمة الاستعمارية والصهيونية والرجعية على وطننا العربي ولاحت في الأفق بشكل جلي مشاريع الحلول الاستسلامية وفي مقدمتها مشروع روجرز، تلك المشاريع

التي تتطلب من كل القوى التقدمية والوطنية حشد طاقاتها وتجنيدها لمعركة التحرير المقدسة وفي هذا الوقت الذي بدأت فيه مخططات الاستعمار لتصفية المقاومة الفلسطينية وتكشف حدة التآمر اليميني على حزبنا وثورتنا وقضية شعبنا وفي الوقت الذي فجع فيه الشعب العربي بفقيده العظيم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في هذا الوقت بالذات الذي كان يجب أن تفكر فيه تلك العقلية المتسلطة والمناورة بالارتفاع بنفسها إلى مستوى خطورة المرحلة من أجل تفجير طاقات مناضلي الحزب والتصدي لقيادة الجماهير العربية ووضع الخطط المتكاملة وممارسة تطبيقها تنفيذاً لاستراتيجية الحزب في خوض معركة التحرير وتحقيق شعار وحدة القوى التقدمية العربية من خلال المعركة في هذا الوقت بالذات دللت العقلية المناورة على استهتارها وضعف شعورها بالمسؤولية بافتعالها أزمة جديدة تركت البلاد في دوامتها أكثر من شهر لهذا ولكي لا نفسح المجال أمام هذه العقلية المناورة والمتسلطة والفردية أن تعرقل مسيرة الحزب والثورة وتضع جماهير الشعب في سلبية قاتلة.

ولكي نعيد إلى حركة الثالث والعشرين من شباط صفاءها وثوريتها كان لابد لقواعد الحزب مدعومة بتأييد جماهيرنا الكادحة وبقوة هذا الشعب الذي لم تلن له قناة من أن يتصدى مرة أخرى لهذه العقلية فتبعدها نهائياً عن مسرح الأحداث وعن مواقع المسؤولية.

وانطلاقاً من هذا الفهم فقد تصدى رفاق لكم من واقع الشعور بالمسؤولية والحرص على الحزب والثورة وشكلوا قيادة قطرية مؤقتة أخذت على عاتقها قيادة الحزب والثورة في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ أمتنا ووضعت برنامج عمل محدد لهذه المرحلة الانتقالية بما يكفل السير بجدية من أجل رأب الصدع والعودة إلى الحياة الطبيعية ريثما يعقد مؤتمر قطري لانتخاب قيادة قطرية جديدة بعد أن تكون القيادة القطرية المؤقتة قد جنبت الحزب والوطن كارثة محققة كانت تدفع إليها عقلية التسلط والمناورة في القيادة السابقة للتهرب من المسؤولية الثقيلة في هذه الظروف العصيبة.

وجاء في الافتتاحية وهي بلا توقيع:

إخلاص للثورة وأمانة للجماهير

وبقاء على عهد النضال

اليوم تتنفس جماهير شعبنا وحزبنا في قطرنا العربي السوري الصعداء. إنها اليوم تشعر أن حملاً ثقيل الوطأة قد انزاح، وأن جماهير شعبنا وحزبنا بإيمانها بنفسها وبقضيتها وبصبر طويل وشجاعة وتضحية متصلة تحملت منتظرة أن تزيحه في الوقت المناسب وبأقل المخاطر على شعبنا وحزبنا وقضيتنا، في ظرف هو أكثر الظروف خطورة ودقة.

لقد استطاعت جماهير شعبنا وحزبنا منذ أن قوضت صبيحة الثامن من آذار قبل سبع سنوات ونيف حكم الرجعية والانفصال أن تشق طريقها نحو تحويل هذا القطر إلى قاعدة صلبة للثورة العربية. ولم يكن هذا مهمة سهلة. غير أن جماهير شعبنا وحزبنا من أجل هذا الهدف، وبإصرار عنيد وتخطٍ مستمر لجميع العقبات والمؤامرات استطاعت أن تمضي بهذا القطر في طريق بناء هذه القاعدة التي كانت وماتزال مركز إشعاع واستقطاب لفصائل الثورة العربية جميعها.

وتتابع الافتتاحية:

ولقد جاءت حركة ٢٣ شباط عام ١٩٦٦ لتكشف عن هذه العقلية ولئن استطاعت أن تستأصل بعض أشكالها إلا أنها لم تلبث أن نبتت بأشكال جديدة استشرت وعادت من جديد لتهدد حزبنا وجماهيرنا في مرحلة هي أخطر مراحل نضال الشعب العربي ضد أعدائه على الإطلاق. مرحلة صممت فيها الإمبريالية والصهيونية والرجعية تصميماً نهائياً على تصفية قوى الثورة العربية كلها في جميع أقطار وطننا العربي.

لهذا كان لابد لحزبنا، وهو الحزب الواعي لقضيته المدرك لخطورة المرحلة من أن يستأصل من جديد مظاهر الانحراف وكل ما خلفته هذه العقلية المتسلطة من آثار وخيمة على تضامن الحزب ووحدته وصلته

بالجماهير، هذه الصلة التي هي أساس وجوده ووسيلته الوحيدة لانتصار قضيته قضية شعبنا العربي كله.

إن تشكيل القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي يجيء اليوم تعبيراً عن أن قوى الحزب الحقيقية ماتزال أقوى من كل تسلط وأنها ظلت وستظل قادرة على تصحيح كل انحراف يخرج بها عن دورها كطليعة للجماهير لا وصية عليها، وكقائدة لها لا متسلطة عليها. وأن الوعي العميق للمسؤولية الذي استطاعت بموجبه قواعد حزبنا أن تخرج من الأزمة التي افتعلتها العقلية المتسلطة والحنكة التي عالجت بها الموقف الداخلي دون أن تمس سلامة وطننا وجماهيرنا وحزبنا من قبل الإمبريالية والصهيونية والرجعية المتربصة بنا، كل هذا يعزز الإيمان بأن الحزب بلغ مستوى من الوعي والقدرة يتيح له لا أن يصحح كل خطأ ويقضي على كل انحراف فحسب وإنما أن يمضي قدماً في طريق تعزيز دوره القيادي وزيادة ثقة الجماهير بنفسها وبه. وإن البيان الذي أذاعته مساء أمس القيادة القطرية المؤقتة يقدم دليلاً جديداً على أمانة الحزب للثورة وللجماهير وقضيتها. إنه توكيد على أن جماهير شعبنا في هذا القطر مانزال واعية لقضيتها مدركة لمسؤوليتها مصممة على المضي في طريق الثورة العربية، طريق مواجهة أعدائها، وحشد كل القوى والطاقات ترسيخاً لمسيرة حزبنا القائد في تحقيق أهداف الجماهير العربية في الوحدة والحرية والاشتراكية.

العدد بأربع صفحات..

صفحة أولى وصفحة محلية وصفحة أدب لعلي الجندي وصفحة أخيرة ومعاً على الطريق لمحمد عمران.

في العدد التالي نفاجأ بصور وداع للعقيد القذافي من قبل الفريق الجوي حافظ الأسد وزير الدفاع واللواء مصطفى طلاس النائب الأول لوزير الدفاع ورئيس هيئة الأركان العامة.

والمانشيت:

القيادة القطرية المؤقتة لحزب البعث العربي الاشتراكي توالي اجتماعاتها

ليس في هذا العدد أي اسم لمحرر باستثناء عبد الله السيد على صفحة فن وهاني الحاج على زاوية معاً على الطريق، والواضح أن العدد اعتمد على صفحات سبقت الحدث..

في عدد الخميس ١١/١٩ تعتمد الصحيفة في مانشيتها على بيان لقيادة منظمة الحزب في لبنان تعلن فيه تأييدها لبيان القيادة القطرية المؤقتة.

وفي العدد افتاحية دون توقيع، بعنوان: في مرحلة الثقة المستردة.

وتنقل الصفحة الأولى أيضاً خبراً بعنوان:

الأهرام تشيد بالبيان الصادر عن القيادة القطرية..

وإلى جانب الخبر قطعة بأربعة أعمدة بعنوان:

السادات يصدر قراراً بتشكيل الوزارة الجديدة

وآخر بتشكيل مجلس الدفاع الوطني في المتحدة

كان واضحاً أن قدوم الفريق حافظ الأسد إلى سدة القيادة في سورية سيعني فتح ما هو مغلق بين سورية والمتحدة حول أحداث المنطقة..

لكن.. حتى اللحظة ليس في صحيفة الثورة ما يشير إلى معطيات تغير شديدة في السياستين الداخلية والخارجية باستثناء إسقاط القيادة "المناورة المتسلطة" والتوجه إلى قواعد الحزب والشعب لولادة النظام الجديد.

في هذا العدد أيضاً عدد ١١/١٩ لا يرد أي اسم لمحرر من الثورة وحتى الكتاب التي كثيراً ما تم تداول أسمائهم في زاوية معاً على الطريق.. والزاوية في هذا العدد بعنوان "طوفان المحبة" وتحوي مقالاً غير معني بالحدث لاسم يرد للمرة الأولى "زهرة برد علي".

عدد ٢٠ /١١

حوت جديداً في الشكل والمضمون..

غابت إدارة الجريدة بكاملها، واستعين بالمرحوم محمود السيد ليرأس تحرير الصحيفة.. وهو من خارج صفوف الحزب.. وبدأت افتتاحيات تظهر مغفلة من التوقيع مع تحسن إخراجي لا شك أن له علاقة بإشراف المرحوم السيد على الجريدة.

وقد وضع لأول مرة شريطاً بعرض أقل من اسم تحت الترويسة التي استعانت لونها الأحمر بعد أن تحولت إلى أسود منذ وفاة الرئيس عبد الناصر، وعلى الشريط كتب سعر الجريدة /١٥/ قرشاً وعدد صفحاتها.

في هذا العدد المانشيتات التالية:

تسمية الرفيق أحمد الخطيب رئيساً للدولة.. وتكليف الفريق الجوي حافظ الأسد برئاسة مجلس الوزراء

ومانشيت باللون الأحمر:

الجماهير الشعبية تؤكد دعمها المطلق لمسيرة الثورة

مسيرات شعبية كبرى تنطلق في دمشق تأييداً للقيادة القطرية المؤقتة

الرفيق الحلبي لوفود المعلمين والطلبة: انتهت المرحلة التي عزل الحزب فيها عن الجماهير

الحلبي هو محمود علي الحلبي الذي كان محافظ دمشق وأسرع إلى تأييد الحركة التصحيحية التي لم تتأخر عليها برقيات التأييد، وقد تولى فيما بعد رئاسة مجلس الوزراء..

تحت المانشيت صورتان لأحمد الخطيب وحافظ الأسد.. وعنوان مقطع على عمود.. بعنوان:

الفريق الأسد يواصل استشاراته واتصالاته لتشكيل الحكومة الجديدة

والخبر لا يتجاوز ما ورد في العناوين.. بضعة أسطر..

تحت الخبر قطعة بعنوان:

السادات يحدد أهداف المرحلة القادمة

الافتتاحية كبيرة وبعنوان:

بالجرأة والحسم في مواجهة قضايانا الداخلية

يوضع برنامج المرحلة الانتقالية موضع التنفيذ

أيضاً تغيب أسماء المحررين عن العدد..

عدد السبت ١١/٢١ صدر بمانشيت:

الوزارة الجديدة برئاسة الفريق حافظ الأسد

الوزارة تضم ٢٦ وزيراً بينهم ثلاثة نواب لرئيس مجلس الوزراء..

إحداث وزارة لشؤون مجلس الوزراء ووزارة لسد الفرات.

وتنشر على الصفحة الأولى تشكيلة الوزارة الجديدة مع صور الوزراء.. وكانت الوزراء على النحو التالي:

الفريق حافظ الأسد رئيساً لمجلس الوزراء وزيراً للدفاع..

محمد طلب هلال نائباً لرئيس مجلس الوزراء وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي..

عبد الحليم خدام نائباً لرئيس مجلس الوزراء وزيراً للخارجية..

محمود الأيوبي نائباً لرئيس مجلس الوزراء وزيراً للتربية..

داوود الرداوي وزيراً للصحة.

عبد الغني قنوت وزيراً للأشغال العامة.

سامي صوفان وزير الدولة لشؤون التخطيط.

شاكر فحام وزيراً للتعليم العالي.

مصطفى حداد وزيراً للنفط والكهرباء والثروة المعدنية..

غالب عابدون وزيراً للأوقاف.

سهيل الغزي وزيراً للتموين والتجارة الداخلية..

ناجي الدراوشة وزيراً للإعلام.

نور الله نور الله وزيراً للمالية.

فوزي كيالي وزيراً للثقافة والسياحة والإرشاد القومي.

محمود قمباز وزيراً للشؤون البلدية والقروية.
يوسف فيصل وزير دولة.
مصطفى حلاج وزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية.
أديب النحوي وزيراً للعدل.
عبد الرحمن خليفاوي وزيراً للداخلية.
محمد السباعي وزيراً للمواصلات.
عبد اللطيف قطيط وزيراً للصناعة.
منير ونوس وزيراً لسد الفرات.
عدنان بغجاتي وزير دولة لشؤون مجلس الوزراء.
أحمد قبلان وزير دولة لشؤون القرى الأمامية.
متعب شنان وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية.

ليس في العدد أي قراءة أو رأي أو معلومات حول الوزارة الجديدة.. ومازالت أسماء المحررين شبه غائبة.. وهناك افتتاحية بعنوان "ثلاث خطوات في خطوة واحدة.."

ولا شيء آخر عن الحدث الهام جداً.. ولا عن الوزارة التي يقرأ فيها العديد من المعطيات الجديدة منها مثلاً:

- صفعة للقيادة السابقة إذ إن الكثير من الوزراء الجدد كانوا في الوزارة السابقة..
- أكثر من وزير للحزب الشيوعي السوري، وكان الشيوعيون معارضين بارتباك للحركة التصحيحية.. ثم أيدوها بوزيرين أو أكثر..
- أكثر من وزير من المجموعات الناصرية..
- وزير أو أكثر من الاشتراكيين العرب..

أتراه في ذاك التشكيل للحكومة ولدت فكرة الجبهة الوطنية التقدمية في رأس الفريق حافظ الأسد..؟!

الفكرة كانت مطروحة.. وهو كشف عنها بجرأة واقترب منها بلا خوف.. هذا قرب بسرعة المواقف العربية والدولية من الحركة التصحيحية..

مرسوم الوزارة صدر عن رئيس الدولة "أحمد الخطيب".

في هذا العدد تعلن صحيفة الثورة عن مجلة للأطفال "رافع" تصدر كل سبت وقد استمرت وكانت جميلة وعمل عليها محمود السيد وزكريا تامر.

بعدد الأحد ١١/٢٢ المانشيت:

وفد عسكري من المتحدة برئاسة الفريق فوزي في دمشق

الافتتاحية بعنوان:

العمل نقطة البداية الحقيقية بعد سقوط الوهم الكبير..

وهي دون توقيع وجاء فيها:

بتشكيل الوزارة الجديدة استكمل قطرنا العربي السوري خطوته الثالثة بعد تأليف القيادة القطرية المؤقتة وإعلان برنامج المرحلة الانتقالية ودخل بذلك مرحلة جديدة هي بحق كما أسميناها مرحلة الثقة المستردة، ثقة الحزب بنفسه، وثقة الجماهير بنفسها وبالحزب وثقة الجميع بالثورة، كل ذلك في أسبوع.

إن السرعة المذهلة التي استطاعت بها جماهير شعبنا وحزبنا أن تطوي مرحلة ذهبت وتدخل هذه المرحلة الجديدة، قد بددت ستاراً كثيفاً من التضليل وقوضت جداراً سميكاً من الخداع، ألا وهو ذلك الوهم الكبير الذي أريد له من خلال ستار التضليل الكثيف وجدار الخداع السميك أن ينشر ويرسخ في العقول، والذي يقول إن الأوضاع التي فرضتها العقلية المستبدة على جماهير شعبنا وحزبنا وثورتنا في هذا القطر، أوضاع لا يمكن أن تتبدل، وإن هذه الجماهير لا حول لها ولا قوة تجاه هذه الأوضاع، وإن كل تغير هو تغير سطحي، كاذب، مفتعل، وإنه مناورة جديدة من المناورات المألوفة التي تلجأ إليها تلك العقلية بين الحين والآخر لتكشف خصومها ولتمتحن أعوانها فتنزل العقاب بالذي لا يقيم على الولاء لها، وتستمطر النعماء على الذي يظل في ركابها.

وتتابع الافتتاحية:

إنه لأول مرة منذ مدة ليست بالقصيرة تحتل مواقع المسؤولية في الحكومة قيادات تعرف معنى المسؤولية لأنها تعرف حقيقة المهمة التي تتولاها والدور الكبير الذي تعلقه جماهير حزبنا وشعبنا بالمرحلة الجديدة. إنها تعرف جميع سلبيات المرحلة السابقة وقد عانت منها كما عانى القطر كله، لذلك فهي تعرف، بعد إزالة هذه السلبيات، جميع الإيجابيات المطلوبة.

إن المطلب الأساسي كان وما يزال كما أوضح ذلك برنامج المرحلة الانتقالية الذي أعلنته القيادة القطرية المؤقتة هو أن تعود جماهير شعبنا وحزبنا لتلعب دورها الطبيعي في السلطة الثورية التي هي سلطتها في هذا القطر الصامد المكافح. وأن تبدد ستار دخان التضليل وتقويض جدار الخداع السميك، وسقوط الوهم الكبير فتح أمامها الطريق، والحكومة الجديدة أنما أتت لأداء هذه المهمة.

إن الخطوات التمهيدية كلها منذ تأليف القيادة القطرية المؤقتة حتى تشكيل هذه الوزارة قد تمت. إن البرنامج واضح ومحدد. والذي بقي هو العمل. العمل الذي يضعه موضع التنفيذ.

إن الأمل الذي تعلقه جماهير شعبنا وحزبنا وجميع القوى التقدمية في قطرنا، هو كبير. والمهمة المطلوبة ليست سهلة، ولكن إرادة التغيير إلى الأمام تظل شرطاً ذاتياً إذا لم تهيأ لها الشروط الموضوعية لتتحقق.

ومن العمل، العمل الجاد الصابر، المدرك بعمق لأهمية المرحلة الراهنة، والذي هو دوماً نقطة البداية الحقيقية، يجب الانطلاق. هذا هو شعار الخطوة الجديدة.

عدد ١٩٧٠/١١/٢٧ أعلنت مانشيتاته:

رئيس مجلس الوزراء يدلي بتصريحات هامة عن قضايا الساعة للتفزيون الفرنسي

اجتماع ثنائي بين الفريق الأسد والسادات يستمر ساعتين/أحمر
عقد الجلسة الأولى من المحادثات الرسمية بين الجانبين العربيين بعد الاجتماع الثنائي مباشرةً

في هذا العدد أول مقاربة لصحفي من الجريدة مع الحدث بالغ الأهمية الذي عرفته سورية "الحركة التصحيحية" وما تبعه تقرير يعرض أثر قيام الحركة عربياً، بعنوان: التطورات الأخيرة في القطر العربي السوري وأثرها عربياً، وموقع بحرفي "س.خ" يرجح أنه سليم خليفة ولاسيما وإن زاوية ما وراء الأخبار على الصفحة الثانية موقعة باسمه الصريح.. ويظهر في الصفحة ذاتها اسم "يوسف مقدسي" على زاوية بعنوان: "أغراض استمرار مواصلة استفزاز المقاومة".

وبدأت أسماء المحررين تعود إلى مقالاتهم بالتنقيط مع استمرار الابتعاد عن مقاربة الحدث..

الأعداد السابقة من الجريدة وصولاً إلى عدد السبت ١١/٢٨.. استمرت على حالها بلا جديد يذكر، باستثناء غياب الافتتاحية وظهور زاوية في أسفل الصفحة الأولى بعنوان "في الميزان" وهي بلا توقيع.. وأيضاً ضمن استعراض الجريدة لنشاطات القيادة يتضح مبايعة القوى المحلية والمنظمات الشعبية للفريق الأسد الذي راح يستقبل الوفود الشعبية من كل المحافظات.

في عدد السبت ١١/٢٨.. لا عودة إلى عدد ١٢ صفحة الذي كان يصدر السبت وعناوين الصفحة الأولى كما يلي:

تنفيذاً لمقررات حزب البعث العربي الاشتراكي الوحدوية انضممنا إلى الاتحاد.. وشكلت قيادة رباعية موحدة

عودة وفدنا برئاسة الفريق الأسد إلى دمشق.. وصدور بيان مشترك عن المحادثات

الرؤساء السادات والنميري والقذافي يرحبون بانضمام القطر لإعلان القاهرة

الإشادة بأهمية الدور الذي يضطلع به شعب وحكومة القطر العربي السوري في تأكيد الحقيقة الكبرى للمصير العربي الموحد
الجماهير تعبر عن ابتهاجها بالاتحاد في مظاهرات ومسيرات شعبية شهدتها دمشق والمحافظات ليلة أمس
الفريق الأسد للجماهير الشعبية: سنتابع السير على طريق الوحدة إلى أقصى مداه

في العدد صفحتا الأدب لكن دون ترويسة تشير إلى إشراف علي الجندي، وفيه قصائد لمحمد عمران ومصطفى بدوي وحميدة نعنع وعبد الكريم الناعم وقصة لفؤاد عبود ومقالان نقديان لأيمن أبو شعر وبسام طالب.. ومقالات أخرى..

لكن ليس في العدد أي مقاربة للأحداث الحاصلة رغم أهميتها وأبعادها.. بما في ذلك انضمام سورية إلى الاتحاد الذي أصبح رباعياً "سورية – مصر – السودان - ليبيا".

الصحيفة تسير بقيادة محمود السيد وليس من مدير عام إلا فيما بعد حيث أحضروا "محمود ابراهيم أحمد".. وقد اشتهر باسم "محمود مصطفى".. وهو عمل سابقاً بصفة رئيس تحرير مع محمد الجندي.. وقد صدر قراره في ١٩٧١/١/٥.. بتعيينه مديراً عاماً مساعداً ويمارس صلاحيات مدير عام رئيس تحرير.. والقرار من وزير الإعلام ناجي الدراوشة..

والحقيقة أن المرحوم محمود مصطفى حضر قبل تاريخ المرسوم وفوض محمود السيد بكامل أعمال رئاسة التحرير منهياً مهمته في هذا المجال وسير ما هو ضروري من أعمال المدير العام.. وبالتالي لم يسير لا أعمال المدير العام ولا رئيس التحرير.. وقد قاد فترة عجائبية من عمل الجريدة.. انتهت بحضور أحمد اسكندر أحمد رئيس تحرير في ١٩٧١/٩/١٦ ثم مديراً عاماً بمرسوم جمهوري في ١٩٧٣/١/٦.

تمضي الأيام على صحيفة الثورة دون جديد.. باستثناء الاستحداثات اللافتة في عملية الإخراج التي يقوم بها محمود السيد.. وماعدا ذلك فالصحيفة قلما تقارب بتحليل أو نقد للأحداث العظام التي تحصل.. فقط تنقل الشغف الجماهيري بالحركة التصحيحية ونشاطات وأعمال الفريق الأسد والمؤسسات الرسمية.. وكانت معظم المؤسسات والنقابات والتنظيمات كلها أكدت تأييدها للحركة.

في عدد الأربعاء ١٩٧٠/١٢/٩:

الرفيق الأسد في طرابلس: سنعمل على دفع العمل الوحدوي..

ربما كانت المرة الأولى التي تستخدم الصحيفة عبارة "الرفيق" وكان الغالب استخدام "الفريق حافظ الأسد" حتى في متن الخبر نفسه استخدمت عبارة الفريق وليس الرفيق.. وبتقديري من ذاكرة تلك الأيام كان التعبير "الفريق" أقرب إلى الناس عموماً، رغم عسكرته.

في هذا العدد حضرت صفحة بعنوان "آراء" والمقال الرئيسي لعفيف بهنسي.. ويبدو أنها تحل محل صفحة "الفكر" التي فارقها طيب تيزيني منذ حين ثم غاب عن الجريدة.. وفي الصفحة واحدة من زاوية "الفكر" هي على طريق الوضوح.. وموقعة باسم محمود السيد..

في هذا العدد كتب معاً على الطريق حسيب كيالي بعنوان "جننت فرحاً".

في مانشيتات العدد التالي ١٢/١٠:

الرفيق الأسد: دولة الوحدة هي القادرة.. وهي الطريق

العقيد القذافي: أحرار سورية برهنوا عملياً على نيتهم الصادقة في تحقيق الوحدة..

باب الاتحاد الرباعي لن يكون مفتوحاً أمام الرجعيين والأدعياء والذين يرفعون الشعارات دون أن يؤمنوا بها

والمانشيت في اليوم التالي:

بعد مباحثاته الناجحة في طرابلس.. واجتماعه بالرئيس السادات ساعة وعشر دقائق في مطار القاهرة

وفدنا الرسمي برئاسة الفريق الأسد في الخرطوم

اللواء النميري وأعضاء قيادة الثورة والوزراء وجماهير غفيرة من أبناء الشعب العربي في السودان شاركوا في استقبال الوفد

في عدد السبت ١٢/١٢ وبعد طول غياب تعود هنرييت عبودي إلى الثورة من خلال زاوية معاً على الطريق ومقالة بعنوان: مؤامرة على مسرح الشعب في حلب..

صفحة متخصصة أسبوعية أخرى تظهر في عدد ١٢/١٣ بعنوان أحداث العالم في أسبوع.. تقديم قسم الأخبار والتحقيقات السياسية.. وفي هذا العدد يرسل صفوان قدسي نداء إلى الكتاب للاهتمام بما يجري سياسياً.. بعنوان: صمت الاتحاد ليس صمت الكتاب.. وفي المقال هجوم حاد على اتحاد الكتاب واتهامه بالعزلة والشلل..

في العدد التالي مانشيتات:

انطلاقاً من الدستور المؤقت وبيان القيادة القطرية المؤقت

إجراءات لصيانة حرية المواطن وكرامته وأمنه

قانون الطوارئ لن يستخدم بعد الآن إلا في الحالات والظروف التي حددها القانون

إلغاء إجازة السفر إلى لبنان وتسهيل إجراءات السفر إلى خارج القطر

إعادة النظر في الملفات المحفوظة لدى دوائر الأمن والخاصة بالمواطنين بهدف إنصافهم وتحقيق تكافؤ الفرص

عرفت زاوية "معاً على الطريق" هذه المرحلة معارك ثقافية وإعلامية شارك فيها الكثير من الكتّاب.. حسيب كيالي.. عبد الله أبو هيف.. أكرم شريم.. هنرييت عبودي.. محي الدين صبحي.. صفوان قدسي.. عادل أديب آغا.. طالب أبو عايد.. وليد مشوح.. وظهر اسم منير الجبان في الزاوية..

وهكذا شكل تحرر الجريدة من سيطرة المديرين العامين والاستفادة من روح الحرية لدى محمود السيد منبراً لكتاب كثيرين نال كل منهم ما يريده من هجوم على جهة له عليها ملاحظات.. الإذاعة والتلفزيون.. الثقافة والمسرح.. اتحاد الكتاب.. نقابة الصحافة.. إلخ..

ينتهي العام.. وما تشعره في هذه الصحيفة، إما أنها بلا كتاب سياسيين، وإما أنها تخاصم كل ما يجري من أحداث عظام.

N

الصفحة

الصفحة

أربع بوابات للتيه بعد الهزيمة

الصفحة

أسـعد عبـود

- كاتب وصحفي سوري، مواليد عام ١٩٤٨م.

- يحمل شهادة حقوق من جامعة دمشق ودبلومي صحافة من برلين وموسكو.

- عمل في جريدة الثورة منذ عام ١٩٦٧م، وتولى رئاسة تحريرها في عـــام ٢٠٠٦ حتى تقاعده عام ٢٠١١م.

- صدر له كتاب يروي «رسائل الحب الستيني» الناشر: دار التكوين بدمشق عام ٢٠١١م.

- مارس نشاطات إعلامية أخرى وساهم في تحريـــر العديـــد مـــن الكتـــب الجماعية.

الطبعة الأولى / ٢٠١٣م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة

أسعد عبود: تحريك سكين في جرح
«أعمدة من ورق» تدعمنا

غادة السمان

ثمة كتابات تشبه رياحاً ضوئية عطرية تهب من القلب المتألم.. ويتلقاها قلب في كواكب أخرى لأنها تخاطب تجربته وأحزانه التي توهم أنه أتقن إغلاق توابيت العمر عليها ونفاها إلى مقابر القمر.. والمقالة في «أعمدة من ورق» بعنوان «ورقة ثانية محذوفة» لم أنجح في حذفها من ذاكرتي وفيها يقول الأستاذ أسعد عبود (جريدة الثورة السورية ٢/٢/٢٠١٠):

«لا أنكر أنني تلقيت سهاماً أدمت القلب والروح.. وتعرضت لتهم لا دخان ولا نار.. وأكثر ما يمكن أن يشهد لي بصدق ذلك، هم مطلقو السهام أنفسهم..! هم يعرفون أنه لم يكن من دخان أو نار.. وأزعم أنني نجحت في ألا أدخل معهم معارك هم يريدونها وأنا أرفضها..

تعرضت للأذى بالتأكيد.. دفعت، ثمن، ما قدمته لأناس من عطف ومحبة.. لكنني في المحصلة النهائية أعتبر نفسي منتصراً». ويتابع أسعد عبود:

«ما شعرت يوماً أن اتهاماً جاءني وخلفه استفسار أو راية حوار إلا تعاملت معه.. وبصدق لم أفشل في أي منها، فقد انتهى الحوار سواء بحديث طويل أو بجملة واحدة.. إلى فهم ما أقوله والتراجع عما قيل...».

في هذه السطور لأسعد عبود وجدت سطوراً كنت أتمنى أن أكتبها كما آلاف القراء ففيها صدى لقلوب تحب الحوار وترفض معارك مفتعلة يحاول جرك إليها من عاداك على حسد.

أنت ترتاح للكاتب الذي ينقل صوت قلبك.. كأنه النوطة الموسيقية لجراحك السرية.. يصير قريباً من عتمتك وضوئك.. وبهذا المعنى قرأت قول أسعد عبود: «أعمدة من ورق.. مشروع أعيش معه حتى ساعات الليل المتأخرة.. وخوفي من الزمن وليس من أي شيء آخر.. خوفي أن أقضي بما عشته وخبرته قبل أن أتمكن من نقله...».

خوف يعيشه كل صادق وما أندر الصدق والإبداع وما أكثر المطبوع في يومنا وبعضه سخيف ومسؤول عن اغتيال الأشجار دونما وجه حق.

ترى متى تقيم الأشجار الدعوى ضد الذين يتسببون في قطعها وتحويلها إلى ورق حيث يدونون عليها جوعهم للشهرة وتفاهاتهم الأبجدية؟

مجلة الحوادث عدد رقم ٢٧٨٨ تاريخ ٩/٤/٢٠١٠

www.syrbook.gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢١١٦٤
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٣م

سعر النسخة ٥٦٠ ل.س أو ما يعادلها